INTISAR ADNAN ABDULWAHID AL-AWAD

دراسات
STUDIES

السيرة النبوية

في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

دراسة في نهج البلاغة

الدكتورة انتصار عدنان عبد الواحد العواد





السيرة النبوية

في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

دراسة في نهج البلاغة

السيرة النبوية في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

تأليف: الدكتورة انتصار عدنان عبدالواحد العوّاد

عدد الصفحات: ٦٢٤صفحة

الطبعة الثانية: ٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ

القياس: ١٧ × ٢٤

الناشر:



البصرة - العراق

٠٠٩٦٤ ٧٧٠٢٧٢٤٨٠١

٠٠٩٦٤ ٧٨٠١٣١٢٠٧٢

Email: a_alzobair@yahoo.com

Printed in Lebanon

الموزعون:

- دار الرافدين: بيروت - لبنان
هاتف: ٠٠٩٦١١٥٤١٩٨٠
Email:daralrafidain@yahoo.com

- دار البيضاء: بغداد - العراق
هاتف: ٠٧٩٠١٨١٤٧٣٦
٠٧٧٠٢٧١٤٢٠٥

- دار الباقر: النجف الأشرف - العراق
هاتف: ٠٧٨٠١٢٦٣٥٧٩

السيرة النبوية في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

دراسة في نهج البلاغة

تأليف

الدكتورة انتصار عدنان عبد الواحد العواد

جامعة البصرة - كلية الآداب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾

صدق الله العلي العظيم

[الرعد، الآية: ٤٣]

الإهــداء

سيدي يا صاحب الزمان..

يا أملي الذي أودعته حنايا الروح أبد الدهر..

يا هيبةً من جدك المصطفى تمتد أفُقاً يتلظى..

فأنت للصبر صبرٌ فأتى صبري يجتدي منك صبراً..

فقد أربك الموج سفينة روحي.. وأرى في ضفافك المستقرا..

لم نزل عاشقيك سيدي نخضّر وجداً واشتياقاً للقياك حرّى..

"فمتى ترانا ونراك"

وإلى ليث الطفوف وراعي الجود..

وحامي الهودج القُدسي..

سيدي أبا الفضل...

يا من تألق الجود في راحتيه فأضحى للكرم مثلاً..

يا حاملاً دمعة من طف روحك للآتين إن ظمئوا..

ها قد أتاك قلبي المتيم فأروه سيدي من فيض جودك فقد ذاب عطشاً

ليورق الأملا..

سادتي منكم وإليكم



شكر وتقدير

الحمد لله الذي لم يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعمائه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، اللهم لك الحمد على ما أوليتني من جميل صنعك، وجليل نعمتك عليَّ بولاية محمد وآل محمد والتوفيق لخدمتهم.

بدءًا إني لأنحني أمام الاسمين العظيمين "المصطفى محمد ﷺ والمرتضى علي عليه السلام" اللّذَين زيّنا عنوان وصفحات بحثي من أولها إلى آخرها راجية قبولاً مشفوعاً بالعفو عن كل تقصير بدر مني، ولكن لا طاقة لقلمي أكثر مما قدمته كي يطوف في عوالمهم النورانية الشاسعة، إلا أنها أمنيتي أتخطى بها مخاوفي لأدنو منهم إذ سكن ودهم وولائهم في عقلي ووجداني، ونيتي تحدو بي على شغف لأنال شفاعتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وأجد لزاماً عليّ أن أنسب الفضل لذويه لعلي أؤدي حق المتفضلين عليّ بعد الله سبحانه وأهل البيت الكرام عليهم السلام، يقول الامام زين العابدين عليه السلام: "**وأما حق ذي المعروف عليك، فأن تشكره، وتذكر معروفه، وتكسبه المقالة الحسنة، وتخلص له في الدعاء فيما بينك وبين الله عز وجل، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سراً وعلانية**".

وإن عبارات الشكر لتضيق ذرعاً بما أكنّه من شكر وامتنان وإجلال لأستاذي المشرف ـ مثال الورع وحسن الخلق ـ الأستاذ الدكتور جواد كاظم النصرالله الذي خصني بوافر رعايته، مواكباً مسيرتي البحثية خطوة بخطوة، وإني لأكبر فيه كل يوم خلقه السامي، ومواقفه النبيلة، وصبره الجميل، وآراءه

العلمية القيمة، فكان أثره طيباً وبيّنا في التفضل بإخراج هذا العمل الى حيز الوجود بعد أن كان حلماً يراود الخيال.

وإلى الأستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي أقف وقفة إجلال وامتنان لما غمرني به من رعاية أبوية مذ لقائي الأول به، وأثمن باعتزاز ترأسه لجنة المناقشة، ولا أملك قبال تفضله علي إلا دوام الشكر والدعاء، بأن يمد الله في عمره. وأذكر باعتزاز المواقف الطيبة لأستاذتي الفاضلة الأستاذة الدكتورة سلمى عبدالحميد الهاشمي التي كانت وما زالت تغذيني بحنانها السمح ولطفها الغمر، وترعاني برعاية خاصة ملئت نفسي ودّاً وعرفاناً واحتراماً لشخصها الكريم.

ومن الوفاء ألا أنسى أستاذي الكبير في علمه وخلقه الأستاذ الدكتور محمد جواد الموسوي الذي ما زال باسطاً لي وجهه الكريم وقلبه الطيب وفكره النير، فما التقيته يوماً إلا وشعرت برعايته الأبوية والعلمية حفظه الله ذخراً وملاذاً. وبفائق الامتنان أتقدم الى الدكتور هادي التميمي وأحيّي فيه الروح الإنسانية الطيبة، شاكرة له ما نالني منه من اهتمام ورعاية ووقفات نبيلة جزاه الله خير الجزاء.

وأغتنم هذه المناسبة لأتقدم بالشكر لكل من تتلمذت على يديه من معلمين ومدرسين، والأساتذة الذين أسهموا في بلورة اهتمامي بالبحث العلمي في مرحلة البكالوريوس والتحضيرية للماجستير والدكتوراه، وأخص منهم الأستاذة الدكتورة سلمى الهاشمي، والأستاذ الدكتور شاكر مجيد كاظم الذي أفادني بملاحظاته العلمية حول المادة المختصة بتاريخ العرب قبل الإسلام، والأستاذ الدكتور جواد كاظم النصرالله، والأستاذ المساعد الدكتور هشام الربيعي، والأستاذ المساعد الدكتور مجيد الزامل، والدكتور نزار عبيد الذي تفضّل مشكوراً بترجمة ملخص الأطروحة إلى اللغة الإنكليزية. جزاهم الله جميعاً خير جزاء المحسنين.

شكري وتقديري للدكتور سعد وحيد الذي تفضّل بتقويم الأطروحة لغوياً، والشكر موصول للمقوم العلمي الأستاذ المساعد الدكتور حميد سراج الذي أفادني بتوجيهاته العلمية. وأسجل باعتزاز الموقف النبيل للأخ الدكتور عباس عبد الحسين لما أبداه من ملاحظات قيمة شاكرة له هذا الفضل، داعية له بالتوفيق والسداد. وأثمّن جهود كل من مدّ لي يد العون ووقف إلى جانبي بدءًا بمن أعارني من كتبه المفيدة كالأخ الدكتور عمار جاسم والشيخ ميثم طالب وفقهم الله جميعاً. ويطيب لي أن أتقدم ممتنة لكل من تفضل علي بدعاء أو مساعدة أياً كان نوعها وأخص بالذكر الصديقات غيداء حبيب وعائلتها، وضمير عودة وعائلتها، والأخت رانيا العواد وعائلتها، والأخت الدكتورة انسام غضبان وخالها جناب الأخ أبو حيدر المحترم.

وخالص شكري وامتناني لكل من وجدت لديه شيئاً من الأنُس حين نأت النفس بأحمالها، وفي طليعتهم عائلتي الكريمة التي كان لكل فرد منها تفضل علي بحسب طاقاتهم وإمكاناتهم، يتقدمهم والديَّ العزيزان، وإني لأعجز عن بيان فضلهما عليّ داعية الله أن أوفق لإدخال السرور على قلبيهما بهذا الجهد المتواضع. ولأحبة قلبي وسندي إخوتي الأعزاء (أخي المحامي حامد وزوجته، وأخي المهندس ضامد وزوجته؛ وأيضاً أخي علي وأخواتي سوسن وهبة حفظهم الله جميعاً). وأخص أخي ضامد بمزيد من الشكر لتفضله بطباعة الأطروحة الذي لمست منه صبراً وحرصاً وإخلاصاً في أداء هذا العمل الذي عدّه خدمة للنبي ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام، وإني لأدعو أن يتقبل الله منه بأحسن القبول.

وختاماً لا أنسى الجهود القيّمة المبذولة من قبل دار الفيحاء للطباعة والنشر في طباعة ونشر هذا السفر الذي يحكي السيرة النبوية العطرة في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام التلميذ الأول للنبي ﷺ، أسأل الله أن يوفقهم في عملهم لنشر الحق والحقيقة.



المقدمــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره، وسببا للمزيد من فضله، ودليلاً على آلائه وعظمته، والصلاة على الهادي الأمين الذي أرسله الله بالضياء، وقدمه في الاصطفاء، فرتق به المفاتق، وساور به المغالب، وذلل به الصعوبة، وسهل به الحزونة، حتى سرح الضلال عن يمين وشمال، وعلى أهل بيته الميامين، موضع سره، ولجأ أمره وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه وسلم تسليماً كثيراً.

لما كان النبي ﷺ يعد المصدر الثاني بعد القرآن، فهو المترجم العملي لما طرحه القرآن ودعا إليه، لذا وجب الإطلاع على كنه هذه الشخصية لغرض الاقتداء بهديها، والتأسي بها، كما أمر بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]. وكذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: "**فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ صلى الله عليه وآله، فَإِنَّ فِيه أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى، وأَحَبُّ الْعِبَادِ إلى اللَّه الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّه، والْمُقْتَصُّ لأَثَرِه...**"[2]. وفي موضع آخر يقول: "**فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى وبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُه، وشِهَابٌ سَطَعَ نُورُه، وزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُه، سِيرَتُه الْقَصْدُ، وسُنَّتُه الرُّشْدُ، وكَلَامُه الْفَصْلُ، وحُكْمُه الْعَدْلُ**"[3].

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢١.

(٢) الشريف الرضي: نهج البلاغة: ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٣) نهج البلاغة: ص ١٧٦.

إنها دعوة صريحة من (الثقلين) القرآن الكريم وأمير المؤمنين عليه السلام بوجوب الاقتداء والتأسي بسيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله والاهتداء بهديه "**فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ، فَائْتَمَّ بِهِ، واسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ**"(١).

إن هذا الاقتداء والاهتداء يستلزم الوقوف على حقيقة شخصيته، علما بأن الغاية من دراسة سيرته لا تقف عند مجرد الاطلاع على تلك الوقائع والأحداث التي حفل بها تاريخ حياته بل "أن يرى المسلم المفاهيم الإسلامية في مجموعها متجسدة في حياته صلى الله عليه وآله بعد أن فهمها كمبادئ وقواعد وأحكام مجردة في الذهن، أي ان دراسة السيرة النبوية(٢) ليست سوى عمل تطبيقي يراد منه الاطلاع على تجسيد المفاهيم والقيم والأخلاق الإسلامية كاملة في مثلها الاعلى محمد صلى الله عليه وآله للتأسي بها"(٣).

ولكن أنى لنا الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله ونحن أمام رؤى عدة تحكي لنا طبيعة شخصية النبي صلى الله عليه وآله، فلقد كان لتباين الروايات التاريخية واختلاف توجهات رواتها أن تباينت الرؤى لشخصية النبي محمد صلى الله عليه وآله، وقد نأت بعض من هذه الرؤى بعيداً عن حقيقة هذه الشخصية العظيمة(٤). فإن تلك الرؤى التي تناولت

---

(١) نهج البلاغة: ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٢) لقد اجتذبت شخصية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله اهتمام الدارسين والعلماء والمفكرين، وصارت محورا لعمل المحققين، وميدانا لمجهود متواصل عبر القرون، إذ يمكن القول أن ليس ثمة عظيم استقطب اهتمام هؤلاء العلماء مثل النبي الخاتم صلى الله عليه وآله عند الأمم جميعها. إلا أنه يمكن القول ان شخصية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لا يمكن ان تحتويها عقول المؤلفين ومداركهم وأقلامهم مهما بلغت في العلم، ومهما انتجت الدراسات حولها، فكل باحث عن حياته الشريفة إنما يكيلها بكيل نفسه، ويغترف منها بقدر كفه، ولن يوفي أحد حقه صلى الله عليه وآله كيف وهو صنيعة الله و" الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ، والْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ، والْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ..". نهج البلاغة ص٣٤٢.

(٣) عدنان فرحان: دروس في السيرة النبوية: ص٢١.

(٤) من هذه الرؤى رؤية عروة بن الزبير، والبخاري والرصافي وغيرهم. ينظر: محمد خضير الفارس: عروة بن الزبير دراسة في سيرته ومروياته التاريخية عن السيرة النبوية (الصفحات جميعها). عدنان مالح ساجت الحسيناوي: صورة السيرة النبوية في صحيح البخاري ص٥٢ ـ ٣١٣. الرصافي: الشخصية المحمدية (الصفحات جميعها).حميد سراج جابر: الانغلاق الفكري عند مدعي التجديد وصورة الاستقراء النصي الاجتزائي في التعامل مع شخصية الرسول صلى الله عليه وآله (الصفحات جميعها).

شخصية النبي ﷺ رواية أو تدوينا، قد رويت أو كتبت بأقلام مؤلفيها ذوي المشارب والأهواء المختلفة، وكانت رؤاهم طوع ادراكهم، ومدى فهمهم للحقيقة المحمدية واستيعابها، منذ الجيل الأول للصحابة الذين هم أول من اهتم بنقل تفاصيل تلك السيرة العطرة، ولكن رؤاهم تباينت حسب مستوى فهمهم لأبعاد هذه الشخصية العملاقة، ومدى قربهم ومواكبتهم للسيرة النبوية طوال ثلاث وعشرين سنة.

إن بعض الروايات لم تصل إلينا سليمة ولا قويمة، بل تعرضت للتحريف والتزييف، سواء أكان ذلك عمداً أو غير عمداً، إذ لم يقتصر الرواة على نقل خصوص ما يتقنونه من الأحداث والشؤون، بل أضافوا الكثير من المظنونات والحدسيات، بل والمختلقات التي صنعتها الاهواء، والعصبيات، والمصالح الخاصة، والسياسات التي رأت إن من مصلحتها نسبة ذلك إلى الرسول الأكرم ﷺ، لتكتسب شرعية وقداسة، تبعدهم عن الريب، وتجعلهم يحظون بالرضا والقبول من مختلف الفئات والطبقات[١].

إذ يقول ابن خلدون[٢] حول المؤلفات الإسلامية في التاريخ: "لم يؤمن فيها من العثور ومزّلة القدم والحيد عن جادة الصدق، وكثيراً ما وقع للمؤلفين والمفسرين وأيمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار؛ فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط".

وحيال ذلك أنى لنا أن نطلع على الشخصية المحمدية الواقعية؟ لا جرم أن مصداق ذلك نجده في القرآن الكريم، إذ روي عنه ﷺ أنه قال: يا علي! لا

---

(١) العاملي: منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية ص١٣. ولمزيد من التفاصيل ينظر: النصر الله: هيأة كتابة التاريخ برئاسة معاوية ص٨٩ ـ ١١٧.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ١/ ٩.

يعرفني إلا الله وأنت. فالقرآن الكريم كلام الله وهو الصادق المصدق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولما كان للعلاقة الوثقى بين أمير المؤمنين عليه السلام والقرآن الكريم كونه الأعرف بالحقيقة القرآنية[١]، فهما الثقلان اللذان تركهما النبي صلى الله عليه وآله من بعده، إذ أنهما متلازمان "علي مع القرآن، والقرآن مع علي"[٢]، فضلاً عن تلك الملازمة، كان للإمام شرف ملازمة النبي صلى الله عليه وآله طيلة ثلاث وثلاثين عاما لذا كان الأبصر بالحقيقة المحمدية، من هنا لا مناص من الرجوع لأمير المؤمنين عليه السلام في تعريفنا بالشخصية المحمدية المقدسة.

وهنا تبرز الاهمية من هذه الدراسة، إذ ان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وبما توافق القريب والبعيد على سماته وخصوصياته التي تجعله الأولى بالحديث عن النبي صلى الله عليه وآله، وتجعل لكل قول صدر منه بحق النبي ذات تميز واثر وأهمية لا يمكن ان يضاهيه فيه غيره وذلك من حيث:

١ ـ انه الاقرب للنبي صلى الله عليه وآله والأشد التصاقا به، والأقدر على فهمه، وتقديم الرؤية الواضحة عنه صلى الله عليه وآله ومن اختصاصه به منذ نعومة أظفاره وتربيته في كنفه، فلم يفارقه قط، فهو فضلاً عن اختصاصه بالنبي صلى الله عليه وآله "ذكاءه وفطنته وطهارة طينته واشراق نفسه وضوئها، وإذا كان المحل قابلا متهيئا، كان الفاعل المؤثر موجودا، والموانع مرتفعة حصل الأثر على اتم ما يمكن"[٣]. وان ملازمته للنبي صلى الله عليه وآله تجعله شاهدا على جميع الأحداث التي عاصرها صلى الله عليه وآله.

٢ ـ إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو الأقدر على تقديم رؤية واضحة ودقيقة وصحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله فقد قال له صلى الله عليه وآله: "يا علي لا يعرفني الا الله

---

(١) عن هذه العلاقة ينظر: نعمة هادي الساعدي: الإمام علي عليه السلام القرآن الناطق: (الصفحات جميعها).

(٢) ينظر عن هذا الحديث: الطبراني: المعجم الصغير ١/ ٢٥٥، الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٢٤، الهيثمي: مجمع الزوائد: ٩/ ١٣٤، المتقي الهندي: كنز العمال: ١١/ ٦٠٣.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١١/ ٤٨.

وأنت"، وهنا تميز الإمام عن باقي الصحابة الذين تفاوتت رؤاهم حول شخصية النبي الأعظم ﷺ[١].

٣ ـ وأمام ما ذكر أعلاه من إن مؤلفات السيرة لا تخلو من الزلل والخلط والكذب تبعا لأهواء مؤلفيها وناقليها، نجد ان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يشير إلى خطورة ذلك إذ يقول في معرض حديثه عن شيوع الكذب على رسول الله ومنذ عهده ﷺ **"ولَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"**[٢].

بينما ميز نفسه الشريفة عن ذلك بقوله بأنه **"لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّه ولَا عَلَى رَسُولِه، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللَّه، وتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله"**[٣] وهو الناصح للأمة بقوله: **"اعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوه عَقْلَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ورُعَاته قليل"**[٤]. ونفى عليه السلام عن نفسه الكذب مرارا منها قوله: **"ومَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، ولَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ"**[٥].

وهنا تبرز مزية أخرى لهذه الدراسة التي هدفها تسليط الضوء على رؤية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لشخصية النبي ﷺ.

المعروف أن كلام أمير المؤمنين عليه السلام متناثر على صفحات شتى من مصادر التراث الإسلامي، ولكننا انتخبنا كتاب نهج البلاغة كمصدر لدراسة رؤية الإمام علي عليه السلام للشخصية المحمدية.

---

(١) قال ابن أبي الحديد: لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ كذلك، إذ كانوا اقساما، فمنهم من يهاب الرسول ﷺ ان يسأله وهم الذين يحبون ان يأتي الاعرابي أو الطارئ فيسأله وهم يسمعون، ومنهم من كان بليدا بعيد الفهم قليل الهمة في البحث والنظر، ومنهم من كان مشغولا عن طلب العلم، ومنهم المعاني أما بعبادة أو دنيا، ومنهم المقلد الذي يرى أن فرضه السكوت وترك السؤال، ومنهم المبغض الشانئ الذي ليس للدين عنده من الموقع ما يضيع وقته وزمانه بالسؤال عن دقائقه وغوامضه. شرح نهج البلاغة: ١١/٤٨.

(٢) نهج البلاغة: ص٤٤١.

(٣) نهج البلاغة: ص٤٤٢ ـ ٤٤٣.

(٤) نهج البلاغة ص٦٧١.

(٥) نهج البلاغة ص٤٠٦.

وهنا يأتي سؤال جدير بالطرح: لماذا انتخبت الدراسة كتاب نهج البلاغة مصدرا لهذه الرؤية العلوية عن النبي صلى الله عليه وآله دون سواه من المصادر التي تناولت كلام أمير المؤمنين عليه السلام؟[١].

يمثل كتاب "نهج البلاغة" رافداً ثراً للعربية، فهو كتاب في غاية الاتقان، يتلو السنة والفرقان، لأنه ضم الكلم ونوادر البلاغة ممن نزل عليه القرآن صلى الله عليه وآله، فلذلك لا يسع أحد وصف ما فيه من فنون الفصاحة ووجوه البلاغة، لأنه ركب منها أعلى ذروة السنام[٢]. ثم أن مؤلفه يعد من اقطاب الفكر الإسلامي ألا وهو الشريف الرضي الذي برز في الادب العربي، مركزا على دراسة كلام الله ورسوله وأمير المؤمنين عليه السلام، ففي ما يخص كلام الله ناقش مسألة التأويل في كتاب سماه "حقائق التأويل في متشابه التنزيل" الذي قيل فيه: "صنف الرضي كتابا في معاني القرآن يتعذر وجود مثله"[٣].

أما عن كلام رسول الله صلى الله عليه وآله فناقش مسألة المجاز في كلام النبي صلى الله عليه وآله في كتاب سماه (المجازات النبوية)، وهو مطبوع، في حين كانت البلاغة نصب عينيه فيما يخص كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فوضع كتابه الذي سماه (نهج البلاغة) الذي خصصه لما أثر عن أمير المؤمنين عليه السلام من خطب ورسائل وقصار الكلمات، وهكذا جاء الكتاب في فصول ثلاثة[٤].

وجدير بالذكر إن نهج البلاغة لم يحتو على جميع ما صدر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأن هدف مؤلفه لم يكن جمع المتناثر من كلامه عليه السلام بل كان ينتقي ما يراه في قمة الفصاحة والبلاغة.

---

(١) من هذه المصادر كتاب ((ألف كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام)) للجاحظ ت ٢٥٢هـ. وكتاب ((دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم)) لابن سلامة القضاعي (ت: ٤٥٤هـ). وكتاب ((غرر الحكم ودرر الكلم)) لعبد الواحد الآمدي (القرن الخامس الهجري). وكتاب ((عيون الحكم والمواعظ)) لليثي الواسطي (القرن السادس الهجري). وكتاب ((مصباح البلاغة)) للميرجهاني المعاصر.

(٢) عبد الكريم السعداوي: غريب نهج البلاغة: ص ١٧ ـ ١٨.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ٢/ ٢٤٣.

(٤) ينظر: نهج البلاغة ص٧.

فكان يلتقط كلام أمير المؤمنين عليه السلام إلتقاطا، ولا يقفو مع الكلام المتوالي لأن غرضه ذكر فصاحته عليه السلام لا غير، ولو اتى بخطبه كلها على وجهها لكانت اضعاف كتابه الذي جمعه[١]. ومع ذلك جاء هذا الكتاب فريدا من نوعه، وأصيلا في بابه، لذا تلاقفته عقول المفكرين وأقلامهم قديماً وحديثاً تحقيقاً وشرحاً وتعليقاً ودراسة، حتى تجاوز ما كتب عنه المئات من الدراسات في مختلف صنوف المعرفة، وكان كل من غاص في خضم بحره وجده اعظم مما ظن وأعمق مما تصور لذا جاءت عبارات الذهول والإعجاب والعجز تترى على ألسنة المبحرين في عوالمه، كيف لا وكلامه عليه السلام "قبس من نور الكلام الإلهي وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبوي"[٢]. فكان بحق "دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق"[٣].

وأمام هذا "الكلام العلوي" يقف الباحث متهيبا متخضعا لجلالة النص وعظمته، لذا كانت خطواتنا مع هذا الموضوع بطيئة جداً وهادئة وحذرة لما يحمله من صعوبات تكمن في عظمة هذا الكلام وصعوبة سبر اغواره بأدواتنا المعرفية المتواضعة، ومن الطبيعي ان لا تشوب الاعمال العجلة في بدايتها حتى اتسقت لنا الأمور فأخذنا نحث السير قدما وننهض سريعا، رغم يقيننا ان كل ما نقدمه يبقى قاصرا ومقصرا في اكماله على الوجه الأتم لكن (ما لم يدرك كله لا يترك جله). وقد جاء في ثنايا الكتاب اشارات كثيرة تخص السيرة النبوية مما تعطي رؤية دقيقة عن شخصية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وعدة تفاصيل هامة عن حياته الشريفة.

ومما يجدر ذكره من ملاحظات حول هذه المادة:

١ ـ ان ما قدمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من رؤية عن الشخصية المحمدية

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٣/ ١٥٣
(٢) النويري: بلوغ الارب: ٣/ ١٨١
(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٤.

جاءت متوافقة ومطابقة ـ تماما ـ للرؤية القرآنية، ونجدها ـ أحياناً كثيرة ـ تتقاطع إلى حد كبير مع ما قدمت من روئ عن هذه الشخصية في المصادر التي اهتمت بهذا الجانب. وتجلى لنا ـ من خلال رحلة البحث في نهج البلاغة ـ التأثر العميق بالقرآن الكريم ف" نهج البلاغة هو الصدى الحقيقي للقران الكريم على صعيد الشكل والمضمون"(١).

٢ ـ ان اختيار الموضوعات في هذه الدراسة جاء تبعا للإشارات التي وردت في كلام أمير المؤمنين عليه السلام لذا يلحظ القارئ الكريم ان ترتيب الموضوعات لم يتخذ شكله التقليدي المعتاد في مثل هكذا بحوث تخص شخصية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فإنّا إن وجدنا ثمة معلومات تخص جانباً من حياته الشريفة صلى الله عليه وآله فتفاصيل كثيرة تغيب ولا نجد لها ذكرا في كلامه عليه السلام وذلك يعود إلى أمرين:

أ ـ ان نهج البلاغة لم يكن حاوياً لكل ما أثر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من كلام يخص النبي صلى الله عليه وآله بل انه ـ كما أشرنا فيما تقدم ـ كان رهنا بانتقاء الشريف الرضي لما كان من تتبعه للبليغ من كلامه عليه السلام.

ب ـ ان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وان وردت في مضان كلماته وخطبه اشارات تاريخية هامة، وكان يوجه عناية فائقة للتاريخ حتى أصبح التاريخ عنصرا بارزا في مختلف الموضوعات التي اثارت اهتمامه وعنايته عليه السلام، ولكنها ليست كعناية القاص أو السياسي الباحث عن الحيل السياسية وأساليب التمويه ليعالج بها من تذمر الشعب، وإنما هي عناية رجل الرسالة والعقيدة والقائد الحضاري والمفكر المستقبلي، فهو يبحث ليجد في التاريخ جذور المشكل الإنساني وينفض جهود الإنسانية على التكامل الروحي والمادي، ويعزز قدرته في تأمين قدر من السعادة مع الحفاظ على الطهارة الإنسانية ولذا فهو لم يتوقف عند جزئيات الوقائع إلا بمقدار ما تكون شواهدا ورموزا، وإنما

(١) عباس الفحام: الأثر القرآني في نهج البلاغة: ص ٥٠١.

تناول المسألة التاريخية بنظرة كلية شمولية؛ فالإمام عليه السلام ليس مؤرخا، لذا لا نجد عنده نظرة المؤرخ وأسلوبه في سرد الوقائع، وتحليلها والحكم عليها، وإنما هو رجل دولة وحاكم، ورجل عقيدة ورسالة، فهو يتعامل مع التاريخ باعتباره حركة تكون شخصية الإنسان الحاضرة والمستقبلية، ولذا فهي تشكل حيزا هاما، على درجة كبيرة من الخطورة في عملية التربية والتحرك السياسي[١].

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة لم تكن الأولى حول شخصية النبي صلى الله عليه وآله من خلال نهج البلاغة بل سبقتها عدد من الدراسات والبحوث:

١ ـ "النبوة في نهج البلاغة (قراءة علوية للسيرة النبوية)" للدكتور أحمد راسم النفيس، وفيها خاض المؤلف في بحوث تخص السيرة المحمدية، وانتقى من نهج البلاغة نصوصا، وافرد لها عناوين ومباحث ذات صلة بالموضوع مشحونة بافكار واستنتاجات جيدة، ويظهر أن مؤلف الدراسة ـ وهو طبيب مصري ـ لم يكتبها برؤية تاريخية، ولم يستقصِ جميع نصوص نهج البلاغة في النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، لذلك غابت عدة موضوعات مهمة ذكرها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تخص شخصية النبي صلى الله عليه وآله ولم يتطرق لها المؤلف.

٢ ـ "سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في نهج البلاغة" للسيد هاشم الميلاني، التي جاءت ضمن سلسلة "في رحاب نهج البلاغة" التي أشرفت على اخراجها العتبة العلوية المقدسة، وهي دراسة موجزة اقتصرت في مجالها الأوسع على جمع أكثر النصوص الخاصة بالنبي صلى الله عليه وآله من نهج البلاغة، مع بعض التعليقات للمؤلف. ويقع الكتاب في ٨٠ صفحة.

٣ ـ "صورة النبي صلى الله عليه وآله في نهج البلاغة" للدكتور عباس الفحام، وهو فصل ضمن كتاب "بلاغة النهج في نهج البلاغة"، وبالرغم من ان البحث مختص في اللغة العربية الا ان الباحث قد استند في مضان بحثه إلى المرويات

(١) محمد مهدي شمس الدين: حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام: ص ٢٩ ـ ٣٠.

التاريخية فاقترب في هذا المجال من دراستنا، وقد اعتمدنا على ما جاء فيه من آراء قيمة، ولكن هذا البحث اقتصر في تركيزه الموجز على صورة النبي صلى الله عليه وآله في بيئته الاجتماعية وعلاقته بمحيطه وصور من كمالاته صلى الله عليه وآله.

٤ ـ "سيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله للإمام علي المرتضى عليه السلام من خلال نهج البلاغة" للدكتور أحمد عبد المجيد حمود، وهو بحث لا يتجاوز (٢٣ صفحة) اقتصر فيه الباحث على انتحاب عدد من نصوص نهج البلاغة الخاصة بسيرة النبي صلى الله عليه وآله، اكتفى بترتيبها تحت عنوانات دون تحليلها أو التعليق عليها.

٥ ـ "فلسفة النبوة وابعاد حياة الأنبياء الاجتماعية في نهج البلاغة" بحث للدكتور حميد سراج يقع في (٢٢ صفحة) اقتصر على مسألة جزئية وهي دراسة ما جاء من نصوص بخصوص الأنبياء بشكل عام.

٦ ـ "صورة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في نهج البلاغة دراسة في ضوء منهج الاسلوبية التطبيقية"، وهي اطروحة دكتوراه، وكما هو واضح من عنوانها فإنها قد اختصت بدراسة اسلوب الإمام عليه السلام في بيان صورة النبي صلى الله عليه وآله في نهج البلاغة وفق معطيات اللغة.

ومع ذلك تعد هذه الدراسات رائدة في هذا الموضوع.

وبعد هذه الاضاءات السريعة حول طبيعة المادة الواردة في نهج البلاغة عن شخصية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ناتي لبيان الخطة التي سار عليها البحث في هذه الاطروحة، إذ قسمت الدراسة على خمسة فصول متفاوتة في عدد صفحاتها لضرورات تطلبها البحث وطبيعة الموضوع الذي اختص به كل فصل من الفصول.

اما الفصل الأول فيعد فصلا تمهيديا، إذ سلط الضوء على طبيعة العلاقة التي تربط الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله هذه العلاقة التي مكنته عليه السلام من ان يكون الأقدر على تقديم الصورة الأكثر وضوحاً وواقعية للشخصية المحمدية، تلك الصورة جاءت متطابقة مع الصورة التي قدمها القرآن

الكريم، إذ نجد أمير المؤمنين عليه السلام رافق النبي صلى الله عليه وآله منذ نعومة أضفاره، فبعد ولادته في بيت الله انتقل إلى بيت رسول صلى الله عليه وآله، لينال شرف التربية النبوية، ويكون قرب مصدر الوحي، فكان يسمع ما يسمع رسول الله، ويرى ما يراه، حتى أنه كان معه في غار حراء إذ كان النبي صلى الله عليه وآله يعيش أولى إرهاصات النبوة، وما أن يخطو النبي خطوته الآولى إلا وأمير المؤمنين إلى جانبه إذ جمع بني هاشم ودعاهم لمؤازرته فلم يجبه إلا أمير المؤمنين عليه السلام، فمنذ اللحظات الأولى لحركة النبوة تتحرك الإمامة (هذا أخي ووصيي وخليفتي عليكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا)(١)، وطوال ثلاثة عشر عاما في مكة كان عليه السلام الملاصق للنبي صلى الله عليه وآله في حله وترحاله، حتى كانت ليلة الهجرة فكان على أمير المؤمنين عليه السلام أن يفدي رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه، ثم يرد ودائع النبوة، ويحمل الفواطم إلى دار الهجرة ليبدأ صفحة جديدة وهي صفحة الجهاد ونشر الإسلام، فكان صاحب المواقف المشهودة في نيف وثمانين من السرايا والمعارك، إذ ما فارق النبي صلى الله عليه وآله إلا في تبوك؛ ليكون منه بمنزلة هارون من موسى عليه السلام.

فضلا عن ذلك فإن أمير المؤمنين عليه السلام هو من لازم نزول النص القرآني ثلاثة وعشرين عاما، فكان له شرف كتابة الوحي، وكان يقول "سلوني عن كتاب الله، والله ما من اية الا أنا أعلم أنها بليل نزلت أم بنهار أم بسهل نزلت أم بجبل"(٢). وما أن غادر النبي صلى الله عليه وآله الحياة إلا وهو في حجر أمير

---

(١) الطبري: تاريخ: ٢/ ٦٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٢/ ٦٣، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر ١/ ١١٧، لكن الطبري في تفسيره تلاعب ببعض الألفاظ. ينظر: جامع البيان ١٤٩/١٩، وتابعه على ذلك: ابن كثير: البداية والنهاية ٣/ ٥٣، تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٦٤.

(٢) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٣٣٨/٢. الازرقي: اخبار مكة: ١/ ٥٠. البلاذري: انساب الأشراف: ٢/ ٩٩. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة اسماء الاصحاب ٣/ ١١٠٧. جامع بيان العلم وفضله: ١/ ١١٤. الخوارزمي: المناقب ص٤٩. البلوي: الف باء: ١/ ٢٢٢. محب الدين: الرياض النضرة: ٢/ ٢٦٢. ابن حجر: الاصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٥٠٩. تهذيب التهذيب: ٧/ ٣٣٨. السيوطي: تاريخ الخلفاء: ص١٨٥. الهيتمي: الصواعق المحرقة: ص١٢٦.

المؤمنين عليه السلام، هذه العلاقة المثلى هي التي جعلت من أمير المؤمنين عليه السلام الأقدر على تقديم صورة حقيقية للنبي محمد صلى الله عليه وآله.

فيما جاء الفصل الثاني ليقسم على ثلاثة مباحث تمحورت حول البيئة الحاضنة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله، إذ نستشف مما جاء في كلام أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله شيئاً عن واقع تلك البيئة التي عاش في كنفها النبي صلى الله عليه وآله وبيان مدى تأثره وأثره صلى الله عليه وآله الفعال فيها. فكان المبحث الأول تناول الجانب الجغرافي والاقتصادي، في حين تناولنا في المبحث الثاني الجانب السياسي والاجتماعي، أما المبحث الثالث فقد خصص للجانب الديني.

وعن معنى النبوة لغة واصطلاحا، والهدف من ارسال الأنبياء، وكون النبوة ضرورة ولطفاً الهياً، ليساعد عباده في سلوك طريق الخير وتجنب طريق الشر، كان الفصل الثالث قد خصص لبيان ذلك، فيا ترى ما هي وظائف الأنبياء؟ وما المشتركات التي اشتركوا بها، من طهارة المولد، وشرف النسب، واختصاصهم بالوحي الإلهي، ومددهم الإلهي بالمعجزات لإثبات صدق إدعائهم، فضلاً عن السمات والسجايا الخاصة به صلى الله عليه وآله من زهد وتواضع وشجاعة ومنطق وغير ذلك.

وثمة ملاحظة نجد من الضرورة الإشارة إليها حول مادة هذا الفصل، إذ قد يتبادر سؤال إلى ذهن القارئ ما الداعي إلى ذكر بعض التفصيلات الخاصة بالنبوات بشكل عام، فيما ان الدراسة تختص بالنبي الخاتم صلى الله عليه وآله بشكل أخص؟

وللجواب نقول: ان الإشارات التي أوردها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد تحدث في قسم منها بشكل عام عن النبوات وهذا مما يمكن انطباقه على خصوص النبي صلى الله عليه وآله وان كان لم يختص بذكره وذلك من حيث وحدة المهام والوظائف والمزايا التي جعلها الله جل وعلا في جميع أنبياءه.

فيما تكفل الفصل الرابع بالوقوف عند نصوص نهج البلاغة التي تضمنت الإشارة إلى مقدمات بعثته الشريفة والأحداث التي انطوت عليها كتعبده في غار

حراء؟ ومن كان برفقته؟ وماهي علاقته بوحي السماء ومتى بدأت هذه العلاقة؟ ومن ثم مقارنة ما أدلى به الإمام عليه السلام ـ من حقائق هامة حول هذا الموضوع ـ بما جاءت به الروايات التأريخية، بعد تعريضها للنقد والتحليل. بالاضافة إلى دور النبي صلى الله عليه وآله في مواجهة المشركين وما تعرض له وأصحابه من اضطهاد، ومن ثم اضطراره للهجرة للمدينة، ومراحل بناء دولته المباركة.

وفي ختام الفصول كانت لنا وقفة مع سنة النبي صلى الله عليه وآله التي تعرضت لفهم خاطئ أو للتحريف والتزييف بعد وفاته صلى الله عليه وآله ولأسباب شتى، فكان قد وقع على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العبء الأكبر في ايضاح ذلك، وبيان حقيقة السنة النبوية، والدفاع عنها واحياؤها والارشاد إلى المنابع الصحيحة التي نستشف منها هذه السنة الشريفة.

لابد من الإشارة ان بعض النصوص استلزم تكرارها لتوظيفها في أكثر من موضع ومناسبة، لأن كلام الإمام عليه السلام حمال ذو وجوه.

مصادر الدراسة:

تنوعت مصادر الدراسة تبعا لمحاورها وعنواناتها التي تناولتها، وقد جاء في مقدمتها كتاب نهج البلاغة فهو المحور الذي دارت حوله الدراسة، ومن المعلوم ان هذا الكتاب ليس مصدرا تاريخيا، ولم يؤلفه الإمام عليه السلام بنفسه ولم يشمل كل كلماته ومآثره عن النبي صلى الله عليه وآله ولذا من الصعب بمكان ان يقف الباحث على منهج محدد في ايراد المادة المتعلقة بشخصية النبي صلى الله عليه وآله، نظرا لتعدد جوانبها تبعا لمقتضيات الظرف الذي كان يحيط بتلك النصوص حال صدورها منه عليه السلام فجاءت المادة عن شخصيته صلى الله عليه وآله موزعة على مقامات عديدة مبثوثة في خطبه عليه السلام شكلت عند جمعها رؤية واضحة لشخصيته العظيمة صلى الله عليه وآله، وهذا كله متعلق بالهدف من خطب الإمام عليه السلام وجمعها من الشريف الرضي، فلم يقصد الاثنان السرد التاريخي لحياته صلى الله عليه وآله في خطب النهج الشريف وإنما جاءت موزعة بحسب مقامها التي تحتاج اليه.

يمكن من خلال متابعة تلك النصوص التي خص بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله انها تحمل طابع التقديس والاجلال لشخص النبي صلى الله عليه وآله حتى اثار ذلك تعجب ابن أبي الحديد الذي توجه بالسؤال نحو شيخه قائلاً: قد وقفت على كلام الصحابة وخطبهم فلم ار فيهم من يعظم رسول الله صلى الله عليه وآله تعظيم هذا الرجل، ولا يدعو كدعائه، فانا قد وقفنا من نهج البلاغة ومن غيره على فصول كثيرة مناسبة لهذا الفصل، تدل على جلال عظيم، وتبجل شديد فيه لرسول الله صلى الله عليه وآله.

فاجاب أبو جعفر: ان عليا عليه السلام كان قوي الإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله والتصديق له، ثابت اليقين، قاطعا بالامر، متحققا له، وكان مع ذلك يحب رسول الله صلى الله عليه وآله لنسبته منه، وتربيته له، واختصاصه به من دون اصحابه، وبعد فشرف له لانهما نفس واحدة في جسمين: الاب واحد، والدار واحد، والأخلاق متشابهة، فإذا عظمه فقد عظم نفسه، وإذا دعا إليه فقد دعا إلى نفسه، ولقد كان يود ان تطبق دعوة الإسلام مشارق الأرض ومغاربها، لأن جمال ذلك لاحق به، وعائد عليه، فكيف لا يعظمه ويبجله ويجتهد في إعلاء كلمته[1].

ومن المعلوم ان كتاب نهج البلاغة قد طبع وحقق مرارا فكانت نسخه متعددة، وقد تم اختيار النسخة التي قام بتحقيقها الدكتور صبحي الصالح، لاحتوائه نص النهج كاملا بعد مقارنته بعدة شروح.

ومما أعان الباحث في فهم مرامي كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام اللجوء إلى شروحات نهج البلاغة[2]، وكانت محل اعتماد كبير في هذه الاطروحة، يتقدمها شرح ابن ميثم البحراني وهو من الشروح الكبيرة، والمهمة

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٧/ ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٢) لقد ألف حسين جمعة العاملي كتابا حول شروح نهج البلاغة عام ١٩٨٣م أحصى منها ٢١٠ شرحا، ولا ندري على وجه الدقة كم بلغت شروحاته اليوم.

التي اعتمدنا عليها في مواضع كثيرة كما هو بيّن للمطالع، يعد مؤلفه من فلاسفة الإمامية ومتكلميهم في القرن السابع الهجري، ومن هنا نجد ان شرحه مشحون بموضوعات كلامية وفلسفية، لكنه الأكثر افادة لنا في محل توارد النصوص التي تطلبت توضيحا وبيانا، علماً أنه كان قد اعتمد في عدة مواضع على شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، فنراه متوافقا معه في جوانب، ومختلفا معه في جوانب أخرى تبعا لطبيعة المواضيع المطروحة.

ولابن ميثم البحراني شرح متوسط تحت عنوان (اختيار مصباح السالكين) وكذلك (شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام، وقد أفاد منهما البحث في عدة موارد.

ومن الشروحات المهمة التي اعتمدها البحث شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي الذي يقع في عشرين مجلدا، شحنها المؤلف بموضوعات تاريخية ونكات ادبية، وقرآنية، ذات فائدة جمة لكل من يقف عليه. ومما تجدر الإشارة إليه ان جميع الشروحات التي جاءت بعده اعتمدت عليه بشكل كبير لافت للنظر، وان كانت بعض ارائه محورا للنقد والتحليل، إذ كان شرحه تفصيليا ومتنوع الأغراض.

اما محل الافادة منه في هذا البحث فقد تباين حسب طبيعة النص الوارد بخصوص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله فهو تارة يطيل شرح نص معين، ويتحفه بمعلومات مهمة تاريخية وادبية وتارة أخرى يتخطى النص مكتفيا بالتعليق اللغوي، فيما نجد ان بضعة نصوص يتخطاها دون أدنى وقفة وقد يكون ذلك لوضوح معناها.

أما شرح البيهقي المعنون (معارج نهج البلاغة) فمع صغر حجمه إلا أنه وردت فيه نكات جمة أغنت البحث سيما وإن مؤلفه زيدي المذهب وذكر في مقدمة كتابه انه أول شارح لنهج البلاغة.

ويعد شرح حبيب الله الخوئي (ت: ١٣٢٤هـ) والموسوم بـ"منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة"، من أهم شروحات نهج البلاغة الذي يتلخص اسلوبه في

هذا الشرح بنقل النص أولاً مع اعرابه، ويتبعه بشرح يعرض فيه آراء من سبقه من الشراح لاسيما ابن أبي الحديد وابن ميثم البحراني، فتارة نجده يوافقهما في الرأي واخرى يختلف مع الأول ويوافق الثاني، تبعا للرؤية العقائدية التي يتفق بها مع ابن ميثم كونه اماميا، وفي بضعة مواضع نجده مختلفا مع كليهما، موضحاً وجهة نظره، وسبب الاختلاف في الرؤية تجاه تأويل هذا النص أو ذاك.

وجدير بالذكر ان المؤلف لم يكمل شرحه هذا، فقد وصل فيه إلى الخطبة ٢١٨، كما أشار إلى ذلك صاحب مقدمة[١] الكتاب لكنه لم يشر إلى من قام باكماله حتى تم شرحا وافيا في واحد وعشرين مجلد، ولكن في إشارة لأحد الباحثين يقول: "وقد أضاف إليه العلامة حسن زاده الآملي ستة أجزاء أخرى، ومحمد باقر الكمرئي جزءا واحدا، فتم الكتاب في (٢١) جزء، واصبح شرحا كاملا لنهج البلاغة"[٢].

والغريب انه على الرغم من الاسهام في التأليف والاضافة للكتاب من هذين المؤلفين، إلا أنه لم تتم الإشارة إليهما لا في عنوان الكتاب ولا في المقدمة؟!! لذا يضطر الباحث الذي استخدم هذا الكتاب نسبته بأجمعه إلى حبيب الله الخوئي فقط.

ومن بين الشروح المهمة التي اعتمدها البحث الشرح الموسوم بـ"الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي" ـ شرح نهج البلاغة ـ لأبي الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني (ت: ٧٤٩هـ) وهو من أئمة الزيدية، وقد حرص على ذكر منهجه الذي اتبعه في شرح النهج في مقدمة كتابه، ومما تميز به انه لا يقسم كلام الإمام إلى فصول بحيث يشمل كل فصل قطعه كبيرة ثم يردفه بالشرح، ولم يقتصر على شرح بعض الالفاظ ويترك بعضها، بل انه

---

(١) انظر ص ٩، مقدمة علي اصغر بن مجتبى بن صادق الحسيني الخوئي.

(٢) مهدي المهريزي: دروس في نصوص الحديث ونهج البلاغة: ص ١٧٦.

شرح وفسر مفردات كل خطبه وكتاب وكلمة من اولها إلى آخرها، وذلك من خلال تقسيم كلمات الإمام أمير المؤمنين إلى فقرات أو عبارات قصيرة ثم يشرح كل جزء منها، معتمداً في شرحها على إضافات عقلية ونقلية، ويلاحظ ان اراءه في بعض الموارد مثلت وجهه نظر الزيدية.

ولكن في موضع اعتمادنا عليه لم نلحظ اختلافه عن الشروح الأخرى الا ما ندر، وأضاف في نهاية كتابه زيادة لم ترد في نهج البلاغة مشيراً إلى ذلك وقد تضمنت نقوش وخواتيم أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن الشروح التي كان لها اثر ملحوظ في مطاوي البحث شرح نهج البلاغة الشرح الموسوم بـ"نفحات الولاية" لناصر مكارم الشيرازي، الذي تميز بمنهج جديد مواكب لحاجات العصر الحديث؛ إذ لم يكتف الشارح بايراد معاني العبارات الواردة في كلام الإمام وفق المنهج المتعارف بل تجاوزها ليقف على مضامين أخرى تلائم واقعنا المعاصر في محاولة منه لإيجاد حلول شافية مجملة عن المشاكل الفكرية والاجتماعية والسياسية التي يعاني منها المجتمع منذ زمن إطلاق الخطب والكلمات منه عليه السلام وحتى العصر الحالي.

ولكن مما يؤسف له ان النسخة التي اعتمدناها قد توقف المؤلف فيها عند الخطبة ١٥٠ فكانت أجزاء الكتاب لا تتعدى الخمسة، ولم نعثر على تتمته التي نجدها مفيدة في شرح باقي الخطب والرسائل والحكم القصار.

وقريب منه نجد (في ظلال نهج البلاغة) لمحمد جواد مغنية، الذي حاول ربط الماضي بالحاضر ولعله أراد من شرحه مطابقة كلام الإمام عليه السلام على واقعنا المعاصر.

وهناك شروح صغيرة اكتفت بإيراد شروح لغوية لمفردات النهج، مما ساعدت الباحث على فهم مضامين كلام الإمام عليه السلام. كشرح محمد عبده، ومحمد الشيرازي المسمى (توضيح نهج البلاغة).

وقد كان لمصادر التاريخ حضور ملحوظ لا غنى عنه في هذه الدراسة. تأتي

في مقدمتها، كتب السيرة النبوية كالسير والمغازي لابن إسحاق (ت: ١٥١هـ)، والسيرة النبوية لابن هشام (ت: ٢١٨هـ)، وعيون الأثر لابن سيد الناس (ت: ٧٣٤هـ)، والسيرة النبوية لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، والسيرة الحلبية للحلبي (ت: ١٠٤٤هـ)، التي تمثلت الفائدة منها في الحاجة لبعض المرويات التي لم نجدها عند السابقين، وأيضاً في مقارنة ما ورد عند الإمام عليه السلام من اشارات تتعلق بسيرة النبي صلى الله عليه وآله بما جاء في طيات هذه المصادر من روايات، وتم التحقق من بعضها على وفق منهج تحليلي ميزّ لنا الغث من السمين.

هذا فضلاً عن مصادر التاريخ العام ومنها تاريخ اليعقوبي (حيا في ٢٩٢هـ) وتاريخ الطبري (ت: ٣١٠هـ)، ومروج الذهب للمسعودي (ت: ٣٤٦هـ)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، وتاريخ ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) وغيرها.

تعد كتب اللغة مصدرا مهما للدراسة ففضلا عن بيانها بعض المعاني اللغوية للكلمات، فقد وردت فيها الإشارة إلى خطب أمير المؤمنين عليه السلام فغدت مصادر توثيقية تاريخية ومنها كتاب العين للفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، والصحاح للجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، ولسان العرب لابن منظور (ت: ٧١١هـ)، ومختار الصحاح لأبي بكر الرازي (ت: ٧٢١هـ)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ)، ومجمع البحرين للطريحي (ت: ١٠٨٥هـ)، وتاج العروس للزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ).

ومن كتب اللغة من اهتم بغريب الحديث النبوي، فأشارت هذه الكتب إلى بعض الكلمات الغريبة التي وردت في حديث أمير المؤمنين عليه السلام ومنها ما يخص السيرة النبوية، ككتاب غريب الحديث لابن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، وغريب الحديث لابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، وغريب الحديث للحربي (ت: ٢٨٥هـ)، والفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الموصلي (ت: ٦٣٧هـ).

ولما كان كلام أمير المؤمنين عليه السلام (دون كلام الخالق وفوق كلام

المخلوق)[١]، فقد ازدانت كتب الأدب بتحليتها بنصوص من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فغدت مصدرا للدراسة، ومنها كتاب المحاسن للبرقي (ت: ٢٧٤هـ)، وخزانة الأدب للبغدادي (ت: ١٠٩٣هـ)، والدرر النجفية للبحراني (ت: ١١٨٦هـ)، وقد أفاد البحث من كتب الامالي كأمالي المفيد (ت: ٤١٣هـ)، وأمالي الشريف المرتضى (ت: ٤٣٦هـ)، وأمالي الطوسي (ت: ٤٦٠هـ).

ولم تكن كتب الفقه والحديث بمنأى عن هذه الدراسة، فقد كان (كتاب الأم) للإمام الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) مصدرا مهما في دراسة بعض المسائل الفقهية، وكذا الحال اعتمدت الدراسة على كتب فقهية أخرى منها كتابا (الخلاف) و(النهاية في مجرد الفتاوي والفقه) للطوسي.

ولكتب التفسير حضور مهم في بحثنا؛ انطلاقاً من الحاجة الماسة لتأويل عدد من الآيات القرآنية الواردة في البحث؛ إذ ان ما جاء في نهج البلاغة كان منصهرا في الشواهد القرآنية، فقد "كان الإمام علي عليه السلام شديد التأثر بالقرآن الكريم قولا وفعلا وعمل على ترسيخ الثقافة القرآنية في اذهان الناس بلغت انظارهم إلى وجوب احلال هذه الثقافة في النفوس وامكانية استبدال البناء اللغوي الجاهلي بآخر معجز في بنائه ومعانيه من خلال قدرتها على استيعاب الحياة"[٢]. هذا من جانب ومن جانب آخر وكما مر بنا فإن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كانت نظرته للنبي صلى الله عليه وآله نظرة قرانية ولذا استلزم الأمر في كثير من الأحيان عرض مقطوعات من كلامه الشريف على القرآن لتأكيد هذا التوافق بينهما. ومن أبرز كتب التفسير التي تم الرجوع إليها جامع البيان للطبري (٣١٠هـ)، والتبيان للطوسي (٤٦٠هـ)، وتفسير السمعاني (٤٨٩هـ)، وشواهد التنزيل للحسكاني (ق٥هـ)، والكشاف للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، وزاد المسير

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٤.

(٢) الفحام: الأثر القرآني: ص ٣٠.

لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت: ٦٧١هـ)، فضلاً عن بضعة تفاسير حديثة (مراجع تفسيرية) كروح المعاني للالوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، والميزان للطباطبائي، وتفسير الأمثل لناصر مكارم الشيرازي وكان الأخير محل اعتماد ملحوظ في البحث.

أما كتب الحديث فقد افادت الدراسة منها في تخريج بعض الأحاديث النبوية فضلاً عن الإشارات إلى أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الجانب وكانت لنا وقفات نقدية لبعض الأحاديث التي نسبت للنبي صلى الله عليه وآله ولم تصح، ولاسيما بعد عرضها على الرؤية القرآنية المتوافقة مع رؤية أمير المؤمنين عليه السلام ومن ثم فما جاء عن الإمام عليه السلام يكون ميزانا لتصحيح بعض الأحاديث النبوية أو ابعادها، ومن أبرز كتب الحديث التي اعتمدتها الدراسة مسند احمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، والصحيح للبخاري (ت: ٢٥٦هـ)، وصحيح مسلم (ت: ٢٦١هـ)، ومسند ابن أبي يعلى (ت: ٣٠٧هـ)، والكافي للكليني (ت: ٣٢٩هـ)، والمعجم الكبير للطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، والسنن الكبرى للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ) وغيرها.

واستقت الدراسة بعض من مادتها من كتب البلدان التي أفادت الدراسة في تحديد بعض المواقع الجغرافية التي وردت في مضان الدراسة أو ورد بعضها في خطب وكلام أمير المؤمنين لاسيما فصل بيئة النبي صلى الله عليه وآله، ومنها كتاب معجم ما استعجم للبكري (ت: ٤٨٧هـ)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، والروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (ت: ٧٢٧هـ).

وكان لكتب النسب حضورها في البحث؛ لبيان نسب بعض الشخصيات أو معرفة قبيلته أو مدينته فشكلت مصدرا عن المواقع أيضاً ومنها؛ أنساب الأشراف للبلاذري (ت: ٢٧٩هـ)، والأنساب للسمعاني (ت: ٥٦٢هـ)، وقد لخص ابن الأثير الموصلي (ت: ٦٣٠هـ)، كتاب السمعاني في كتاب سمّاه اللباب في تهذيب الأنساب، وقام السيوطي (ت: ٩١١هـ)، بتلخيص اللباب في كتاب سمّاه لب اللباب في تهذيب الأنساب.

إن ورود اسم أحد الأعلام في البحث استلزم بيان شيء ـ وان كان يسيرا ـ عن سيرته؛ لذا تطلب الرجوع لكتب التراجم المتنوعة، فعن تراجم الصحابة رجعت الدراسة إلى كتاب الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر القرطبي المالكي (ت: ٤٦٣هـ)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الموصلي (ت: ٦٣٠هـ)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢هـ). ومن كتب التراجم العامة كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد البصري (ت: ٢٣٠هـ)، الذي شمل تراجم الصحابة والتابعين، وصفة الصفوة لابن الجوزي الحنفي (ت: ٥٩٧هـ)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، وسير أعلام النبلاء للذهبي الشافعي (ت: ٧٤٨هـ)، والوافي بالوفيات للصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، أما عن تراجم الرواة فاستلزم الرجوع إلى كتب الجرح والتعديل؛ ومنها؛ التاريخ الكبير للبخاري، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، والثقات والمجروحين لابن حبان (ت: ٣٥٦هـ)، وكتابي اختيار معرفة الرجال ورجال الطوسي للطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، والتعديل والتجريح للباجي (ت: ٤٧٤هـ)، وميزان الاعتدال للذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، وكتب تقريب التهذيب وتهذيب التهذيب ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ). ومعجم رجال الحديث لأبي القاسم الخوئي (ت: ١٤١٣هـ). وغيرها

فضلاً عن ذلك اعتمدت الدراسة على عدد من الكتب الحديثة والمعاصرة للافادة مما ورد عند أصحابها من آراء في ما يخص موضوع الدراسة والتي أشرنا إليها في مضانها من الدراسة، ومن ابرزها كتاب "علي كما وصف نفسه" للسيد طاهر عيسى الدرويش، وكتاب "نقد الرواية التاريخية عصر الرسالة أنموذجاً" للدكتور عبد الجبار ناجي، وكذلك "الصحيح من سيرة النبي الأعظم" للسيد جعفر مرتضى العاملي، وكتاب حجية السنة لحيدر حب الله الذي أفاد الدراسة كثيراً في فصلها الخامس، وغيرها.

ولا يفوتنا ان نشير إلى المراجع المختصة بدراسات حول نهج البلاغة التي

افدنا منها في بعض الاراء لاصحابها من امثلة كتاب "حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام" وكتاب "دراسات حول نهج البلاغة" لمهدي شمس الدين، وكتاب "بلاغة النهج في نهج البلاغة" للدكتور عباس الفحام، وكتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي رؤية اعتزالية عن الإمام علي عليه السلام للدكتور جواد النصر الله فضلاً عن سلسلة في رحاب نهج البلاغة التي ضمت مجموعة كتيبات في موضوعات مختلفة تدور حول نهج البلاغة.

ولا بد من القول ان المنهج الذي اعتمدناه في الإشارة إلى المصادر في هوامش البحث قد اقتصر على ذكر اسم المؤلف واسم كتابه مختصرا أو بما اشتهر به مع ذكر الجزء ان وجد والصفحة؛ حرصا على عدم الاطالة، كما اننا ذكرنا المعلومات وافيه في فهرست المصادر.

وختاما فإن هذه الدراسة لا تتعدى كونها محاولة لتقديم رؤية جديدة لشخصية النبي صلى الله عليه وآله من خلال اعتماد أقوال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وكلماته، ولذا تبقى قاصرة في الاحاطة بالموضوع احاطة تامة ولاسيما وأنها قد تعاملت مع كلام الإمام أمير المؤمنين الذي وصف بالعصمة والحكمة فكل من سمعه راقه، ولهذا قال عليه السلام: "**وإِنَّا لأُمَرَاءُ الْكَلَامِ وفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُه، وعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُه**[1]" وفي موضع آخر نجده يقول: "**إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْمِلُه إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ، امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ، ولَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ وأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ**"[2].

انتصار عدنان عبد الواحد

البصرة

١٧ ربيع الأول ١٤٣٥هـ

(١) نهج البلاغة ص ٤٨٤.

(٢) نهج البلاغة ص ٣٧٥.

الفصل الأول

علاقة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالنبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم

المبحث الأول: أبعاد العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام

المبحث الثاني: مستويات العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام



المبحث الأول

أبعاد العلاقة بين النبي ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام

كانت تربية الإمام علي عليه السلام في بيت الرسالة بداية تفتّح ذهنيّته في الولوج إلى حقائق الكون وأسراره الكبرى، فضلاً عن ذلك كان عليه السلام مخصوصاً بخلوات يخلو بها مع رسول الله ﷺ، لا يطلع أحداً من الناس على ما يدور بينهما، وكان عليه السلام كثيراً ما يسأل النبي ﷺ عن معاني القرآن، ومعاني كلامه ﷺ، وإذا لم يسأل ابتدأه النبي ﷺ بالتعليم والتثقيف[1]، وروي أنّه عليه السلام قال: "كنت إذا سألت رسول الله أعطاني وإذا سكت ابتدأني"[2]. حتى كان عليه السلام آخر الناس عهدا برسول الله ﷺ[3]، من هنا شكلت علاقته عليه السلام بالنبي الأكرم ﷺ علاقة مثلى يندر أن يوجد لها نظير، لذا كان عليه السلام هو الاجدر بوصف النبي وسيرته المشرفة ﷺ على حقيقتها إذ لم يعرف حقيقة كنه النبي ﷺ أحد آخر سواه[4].

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١١ج ص/٤٨.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف: ٧/ ٤٩٥. الترمذي: سنن الترمذي ٥/ ٣٠١. الحاكم: المستدرك: ٣/ ١٢٥. ابن طلحة: مطالب السؤول: ص ١٠٦. السيوطي: تاريخ الخلفاء: ص١٧٠.

(٣) نهج البلاغة: ص٤٣٤.

(٤) إشارة إلى حديث النبي ﷺ مخاطبا الإمام عليه السلام: "... لا يعرفني الا الله وانت"، الآملي: المحيط الأعظم ١/ ١٥٠، المجلسي الأول: روضة المتقين: ١٣/ ٢٧٣.

هذه الحقيقة نجدها ماثلة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام حين يصف لنا أبعاد هذه العلاقة منذ بواكير صباه، فيقول عليه السلام:

"وقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، والْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِه وأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إلى صَدْرِه، ويَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِه، ويُمِسُّنِي جَسَدَه، ويُشِمُّنِي عَرْفَه، وكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيه، ومَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، ولَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ..."[١].

يشير النص إلى استيعاب أمير المؤمنين عليه السلام كل الوشائج والاواصر التي تشدّه إلى رسول الله عليه السلام، وتفاصيل الطريقة التي اتّبعها النبي صلى الله عليه وآله في تربيته واعداده ليتحمل مسؤولية الرسالة من بعده[٢]. وعدد احواله التي هي وجوه ذلك الاستعداد وأسبابه:

أولاً: القرابة القريبة:

كان لهذه القرابة القريبة عدة مصاديق منها: أنّه عليه السلام أشار بها إلى نسبه القريب من رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ إنهما من أرومة واحدة في أطيب مغرس وأنمى منبت، يقول النبي صلى الله عليه وآله: "الناس من أشجار شتّى، وأنا وأنت يا علي من شجرة واحدة"[٣]، وفي حديث آخر: "خلقت يا عليُّ من شجرة خُلِقْتُ منها"[٤]. وهذه الشجرة هي (شجرة الأنبياء)؛ إذ يقول عليه السلام في النبي صلى الله عليه وآله: **"اخْتَارَه مِنْ شَجَرَةِ الأنبياء، ومِشْكَاةِ[٥] الضِّيَاءِ، وذُؤَابَةِ[٦] الْعَلْيَاء"**[٧].

---

(١) نهج البلاغة: ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦.

(٢) طاهر عيسى درويش: علي كما وصف نفسه: ص ٣١.

(٣) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٦٨، وينظر له: الخصال: ص٢١. وينظر أيضاً: الكوفي: مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ١/ ٤٦٠. الخزاز: كفاية الاثر: ص ١٥٨. ابن مردويه: مناقب علي بن أبي طالب: ص٢٦٥. الطوسي: الأمالي: ص ٦١٠. الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل ١/ ٣٧٦. السيوطي: الدر المنثور: ٤/ ٤٤.

(٤) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٦٥.

(٥) المشكاة: كل كوة غير نافذة، ومن العادة أن يوضع فيها المصباح. الجوهري: الصحاح: ٦/ ٢٣٩٥.

(٦) الذؤابة: الناصية أو منبتها من الرأس. الجوهري: الصحاح: ١/ ١٢٦. ابن منظور: لسان العرب: ١/ ٣٧٩.

(٧) نهج البلاغة: ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

في كلام الإمام عليه السلام إمعان في التركيز على طهارة الآباء وشرفهم، وأنه من سلالة الأنبياء وذريتهم، تصديقا لقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١]. وقد وصف الإمام عليه السلام سلالة النبي صلى الله عليه وآله واصوله بالشجرة الكثيرة الاغصان، وإنما شبّهها بذلك بجامع الأصل الواحد، فالشجرة تقابل الاب الواحد في سلالة النبي صلى الله عليه وآله التي تتفرّع عن اغصان كثيرة، أي ابناء كثر، وفي كلمة الإمام عليه السلام: "اختاره" ايحاء بالاصطفاء والعناية الإلهية للنبي محمد صلى الله عليه وآله، إذ إنّ الخلق أشجار شتّى، ولكنّ الله انتقاه من الشجرة الخاصّة بالأنبياء، إشارة إلى أنّ الرسالة الإلهية واحدة الابتداء، وإن فصلت ما بينها القرون، وفي ذلك كله تعظيم للنبوة والأنبياء، وتعزيز لموقف النبي محمد صلى الله عليه وآله في كونه من السلالة نفسها التي تنجب الأنبياء والمرسلين والأولياء الصالحين على مرّ تاريخ الإنسانية إلى ختام الوحي بمحمد صلى الله عليه وآله[٢].

وَيعدُّ أمير المؤمنين عليه السلام ـ في عبارة واضحة ـ أهل البيت عليهم السلام من سنخ تلك الشجرة، ومن معدن النبوة[٣]. وفي موضع آخر جمع عليه السلام بين النبوة والامامة في الاصطفاء من تلك الشجرة التي صدع منها أنبياءه، في قوله عليه السلام: "**حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّه سُبْحَانَه وتَعَالَى إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَأَخْرَجَه مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وأَعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَه، وانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَه، عِتْرَتُه خَيْرُ الْعِتَرِ، وأُسْرَتُه خَيْرُ الأُسَرِ، وشَجَرَتُه خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ، وبَسَقَتْ[٤] فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وثَمَرٌ لَا يُنَالُ**"[٥]. فهنا جمع الإمام للنبي صلى الله عليه وآله في هذا الكلام أولاً فضل النبوة، وأصل الارومة، أي الشجرة، مشيراً بقوله في أول كلامه إلى ختام عهد النبوة

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣٤.

(٢) الفحام: بلاغة النهج في نهج البلاغة: ص ٢٢.

(٣) إذ يقول عليه السلام: "نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، ومَحَطُّ الرِّسَالَةِ، ومُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ" نهج البلاغة: ص ٢١٠.

(٤) بسقت: بسق: طال وعلى وارتفع. الجوهري: الصحاح: ٤/ ١٤٥٠. ابن منظور: لسان العرب: ١٠/ ٢٠.

(٥) نهج البلاغة: ص ١٧٦.

بمحمد صلى الله عليه وآله. وهذا الافضاء كأنّه سبب إلى أن يكون خلاصة في كل فضيلة، لا في النبوة وحدها، فهو - فعلا - خلاصة في العقل والكمال والصبر والطهارة والتقوى والقرب من الله تعالى، ومن ثم فقد جمع بين النبوة والامامة في الاصطفاء، فهو حين عمّ في قوله: "**مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وأَعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً**" - أي نسلاً سامياً - عمد إلى التخصيص، فقال: "**مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَه، وانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَه**"، وهي شجرة النبي إبراهيم عليه السلام. واتبعه بالتصريح متدرجا بالاخص فالاخص، فبدأ باهل البيت عليهم السلام وهم العترة الطاهرة، قائلاً: "**عِتْرَتُه خَيْرُ الْعِتَرِ، وأُسْرَتُه خَيْرُ الأُسَرِ، وشَجَرَتُه خَيْرُ الشَّجَرِ**"، يعني بعترته أهل بيته وهم: الإمام علي والسيدة فاطمة وابناهما الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام، واولاد الإمام الحسين من الائمة المعصومين عليهم السلام[1].

إنَّ العترة لفظ نبويٌّ محفوظ في اذهان المسلمين لكثرة تردده فيهم على لسان النبي صلى الله عليه وآله[2]، كما في قوله صلى الله عليه وآله: "ان الله اشتد غضبه على من أراق دمي، وآذاني في عترتي"[3]، وقوله: "ألا إنّ ابرار عترتي وأطايب أرومتي احلم الناس صغاراً، واعلم الناس كبارا"[4]، وقوله: "إني تارك فيكم الثقلين

(١) الفحام: بلاغة النهج: ص ٢٣ - ٢٤.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن مصطلح العترة ينظر: النصرالله: شرح نهج البلاغة: ص١٩٢ - ١٩٨.

(٣) المتقي الهندي: كنز العمال: ١/ ٤٣٥. وينظر: العياشي: تفسير العياشي: ٢/ ٨٦. الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٨/ ٣١٢. وقد ورد بألفاظ مختلفة، ينظر: الصدوق: الأمالي: ص٥٥٢، عيون اخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٣٠. الطوسي: الأمالي: ص ١٤٢. الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل: ٣/ ٤٦٧. ابن البطريق: العمدة ص٥٣. العلامة الحلي: الرسالة السعدية: ص٢٢. ابن طاووس: سعد السعود: ص١٤١. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٢٢. الاربلي: كشف الغمة: ٢/ ١٠٠. الزيلعي: تخريج الأحاديث والاثار: ٣/ ٢٧٣.

(٤) الكوفي: المناقب عليه السلام: ٢/ ١٠٧. الطبرسي: الاحتجاج: ٢/ ٢٢٤. وقد نسبت مصادر أخرى هذا الحديث لأمير المؤمنين عليه السلام، ولا إشكال أن يذكره أمير المؤمنين عليه السلام فكلامه مأخوذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله. ينظر: القاضي المغربي: شرح الأخبار: ٣/ ٥٦٢. الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٥٤. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٧٦. ابن طاووس: الطرائف في معرفة الطوائف: ص ٤١٧. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٣/ ١٣٠.

أحدهما اكبر من الاخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض"[١]. وقوله: "المهدي من عترتي من ولد فاطمة"[٢]، ويبدو أن الإمام عليه السلام تعمد اعادة ذكر اللفظ ذاته، لأنه بات مصطلَحا عليهم وحدهم، وليذكر المسلمين مجددا بعد عهود من تغييبهم[٣].

إن النبي صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام من اصل واحد يتصل جذره بالنبي إبراهيم عليه السلام، فـ "آباؤه آباء رسول الله، وأمهاته أُمّهات رسول الله، وهو منوط لحمه ودمه، لم يفارقه منذ خلق الله آدم، إلى أنّ مات عبد المطلب [افترقا] بين الاخوين عبدالله وأبي طالب، وامهما واحدة، فكان منهما سيدا الناس، هذا الأول وهذا التالي، وهذا المنذر، وهذا الهادي"[٤].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يفتخر بأنّهم ـ أي أهل البيت ـ الاقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله والاشد التصاقا به؛ إذ يقول: "**ونَحْنُ الأَعْلَوْنَ نَسَباً والأَشَدُّونَ بِرسُولِ الله صلى الله عليه وآله نَوْطاً**[٥]"[٦]. بل كان النبي صلى الله عليه وآله يؤكد أنّ عترته

---

(١) ابن حنبل: المسند: ٣/ ١٤، ٥/ ١٨٢، ١٨٩ ـ ١٩٠. وينظر: ابن أبي شيبة: المصنف: ٧/ ٤١٨. الترمذي: السنن: ٥/ ٣٢٩. ابن مخلد القرطبي: ما روي في الحوض والكوثر: ص١٣٧. ابن أبي عاصم: كتاب السنة: ص٣٣٧. أبو يعلى: المسند: ٢/ ٣٠٣. الكليني: الكافي: ١/ ٢٩٤. ابن بابويه: الإمامة والتبصرة: ص١٣٥. الطبراني: المعجم الاوسط: ٣/ ٣٧٤. الصدوق: عيون اخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٦٨، معاني الأخبار: ص٩٠. الحاكم: المستدرك: ٣/ ١١٠. ابن الفتال: روضة الواعظين: ص٢٧٣. الشامي: الدر النظيم: ص٧٥٥. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٩/ ١٦٢ ـ ١٦٣. المتقي الهندي: كنز العمال: ١/ ١٧٢ ـ ١٧٣. نجم الدين العسكري: حديث الثقلين: ص٥ ـ ١٢٧.

(٢) أبو داود: السنن: ٢/ ٣١٠. القاضي المغربي: شرح الأخبار: ٣/ ٣٩٥. الطوسي: الأمالي: ص١٨٠. ابن البطريق: العمدة: ص٤٣٣، ٤٣٦. ابن طاووس: الطرائف: ص١٧٥ ـ ١٧٦. الذهبي: ميزان الاعتدال: ٢/ ٨٧. البياضي: الصراط المستقيم: ٢/ ٢٢٤. السيوطي: الجامع الصغير: ٢/ ٦٧٢، الدر المنثور: ٦/ ٥٨. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٤/ ٢٦٤. القندوزي: ينابيع المودة لذوي القربى: ٢/ ١٠٣.

(٣) الفحام: بلاغة النهج: ص٢٣ ـ ٢٤.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٠.

(٥) النوط ـ بالفتح ـ: التعلق والالتصاق. الفراهيدي: العين: ٧/ ٤٥٥. ابن منظور: لسان العرب: ٧/ ٤١٨.

(٦) نهج البلاغة: ص ٣٠٤.

الاطايب، هم من طينته، وأنهم يشاركونه خصائصه التكوينية، إذ كان صلى الله عليه وآله يقول: "ان لكل بني أب عصبة ينتمون إليه، الا ولد فاطمة، فأنا وليهم، وانا عصبتهم، وهم عترتي، خلقوا من طينتي، ويل للمكذبين بفضلهم"(١). وفي حديث آخر: "من سرّه أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالائمة من بعدي، فأِنّهم عترتي، وخلقوا من طينتي، ورزقوا فهما وعلما"(٢).

ولإدراك معنى هذا التسانخ بينه صلى الله عليه وآله وبين أهل بيته عليهم السلام، ولا سيما أمير المؤمنين عليه السلام نصغي إلى الآية الكريمة التي أنزلته عليه السلام في مقام نفس النبي صلى الله عليه وآله، إذ يقول الحق تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾(٣) التي اجمع المفسرون أن المراد بنفس النبي هنا هو أمير المؤمنين عليه السلام(٤). بل إنّه صلى الله عليه وآله صرّح عدة مرات أنّه عليه السلام كنفسه، كما في قوله بعد فتح مكة: "لينتهين بنو وليعة(٥) أو لابعثن إليهم رجلاً كنفسي ينفذ فيهم امري"(٦). وفي حادثة أخرى لما حاصر

---

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق: ٣٦/٣١٣. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٢/٩٨.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٢٤٠. وورد بألفاظ أخرى. ينظر: يحيى بن الحسين: التحفة العسجدية: ص١٣٧. الكليني: الكافي: ١/٢٠٨. ابن شهر اشوب: مناقب آل أبي طالب: ١/ ٢٥١. ابن البطريق: خصائص الوحي المبين: ص٣٠.

(٣) سورة آل عمران الآية ٦١.

(٤) أبو حمزة الثمالي: تفسير أبو حمزة: ص١٣٤. الطبري: جامع البيان: ٣/٤٠٧. ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم: ٢/٦٦٧. السمرقندي: تفسير السمرقندي: ١/ ٢٤٥. ابن أبي زمنين: تفسير ابن أبي زمنين: ١/ ٢٩٢. الشريف الرضي: حقائق التاويل: ص١٠٩ ـ ١١٠. الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٣/ ٨٤ ـ ٨٥. الواحدي: أسباب نزول الايات: ص٦٨. السمعاني: تفسير السمعاني: ١/ ٣٢٧. الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل: ١/ ١٥٩ ـ ١٦٤، ١٨٢. البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١/ ٣١٠. النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/١٥٧ ـ ١٥٨. ابن العربي: احكام القرآن: ١/ ٣٦٠. ابن الجوزي: زاد المسير: ١/٣٣٨ـ ٣٣٩. الفخر الرازي: مفاتح الغيب: ٨/ ٨٥ـ ٨٦. القرطبي: الجامع: ٤/ ١٠٤. البيضاوي: تفسير البيضاوي: ٢/ ٤٧. ابن حيان الاندلسي: البحر المحيط: ٢/ ٥٠٣. الالوسي: روح المعاني: ٣/١٨٨.

(٥) بطن من كندة نسبة إلى وليعة بن شرحبيل بن معاوية بن حجر. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب: ٣/ ١٢٥٣.

(٦) النسائي: السنن الكبرى: ٥/١٢٧. وينظر: ابن أبي شيبة: المصنف: ٧/٥٠٦. الكوفي: المناقب:=

مدينة الطائف، فقال: "والذي نفسي بيده، ليقيمن الصلاة، وليؤتن الزكاة، أو لابعثن إليهم رجلاً مني أو كنفسي... ثم أخذ بيد علي فقال: هذا"[١].

وقد عَبر الإمام الرضا عليه السلام عن هذه المنزلة لأمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "فهذه خصوصية لا يتقدمه فيها أحد، وفضل لا يلحقه فيه بشر، وشرف لا يسبقه إليه خلق أنّ جعل نفس علي كنفسه"[٢]. وفي صورة أخرى لهذا الاتحاد فيما بينهما (صلوات الله عليهما)، نقرأ في حديث عنه صلى الله عليه وآله قوله: "يا علي، أنت مني وانا منك"[٣].

ويأتي تصريح آخر من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لبيان عمق العلاقة بينه وبين أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك في حديث المنزلة الشهير: "يا علي! أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبّي بعدي"[٤].

إنّ وقفة موجزة مع دلالات هذا الحديث تقودنا إلى تلمّس شيء من حقيقة هذه "القرابة القريبة" التي ارادها الله تبارك وتعالى ما بين النبي صلى الله عليه وآله والإمام

=١/ ٤٦١. الصدوق: الأمالي: ص ٦١٨، الخصال: ص٥٥٥. ابن شعبة الحراني: تحف العقول: ص ٤٢٩. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٩/ ١٦٧. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٧/ ١١٠. المتقي الهندي: كنز العمال: ٩/ ١٦٣. السيوطي: الدر المنثور: ٣/ ٢١٣.

(١) الهيثمي: مجمع الزوائد: ٩/ ١٦٣. المرعشي: شرح إحقاق الحق: ٦/ ٤٥٠.

(٢) الصدوق: الأمالي: ص٦١٨.

(٣) الصدوق: الأمالي: ص٤٤٢، الخصال: ص٥٧٣. الخزاز: كفاية الاثر: ص١٥٨. المفيد: الأمالي: ص٢١٣. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ٥٣، ٦٣. ابن طاووس: اليقين: ص٣٩٠.

(٤) ابن داود: المسند: ص٢٩. وينظر: ابن أبي شيبة: المصنف: ٧/ ٤٩٦. أبو جعفر الاسكافي: المعيار والموازنة: ص٢١٩ ـ ٢٢٠. ابن حنبل: المسند: ١/ ١٧٩، ٣/ ١٣٢، ٦/ ٣٦٩، ٤٣٨. الدروقي: مسند سعد بن أبي وقاص: ص١٧٦ ـ ١٧٧. مسلم: صحيح مسلم: ٧/ ١٢٠. ابن ماجة: السنن: ١/ ٤٥. ابن قتيبة: تأويل مختلف الأحاديث: ص١٣. الترمذي: السنن: ٥/ ٣٠٤. ابن أبي عاصم: كتاب السنة: ص٥٥١. النسائي: فضائل الصحابة: ص١٣ ـ ١٤. الكليني: الكافي: ٨/ ١٠٧. المحاملي: الأمالي: ص٢٠٩. الطبراني: المعجم الاوسط: ٣/ ١٣٩، ٥/ ٢٨٧، ٦/ ٧٧، المعجم الصغير: ٢/ ٢٢، المعجم الكبير: ١/ ١٤٦ ـ ١٤٨، ٢٤٧، ٤/ ١٧، ١١/ ٦١. الصدوق: علل الشرائع: ١/ ٢٢٢، ٢/ ٤٧٤. الشريف المرتضى: رسائل: ٤/ ٧٦. الطوسي: الاقتصاد في الاعتقاد: ص٢٢٢. ابن عبد البر: الاستيعاب: ٣/ ١٠٩٧. المتقي الهندي: كنز العمال: ٥/ ٧٢٤.

أمير المؤمنين عليه السلام فقد ربط النبي صلى الله عليه وآله علاقته بعلي عليه السلام بما كان بين موسى وهارون. وهنا لابد من إيضاح منزلة هارون من موسى عليه السلام وهي ما تكفلها القرآن الكريم ببعض مواطنه التي تناول فيها موسى وهارون. ومن ثم نتعرف على ماهيَّة منزلة أمير المؤمنين عليه السلام من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله. وقد كان لأحد الباحثين(١) وقفة واستقصاء موجز لايات القرآن الدالة على منازل هارون عليه السلام، ونحن نجده موضع إفادة في محلِّ البحث هنا، إذ استعرض تلك المنازل بدلالة الايات، وهي كالآتي:

المنزلة الأولى: النبوة: قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾(٢).

المنزلة الثانية: الوزارة: قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾﴾(٣). وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾(٤). وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾(٥).

المنزلة الثالثة: الخلافة: قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(٦).

المنزلة الرابعة: القرابة القريبة: قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾(٧).

نلاحظ أنّ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله اثبت في حديث المنزلة أن هذه المنازل

---

(١) الميلاني: حديث المنزلة: ص١٨ ـ ٣١.
(٢) سورة مريم الآية ٥٣.
(٣) سورة طه الآيتان ٢٩ ـ ٣٠.
(٤) سورة الفرقان الآية ٣٥.
(٥) سورة القصص الآية ٣٤.
(٦) سورة الأعراف الآية ١٤٢.
(٧) سورة طه الآيات ٢٩ ـ ٣٥.

القرآنية لهارون عليه السلام، هي ثابتة لأمير المؤمنين عليه السلام عدا منزلة النبوة، فكلامه صلى الله عليه وآله شامل لكل المقامات عدا النبوة التي استثناها للحكمة الإلهية التي قضت على أنّه لا نبيَّ بعده صلى الله عليه وآله فهو خاتم الأنبياء والمرسلين كما في قوله تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾(١).

واننا لنجد في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وخطبه الشريفة بعض الايحاءات الجانبية التي تقارب هذه المقامات التي اختص بها عليه السلام. فالإمام عليه السلام وإن لم يكن نبيّا، الا أنه كان ذا مقام يصعب على العقول ادراك كنهه، إذ من دلالات هذا المقام ما أشار إليه عليه السلام بقوله: "**أَرَى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ وأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ، ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْه صلى الله عليه وآله، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه مَا هَذِه الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِه، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، ولَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ، وإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ**"(٢).

بهذه الكلمات الموجزة التي قصرت الفاظها، واتسعت معانيها بقيم تعبيرية عالية، دلّنا النبي صلى الله عليه وآله على ابعاد مهمة ونادرة في شخصيّة أمير المؤمنين عليه السلام.

وأمّا مقام الوزارة الذي أشار إليه الإمام علي عليه السلام على لسان النبي صلى الله عليه وآله: "ولكنك لوزير"، فأنّه صلى الله عليه وآله لما نفى عنه مقام النبوة جبّره بمقام الوزارة، إشارة إلى أنَّه الصالح لتدبير أحوال الخلق في معاشهم ومعادهم من ورائه صلى الله عليه وآله المعين له على ذلك(٣).

والأحاديث الشاهدة على وزارته عليه السلام للنبي الخاتم صلى الله عليه وآله كثيرة جداً لا يتسع المجال للتعرض لها، ونقتصر على ذكر عدد منها إيجازا، وقد تكون المناسبة

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٠.

(٢) نهج البلاغة: ص ٤٠٦.

(٣) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٣٧٢.

الأولى التي اطلق فيها النبي صلى الله عليه وآله احاديثه بهذا الخصوص في "يوم الانذار"، لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[(١)]، إذ جمع النبي صلى الله عليه وآله اقرباءه من عشيرته على وليمة أعدّها لهم بمعونة أمير المؤمنين عليه السلام ثم أنّه صلى الله عليه وآله عرض عليهم أمر دعوته وطالبهم بنصرته، قائلاً: "يا بني عبد المطلب! إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بافضل مما جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة، وقد أمرني الله تعالى أن ادعوكم إليه، فايكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي، ووصيّي، وخليفتي فيكم"، فلم يجبه أحد إلاّ أمير المؤمنين عليه السلام، فقال صلى الله عليه وآله: "هذا أخي، ووصيّي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له واطيعوا"[(٢)]. وفي رواية الحلبي[(٣)]: "اجلس، فأنْتَ أخِي، ووزيري، وَوَصيِّي، وَوَارِثِي، وخَلْيفَتِي مِنْ بَعْدِي".

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله: "اللهم إنّي اقول كما قال أخِي موسى: اللهم اجعل لي وزيرا من أهلي، عليا أخي، اشدد به ازري، واشركه في أمري، كي نسبحك كثيراً، ونذكرك كثيراً، إنك كنت بنا بصيراً"[(٤)]. وروي أنّه صلى الله عليه وآله مدَّ يده إلى السماء داعيا، فقال: "اللهم إنْ نبيك موسى بن عمران عليه السلام سألك فقال: "قال ربي اشرح لي صدري، ويسر لي امري"[(٥)]. وانا محمد نبيك اسألك: ربي اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي، واجعل لي وزيرا من أهلي، عليا أخي، اشدد به ازري، واشركه في امري"[(٦)].

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٤.

(٢) ينظر: الطبري: تاريخ: ٢/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩، جامع البيان: ١٩/ ١٤٩. ابن مردويه: المناقب: ص٢٩٠. ابن الأثير: الكامل: ٢/ ٦٢ ـ ٦٣. أبو الفداء: المختصر: ١/ ١١٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/ ٥٣، تفسير: ٣/ ٣٦٤، السيرة النبوية: ١/ ٤٥٩. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٣/ ١١٤.

(٣) السيرة الحلبية: ١/ ٤٦١.

(٤) ابن البطريق: العمدة: ص ٢٧٢. ابن طاووس: الطرائف: ص ١٣٣. القندوزي: ينابيع المودة: ١/ ٢٥٨.

(٥) سورة طه الآيتان ٢٥ ـ ٢٦.

(٦) ابن مردويه: المناقب: ص ٢٧٧.

وفي حديث أنّه صلى الله عليه وآله قال: "اللهم اجعل لي وزيرا من أهل السماء، ووزيرا من أهل الأرض "فاوحى الله إليه، اني قد جعلت وزيرك من أهل السماء جبرائيل، ووزيرك من أهل الأرض علي بن أبي طالب"(١).

إن مقامي الوزارة والخلافة اللذين هما من منازل هارون عليه السلام، من أول الادلة واظهرها على أحقّية أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله.

ان منزلة "القرابة القريبة" التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام، فقد وردت الإشارة إليها في قصة موسى وهارون عليهما السلام في قول موسى عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَٰرُونَ أَخِي (٣٠)﴾(٢)، وذكرها النبي صلى الله عليه وآله حديث المنزلة في قصة المؤاخاة بينه وبين الإمام علي عليه السلام، مضافا إلى قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾(٣) فامير المؤمنين عليه السلام هو اقرب الأرحام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

إذن فإن "الاخوة" وآية "أولو الأرحام" من مصاديق هذه "القرابة القريبة" بين النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، فأما "الاخوة"، فإنها من اوشج صلات القرب بينه عليه السلام وبين النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وقد كان اخوه في الدنيا والآخرة، ولكن هذه "الاخوة" لاتقاس بغيرها من مظاهر الاخوة النسبية أو السببية مما تعارف بين الخلق، بل هي تتجاوز هذه المراتب لتكون في أعلاها مقاماً وأوثقها عرى؛ فالإمام عليه السلام قد حاز جميع ابعادها فيما بينه وبين المصطفى صلى الله عليه وآله، وكان عليه السلام يفتخر فيقول: "انا عبدالله واخو رسوله، وانا الصديق الاكبر، لا يقولها بعدي(٤) الا كذّاب مفتري"(٥). وفي رواية: "انا

(١) القمي: مائة منقبة: ص ١٤٥. البحراني: غاية المرام: ٦/ ١٥٥.
(٢) سورة طه الآيات ٢٩ ـ ٣٠.
(٣) سورة الأحزاب الآية ٦.
(٤) وردت في مصادر أخرى بعبارة "غيري" ينظر: أبو جعفر الاسكافي: نقض العثمانية: ص٢٩٠. الكوفي: المناقب: ١/ ٣١٤. الطبري الصغير: المسترشد في الامامة: ص٢٦٤، ٣٧٤. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٢٢٨. ابن الدمشقي: جواهر المطالب: ١/ ٧٠. البحراني: غاية المرام: ٥/ ١١٥.
(٥) ابن أبي شيبة: المصنف: ٧/ ٤٩٨. ابن أبي عاصم: كتاب السنة: ص ٥٨٤. النسائي: السنن الكبرى: =

عبد الله، واخو رسوله صلى الله عليه [وآله] وسلم، لم يقلها أحد قبلي، ولا يقولها أحد بعدي الا كذّاب مفترٍ"(١). وكذلك ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: "أنت أخي في الدنيا والآخرة"(٢)، إنما يريد به أنه مناظره، ومشابهه، ومشاكله في جميع المنازل الا النبوة، والعرب تقول للشيء (انه اخو الشيء) إذا شابهه وماثله وقارنه ووافق معناه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾(٣)، وقيل هما جبرئيل وميكائيل عليهما السلام، وقوله تعالى ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾(٤)، ومعلوم أن الاخوة في النسب فقط قد لا توجب فضلا، لأنّ الكافر قد يكون اخا للمؤمن، لكن أخوة في المماثلة والمشابهة هي الموجبة للفضل. ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام حصلت له من رسول الله صلى الله عليه وآله الأخوة(٥).

=٥/١٠٧، ١٢٦. الصدوق: الخصال: ص ٤٠٢. الشريف المرتضى: الفصول المختارة: ص ١٣٩.ابو نعيم الأصبهاني: مسند أبي حنيفة: ص ٢١١. ابن عبد البر: الدرر: ص ٩١. المتقي الهندي: كنز العمال: ١١/٦٠٨، ١٣/ ١٢٢.

(١) ابن أبي شيبة: المصنف: ٧/ ٤٩٧.

(٢) الترمذي: السنن: ٥/ ٣٠٠. الكوفي: المناقب: ١/ ٣٨٣. القاضي المغربي: شرح الأخبار: ١/ ١٩١، ٢/ ٥٩٣. الصدوق: الخصال: ص ٤٢٩. الحاكم: المستدرك: ٣/ ١٤. المفيد: الأمالي: ص ١٧٤. الطوسي: الأمالي: ص ١٩٤. ابن عبد البر: الاستيعاب: ٣/ ١٠٩٩. منتجب الدين بن بابويه: الاربعون حديثا: ص ٧٢. ابن البطريق: العمدة: ص ١٧٠ ـ ١٧١. ابن طاووس: التحصين: ص ٦١٧.المتقي الهندي: كنز العمال: ١١/ ٥٩٨.

(٣) سورة ص الآية ٢٣.

(٤) سورة مريم الآية ٢٨.

(٥) ابن جبر: نهج الإيمان: ص ٤٢٩. وقد ذكر ابن جبر مراتب كثيرة للاخوة ما بين النبي صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين عليه السلام منها:

ـ انه مماثله في النفس بنص القرآن، كما في آية المباهلة في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ سورة آل عمران الآية ٦١.

ـ انه مضاهيه في الولاية بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾، سورة المائدة الآية ٥٥.

ـ انه مناظره في العصمة، بدليل قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، سورة الأحزاب الآية ٣٣. =

ويروى أنّ المؤاخاة بين المسلمين وقعت مرتين: الأولى كانت في مكة قبل الهجرة إذ آخى الرسول صلى الله عليه وآله بين المهاجرين خاصة، والثانية كانت في المدينة بعد الهجرة بخمسة اشهر، فقد آخى النبي بين المهاجرين والأنصار، وفي كلتا المرتين يصطفي لنفسه منهم الإمام عليا عليه السلام فيتخذه من دونهم أخاً له، تفضيلا له على من سواه[١].

إن أدل دليل على عظم منزلة الإمام علي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله صنيعه في المؤاخاة، فإنّه عليه السلام جعل يضم الشكل إلى الشكل يؤلف بينهما، إلى أن آخى بين أبي بكر وعمر، وادّخر عليا لنفسه، وخصّه بذلك، فيا لها من مفخرة وفضيلة[٢].

ومن غريب ما يطالعنا في قضية المؤاخاة بين النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام، أن مناوئيه قد كبر عليهم نيله هذه المرتبة العظيمة؛ لما لها من الفضل الخاص

= ـ انه مشاركه ومشابهه في الاداء والتبليغ، بدليل الوحي من الله سبحانه وتعالى إلى الرسول صلى الله عليه وآله يوم اعطى سورة براءة لغيره، فهبط جبرئيل عليه السلام وقال: لا يؤديها الا أنت أو رجل منك، واستعادها من أبي بكر ودفعها اليه عليه السلام.

ـ انه نظيره في النسب الطاهر الكريم.

ـ انه نظيره في الموالاة، لقوله عليه السلام: "من كنت مولاه فعلي مولاه" وهو الحديث المعروف بحديث الغدير أو الولاية.

ـ انه فتح بابه في المسجد، مثلما فتح بابه هو عليه السلام، وجواره في المسجد كجواره.

ـ انه نظيره في النور قبل خلق آدم، وإن التسبيح والتقديس يصدر منهما معا لله عز وجل.

ـ انه نظيره في استحقاق الإمامة، لأنه يستحقها عن طريق استحقاق النبي صلى الله عليه وآله للنبوة سواء، بدليل قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

ـ انه كان أخوه بسببين آخرين، وهو ان النبي صلى الله عليه وآله كان يسمي فاطمة بنت اسد عليها السلام امي، والعم يسمى أبا بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾، وقال الزجاج: اجمع النسابون ان اسم أبي إبراهيم تارخ، وبقوله تعالى حكاية عن يعقوب ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾، وإسماعيل كان عمه. ينظر ابن جبر: نهج الإيمان: ص ٤٢٩ ـ ٤٣١.

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب: ٢/ ٥١١، ٣/ ١٠٩٨. ابن حجر: فتح الباري: ٤/ ٨٢. العيني: عمدة القاري: ١١/ ٨٠. في حين نجد ان ابن سعد يقول: "لما قدم رسول صلى الله عليه وآله المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض وآخى بين المهاجرين والأنصار...". الطبقات: ١/ ٢٣٨.

(٢) الاميني: الغدير: ٣/ ١٦٤.

به دون سواه، كيف لا وهو نظير النبي محمد صلى الله عليه وآله، فماج الحقد والحسد والبغض في صدورهم الضيقة، فراح كلٌّ منهم يعمل بجد وحسب طاقته ووسعه، لأجل ردها أو نفيها، أو اشراك غيره فيها، أو سلبها منه عليه السلام، وهذا هو ديدنهم مع فضائله عليه السلام[١]، متخذين عدة أساليب:

الأسلوب الأول: الإنكار الصريح بنفي أخّوته عليه السلام.

كان الردّ الأول لهذه الفضيلة بعد رحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وعلى لسان أصحاب السقيفة، عندما هُدد أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل عندما امتنع عن البيعة، قال عليه السلام "اذاً تقتلون عبدالله وأخا رسوله" فقالوا "اما عبدالله فنعم، واما اخو رسول الله فلا"[٢].

الأسلوب الثاني: الدسّ والتزوير: ترك بعضهم بصمة التحريف واضحة في مرويات هذه الحادثة، وقد انتهجوا في ذلك منهجين:

الأول: وضع أحاديث نسبت إلى النبي صلى الله عليه وآله في حقِّ عدد من الصحابة، في قبال هذه الفضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام؛ بغية إشراك غيره فيها، فلا يكون له عليه السلام أي فضل أو تقدم على غيره، ومنها: ما نسبوه إلى النبي صلى الله عليه وآله: "لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي"[٣]، قال ابن أبي الحديد[٤] "فإنهم وضعوه في مقابلة حديث الاخاء".

الثاني: ما دسّ في مرويات حادثة الاخاء من سموم الوضع والتحريف

---

(١) ينظر: النصر الله: فضائل أمير المؤمنين عليه السلام المنسوبة لغيره الحلقة الأولى (الولادة في الكعبة): ص١٢٣ ـ ١٤٤.

(٢) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة (منسوب): ١/ ٢٠. الطبري الصغير: المسترشد: ص ٣٨٠. الطبرسي: الاحتجاج: ١/ ١٠٩. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٢/ ٦٠. ابن سليمان الحلي: المحتضر: ص ١١٠.

(٣) ينظر: ابن حنبل: المسند: ١/ ٤١٢. البخاري: الصحيح: ٤/ ١٩١. مسلم: الصحيح: ٧/ ١٠٨. ابن حزم: المحلى ١/ ٣٥.

(٤) شرح نهج البلاغة: ١١/ ٤٩.

كمن دسّ سّما في عسل، فغدت ظاهرها مدحاً لأمير المؤمنين عليه السلام وباطنها لا يخلو من ذم أو اساءة لمقامه الشريف.

ليس الغاية الخوض في تفاصيل تلك الروايات، لكن نقف في المحال التي قد أُضيفت عمدا بقصد الإساءة، فمن ذلك ما أشارت به عدة روايات إلى أنّ النبي صلى الله عليه وآله حين أمره الله تعالى بأن يؤاخي بين أصحابه "جاءه علي تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد"، فقال له صلى الله عليه وآله: "انت أخي في الدنيا والآخرة"[١]. بل ذهبت عدة من الروايات بعيداً في ادعائها أنّه عليه السلام عاتب النبي صلى الله عليه وآله، وخاف على نفسه الوقوع في محذور اسخطه صلى الله عليه وآله عليه، فقال له: "لقد ذهبت روحي، وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت بغيري، فإن كان من سخطة علي فلك العتبى والكرامة"[٢]، وفي رواية "انقطع ظهري، وساء ظني"[٣]، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: "والذي بعثني بالحق ما اخرتك الا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي من بعدي وأنت أخي ووارثي..."[٤].

فلينظر كل لبيب إلى هذه الإساءة لمقام أمير المؤمنين عليه السلام، بل ذهبت روايات أخرى إلى أبعد من ذلك، فاظهرته عليه السلام جاهلا بمقامه واظهرت

---

(١) الترمذي: السنن: ٥/ ٣٠٠. الكوفي: المناقب: ١/ ٣٥٧. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٥١. منتجب الدين بن بابويه: الاربعون حديثا: ص ٧٢. ابن شهر اشوب: المناقب: ٢/ ٣٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٧/ ٣٧١. ابن الدمشقي: جواهر المطالب: ١/ ٦٩. الحلبي: السيرة الحلبية: ٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

(٢) ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني: ٥/ ١٧٢. ابن مخلد القرطبي: ما روي في الحوض والكوثر: ص ١٢٦ ـ ١٢٧.الطبراني: المعجم الكبير: ٥/ ٢٢١. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٢١/ ٤١٥. ابن البطريق: العمدة: ص ١٦٧. الخوارزمي: المناقب: ص ١٥٢. الزرندي: نظمم درر السمطين: ص ٩٤ ـ ٩٥. الاربلي: كشف الغمة: ١/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤. المتقي الهندي: كنز العمال: ٩/ ١٦٧

(٣) الكوفي: المناقب: ١/ ٣١٦

(٤) ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني: ٥/ ١٧٢. ابن مخلد القرطبي: ما روي في الحوض والكوثر: ص ١٢٦ ـ ١٢٧. الطبراني: المعجم الكبير: ٥/ ٢٢١. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٢١/ ٤١٥. ابن البطريق: العمدة: ص ١٦٧ الخوارزمي: المناقب: ص ١٥٢. الزرندي: نظمم درر السمطين: ص ٩٤ ـ ٩٥. الاربلي: كشف الغمة: ١/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤. المتقي الهندي: كنز العمال: ٩/ ١٦٧.

النبي صلى الله عليه وآله متجاهلا له عليه السلام ـ حاشاهما ـ فادعت قائلة: "إنّه لما كان النبي يؤاخي، فحانت منه التفاتة، فنظر إلى علي بن أبي طالب جالساً ناحية، وهو يرفع نفسه مرة ويتقاصر مرة، والدموع تنحدر على خديه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله ممَّ بكاؤك يا أبا الحسن؟ لا أبكى الله عينيك؟ فقال عليه السلام: بكائي على نفسي. قال النبي صلى الله عليه وآله: ولم ذاك يا أبا الحسن؟ فقال: لانك يا رسول الله كلما اقمت رجلاً من المؤمنين قلت: إنّك ستقيمني إليه وتؤاخي بيني وبينه، فتعدل عني إلى غيري، فقلت في نفسي: لا اصلح لمؤاخاة رجل من المؤمنين"(١).

هذا هو المقطع الأول من الرواية والإساءة واضحة فيه للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين عليه السلام، بل إنّ الراوي بالغ في تصوير الحادثة بهكذا مشهد تجنى فيه على مقام النبي والإمام عليه السلام. ثم يأتي المقطع الآخر الذي ظاهره المدح لمقام الإمام عليه السلام إذ يقول: "فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما عدلت عنك، ولكن وجدت الله يعدل بي عنك، فهذا جبرائيل قائم في الهواء كلما اقمت رجلاً من المؤمنين واردت أن اقيمك يقول جبريل: اقعد عليا، وأَخِّره في هذا المقام ولا تقدمه، فغمني ذلك، واقلقني وساءني واحزنني، فهبط علي جبريل عليه السلام وقال: يا محمد، العلي الاعلى يقرئك السلام ويقول لك قد علمت عزل علي، فلا يغمك ذلك فانما خبأته لك، وقرنته بك، وآخيت بينك وبينه في السماء والأرض"(٢).

بل تأتي رواية ثالثة يرويها الصحابي أنس بن مالك (ت: ٩٢هـ)، تظهر أنّ الإمام عليه السلام قد ساءه فعل النبي صلى الله عليه وآله، فذهب منعزلا شاكيا للسيدة فاطمة عليها السلام: "لما كان يوم الاخاء، فآخى النبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار، وعلي واقف يراه ويعرف مكانه، ولم يؤاخ بينه وبين أحد، فانصرف علي باكي العين، افتقده النبي: ما فعل أبو الحسن؟ فقالوا: انصرف باكي العين يا رسول الله.

---

(١) ابن جبر: نهج الإيمان: ص ٤١٤

(٢) ابن جبر: نهج الإيمان: ص ٤١٤ ـ ٤١٥.

قال: يا بلال اذهب فأتني به. فمضى بلال إلى علي عليه السلام، وقد دخل منزله باكي العين، فقالت فاطمة: مايبكيك لا ابكى الله لك عينا، قال: يا فاطمة! آخى النبي بين المهاجرين والأنصار وانا واقف يراني ويعرف مكاني ولم يؤاخ بيني وبين أحد، قالت فاطمة عليها السلام: لا يحزنك الله، لعله إنما ادخرك لنفسه. فقال بلال: يا علي اجب النبي: فأتى علي إلى النبي، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا أبا الحسن؟ قال: واخيت بين المهاجرين والأنصار يا رسول الله وانا واقف تراني وتعرف مكاني ولم تؤاخ بيني وبين أحد، قال: إنما ادخرتك لنفسي. أما يسرّك أن تكون اخا نبيك؟ قال: بلى يا رسول الله، أنى لي بذلك. واخذه بيده وارقاه المنبر، فقال: اللهم ان هذا أخي مني وانا منه، إلا أنه بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه، قال: فأنصرف عليٌّ قرير العين، فاتبعه عمر، فقال: بخ بخ يا أبا الحسن اصبحت مولاي ومولى كل مسلم"[١].

ومن خلال تأمل ما جاء في هذه الروايات يمكن القول:

١ ـ أظهرت روايات التآخي بين النبي والإمام (صلوات الله عليهما) اقتصارها على حادثة "المؤاخاة" بين الصحابة، في حين قد دلت المصادر على سبق هذا الإخاء في حادثة الانذار[٢]، وفي حادثة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله حين فداه بنفسه الشريفة[٣]، بل تكرر من النبي صلى الله عليه وآله التأكيد على أنّ الإمام "اخاه" في عدة مواضع كان من ضمنها "المؤاخاة" بين اصحابه[٤].

٢ ـ يبدو مما تدّعيه إحدى الروايات في أعلاه ان النبي صلى الله عليه وآله تجاهل الإمام عليه السلام، فيما تدعي ثانية أنّه أراد أن يؤاخيه بأي فرد من المسلمين، ولكن

---

(١) ابن جبر: نهج الإيمان: ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧

(٢) ينظر: الطبري: تاريخ: ٢/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩، جامع البيان ١٩/ ١٤٩. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/ ٥٣، تفسير: ٣/ ٣٦٤، السيرة النبوية: ١/ ٤٥٩.

(٣) ابن شاذان: الروضة: ص٢٥.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية: ٢/ ٣٥١ ـ ٣٥٢.

جبريل كان يمنعه، ولم يدرك الإمام عليه السلام سر ذلك حتى ظن بنفسه ونبيه الظنون! بل إنّ النبي صلى الله عليه وآله كما يبدو لم يدرك سر هذا المنع، لذا فإنه قد حزن واغتم لأجل ذلك!!

ولكن أليس رسول الله صلى الله عليه وآله فيما سبق طلب من الله تعالى أن يجعل له من اهله عليا اخاه ووزيره يشدد به ازره ويعضده في امره[1]. ثم ألم يدرك النبي الأعظم صلى الله عليه وآله منزلة أمير المؤمنين عليه السلام ومقامه حتى تلك اللحظة؟! فظل متحيراً وحزيناً لما حدث. والادهى من ذلك أنّ الإمام نفسه ظنَّ بعدم اهليته لمؤاخاة أي أحد من المسلمين؟! حتى أنّه لم يطق ذرعا؛ فغادر المكان وذهب حزينا باكيا شاكيا إلى زوجته السيدة فاطمة عليها السلام من فعل أبيها، ولكنّها طمأنته ونبهته لما خفي عنه، ولم يخطر بباله بأنّه ربما يكون قد اخره صلى الله عليه وآله مدخرا اياه لنفسه صلى الله عليه وآله! وأنَّ هذا لشيء عجاب! ففي الوقت الذي يسيء الراوي للامام عليه السلام يقابل ذلك بمدح للسيدة فاطمة عليها السلام، ولم يكن هذا حباً وإجلالاً للسيدة فاطمة عليها السلام وإنما محاولة للتغطية على مقصد الإساءة، ولكي تكون روايته مقبولة جعل هذا المدح صك شفاعة لقبولها عند قراءها، ولذا نرى أمثال هذه الروايات مقبولة في المصادر كافة ومتداولة دون التنبّه لهذا المدح المشوب بالذم.

٣ ـ أنّ ما ذكرته هذه الروايات حول ردة فعل أمير المؤمنين عليه السلام وبكائه، وما فعله النبي صلى الله عليه وآله من الارسال في طلبه وترضيته بأن آخاه بنفسه، هي التي جرّأت بعضهم للقول: "إن قضية المؤاخاة توحي بأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤاخ احدا لحاجة منه إليه لكثرة أصحابه وخدامه من المهاجرين والأنصار، وإنما شرف المرتضى بالاخوة لحزنه وبكائه"[2].

---

(١) الكوفي: المناقب: ١/٣٠٣.

(٢) الدهلوي: قرة العينين في تفضيل الشيخين: ص ١٦٣، نقلا عن: حامد النقوي: خلاصة عقبات الأنوار: ٤/٢٢٦.

٤ ـ ان أوضح دليل على بطلان ما جاء في هذه الروايات من مزاعم أنّنا لو رجعنا إلى المصادر الاقدم لوجدناها خالية من هكذا إضافات موضوعة: فابن إسحاق يروي: "وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال فيما بلغنا، نعوذ بالله ان نقول عليه ما لم يقل: تآخوا في الله اخوين اخوين، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب، فقال: هذا أخي، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين، وامام المتقين، ورسول رب العالمين، الذي ليس له خطير، ولا نظير من العباد، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه اخوين، وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم، وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوين، وإليه اوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال ان حدث به حدث الموت، وجعفر بن أبي طالب[١] ذو الجناحين الطيار في الجنة، ومعاذ بن جبل، اخو بني سلمة، اخوين..."[٢].

ولم تكن هذه هي الرواية الوحيدة، بل هناك روايات على شاكلتها خالية من التحريف، ناطقة بفضيلة الاخوّة لأمير المؤمنين عليه السلام[٣].

الأسلوب الثالث: هناك إتّجاه آخر تعامل مع فضيلة المؤاخاة لأمير المؤمنين عليه السلام بطريقة أخرى، إذ قابل القضية ـ مع كونها مجمع عليها في المصادر ـ بالانكار، كما فعل ابن حزم الأندلسي[٤] بقوله: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخي وصاحبي. وهذا الذي لا يصح غيره، وأمّا أُخّوة علي فلا تصح الا مع سهل بن

---

(١) لم يكن جعفر موجودا وقتها بالمدينة لأنه كان في الحبشة ولم يقدم إلا في فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة. ينظر: ابن سعد: الطبقات: ٤/ ٣٤. ابن عبد البر: الاستيعاب: ١/ ٢٤٢.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية: ٢/ ٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٣) ينظر مثلا: الكوفي: المناقب: ١/ ٣٠١ ـ ٣٠٣، ٣١٩. الصدوق: الخصال: ص٤٢٩ ـ ٤٣٠. الحاكم: المستدرك: ٣/ ١٤. ابن عبد البر: الدرر: ص٩٠ ـ ٩١. ابن المغازلي: مناقب علي بن أبي طالب: ص٥٣ ـ ٥٥.

(٤) الفصل في الملل والنحل: ٤/ ١٤٧.

حنيف". ولقد كفانا الشيخ الأميني مؤونة الرد بابلغ رد، وجاء في رده: "انا لا اروم الكلام حول حديث رآه صحيحا، ولا اناقش في صدوره، ولا أُزيفه بما زيف عمر بن الخطاب حديث الكتف والدواة، إذ هذه لدة[1] ذاك صدرا في مرض وفاته صلى الله عليه وآله كما في الصحيحين، ولا اقول بما قال ابن أبي الحديد في شرحه من إنه موضوع وضعته البكرية في مقابلة حديث الاخاء. وانا لا ابسط القول في مفاده بما يستفاد من كلام ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث من أنّ الاخوة هناك منزلة بالاخوة الإسلامية العامة الثابتة بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2] نظير ما ورد عنه صلى الله عليه وآله من قوله لعمر: يا أخي، ولزيد: أنت اخونا، ولاسامة: يا اخي. وإنما يفسر تلك الاخوة لفظ البخاري ومسلم، والترمذي: "لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن اخوة الإسلام ومودته". كما أنَّ الخَّلة المنتفية فيه هي الخلة بالمعنى الخاص، لا الخلة العامة الثابتة بقوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[3]. بل اقول عجبا للصلافة التي تحدد الإنسان لأن يقول: لا يصح غير حديث حسبه صحيحا، ويجهل مفاده أو يعلم ويحب أن يغري الأمة بالجهل، ثم يعطف على حديث اعترفت به الأمة جمعاء، وجاء مثبتا في الصحاح والمسانيد ويراه باطلا. اهكذا حب الشيء يعمي ويصم؟ اهكذا خلق الإنسان ظلوما جهولا؟ هذه الاخوة بالمعنى الخاص الثابتة لأمير المؤمنين مما يختص به عليه السلام ولا يدعيها بعده الا كذاب، على ما ورد في الصحيح...، وكانت مطردة بين الصحابة كلقب يعرف به، تداولته الاندية، وحوته المحاورات، ووقع الحجاج به، وتضمنه الشعر السائر، ولو ذهبنا إلى جمع شوارد هذا الباب لجاء منه كتاب ضخم، غير إنا

---

(١) لدة: الترب المتساوون في السن. وتعني المماثلة والمشابهة. ينظر: ابن سيدة: المخصص ٣/ ٣/ ١٥٦، ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٤٦، الزبيدي: تاج العروس ١٨/ ٤٤٣.

(٢) سورة الحجرات الآية ١٠.

(٣) سورة الزخرف الآية ٦٧.

نختار منه نبذا..."[١]. ثم أورد الحديث بمصادره الكثيرة والفاظه المختلفة المتعددة ومناسباته مما يدل على تواتره[٢].

وجاء من بعد ابن حزم من يشاكله ويسير على نهجه وهو ابن تيمية، ولبئس الخلف خلفا يتبع سلفا، إذ حكم على قضية المؤاخاة كلها بالبطلان والوضع، قائلاً: "اما حديث المؤاخاة فباطل موضوع، فإنَّ النبي صلى الله عليه وآله لم يؤاخ أحداً، ولا اخى بين المهاجرين بعضهم من بعض، ولا بين الأنصار بعضهم من بعض، ولكن آخى بين المهاجرين والأنصار"[٣]. وقال أيضاً: "إنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم لم يؤاخ علياً ولا غيره، بل كلّ ما روي في هذا فهو كذب"[٤].

وقد تكفل أحد الباحثين برد ادعائه وبيان زيف رأيه، إذ استقصى موارد الاخاء بين الصحابة عامة، وبين النبي والإمام خاصة بتفصيل دقيق مما لا يتسع المجال لذكره هنا[٥].

اما آية ﴿وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾[٦]، فقد احتج أمير المؤمنين عليه السلام بدلالتها على أنه الأولى بالنبي صلى الله عليه وآله؛ لأنّه الاشد قربا منه صلى الله عليه وآله، إذ يقول عليه السلام: "**وكِتَابُ اللَّه يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وهُوَ قَوْلُه سُبْحَانَه وتَعَالَى** ﴿وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، **وقَوْلُه تَعَالَى:** ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٧]، **فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ وتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ، ولَمَّا احْتَجَّ**

---

(١) الغدير: ٣/ ١٦١ ـ ١٦٣.

(٢) ينظر الغدير: ٣/ ١٦٤ ـ ٤٨١.

(٣) منهاج السنة: ٢/ ١١٩، ٤/ ٧٥.

(٤) منهاج السنة: ٤/ ٣٢.

(٥) محمد الرضي الرضوي: من اقطاب الكذابين احمد بن تيمية الحراني: ص ٤٩ ـ ٢٣٥. وكذلك ينظر: الميلاني: ابن تيمية والإمام علي عليه السلام: ص ٢٧ ـ ٣١.

(٦) سورة الأحزاب ٦.

(٧) سورة آل عمران الآية ٦٨.

الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله فَلَجُوا[١] عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِه فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِه فَالأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ"[٢].

لقد أشارت مجموعة من المصادر إلى اختصاص أهل البيت عليهم السلام بهذه الآية، وأنّ فيها دلالة على اولويتهم بالامامة والامرة بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله[٣] فقد روي أنّ الإمام الحسين عليه السلام سأل جده المصطفى صلى الله عليه وآله عن تفسير هذه الآية، فقال: "والله ما عنى بها غيركم، وأنتم أولوا الأرحام فإذا مت، فابوك علي أولى بي وبمكاني..."[٤]، وهو القائل صلى الله عليه وآله: "أنا أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ثم أنت يا علي أولى بالمؤمنين..." حتى عد الائمة تباعا[٥].

إن الملاحظ على هذه الآية أنّ الاوصاف الثلاثة ـ (الإيمان والهجرة وكونه ذا رحم) ـ لا تنطبق الا على أمير المؤمنين عليه السلام ويظهر أن القرابة القريبة هي جزء من مقوّمات الخلافة والولاية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله[٦].

---

(١) فلجوا عليهم: أي ظفروا بهم. الجوهري: الصحاح: ١/ ٣٣٥.

(٢) نهج البلاغة: ٥٢٩.

(٣) الكليني: الكافي ١/ ٢٨٨. ابن بابويه: الإمامة والتبصرة: ص ٤٨. الصدوق: علل الشرائع: ١/ ٢٠٧. ابن مردويه: المناقب: ص٢٥٠، ٢٩٨. المحسن بن كرامة: تنبيه الغافلين: ص١٣٣ ـ ١٣٤. ابن شهر اشوب: المناقب: ٢/ ١٧ ـ ٣١. ابن جبر: نهج الإيمان: ص٣٧٥ ـ ٣٨٢. البياضي: الصراط المستقيم: ١/ ٦٥ ـ ٦٧. الاربلي: كشف الغمة: ١/ ٣٢٩. العلوي: المجدي في انساب الطالبيين: ص٣٩٢ ـ ٣٩٣. الحسيني: تأويل الايات: ٢/ ٤٤٧ ـ ٤٤٩. التستري: الصوارم: ص١٧١ ـ ١٧٢. النمازي: مستدرك السفينة: ١٠/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠.

(٤) الخزاز: كفاية الاثر: ص ١٧٥. البياضي: الصراط المستقيم: ٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦. المجلسي: بحار الأنوار: ٣٦/ ٣٤٤. البحراني: غاية المرام: ١/ ١٩٥.

(٥) الخزاز: كفاية الاثر: ص ١٧٧. المجلسي: البحار: ٣٦/ ٣٤٥. ميرزا محمد تقي الاصفهاني: مكيال المكارم: ١/ ٤٤. النمازي: المستدرك: ١٠/ ٤٧٠.

(٦) الميلاني: حديث المنزلة: ص ٣٥، وذكر الفخر الرازي في تفسير هذه الآية استدلال محمد بن عبدالله بن الحسن المثنى المعروف بذي النفس الزكية بالآية في مكاتبة له مع المنصور العباسي، فقد استدل بها على ثبوت الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام في خلافة النبي صلى الله عليه وآله، فاجابه المنصور بأن العباس=

. . . .

=أولى بالنبي من الإمام عليه السلام ؛ لأنه عمه، والإمام ابن عمه، والغريب ان الفخر الرازي وافق على ذلك ينظر: تفسير: ١٥/ ٢١٣ ـ ٢١٤، ويمكن ان يلاحظ على هذا الرأي جملة أمور هي:
أ ـ ما يخص قربهما من النبي صلى الله عليه وآله، فيمكن الفصل فيه بالقول: ان الله سبحانه لم يذكر الاقرب للنبي صلى الله عليه وآله دون أن علقه بوصف، فقال تعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) الأحزاب الآية٦، فشرط إن الأولى بالنبي صلى الله عليه وآله أن يكون من أهل الإيمان والهجرة. فاما عن إيمان أمير المؤمنين عليه السلام وهجرته، فلا شك ولا اختلاف في تقدم الإمام عليه السلام في هذا المقام بالشكل الذي يعجز غيره ان ينافسه فيه، وهو القائل "وسَبَقْتُ إلى الإيمان والْهِجْرَةِ" وغيرها من أدلة سبقه كما سيتضح في صفحات البحث القادمة. واما العباس بن عبد المطلب فقد اختلف في موقفه من الدعوة الإسلامية، فقد حضر يوم الانذار ولم يبد رأيا.ينظر: اليعقوبي: تاريخ: ٢/ ٢٧.الطبري: تاريخ: ٢/ ٦٢ ـ ٦٣، وشمله حصار الشعب مع بني هاشم، ينظر: اليعقوبي: تاريخ: ٢/ ٣١، ولما أراد الرسول صلى الله عليه وآله الهجرة إلى المدينة، قيل ان العباس أخذ العهود والمواثيق على الأنصار لنصرة النبي صلى الله عليه وآله، ابن سعد: الطبقات: ٤/ ٧.ولكنه شارك إلى جانب المشركين في معركة بدر، ووقع اسيرا بيد النبي صلى الله عليه وآله واطلقه بعد دفع الفداء، ابن عبد البر: الاستيعاب: ٢/ ٨١١ـ ٨١٢. اما هجرته فقد اختلفت المصادر في ذلك، فجمع منها يشير إلى انه لم يهاجر حتى فتح مكة، ينظر: الصدوق: عيون أخبار الرضا: ٢/ ٨٠، الطبرسي: الاحتجاج ٢/ ١٦٣، ابن شهر آشوب: المناقب ٢/ ٣٥. وجمع آخر علل تأخر هجرته، انه كان ممن كتم إيمانه لمصلحة الإسلام، فلم يهاجر ليكون عينا للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فقد ابلغ النبي صلى الله عليه وآله بغزو المشركين في أحد والخندق للمدينة، ابن عبد البر: الاستيعاب: ٢/ ٨١٢. ثم انه هاجر قبيل فتح مكة، فكان آخر من هاجر وختمت به الهجرة، ابن الأثير: أسد الغابة: ٣/ ١١٠. ثم لنقف عند الآية الكريمة التي كانت الفيصل في التفاضل ما بين هاتين الشخصيتين: أمير المؤمنين عليه السلام والعباس بن عبد المطلب: قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ التوبة الآية ١٩ ـ ٢٠. إذ كان سبب نزول هذه الآية ان العباس بن عبد المطلب ذكر فضل ما في يده وما يظهر من عمله من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وذكر أمير المؤمنين عليه السلام قديم إسلامه وهجرته واجتهاده في جهاد أعداء ربه وبذله مهجته لله ورسوله، فقضى الرحمن بينهما، وبين الفصل بين فضيلتهما بما ذكر وقال في كتابه، ينظر: يحيى بن الحسين: الاحكام ٢/ ٤٥٠ ـ ٤٥١. وينظر: مقاتل بن سليمان: تفسير مقاتل: ٢/ ٤٠. الصنعاني: تفسير القرآن: ٢/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩. ابن أبي شيبة: المصنف: ٧/ ٥٠٤. الكوفي: المناقب: ١/ ١٣٥، ١٩٣. الطبري: جامع البيان: ١٠/ ١٢٣ ـ ١٢٤. العياشي: تفسير: ٢/ ٨٣. الكليني: الكافي: ٨/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤. القمي: تفسير القمي: ١/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤. النحاس: معاني القرآن: ٣/ ١٩٢. ب ـ ان أمير المؤمنين عليه السلام كان اقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله واولى بمقامه ان ثبت ان المقام موروث، وذلك ان أمير المؤمنين عليه السلام كان ابن عم النبي صلى الله عليه وآله لابيه وامه، والعباس عمه لابيه خاصة، ومن تقرب بسببين كان اقرب ممن تقرب بسبب واحد، كما ذكر في فقه الفرائض، ولهذا حكم أبو بكر في الدرع والسيف والبغلة وغيرها من ميراث النبي صلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين عليه السلام دون العباس وقد روي عن الإمام عليه السلام انه قال=

ثانياً: المنزلة الخصيصة:

يمكن القول بأن من مصاديق هذه المنزلة التي اختص بها الإمام عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وآله أمور عدة منها:

١ ـ تربيته نبوية. ٢ ـ المصاهرة. ٣ ـ خلافته للنبي صلى الله عليه وآله (الامامة).

١ ـ تربيته نبوية:

ان مكونات شخصية كل فرد تتأثر بعاملي الوراثة والبيئة معاً، ولكن بدرجات متفاوتة[١]. ويكون اثر الوراثة أكثر وضوحاً في النواحي الجسمية والعقلية، اما أثر البيئة فيظهر بوضوح أكثر في التكوين الخلقي والصفات النفسية والدوافع التي يكتسبها الفرد بالتعلم والخبرة، وكذلك ما يتكون عنده من اتجاهات وآراء ومثل عليا، وما يحصله من ضروب المعرفة والمهارات العملية وانواع الثقافة[٢].

اذاً تتبلور شخصية الفرد نتيجة تفاعل مكوناته الجسمية والعقلية مع البيئة التي يعيش فيها[٣]. بمعنى آخر فإن العوامل الوراثية والبيئية تشترك معاً في رسم مسار النمو من حيث إن الوراثة تعطي الاستعداد، وتحدد السقف الأقصى للنمو، والبيئة تعمل على انجاز هذا الاستعداد ليصير واقعاً[٤]. وإن كان بعضهم قد جعل العامل البيئي هو الاشد اثراً في تكوين شخصية الإنسان[٥].

ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام ـ بوصفه بشراً ـ، بمستثنى من هذه القاعدة،

=مفتخرا: جدي وجد رسول الله منفرد وفاطم زوجتي لا قول ذي فند.

وقيل لقثم بن العباس: بأي شيء ورث علي بن أبي طالب النبي دون العباس؟ قال: لأنه كان اشدنا به لصوقا واسرعنا به لحوقا، ابن شهرآشوب: المناقب: ٢/ ٣٥.

(١) مصطفى محمد الطحان: التربية ودورها في تشكيل السلوك: ص ١١٨ ـ ١٢٦.

(٢) جنان سعيد الرحو: اساسيات في علم النفس: ص٢٩٣.

(٣) محمد خليفة بركات: علم النفس التعليمي: ١/ ٤٣.

(٤) صالح محمد أبو جادو: علم النفس التربوي: ص ٥٧.

(٥) الطحان: التربية: ص ١٢٢ ـ ١٢٥. وينظر: أنس شكشك: علم النفس العام: ص١٤٢ ـ ١٤٣.

فقد اثرت هذه العوامل في جوانب من شخصيته الروحية والنفسية والأخلاقية، كما سيتضح لنا:

العامل الوراثي:

يقصد بالوراثة انتقال بعض الصفات إلى الفرد من ابويه عن طريق الجينات. سواء كانت هذه الصفات فطرية عامة في الجنس أم كانت من التغييرات التي استجدت في الاباء[1]. ولكن لا يمكن الوقوف عند أثر هذا العامل في حد الاكتساب على الابوين، بل ان عملية الاكتساب الوراثي للصفات والسمات قد تتجاوز إلى ما هو أبعد من ذلك إلى الاباء والاجداد، حتى يمكن ان تتصل باصل الخلقة. إذ قدر علماء الوراثة ان للانسان جزءا نوعيا خاصا لا يموت صاحبه، بل يمتد ويستأنف حياته في نسله، وقسموا الوراثة حسب المشابهة إلى ثلاثة اقسام:

١ ـ الوراثة بالتحيز: ومعناها أن يشابه الفرع أحد اصليه في كل الصفات أو معظمها، كأن يكون الولد مثل ابيه في كثير من صفاته الجسمية والعقلية.

٢ ـ الوراثة بالائتلاف: وهو مخالفة الفرع لصفات اصلية، كأن يخالف الابن ابويه في مظاهرهما الشكلية.

٣ ـ الوراثة بالاقتران: وهي أن يكون الفرع مشابها لأحد اصليه في صفات، ويشابه للثاني في صفات أخرى، واكد ذلك (مندل)[2] فقال: إنّ كثيراً من الصفات الوراثية تنتقل وبدون تجزئة أو تغير من أحد الاصلين أو منهما إلى الفرع.

---

(١) أبو جادو: علم النفس: ص ٥٧.

(٢) هو الكيميائي الأمريكي (Mendel Lafayette Benedict) ولد في ١٨٧٢م، درس في بيل وبريسلاووفرابيرغ، وترقى إلى أستاذ الكيمياء الوظيفية (الفيزيولوجية) في بيل، اكتشف فيتامين (A) ووظيفة فيتامين (C) توفي ١٩٣٥م. ينظر: صفاء كامل الجبوري: موسوعة العلماء والمكتشفين والمخترعين ص٣٩٩.

٤ ـ وقد يرث الإنسان صفات اجداده السابقين ومميزاته الشكلية[١].

ويقول الدكتور (الكسيس كاريل)[٢]: "يمتد الزمن مثلما يمتد في الفراغ إلى ما وراء حدود جسمه، وحدوده الزمنية ليست أكثر دقة ولا ثباتا من حدوده الاتساعية فهو مرتبط بالماضي والمستقبل على الرغم من أن ذاته لا تمتد خارج الحاضر. وتاتي فريدتنا كما نعلم إلى الوجود حينما يدخل الحويمن في البويضة ولكن عناصر الذات تكون موجودة قبل هذه اللحظة ومبعثرة في انسجة ابوينا واجدادنا واسلافنا البعيدين جداً لانا مصنوعون من مواد آبائنا وامهاتنا الخلوية، وتتوقف في الماضي على حالة عضوية لا تتحلل... وتحمل في انفسنا قطعا ضئيلة لاعداد من اجسام اسلافنا وما صفاتنا ونقائصنا الا امتداد لنقائصهم وصفاتهم..."[٣].

هذا المعنى أشار إليه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله من قبل، إذ يروى: أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله: "يا رسول الله! ولد لي غلام اسود، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فأنى كان ذلك؟ قال: ما ادري. قال: فهل لك من ابل؟ قال: نعم. قال: فما الوانها؟ قال: حمر. قال: فهل بينها جمل اورق؟[٤] قال: فيها ابل اورق. قال: فانى ذلك؟ قال: ما ادري يا رسول الله، إلا أن يكون نزعه عرق. قال: هذا لعله نزعه عرق"[٥].

فالحديث هنا صريح في أن الابناء والاحفاد يرثون اغلب صفات آبائهم واجدادهم النفسية والجسمية، وأنها تنتقل إليهم بلا ارادة واختيار. فما الذي

---

(١) الصائغ: علي عليه السلام بين أمه وابيه: ص ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) هو عالم الاحياء والجراح الفرنسي (Alexis Carrel) ولد في ١٨٧٣ وتعلم في ليون، وقام بدراسات طبية في جامعتي ليون وشيكاغو، منح جائزة نوبل للطب سنة ١٩١٢م، توفي سنة ١٩٤٤م. ينظر: الجبوري: موسوعة العلماء ص٣١٤.

(٣) الصائغ: علي عليه السلام بين أمه وابيه: ص ٤٦ ـ ٤٧.

(٤) الاورق: جمل ابيض يخالط بياضه سواد. ينظر: الشربيني: مغني المحتاج: ٣: ٣٧٤.

(٥) النسائي: السنن الكبرى: ٦/ ١٧٩. وينظر: الشافعي: كتاب الام: ٧/ ٣٢، كتاب المسند: ص ٢٧٠. ابن حنبل: المسند: ٢/ ٢٣٤. ابن قدامة: المغني: ٩/ ٤٣ ـ ٤٤.

ورثه أمير المؤمنين عليه السلام من اسلافه؟ في البدء يمكن القول: لو تأملّنا قليلاً في حديث للنبي صلى الله عليه وآله، إذ يقول: "ان الله تبارك وتعالى خلق عليا من نوري، وخلقني من نوره، وكلانا نور واحد..."(١). وفي حديث اخر: "كنت انا وعلي بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم..."(٢). فلقد كانا صلوات الله عليهما في ارادة الله الازلية، نورين متعانقين بساق عرشه، فلسنا مبالغين إن قلنا: إن لعلي بن أبي طالب عليه السلام وجودا في الارادة الازلية الربانية(٣).

ثم يقول صلى الله عليه وآله: "فلما خلق الله تعالى آدم سلك ذلك النور في صلبه، فلم يزل الله تعالى ينقله من صلب إلى صلب حتى اقره في صلب عبد المطلب، فقسمه قسمين: قسما في صلب عبد الله، وقسما في صلب أبي طالب، فعلي مني وانا منه، لحمه لحمي، ودمه دمي"(٤)، وفي حديث: "إنّ الله عز وجل نقلنا من صلب آدم عليه السلام في اصلاب طاهرة إلى ارحام زكية، فما نقلت من صلب الا ونقل علي معي، فلم يزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنة، واستودع عليا خير رحم وهي فاطمة بنت اسد..."(٥). بمعنى: ان الله قد قدر في سابق علمه لهذا النور أن ينزل إلى الاصلاب الطاهرة من آدم عليه السلام، "**كُلَّمَا نَسَخَ اللَّه الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَه فِي خَيْرِهِمَا**"(٦)، "**مُسْتَقَرُّه خَيْرُ مُسْتَقَرّ، ومَنْبِتُه أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، ومَمَاهِدِ السَّلَامَةِ**"(٧)، حتى انتهى إلى

---

(١) الكنجي الشافعي: كفاية الطالب: ص٤٠٦. المرعشي: شرح احقاق الحق. ٧/ ٤٨٨.

(٢) ابن مردويه: المناقب: ص ٢٨٦. الخوارزمي: المناقب: ص ١٤٥ ـ ١٤٦. الاربلي: كشف الغمة: ١/ ٣٠١. الزرندي: معارج الوصول: ص ٣٣، نظم درر السمطين: ص ٧٩. البحراني: غاية المرام: ١/ ٢٨.

(٣) الأسدي: الإمام علي بين طهر الميلاد ومجد الاستشهاد: ص ١١.

(٤) ابن مردويه: المناقب: ص ٢٨٦. الخوارزمي: المناقب: ص ١٤٥ ـ ١٤٦. الاربلي: كشف الغمة: ١/ ٣٠١. الزرندي: معارج الوصول: ص ٣٣، نظم درر السمطين: ص ٧٩. البحراني: غاية المرام: ١/ ٢٨.

(٥) الكنجي الشافعي: كفاية الطالب: ص٤٠٦. المرعشي: شرح احقاق الحق: ٧/ ٤٨٨.

(٦) نهج البلاغة: ص ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

(٧) نهج البلاغة: ص ١٧٨.

صلب عبد المطلب، فاجتزأ النور إلى جزأين، فجزأ في عبدالله والاخر في أبي طالب عليه السلام ثم نتج المولودان المباركان: النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.

فمن جانب انهما من اصل نوراني واحد، ومن جانب آخر، فإنَّ اصل ارومتهما نبوية خالصة، إذ كما قال صلى الله عليه وآله في معنى الآية: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[1]، أي من "نبي إلى نبي"[2]، وفي حديث أمير المؤمنين عليه السلام ما يعضد هذا التأويل؛ إذ يقول في معرض حديثه عن اصل النبي صلى الله عليه وآله: "**فَأَخْرَجَه مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وأَعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَه، وانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَه**"[3]. وهي شجرة النبي إبراهيم عليه السلام[4].

وبهذا يكون الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد ورث صفات جسدية وعقلية ونفسية من تلك الاصلاب النبوية والارحام النورانية، التي لم يخامرها رجس ولا شرك.

ويدلّنا على ذلك بوضوح قوله صلى الله عليه وآله في حديث الأشباه[5] وهو من

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات: ١/ ٢٥. ابن أبي حاتم: تفسير: ٩/ ٢٨٢٨. الطبراني: المعجم الكبير: ١١/ ٢٨٧. الثعلبي: الكشف والبيان: ٧/ ١٨٤. الطوسي: التبيان: ٨/ ٦٨. البغوي: معالم التنزيل: ٣/ ٤٠٢. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣/ ٤٠١. ابن كثير: البداية والنهاية: ٢/ ٣١٤، السيرة النبوية: ١/ ١٩١. السيوطي: الدر المنثور: ٥/ ٩٨. الشوكاني: فتح القدير: ٤/ ١٢٠.

(٣) نهج البلاغة: ص ١٧٦.

(٤) محمد عبده: نهج البلاغة (شرح): ص ١٤١.

(٥) ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة وطرق متعددة، ينظر: يحيى بن الحسين: التحفة العسجدية: ص١٣١. الصدوق: كمال الدين: ص٢٥ ـ ٢٦. ابن مردويه: المناقب: ص١٤٧. المفيد: الأمالي: ص١٤. الطوسي: الأمالي: ص٤١٧. الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل: ١/ ١٠٣، ١٣٧. الخوارزمي: المناقب: ص٨٣. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٣١٣. ابن شهر اشوب: المناقب: ٣/ ٥٧. ابن الفتال: روضة الواعظين: ص١٢٨. ابن جبر: نهج الإيمان: ص٦٦٤ ـ ٦٦٥. ابن البطريق: العمدة: ص٣٦٩. العلامة الحلي: كشف اليقين: ص٥٢ ـ ٥٤، نهج الحق وكشف الصدق: ص٢٣٦ ـ ٢٣٧. ابن طلحة الشافعي: مطالب السؤول: ص١٢٩. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٧/ ٢٢٠. ابن شاذان: الروضة: ص٣٤، الفضائل: ص ٩٨. الشامي: الدر النظيم: ص٢٧٠. ابن ميثم: النجاة في القيامة في=

الأحاديث المعروفة: "من أحبَّ ان ينظر إلى آدم في خلقه، وانا في خلقي، وإلى إبراهيم في خلّته، وإلى موسى في مناجاته، وإلى يحيى في زهده، وإلى عيسى في سنته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب إذا خطر بين الصفين، فكأنما يتقلع من صخر أو يتحدر من دهر"(١).

وفي لفظ آخر لهذا الحديث: "من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في خلته، وإلى موسى في مناجاته، وإلى عيسى في سنته، وإلى محمد صلى الله عليه وآله في تمامه وكماله، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كانما ينقلع من صبب، وينحط من جبل"(٢). وفي رواية: "من أراد ان ينظر إلى يوسف في جماله، وإلى إبراهيم في سخائه، وإلى سليمان في بهجته، وإلى داود في قوته، فلينظر إلى هذا"(٣).

تجدر الإشارة إلى أن الشواهد المارة الذكر ـ في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وكلمات الإمام عليه السلام ـ وان كانت تدلل على أثر للجانب الوراثي الرسالي بالدرجة الاساس الا انها لا تخلو من دلالة على اكتساب بعض الموروثات العقلية والجسمانية.

وأمّا ما ورثه واكتسبه من أبويه خاصة، فغير خاف على كلِّ متأمِّل في سيرة هذين الابوين الموحدين الطاهرين وما تميزا به من خصال الشرف والنبل والكرم والشجاعة وغيرها من سمات كانت قد تركت اثراً كبيراً في شخصّية أمير المؤمنين عليه السلام، ولا يتسع المجال هنا للتفصيل في هذا الجانب، ونقتصر على إشارة ابن أبي الحديد حيث عد ابوة أبو طالب من فضائل أمير

=تحقيق أمر الامامة: ص١٦١. الاربلي: كشف الغمة: ١/ ١١١. المحب الطبري: ذخائر العقبى: ص٩٣ ـ ٩٤. الذهبي: ميزان الاعتدال: ٤/ ٩٩. الايجي: المواقف: ٣/ ٦٢٦. ابن كثير: البداية والنهاية: ٧/ ٣٩٢. القاضي الجرجاني: شرح المواقف: ٨/ ٣٦٩. ابن حجر: لسان الميزان: ٦/ ٢٤. ابن الصباغ: الفصول المهمة: ١/ ٥٧١. القندوزي: ينابيع المودة: ١/ ٣٦٣.

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٢٨٨.

(٢) الطبري الصغير: المسترشد: ص ٢٨٧.

(٣) ابن شهراشوب: المناقب: ٣/ ٥٧.

المؤمنين عليه السلام إذ يقول: "وما اقول في رجل ابوه أبو طالب سيد البطحاء وشيخ قريش ورئيس مكة"(١) وقال أيضاً: "ان عليا عليه السلام كان يدعي التقدم على الكل، والشرف على الكل، والنعمة على الكل، بابن عمه صلى الله عليه وآله، وبنفسه، وبأبيه أبي طالب، فأنه من قرأ علوم السير عرف ان الإسلام لولا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكورا"(٢).

اما أمه فتعد من شواخص نساء التاريخ، وهي الزوجة الوحيدة لأبي طالب عليه السلام، اسلمت بعد عشرة من المسلمين فكانت الحادية عشرة، وهي أول امرأة بايعت النبي صلى الله عليه وآله من النساء وكان صلى الله عليه وآله يكرمها ويدعوها (امي)، وقد هاجرت إلى المدينة، ولما حضرتها الوفاة اوصت إلى النبي صلى الله عليه وآله فقبل وصيتها، وصلى عليها ونزل في لحدها(٣).

العامل البيئي:

البيئة: مفهوم له معنى خاص من وجهة نظر علم النفس؛ إذ يقصد بها جميع المؤثرات التي يتلقاها الفرد من المحيط الذي يكتنفه(٤).

أنّ المتتبع لسيرة أمير المؤمنين عليه السلام الشريفة، يلاحظ بدقة تدخُّل العناية الإلهية في كل شأن يرتبط بوجوده عليه السلام، منذ ولادته حتى استشهاده؛ مما يدل على أنّ هذا الوجود رشحة من ألطاف الله عز وجل، واطلالة من نوره على هذه الخليقة.

إن هذه الرشحة المقدسة فرضتها حاجة الإنسانية إلى هذا اللطف الرباني(٥)، واوضح مصداق على ذلك ولادته في بيت الله الحرام، فقد جرت

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١/ ١٤٢.

(٣) ولمزيد من التفاصيل عن ترجمتها ينظر: ابن سعد: الطبقات: ٨/ ٢٢٢. ابن عبد البر: الاستيعاب: ٤/ ١٨٩١. ابن الأثير: أسد الغابة: ٥/ ٥١٧. ابن حجر: الاصابة: ٤/ ٣٨٠.

(٤) أبو جادو: علم النفس: ص ٥٧.

(٥) الأسدي: الإمام علي عليه السلام بين طهر الميلاد: ص١٣.

مقادير السماء أن تكون "الكعبة"[١] التي هي قبلة الموحدين، موضعا لولادة علي بن أبي طالب عليه السلام، فكانت هذه الفضيلة مما انفرد بها عليه السلام[٢]، حتى عرف باسم وليد الكعبة[٣]. وكأنما كان ميلاده إيذانا بعهد جديد للكعبة، والعبادة فيها[٤].

ان هذا التخطيط الإلهي من أوضح الإشارات إلى طهر هذه الذات المصطفاة وقداستها، هذه الذات التي من أجلها استثنيت اعتبارات والتزامات شرعية هامة، الزم الله ـ عز وجل ـ بها سائر الناس تجاه بيته الحرام، كحرمة دخول النفساء والجنب، وقد استمر هذا الاستثناء من المادة الشرعية لخصوص رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام ليشمل كافة فصول حياتهما، مما يشير إلى وحدة الأصل بينهما، فقد ورد في الحديث الشريف: "يا علي! لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك"[٥]. ومن دلالات الولادة في بيت الله، أنّ الله أعدّ هذه الشخصيّة المطهرة لعملية تغييرية مهمة في بيته الحرام، وهي تطهيره من رجس الوثنية الجاهلية. فأعطاه الله عز وجل ذا الاختصاص بالولادة في بيته، وفاءً مقدَّما منه تعالى إلى الوجود المطهر الوفي المعطاء، الذي علم

(١) الكعبة: (لغة): كعبت الشيء أي ربعته، والكعبة البيت المربع، وسمي البيت الحرام بالكعبة لتكعيبه أي تربيعه، والعرب تسمي المكان المرتفع كعبة. ابن منظور: لسان العرب: ٧١٨/١.

(٢) أشارت الروايات لولادة حكيم بن حزام في الكعبة، وقد قام أحد الباحثين بتحقيق الروايات واثبت بطلانها وانفراد أمير المؤمنين عليه السلام بهذه المنقبة. ينظر: النصر الله: فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: (الصفحات جميعها).

(٣) النصر الله: شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد المعتزلي رؤية اعتزالية عن الإمام علي عليه السلام: ص ١٢٠ ـ ١٢١.

(٤) العقاد: عبقرية الامام: ص٤٣.

(٥) الترمذي: السنن: ٥/ ٣٠٣. أبو يعلى: المسند: ٢/ ٣١١. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ١٤٠. الزيعلي: تخريج الحديث والاثار: ١/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٩/ ١١٥. المتقي الهندي: كنز العمال: ١١/ ٥٩٩. وفي حديث ان هذا الاستثناء شمل جميع أهل بيته (، إذ قال صلى الله عليه وآله "لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد الا انا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ومن كان من أهلي فانهم مني". الصدوق: الأمالي: ص٤١٣، من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨. الطوسي: تهذيب الاحكام: ٦/ ١٥.

الله عز وجل أنّه الرجل الذي لا يتغير جوهره، ولا تنحرف حركته عن خط الرسالة الإسلامية المرتقبة، تحت أي ظرف من الظروف والاحوال، وكما كرمه الله عز وجل مع ذلك الشرف والقدر، ان جعل محطّ قدمه منكب رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ لم يتسن لعلي عليه السلام الصعود إلى سطح الكعبة الا على كتف النبي صلى الله عليه وآله[1].

وكما قدرت عناية السماء لهذا الإمام أن يولد في بيت الله الحرام، فقد جرت قدرتها في أن ينتقل منه إلى بيت الرسالة، ليحظى برعاية النبي الخاتم صلى الله عليه وآله بعد أن "غرس الله عز وجل فيه ادبه وغامض علمه استعداداً للتلقي من رسول الله صلى الله عليه وآله"[2]. فكانت أوضح ما تزخر به سيرته الشريفة هذه الفضيلة التي اختص بها دون سواه من الخلق، بأن يكون في كنف النبي صلى الله عليه وآله. واللافت للنظر أنّه صلى الله عليه وآله قد تعاهده منذ صغره، بل منذ أن كان وليدا.

ومن كان في طفولته واجداً لأثمن الذخائر الروحية والمادية من الوجهة الوراثية، ومن ناحية التربية قد تلقى المثل في اطهر اسرة، وكان مربيه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، لذا فهو جدير بأن يكون في الكبر قائد السعادة البشرية وامير جيش الإيمان والتقوى[3].

وعندما نقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد تبنّى تربيته واعداده عليه السلام، لا نعني أن تربية النبي صلى الله عليه وآله للإمام عليه السلام كانت على نحو التأسيس لشيء كان يفتقده عليه السلام، أو تعليمه لعلم كان يجهل اسسه وقواعده، بل كان ذلك لعدة اغراض:

١ ـ إثارة المواهب الكامنة في ذاته وتنميتها، بالاسلوب الطبيعي الذي يخرج المسألة عن الاعجاز المحض.

---

(١) الأسدي: الإمام علي عليه السلام بين طهر الميلاد: ص ١٤.
(٢) الأسدي: الإمام علي عليه السلام بين طهر الميلاد: ص ٢٧
(٣) محمد تقي فلسفي: الطفل بين الوراثة والتربية: ١/٢١٧.

٢ ـ الكشف عن هذا الاستعداد الذي تلقّاه الإمام علي عليه السلام في المعهد الرباني الأول.

٣ ـ تأكيد الشعور في نفسه، بفضل رسول الله صلى الله عليه وآله عليه.

٤ ـ إلفات نظر الأمة إلى جوهر الصلة الرابطة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

والامر الجدير بالطرح هنا حول هذه العلاقة الخاصة الخالصة ما بين النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام، هل يمكن ان تقف عند حد علاقة رحم فيما بينهما؟ أو انها تلتزم جانبا خاصا محدودا على مستوى توفير سكن ومأكل وملبس؟ كما تحاول بضعة روايات بائسة ان تحجم ابعاد تلك العلاقة الفريدة، لتعللها تعليلا يقف بهذه الاصرة عند حد ازمة اقتصادية عصفت بمكة فاضطرت والد أمير المؤمنين عليه السلام إلى تفريق أولاده بين اقربائه، فيكون أمير المؤمنين عليه السلام من حصة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وبهذا تكون هذه الأزمة الاقتصادية من نعم الله على الإمام عليه السلام إذ قادته اتفاقا إلى أحضان بيت الرسالة لينشأ في كنف النبي صلى الله عليه وآله، وبهذا يكون سبق اسلامه أمراً طبيعياً ما دام قد عاش في ظل تلك البيئة الرسالية التي تلقت وحي السماء، فأذعن افرادها للتكليف الإلهي، وكانوا سباقين لاعتناق الدين الإسلامي.

وهذا ما يتضح من الرواية التي تقول في مطلعها، عن ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج، قال: "كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب أو مما صنع الله له، واراده به من الخير، ان قريشا اصابتها ازمة شديدة..." ثم ساق الراوي تفاصيل ما جرى وكيف كانت هذه الأزمة ذات مردود طيب على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حصراً "فرب ضارة نافعة"، ولكنها تركت اثارها السلبية على غيره بما فيهم ابويه اللذين اضطرا إلى التنازل عن أبنائهم ومفارقتهم حسب زعم الرواية كما سيتضح لنا: ".. وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه

(١) الأسدي: الإمام علي عليه السلام بين طهر الميلاد: ص ٢٧.

[وآله] وسلم للعباس عمه، وكان من ايسر بني هاشم: يا عباس، ان اخاك أبا طالب كثير العيال، وقد اصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه، فلنخفف من عياله، آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً، فنكفلهما عنه، فقال العباس: نعم، فانطلقا حتى آتيا أبا طالب، فقالا له: انا نريد أن نخفف من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما عقيلا فاصنعا ما شئتما ـ قال ابن هشام: ويقال عقيلا وطالبا، فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه إليه، واخذ العباس جعفرا فضمه إليه، فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا، فاتبعه علي رضي الله عنه، وآمن به وصدقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه"[١].

ونحن نتفق مع ما جاء لدى باحثين[٢] تناولا هذه الرواية بالنقد والتحليل، وخلصا إلى نتيجة متوافقة، وكان مما سجلا على ما ورد فيها من ملاحظات:

١ ـ إنّ السبب لدعوة النبي صلى الله عليه وآله عمه العباس أو العباس وحمزة عليه السلام معاً[٣]، هو بسبب الأزمة الاقتصادية التي حلت بقريش، ولكن ما بال هذه

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية: ١/ ١٦٢. الطبري: تاريخ: ٢/ ٥٧ ـ ٥٨. أبو الفرج: مقاتل الطالبيين: ص١٥. الصدوق: علل الشرائع: ١/ ١٦٩. الحاكم: المستدرك: ٣/ ٥٧٦. الثعلبي: الكشف والبيان: ٥/ ٨٤. الكراكجي: كنز الفوائد: ص١١٧. ابن عبد البر: الاستيعاب: ١/ ٣٨ ـ ٣٩. المحب الطبري: ذخائر العقبى: ص٥٨. الاربلي: كشف الغمة: ١/ ٧٧ ـ ٧٨. ابن الفتال: روضة الواعظين: ص٨٦. الطبرسي: إعلام الورى: ١/ ١٠٥ ـ ١٠٦. الخوارزمي: المناقب: ص٥١. ابن شهر آشوب: المناقب: ٢/ ٢٧. ابن البطريق: العمدة: ص٦٣. ابن جبر: نهج الإيمان: ص١٦٧. ابن الأثير: الكامل: ٢/ ٥٨. البري: الجوهرة في نسب الإمام علي وآله: ص١٠. ابن طلحة الشافعي: مطالب السؤول: ص٥٨ ـ ٥٩. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/ ١٩٨ ـ ١٩٩. ابن طاووس: الطرائف: ص١٧ ـ ١٨. ابن سيد الناس: عيون الاثر: ١/ ١٢٤ ـ ١٢٥. الذهبي: تاريخ الإسلام: ١/ ١٣٦. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/ ٣٤. ابن عنبة: عمدة الطالب: ص٥٩. ابن الصباغ: الفصول المهمة: ١/ ١٨١ ـ ١٨٢. ابن الدمشقي: جواهر المطالب: ١/ ٤١. الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد: ٢/ ٣٠١. الحلبي: السيرة الحلبية: ١/ ٤٣٢.

(٢) ينظر: النصر الله: فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ٢٠٩ ـ ٢١٠. المحمداوي: أبو طالب بن عبد المطلب دراسة في سيرته الشخصية وموقفه من الدعوة الإسلامية: ص ٧٧ ـ ٨٥.

(٣) ورد ان النبي صلى الله عليه وآله قد دعا عميه العباس والحمزة معا، ينظر: ابن شهر اشوب: المناقب: ٢/ ٢٧.

الأزمة شدت رحالها صوب بيت أبي طالب، على حين لم نسمع بأي اثر لهذه الأزمة على باقي البيوت القرشية.؟![١]

ثم ان المصادر لم تحدد لنا تاريخ هذه الأزمة[٢] التي اصابت قريشاً ومدى اثرها، وكم دامت؟ ويرجح ـ كما يبدو من الرواية ـ أنّها وقعت بعد زواج النبي محمد صلى الله عليه وآله من السيدة خديجة، لأن الرواية واضحة في الإشارة إلى أنّه صلى الله عليه وآله كان خارج بيت أبي طالب وانه متزوج وفي وضع مادي مقتدر يمكنه تخفيف الاعباء عن عمه[٣].

٢ ـ تشير الروايات إلى أن طالبا هو اكبر أولاد أبي طالب، فهو اكبر من عقيل بعشر سنوات، وعقيل اكبر من جعفر بعشر سنوات، وجعفر اكبر من علي بعشر سنوات! فإذا كان عليٌّ ابن ست سنوات، فلا مانع من أن يأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله ويربيه، ولكن هذا لا يصح بالنسبة إلى جعفر الذي هو ابن ست عشرة سنة، ولا بالنسبة لعقيل الذي له من العمر ست وعشرون سنة، والأمر يبدو مستحيلا بالنسبة لطالب الذي له من العمر ست وثلاثون سنة، مع ان عمر النبي صلى الله عليه وآله والحمزة وقتذاك ست وثلاثون سنة أيضاً[٤].

٣ ـ ما السبب في ايثار أبي طالب لولده الاوسط عقيل؟! وكان الاجدر إيثار الإمام علي عليه السلام لكونه الاصغر وبحاجة لرعاية والديه؟! فهل يريد الرواة الربط ما بين المعتقد المستقبلي لاولاد أبو طالب ومعتقد من رباهم؟! فعقيل

---

(١) النصر الله: فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ص٢١٠. الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة البصرة ص١٩ ـ ٢٠.

(٢) حدد أحد الباحثين تاريخا لهذه الأزمة بقوله "نص بعض المؤرخين انه بعد بناء البيت بسنة، وقبل البعثة بالنبوة باربع سنين كانت سنة اصابة قريش بقحط شديد كان من اثاره ان تكفل الرسول صلى الله عليه وآله بمعيشة علي عليه السلام عنده في داره مع اولاده". اليوسفي: موسوعة التاريخ الإسلامي: ١/٣٥١، ولكنه لم يدلنا على المؤرخين الذين نصوا على ذلك؟ الا ان يكون قد استوحى ذلك مما جاء عند ابن أبي الحديد بقوله: "وأخذ رسول الله عليا وهو ابن ست سنين". شرح نهج البلاغة: ١/١٥. وينظر: ابن شهر اشوب: المناقب: ٢/٢٧.

(٣) المحمداوي: أبو طالب: ص ٧٧ ـ ٧٨.

(٤) النصر الله: فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ص٢١٠.

بقي مشركا لأن اباه بزعمهم كان مشركا! اما طالب فسلك مسلك مربيه العباس فلم يؤمن ثم خرج في بدر لمحاربة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما فعل العباس! اما جعفر فاعتنق الإسلام لأن الحمزة قد أسلم[١]، وكذا الحال بالنسبة للإمام علي عليه السلام فلم يعبد الأصنام لتربيته في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

٤ ـ وضعت هذه الرواية لتدلل على عدم إيمان أبي طالب، فهناك تأكيد على أن إسلام عقيل كان بعد وفاة أبيه لأنّه بقي في بيته، فلذا فسّروا تأخر إسلام ولده بتأثير منه، ومن ثم فإن إشارة الرواية بإنّه كان الاقرب إلى قلب ابيه حتى قال: "اذا تركتما لي عقيلا فاصنعوا ما شئتم"، فلماذا يفضله على باقي أولاده؟ وهل كان أبو طالب يفاضل بين أولاده؟ ثم أليس الاصغر سنا في الغالب هو الاشد تعلقا بوالديه؟ أليس الأولى أن يبقى جعفر أو الإمام علي عليه السلام في كنفه لأنّهما اصغر منه؟ أم أنّ زعم الرواية لكونه الاشد قربا لقلب ابيه دعا الأخير لتفضيله على اخوته رغم كونهم اصغر منه سنا[٣].

٥ ـ وردت ثمة اختلافات في التفاصيل بين هذه الرواية وباقي الروايات، فمثلا الرواية أعلاه صرحت بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قصد عمه العباس. على حين ذكرت رواية أخرى انه قصد العباس والحمزة معا[٤]، وكما هو واضح من إشارة الرواية إلى إن أبا طالب قد طلب منهم ان يتركوا له عقيلا، فقط في حين يعقب ابن هشام بأنّه يقال عقيلاً وطالباً[٥].

---

(١) وفق إشارة الرواية القائلة بأن العباس قد اختار طالبا والحمزة قد اختار جعفرا. ينظر: أبو الفرج: مقاتل الطالبيين ص ١٥. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١/ ١٥.

(٢) النصر الله: فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ص ٢١٠.

(٣) المحمداوي: أبو طالب: ص ٨٢. وجدير بالذكر ان الباحث يشكك في صحة الحديث المنسوب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: (إني أحبك حبين حبا لقرابتك مني، وحبا لما كنت أعلم من حب عمي إياك). ابن سعد: الطبقات: ٤/ ٤٤. الطبراني: المعجم الكبير: ١٧/ ١٩١، الحاكم: المستدرك: ٣/ ٥٧٦، ولمزيد من التفاصيل عن سبب التشكيك من الباحث أعلاه ينظر كتابه: عقيل بن أبي طالب بين الحقيقة والشبهة: ص٢٢ ـ ٢٦.

(٤) ابن شهراشوب: المناقب: ٢/ ٢٧.

(٥) ابن طلحة الشافعي: مطالب السؤول: ص ٥٩.

وفي هذه الرواية وقع اختيار العباس على جعفر عليه السلام، فيما تشير رواية أخرى إلى أنّه ضم إليه طالبا الذي اهملت ذكره الرواية السابقة وانه بقي معه إلى يوم بدر ثم فقد ولم يعرف له خبر، وان الحمزة قد انتخب جعفرا وظل ملازما له حتى مقتله في أحد[١]، وتأتي رواية ابن معد[٢] لتعيد جعفرا مرة أخرى إلى أحضان العباس بن عبد المطلب، وتنقل طالبا إلى حمزة عليه السلام، وعلى الرغم من ان مصدر الرواية الأول ماخوذ عن ابن إسحاق، عن رواية مجاهد بن جبر، وان باقي المصادر قد نقلت عنه وصرحت بهذا النقل، الا أنّنا نلاحظ هذه الاختلافات والتناقضات في تفاصيل الرواية الواحدة!! وفي الوقت الذي اطنبت رواية ابن إسحاق أعلاه في بيان اقتسام أولاد أبي طالب ما بين النبي صلى الله عليه وآله واعمامه، اوجز البلاذري[٣] قائلاً: "وكان أبو طالب قد أقل واقتر فاخذ رسول الله صلى الله عليه وآله".

٦ ـ في إشارة لافتة للنظر يقف باحث مستغربا عند رواية الطبري قائلاً: "واكثر ما يدعو إلى الاستغراب، رواية الطبري التي اكدت وقوع الأزمة قبل البعثة، وان جعفرا بقي عند العباس إلى ما بعد البعثة، إذ أشار إلى ذلك بقوله: "فأنّ الإسلام قد جاء والعباس يموّن أبا طالب وعياله للأزمة التي أصابته ولولا أنّ العباس اخرج إلى بدر مكرها لمات طالب وعقيل جوعا"[٤].

ولتفنيد هذه الرواية يقول المحمداوي[٥]: "هل يجوز أن يستمر العباس في كفالته لجعفر حتى بعد زواجه وإسلامه؟ وإذا كان جعفر قد أسلم قديما، وقد اثبتنا أنّه من أوائل المسلمين، إذ قيل: إنّه كان ثالث من أسلم بعد الإمام علي عليه السلام وزيد بن حارثة، وهناك من يرى انه أسلم بعد خمسة وعشرين رجلاً،

---

(١) ابن شهراشوب: المناقب: ٢/ ٢٧.
(٢) الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ١٨٠.
(٣) انساب الاشراف: ٢/ ٩٠.
(٤) المحمداوي: أبو طالب: ص ٤٦، وينظر النص عند الطبري: تاريخ: ٦/ ١٩٩.
(٥) أبو طالب: ص ٨٠ ـ ٨١.

ومهما يكن من شيء فإنه أسلم مبكرا وهو في بيت العباس، فلماذا لم يسلم العباس، وبقي إلى فتح مكة كما يدعي من يؤكد تأخّر اسلامه؟ فضلاً عن ذلك عرف جعفر بسعة جوده وعطائه، فإذا كان فقيرا، فمن اين يعطي الفقراء حتى نعت بأبي المساكين، لأنه كان يأتي بهم إلى بيته، فإذا لم يجد لهم شيئاً اخرج لهم آنية فيها عسل فيلعقون منها، فإذا كان في بيت عمه هل يجوز له أن يعطي الفقراء من أموال عمه وكيف يجوز له ذلك وهو عالة على غيره "؟

ثم يستطرد معترضا على الرواية بمزيد من الملاحظات قائلاً: "يمكن رد رواية الطبري، بالعودة إلى مقدار أعمار أولاد أبي طالب، فإنّ اصغرهم الإمام علي عليه السلام أسلم وعمره حوالي إحدى عشرة سنة، وإذا أضفنا إلى عمره سنوات البعثة وهي عشر سنوات حتى هاجر النبي محمد صلى الله عليه وآله إلى المدينة، يصبح عمره حوالي إحدى وعشرين سنة مضافا إليها سنتان على اعتبار ان معركة بدر الوارد ذكرها، كانت سنة ٢هـ وبهذا يكون مجموع عمره الشريف ثلاث وعشرين سنة، فإذا كان عمر اصغرهم هكذا، فجعفر يعلوه بعشر سنوات، فيكون عمره طبعا ثلاث وثلاثين سنة، والحال نفسها مع عقيل الذي يكون عمره طبقا لما اوردناه ثلاثا واربعين سنة، وطالب على فرض وجوده يكون عمره ثلاثا وخمسين سنة، إذن كيف يكون العباس يمّون عيال أبي طالب وهم في مثل هذه الأعمار؟ أليسوا هم باعمار تسمح لهم بالعمل والزواج؟ وكيف لا وعقيل له عدة زوجات؟! "(١).

٧ ـ يلاحظ على شخصية طالب انه شخصية لا اساس لها من الصحة؛ إذ إن كتب التاريخ لم تقدم لنا أي معلومات عن شخصيته الا في هذه الرواية، والإشارة إلى خروجه في بدر مشركا، فهل القول بوجود شخصية طالب لمقاصد ما؟! أم أنَّ بعضهم تصور ان لأبي طالب ولدا اسمه طالب، فأبو

---

(١) المحمداوي: أبو طالب ص ٨١.

طالب اسم وليس كنية، كما في اسم أبي لهب وأبي جهل، والظاهر أن أبا طالب عرف بذلك لكثرة استجابته للمطالب[١].

٨ ـ تقول الرواية: إنّ أبا طالب كان كثير العيال قليل المال، والحال غير ذلك، فليس له من الأولاد الا ثلاثة وبنت واحدة هي أم هاني[٢]، أذا لاحظنا ان شخصية طالب لم تقو الادلة على اثباتها، وإذا استثنينا جعفرا وعقيلا لانهما كبيران وقت الأزمة، فلا يبقى الا الإمام علي عليه السلام وأمُّ هاني[٣].

ثم لما كان النبي محمد صلى الله عليه وآله يعيش في بيت أبي طالب، لم ترد الإشارة إلى تفاقم وضعه المعاشي واولاده آنذاك كانوا ما يزالون صغار العمر، فلم يتدخل العباس ولا غيره في التخفيف عن كاهله؟ فكيف وقد تزوج النبي صلى الله عليه وآله، وولداه عقيل وجعفر كانا في عمر ينبغي لهما العمل فيه[٤]؟.

هذا من جانب ومن جانب آخر فقد وردت شواهد تأريخية تفيد ان وضع أبي طالب المعاشي كان جيدا؛ إذ كان يعمل تاجرا وبائعا للعطور والبز[٥] وأنّه خرج إلى الشام لغرض التجارة[٦]. وهي من الادلة التي تثبت أنّه كان في وضع جيد ولم يكن فقيراً كما تصفه الرواية[٧].

٩ ـ يبدو أنّ هذه الرواية قد وضعت للطعن في تربية الإمام عليه السلام في كنف النبي صلى الله عليه وآله، وللقول بانها جاءت لأسباب مادية[٨]. إذ ان تربيته في بيت

---

(١) النصر الله: فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ص ٢١٠.

(٢) ادعت بعض الروايات وجود بنات وأبناء آخرين لأبي طالب الا ان التحقيق في تلك المرويات اثبت بطلانها. ينظر: المحمداوي: أبو طالب: ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) النصر الله: فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ص ٢١٠.

(٤) المحمداوي: أبو طالب: ص ٧٩.

(٥) ابن قتيبة: المعارف: ص٥٧٥.

(٦) ابن إسحاق: السير والمغازي: ص ٧٣.

(٧) لمزيد من التفاصيل يراجع: المحمداوي: أبو طالب: ص ٧١ ـ ٨٥.

(٨) النصر الله: فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ص ٢١٠.

النبي صلى الله عليه وآله هي التي جعلته يسبق الجميع في إسلامه، إذ لو قدر له وبقى في بيت ابيه لما كانت له هذه المكانة وهذا المقام الرفيع والسبق في الإسلام.

١٠ ـ أما عن سند هذه الرواية، فعلى الرغم من انتشارها اللافت للنظر في مصادر السيرة، فإن لها طريقين فقط، الأول كما هو واضح في رواية ابن هشام[١] ـ آنفة الذكر ـ ينتهي إلى ابن إسحاق، وهو اقدم من ذكرها الذي ينقلها عن مجاهد بن جبر[٢]، والطريق الثاني ورد برواية أبي الفرج الاصفهاني[٣] الذي اسندها إلى زيد الشهيد بن الإمام زين العابدين عليه السلام[٤].

والملاحظ أنّ هاتين الشخصيتين كليهما من التابعين، فبالنسبة إلى مجاهد ولد في سنة ٢٣هـ وتوفي سنة ١٠١هـ أو ١٠٣هـ أو ١٠٤هـ على اختلاف الأقوال في ذلك. اما زيد الشهيد فقد توفي سنة ١٢٢هـ. وتفصلهما عن الحادثة مدة زمنية، ومن ثم فإنّهما لم يسندا روايتهما إلى أحد الصحابة فجاءت مرسلة، وبهذا لا يمكن الاطمئنان إلى الرواية من ناحية السند.

نخلص إلى القول: إن العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام لم تقف عند الجانب المادي المزعوم، فأنّ أبا طالب عليه السلام كان من اشراف قريش وسادات مكة ووجهائها، وهو من تكفّل برسول الله صلى الله عليه وآله في طفولته ورعاه في هذه الجوانب، ونصب نفسه منصب الحماية له من غوائل الدهر ومصاعب الزمن.

---

(١) السيرة: ١/ ١٦٢.

(٢) أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي المكي، مولى قيس بن السائب، أحد أئمة التفسير، ولد سنة ٢٣هـ وتوفي سنة ١٠١هـ أو ١٠٢ أو ١٠٤. ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ: ١/ ٩٢ ـ ٩٣، سير اعلام النبلاء: ٤/ ٤٤٩ ـ ٤٥٧.

(٣) مقاتل الطالبيين: ص ١٥.

(٤) هو أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين (أحد سادة أهل البيت (علما وعملا، كان يقال له حليف القرآن، ومناقبه أجل من ان تحصى، وفضله أكثر من ان يوصف، وكان عين اخوته بعد الإمام الباقر عليه السلام، وكان ورعا فقيها سخيا شجاعا، ظهر بالسيف مطالبا بثأر الإمام الحسين عليه السلام وقد استشهد عليه السلام سنة ١٢٢هـ وصلب بالكناسة منكوسا اربع سنين. ينظر ابن حبان: مشاهير علماء الامصار: ص ١٠٤ ـ ١٠٥. الذهبي: سير اعلام النبلاء: ٥/ ٣٨٩ ـ ٣٩١. الامين: اعيان الشيعة: ٧/ ١٠٧ ـ ١٢٥.

فلا يعجزه جانب من هذه الجوانب المادية حتى يتصدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليرد الفضل إلى عمه، بإشباع هذه الجوانب في حياة الإمام علي عليه السلام، بل تلقاه بيت الرسالة بطلا في صدارة أبطال الحق، ورائدا في حركة التغيير، وموجها للامة إلى سبيل الهدى، حاملا لها شعلة الاصلاح والفضيلة، من مركز الفكر الناهض المشع، من مدرسة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي واصلت عطاءها في اعداد الإمام علي عليه السلام للقيادة العامة من بعده، وتهيئته لاستلام منصب الإمامة امتدادا لوجوده صلى الله عليه وآله وسلم[١].

والسؤال الجدير بالطرح: هل كان هذا الإعداد النبوي لشخصية أمير المؤمنين عليه السلام مقتصرا على جانب واحد كالسياسي فقط أو العقائدي أو الأخلاقي مثلا؟ وهل اقتصرت رعايته لشخص أمير المؤمنين عليه السلام على مرحلة الطفولة فقط؟

في الواقع أنّ الشواهد كثيرة على انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعد الإمام عليه السلام اعدادا متكاملاً، شاملاً لجميع الجوانب (روحياً وفكرياً وعقائدياً وسياسياً)، وهذا ظاهر ملحوظ بارقامه الكثيرة في حياة أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن جانب آخر فإنّ الاستعداد في ذات أمير المؤمنين عليه السلام كان عالياً ودقيقاً، مستوعباً للمفاهيم التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يغرسها في شخصيته عليه السلام. وقد روي عن العباس بن عبد المطلب قوله: لما سئل عن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذكور ايهم كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له اشد حبا؟ فقال العباس: علي بن أبي طالب عليه السلام، فقيل له: "سألتك عن بنيه؟ فقال: انه كان احب عليه من بنيه جميعاً وارأف، ما رأيناه زايله يوماً من الدهر منذ كان طفلا... وما رأينا أبا ابر بإبن منه بعلي، ولا ابنا اطوع لأب من علي له"[٢].

ويقول الفخر الرازي: لا نزاع ان عليا عليه السلام كان في اصل الخلقة في غاية

(١) الأسدي: الإمام علي عليه السلام بين طهر الميلاد: ص ٢٧ ـ ٢٨.
(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٢٠٠.

الذكاء والفطنة والاستعداد للعلم، وكان محمد صلى الله عليه وآله أفضل العقلاء واعلم العلماء، وكان علي عليه السلام في غاية الحرص في طلب العلم، وكان محمد صلوات الله عليه وآله في غاية الحرص في تربية علي وفي ارشاده إلى اكتساب الفضائل[(١)].

وفي إشارة لابن ميثم[(٢)] في بيان كماله عليه السلام بحسب القوى النظرية: "قد علمت ان كمال القوة النظرية إنما هو باستكمال الحكمة النظرية وهي كما علمت استعداد النفس الإنسانية بتصور المعارف الحقيقية والتصديق بالحقائق النظرية بقدر الطاقة البشرية، ولا شك ان هذه الدرجة كانت ثابتة له عليه السلام على اتم ما يمكن ادراكه لهذه الأشياء ادراك بحسب قوته الحدسية القدسية وادراك كثير الحكماء لها ادراك فكري محتاج إلى كلفة ومشقة يستلزم اغلاطا عظيمة لا يخلو عنها الا آحاد الحكماء: فاين أحدهما من الآخر؟!".

ان انتخاب أمير المؤمنين عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله كان مخططا هادفا لا شك ان للسماء اثراً واضحاً فيه، حتى قال ابن شهراشوب[(٣)]: "ولم يكن الرسول صلى الله عليه وآله ليتولى تأديبه ويتضمن حضانته وحسن تربيته الا على ضربين: اما على التفرس فيه أو الوحي من الله تعالى، فإن كان بالتفرس فلا تخطئ فراسته ولا يخيب ظنه، وان كان بالوحي فلا منزلة أعلى ولا حال ادل على الفضيلة والامامة منه. قال الشاعر:

ومن كفل النبي صبيا صغير السن عام المستنينا
وغذاه بحكمته فأضحى يفوق بها جميع الخاطبينا".

إن هذه العناية لم تكن مجرد علاقة رحم وقرابة، بل إن الأمر مرتبط بحياة هذه الأمة وهذه العلاقة ترتبط بامتداد فرع النبوة[(٤)].

---

(١) نقلها عنه في كتابه الاربعين: ابن طاووس: الطرائف: ص٥١٥. الشامي: الدر النظيم: ص ٢٦٠. الماحوزي: كتاب الاربعين: ص ٤٦١.
(٢) شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام: ص٢١٧.
(٣) المناقب: ٢٨/٢.
(٤) لطيف القزويني: رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ: ص ٩٥.

٢ ـ المصاهرة[١]:

ومن مصاديق منزلته الخصيصة عند النبي صلى الله عليه وآله ان خصه عليه السلام بأن يكون صهره؛ إذ تزوج عليه السلام من البنت الوحيدة[٢] للنبي صلى الله عليه وآله السيدة فاطمة عليها السلام وهي ذات الكمالات المعروفة والمنزلة السامية[٣]. وقد تم هذا الزواج بإرادة الهية، إذ روى عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله "يا علي ان الله أمرني ان اتخذك صهرا "[٤]، وعن الإمام الرضا عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أتاني ملك، فقال: يا محمد! ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: قد زوجت فاطمة من علي، فزوجها منه[٥]، وأيضاً روى عن أنس، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله فغشيه الوحي، فلما

---

(١) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٣٦٥.

(٢) وقد تباينت الروايات في عدد الأبناء والبنات الذين رُزقهم النبي صلى الله عليه وآله من السيدة خديجة، إلى ثلاثة آراء: ـ
الرأي الأول: يرى إن السيدة خديجة عليها السلام أنجبت من النبي صلى الله عليه وآله مجموعة من الأبناء والبنات، فالأولاد هم: القاسم، وعبد الله والطيب والطاهر على اختلاف الروايات فيهم، والظاهر انه ولد واحد وهو القاسم، والباقي مجرد ألقاب له، وقد مات القاسم بعد البعثة، وبه كان يكنى. ومن البنات له: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة عليها السلام، وكلهن أدركن الإسلام ومُتن قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله، عدا السيدة فاطمة عليها السلام والتي ماتت بعده. ابن إسحاق: السير والمغازي: ص ٨٢. ابن سعد: الطبقات: ١/ ١٣٣، ٨/ ١٦. اليعقوبي: تاريخ: ٢/ ١٤. ابن عبد البر: الاستيعاب: ٤/ ٢٨٠ ـ ٢٨١. ابن كثير: البداية والنهاية: ٢/ ٣٥٩.
الرأي الثاني: يقول بأن السيدة خديجة عليها السلام ولدت للنبي: السيدة فاطمة عليها السلام والقاسم فقط، أما باقي البنات فهن ربائب له صلى الله عليه وآله إذ كن بنات أختها هالة. العاملي: بنات النبي صلى الله عليه وآله أم ربائبه: ص ١٣ وما بعدها، وله: القول الصائب في إثبات الربائب: ص١٦ وما بعدها، الطائي: نساء النبي صلى الله عليه وآله وبناته: ص ٦٥ ـ ٧٠، ١٢١ ـ ١٢٢. الحلفي: نساء البيت الأموي: ص ٧٨ ـ ٨١.الرأي الثالث: ينفي وجود أبناء للسيدة خديجة عليها السلام غير السيدة فاطمة عليها السلام والقاسم، ويقول بأن باقي البنات إنما هنّ شخصيات مختلقة، وانه لا اصل لوجودهن، وبيّن فلسفة وضع الروايات القائلة بوجودهن، داعماً أرائه بالأدلة العقلية والنقلية. النصر الله: محاضرات ألقيت في جامعة الصدر الدينية: ص ١٨ ـ ٢٦.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن هذا الزواج المبارك ينظر: انتصار العواد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة تاريخية: ص ١٣٩ ـ ٢٤٠.

(٤) المحب الطبري: ذخائر: ص٨٦.

(٥) الخوارزمي: المناقب: ص٣٤٢.ابن الفتال: روضة الواعظين: ١/ ١٤٦. الحلي: المحتضر: ص١٣٥. المجلسي: البحار: ٤٣/ ١٠٥، ١٢٤.

سرى عنه قال: يا أنس أتدري ما جاءني به جبرائيل من عند صاحب العرش؟ قال: ان الله أمرني ان أزوج فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام[١]. وقد عدت هذه المصاهرة من أبرز فضائله عليه السلام وقد افضت إلى النسل الاطهر "أئمة أهل البيت عليهم السلام"، وقد كان الصحابة يغبطونه عليها، من ذلك ما روي عن عمر قوله: "لقد أوتي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم: زوجة ابنته فولدت له، وسد الأبواب إلا بابه، وأعطاه الراية يوم خيبر"[٢].

٣ ـ خلافته عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله (الامامة):

ان هذه العلاقة الفريدة التي جمعت بين النبي الأعظم صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام ـ إذ نال من لدنه صلى الله عليه وآله اهتماماً منقطع النظير، وإعداداً مميزاً لم ينله أحد سواه[٣] ـ مدعاة للتساؤل عن موقعية شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، التي استلزمت هذه الحظوة من لدن السماء على يد سيد المرسلين وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله؟ فما هو الهدف من وراء هذا الاعداد الإلهي المحمدي؟ بعد أن تخطت حدود العلاقة بينهما كل المسمّيات الثانوية، لتقف عند مرتكز اساسي بتدخل السماء في كل خطوة خطاها النبي صلى الله عليه وآله في طريق تهيئة شخصية أمير المؤمنين عليه السلام لمقام "الإمامة" باعتبارها الامتداد الضروري للنبوة؟

وقد عجّت خطب الإمام عليه السلام وكلماته الشريفة في نهج البلاغة بالإشارة

---

(١) الخوارزمي: المناقب: ص ٣٣٦. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣٧/ ١٣، ٤٢/ ١٢٩. الزرندي: نظم درر السمطين: ١٨٦. ابن حجر: لسان الميزان: ٥/ ١٦٣. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٣/ ٦٨٤

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف: ٧/ ٥٠. الحاكم: المستدرك: ٣/ ١٢٥. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٩/ ١٢٠. كما نسب هذا القول لابنه عبد الله بن عمر، ينظر: ابن حنبل: ٢/ ٢٦. القاضي المغربي: شرح الأخبار: ٢/ ١٨١. وأيضاً ما روي عن سعد بن أبي وقاص، ينظر: الدورقي: مسند سعد بن أبي وقاص: ص ٥١. ابن أبي عاصم: السنة: ص ٥٩٦.

(٣) كما سيتضح لنا ابعاد هذه العلاقة بشكل مركز في المبحث الثاني من هذا الفصل.

لهذا المقام "الإمامة" تصريحاً وتلويحاً، وليس غايتنا الخوض في تفصيلات هذا الموضوع كونه خارج موضوع البحث، لكن يمكن اجمال ابعاد موضوع الإمامة الذي طرح الإمام عليه السلام في اطاره رؤيته لهذا المقام الإلهي.

إن الذي يميز هذه الرؤية عن غيرها؛ كون الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو صاحب هذا المقام فهو الأولى في بيان ماهيته وشرائطه والمهام المناطة بشخصه لاكمال الدور النبوي المنقطع برحيل خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله.

يمكن من خلال استقصاء سريع وموجز للاشارات الواردة عن مقام الإمامة في نهج البلاغة ان نحدد الإطار العام لهذا الموضوع الهام دون تتبع التفصيلات والجزئيات، وسنستعرض ذلك وفق نقاط موجزة:

١ ـ أشار الإمام عليه السلام إلى وجوب الإمامة على الله سبحانه كما في قوله عليه السلام "**لَا تَخْلُو الأرض مِنْ قَائِمٍ لِلَّه بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً، وإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّه وبَيِّنَاتُه**"(١)، فالإمامة من مصاديق حجج الله على عباده، وهي واجبة في كل زمان ما دام التكليف باقياً، والأئمة اما ان يكونوا ظاهرين معروفين، أو مستترين من الخلق لعلة وضرورة اقتضتها الحكمة الإلهية كما هو حال الإمام الحجة المنتظر (عج).

٢ ـ يؤكد الإمام عليه السلام على اختصاص هذا المقام بنخبة مصطفاة من رهط النبي صلى الله عليه وآله، من ذلك قوله: "**إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ، غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، ولَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ**"(٢).

ثم عرّفهم بسمات خاصة بأنهم "**الأَقَلُّونَ عَدَداً والأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّه قَدْراً**"(٣)، "**أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وفِي الأرض مَجْهُولَةٌ**"(٤)، وشبههم

---

(١) نهج البلاغة: ص٦٨٦ ـ ٦٨٧.
(٢) نهج البلاغة: ص ٢٦٣.
(٣) نهج البلاغة: ص٦٨٧.
(٤) نهج البلاغة: ص٣٧١.

بنجوم السماء في دلالة على ضرورة استمرار الإمامة فيهم: **"أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ، إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ"**(١).

٣ ـ تعرض عليه السلام إلى خصائص أهل البيت عليهم السلام والتي اختصوا بها فاستحقوا هذا المقام الإلهي دون غيرهم، ومن تلك الخصائص: اصطفائهم من لدن الله سبحانه إذ خصهم بعنايته فهم كما قال عليه السلام: **"فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، والنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا"**(٢)، وقد عز نظيرهم في الوجود فلا يقاس بهم أحد(٣)، وقد اشاد القرآن بفضلهم ونزلت آياته بمدحهم **"فيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ"**(٤). و**"لَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ والْوِرَاثَةُ"**(٥)، فهم يمتلكون خصائص حق الولاية ولا يمتلك غيرهم تلك الخصائص. لذلك انحصرت فيهم الوراثة(٦).

ومن أبرز تلك الخصائص واهمها كونهم يشاركون النبي، بل الأنبياء جميعاً في خصائصهم، فهم من طين سيد البشر صلى الله عليه وآله ورزقوا فهمه وعلمه(٧).

ومن خصائصهم لزوم الرجوع إليهم في كل الامور **"هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ومَوْتُ**

---

(١) نهج البلاغة: ص١٨٦.

(٢) نهج البلاغة: ص ٥٢٨.

(٣) إشارة لقوله (: "لا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، ولَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْه أَبَداً" نهج البلاغة: ص٢٥.

(٤) نهج البلاغة: ص٢٨٣.

(٥) نهج البلاغة: ص٢٥.

(٦) يقول الدرويش: ليس مراده الوراثة بالمعنى المتعارف منها بين الملوك والسلاطين حينما يورثون ابناءهم مناصبهم بل ان كلمة الوراثة تحتمل التفسير بالاختصاص من باب الاستعارة؛ أي ان الولاية مختصة بهم، لذلك السبب الطبيعي التكويني، كما ان الارث يختص لأسباب معروفة. وقد فسر القرطبي لفظ الوراثة بهذا المعنى في الآية التي اطلقت لفظ "الوراثة" على اختصاص الصالحين بالجنة فقال: يحتمل ان يسمى الحصول على الجنة وراثة من حيث اختصاصهم بذلك دون غيرهم، فهو ارث بطريق الاستعارة. والتمعن في عبارة الإمام يكشف عن ارادة هذا المعنى بقوة بحيث قال: "ولهم خصائص حق الولاية" ولم يقل لهم حق الولاية. ينظر: علي كما وصف نفسه: ص٢١.

(٧) الدرويش: علي كما وصف نفسه: ص٢٢.

الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَم مَنْطِقِهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ ولَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وهُمْ دَعَائِمُ الإسلام، ووَلَائِجُ الِاعْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إلى نِصَابِهِ، وانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ، وانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ"[١]. إذ بين علة دعوة الناس إلى اتباعهم عليهم السلام، وفي نص آخر: "**فَأَيْنَ يُتَاه بِكُمْ؟ وكَيْفَ تَعْمَهُونَ؟ وبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ، وهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وأَعْلَامُ الدِّينِ، وأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، ورِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ**"[٢].

وفي نص قال عليه السلام: "**نَحْنُ الشِّعَارُ والأَصْحَابُ والْخَزَنَةُ والأَبْوَابُ، ولَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً**"[٣]، إلى غيرها من الخصائص التي انفردوا بها عليهم السلام.

٤ ـ ورد في نصوص النهج الإشارة إلى أهم المؤهلات الواجب توافرها في صاحب مقام "الإمامة"، يأتي في مقدمتها: العصمة، وهي وإن لم ترد باللفظ في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام الواردة في نهج البلاغة، لكنه ورد ما يدل عليها، كلزوم الطاعة لهم عليهم السلام: "**انْظُرُوا أهل بَيْتِ نَبِيِّكُمْ، فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ**"[٤]، هذا المقطع متحد في معناه ودلالته مع حديث الثقلين إذ يقول صلى الله عليه وآله: اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي[٥]. فهو دال على العصمة من جانبين:

الأول: اقترانهم بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد أشار عليه السلام لهذه الملازمة بين الكتاب والعترة في عدة نصوص منها: "**بِهِمْ**

(١) نهج البلاغة: ص ٤٨٩.
(٢) نهج البلاغة: ص١٤١.
(٣) نهج البلاغة: ص٢٨٣.
(٤) نهج البلاغة: ص ١٨١.
(٥) يعد حديث الثقلين من أشهر أحاديث النبي صلى الله عليه وآله الذي ورد ذكره في مختلف مصادر التراث الإسلامي. للتفصيل عنه ينظر: نجم الدين العسكري: حديث الثقلين (الصفحات جميعها)، الميلاني: حديث الثقلين (الصفحات جميعها).

عُلِمَ الْكِتَابُ وبِهِ عَلِمُوا"[١]، وفي قول يدل على انهم عليهم السلام مستودع كتبه: "**هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ، ولَجَأُ أَمْرِهِ، وعَيْبَةُ عِلْمِهِ، ومَوْئِلُ حُكْمِهِ، وكُهُوفُ كُتُبِهِ، وجِبَالُ دِينِهِ**"[٢].

الثاني: وجوب طاعتهم طاعة مطلقة "**وخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، ومَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ**"[٣].

إن من دلائل العصمة "الصدق" الذي يعد من الكمالات الذاتية إذ وصفهم عليهم السلام "**إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا**"[٤]. وفي وصف "**أَلْسِنَةُ الصِّدْقِ**"[٥] وفي قول آخر عنى به نفسه الشريفة: "**ومَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ولَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ**"[٦]. وأيضاً قال: "**وإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ... سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ**"[٧]. ومن أدلة العصمة أيضاً ملازمتهم للحق ملازمة دائمة من ذلك قوله عليه السلام: "**هم أزمة الحق**"[٨]، "**لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه**"[٩].

الأعلمية: اكد عليه السلام على أن العلم من سمات الإمام وجاء ذلك في موارد شتى في نهج البلاغة، منها قوله: "**إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الأمر أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ**"[١٠]، وفي قوله: "**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالأنبياء أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ**"[١١]، إلى غيرها من النصوص الناطقة بهذا المقام لهم عليهم السلام.

---

(١) نهج البلاغة: ص٧٤٩.
(٢) نهج البلاغة: ص ٢٥.
(٣) نهج البلاغة: ص١٨٥.
(٤) نهج البلاغة: ص ٢٨٣.
(٥) نهج البلاغة: ص١٤١.
(٦) نهج البلاغة: ص٤٠٦.
(٧) نهج البلاغة: ص٤٠٨.
(٨) نهج البلاغة: ص١٤١.
(٩) نهج البلاغة: ص٤٨٩.
(١٠) نهج البلاغة: ص٣٢٩.
(١١) نهج البلاغة: ص٦٧٠.

ثم بين عليه السلام مراتب الإمامة من حيث كونها مرجعية دينية كما دلت النصوص الآنفة الذكر من وجوب الرجوع اليهم عليهم السلام وملازمتهم وطاعتهم. وأيضاً كقيادة سياسية واجتماعية، كقوله: "**مَنْ نَصَبَ نَفْسَه لِلنَّاسِ إِمَاماً، فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِه قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِه...**"(١). وقوله عليه السلام: "**لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاه وإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الإِبِلِ ـ وإِنْ طَالَ السُّرَى**"(٢). ففي الأول المنصب للإمامة من الله، واما ما أشار له ففيه دلالة على الإمامة السياسية، وكذلك في النص الثاني إشارة إلى حق الإمامة كسلطة سياسية والا فإن حقه في الإمامة الإلهية لم يسلبه أحد.

٥ ـ وفي نصوص أخرى بين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وجوب معرفة الأمة للإمام وان لا عذر لهم في ذلك كما أشار عليه السلام: "**عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِه**"(٣)، "**ولَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وعَرَفُوه، ولَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وأَنْكَرُوه**"(٤).

هذا ملخص موجز لاهم الأفكار التي وردت في نهج البلاغة التي تخص مقام "الإمامة". وبهذا يكون هذا المقام دليل آخر على المنزلة الخصيصة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فهو وصيه والمؤدي عنه والمكمل لمشروعه الإلهي العظيم.



(١) نهج البلاغة: ص٦٥٦.
(٢) نهج البلاغة: ص٦٥٤.
(٣) نهج البلاغة: ص ٦٩٠.
(٤) نهج البلاغة: ص ٢٧٩.



المبحث الثاني

مستويات العلاقة بين النبي ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام

وفي محاولة لفهم مركز لعلاقة أمير المؤمنين عليه السلام بالنبي الأعظم ﷺ، ومن خلال الوقوف على الشواهد البيانية لتلك العلاقة في نهج البلاغة أو في بقية المرويات التاريخية يمكن أنّ نحدد مسارات تلك العلاقة من خلال عدة جوانب وبيان آثارها الناتجة عنها، وذلك من خلال دراستها على عدة مستويات هي:

أولاً: المستوى الروحي والأخلاقي.

ثانياً: المستوى العقائدي.

ثالثاً: المستوى الفكري أو العلمي.

أولاً: المستوى الروحي:

إنّ المتأمل في دلالات تلك المعاملة الفريدة التي حظي بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من لدن النبي الأعظم ﷺ، ليقف على رعاية حانية عظيمة انعدم نظيرها، إذ نراه عليه السلام يقول: "**وَضَعَنِي فِي حِجْرِه وأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إلى صَدْرِه، ويَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِه، ويُمِسُّنِي جَسَدَه، ويُشِمُّنِي عَرْفَه**"(١)، وهذا ما نجد صداه في بعض مرويات التاريخ، فحين ولد أمير المؤمنين عليه السلام، طلب النبي ﷺ من

---

(١) نهج البلاغة: ص ٤٠٦.

أُمّه السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام، أن تجعل مهده إلى جنب فراشه، وكان يلي أكثر تربيته، ويرعاه في نومه ويقظته، ويحمله على صدره وكتفه، ويحبوه بألطافه وتحفه[١]. بل إنه صلى الله عليه وآله كان يطهره وقت غسله

ويوجره اللبن عند شربه، ويحرك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته[٢]، وكان صلى الله عليه وآله يحمله دائماً ويطوف به في جبال مكة وشعابها وأوديتها[٣].

وقد بلغ من شديد عناية النبي صلى الله عليه وآله بالإمام علي عليه السلام انه كان "**يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيه**"[٤]، وفي رواية أنّه صلى الله عليه وآله كان: "يمضغ اللحمة والتمرة حتى تلين، ويجعلها في فم علي عليه السلام وهو صغير في حجره"[٥]، بل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وآله أول وجه يراه أمير المؤمنين عليه السلام حين ولادته، إذ "انه لما ولد علي لم يفتح عينيه ثلاثة ايام، فجاء النبي ففتح عينيه ونظر إلى النبي" فقال صلى الله عليه وآله: "خصني بالنظر وخصصته بالعلم"[٦].

ويمكن ان نستقي من هذه الروايات بضعة ايحاءات مهمة، وهي:

١ ـ ان هذه الطريقة الفريدة في تعامله صلى الله عليه وآله مع الإمام عليه السلام لم تكن نابعة من علاقة الرحم التي تربطه به عليه السلام، إذ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: "ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقربني ما تعلمونه من القرب للنسب واللُحمة"[٧]، فكل فعل منه صلى الله عليه وآله إنما كان لحكمة ولا يمكن أن يكون اعتباطيا، فهو صلى الله عليه وآله وإن لم يكن في تلك المدة مكلف بتبليغ الرسالة السماوية، فإنه ـ وبلا أدنى شك ـ كان مسدداً من الله عز وجل[٨]، فكل ما يصدر منه فهو لحكمة بلا شك.

---

(١) الكراكجي: كنز الفوائد: ص ١١٧. العلامة الحلي: نهج الحق: ص ٢٣٣.

(٢) ابن شهراشوب: المناقب: ٢/ ٩٢.

(٣) العلامة الحلي: نهج الحق: ص ٢٣٣.

(٤) نهج البلاغة: ص٤٠٦.

(٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٢٠٠. ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٣١٣

(٦) ابن شهر اشوب: المناقب: ٢/ ٢٧.

(٧) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٢٠/ ٢٩٩.

(٨) هذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "ولقد قرن الله به ـ صلى الله عليه وآله ـ من لدن ان كان فطيما اعظم ملك=

٢ ـ ما ذكره الإمام أمير المؤمنين عليه السلام اعلاه، وما يضارعه في مظان الروايات التاريخية الآنفة فيما يتعلق بتعهد النبي صلى الله عليه وآله بتربيته عليه السلام، وتفاصيل معاملته له، يقودنا إلى ترجيح انتقاله إلى بيت النبي صلى الله عليه وآله في مرحلة طفولته، أي منذ أن كان وليداً، وليس كما ذكرته بعض المصادر الأخرى بأن عمره حين انتقاله إلى بيت النبي صلى الله عليه وآله ست سنوات، واشارت الروايات إلى أنّه نفس عمر النبي صلى الله عليه وآله حين انتقاله إلى بيت عمه أبي طالب صلى الله عليه وآله[1]. فيما انفرد ابن شهرآشوب[2] بالقول: "ان النبي حين تزوج خديجة قال لعمه أبي طالب اني احب ان تدفع اليّ بعض ولدك يعينني على أمري ويكفيني واشكر لك بلاك عندي فقال أبو طالب خذ ايهم شئت فاخذ عليا عليه السلام".

التأمل في ظاهر هذا الخبر يبعد التسليم له؛ إذ كيف يمكن أن يكون النبي صلى الله عليه وآله أخذه إليه "حين تزوج خديجة" في حين إن عليا عليه السلام ولد بعد ثلاثين سنة من عام الفيل ـ على المشهور ـ، وهو صلى الله عليه وآله قد تزوج خديجة قبل ذلك بخمس سنين على المشهور أيضاً! اللهم إلا أن يحمل الخبر على خلاف المشهور في ميلاد الإمام علي أو زواج خديجة عليه السلام أو المسامحة في قوله "حين تزوج خديجة" بأكثر من سبع سنين[3].

ولكن ثمة تساؤل هنا: هل يمكن طرح احتمال أن يكون الإمام عليه السلام قد عاش سنوات طفولته في كنف والديه، وان النبي صلى الله عليه وآله ـ بحكم علاقته بالبيت الذي نشأ فيه ببيت عمه أبي طالب عليه السلام ـ كان يرتاده ويزوره حتى بعد زواجه بالسيدة خديجة واستقلاله ببيتهما، فيكون صلى الله عليه وآله قد تولاه عليه السلام، بتلك الرعاية إلى أن بلغ عمر الاربع سنوات أو الست سنوات ثم انتقل بعدها إلى بيته صلى الله عليه وآله ونشأ في كنفه؟

=من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن اخلاق العالم، ليله ونهاره". نهج البلاغة: ص ٤٠٦.

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/ ١٥.

(٢) المناقب: ٢/ ٢٨.

(٣) اليوسفي: موسوعة التاريخ الإسلامي: ١/ ٣٥١هـ، ٢.

إن التأمل في كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الانفة الذكر، ومن يراقب فصول سيرته الشريفة ـ كما تحكيها الروايات التأريخية ـ سيجدها تنطق بوضوح أنّ النبي صلى الله عليه وآله تكفل تربية أمير المؤمنين عليه السلام منذ صغره، وتعد هذه القضية من المسلمات، ومحل الخلاف فقط في السن التي انتقل فيها إلى بيت الرسالة، وان مقولة الإمام عليه السلام الآنفة الذكر، فضلاً عما يعضدها من روايات ذكرناها آنفاً تدلل على انه صلى الله عليه وآله تولى أمره منذ طفولته، وان ما قام به من تفاصيل تلك المعاملة تدل على قربه منه، والتصاقه به، بل يبدو الأمر أمر مداومة وليس عملا منفردا قام به صلى الله عليه وآله لمرة واحدة، كتعهده بحمله وتغذيته ومناغاته وغسله وقرب مهده من فراشه صلى الله عليه وآله، ومن غير المقبول القول: إن النبي صلى الله عليه وآله كان له فراش في بيت عمه ينام فيه بعيداً عن زوجته السيدة خديجة عليها السلام؟! فالذي يبدو اقرب للمعقول أنّه صلى الله عليه وآله نقله إلى بيته في كنفه وكنف زوجته بعد استئذانه من ابيه أبي طالب عليه السلام الذي لم يمانع كما مر في رواية ابن شهراشوب الانفة.

ولكن هل اقتصرت معاملة النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام على رعاية وحرص منقطع النظير على مرحلة الطفولة والصبا فقط؟

إن الذي تدلنا عليه الروايات ان هذه العلاقة الروحية التلازمية التي كانت بين النبي صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام دامت حتى آخر لحظات حياته، ومن شواهد ذلك ما جاء على لسان أمير المؤمنين عليه السلام، إذ يقول مفتخرا بتلك الرعاية التي كان يحظى بها من لدنه صلى الله عليه وآله:

"الا وانا خاصته... وخالصته، وصنوه[١]، ووصيه ووليه، وصاحب نجواه وسره"[٢].

---

(١) الصنو بالكسر: الصنو من النخل: نخلتان أو أكثر لهما أصل واحد، الاخ الشقيق. الفراهيدي: العين: ٧/ ١٥٨. ابن سلام: غريب الحديث: ٢/ ١٥. الجوهري: الصحاح: ٦/ ٢٤٠٤. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٣١٢. الفيروز آبادي: القاموس المحيط: ٤/ ٣٥٣.

(٢) المفيد: الأمالي: ص ٦. الطوسي: الأمالي: ص ٦٢٦. الاربلي: كشف الغمة: ٢/ ٣٩. حسن سليمان الحلي: المحتضر: ص ٦٣.

ان هذا القرب منه والاختصاص به إنما كان بأمر الله تعالى، إذ يقول صلى الله عليه وآله: "يا علي، إنّ الله عز وجل أمرني أن ادنيك ولا اقصيك، وأن اعلمك ولا اهملك، وأن اقربك ولا أجفوك"(١)، وهذه المنزلة الخصيصة هي التي اسهرت رسول الله صلى الله عليه وآله لحمى اصابت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة، إذ يقول عليه السلام: "أخذتني الحمى ليلة فاسهرتني، فسهر رسول الله صلى الله عليه وآله لسهري، فبات ليلته بيني وبين مصلاه، يصلي ما قدر له ثم يأتيني يسألني وينظر اليّ، فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح، فلما صلى بأصحابه الغداة قال: اللهم اشف عليا وعافه، فإنه اسهرني الليل مما به"(٢)، وفي رواية تحكي صنيعه معه صلى الله عليه وآله لما مرض مرضه، إذ يقول "مرضت مرة مرضه، فعادني رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل عليّ وانا مضطجع، فأتى إلى جنبي، ثم سجاني بثوبه، فلما رآني قد ضعفت قام إلى المسجد يصلي، فلما قضى صلاته، جاء فرفع الثوب عني ثم قال: "قم يا علي، فقد برأت". فقمت وكأني ما اشتكيت قبل ذلك. فقال صلى الله عليه وآله: "ما سألت ربي شيئاً الا اعطاني، وما سألت شيئاً لي الا وسألت لك مثله""(٣). ثم

---

(١) القضاعي: دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ص٨٧. وينظر: أبو جعفر الاسكافي: المعيار والموازنة: ص٣٠١. الكوفي: المناقب: ٢/ ٢١. الطبري: جامع البيان: ٢٩/ ٦٩. ابن أبي حاتم: تفسير القرآن: ١٠/ ٣٣٧٠. الصدوق: الخصال: ص٥٧٦. ابن مردويه: المناقب: ص٣٣٧. الثعلبي: الكشف والبيان: ١٠/ ٢٨. الطوسي: التبيان: ١٠/ ٩٨. الواحدي: أسباب النزول: ص٢٩٤. ابن المغازلي: المناقب: ص٢٥٠. المحسن بن كرامة: تنبيه الغافلين: ص١٧٤. الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل: ٢/ ٣٦٣ ـ ٣٧٧. الطبرسي: مجمع البيان: ١٠/ ١٠٧ ـ ١٠٨. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٣٧٦، ٤٨/ ٢١٧. الخوارزمي: المناقب: ص٢٨٢. ابن شهر اشوب: متشابه القرآن ومختلفه: ٢/ ٤٢، المناقب: ٢/ ٢٧٥. ابن البطريق: العمدة: ص٢٩٠. ابن جبر: نهج الإيمان: ص ٥٥١. العلامة الحلي: كشف اليقين: ص٣٩٠. ابن طلحة الشافعي: مطالب السؤول: ص١٢١. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ١٨/ ٢٦٤. الاربلي: كشف الغمة: ١/ ١١٨ ـ ٣٢٩. ابن كثير: تفسير: ٤/ ٤٤١. الهيثمي: مجمع الزوائد: ١/ ١٣١. السيوطي: الدر المنثور: ٦/ ٢٦٠، لباب النقول: ص٢٠١. الصالحي الشامي: سبل الهدى: ١١/ ٢٨٩. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٣/ ١٣٦. الشوكاني: فتح القدير: ٥/ ٢٨٢.

(٢) الطبرسي: الاحتجاج: ١/ ٢٣٣. ابن شهراشوب: المناقب: ٢/ ٦١

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٣١١.

إن هذه الآصرة فيما بينهما متبادلة في عمق ودِّها، فنجده عليه السلام يشير إلى هذا المعنى قائلاً: "وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد ان يتجه إلى موضع اعلمني بذلك، فكان إذا ابطأ في ذلك الموضع صرت إليه لاعرف خبره، لأنه لا يتصابر قلبي على فراقه ساعة"(١). وكانت له خلوة برسول الله صلى الله عليه وآله لم تكن لأحد غيره، وهذا مما خُصَّ به دون سواه، إذ يحدثنا قائلاً: "كان لي منه مجلس سرٍّ لا يطلع عليه غيري"(٢)، وفي قول آخر: "كان لي من رسول الله صلى الله عليه وآله مدخلان: بالليل وبالنهار، وكنت إذا دخلت عليه وهو يصلي تنحنح"(٣). و"كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة من السحر آتية فيها، فكنت إذا آتيت استأذنت، فإن وجدته يصلي سبَّح"(٤)، بل إنّه عليه السلام دخل عليه يوماً وهو في بعض حجراته فاستأذن عليه فأذن له، فلما دخل قال له صلى الله عليه وآله: "يا علي، أما علمت ان بيتي بيتك، فما لك تستأذن عليّ! فقال عليه السلام: فقلت يا رسول الله، احببت أن افعل ذلك" قال: "يا علي، احببت ما احب الله، واخذت بآداب الله"(٥).

ومن أوضح الدلائل على أنّ تلك العلاقة فيما بينهما لا مثيل لها، انها قد اثارت غيرة عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله فزجرها صلى الله عليه وآله قائلاً: "لا تؤذيني في علي، فإنه أخي في الدنيا وأخي في الآخرة"(٦).

وكيف لا تثار الغيرة والإمام عليه السلام قد كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله حال خاصة،

---

(١) الطبرسي: الاحتجاج: ١/ ٢٩٢.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٢٠/ ٣١٦.

(٣) ابن حنبل: المسند: ١/ ٨٠. ابن ماجة: السنن: ٢/ ١٣٢٢. النسائي: السنن: ٣/ ١٢. السرخسي: المبسوط: ١/ ٢٠٠. أبو بكر الكاشاني: بدائع الصنائع: ١/ ٢٣٥. البهوتي: كشف القناع: ١/ ٤٨٦.

(٤) أبو يعلى: المسند: ١/ ٤٤٥. النسائي: السنن: ٥/ ١٤١. المتقي الهندي: كنز العمال: ٤/ ١٣٢

(٥) ابن عقدة: فضائل أمير المؤمنين: ص ٥٢. ابن شاذان: مائة منقبة: ص٦٠. الكراكجي: كنز الفوائد: ص ٢٠٨.

(٦) الطوسي: الأمالي: ص٢٩٠. عماد الدين الطبري: بشارة المصطفى: ص٢٣٦. الطبرسي: اعلام الورى: ١/ ٣٦٨. ابن طاووس: التحصين: ص٥٤١.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "وكنت ادخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلة، وكل ليلة دخلة، فيخليني فيها ادور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه لم يكن يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه في بعض منازله اخلاني واقام عني نسائه فلا يبقى عنده غيري، وإذا اتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني"[١]، بل إنّه عليه السلام كان يلازمه ليلا ونهارا[٢]. وإذا ما رآه صلى الله عليه وآله تهلل وجهه فرحا، وإذا افتقده أو ابطأ عنه حزن وتألم، كما في الحادثتين أدناه: "دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في قبا ـ وعند نفر من أصحابه ـ فلما بصر بي تهلل وجهه وتبسم، حتى نظرت إلى بياض اسنانه يبرق، ثم قال: إليّ يا علي، إليّ يا علي، فما زال يدنيني حتى ألصق فخذي بفخذه، ثم اقبل على اصحابه، فقال: معاشر أصحابي، اقبلت اليكم الرحمة باقبال علي أخي اليكم معاشر اصحابي، ان عليا مني وانا منه، روحه من روحي، وطينته من طينتي، وهو أخي ووصيي، وخليفتي على امتي، في حياتي وبعد موتي، من اطاعه اطاعني، ومن وافقه وافقني، ومن خالفه خالفني"[٣].

والغريب انك تصادف في سيرته الشريفة، أنه كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتولى تغذيته بيديه الشريفتين وهو صغير، نجده يفعل مثيل هذا في شبابه أيضاً، إذ تقول الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: "اهدي إلى النبي صلى الله عليه وآله قنو[٤]موز ـ فجعل يقشر الموزة ويجعلها في فمي. فقال له قائل: إنك تحب عليا؟ قال: أو ما علمت أن عليا مني وأنا منه"[٥]. فلو فسر بعضهم ذاك الفعل معه في صغره

(١) الكليني: الكافي: ١/ ٦٤. ابن عقدة: فضائل أمير المؤمنين: ص ١٦٣. النعماني: الغيبة: ص ٨٢
(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٣٨٦.
(٣) الصدوق: الأمالي: ص ٨٨. البحراني: غاية المرام: ص ٢٤٤. المجلسي: البحار: ٤٠/ ٤.
(٤) قنو: العذق، ومنه عذق النخل، الطريحي: مجمع البحرين: ١/ ٣٥٠.
(٥) الخوارزمي: المناقب: ص ٦٤. الاربلي: كشف الغمة: ١/ ٩٥. ابن جبر: نهج الإيمان: ص٤٨٠ ـ ٤٨١. القندوزي: ينابيع المودة: ١/ ١٧٠.

على أنه مجرد عناية بطفل صغير تكفلها ذو رحم ينشد رد الفضل بها لابويه على ما فعلاه معه حال يتمه وحاجته اليهما، فماذا سيقول بهذا الصنيع منه صلى الله عليه وآله في حال شبابه عليه السلام؟!

وفي الواقع أن هذه الشواهد تقودنا إلى نتيجة اساسية مفادها: أنه لايمكن تحجيم ذاك الافق الواسع لعلاقة النبي صلى الله عليه وآله بربيبه المرتضى عليه السلام وايقافها عند حدود علاقة القرب والرحم ورد الجميل! لأنّ ما فعله معه في صغره ما زال دائبا على مثيله أو ما يقاربه من فعال في عمر الصبا والشباب وحتى آخر لحظات حياته معه صلى الله عليه وآله. وقد نسب إليه عليه السلام قوله:

ومن ضمني مذ كنت طفلا ويافعا وأنعشني بالبر والعلّ والنهلّ[١]

وبعد هذا حق له أن يفتخر واصفا طبيعة علاقته بالنبي صلى الله عليه وآله بقوله عليه السلام: "**وأَنَا مِنْ رَسُولِ اللّه كَالضَّوْءِ مِنَ الضَّوْءِ، والذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ**"[٢]، وفي قول آخر: "انا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالعضد من المنكب وكالذراع من العضد، وكالكف من الذراع، رباني صغيرا، وآخاني كبيرا"[٣].

وقد شبه الإمام عليه السلام نفسه بالضوء الثاني، وشبه رسول الله صلى الله عليه وآله بالضوء الأول، وشبه منبع الاضواء والأنوار بالشمس التي توجب الضوء الأول، ثم الضوء الأول يوجب الضوء الثاني"[٤]، وشبه نفسه عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله بالذراع الذي اصله العضد، كناية عن شدة الامتزاج والقرب بينهما[٥].

لقد أجاد ابن أبي الحديد بقوله: إنّ الإمام عليه السلام بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله: "شعاع من شمسه وغصن من غرسه، وقوة من قوى نفسه، ومنسوب إليه نسبة الغد إلى يومه، واليوم إلى امسه، فما هما الا سابق ولاحق، وقائد وسائق،

---

(١) ابن جبر: نهج الإيمان: ص ٤٣٢. المجلسي: البحار: ٣٤/ ٤٣٥.
(٢) نهج البلاغة: ص ٥٧٦.
(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٢/ ٣١٥.
(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠.
(٥) صبحي الصالح: نهج البلاغة (الشرح): ص ٥٧٦.

وساكت وناطق، ومجل ومصل، سبقا لمحة البارق، وانارا سدفه الغاسق..."(١)، ومن مظاهر اختصاصه عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وقربه منه، تلك المصاهرة الطيبة، إذ زوجه من السيدة فاطمة عليها السلام التي هي بضعة منه وروحه التي بين جنبيه صلى الله عليه وآله، تلك المصاهرة التي افضت إلى النسل الطاهر. وطالما افتخر أمير المؤمنين عليه السلام بذلك إذ قال:

محمد النبي أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي(٢)

فكان عليه السلام كفؤ ابنته التي لولاه لم يكن لها كفؤ على وجه الأرض آدم فما دونه(٣).

ثم إنّ هذه العلاقة الروحية الوثيقة بين النبي صلى الله عليه وآله واميرالمؤمنين عليه السلام نجدها تتمثل أيضاً في الأيام الأخيرة من عمر النبي صلى الله عليه وآله فقد كان عليه السلام إلى جواره، فلم يرسله ضمن سرية اسامة بن زيد إلى الشام، ثم هو الذي تولى غسله صلى الله عليه وآله وكفنه ودفنه(٤).

يقول عليه السلام: **"ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَه لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه [وآله] وسلم لِقَاءَه، ورَضِيَ لَه مَا عِنْدَه وأَكْرَمَه عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، ورَغِبَ بِه عَنْ مَقَامِ الْبَلْوَى، فَقَبَضَه إليه كَرِيماً"**(٥).

وقد كان عليه السلام الاقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله في لحظاته الاخيرة، بل إنّه صلى الله عليه وآله فاضت روحه الزكية في حجر أمير المؤمنين عليه السلام، إذ يعبر عن ذلك قائلاً:

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣.

(٢) البلاذري: انساب الاشراف: ٥/ ١١١. ابن عقدة: الولاية: ص١٧١. المفيد: أقسام المولى: ص٣٨، الفصول المختارة: ص٢٨٠. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٢٣/ ٥٤. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٤/ ١٢٢. الزرندي: نظم درر السمطين: ص٩٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٩. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٣/ ١١٢.

(٣) الكليني: الكافي: ١/ ٤٦١. الصدوق: الأمالي: ص٦٨٨، الخصال: ص٤١٤. المفيد: المسائل العكبرية: ص١٢٠. الطبري الصغير: دلائل الامامة: ص٨٠. ابن الفتال: روضة الواعظين: ص١٤٨.

(٤) النصر الله: شرح نهج البلاغة: ص ١٣٣.

(٥) نهج البلاغة: ص٢١.

"**وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وإِنَّ رَأْسَه لَعَلَى صَدْرِي، وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُه فِي كَفِّي فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي**"(١). وفي موضع ثان قال: "**وفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وصَدْرِي نَفْسُكَ**"(٢)، وجعلها عليه السلام خصوصية احتج بها إذ قال: "أفيكم أحد ولي غمض رسول الله صلى الله عليه وآله مع الملائكة غيري؟ أفيكم أحد ولي غسل النبي صلى الله عليه وآله مع الملائكة يقلبونه لي كيف اشاء غيري؟"(٣).

وقال: "أفيكم أحد كان آخر عهده برسول الله صلى الله عليه وآله حتى وضعه في حفرته غيري"(٤)، وفي رواية عنه عليه السلام: "قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم في مرضه، ادعوا لي أخي، قال: فدعي له، فقال: ادن مني، فدنوت منه، فاستند إلي، فلم يزل مستندا الي وانه ليكلمني حتى أن بعض ريق النبي صلى الله عليه [وآله]، ليصيبني ثم نزل برسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وثقل حجري..."(٥).

لكننا نجد أن هذه الخصوصية والفضيلة نسبت إلى غير أمير المؤمنين وهي زوج النبي صلى الله عليه وآله عائشة التي انفردت بروايتها تفاصيل تماثل ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أعلاه ومن ذلك انها قالت: ـ "بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على صدري، وقد وضع رأسه على عاتقي، إذ مال رأسه، فظننت أنّه يريد شيئاً من رأسي وخرجت من فيه نطفة باردة فوقعت على ثغرة نحري، فاقشعر لها جلدي، فظننت أنه قد غشي عليه فسجيته بثوب"(٦). وفي نص آخر عنها: "مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري،

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٢٢.

(٢) نهج البلاغة: ص٤٣٤.

(٣) ابن عقدة: الولاية: ص١٧٨. القاضي المغربي: شرح الأخبار: ٢/ ١٨٩. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٤٣٣.

(٤) ابن عقدة: الولاية: ص ١٧٨. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٤٣٣.

(٥) ابن سعد: الطبقات: ٢/ ٢٦٣. المتقي الهندي: كنز العمال: ٧/ ٢٥٣.

(٦) ابن سعد: الطبقات: ٢/ ٢٦١. ابن راهويه: المسند: ٣/ ٩٩١. ابن حنبل: المسند: ٦/ ٢١٩. ابن كثير: السيرة النبوية: ٤/ ٤٧٩.

وفي دولتي، لم اظلم فيه أحداً، فمن سفهي، وحداثه سني، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو في حجري ثم وضعت رأسه على وسادة، وقمت التدم مع النساء واضرب وجهي"[١].

وقد جاءت بعدة ألفاظ:

"فمرضته فقبض ولم يشهده غيري والملائكة"[٢].

"وقد قبض ورأسه في حجري"[٣].

"فأني لمسندته إلى صدري"[٤].

وقد حاول بعضهم التوفيق بين مارواه أمير المؤمنين عليه السلام وبين ما روته عائشة، كما فعل ابن أبي الحديد[٥]، إذ قال: "الله اعلم بحقيقة هذا الحال، ولا يبعد عني أن يصدق الخبران معا، بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وقت الوفاة مستندا إلى علي وعائشة جميعا، فقد وقع الاتفاق على أنه مات وهو حاضر لموته، وهو الذي كان يقلبه بعد موته، وهو الذي كان يعلله ليالي مرضه، فيجوز ان يكون مستندا إلى زوجه وابن عمه، ومثل هذا لا يبعد وقوعه في زماننا هذا، فكيف في ذلك الزمان الذي كان النساء فيه والرجال فيه مختلطين، لايستتر البعض عن البعض، فأن قلت: فكيف تعمل بآية الحجاب، وماصح من استتار ازواج الرسول صلى الله عليه وآله عن الناس بعد نزولها؟ قلت قد وقع اتفاق المحدثين كلهم على ان العباس كان ملازما للرسول صلى الله عليه وآله أيام مرضه في بيت عائشة، وهذا لاينكره أحد، فعلى القاعدة التي كان العباس ملازمه صلى الله عليه وآله كان علي عليه السلام ملازمه، وذلك يكون

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية: ٤/١٠٦٩. ابن حنبل: المسند: ٦/ ٢٧٤

(٢) ابن سعد: الطبقات: ٨/ ٦٥. الطبراني: المعجم الكبير: ٢٣/ ٣٠. ابن حجر: الاصابة: ٨/ ٣٢٤. السيوطي: المحاضرات والمحاورات: ص ١٨٥

(٣) ابن راهويه: المسند: ٢/ ٢٢. الذهبي: سير اعلام النبلاء: ٢/ ١٤١. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٩/ ٢٤١.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية: ٥/ ٢٦١.

(٥) شرح نهج البلاغة: ١٠/٢٦٨.

بأحد امرين: إمّا بأن نسائه لايستترن من العباس وعلي لكونهما أهل الرجل وجزء منه. أو لعل النساء كن يختمرن بأخمرتهن، ويخالطن الرجال فلا يرون وجوههن، وما كانت عائشة وحدها في البيت عند موته، بل كان نساؤه كلهن في البيت، وكانت ابنته فاطمة عند رأسه صلى الله عليه وآله".

لكن هذا التوافق لا يكون مقبول بسهولة، فالحديثان ـ كماهو واضح ـ متعارضان، ولا سيما قوله عليه السلام: "أفيكم أحد ولي غمض رسول الله صلى الله عليه وآله مع الملائكه غيري"، بينما تقول عائشة في قباله ذلك: "قبض ولم يشهده غيري والملائكة".

ولكن ثمة ملاحظات تساعدنا في ترجيح الاقرب للواقع والقبول تاريخيا:

إن الذي يلاحظ على الروايتين اعلاه:

١ ـ تعدد رواة القائلين بأن النبي صلى الله عليه وآله مات بين سحر الإمام وصدره واقتصار القائلين على عائشة وعلى ابن اختها عروة بن الزبير[١] الذي أخذ عنها والمعروف بعدائه اللدود للإمام علي عليه السلام.

٢ ـ إن الذي يستقرىء الروايات التي تتحدث عن الأيام الأخيرة للنبي صلى الله عليه وآله ليشهد الدور الكبير للإمام والسيدة فاطمة عليها السلام دون سواهما في هذا المجال[٢].

٣ ـ إن الملاحظ أن رواية عائشه لم تأت لتوضح أن النبي صلى الله عليه وآله مات بين

---

(١) هو أبو عبدالله عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أمه اسماء بنت أبي بكر، لازم خالته عائشة وتفقه عنها، عزم على مقاتلة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الجمل، لكنه رد لصغر سنه، وكان معلوم العداء لآل محمد صلى الله عليه وآله حتى روي ان الرعدة كانت تاخذه إذا ذكر الإمام علي عليه السلام وكان يعيب عليه ويسبه، وعد من المنحرفين عنه، ومتهم بايراده فضائل لخالته في أمر لم تدعه هي لنفسها، وسكن البصرة، ثم انتقل إلى مصر وعاد إلى المدينة وتوفي سنة ٩٣هـ ينظر: ابن سعد: الطبقات: ١٧٨/٥ ـ ١٨٢. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٠٢/٤. الذهبي: سير اعلام النبلاء: ٤٢١/٤ ـ ٤٣٧. محمد الفارس: عروة بن الزبير دراسة في سيرته ومروياته التاريخية عن السيرة النبوية (الصفحات جميعها).

(٢) لمزيد من التفاصيل ينظر: العواد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: ص٦٨١ ـ ٧٢٥.

سحرها ونحرها، وإنما لتنفي الوصية عن الإمام ﴿ع﴾. وكأنها وضعت لهذا الغرض.

٤ ـ فهل قام عروة بن الزبير[١] بوصفه ممن اختيروا إلى اللجنه التي وضعها معاوية لاختلاق فضائل مقابل فضائل الإمام علي ﴿ع﴾!!؟[٢].

٥ ـ إنّ المتأمل في سيرة أمير المؤمنين ﴿ع﴾ وعلاقته بالنبي ﴿ص﴾ من جانب، وسيرة عائشة وعلاقتها بالنبي ﴿ص﴾ من جانب اخر، يدرك أن الإمام أمير المؤمنين ﴿ع﴾ هو الاقرب للنبي ﴿ص﴾. كما اتضح جليا من خلال البحث انفا، وان هذا الاختصاص بالنبي ﴿ص﴾ لايدانيه فيه أحد حتى أنه أثار غيرة عائشة، وكان أحد الأسباب التي تقف وراء موقفها السلبي من أمير المؤمنين ﴿ع﴾، حتى ان النبي ﴿ص﴾ عد موقفها إيذاءا للنبي نفسه إذ قال لها: "لاتؤذيني في علي"[٣]، وقد برز موقفها السلبي بشكل جلي بعد رحيل النبي ﴿ص﴾ حتى بلغ ذروته في خروجها محاربة له ﴿ع﴾ في حرب الجمل (٣٦هـ).

ومن شواهد هذا الموقف السلبي من أمير المؤمنين ﴿ع﴾ نذكر هذه الحادثه: يروى أن رجلاً وقع في أمير المؤمنين ﴿ع﴾ وعمار ابن ياسر(رض) عند عائشة. فقالت: "أما علي فلست قائلة لك فيه شيئاً، وأما عمار فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يخير بين أمرين إلا اختار أشدهما"[٤]. وهنا موضع التأمل فهلا التزمت أم المؤمنين بما قاله النبي ﴿ص﴾ في حق عمار، إذ إن عمار اختار موالاة أمير المؤمنين ﴿ع﴾ ووقف إلى جانبه في الجمل وصفين حتى استشهد بين يديه (رحمه الله)[٥].

---

(١) عن موقف عروة العدائي من أمير المؤمنين ﴿ع﴾، ينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٦٣ ـ ٦٤، ٦٩. عبد الجبار ناجي: نقد الرواية التاريخية عصر الرسالة انموذجا: ص ١١٧ ـ ١٩٨.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن هذه اللجنة ينظر: النصر الله: هيأة كتابة التاريخ برئاسة معاوية: ص٨٩ ـ ١١٧.

(٣) الطوسي: الأمالي: ص ٢٩٠. الطبرسي: اعلام الورى: ١/ ٣٦٨.

(٤) ابن حنبل: المسند: ٦/ ١١٣

(٥) ابن سعد: الطبقات: ٣/ ٢٤٦ ـ ٢٦٤. ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ١١٩. ابن الأثير: أسد الغابة: ٤/ ٤٣ ـ ٤٧.

ويلاحظ أنها كانت لا تطيب نفسا ان تذكره عليه السلام بخير، كما قال ابن عباس "ولكنها لا تقدر ان تذكره بخير"(١). ومن المؤسف أن بلغ بها الحال ان سجدت شكرا لله لما علمت باستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام(٢). ومن مصاديق موقفها السلبي منه عليه السلام انها كانت تروي أحاديث تدعي لها ولابيها ما لا اصل له من الفضائل التي اختص بها أمير المؤمنين عليه السلام واهل بيته عليهم السلام بل انها وضعت أحاديث تؤيد جانب المناوئين له عليه السلام وتدعمه(٣)، وخير شاهد على ذلك "الحديث" الذي نحن بصدد بحثه هنا إذ انها:

١ ـ ادعت فيه حظوتها بالقرب من النبي صلى الله عليه وآله في آخر لحظات حياته الشريفة، حتى جاءت ألفاظ أحاديثها على اختلافها مماثله لما رواه أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ إنها لما ذكروا عندها "أن عليا كان وصياً، قالت: متى أوصي إليه؟ فقد كنت مسندته إلى صدري، أو قالت في حجري، فدعا بالطست، فلقد انخنث(٤) في حجري وما شعرت أنّه مات، فمتى أوصي إليه؟"(٥).

---

(١) البلاذري: انساب الأشراف: ١/ ٥٤٥. الطبري الصغير: المسترشد: ص ١٢٦. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٢٨. ابن حجر: فتح الباري: ٢/ ١٣١.

(٢) وروى "لما أتى عائشة نعي علي أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ تمثلت:
فالقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر
ثم قالت: من قتله ؟ فقيل رجل من مراد، فقالت:
فان يكنائيا فلقد نعاه غلام ليس في فيه التراب.
فقالت لها زينب بنت أم سلمة: ألعلي تقولين هذا؟ فقالت: إذا نسيت فذكروني". أبو الفرج: مقاتل الطالبيين: ص٢٦ ـ ٢٧.

(٣) من ذلك حديث نسبته للنبي صلى الله عليه وآله فيه تبرير المطالبة بدم عثمان وانه يقتل مظلوما، فانتفع به معاوية إذ روت قائلة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "يا عثمان ان الله عز وجل عسى ان يلبسك قميصا فإن ارادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني، يا عثمان ان الله عسى ان يلبسك قميصا فإن ارادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ثلاثا، فاستغرب النعمان بن بشير ـ ناقل الحديث عنها ـ قائلاً: يا أم المؤمنين فاين كان هذا عنك؟ قالت نسيته والله فما ذكرته. قال النعمان فاخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي اخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين ان اكتبي الي به، فكتبت إليه به كتابا. ابن حنبل: المسند: ٦/ ٨٦ ـ ٨٧. ابن ماجة: السنن: ١/ ٤١. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣٩/ ٢٧٩. ابن كثير: البداية والنهاية: ٧/ ٢٣٢.

(٤) انخنث: انثنى واسترخى، سعدي: أبو حبيب: القاموس الفقهي ١٢٣.

(٥) ابن حنبل: المسند: ٦/ ٣٢. البخاري: الصحيح: ٣/ ١٨٦. مسلم: الصحيح: ٥/ ٧٥. ابن ماجة: السنن: ١/ ٥١٩.

وقد شك أبو غطفان[١] في مادعته، فراح يسأل ابن عباس قائلاً: "أرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفي وهو مستند إلى صدر علي، قلت: فإن عروة حدثني عن عائشة انها قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري، فقال ابن عباس: أتعقل؟ والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لمستند إلى صدر علي وهو الذي غسله..."[٢]. وكلمة: "أتعقل" لها دلالتها في إشارة الوعي والتنبيه على تلقي الجواب[٣]. ويؤكد صحة مارواه ابن عباس أن أم المؤمنين أم سلمه قد روت: "والذي احلف به ان كان علي لأقرب الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وآله، عدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله غداة وهو يقول: جاء علي مرارا، فقالت فاطمة رضى الله عنها: كأنك بعثته في حاجة، قالت: فجاء بعد، قالت أم سلمة: فظننت أن له إليه حاجة، فخرجنا من البيت، فقعدنا عند الباب وكنت من ادناهم إلى الباب، فأكب عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعل يساره ويناجيه ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله من يومه ذلك، فكان علي اقرب الناس عهدا"[٤].

وغير خاف على القارئ اللبيب أن كلا من أم سلمه وابن عباس اوردا الرواية مشفوعة بالقسم، ردا على ادعاء عائشة الذي روجته في المجتمع آنذاك. ويزيد الأمر تأكيداً ماجاء عن عمر بن الخطاب أنه لما سأله كعب الاحبار:

---

(١) هو أبو غطفان بن طريف المري، من بني عصيم دهمان بن عوف بن سعد، كان قد لازم الخليفة عثمان وكتب له، ثم كتب لمروان بن الحكم، روى عن أبي هريرة وابن عباس، عرف بقلة الحديث، ووصف بأنه ثقة. ابن سعد: الطبقات ٥/ ١٧٦، ابن معين: التاريخ١/ ١٤٢، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٩/ ٤٢٢، ابن ماكولا: إكمال الكمال: ٧/ ٣١٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات: ٢/ ٢٦٣.

(٣) محمد مهدي الخرسان: المحسن السبط مولود أم سقط؟: ص ٢٥٩.

(٤) الحاكم: المستدرك: ٣/ ١٣٨ ـ ١٣٩. وينظر: ابن أبي شيبة: المصنف: ٧/ ٤٩٤. ابن حنبل: المسند: ٦/ ٣٠٠. الكوفي: المناقب: ٢/ ٨٧. أبو نعيم الأصبهاني: ذكر اخبار اصبهان: ١/ ٢٥٠. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥. المحب الطبري: الرياض النضرة: ٣/ ١٤١ ـ ١٤٢. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٩/ ١١٢. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٣/ ١٤٦.

ماكان آخر ماتكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال عمر: سل عليا[١]. فلو كان غير أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي تعاهده في لحظاته الأخيرة لما قال عمر لكعب (سل عليا). ولا سيما وأن الرجل كان من المناوئين لأمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ رجّح العسكري[٢] أن يكون هذا الحديث صادراً عن عائشة في حرب الجمل، بقوله: "واغلب الظن.... انها قالت ذلك في حرب البصرة، أي بعد زمان الخليفتين عمر وعثمان، وكذلك يناسب هذا القول عصر معاوية حيث كان ينهى عن نقل فضائل الإمام ويأمر بنقل مايناقضها"[٣]. والرواية التي توجه فيها كعب الاحبار إلى سؤال الإمام عليه السلام تثبت ذلك.

٤ ـ الملاحظ ان رواة هذا الحديث عن عائشة هم: ابن اخيها القاسم بن محمد بن أبي بكر[٤]، وبنو اختها عروة ابن الزبير واخوه عبدالله بن الزبير وابنه عباد[٥] ومؤذنه وقاضيه ابن أبي مليكة[٦]. فالرواية لا تكاد تتجاوز دائرة عائشة واقربائها ومن لف لفيفهم من متعهدي الرواية عنها. ولم يشهد بذلك فيها عداهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، كما فعلت أم سلمة[٧] وعمر بن الخطاب[٨]

(١) ابن سعد: الطبقات: ٢/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣. السيوطي: كفاية الطالب اللبيب: ص ٢٧٤.
(٢) معالم المدرستين: ١/ ٢٣٦.
(٣) لمزيد من التفاصيل ينظر: النصر الله: هيئة كتابة التاريخ: ص٨٩ ـ ١١٧.
(٤) هو أبو محمد ويقال أبو عبد الرحمن القاسم بن محمد بن أبي بكر القرشي التيمي نشأ في حجر عائشة، فاكثر عنها، أحد الفقهاء السبعة في المدينة، ولد سنة ٣٧هـ، ومن سادات التابعين، روى عن ابيه وعن عمته عائشة وغيرهم توفي سنة ١٠٢ أو بعدها. ينظر: ابن خياط: طبقات: ص٤٢٤. ابن حبان: مشاهير علماء الامصار ص١٠٥. الذهبي: تذكرة الحفاظ: ١/ ٩٦ ـ ٩٧. اليافعي: مرآة الجنان: ١/ ١٨٠.
(٥) عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام، تابعي، له منزلة عند أبيه، ولاه قضاء مكة أيام إدعاءه الخلافة، وكان يستخلفه إذا حج، روى عن ابيه وجدته اسماء وخالة ابيه عائشة وغيرهم، قال الذهبي: لم اظفر له بوفاة. ينظر: سير اعلام: ٤/ ٢١٧. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٥/ ٨٥
(٦) أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة القرشي، التيمي، مؤذن الحرم وقاضي مكة أيام ابن الزبير، الذي ولاه الطائف، ولد في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وتوفي في عام ١١٧هـ. وكيع: اخبار القضاة: ١/ ٢٦١ ـ ٢٦٢. ابن حبان: مشاهير علماء الامصار: ص١٣٥. الذهبي: تذكرة الحفاظ: ١/ ١٠١ ـ ١٠٢.
(٧) الحاكم: المستدرك: ٣/ ١٣٨ ـ ١٣٩.
(٨) ابن سعد: الطبقات: ٢/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

وجابر بن عبدالله الأنصاري[١] وابن عباس[٢] ومن التابعين الإمام السجاد[٣] عليه السلام وابو غطفان[٤] والشعبي[٥] وغيرهم.

٥ ـ وجدير بالأشارة أن هناك حديثاً ترويه عائشة نفسها يناقض أحاديثها السابقة، ويؤيد رواية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إذ روي أنها سئلت: "كيف كان عليا عنده؟ فقالت: تسألوني عن رجل وضع يده من رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعا لم يضعها أحد، وسالت نفسه في يده ومسح بها وجهه ومات..."[٦].

وقد أرجع السيد العسكري[٧] هذا التناقض في احاديثها إلى تباين موقفها من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) ابن سعد: الطبقات: ٢/ ٢٦٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات: ٢/ ٢٦٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات: ٢/ ٢٦٣.

(٤) ابن سعد: الطبقات: ٢/ ٢٦٣.

(٥) ابن سعد: الطبقات: ٢/ ٢٦٣.

(٦) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ٥٠١. الكوفي: المناقب: ٢/ ٩١. أبو يعلى: المسند ٨/ ٢٧٩. ابن عساكر: تاريخ دمشق ٤٢/ ٣٩٤. ابن كثير: البداية والنهاية: ٧/ ٣٩٧.

(٧) معالم المدرستين: ١/ ٢٣٨ ـ ٢٤٣ ؛ إذ يقول ما ملخصه: ما ان توفي النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وبويع أبو بكر بالخلافة، امتنع أمير المؤمنين عليه السلام من البيعة، وبقي بعيداً عن الساحة حتى اخريات خلافة عثمان، إذ قادت عائشة المعارضين من طلحة والزبير وغيرهما ضد عثمان، املا منها بأن يلي الأمر من بعده ابن عمها طلحة بن عبيد الله التيمي، ولما قتل عثمان وبويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة، اقامت ضده حرب الجمل، وانكسرت فيها وارجعها أمير المؤمنين عليه السلام إلى المدينة وبقيت حانقة عليه حتى استشهاده، حتى أنها لم تستطع أن تخفي سرورها لمقتله، ثم ولي الحكم معاوية، وجمع بينهما الموقف الواحد من الإمام عليه السلام، ثم فترت العلاقة بينهما على اثر قيام معاوية بقتل الصحابي حجر بن عدي (، ولما أراد البيعة لابنه يزيد من بعده كان شقيقها عبد الرحمن بن أبي بكر من اشد المعارضين لهذه البيعة، وجرت بينه وبين مروان مساجلات لما بدا الأخير بحملة الدعاية لبيعة يزيد في الحجاز، ولكنه لاقى موقفا متشددا من قبل عبد الرحمن، ولما قدم معاوية حاجا ارسل بمبلغ من المال إلى عبد الرحمن بغية استمالته، ولكنه رفضه قائلاً: "ابيع ديني بدنياي"! ثم خرج إلى مكة وتوفي فجأة، قبل اتمام البيعة ليزيد، فدخل في نفس عائشة ان يكون صنع به شر وعجل عليه فدفن وهو حي. فتغير موقفها من بني امية، واقامت حربا دعائية ضدهم بدأتها بنشر أحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في شأن مروان وابيه الحكم، وقابلت سياسة معاوية بالضد، لما عكف الأخير على اتباعه سياسة ترمي إلى طمس فضائل بني هاشم عامة وبيت أمير المؤمنين=

أما المستوى الأخلاقي:

فالمعلوم بأن التربية من أبرز العوامل المؤثرة في عملية الاعداد الخلقي والسلوكي للفرد[١]. وكان مما خص به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام انه تربى في كنف اديب السماء والذي شهد له القرآن ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى اثر السماء في اعداد النبي بقوله "**وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّه بِه صلى الله عليه وآله - مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِه - يَسْلُكُ بِه طَرِيقَ الْمَكَارِمِ - ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَه ونَهَارَه - ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه - يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِه عَلَماً - ويَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِه**"[٢]

فالنبي صلى الله عليه وآله اديب الله، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام اديب النبي صلى الله عليه وآله[٣]

وقد كان الأثر النبوي شديد الوضوح في إعداد شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، إذ صاغ منه خُلقا يماثل خلقه العظيم صلى الله عليه وآله فكان عليه السلام مثيله في الأخلاق والسلوكيات[٤].

إذ كان للأساليب التربوية العميقة والحكيمة التي اتخذها النبي صلى الله عليه وآله مع أمير المؤمنين عليه السلام قد أحيت جميع مواهبه الكامنة واوصلته في مدة قصيرة إلى أعلى مدارج الكمال[٥].

=خاصة، لمقام الامامين الحسنين عليهما السلام المؤثر في المسلمين؛ مما يشكل عائقا في طريق توريث الخلافة ليزيد من بعده، وبلغ به الأمر ان أمر بلعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على منابر المسلمين، عندئذ قابلت عائشة هذه السياسة مقابلة قوية واخذت تنشد فضائل الإمام واهل بيته عليهم السلام ومن جملة تلك الفضائل الحديث مدار البحث الذي يشهد باختصاصه عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله دون غيره.

(١) لمزيد من التفاصيل ينظر: الطحان: التربية: (الصفحات جميعها). فلسفي: الطفل بين الوراثة والتربية: ١/ ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٢) نهج البلاغة: ص ٤٠٦.

(٣) روي عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: "انا اديب الله، وعلي اديبي"، الطبرسي: مكارم الأخلاق: ص١٧. الريشهري: ميزان الحكمة: ١/ ٥٨.

(٤) للكنجي الشافعي تعليق ذا دلالة واضحة في هذا المضمار إذ قال في معرض حديثه عن مؤاخاة النبي صلى الله عليه وآله للإمام عليه السلام: تأمل صنيعه في المؤاخاة بين الصحابة، جعل يضم الشكل إلى الشكل، والمثل إلى المثل، فيؤالف بينهم، ... وادخر عليا عليه السلام لنفسه، واختصه بأخوته. ينظر: كفاية الطالب: ص ١٩٤.

(٥) محمد تقي فلسفي: الطفل بين الوراثة والتربية: ١/ ٢١٧ - ٢١٨.

وبذا احتل أمير المؤمنين عليه السلام الذرى في كل ميادين الحياة، وهو الذي عبر عن علو مرتبته وسمو مكانه بكلمة وجيزة قصرت ألفاظها واتسعت معانيها لتجلي عظمته بكل ما فيها من تشعب وشمول واحاطة، فقال عليه السلام: "**يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ**"[١]

والمراد به انه عالي المكان بعيد المرتقى، لأن السيل لا ينحدر الا عن الاماكن العالية والمواضع المرتفعة. ثم اكد عليه السلام هذا المعنى بقوله: "**وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ**" ولأنه ليس كل مكان عال من استقرار السيل عليه واقتضى تحدره منه، يكون مما لا يرقى إليه الطير، فإن هذا وصف يقتضي بلوغ الغاية في العلو والارتفاع[٢].

وهذا من مختصاته ولم يحسن هذا القول من غيره عليه السلام. ومن أبرز جوانب التفرد في شخصيته عليه السلام مكارم أخلاقه التي ضرب بها مثلاً فكان اسوة كما ان رسول الله صلى الله عليه وآله اسوة وقدوة في مكارم أخلاقه، فعمت أخلاقه الحميدة حتى شملت أعداءه، ومخالفيه[٣].

كان عليه السلام في الخصائص الخلقية، والفضائل النفسانية ـ ابن جلاها وطلاع ثناياها[٤] ـ فكان عليه السلام من لطافة الأخلاق، وسجاحة الشيم على قاعدة عجيبة جميلة[٥].

---

(١) نهج البلاغة: ص ٢٦، ينظر درويش: علي كما وصف نفسه: ص ٩٩.

(٢) الشريف المرتضى: رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١٠٧.

(٣) درويش: علي كما وصف نفسه: ص ١٠٠.

(٤) مأخوذ من بيت شعر قاله ـ سحيم بن وثيل الرياحي ـ وهو:

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

وابن جلا: جلا أي النهار. والمقصود: الأمر الواضح، وطلاع الثنايا: كناية عن السمو إلى معالي الامور. والثنايا جمع ثنية وهي الطريق في الجبل. ينظر: الميداني: مجمع الامثال: ١/ ٣٣. ابن منظور: لسان العرب: ١٤/ ١٥٢. الفيروزآبادي: القاموس المحيط: ٣/ ٥٩.

(٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١١/ ٢٤٨. وينظر: النصر الله: شرح نهج البلاغة: ص ٢٠٣.

وقد أشار عليه السلام إلى بعض تلك المكارم في مناسبات شتى، منها قوله عليه السلام: **"لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إلى دَعْوَةِ حَقٍّ - وصِلَةِ رَحِمٍ وعَائِدَةِ كَرَمٍ"**(١).

وفي حديثه عن صدق لهجته وصواب منطقه يقول: **"واللّه مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً(٢)، ولَا كَذَبْتُ كِذْبَةً"**(٣).

وقد أشار عليه السلام إلى جوانب متعددة من خلقه الكريم في تعامله مع من حوله: **"ولَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ - وأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ - وأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ الذُّلِّ وحَلَقِ الضَّيْمِ - شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ - وإِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَه الْبَصَرُ - وشَهِدَه الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ"**(٤).

فأمير المؤمنين عليه السلام يشير هنا إلى مظاهر منهجه الأخلاقي وسيرته مع الناس بأنه شكر قليل ما يصدر منهم بالبر والاحسان، ويتغاضى عن كثير من الهفوات والاخطاء.

وهو الذي يطلق كلامه بكل ثقة واطمئنان فلا يجرأ أحد على ان يطعن فيما يقوله لأنه قد وافق قوله فعله وهو القائل عليه السلام: "اني لارفع نفسي ان انهى الناس عما لست انتهي عنه، أو آمرهم بما لا اسبقهم إليه بعملي، أو ارضى منهم بما لا يرضي ربي"(٥).

وقد فرضت أخلاقه عليه السلام لونا من الجود والكرم قل نظيره إذ اختلف عما تعارف عليه الناس، فنجده يقول: "ما توسل أحد اليّ بوسيلة، أجل عندي من يد سبقت مني إليه، لأربيها عنده، باتباعها اختها، فإن منع الاواخر يقطع شكر الأوائل"(٦).

---

(١) نهج البلاغة: ص٢٥٧.

(٢) وشمة: كلمة.الجوهري: الصحاح: ٥/ ٢٠٥٢.

(٣) نهج البلاغة: ص٤١

(٤) نهج البلاغة: ص٢٩٤.

(٥) الواسطي: عيون الحكم والمواعظ: ص١٧٠.

(٦) الواسطي: عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٨٣.

وفي مثال آخر يوضح لنا بعدا آخر من ابعاد ذلك الخلق الفريد: "ما بات لرجل عندي موعد قط، فبات يتململ على فراشه ليغدوا بالظفر بحاجته، اشد من تململي على فراشي حرصا على الخروج إليه من دين عدته، وخوفا من عائق يوجب الخلف، فإن خلف الوعد ليس من أخلاق الكرام"(١).

وما الذي يمكن عده من تلك الفضائل الخلقية في هذه العجالة فقد استفاضت المؤلفات التي تحدثت عن سجاياه ومكارم أخلاقه حتى بلغت من العظم والجلالة، والانتشار مبلغا يسمج(٢) منه التعرض لذكرها والتصدي لتفصيلها، فصارت كما قال أبو العيناء(٣) لعبيد الله بن يحيى بن خاقان(٤): "رأيتني فيما اتعاطى من وصف فضلك، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر، الذي لا يخفى على الناظر، فايقنت اني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز مقصر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الأخبار عنك إلى علم الناس بك"(٥).

ثانياً: المستوى العقائدي:

ان ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة وتربيته في بيت الرسالة تعني انه ولد مسلما على التحقيق إذا نظرنا إلى ميلاد العقيدة والروح، لانه عليه السلام فتح عينيه على الإسلام، ولم يعرف عبادة الأصنام(٦). ثم إن قوله عليه السلام: "**إِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ**"(٧) مدعاة للتساؤل فإن كان كل مولود يولد على الفطرة،

---

(١) الواسطي: عيون الحكم والمواعظ: ص٤٧٧.

(٢) سمج: قبح. الجوهري: الصحاح: ١/ ٣٢٢.

(٣) هو محمد بن القاسم الهاشمي بالولاء، اديب مشهور بالكتابة والترسل توفي سنة ٢٨٣هـ. ينظر ترجمته: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ٣/ ٣٨٩ ـ ٣٩٦. الذهبي: سير اعلام: ١٣/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

(٤) هو وزير المتوكل والمعتمد. ينظر ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣٨/ ١٤٣ ـ ١٤٨.

(٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/ ١٦. وينظر النصر الله: شرح نهج البلاغة: ص ٢٠٢.

(٦) العقاد: عبقرية الامام: ص ٤٣.

(٧) نهج البلاغة: ص٩٤.

يقول صلى الله عليه وآله: "كل مولود يولد على الفطرة، وإنما ابواه يهودانه وينصرانه"[(١)]، فماذا يقصد الإمام بذلك؟ هناك عدة آراء في تفسير معنى الفطرة:

أولاً: أن الإمام عليه السلام لم يولد في الجاهلية، إذ كانت ولادته قبل البعثة بعشر سنوات، وهذه السنوات العشر تعد مقدمة للإسلام وإرهاصات النبوة، إذ جاء في الأخبار الصحيحة انه صلى الله عليه وآله مكث قبل الرسالة سنين عشرا يسمع الصوت ويرى الضوء، ولا يخاطبه أحد وكان ذلك إرهاصات لرسالته صلى الله عليه وآله، فحكم تلك السنين العشر حكم أيام رسالته صلى الله عليه وآله فالمولود فيها إذا كان في حجره وهو المتولي لتربيته، مولود في أيام كايام النبوة، وليس بمولود في جاهلية محضة[(٢)]. وهذا هو وجه المقارنة بمعنى ولادته عليه السلام على الفطرة، وولادة غيره من الصحابة، ثم ان هذه السنة لها اثر في حياة النبي صلى الله عليه وآله وذلك:

أن السنة التي ولد فيها الإمام علي عليه السلام هي السنة التي بدء فيها برسالة الرسول صلى الله عليه وآله إذ سمع الهتاف من الاحجار والاشجار، وكشف عن بصره، فشاهد انوارا، واشخاصا، ولم يخاطب فيها بشيء.

في هذه السنة ابتدأ النبي صلى الله عليه وآله بالتبتل، والانقطاع والعزلة في جبل حراء، فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة، ونزل عليه الوحي.

وكان صلى الله عليه وآله يتيمن بتلك السنة، وبولادة الإمام علي عليه السلام فيها، ويسميها سنة الخير والبركة، وقال لاهله ليلة ولادته وقد شاهد فيها ما شاهد من الكرامات والقدرة الالهية، ولم يكن من قبل شاهد ذلك: "لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به ابوابا كثيرة من النعمة والرحمة". وفعلا كان كما قال صلى الله عليه وآله، فانه صلى الله عليه وآله كان ناصره والمحامي عنه، وكاشف الغماء عن وجهه، وبسيفه ثبت دين الإسلام، ورست دعائمه وتمهدت قواعده[(٣)].

---

(١) ابن حنبل: المسند: ٢/ ٢٣٣. البخاري: الصحيح: ٢/ ٩٧. البيهقي: السنن الكبرى: ٦/ ٢٠٣. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٧/ ٢٢٨.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٤/ ١١٤.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٤/ ١١٤ ـ ١١٥.

ثانياً: ويراد بها الفطرة التي لم تتغير، ولم تحل، وذلك ان معنى قوله صلى الله عليه وآله: "كل مولود يولد على الفطرة"(١) ان كل مولود فإن الله تعالى قد هيأه بالعقل الذي فلقه فيه، وبصحة الحواس، والمشاعر. لأن يعلم التوحيد والعدل، ولم يجعل فيه مانعا يمنعه من ذلك، ولكن التربية والعقيدة في الوالدين، والألف لاعتقادهما، وحسن الظن فيهما، يصده عما فطر عليه. وامير المؤمنين عليه السلام دون غيره، ولد على الفطرة التي لم تحل، ولم يصد عن مقتضاها مانع، لا من جانب الابوين، ولا من جهة غيرهما، وغيره ولد على الفطرة، ولكنه حال عن مقتضاها وزال عن موجبها(٢).

ثالثاً: انه أراد بالفطرة ـ العصمة ـ وانه منذ ولد لم يواقع قبيحاً، ولا كان كافراً طرفة عين، ولا مخطئاً ولا غالطاً في شيء يتعلق بالدين"(٣).

يبقى الحديث عن إيمانه ويقينه عليه السلام في دائرة الوصف القاصر عن بلوغ حقيقة الموصوف، وينسب كل كلام إلى نوافل القول بعد أن أفصح النبي الأعظم صلى الله عليه وآله عن عمق هذا الإيمان ورسوخ هذا اليقين بكلمات نيرة تواتر نقلها وأجمع المسلمون على اثباتها إذ روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال: "لو أن السموات والأرض وضعتا في كفة وايمان علي في كفة، لرجح إيمان علي"(٤).

وحين برز عليه السلام في يوم الخندق قال صلى الله عليه وآله: "برز الإيمان كله إلى الشرك كله"(٥)، هكذا عبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن إيمان أمير المؤمنين عليه السلام في معادلات

---

(١) ينظر: مالك: الموطأ ١/ ٢٤١. البخاري: الصحيح: ٢/ ١٠٤. الكليني: الكافي: ٢/ ١٣. الصدوق: التوحيد: ص٣٣١. ابن رشد: بداية المجتهد: ١/ ١٩٣. السبكي: فتاوي السبكي: ٢/ ٣٦٠. المرتضى: شرح الأزهار: ١/ ٤٢٦. السيوطي: تنوير الحوالك: ص٢٤٨.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٤/ ١١٥.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٤/ ١١٥ ـ ١١٦.

(٤) القاضي المغربي: شرح الأخبار: ٢/ ٣٢٢. الطوسي: الأمالي: ص ٢٣٨، ٥٧٥ ـ ٥٧٦. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٣٤١. ابن البطريق: العمدة: ص ٣٧٠. الذهبي: ميزان الاعتدال: ٣/ ٤٩٤. البحراني: حلية الابرار: ٢/ ٦٦ ـ ٦٧. المجلسي: البحار: ٣٠/ ١١٢، ٣١/ ١٣٣، ٣٨/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩، ٤٠/ ١١٩، ١٠١/ ١٥٣.

(٥) الجاحظ: العثمانية: ص ٣٢٤، ٣٣٣. الكراكجي: كنز الفوائد: ص ١٣٧. ابن أبي الحديد: شرح نهج=

ترجيحية تجاوزت مديات التحديد بكل ما يتعامل به البشر من وحدات القياس ومعرفة المقادير، فما هو وزن السموات والأرض يا ترى؟، وما معنى الإيمان كله؟، كل ذلك متروك لايحاءات اللغة وأساليبها في صياغة دوالها على مدلولاتها، ولكن هذه الصياغات النبوية تكشف عن حقيقة واحدة مؤداها ان هذا الرجل المتفرد في ميادين الحياة له السبق والعمق والرسوخ، في دائرة اليقين والإيمان بالله الواحد، حتى اندك شخصه في إيمانه كما هو الحال في صفاته الأخرى[١].

وان المتتبع لكلامه عليه السلام في نهج البلاغة ليقف على عبارات توصيفية تبرز ماهية إيمانه ويقينه وإن كانت لا تعدو بضعة اشارات قليلة في عددها، ولكنها دقيقة في وصفها، مكثفة في صياغتها، حيث أوضحت لنا بعض مزايا هذا الجانب الاعتقادي النفيس في شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

والملاحظ على كلام الإمام عليه السلام عن هذه المفردة (إيمانه)، وكما هو الحال في كل احاديثه وفي أي موضوع من هذا النوع، فإن كلامه عليه السلام يتخذ عدة وجوه ويعالج عدة جوانب، ومع قلة النصوص إلا أنه من الممكن تصنيفها تبعا للجوانب التي تناولها الإمام عليه السلام مع مراعاة الإيجاز إذ لا يتسع المجال لإطالة البحث فيها:

السبق إلى الإيمان: إذ يشير عليه السلام إلى هذه الفضيلة التي أختص بها بقوله: **"وسَبَقْتُ إلى الإيمان"**[٢] وأيضاً قوله عليه السلام: **"اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ ـ وسَمِعَ وأَجَابَ ـ لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ بِالصَّلَاةِ"**[٣].

=البلاغة: ١٣/ ٢٦١، ٢٨٥، ١٩/ ٦١. ابن طاووس: الطرائف: ص ٣٥، ٦٠. الديلمي: ارشاد القلوب: ٢/ ٢٤٤. الدميري: حياة الحيوان: ص ٣٨٧. الحسيني: تأويل الآيات: ٢/ ٤٥١. المجلسي: البحار: ٣٩/ ١ ـ ٣.

(١) درويش: علي كما وصف نفسه: ص ٤١ ـ ٤٢.

(٢) نهج البلاغة: ص٩٤.

(٣) نهج البلاغة: ص٢٤٧.

وكثيراً ما كان يفتخر عليه السلام بسابقته في الإسلام ومسارعته للايمان بالله ونبيه الأعظم صلى الله عليه وآله، إذ نجده يقول: "انا أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله"(١) وفي رواية ثانية عنه: "انزلت النبوة على النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين، واسلمت غداة يوم الثلاثاء، فكان النبي صلى الله عليه وآله يصلي وانا اصلي عن يمينه، وما معه أحد من الرجال غيري"(٢).

ولما كان التوحيد من أبرز معالم دين الله قد قرن إيمانه عليه السلام بالتوحيد الخالص فكان إيمانه **إيمان الموحدين** الذين بعُد إيمانهم عن كل مظهر من مظاهر الشرك، ومن أقواله الدالة على ذلك: **"اللَّهُمَّ وهَذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ ـ ولَمْ يَرَ مُسْتَحِقّاً لِهَذِه الْمَحَامِدِ والْمَمَادِحِ غَيْرَكَ"**(٣).

وقال في موضع آخر: **"ونُؤْمِنُ بِه إِيمَانَ مَنْ رَجَاه مُوقِناً... وأَخْلَصَ لَه مُوَحِّداً وعَظَّمَه مُمَجِّداً"**(٤).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام في إيمانه العميق **قد بلغ أعلى درجات اليقين** حتى قال: **"وإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي وغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي"**(٥).

واليقين في اللغة: هو الإدراك العميق، والعلم بالحق، مع العلم بأنه لا يكون غيره، وهو سكون النفس وثلج الصدر بما علم(٦). ويطلق في الأحاديث المأثورة على الحالة التي تحصل للانسان في أعلى درجات التقوى نتيجة لوضوح حقائق الوجود(٧).

---

(١) الكوفي: المناقب: ١/ ٢٧٥. وينظر ابن الجعد: مسند: ص٨٧. أبو جعفر الاسكافي: نقض العثمانية: ص٣٠٢. المحاملي: امالي المحاملي: ص٢٢٢. الخطيب: تاريخ بغداد: ٤/٤٥٦. ابن المغازلي: المناقب: ص٣٣. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٣١. الخوارزمي: المناقب: ص٥٧. الحلبي: السيرة الحلبية: ١/ ٤٤٥.

(٢) الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل: ٢/ ٣٠٠. محمديان: حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه: ١/ ٢١.

(٣) نهج البلاغة: ص١٧١.

(٤) نهج البلاغة: ص٣٤٨.

(٥) نهج البلاغة: ص٥٠.

(٦) أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية: ص ٣٧٣.

(٧) الريشهري: القيادة في الإسلام: ص ٢٨٣.

وفي مقولته المأثورة: "**لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً**"[(١)] دليل على انه تسنم درجة الوصول إلى أعلى درجات الإيمان.

ولو لم يفصح عليه السلام بهذا البيان عن يقينه لوجدنا عليه الف دليل ودليل في كل حرف نطق به وفي كل حركة أو سكنه في سلوكه، وهو من عرف الإيمان بقوله: "**الإيمان مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ ـ وإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ**"[(٢)]، فما نطق أمير المؤمنين عليه السلام بحرف الا وملؤه اليقين والإيمان، ولا اقدم ولا احجم الا وكان في إقدامه وإحجامه ما يدلل على يقينه بربه والإيمان بخالقه[(٣)].

ومن أوضح الدلالات على قوة ورسوخ يقينه ما كان يواجه به تلك العقبات التي لاقاها في مسيرته فكان شعاره الدائم انه على يقين من ربه، ومن ذلك قوله واصفا مناوئيه:

"**وإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيه ـ والْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْه ـ لَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي ويَقِينٍ مِنْ رَبِّي ـ وإِنِّي إلى لِقَاءِ اللَّه لَمُشْتَاقٌ ـ وحُسْنِ ثَوَابِه لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ**"[(٤)].

وهكذا كان عليه السلام يوصف إيمانه بأنه **ايمان من عاين الغيوب**، وبلغ حد اليقين، فهو إيمان العارف الموقن، إذ عرض في إحدى مقطوعاته الرائعة التي كان يفتتح بها خطبته إلى نوع إيمانه وكيفيته المستوعبة التي تطرد جميع ما يتعارض مع هذا الإيمان، أو ما يتزاحم معه في نفس الإنسان التي فطرت على طبيعة يمكن ان تضطم على المتناقضات، وتتلاطم فيها المتخالفات، إذ

---

(١) الخوارزمي: المناقب: ص ٣٧٥. ابن شهرآشوب: المناقب: ١/ ٣١٧. ابن عربي: الفتوحات المكية: ٣/ ١٣١. ابن طاووس: الطرائف: ص ٥١٢. الاربلي: كشف الغمة: ١/ ١٦٩، ٢٨٩. ابن جبر: نهج الإيمان: ص ٢٦٩. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى: ٦/ ٦١. البياضي: الصراط المستقيم: ١/ ٢٣٠. القندوزي: ينابيع المودة: ١/ ٢٠٣.

(٢) نهج البلاغة: ص٧٠٠.

(٣) درويش: علي كما وصف نفسه: ص ٤٦.

(٤) نهج البلاغة: ص٦٢٧.

قال عليه السلام: **"الْحَمْدُ لِلَّه الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ...، ونَسْتَعِينُه عَلَى هَذِه النُّفُوسِ الْبِطَاءِ ـ عَمَّا أُمِرَتْ بِه... ونُؤْمِنُ بِه إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ ـ ووَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ ـ إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُه الشِّرْكَ ويَقِينُه الشَّكَّ"**(١).

تنطوي الكلمات أعلاه على معاني جليلة تنبئ عن مقام خاص بأمير المؤمنين عليه السلام، وهو مقام أولياء الله وأصفيائه، الذي يكشف عن بعد معنوي تتميز به تلك الذوات العارفة، هذا البعد ميز هذه الصفوة من الناس وجعلهم نخبة مختارة من عباد الله أو كما عبر عنهم عليه السلام بقوله: **"فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا والنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا"**(٢).

وقد كان عليه السلام سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك ببيان انه كان قد تسنم درجة الوصول والذي يحق إذا غاب العارف عن نفسه فلحظ جناب الحق حيث انه هو فقط وان لحظ نفسه من حيث هي لاحظة ـ لا من حيث هي متزينة بزينة الحق، وقد وجد في كلامه واشاراته ما يستلزم حصول هذه المرتبة(٣).

وهكذا وصف أمير المؤمنين عليه السلام إيمانه، انه من القوة والاستحكام التي ترقى إلى إيمان المشاهدة، وصدق تصديق من لاقى ما يوعد، وكل ذلك مقرونا باخلاص لم يتسلل إلى ساحته أي مظهر من مظاهر الشرك، ويقين لم يمازجه أي لون من الوان الشك(٤).

ومن امثلة تلك المعاينة هي قوله عليه السلام: **"أَرَى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ وأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ ـ ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْه (صلى الله عليه وآله) ـ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه مَا هَذِه الرَّنَّةُ ـ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِه"**(٥).

---

(١) نهج البلاغة: ص٢١٩. وينظر: درويش: علي عليه السلام كما وصف نفسه: ص ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) نهج البلاغة: ص ٥٢٨.

(٣) ابن ميثم: شرح مئة كلمة: ص ٢١٩.

(٤) درويش: علي عليه السلام كما وصف نفسه: ص ٤٥.

(٥) نهج البلاغة: ص ٤٠٦.

وذلك انه عليه السلام رأى بعين بصيرته الصور الإلهية أمثال الأنوار البهية وفي ذلك دلالة على وصوله واتصاله بأرباب حظيرة القدس وقرب منزلته من تناول صورة الوحي وان صدق انه دون درجة النبوة[(١)].

فالإنسان حينما يتوفر على البصيرة العلمية، ويرى الله في ضوء نور المعرفة، ومن خلال ملاحظة إثارة الوجود يمكنه بيسر ان يعرف رسل الله الواقعيين على اساس نفس البصيرة العلمية وفي ضوء عين المعرفة، ومن خلال ملاحظة آثار النبوة. غير ان الرؤية تبلغ في بعض الأحيان درجة من القوة. بحيث يشاهد الإنسان نور النبوة في شخص الرسول بواسطة الرؤية القلبية كما في كلام الإمام عليه السلام أعلاه، ومثل هذه المعرفة تدعى "المعرفة القلبية والكشف والشهود الباطني"[(٢)].

ويرى الغزالي ان أفضل طرق معرفة أنبياء الله وأكثرها قطعية هو المعرفة القلبية والكشف والشهود الباطني[(٣)]، وهو كذلك، فالشخص الذي يرى من خلال بصيرته القلبية، ويلاحظ نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله بطريقة علوية، فهو مضافا إلى استغنائه عن أي دليل لاثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله يبلغ أرقى درجات المعرفة والبصيرة[(٤)].

وقد شهد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام بهكذا مقام يسمو فوق كل الكمالات ليبلغ درجة الوصول التام ويكون في قمة المعرفة إذ قال له: "**إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وتَرَى مَا أَرَى - إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ**"[(٥)].

فالنبي صلى الله عليه وآله كان له اتصال بالحق تعالى والوصول التام، وكان ذلك الاتصال حاصلاً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وان كان دون درجة النبوة.

---

(١) ابن ميثم: شرح مئة كلمة: ص ٢٢١.

(٢) الريشهري: ميزان الحكمة: ٤/ ٣١٩١.

(٣) المنقذ من الضلال: ص١١٠ ـ ١١٤.

(٤) الريشهري: ميزان الحكمة: ٤/ ٣١٩٢.

(٥) نهج البلاغة: ص ٤٠٦.

ومن دلالات معاينته للغيوب عليه السلام، إشارته برؤيته للملائكة كما في حادثة تغسيله لجثمان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إذ يقول عليه السلام: "**ولَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَه صلى الله عليه وآله والْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي - فَضَجَّتِ الدَّارُ والأَفْنِيَةُ - مَلأٌ يَهْبِطُ ومَلأٌ يَعْرُجُ - ومَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ - يُصَلُّونَ عَلَيْه حَتَّى وَارَيْنَاه فِي ضَرِيحِه**"[١].

هكذا كانت كلماته عليه السلام - وان كانت موجزة وقليلة كماً - الا انها غنية مضموناً، وان كنا قد تعرضنا لها بإيجاز تطلبه مقام البحث، الا انها كشفت عن عمق هذا الإيمان ورسوخه، انه إيمان من عاين الغيوب وبلغ حد اليقين فكان في قمة إيمان العارفين الموحدين الموقنين.

وما ان بزغ نور الإسلام حتى كان أمير المؤمنين عليه السلام أول من اعتنقه وآمن به، إذ يقول عليه السلام: "**وسَبَقْتُ إلى الإيمان**"[٢]، وفي موضع آخر يقول عليه السلام: "**إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّه**"[٣]، وكثيراً ما نجده يفتخر بسابقته في الإسلام ومسارعته للايمان بالله ونبيه الأعظم صلى الله عليه وآله.

وقد ولد مسلما، لانه عليه السلام من معدن الرسول صلى الله عليه وآله مولدا ونشاة، ومن ذاته خلقا وفطرة، ثم ان الظرف الذي أعلن فيه عما يكمن في كيانه من روح الإسلام، ومن حقيقته لم يكن شيئاً من ظروف الآخرين، ولم يرتبط بموجبات العمر، لأن إسلام الإمام علي عليه السلام كان اعمق من ضرورة الارتباط بالظروف، إذ كان جاريا من روحه كما تجري الأشياء من معادنها والمياه من ينابيعها[٤]. ومع ان الروايات لم تتفق على سنه يوم إسلامه، وظهرت فيها نزعات مختلفة، ولكن من مجموعها يستطيع الباحث ان يجزم بأنه كان في مطلع شبابه[٥]. إذ ملأ الدين الجديد قلبا لم ينازعه فيه منازع من عقيدة سابقة، ولم يخالطه شوب يكدر صفاءه، فبحق ما يقال: ان عليا عليه السلام كان المسلم الخالص على سجيته

---

(١) نهج البلاغة: ص ٤٢٢.

(٢) نهج البلاغة: ص ٩٤.

(٣) نهج البلاغة: ص ٤٠٨.

(٤) جورج جرداق: الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية: ١/ ٥٢.

(٥) هاشم معروف الحسني: سيرة الائمة الاثني عشر: ١/ ١٤٩.

المثلى، وان الدين الجديد لم يعرف قط أحد أصدق إسلاماً ولا أعمق نفاذاً منه[١]. ولكن بعض الشانئين له عليه السلام وكما هو ديدنهم مع فضائله عليه السلام لم يرق لهم التسليم بسبقه بالإسلام دون أن ينتقصوا من هذا السبق، فمنهم من عد إسلامه عليه السلام إسلام تقليد ومحاكاة لأنه أسلم في عمر الصبا[٢]، ومنهم من وضع تصنيف من عند نفسه ليجعل أسبقية الإمام عليه السلام لا تعدو الصبيان، فقال: أول من أسلم من النساء خديجة، ومن الصبيان علي عليه السلام ومن الموالي زيد، ومن العبيد بلال، ومن الرجال أبو بكر[٣].

وللاميني[٤] التفاتة طيبة حول مسألة القول بسبقه عليه السلام في الإسلام: "ومتى كفر أمير المؤمنين حتى يسلم؟ ومتى اشرك بالله حتى يؤمن؟ وقد انعقدت نطفته على الحنيفية البيضاء، واحتضنه حجر الرسالة، وغذته يد النبوة، وهذبه الخلق النبوي العظيم، فلم يزل مقتصا اثر الرسول قبل ان يصدع بالدين الحنيف وبعده، فلم يكن له هوى غير هواه، ولا نزعة غير نزعته... ان المراد من إسلامه وإيمانه واوليته فيهما وسبقه إلى النبي في الإسلام هو المعنى المراد من قوله تعالى عن إبراهيم ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٥]، وفيما قال سبحانه عنه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٦]، وفيما قال سبحانه عن موسى عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٧]، وفيما قال تعالى عن نبيه العظيم ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾[٨]، وفي قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٩].

---

(١) العقاد: عبقرية الامام: ص ٤٥.
(٢) الحسني: سيرة الائمة: ١/ ١٤٨ ـ ١٤٩.
(٣) الثعلبي: الكشف والبيان: ٥/ ٨٥. البغوي: معالم التنزيل: ٢/ ٣٢٢. عبد الله بن قدامة: المغني: ١٠/ ٨٩. الشهروزي: مقدمة ابن الصلاح: ص١٧٩. القرطبي: الجامع: ٨/ ٢٣٧. ابن حجر: الاصابة: ١/ ٨٤. الحلبي: السيرة الحلبية: ١/ ٤٤٤.
(٤) الغدير: ٣/ ٢٣٩.
(٥) سورة الأنعام الآية ١٦٣.
(٦) سورة البقرة الآية ١٣١.
(٧) سورة الأعراف الآية ١٤٣.
(٨) سورة البقرة الآية ٢٨٥.
(٩) سورة غافر الآية ٦٦.

"وهل يدل تأمل حال الإمام عليه السلام مع الانصاف الا على انه اسلم، لأنه شاهد الاعلام، ورأى المعجزات، وشم ريح النبوة، ورأى نور الرسالة، وثبت اليقين في قلبه بمعرفة وعلم ونظر صحيح، لا بتقليد ولا حمية، ولا رغبة ولا رهبة، الا فيما يتعلق بامور الاخرة"(١).

ثالثاً: المستوى الفكري أو العلمي:

اما علاقة الإمام عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وفق هذا المستوى فسيأتي الحديث فيه بشيء من التفصيل في الفصل الخامس(٢).

وعوداً على بدء يمكن القول انه: حسبنا التأمل في كلماته عليه السلام، وهو يتحدث واصفا النبي صلى الله عليه وآله بالصفات التي لم يصفه بها أحد من الخلق كما وصفه بها هو عليه السلام، والتي تنبئ عن معرفة واجلال عز نظيرهما لشخص النبي صلى الله عليه وآله ومنها قوله في رثائه صلى الله عليه وآله عند تغسيله: "**بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّه، لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ، مِنَ النُّبُوَّةِ والإِنْبَاءِ وأَخْبَارِ السَّمَاءِ، خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ، وعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً، ولَوْ لَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ ونَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّئُونِ، ولَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا والْكَمَدُ مُحَالِفاً، وقَلَّا لَكَ ولَكِنَّه مَا لَا يُمْلَكُ رَدُّه، ولَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُه، بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ واجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ**"(٣).

وقد اثرت مصيبة فقده صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين عليه السلام اشد تأثير حتى انه ترك الخضاب، وقد قيل له: "**لَوْ غَيَّرْتَ شَيْبَكَ يَا أمير الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ** عليه السلام **الْخِضَابُ زِينَةٌ ونَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ**" قال الشريف الرضي موضحاً يريد برسول الله صلى الله عليه وآله(٤).

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/٢٤٦.

(٢) ينظر ص ٤١١ ـ ٤١٦

(٣) نهج البلاغة: ص ٤٨٦.

(٤) نهج البلاغة: ص ٧٥٦.

ومنها قوله عليه السلام وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وآله شارحا صفاته:

"اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ ودَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ، وجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيِّهَا وسَعِيدِهَا، اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، ونَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ والْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، والْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ والدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ، والدَّامِغِ صَوْلَاتِ الأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ ولَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ، وهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ والآثَامِ، وأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الأَعْلَامِ ونَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، ورَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ"[1].

وقوله في الدعاء له صلى الله عليه وآله برفع درجاته "اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ، واجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ، اللَّهُمَّ وأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ وأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، واجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وخُطْبَةٍ فَصْلٍ، اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وقَرَارِ النِّعْمَةِ، ومُنَى الشَّهَوَاتِ وأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ ورَخَاءِ الدَّعَةِ، ومُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ وتُحَفِ الْكَرَامَةِ"[2].

❁ ❁ ❁

(١) نهج البلاغة: ص ١٠٦ ـ ١٠٨.

(٢) نهج البلاغة: ص ١٠٨ ـ ١٠٩.



تمهيد

المبحث الأول: الجانب الجغرافي والاقتصادي

المبحث الثاني: الجانب السياسي والاجتماعي

المبحث الثالث: الجانب الديني



تمهيد

تعد البيئة من العوامل الرئيسة التي تعلب دوراً هاماً في تكوين شخصية الفرد وتحديد مسار نموه، وتتنوع البيئات التي يحدث فيها ذاك التكوين والنمو الإنساني، وأول هذه البيئات هي البيئة التي تحتضن الفرد وهو لا يزال جنينا في أحشاء امه، إذ لها آثار واضحة اثبتها العلم الحديث. ومن ثم يأتي دور البيئة الأسرية التي ينشأ في كنفها الطفل بعد ولادته. اما البيئة الأوسع فهي البيئة الاجتماعية التي تساعد على تشرب عادات الجماعة وتمثلها، وامتصاص معاييرها وتقاليدها، وتوفر له الانتماء القوي للمجتمع، وتعمل على اشباع حاجاته النفسية في جو من التفاعل الاجتماعي، إن الآثار تكون سلبية أو ايجابية في تكوين الشخصيات تبعاً لطبيعة تلك البيئة المحيطة بالفرد(١).

وللبيئة الطبيعية (الجغرافية) أثرها أيضاً في نمو الفرد وتكوين شخصيته(٢). كما اكد العلماء على اهمية (الموقف.... والمحيط) في تحديد الشخصية، فسلوك الفرد هو عملية ديناميكية حيوية متكونة من تفاعل المحيط والفرد. فالمحيط يؤثر في سلوك الفرد، والفرد يعيد تأثيره على المحيط بالتبادل(٣).

وأمام هذه النقاط الهامة التي تشكل حصيلة تجارب علمية وأبحاث ودراسات جادة أدلى بها المختصون في مجال أثر وتأثر الشخصية بالمحيط نضع في البدء ثمة تساؤلات هامة:

---

(١) أبو جادو: علم النفس التربوي: ص٧١ ـ ٧٢.

(٢) أبو جادو: علم النفس التربوي: ص٧١.

(٣) لمزيد من التفاصيل ينظر: الرحو: اساسيات في علم النفس: ص٣٢٠ ـ ٣٢٤.

١ ـ ما مدى أثر البيئة (بانواعها المذكورة أعلاه في تكوين شخصية "محمد" النبي الخاتم وسيد الخلق اجمعين صلى الله عليه وآله.

٢ ـ هل كانت شخصية النبي صلى الله عليه وآله كباقي الشخصيات الإنسانية تتأثر بالمؤثرات البيئية؟

٣ ـ ما مديات التفاعل بين شخصية النبي صلى الله عليه وآله وبيئته التي احتضنته وأيهما كان الأكثر أثراً في الآخر؟

تتطلب الإجابة على هذه التساؤلات عدة خطوات هامة تحدد مسار البحث للتوصل إلى نتائج قريبة للواقع وفق ما قدمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من نصوص يمكن الاستدلال بها.

أولى هذه الخطوات الوقوف عند شخصية النبي الخاتم صلى الله عليه وآله واستجلاء ابعاد هذه الشخصية، وهل يمكن ان تقاس بمن سواها من بني البشر؟ أم لها ميزات اختصت بها؟ ومن ثم البحث عن مصاديق لأثر البيئة (بكافة اقسامها) في تكوين شخصية النبي صلى الله عليه وآله ووفق ما ورد في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

فأما عن شخصية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله فهي من الذوات المعّدة إلهياً، أي ان للسماء عناية خاصة بها، ويدلنا على ذلك مثلاً قضية الاصطفاء التي خُص بها بعض العباد من الأنبياء والأولياء وفي طليعتهم النبي صلى الله عليه وآله وهو "**الْمُجْتَبَىَ مِنْ خَلَائِقِه... والْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِه، والْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِه**"[١]. ولبيان خصوصية اصطفائه قال الإمام عليه السلام: "**وقَدَّمَه فِي الِاصْطِفَاءِ**"[٢]. لأنه جعله "**ومُهَيْمِناً عَلَى الْمُرْسَلِينَ**"[٣]. و"**وسَيِّدُ عِبَادِه**"[٤]. وأمثال هكذا شخصيات، وبالأخص شخصية النبي الخاتم صلى الله عليه وآله التي اعُدت لمهمة عالمية تحمل رسالة الله

(١) نهج البلاغة ص٣٤٢.
(٢) نهج البلاغة: ص ٤٤٧.
(٣) نهج البلاغة: ص٦٢٦.
(٤) نهج البلاغة: ص٤٤٧.

إلى عباده لا يمكن ان تقاس في مكنوناتها وصفاتها وآثارها بباقي البشر ويكفينا قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن خصوصية محمد وأهل بيته عليهم السلام إذ يقول: "**لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ**"(١)، ويمكن تعميم هذه الحقيقة على كافة الابعاد والجزئيات المنطوية عليها شخوصهم القدسية.

والقول أعلاه يلزمنا التوقف عن البحث وإطالة الكلام حول شخصية النبي الأعظم ﷺ في هذا الجانب ما دامت متسامية عن القياس بمن سواه من البشر.

اما عن أثر البيئة في تكوين هذه الشخصية، فبالنسبة لأثر البيئة الأولى حين كان جنيناً فليس لدينا معلومات يمكن ان نستشفها من كلام الإمام عليه السلام، عدا ما أشار إليه بشيء من التعميم عن طهارة الأرحام والاصلاب التي احتضنته مثيل قوله "**مُسْتَقَرُّه خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، ومَنْبِتُه أَشْرَفُ مَنْبِتٍ**"(٢).

وسوف يأتي الحديث عنها تفصيلا في الفصل التالي(٣) فإن الله اختار له أكرم واطهر الأرحام والاصلاب لتناقله.

وفيما يخص البيئة الأسرية فمن المعلوم تأريخيا انه ﷺ نشأ يتيم الاب، فحظى برعاية أمه السيدة آمنة بنت وهب عليها السلام(٤)، وجده عبد المطلب بن هاشم عليه السلام ذاك الذي كان سيد قومه، ذو السجايا الرفيعة والمحامد الكريمة(٥)، ومن بعد وفاته انتقل إلى كنف عمه أبي طالب عليه السلام وزوجته السيدة فاطمة بنت اسد عليها السلام، إلا أنه لا نجد في نصوص نهج البلاغة إشارة من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه المرحلة من حياة النبي ﷺ.

وسيختص حديثنا عن البيئة الأوسع التي عاش في كنفها النبي

---

(١) نهج البلاغة: ص٢٥.

(٢) نهج البلاغة ص١٧٨.

(٣) ينظر ص ٢٣١ ـ ٢٥٩

(٤) عن السيدة آمنة بنت وهب ينظر: إيمان حسن الساعدي: والدا النبي محمد ﷺ: ص١٩ ـ ٢١.

(٥) عن عبد المطلب وسيرته ينظر علي كريم القريشي: آل عبد المطلب واثرهم في الحياة العامة حتى نهاية العصر الراشدي: ص ١٠ ـ ٩٥.

الأعظم صلى الله عليه وآله، إذ وردت في مظان كلامه عليه السلام معلومات شتى، يمكن على أساسها دراسة هذه البيئة من أوجه عدة (جغرافياً واقتصادياً، ودينياً، وسياسياً واجتماعياً).

ويبقى التساؤل إلهام والجدير بالإجابة: هل لبيئة النبي صلى الله عليه وآله أثر على تكوين شخصيته؟ وما مدى هذا الأثر؟ وهل أثر النبي صلى الله عليه وآله في بيئته المحيطة به؟ وأيهما كان الاشد تأثيرا؟

ان شخصية كشخصية النبي العظيم صلى الله عليه وآله وكما مرت الإشارة لا يمكن قبول أي أثر أرضي في تكوينها ما دامت السماء قد تعاهدته، وخلقه الله من نوره، واختاره نبياً وآدم بين الماء والطين[١]، ونقله من الأصلاب الشامخة إلى الأرحام المطهرة عبر توالي القرون حتى أودعه في أفضل مستودع[٢]، وما ان خرج وليداً إلى الحياة "كريماً ميلاده"[٣] حتى قرن به ملكاً من اعظم ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم[٤]، لم يتركه لحظة وقد عرف منذ صغره بصفات الكمال الخلقي، كالصدق، والامانة، والنجدة، والكرم، والشجاعة وغيرها. هذا من جانب، ومن جانب آخر لو تأملنا في البيئة التي كانت تحيط به، لبرزت لنا سمات غاية في التدني وعلى كافة المستويات ـ كما سيتبين من خلال البحث ـ ويمكن ان يتسم الطابع العام بغلبة الجانب السلبي على النادر من الإيجابيات التي عرف بها هذا المجتمع.

إذن يمكن القول بعدم وجود أي أثر لهذه البيئة في تكوين هكذا شخصية عظيمة صاغتها العناية الربانية.

وبالمقابل نجد أثر النبي صلى الله عليه وآله كان عظيماً في بيئته ولا تحده حدود، ففي

(١) الفخر الرازي: مفاتيح الغيب ٦:/٢١٣. ابن عربي: تفسير ابن عربي ١/٤١٧. الأيجي: المواقف ٣/ ٣٤٠.

(٢) نهج البلاغة: ص١٧٥.

(٣) نهج البلاغة: ص٢١.

(٤) نهج البلاغة: ص٤٠٦.

هكذا بيئة متردية نشأ وترعرع، وخط مساراً أخلاقياً عالياً قبل ان يكلف بالدعوة إلى دين الله ويجاهر بها، وإذا به قد بُعث بأصول وآداب ومعارف، تضاد ما كان سائداً في تلك البيئة "فلو كان هو في تعاليمه مستمداً من بيئته، لكان قد تأثر بها ولو في بعض هذه التقاليد"[١]. وهذا التأثر كان بشخصيته وما تحمل من مزايا وبرسالته السماوية، إذ كونه اتحاداً انصهرت ذاته في رسالته فكان أنموذجاً إلهيا على الأرض.

ونجد في نصوص النهج اشارات كثيرة عن الحالة التي كان عليها المجتمع قبل بعثته ﷺ، وقد يفهم من تلك النصوص تركيزاً منه عليه السلام على بيان الوضع الذي كانوا عليه وما آلت إليه أمورهم في ظل الإسلام فـ"من خلال معرفة هذا التاريخ وسماته يستطيع المتلقي إدراك الاهمية الحقيقية لمجيء الإسلام، ومن ثم تعيين المستوى الثقافي والحضاري الذي جاء به هذا الدين الجديد"[٢].

إن من بين أهم المؤثرات البيئية التي تؤثر في الشخصية هو النسق الثقافي (culture - pattern) بما فيه من قيم وآمال ومعتقدات وعادات راسخة تنظم المجتمع الذي يحيا فيه الفرد. والدليل على اهمية هذا العامل هو ما جاء به علماء الانتروبولوجيا الذي يعنون بالدراسات الاجتماعية، الذين اهتموا بدراسة الطريقة التي تشجع الانساق الثقافية المختلفة ونمو الاتجاهات والاستعدادات المتباينة فيها. إذ إن ثقافة المجتمع تعيش فينا كما نعيش فيها، ويمكن لشخصياتنا ان تكون المرآة التي تنعكس عليها صورة هذه الثقافة، حتى قيل ان الشخصية هي المظهر الذاتي للثقافة. ومع ذلك لا يمكن إغفال اثر العوامل الأخرى[٣].

ولكننا لا نجد اثراً واضحاً لذلك في شخصية النبي ﷺ، لكن العكس هو

---

(١) جعفر سبحاني: محاضرات في الإلهيات: ص ٣٠٠.
(٢) عبد الرحمن الوائلي: جدلية العلاقة بين العقل والتجربة الاجتماعية: ص ٥٩.
(٣) الرحو: اساسيات في علم النفس: ص ٢٩٢.

ما حصل، إذ ترك وجوده المبارك تأثيراً عظيماً في من حوله، ويتضح ذلك جلياً من خلال أثر رسالته السماوية، وما أحدثته من تغيير جذري شامل في المجتمع الجاهلي الذي انطلقت بين ثناياه، ومن أبرز سمات وخصائص الرسالة الإسلامية التي حملها النبي صلى الله عليه وآله: "انها جاءت بنمط فريد من الثقافات الإلهية عن الله سبحانه وتعالى، وصفاته، وعلمه، وقدرته، ونوع العلاقات بينه وبين الإنسان، ودور الأنبياء في هداية البشرية، ووحدة رسالتهم، وما تميزوا به من قيم، ومُثل، وسنن الله تعالى مع أنبيائه، والصراع المستمر بين الحق والباطل، والعدل والظلم، والارتباط الوثيق لرسالات السماء بالمظلومين، والمضطهدين، وتناقضها المستمر مع أصحاب المصالح والامتيازات غير المشروعة، وهذه الثقافة الإلهية لم تكن اكبر من الوضع الفكري والديني لمجتمع وثني منغمس في عبادة الأصنام فحسب، بل كانت اكبر من كل الثقافات الدينية التي عرفها العالم يومئذ، حتى ان المقارنة تبرز بوضوح، انها جاءت لتصحح ما في تلك الثقافات من اخطاء، وتعدل ما اصابها من انحراف، وتعيدها إلى حكم الفطرة والعقل السليم"[(١)].

فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام اهتم باستعراض تلك الأوضاع المتردية التي صبغت بيئة النبي صلى الله عليه وآله من أجل ابراز اثره صلى الله عليه وآله، فيما بعد في تغيير تلك الأوضاع.

ومثال على ذلك نجده عليه السلام يستعرض أحوال قريش وثقافتهم ومواجهتم لرسول الله صلى الله عليه وآله في معرض حديثه عن جزء من تاريخه هو مع النبي صلى الله عليه وآله ليوظف هذا التاريخ في عملية بناء الوعي التاريخي والحث على الاستفادة منه والاعتبار بحوادثه بعد استيعابها على حقيقتها ومعرفة كل العوامل المشتركة في تكوينها ثم اندراجها كتجربة تاريخية تستحق التوقف عندها والتزود من دروسها[(٢)]. ومثل ذلك ما جاء في وصفه الدقيق للحال التي كانوا عليها

(١) محمد باقر الصدر: المرسل والرسول والرسالة: ص ٦٦ ـ ٦٧.
(٢) الوائلي: جدلية العلاقة: ص ٦٣.

فيقول عليه السلام: "**إِنَّ اللَّه بَعَثَ مُحَمَّداً ـ صلى الله عليه وآله ـ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وحَيَّاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ والآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ**"(١).

ففي هذا النص الشامل والموجز الدقيق يصف الإمام عليه السلام حالهم لأن الموقف كان يستدعي ذلك فهو يتحدث عن تأريخهم وضمن مقطع زمني هو الفترة التي سبقت البعثة، إذ كانت الثقافة السائدة هي ثقافة الحجارة التي ضربت طوقاً فكرياً "ديموغاجيا" على العرب في تلك العصور فجعلتهم من الأمم المنسية والمهملة ـ لا سيما وهم يقعون بين حضارتين كبيرتين كانتا تحيطانهم في ذلك الوقت، وهما دولة الفرس ودولة الروم، إذ يبدو التخلف العربي آنذاك كبيراً، ثم مّن الله على هذه الأمة بالنبي الأعظم ﷺ الذي اخرجها من الظلمات إلى النور، وسلمها المشعل الذي قدره الله لها لتنير به العالم وتقوده إلى بر الامان في ظل رسالة شاملة متكاملة هي الرسالة الإسلامية(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأمة على تلك الحال وتلك الاوصاف، تحولت إلى أمة عالمية ارست قواعد الحضارة الإنسانية في مدة قصيرة، ولم يتحقق ذلك الا في ظل العنايات الإلهية والامدادات الغيبية(٣)، وهذا ما أشارت إليه السيدة فاطمة عليها السلام في خطبتها الغراء:

"**ابْتَعَثَهُ اللهُ إتْماماً لأمْرِهِ، وَعَزِيمَةً عَلى إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنفاذاً لِمَقادِيرِ حَتْمِهِ، فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً فِي أَدْيانِها، عُكَّفاً عَلى نِيرانِها، عابِدَةً لأَوْثانِها، مُنْكِرَةً للهِ مَعَ عِرْفانِها، فَأَنارَ اللهُ بِأَبي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلا عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وعن الأنْفُس غُمَمَها، وَقامَ فِي**

---

(١) نهج البلاغة: ص٥٦.
(٢) الوائلي: جدلية العلاقة: ص ٦٤.
(٣) سبحاني: محاضرات: ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

النَاسِ بِالهِدايَةِ، فَأنْقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وَهَداهُمْ إلى الدينِ القَويِمِ، وَدَعَاهُمْ إلى الصراطِ المُسْتَقِيمِ"[١].

ان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رغم انه كان يعي تماماً قيمة هذا الحدث الكبير الذي غير مجرى التأريخ لكنه يريد لمستمعيه ان يعوا هذا الأمر ومن ثم يعوا من خلاله دورهم الذي يتوجب عليهم القيام به، وكل ذلك اراده الإمام من خلال استدعائه للحدث التأريخي وللتجربة التأريخية التي كان يتوخى تنمية الوعي التأريخي من خلالها. ولعل هذا النمط من الاستدعاء للتجربة الاجتماعية التاريخية هو الذي يولد ما اصطلح عليه في الفكر الحديث بـ"التحيز الثقافي" الذي يشير إلى تغليب بعض القيم والمعتقدات المشتركة في المجتمع الواحد على غيرها، فالإمام عليه السلام أراد ان يوجه الذهن العربي في ذلك الوقت إلى قيمة ما يملكون من افكار جديدة جاء بها الإسلام العظيم، ولم يجد طريقة لتوضيح هذا الأمر غير عرض النقيض الذي كان يسبق هذا التحول التأريخي الخطير، وبأضدادها تعرف الأشياء كما هو معروف، فجاء تفصيله للأحوال التي سبقت الرسالة تفصيلاً دقيقاً وهاماً[٢].



(١) الطبرسي: الاحتجاج ١/١٣٣، الشامي: الدر النظيم ص٤٦٨.

(٢) ينظر الوائلي: جدلية العلاقة: ص ٦٤ ـ ٦٥.

المبحث الأول

الجانب الجغرافي والاقتصادي

أولاً: الجانب الجغرافي:

المعلوم أن النبي محمد ﷺ قد عاش حياته في كنف بيئتين (مكة والمدينة)؛ إذ كانت مكة المكرمة محل ولادته ونشأته "**مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ**"[1] التي عاش فيها ثلاث وخمسون سنة، واما يثرب التي سميت بمدينة الرسول ﷺ واختصاراً المدينة المنورة، التي اضطر إلى الهجرة اليها، وأمضى السنوات العشر الأخيرة من حياته الشريفة في نشر مبادئ الدين الإسلامي حتى وفاته فيها، يقول الإمام عليه السلام: "**وهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ، وامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ**"[2].

تعد مكة والمدينة من إقليم الحجاز الذي يعد جزءً من شبه الجزيرة العربية، التي تقع في أقصى الجنوب الغربي من قارة آسيا، وتعد من حيث المساحة اكبر شبه جزيرة في العالم[3]. ويطلق العرب عليها تجوزاً اسم (جزيرة العرب)[4]؛ لأن البحار والانهار تحيط بها من جميع جهاتها، فيحدها من

---

(١) نهج البلاغة: ص ٣٠٢.

(٢) نهج البلاغة: ص٣٠٢.

(٣) فورتز هومل: التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية: ص٥٥ ـ ٥٦. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١/ ١١٠. الملاح: الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام: ص ١٥.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف ١٠/ ٤٠٩. وكيع: أخبار القضاة ٢/ ٩٧، ابن الفقيه الهمداني: مختصر=

الشرق الخليج العربي، ومن الجنوب البحر العربي، أما من الغرب فيحدها البحر الأحمر (القلزم)، ويكمل الفرات الحد الشرقي، ومن الشمال الشرقي بلاد الشام والبادية التي تمتد بين العراق والشام، أما بادية سيناء فدخلت كلها في حدود جزيرة العرب بإدخال نهر النيل ليكمل الحد الغربي ويصب في البحر المتوسط (بحر الروم) الذي يمثل الحد الشمالي الغربي[١].

وهناك من يطلق على بلاد العرب اسم (شبه الجزيرة العربية) بإخراج بادية الشام وشبه جزيرة سيناء منها، إلا ان طبيعة الأرض الجيولوجية تحتم ضمهما، لأنهما تمثلان أجزاء هامة لا يمكن فصلها عن الطبيعة الصحراوية لسائر بلاد العرب[٢].

ان نهر الفرات لا يمكن ان يكون حدا لشبه جزيرة العرب لذا وصف بأنه خط وهمي، وعلى الرغم من احاطة البحار بها إلا أنه لم يستطع الجو البحري التغلب على جفافها فلم يخفف من حدة الحرارة فيها، فإن الابخرة المتصاعدة من البحر لا تكاد تصل إلى اواسط الجزيرة العربية، إذ ان رياح السمائم الشديدة الحر تقاومها مقاومة شديدة وتمنعها في الغالب من الوصول إلى وسط شبه الجزيرة[٣].

تعد شبه جزيرة العرب من جملة الأراضي التي تقل بها الانهار والبحيرات، إذ ليس فيها نهر واحد بالمعنى المعروف من الأنهار[٤] كما هو

=البلدان ص٨٦، الهمداني: صفة جزيرة العرب: ص٣٩. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ١/ ١١، ٢٦٣. الالوسي: بلوغ الارب: ١/ ١٨٦.

(١) الهمداني: صفة جزيرة العرب: ص٣٩ ـ ٤٠. الشريف: مكة والمدينة: ص١٣.

(٢) جواد علي: المفصل: ١/ ١١٢. فيليب حتي: تاريخ العرب ص١٧. الشريف: مكة والمدينة ص١٤. عرفة محمود: العرب قبل الإسلام: ص١٧.

(٣) جواد علي: المفصل ١/ ١١٠. حتي: تاريخ العرب ص٩. الشريف: مكة والمدينة ص١٩. محمود: العرب قبل الإسلام ص٢٠.

(٤) الاصطخري: المسالك والممالك ص٢١.

الحال في نهر دجلة والفرات والنيل، بل ان فيها انهار صغيرة، فضلاً عن غلبة الجفاف، وقلة سقوط الأمطار، لذلك غدت أكثر بقاعها صحراوية قليلة السكان، غير انها كثيرة الاودية تطغى عليها السيول عند سقوط الأمطار[١].

لقد استمدت شبه الجزيرة العربية اسمها من اسم الأقوام الذين كانوا يعيشون فيها وهم العرب[٢]، فذكر الهمداني إنها: "تسمى جزيرة العرب، لأن اللسان العربي في كلها شائع"[٣]، ولا ريب ان كلام الهمداني يصح على الحقبة الإسلامية والمدة التي سبقت الإسلام بقليل، اما قبل ذلك فلم تكن وحدة اللغة هي السبب في ظهور التسمية وإنما طبيعة حياة السكان من الاعراب التي اتسمت بالبداوة[٤].

وهنا يمكن ان يصح إطلاق كلمة الإمام بقوله "**مَعْشَرَ الْعَرَبِ**"[٥] على كافة أجزاء الجزيرة العربية لتكون الصفات التي ذكرها محل انطباق على أرض الجزيرة بشكل عام ألا وهي قوله "**وأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وحَيَّاتٍ صُمٍّ**"[٦]. كما سنقف على بيانه فيما يأتي من البحث.

لقد وردت معلومات في خطب الإمام عليه السلام وكلماته يمكن من خلالها تصور الواقع الجغرافي على مستوى التضاريس والمناخ لشبه الجزيرة العربية آنذاك وما يحيط بها. فقد وردت الإشارة إلى الأقاليم السبعة[٧]، وإقليم الحجاز[٨]،

---

(١) حتي: تاريخ العرب ص٣١.
(٢) الملاح: الوسيط: ص١٧.
(٣) صفة جزيرة العرب: ص٣٩.
(٤) الملاح: الوسيط: ص١٨.
(٥) نهج البلاغة: ص٥٦.
(٦) نهج البلاغة: ص٥٦.
(٧) نهج البلاغة: ص ٤٧٣.
(٨) نهج البلاغة: ص٦٦، ٥٦٧، ٥٧٤.

الذي يضم مكة[١] والمدينة[٢] وما بينهما، كالعرج[٣] وفدك[٤] والقليب[٥]، ومنعرج اللوى[٦].

ووردت الإشارة إلى اليمن[٧]، والبحرين[٨] ومنها مدينة هجر[٩]، واليمامة[١٠]. وإقليم العراق[١١]، وذكر من مدنه البصرة[١٢] والكوفة[١٣]. فقد أشار إليهما مرة بالمصرين[١٤]، وورد ذكر قرقيسيا[١٥].

ومن الأنهار أشار إلى نهر دجلة[١٦] وورد ذكر بحر العراق[١٧]، والنهر الذي وقعت قربه معركة النهروان[١٨]. وإقليم الشام[١٩]، وإقليم مصر[٢٠]، والمغرب[٢١].

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٠٢، ٦٣٧.

(٢) نهج البلاغة: ص٣٠٢.

(٣) نهج البلاغة: ص٤٨٧.

(٤) نهج البلاغة: ص٥٧٣.

(٥) نهج البلاغة: ص٤٠٧.

(٦) نهج البلاغة: ص٧٥.

(٧) نهج البلاغة: ص٥٥، ٦١٠، ٦٤٤.

(٨) نهج البلاغة: ص٥٦٩.

(٩) نهج البلاغة: ص٥٢٦.

(١٠) نهج البلاغة: ص٥٧٤.

(١١) نهج البلاغة: ص٦٦، ١٠٥، ٤٠٢، ٥١١.

(١٢) نهج البلاغة: ص ٣٢٨، ٥١٢، ٥٧٢.

(١٣) نهج البلاغة: ص ٥٤، ٨٥، ١٨٠، ١٨٧، ١٨٨، ٢٥٧، ٤٩٥.

(١٤) نهج البلاغة: ص٦٣١.

(١٥) نهج البلاغة: ص ٦٢٥.

(١٦) نهج البلاغة: ص ٨٦.

(١٧) نهج البلاغة: ص٤٠٢.

(١٨) نهج البلاغة: ص ٧٥.

(١٩) نهج البلاغة: ص ٨١، ٩٢، ١٠٤، ١٣٤، ١٨٠، ١٨٧، ١٩٩، ٢٥٧، ٥١١، ٥٥٧، ٥٦٩، ٦١٩، ٦٢١.

(٢٠) نهج البلاغة: ص ١٠٣، ٥٥٩، ٥٨٩.

(٢١) نهج البلاغة: ص ٥٥٧. ولم يتضح ما المقصود بالمغرب هنا.

إن الذي يهمنا هنا هو ما يتعلق بإشارات الإمام عليه السلام الخاصة ببيئة النبي ﷺ وهو اقليم الحجاز الذي يضم مكة والمدينة وما حولهما. فالإمام يختصر تلك البيئة بقوله: "**مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ، وامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ**"(١).

مع ملاحظة مهمة لا بد من التنويه إليها هنا:

يجب علينا الأخذ بنظر الاعتبار، ونحن نقتبس تلك الإشارات المتعلقة بالجانب الجغرافي، إن هذه الإشارات، التي تجمعت لدنيا؛ إنما هي متفرقات في خطبه المتعددة ولم ترد في خطبه واحدة، هذا من جانب، ومن جانب آخر ان تلك الخطب يرجح احتمال انه ألقاها عليه السلام بعد توليه الخلافة(٢)، أي بعد توسع رقعة الدولة الإسلامية، من هنا تنوعت انتماءات المتلقين ـ المخاطبين ـ بهذه الكلمات. أي لم يقتصر انتمائهم المناطقي على مكة والمدينة، وبما ان الإمام عليه السلام وجه خطابه للجميع، وخاطبهم بصيغة المجموع، فهذا يطرح امامنا عقبة لا يمكن تجاوزها دون الوقوف عندها قليلاً: وهي ان الاوصاف التضاريسية الواردة في خطب الإمام عليه السلام التي يمكن انطباقها على بيئة النبي ﷺ ـ سيما وهو يتحدث عن وضع المقاييس بين ما كانوا عليه وما أصبحوا عليه بمجيء النبي ﷺ ودعوته ـ هل عنى الإمام بهذه الاوصاف مكة والمدينة فقط أم منطقة الحجاز كلها؟ فإلى أي مدى يمكن توسيع مدى الخطاب وما عنيه عليه السلام به؟ وهنا يمكن ان يقال: ان بعض العبارات التوصيفية واضحة في دلالتها المكانية لاتحتاج إلى جهد جهيد في تحديد المنطقة المقصودة بذلك الوصف كما في قوله عليه السلام عن البيت الحرام: "**ثُمَّ وَضَعَه بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأرض حَجَراً، وأَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً، وأَضْيَقِ بُطُونِ الأَوْدِيَةِ**

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٠٢.

(٢) على سبيل المثال: مثلاً قوله عليه السلام: "وأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ..." إذ انه عليه السلام القى هذه الخطبة قبل مسيره إلى النهروان. حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٣/ ٣١٤.

قُطْراً"[١]، فالإمام عليه السلام هنا يعطي دلالة واضحة في تحديد المكان المقصود بهذا الوصف ألا وهو مكة المكرمة لأنها المكان الذي احتضن الكعبة المشرفة، والإمام عليه السلام ـ كما هو واضح في النص ـ إنما يتحدث عن المكان الذي فيه الكعبة. ومع ذلك فلا اشكال في توسيع رقعة الخطاب إلى منطقة الجزيرة سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار غلبة الطابع الصحراوي وان الصفات أعلاه تنطبق على منطقة الحجاز بأكملها.

اما قوله عليه السلام : "**وأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وحَيَّاتٍ صُمٍّ**، ..."[٢] فالكلام واضح انه إنما عنى أرض الحجاز عموما ومكة على وجه الخصوص. اما لو قلنا بأن قوله "**وأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ** " قد يوسع مدى الحطاب ليشمل بدوره كل أرض العرب، فهو أيضاً ممكن القبول خاصةً بغلبة الأراضي الجبلية على واقع منطقة العرب، واما بعض المناطق الزراعية والمزدهرة السهلة قياسا بالأعم الأغلب وهو التصحر والوعورة قد لا يشكل استثناءا ملحوظا. ولكن يبقى ترجيح أرض الحجاز ومكة خصوصا هو الاقرب للواقع بملاحظة:

ـ انها الأرض التي ينطبق عليها وصف الإمام عليه السلام بشكل تام.

ـ انها البيئة التي انطلقت منها الدعوة المحمدية وبهذا تكون مركز التغيير الأول.

ومن ثم فإن المتأمل في كلام الإمام عليه السلام ليلحظ أن من جملة اهدافه في حديثه عن حال العرب قبل الإسلام وعلى كافة المستويات ومنها الجغرافي إنما كان لغرض تذكيرهم بفضل ونعمة وجود النبي صلى الله عليه وآله بينهم، وكيف غير حالهم المأساوي إلى حال أفضل، فمن الطبيعي ان تكون بيئة دعوته الأولى محل تركيز للمقايسة لأن منها كانت بداية التغيير.

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٩٤.

(٢) نهج البلاغة: ص٥٦.

لقد وصف أمير المؤمنين ﵇ أرض العرب بأنها شر دار، فقد جاء في كلامه ﵇ مخاطبا العرب: **"وأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وحَيَّاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ"**[1].

فهل هنا الإمام ﵇ يقصد شبه الجزيرة العربية كلها[2]؟ إن هذا لا يمكن القول به إذا نظرنا إلى أرض اليمن والسواد في جنوب العراق، أم أنه يقصد أرض الحجاز التي تعد مكة أهم مدنها بل هي أم القرى ومعقل أرض العرب؟ وهذا هو الأقرب للواقع. ولكن لماذا وصفها أمير المؤمنين ﵇ بأنها شر دار؟

لعل علة وصفها بشر دار يعود إلى الجانب الجغرافي، وما تركه من اثر على جميع نواحي حياتهم الاقتصادية والسياسية والفكرية والاجتماعية إذ "بين كونها شراً ببيان فساد أحوالهم"[3]، إذ يجوز ان يعني بقوله: **"بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وحَيَّاتٍ صُمٍّ"**[4] الحقيقة، وذلك أن البادية بالحجاز ونجد وتهامة وغيرها من أرض العرب ذات حياة وحجارة خشن، وقد يعنى بالحجارة الخشن الجبال أيضاً، أو الأصنام، فيكون داخلا في قسم الحقيقة إذا فرضناه مرادا، ويكون المعنى بذلك وصف ما كانوا عليه من البؤس وشظف المعيشة وسوء الاختيار في العبادة، فأبدلهم الله تعالى بذلك الريف ولين المهاد وعبادة من يستحق العبادة. ويجوز أن يعني به المجاز، فالمقصود بالحيات هنا الأعداء وهو الأحسن[5]، يقال للأعداء حيات. والحية الصماء أدهى من التي ليست

---

(١) نهج البلاغة: ص ٥٦.

(٢) ذهب بعضهم للقول أنها نجد وتهامة والحجاز: ينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٢/ ١٩. ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٢/ ٣٧. في حين أشار البيهقي ان مراد الإمام ﵇ بها: مكة والمدينة حصرا، ينظر: معارج نهج البلاغة: ص١١٥.

(٣) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٢/ ٣٧. وينظر: حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٣/ ٣١٥.

(٤) نهج البلاغة: ص٥٦.

(٥) إذ كانوا تحيطهم الاعدء (فارس وبيزنطة)، وقد أشار لذلك ﵇، ينظر نهج البلاغة: ص٤٠١ ـ ٤٠٢. وسيأتي بيانه في الجانب السياسي من هذا الفصل.

بصماء، لأنها لا تنزجر بالصوت. ويقال للعدو أيضاً: إنه لحجر خشن المس إذا كان ألد الخصام. والجشب من الطعام الغليظ الخشن.."[١].

وقد علق شارح معاصر على التفسير أعلاه بالقول: "ولقائل يقول: ان هذا التفسير لا يستقيم وذلك لأن كثيراً من الاعراب لولا أكثرهم كانوا ساكنين في البلاد كالمدينة ومكة والطائف واليمن والشام ومصر وامثالها من البلدان، واما الساكنون في البوادي فهم كانوا قليلين بالنسبة إلى غيرهم، فتفسير العبارة بما ذكروه لا معنى له فإن المنادى بقوله عليه السلام: "وانتم يا معشر العرب عام والخطاب للجمع كما هو ظاهر على المتأمل"[٢].

ثم قدم الجواب بوجهين ورجح ثانيهما:

الأول: انه من باب التغليب لو قلنا أكثر العرب كانوا ساكنين بالبوادي واثباته مشكل.

الثاني: وهو الحق عندي انه لا اشكال في كون العرب باجمعهم على شر دين وفي شر دار وذلك لأن الدار التي لا دين فيها فهي شر قطعا سواء كانت في المدينة أو مكة أو غيرها، والذي صار سببا لحملهم العبارة على ما قالوه، هو ان المدينة ومكة المكرمة مثلاً كيف يمكن القول بانهما تتصفان بالشر، فحملوا العبارة على دور البوادي، ولم يعلموا ان اتصاف مكة والمدينة وما شابهما بالشر ليس فيه اشكال فإن الشر شران: ذاتي وعرضي والمقصود هو الثاني، فإن القاتل مثلاً ليس بشر ذاتاً وإنما هو شر بالعرض لكونه قاتلاً، وليكن ما نحن فيه من هذا القبيل. هذا مع انه عليه السلام لم يقل في شر بلد بل قال في شر دار، ولا منافاة في كون الدار شراً والبلد غير شر فإن دار أبي لهب وأبي جهل وامثالهما من المشركين كانت شرا من جهة عدم نفوذ الدين فيها سواء كانت في مكة أو غيرها، وبعبارة أخرى لا ملازمة بين البلد والدار من

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٢/ ١٩.
(٢) الخراساني: مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: ٥/ ١٩٠.

هذه الجهة. والحاصل: انه لا كلام لأحد في أن العرب قبل البعثة كانوا في شر دين وشر دار كما قال الله ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(١)(٢).

وقد أشار البلدانيون إلى واقع الجزيرة العربية الجغرافي، إذ قسم العرب جزيرتهم تقسيما مسايراً لطبيعتها الجغرافية على خمسة اقسام، يقول الهمداني(٣): (فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوها وتوالدوا فيها خمسة أقسام عند العرب في اشعارها واخبارها، تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن). وزاد الاصطخري(٤) ثلاثة أصقاع، وهي بادية العراق، وبادية الجزيرة، وبادية الشام. إذ يتألف سطح الجزيرة العربية من هضبة تشبه الصحراء الافريقية في اتساعها وسهولها القاحلة الرملية والصخرية، التي تتخللها بقاع يندر فيها النبات، وهي عبارة عن أرض واسعة تنحدر تضاريسها من الغرب متجهة نحو الشرق، وهي مرتفعة غربا إذ تكثر الجبال المرتفعة، واشهرها جبال السراة التي تمتد من أقصى شمال الجزيرة حتى جنوبها موازية لساحل البحر الاحمر(٥).

وتعرف المنطقة الممتدة بين سلسلة جبال السراة وبين ساحل البحر الأحمر ـ وهي عبارة عن سهول ضيقة في الغالب ـ باسم تهامة، وتعني الأرض المنخفضة، وقد اتسم مناخها بسبب انخفاض أرضها وقربها من البحر بشدة الحر والرطوبة(٦). اما نجد فتمتد بين عسير والطائف وهي هضبة عظيمة الارتفاع، وتقع في قلب الجزيرة، ويحدها من الغرب جبال السراة، وسميت

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٤.
(٢) الخراساني: مفتاح السعادة: ص ١٩٠ ـ ١٩١
(٣) صفة جزيرة العرب: ص ٨٥.
(٤) المسالك والممالك: ٢٠ ـ ٢١، القلقشندي: صبح الأعشى: ٤/ ٢٤٥.
(٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٣/ ٢٠٤. محمود: العرب قبل الإسلام: ص١٧.
(٦) جواد علي: المفصل: ١/ ١٣٤.

نجد لارتفاع أرضها[١]. وتشكل ـ الحجاز ـ الفاصلة بين المرتفعات العالية (نجد) وبين الهضاب المنخفضة (تهامة) وتتخللها أودية عدة[٢].

الحجاز:

الحجاز: بالكسر، لغة فيه ثلاثة أوجه: **الأول**: مأخوذاً من قول العرب حجز الرجل بعيره يحجزه، إذا شده شدا يقيده به، **الثاني**: سمي حجازا لأنه يحتجز بالجبال، يقال: احتجزت المرأة إذا شدت ثيابها على وسطها واتزرت، ومنه قيل حجزة السراويل، الثالث: من قولهم حجزه يحجزه حجزا أي منعه[٣].

أما اصطلاحا: فالحجاز: جبل ممتد بين تهامة ونجد، فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما، قال الخليل: أنه فصل بين الغور والشام وبين البادية، وقال الأصمعي: الحجاز اثنتا عشرة دارا: المدينة، وخيبر، وفدك، وذو المروة، ودار بلي، ودار أشجع، ودار مزينة، ودار جهينة، ونفر من هوازن وجل سليم وجل هلال وظهر حرة ليلى، ومما يلي الشام شغب وبدا. وروي عن هشام الكلبي أنه قال: الحجاز ما بين جبلي طئ إلى طريق العراق لمن يريد مكة، وقيل لما تبلبلت الألسن ببابل وتفرقت العرب إلى مواطنها سار طسم بن إرم في ولده وولد ولده يقفو آثار إخوته وقد احتووا على بلدانهم، فنزل دونهم بالحجاز فسموها حجازا لأنها حجزتهم عن المسير في آثار القوم لطيبها في ذلك الزمان وكثرة خيرها[٤].

والحجاز أحد أقسام العرب الخمسة، قال هشام الكلبي: صارت بلاد

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٥/ ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى: ٤/ ٢٥٢. وينظر: الشريف: مكة والمدينة: ص٢٣. الملاح: الوسيط: ص٢٠.

(٣) الفراهيدي: العين ٣/ ٧٠. الجوهري: الصحاح ٣/ ٨٧٢. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٢/ ٢١٨.

(٤) البكري: معجم ما استعجم: ١/ ٩ ـ ١٢. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٢/ ٢١٨ ـ ٢١٩.

العرب من هذه الجزيرة التي نزلوها وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب في أشعارهم وأخبارهم: تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن(١).

لقد وردت الإشارة إلى الحجاز ثلاث مرات في نهج البلاغة، الأولى في يوم الجمل وهو يخاطب الزبير مستغربا من موقفه السلبي منه بعدما كان من مريديه في الحجاز، فقال له: "**عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ**"(٢). والثانية كتبها لأحد ولاته الذي خان الولاية وأخذ أموالها ورحل للحجاز(٣) فكتب له عليه السلام: "**إِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي، وجَعَلْتُكَ شِعَارِي وبِطَانَتِي، ولَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي، لِمُوَاسَاتِي ومُوَازَرَتِي وأَدَاءِ الأَمَانَةِ إِلَيَّ، فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ، ... قَلَبْتَ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ، فَفَارَقْتَه مَعَ الْمُفَارِقِينَ، وخَذَلْتَه مَعَ الْخَاذِلِينَ، وخُنْتَه مَعَ الْخَائِنِينَ، ... فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ، وعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ واخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْه مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةِ لأَرَامِلِهِمْ وأَيْتَامِهِمُ، اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الأَزَلِّ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ، فَحَمَلْتَه إلى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِه، غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِه**"(٤). والنص الثالث حينما ذكر فدكا قال عليه السلام: "**ولَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إلى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ، ولُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ، ونَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ، ولَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، ويَقُودَنِي جَشَعِي إلى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ، ولَعَلَّ بِالْحِجَازِ أو الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَه فِي الْقُرْصِ، ولَا عَهْدَ لَه بِالشِّبَعِ، أو أَبِيتَ مِبْطَاناً، وحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى، وأَكْبَادٌ حَرَّى**"(٥).

---

(١) الهمداني: صفة جزيرة العرب: ص٨٥. البكري: معجم ما استعجم: ١/١٦. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٢/٢١٩.

(٢) نهج البلاغة: ص٦٦.

(٣) تباينت الآراء في الوالي أعلاه وإن كانت القرائن تشير إلى عبد الله بن العباس والي الإمام عليه السلام على البصرة. لمزيد من التفاصيل ينظر: النصرالله: شرح نهج البلاغة: ص ٣٨٣ ـ ٤٠١.

(٤) نهج البلاغة: ص٥٦٧.

(٥) نهج البلاغة: ص٥٧٤.

أما مدن الحجاز التي وردت الإشارة إليها في نهج البلاغة فمكة والمدينة وبعض المواقع التي تقع فيهما أو بينهما.

مكة المكرمة:

إن اسم مكة(١) أُخذ من مك أي مص أو استخرج أو جذب، أو ازدحم، ولعلها سميت مكة لقلة مائها، وذلك لأنهم كانوا يمتكون الماء فيها أي يستخرجونه، أو لأنها تجذب الناس إليها(٢)، وتسمى بكة، وهو مأخوذ من البك وهو الازدحام(٣). وتباينت الآراء في هل إن بكة هي مكة ذاتها أم البيت الحرام فقط(٤).

يبدو ان معنى الازدحام مأخوذ مما تشهده مكة في موسم الحج الذي قد يؤدي أحياناً إلى الهلاك أو دك الاعناق أثناء الطواف حول البيت(٥)، حتى ان بعض المعاني المستمدة من بكة تساعد على ذلك فـ"البكبكة" تعني المجيء والذهاب(٦). وواضح انها ربما كانت مشتقة من الطواف أو السعي بين الصفا والمروة(٧).

---

(١) إن الاسم مشتق من لفظ "مكا" البابلية التي تعني البيت. ينظر حسن المعمري: مكة وعلاقتها التجارية مع شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية: ص١٠، واما بكة فهو اسم لبطن مكة لأنهم يتباكون فيها وهو ازدحامهم أيضاً الحميري: الروض المعطار: ص٩٣. وقد ذكرها بطليموس الاسكندري باسم (مكربة) (مكربا) (Macoraba) وهي تقابل كلمة (مكرب) لقب ملوك اليمن قديما تعني (مقرب) لأن مكة تقرب إلى الاله جواد علي: المفصل: ٤/ ٧ ـ ٨. توفيق برو: تاريخ العرب القديم: ص١٦٥.

(٢) وقيل سميت بذلك لأنها وسط العالم كالمخ ألذي هو أصل ما في العظم. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ص٤٧٠.

(٣) الفراهيدي: العين: ٥/ ٢٨٥. ابن سلام: غريب الحديث: ٣/ ١٢٣. الأزرقي: أخبار مكة: ١/ ٢٨١. ابن الفقيه: مختصر البلدان: ص٧٤. الراغب الاصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ص٤٧٠. ابن سيدة: المخصص: ١/ ١/ ٢٦. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٥/ ١٨٢. ابن منظور: لسان العرب: ١٠/ ٤٩١. العيني: عمدة القاري: ٩/ ٢١٤. الزبيدي: تاج العروس: ١٣/ ٦٤٥.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٥/ ١٨١ ـ ١٨٢. ابن منظور: لسان العرب: ١٠/ ٤٩١. الزبيدي: تاج العروس: ١٣/ ٦٤٥.

(٥) الفراهيدي: العين: ٥/ ٢٨٥. علي غانم: بيئة النبي صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم: ص٢٥.

(٦) ابن سيدة: المخصص: ٣/ ٣/ ١٠٦.

(٧) علي غانم جثير: بيئة النبي صلى الله عليه وآله: ص ٢٥.

كما جاء ذكرها في القرآن الكريم على انها بكة في قوله ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(١) وقد ذكر الاخباريون والبلدانيون ان بكة موضعا ما أو موضع البيت الحرام أو بطن مكة(٢). وهناك من يرى ان بكة هي نفسها مكة ابدلت فيها الميم باء على عادة أهل الجنوب(٣).

وردت بعض الإشارات التوصيفية لارض مكة في معرض حديث الإمام عن البيت الحرام، إذ يقول عليه السلام: "**ثُمَّ وَضَعَه بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأرض حَجَراً، وأَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً، وأَضْيَقِ بُطُونِ الأَوْدِيَةِ قُطْراً، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، ورِمَالٍ دَمِثَةٍ، وعُيُونٍ وَشِلَةٍ، وقُرًى مُنْقَطِعَةٍ، لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ، ولَا حَافِرٌ ولَا ظِلْفٌ**"(٤).

ويمكن الوقوف هنا على أهم الاوصاف التضاريسية التي أشار لها الإمام عليه السلام في ضمن نقاط توضيحية:

١ ـ قوله عليه السلام: "**بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأرض حَجَراً**" إذ إن مكة هي أكثر الأراضي المرتفعة وعورة وخشونة، فهي تقع في واد على شكل سهل منبسط محاط بجبال ذات شعاب تحيط بالوادي احاطة كاملة(٥). وصفه القرآن ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾(٦)، وقد اغتنت مكة على مر الزمان عن بناء سور لحماية المدينة(٧). واما نوعية تربتها فإنها من النوع الحجري المرافق لوجود الجبال فضلاً عن الرمال الدمثة (اللينة) وتأثيرها على الحركة، وقد اثر هذا الحجر على وعورة المنطقة

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٦.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة: ١/ ٢٨٠. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٥/ ١٨١ ـ ١٨٢. ابن منظور: لسان العرب: ١٠/ ٤٩١. الزبيدي: تاج العروس: ١٣/ ٦٤٥.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان: ١/ ٤٧٥، ٥/ ١٨١. القلقشندي: صبح الأعشى: ٤/ ٢٥٥. الحميري: الروض المعطار: ص٩٣.

(٤) نهج البلاغة: ص ٣٩٤.

(٥) فإلى الشرق منها يقع جبل أبو قبيس، وإلى الغرب منها يطل عليها جبل قعيقعان. ينظر القلقشندي: صبح الأعشى: ٣/ ٢٥٣.

(٦) سورة إبراهيم الآية ٣٧.

(٧) الشريف: مكة والمدينة: ص٢٨.

وعدم ملائمتها للإنتاج الزراعي. وأشار الإمام إلى نوعية التربة الصالحة للزراعة التي غابت نوعا ما عن أرض مكة وهي التربة الطينية بنفس الوقت فإن أرضها كانت رملية لينة وليست صلبة إذ ان اللينة ضعيفة الانتاج الزراعي(١).

٢ ـ أشار الإمام عليه السلام إلى أن مكة كانت قليلة المياه إذ كما قال عليه السلام انها ذات "**عُيُونٍ وَشِلَةٍ**" لقلة الأمطار فيها، التي مع سقوطها أحياناً إلا انها لا تكون غزيرة، ولكنها تشكل سيولا تنحدر من الجبال إلى الوديان والشعاب(٢).

٣ ـ تقع مكة في واد محاط بجبال، أو كما عبر عنه عليه السلام "**وأَضْيَقِ بُطُونِ الأَوْدِيَةِ قُطْراً، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ**" فان الجبال قريبة بعضها إلى بعض فلا سهل يوجب الانبساط في النفس والسعة في محل الحركة والعمل(٣)، وهي بين جبال خشنة لا لين في احجارها ورمال لينة يصعب السير فيها(٤).

٤ ـ انقطاع القرى وتباعدها بعضها عن البعض الآخر، "**وقُرًى مُنْقَطِعَةٍ**"، فلا يتيسر التواصل فيما بينها(٥).

٥ ـ يشير عليه السلام إلى انها بقعة لا تساعد على بقاء الفصائل الحيوانية الضرورية، وهي ذات الخف والحافر والظلف ـ الجمال والخيل والبقر والغنم ـ، ولا تفيد في زيادتها ونموها فهي هزيلة. أو أن طبيعة الرمال اللينة يصعب معها مشي الدواب. ولعل هزالها يعود إلى عدم وجود نباتات في هذه المنطقة ومن ثم عدم وفرة الكلأ، "ولعل الأمر أكثر وضوحاً واسهل بيانا من هذا الالتباس إذ ان القول ان الرمال هي السبب في عدم نمو الحيوانات يلزم القول بعدم تربيتها هناك اصلا، لا نموها فقط، وهذا ما لم يثبت، فالإمام عليه السلام يذكر ان حيوانات مكة ضعيفة وهزيلة أكثر من حيوانات بقية المناطق التي تعتمد على

(١) حميد سراج جابر: الفكر الاختباري في نهج البلاغة: ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩.
(٢) نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول: ص ٢٢٥.
(٣) الشيرازي: توضيح نهج البلاغة: ٣/ ١٩٩.
(٤) جابر: الفكر الاختباري: ص ٢٣٥.
(٥) العاملي: تخطيط المدن في الإسلام: ص ٢٨.

الزراعة التي لا تكون أرضها حجرية جافة، لذلك حمل اغلب الشارحين كلام الإمام عليه السلام على هذا الاساس وهو اساس قلة الغذاء"[١].

ولعله يمكن التوفيق بين الرأيين وارجاع السبب في عدم نمو الحيوانات إلى قلة النباتات نتيجة طبيعة هذه الأرض، وإلى تكون هذه الأرض من رمال لينة يصعب معها تحرك الحيوانات، مما ادى إلى صعوبة البيئة وتأثيرها السلبي على الحيوان[٢].

٦ ـ وصف الإمام عليه السلام مكة بالنتيقة، ولقد تعددت الآراء في معناها:

أ ـ انه عليه السلام أراد بها البلاد لرفع بنائها وشهرتها في موضعها[٣]. يقول ابن ميثم: النتق بمعنى الجذب وسميت المدن نتائق لارتفاع بنائها وشهرتها كانها جذبت ورفعت[٤].

ب ـ الأراضي المرتفعة باعتبارها أرض جبلية[٥].

ج ـ ان ابنية المدن ودورها بمثابة المظلة التي يستظل بها لذلك سميت المدن نتائق، وهي متأتية من كلمة انتق أي جعل مظلة[٦].

د ـ اما الراوندي[٧] فيقول: استعمل النتق على وجوه أليقها بهذا الموضع ان تكون الأرض مثارا للزراعة، وهي ـ أي أرض مكة ـ أقل الأرضين مدرا، يرفع ويزرع فيه، لأن تلك الأرض ذات حجارة، ومدرها المستصلح للزراعة قليل، ومن هذا جاء قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾[٨] أي رفعنا.

---

(١) جابر: الفكرالاختباري: ص٢٣٧.

(٢) محمد عبدة: نهج البلاغة (شرح): ص ٢٧٩

(٣) ابن الأثير: النهاية: ٥/ ١٣. ابن منظور: لسان العرب: ١٠/ ٣٥١ ـ ٣٥٢. البدري: نزهة النظر في غريب النهج والاثر: ص ٨٠٩.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٣١٥

(٥) الشيرازي: توضيح نهج البلاغة: ٣/ ١٩٨.

(٦) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ١١/ ٢٨١

(٧) منهاج البراعة: ٢/ ٢٥١.

(٨) سورة الأعراف الآية ١٧١.

ويمكن استخلاص ثمة معنى من الآراء أعلاه أنها تعني الرفعة والارتفاع لارض مكة.

وأما أبرز معالم مكة التي ورد ذكرها في نهج البلاغة:

أولاً: الكعبة:

ورد ذكر الكعبة في القرآن بلفظ الكعبة، أو البيت الحرام، أو البيت العتيق، كما في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[٢]. وقد وردت الإشارة من الإمام عليه السلام إلى الكعبة بلفظ البيت الحرام في أكثر من مورد منها قوله عليه السلام: **"وفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِه الْحَرَام"**[٣]، **"حج البيت واعتماره"**[٤]، **"فَجَعَلَهَا بَيْتَه الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَه لِلنَّاسِ قِيَاماً"**[٥]، **"والله الله فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ"**[٦]. وتطرق الإمام عليه السلام إلى جملة أمور تخص البيت الحرام، منها تاريخ البيت الحرام، إذ جاء في كلامه:

"أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّه سُبْحَانَه، اخْتَبَرَ الأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صلوات الله عليه، إِلَى الآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ ولَا تَنْفَعُ، ولَا تُبْصِرُ ولَا تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَه الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَه لِلنَّاسِ قِيَاماً، ثُمَّ وَضَعَه بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأَرْضِ حَجَراً... ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عليه السلام ووَلَدَه أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَه، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ، وغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ، تَهْوِي إِلَيْه ثِمَارُ الأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ، ومَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلًا، يُهَلِّلُونَ لِلَّه حَوْلَه ويَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَه، قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ

---

(١) سورة المائدة الآية ٩٧.

(٢) سورة الحج الآية ٢٩.

(٣) نهج البلاغة: ص ٢٢.

(٤) نهج البلاغة: ص ٢١١.

(٥) نهج البلاغة: ص ٣٩٤.

(٦) نهج البلاغة: ص ٥٨٢.

وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمُ، ابْتِلَاءً عَظِيماً، وامْتِحَاناً شَدِيداً، واخْتِبَاراً مُبِيناً، وتَمْحِيصاً بَلِيغاً، جَعَلَه اللَّه سَبَباً لِرَحْمَتِه، ووُصْلَةً إلى جَنَّتِه"[١].

يتطرق الإمام في النص أعلاه إلى أمور عدة، منها: تاريخ وجود البيت الحرام (الكعبة) الذي يرجع إلى زمن آدم عليه السلام وهذا ما أشارت إليه بعض الروايات التاريخية والتي على اختلاف المعلومات الواردة فيها الا انها ربطت زمن وجود هذا البيت بالنبي آدم عليه السلام. لكن الروايات تباينت فيما يلي:

- ان الله هو الذي انزل البيت على شكل ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت، ثم أمر ادم عليه السلام بالطواف حوله[٢].

- ان آدم عليه السلام فقد اصوات الملائكة فشكا ذلك إلى الله فاهبط إليه بيت يطوف به كما يطاف بالعرش[٣].

- ان الله هو الذي أمر آدم عليه السلام ببناء البيت "أوحى الله إلى آدم ان لي حرما بجنة عرشي، فانطلق فابن لي بيتا ثم طف به..."[٤].

- أشارت رواية ان الله لما خلق السموات والأرض كان أول شيء وضعه فيها البيت الحرام[٥].

- ان الله عزى ادم عليه السلام بخيمة من حلي الجنة فلما مات ادم رفعت فبنى بنوه مكانها بيتا بالطين والحجارة[٦].

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٩٤ ـ ٣٩٥.
(٢) الطبري: تاريخ: ١/ ٨٤.
(٣) الطبري: تاريخ: ١/ ٨٤ ـ ٨٥.
(٤) الطبري: تاريخ: ١/ ٨٥.
(٥) الازرقي: أخبار مكة: ١/ ٥٠. العياشي: تفسير: ١/ ٦٠.
(٦) الازرقي: أخبار مكة: ١/ ٥١.

- عن الصادق عليه السلام: كان البيت درة بيضاء فرفعه الله إلى السماء وبقى اساسه[١].

ان التناقضات في هذه الروايات فضلاً عن غلبة الطابع القصصي على ما ورد فيها هو الذي حمل عددا من الباحثين على التشكيك فيها، وعدم التسليم بقبول ما جاء فيها؛ إذ يقول جواد علي[٢] "ومعارفنا عن البيت الحرام ضئيلة، وفي الذي يذكره أهل الأخبار عنه ما لا يمكن قبوله ولا الأخذ به، لأنه لا يدخل في حدود التاريخ، ولغلبة الطابع القصصي عليه، ثم ان بعضه يناقض بعضا...".

وذهب الملاح[٣] بعيداً في تشكيكه حتى نسب بناء البيت إلى تجار القوافل إذ يقول: "وقد زعم أهل الأخبار بأن مكة قد اتخذت مقاما للعبادة قبل مجيء إبراهيم عليه السلام إليها بزمن طويل، وربما كان هذا البيت قد انشأه تجار القوافل من العرب الذين كانوا يتوقفون في هذا الموضع لغرض أخذ قسط من الراحة والتزود بالماء من الابار التي كانت موجودة فيه".

ولكن كيف يمكن القول: ان هذا البيت المقدس بناه التجار أو اناس عاديون دون تدخل السماء في ذلك؟! وهو البيت الذي خصه الله بعنايته، فجعله أول بيت بني لعبادته ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[٤] بنسبته إليه جل وعلا إذ يقول: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[٥]، وكل الآيات الذاكرة له تدلل على عظمته وارتباطه بالذات الالهية، وان كنا لا نسلم بكل ما جاء في المرويات التاريخية التي تناولت قصة وجود هذا البيت وبنائه من قبيل ان الله قد انزله على آدم عليه السلام تسلية له بعد

---

(١) العياشي: تفسير: ١/ ٦٠.
(٢) المفصل: ٦/٣٣٦.
(٣) الوسيط: ص ٢٧٢.
(٤) سورة آل عمران الآية ٩٦.
(٥) سورة الحج الآية ٢٦.

حزنه أو غيرها من الأسباب، وانه انزله ياقوته حمراء أو بيضاء أو خيمة في اصله ثم بنوه أبناؤه من بعده، وما في ذلك من تفاصيل مبالغ فيها، ويصعب التسليم بها.

وقد جاء في إشارة الإمام عليه السلام في أعلاه ان البيت منذ زمن آدم عليه السلام كان من الحجر، وان جعله من الحجر كان لحكمة، وهذا يعارض ما جاء في الروايات بأنه كان خيمة من حلي الجنة انزلها الله من السماء أو ياقوته حمراء أو بيضاء، فيما ذكرت رواية أخرى انه بعد موت آدم قام ولده ببناء البيت بالحجارة والطين بعد أن رفع الله الخيمة أو الياقوته، وإن خير دليل على نفي هذه الروايات ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "**وَلَوْ كَانَ الإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، والأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ، لَخَفَّفَ ذلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ...**"[١].

ان لهذا النص اهمية خاصة في سد ثغرة احدثها غياب التوثيق قبل الإسلام، إذ يقول جواد علي[٢]: "ولم يعثر حتى الآن على كتابة جاهلية تكشف القناع عن تاريخ (البيت الحرام)، ولذلك انحصر علمنا بتأريخه بما ورد في الموارد الإسلامية عنه".

وإذا كانت المشكلة عند جواد علي مع الموارد الإسلامية لأن أكثرها عن الاخباريين "وفي الذي يذكره أهل الأخبار عنه ما لا يمكن قبوله ولا الأخذ به، لأنه لا يدخل في حدود التاريخ، ولغلبة الطابع القصصي عليه..."[٣]. فالراوي هنا هو أمير المؤمنين عليه السلام باب علم مدينة رسول الله ﷺ وعدل القرآن، فلا جدال في صحة ما جاء عنه عليه السلام، فهل نهج البلاغة لم يكن من مصادر الدكتور جواد علي جينما كتب سفره القيم عن تاريخ العرب قبل الإسلام؟.

---

(١) نهج البلاغة ص ٣٩٦.

(٢) جواد علي: المفصل: ٦/٣٣٦.

(٣) المفصل: ٦/٣٣٦.

أما عن بناء النبي إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام للبيت الحرام الذي أشار له القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1]. فهذا إشارة إلى تجديده من قبلهما عليهما السلام.

ويشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى حكمة الله في بناء هذا البيت إذ اختبر الله العباد من أول الخلق بهذه الاحجار التي لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، وان جل ما فيها نسبتها لله سبحانه، فهو الذي ارادها بهذه الكيفية والبساطة.

وان الله تعالى اتماما للاختبار والابتلاء جعل البيت في اوعر بقاع الأرض واصعبها، فهي غير صالحة للزرع وغير صالحة أيضاً لحياة الحيوان فيها، فلا يزكو بها خف ولا حافر ولا ظلف، وهذا عين ما جاء في قوله تعالى على لسان النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾[2][3].

وقد بين عليه السلام السر وراء جعل البيت في هكذا موضع تكتنفه الصعوبات بقوله "**ولَوْ أَرَادَ سُبْحَانَه، أَنْ يَضَعَ بَيْتَه الْحَرَامَ ومَشَاعِرَه الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وأَنْهَارٍ وسَهْلٍ وقَرَارٍ، جَمَّ الأَشْجَارِ، دَانِيَ الثِّمَارِ، مُلْتَفَّ الْبُنَى، مُتَّصِلَ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ، ورَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ، وعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ، ورِيَاضٍ نَاضِرَةٍ، وطُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ، ولَوْ كَانَ الإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، والأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، ويَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، ونُورٍ وضِيَاءٍ، لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، ولَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، ولَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ، ولَكِنَّ اللَّه يَخْتَبِرُ عِبَادَه بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، ويَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، ويَبْتَلِيهِمْ**

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٧.

(٢) سورة إبراهيم الآية ٣٧.

(٣) فارس حسون: الحج في نهج البلاغة: ص ٩

بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، ولِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إلى فَضْلِهِ، وأَسْبَاباً ذُلُلا لِعَفْوِه"(١).

يتضح جليا من هذا النص ان الله سبحانه قد شرع الحج إلى بيته الحرام منذ زمن آدم عليه السلام، إذ يقول عليه السلام: "**ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عليه السلام ووَلَدَه أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَه**"(٢)، "**علَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ ومَضَتِ الدُّهُورُ**"(٣)، وغدا البيت "**قِبْلَةً لِلأَنَامِ**(٤)"(٥).

ويظهر من كلامه عليه السلام أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يحجون البيت الحرام، ففي إشارة منه عليه السلام في معرض حديثه عن عباده ممن يحج البيت انهم "**وَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِه**"(٦). وفيه إشارة إلى متابعتهم لهم في مواقف الحجّ(٧).

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٩٦ ـ ٣٩٧. ولكن نلاحظ ان هذا البيت رغم ما يكتنفه من صعوبات طبيعية مرت الإشارة إليها وصعوبات المناسك أيضاً إلا أنه من خصائصه واسراره "تَهْوِي إليه ثِمَارُ الأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ" نهج البلاغة: ص ٣٩٥، كما ورد في دعاء النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ سورة إبراهيم الآية ٣٧، وقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام هذا الشوق في تمثيل رائع، إذ قال: "ويَأْلَهونَ إليه وُلوهَ الحَمام" نهج البلاغة: ص ٢٢، أي يشتد شوقهم إليه حتى تكاد تذهب عقولهم من شدة الاشتياق كاشتياق الحمام إلى وكرها، وقد "جَعَلَه اللّه سَبَباً لِرَحْمَتِه، ووُصْلَةً إلى جَنَّتِه" نهج البلاغة: ص ٣٩٦ وينظر: فارس حسون: الحج في نهج البلاغة: ص ٩.

(٢) نهج البلاغة ص٣٩٤ ـ ٣٩٥.

(٣) نهج البلاغة ص٢٠.

(٤) نهج البلاغة ص٢٢.

(٥) الانام هنا: الجن والانس، وقيل: ما على وجه الأرض من جميع الخلق، وبناء على التفسير الأول، يكون بيت الله الحرام قبله للانس والجن، اما الانس فواضح، اما الجن، فيدل كلامه عليه السلام: جعله قبلة للانام ـ بناءً على تفسير الانام للجن والإنس ـ على ان بيت الله الحرام قبلة للجن أيضاً، يتوجهون إليه حين عبادتهم، وان كانت ماهية عبادتهم لنا مجهولة. وقد أشار القرآن إلى إيمان الجن بالنبي محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ①﴾. سورة الحج الأية ١ ـ ١٥. وبناء على التفسير الثاني، يكون بيت الله الحرام قبله لجميع ما على وجه الأرض من الخلق، ومعلوم ان المخلوقات كلها تعبد خالقها، وان كانت كيفية عبادتها مجهولة لنا الا ان المفهوم من قوله عليه السلام: جعله قبله للانام، بناء على تفسير الانام بأنهاكل ما على وجه الأرض من الخلق، فبيت الله الحرام قبلة لجميع المخلوقات تتوجه إليه في عبادتها ربها وخالقها. فارس الحسون: الحج في نهج البلاغة: ص ٢٢ ـ ٢٣.

(٦) نهج البلاغة ص ٢٢.

(٧) وفي ذكر الأنبياء هاهنا استدراج حسن للطباع اللطيفة المتشوّقة إلى لقاء اللّه والتشبّه بأنبيائه عليهم السلام. فإنّ=

ومع وجود بيوت أخرى للعبادة عرف بعضها بالكعبات، فقد جاء في صحيح البخاري[١] "كان بيت في الجاهلية يقال له ذو الخصلة والكعبة اليمانية والكعبة الشامية"، ورغم ذلك بقيت الكعبة صاحبة المكانة المتميزة عند العرب.

ثانياً: حراء:

بالكسر والتخفيف والمد، جبل من جبال مكة على ثلاثة اميال، وهو أحد الجبال التي بنى منها آدم أو إبراهيم عليه السلام الكعبة[٢]، وفيه الغار الذي كان النبي صلى الله عليه وآله يتحنث فيه قبل بعثته الشريفة مدة شهر أو أكثر[٣]. وذكره أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: "**وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ، فَأَرَاه وَلَا يَرَاه غَيْرِي**"[٤]. ويظهر أنه صلى الله عليه وآله استمر في ذلك حتى بعد البعثة مستتراً من المشركين[٥].

ويستشف من بعض النصوص أن النبي تعرض لمحاولة اغتيال وهو في حراء[٦].

ثالثاً: المدينة:

تقع المدينة على بعد ثلاثمائة ميل إلى الشمال من مكة، كما تبعد عن ينبع

=الكعبة وما يتعلق بها مقام الأنبياء عليهم السلام فمن حجّ ودخل الحرم فقد دخل مدخلهم ومقامهم. ينظر ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٩٨. الخراساني: مفتاح السعادة: ٢/ ١٢.

(١) ٥/ ١١١. ولمزيد من التفاصيل ينظر: الشريف يوسف: الكعبات المقدسة عند العرب قبل الإسلام: (الصفحات جميعها).

(٢) ابن طاووس: سعد السعود ص٣٧، النوري: المستدرك: ٩/ ٣٢٨، .

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية: ١/ ١٥٤. أبو جعفر الإسكافي: نقض العثمانية: ص ٣٠٦. الطبري: تاريخ ٢/ ٤٨. الزمخشري: الفائق: ١/ ٢٣٧. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٢/ ٢٣٣، ٤/ ١٨٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٢/ ٤٨. ابن سيد الناس: عيون الاثر: ١/ ١١٤. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/ ٥.

(٤) نهج البلاغة: ص ٤٠٦.

(٥) المجلسي: البحار: ١٩/ ٧.

(٦) البحراني: حلية الأبرار: ١/ ٦١.

مينائها على البحر الأحمر مائة وثلاثين ميلا[١]. وهي أرض بركانية بين حرتين[٢]، وقد اشتهرت بالخصب والنماء، وفي شمالها جبل أحد، كما ان المزارع تحيط بها من جميع الجهات ما عدا الجبهة الغربية وإن المسافر يجد فيها كما يجد المقيم حاجته من زاد وامن[٣].

قال البكري[٤]: (هي مدينة الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم. فإذا قيل المدينة، غير مضافة ولا منسوبة، علم أنها هي، قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥]. وهي يثرب، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾[٦]. وهي الدار، قال الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[٧]. وهي طيبة وطابة والعذراء، وهي جابرة، والمجبورة، والمحبة، والمحبوبة، والقاصمة، قصمت الجبابرة).

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٥/ ٨٢ ـ ٨٨.

(٢) الحرة، قال ياقوت تحت عنوان: ذكر الحرار في ديار العرب: (قال صاحب كتاب العين: الحرة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار، والجمع الحرات والاحرون والحرار والحرون، وقال الأصمعي: الحرة الأرض التي ألبستها الحجارة السود، فإن كان فيها نجوة الأحجار فهي الصخرة، وجمعها صخر، فإن استقدم منها شئ فهو كراع، وقال النضر بن شميل: الحرة الأرض مسيرة ليلتين سريعتين أو ثلاث، فيها حجارة أمثال الإبل البروك كأنها تشطب بالنار، وما تحتها أرض غليظة من قاع ليس بأسود وإنما سودها كثرة حجارتها وتدانيها، وقال أبو عمرو: تكون الحرة مستديرة فإذا كان فيها شئ مستطيل ليس بواسع فذلك الكراع واللابة والحرة بمعنى، ويقال للطلمة الكبيرة، وهي الخبزة التي تنضج بالملة: حرة، والحرة أيضاً: البثرة الصغيرة، والحرة أيضاً: العذاب الموجع، والحرار في بلاد العرب كثيرة، أكثرها حوالي المدينة إلى الشام، وأناأذكرها مرتبة على الحروف التي في أوائل ما أضيفت الحرة إليه). ثم ذكر عدد من هذه الحرار كحرة أوطاس، وتبوك، وتقده أو نقده، وحقل، والحمارة، وراجل، وراهص، والرجلاء، ورماح، وسليم، وشرج، وشوران، وضارج، وضرغد، وعباد، وعذرة، وعسعس، وغلاس، وقباء، والقوس، ولبن، ولفلف، وليلى، ومعشر، وميطان، وحرة النار، وواقم، غيرها. معجم البلدان ٢/ ٢٤٥ ـ ٢٤٩.

(٣) الشريف: مكة والمدينة: ص ٢٩.

(٤) معجم ما استعجم: ٤/ ١٢٠٢.

(٥) سورة المنافقون الآية ٨.

(٦) سورة الأحزاب الآية ١٣.

(٧) سورة الحشر الآية ٩.

كانت تسمى يثرب قيل نسبة إلى يثرب ابن قانية من إرم بن سام بن نوح، لأن أول من نزلها. وقال النبي صلى الله عليه وآله، تسمونها يثرب، ألا وهي طيبة. كأنه كره أن تسمى يثرب، لما كان من لفظ التثريب[١]. فيروى أنه كان صلى الله عليه وآله يخاطبها بقوله: "يا طيبة، يا سيدة البلدان"[٢]، وفي رواية: "ان الله عز وجل امرني ان اسمي المدينة طيبة"[٣]، وكان صلى الله عليه وآله يقول: "لكل نبي حرم، وحرمي المدينة"[٤]. ومن هنا ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام بذكر خصيصة هجرته صلى الله عليه وآله اليها، فقال: "هجرته بطيبة"[٥].

ومن المواقع التي تقع ما بين مكة والمدينة:

القليب: بفتح القاف وكسر اللام وسكون الياء، هو البئر قبل ان تطوى،[٦] فإذا طويت فهي الطوي، والجمع القلب، وقيل هي البئر العادية القديمة التي لا يعلم لها رب، ولا حافر، تكون في البراري، تذكر وتؤنث وقيل هي البئر القديمة، مطوية كانت أو غير مطوية[٧]، ذات ماء أو غير ذات ماء، جفر أو غير جفر. وقيل القليب ما كان فيه عين والا فلا. وسميت قليبا لانها كالشيء يقلب من جهة إلى جهة وكانت ارضا فلما حفرت صار ترابها كانه قلب[٨]. وقيل إنما سميت كذلك لأن ترابها قلب[٩]، والقليب ببدر من العدوة الدنيا من بطن وادي يليل[١٠] إلى المدينة[١١].

---

(١) معجم ما استعجم: ٤/ ١٣٨٩.
(٢) المتقي الهندي: كنز العمال: ١٢/ ٢٥٩.
(٣) السيوطي: الجامع الصغير: ١/ ٢٥٨. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٢/ ٢٣٢.
(٤) ابن حنبل: المسند: ١/ ٣١٨. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٣/ ٣٠١
(٥) نهج البلاغة: ص٣٠٢.
(٦) الفراهيدي: العين: ٥/ ٧١. الجوهري: الصحاح: ١/ ٢٠٦.
(٧) ابن منظور: لسان العرب: ١/ ٦٨٩.
(٨) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ١٨.
(٩) ابن منظور: لسان العرب: ١/ ٦٨٩.
(١٠) وادي يقع بين ينبع والعذيبة، وهو واد أصفر الرمل. ابن سيدة: المخصص: ٥/ ١/ ٤٧. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ١/ ٢٤٨.
(١١) البكري: معجم ما استعجم: ١/ ٢٣٢. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٥/ ٤٤١.

والإمام عليه السلام يقصد هنا قليب بدر الذي يقع على ثمانية وعشرين فرسخا[١] من المدينة في طريق مكة[٢]، وهذا يعني ان القليب يقع بين مكة والمدينة. وقد ورد ذكر القليب في كلام الإمام عليه السلام وهو يشير إلى رد الرسول ﷺ على المشركين بعد طعنهم في نبوته، إذ تحدث عليه السلام عن حادثة الشجرة وكيف تنبأ النبي ﷺ للمشركين بقوله " **وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ** "[٣].

إن قضية من طرح في القليب وردت في كتب الحديث لكن برؤية فيها بعض الاختلاف، فقد جاء في صحيح البخاري[٤]: "عن عبدالله بن مسعود حدثه، ان النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم كان يصلى عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجئ بسلا جزور بنى فلان يضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وضعه على ظهره بين كتفيه، وانا انظر لا أغنى شيئاً لو كان لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض ورسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة، فطرحت عن ظهره، فرفع رأسه، ثم قال: اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، فشق عليهم، إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون ان الدعوة في ذلك البلد مستجابة. ثم سمى اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعد السابع لم نحفظه، قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم صرعى في القليب قليب بدر".

---

(١) مقدار من مقاييس الطول عند العرب، أختلف هل هو عربي أم معرب، يساوي ثلاثة أميال، وحاليا اختلف فيه بين (٥) و(٧) و(٨) كم. العاملي: الاصطلاحات الفقهية ص١٦٠. أبو حبيب: القاموس الفقهي: ص٢٨٢.

(٢) البكري: معجم ما أستعجم: ١/ ٢٣١.

(٣) نهج البلاغة: ص٤٠٧.

(٤) ١/ ٦٥ ـ ٦٦. وينظر: ابن حنبل: مسند احمد: ١/ ٤١٧. مسلم: الصحيح: ٥/ ١٨٠.

الذي يلاحظ:

١ ـ أن أمير المؤمنين ذكر الحادثة في موضع قيام النبي صلى الله عليه وآله بإفحام المشركين ورده على تخرصاتهم في محاولة إثباتهم عدم صحة نبوته. فعندها تنبأ النبي صلى الله عليه وآله لعدة أمور منها أنه مع تقديمه ما طلبوا منه، فإنهم لن يؤمنوا به، ثم تنبؤه صلى الله عليه وآله لمصير هؤلاء إذ يسحبون إلى القليب.

٢ ـ أما البخاري فذكرها في حادثة عرضية دفعت النبي صلى الله عليه وآله للدعاء على المشركين. وكأنه من باب الانتقام، مع أن سيرة النبي صلى الله عليه وآله مع ألد أعدائه تنفي أن يكون لديه حب الانتقام وفتح مكة أصدق دليل على ذلك!

٣ ـ أوضحت رواية البخاري إن دعاء النبي صلى الله عليه وآله المستجاب ليس لأنه من النبي صلى الله عليه وآله وإنما لأن مكة بلد مستجاب الدعوة؟

٤ ـ ذكر البخاري أن سحبهم إلى القليب ليس نبوءة من النبي صلى الله عليه وآله وإنما حدث واقعي رآه ابن مسعود. مع أن هذا الخبر يعد من أعلام نبوته صلى الله عليه وآله[١].

إن التأمل الدقيق في كلام الإمام عليه السلام ورواية البخاري لتوحي إلى محاولة تحريف في الواقعة وتوجيهها في مسار آخر.

العرج: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وجيم، عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج، وقيل هي قرية جامعة على طريق مكة من المدينة، بينهما وبين الرويثة[٢]

---

(١) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٣٧٤. وقد تحققت نبؤة النبي صلى الله عليه وآله، فقد روى انه صلى الله عليه وآله وقف على ذاك القليب وناداهم رجلاً رجلا فقال: "هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا، بئس القوم كنتم لنبيكم...". الواقدي: المغازي: ١/ ١١٢. الطبري: تاريخ: ٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦. وقد انكر عمر بن الخطاب عليه ذلك فقال: "اتنادي قوما قد ماتوا"؟ فقال صلى الله عليه وآله: "ما أنتم باسمع لما اقول منهم ولكن لا يستطيعون ان يجيبوني". ابن حنبل: المسند: ١/ ٢٧، ٣/ ١٠٤. البخاري: الصحيح: ٥/ ٨. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٦/ ٩١. العيني: عمدة القاري: ٨/ ٢٠٢.

(٢) الرويثة: تصغير الروثة من روث الدواب أو روثة الأنف وهي طرفه، وقيل سماها تبع الرويثة من راث أي أبطأ، قرية جامعة تبعد عن المدينة سبعة عشر فرسخا. البكري: معجم ما أستعجم: ٢/ ٦٨٦. الإدريسي: نزهة المشتاق: ١/ ١٤٥ ـ ١٤٦. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٣/ ١٠٥. الحميري: الروض المعطار: ص٢٧٧. العيني: عمدة القارئ: ٤/ ٢٧٢، ١٥/ ٢٦٠.

أربعة عشر ميلا[١]، وبين الرويثة والمدينة واحد وعشرون فرسخا، ووادي العرج يدعى المنبجس[٢]، وفيه عين عن يسار الطريق في شعب بين جبلين، وعلى ثلاثة أميال منها مسجد النبي ﷺ الذي يدعى مسجد العرج[٣]. وقيل في تسميتها: عن ابن الكلبي: لما رجع تبع[٤] من قتال أهل المدينة يريد مكة رأى دواب تعرج فسماها العرج، وروى انه قيل لكثير: لم سميت العرج عرجا؟ قال: يعرج به عن الطريق[٥]. وأشار السمعاني[٦] إلى إن "العرج" موضع بمكة ولعله قد توهم في ذلك، إذ تعقبه ابن الأثير[٧] بقوله: "العرج بين مكة والمدينة وليس بمكة.

وقد ورد ذكر العرج في كلام أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدث عن هجرة النبي ﷺ ولحاقه به، إذ قال: "**فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله، فَأَطَأُ ذِكْرَه حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلى الْعَرَجِ**"[٨].

رابعاً: فدك:

لغة: فَدَكَ ـ بالتحريك ـ آخره كاف. قال ابن دريد: فَدكّتُ القطن تفديكاً إذا

---

(١) الميل عند العرب: ما اتسع من الأرض حتى لا يكاد بصر الرجل يلحق أقصاه. وهو اسم لمسافة يساوي أربعة إلى ستة آلاف ذراع، وهو ثلث الفرسخ، فيساوي مايزيد على الكيلو متر أو الكيلومترين. عبد المنعم: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ٣/ ٣٨٦. العاملي: الاصطلاحات الفقهية ص٢١٣.

(٢) هو وادي العرج، يقال ان مائها يسمى المنبجس وهي بثار (جمع بئر). البكري: معجم ما استعجم ٣/ ٩٣٠. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ١/ ٥١٤.

(٣) مسجد العرج: يبعد عن وادي العرج ثلاثة اميال. البكري: معجم ما استعجم: ٣/ ٩٣٠.

(٤) لقب لمن يتولى حكم اليمن. لمزيد من التفاصيل عن التابعة ينظر: محسن مشكل فهد: التابعة في اليمن (الصفحات جميعها).

(٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٤/ ٩٨ ـ ٩٩. البكري: معجم ما استعجم: ٣/ ٩٣٠. الزمخشري: الفايق: ٢/ ٣٨٩. الصالحي الشامي: سبل الهدى: ٥/ ٢٨١. ابن منظور: لسان: ١/ ١٩٦. الطريحي: مجمع البحرين: ٣/ ١٤٩.

(٦) الأنساب ٤/ ١٧٧.

(٧) اللباب في تهذيب الأنساب: ٢/ ٣٣٤.

(٨) نهج البلاغة: ص٤٨٧.

نفشته، وهي لغة أزدية[(١)] .**أما اصطلاحا**: هي موضع بالحجاز شمال الجزيرة العربية على طريق الشام وهي قرية زراعية على بعد يومين أو ثلاثة أيام من المدينة المنورة، وتبعد عن خيبر دون مرحلة، والمرحلة هي المسافة التي يقطعها الراكب في اليوم الواحد، وكانت يسكنها اليهود[(٢)].

لقد كان لقرب فدك من خيبر أولا ؛ ولسكنها من قبل اليهود كما هو الحال بالنسبة لخيبر ثانيا، ولان طريقة فتحها شابهت طريقة فتح حصنين من حصون خيبر ثالثا، لذا اشتبه الأمر على بعضهم فتصوروا إنها من توابع خيبر[(٣)]. لقد فتحت فدك صلحا، وأصبحت فيئا للنبي صلى الله عليه وآله بموجب النص القرآني، وتشير الروايات أن النبي صلى الله عليه وآله أعطى فدكا للسيدة فاطمة عليها السلام بموجب النص القرآني ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[(٤)]، وقد أشارت كتب التفسير أن المقصود بذلك السيدة فاطمة عليها السلام وقد تصرفت عليها السلام بهذه الأرض أربع سنوات حتى وفاة النبي صلى الله عليه وآله، فارتأى نظام الحكم بعد النبي صلى الله عليه وآله مصادرتها بعد أحداث جسام[(٥)].

لقد ورد ذكر فدك في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى واليه عثمان بن حنيف[(٦)]، جاء فيها "**بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْه**

---

(١) الجوهري: الصحاح: ٤/ ١٦٠٢. الحموي: معجم البلدان: ٤/ ٢٣٨. ابن منظور: لسان العرب: ١٠/ ٤٧٣. وقيل في سبب تسميتها بفدك نسبة إلى فدك بن حام بن نوح عليه السلام لأنه أول من نزلها. الحموي: معجم البلدان: ٤/ ٢٤٠. الحميري: الروض المعطار: ص٤٣٧.

(٢) انظر: الفراهيدي: العين: ٥/ ٣٣٢. الحموي: معجم البلدان: ٤/ ٢٣٨.ابن منظور: لسان العرب: ١٠/ ٤٧٣. الطريحي: مجمع البحرين: ٣/ ٣٧١. الجلالي: فدك: ص٨٠ ـ ٨٣.

(٣) من هؤلاء الذين اشتبه عليهم الأزهري.انظر: ابن منظور: لسان العرب: ١٠/ ٤٧٣.وصاحب شرح المواقف. انظر: التبريزي: اللمعة البيضاء: ص٢٩٢.

(٤) سورة الإسراء الآية ٢٦.

(٥) لمزيد من التفاصيل راجع دراستنا التفصيلية: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة تاريخية: ص٧٨٩ـ ٩٠٠.

(٦) عثمان بن حنيف الأنصاري، أرسله عمر بن الخطاب لمسح السواد، ولاه أمير المؤمنين عليه السلام البصرة، ثم خرج منها إثر مجيء أصحاب الجمل، فقبضوا عليه ونتفوا شعر لحيته، ثم اطلقوه، سكن الكوفة. حتى مات أيام معاوية. ينظر: ابن سعد: الطبقات: ٣/ ٢٥٥، ٦/ ٨. ابن خياط: تاريخ: ص١٣٦ ـ ١٥٢. البخاري: التاريخ الكبير: ٦/ ٢٠٩. العجلي: معرفة الثقات: ٢/ ١٢٨.

السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ، ونِعْمَ الْحَكَمُ اللَّه، ومَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وغَيْرِ فَدَكٍ، والنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِه آثَارُهَا، وتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا، وأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ والْمَدَرُ، وسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ، وإنما هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى، لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الأَكْبَرِ، وتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ"[١].

خامساً: منعرج اللوى:

اللوى من إلتوى، تعني الرمل الذي تغيره الريح متى ما هبت، ومنعرج اللوى هو منعطف الرمل[٢]، وهو المكان الذي وقعت فيه معركة بين هوازن بقيادة أبو عبدالله أخو دريد بن الصمة وبين غطفان، بعد أن نهبهم فلحقوه، وكان قد نزل في منعرج اللوى وقتلوه وجرحوا دريدا. وكان دريد قد نصح أخاه ألا يقيم في منعرج اللوى لأن غطفان ستلاحقه، فلم يأخذ بنصيحة أخيه لذا قال:

امرتهم امرى بمنعرج اللّوى ... فلم يستبينوا الرّشد الّا ضحى الغد
فلمّا عصونى كنت منهم وقد أرى ... غوايتهم وانّنى غير مهتدى
وهل انا الّا من غزيّة ... ان غوت غويت وان يرشد غزية ارشد
فان يك عند اللّه خلّى مكانه ... فما كان وقافا ولا طائش اليد[٣]

وقد تمثل أمير المؤمنين عليه السلام بالبيت الأول لما بلغه ما جرى بين الحكمين أبو موسى الاشعري وعمرو بن العاص[٤]. ولم يتضح في المصادر المتوفرة اين مكان هذا المنعرج.

---

(١) نهج البلاغة: ص٥٧٣ ـ ٥٧٤.
(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان: ١/ ٣٦٥. البدري: نزهة النظر: ص٧٧٠.
(٣) البيهقي: معارج نهج البلاغة: ص ١٢٥ ـ ١٢٦.
(٤) نهج البلاغة: ص٧٥.

ثانياً: الجانب الاقتصادي:

أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى الواقع الاقتصادي السيء عند العرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله الذي يعود إلى:

أولاً: طبيعة أرض شبه الجزيرة: التي يغلب عليها إما أن تكون أراضي جبلية صخرية أو صحراوية. كما تبين في الجانب الجغرافي.

ثانياً: سيطرة القوى الأجنبية على الأراضي الخصبة ودفع العرب نحو الأراضي الصحراوية، يقول عليه السلام: "**يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الآفَاقِ وبَحْرِ الْعِرَاقِ، وخُضْرَةِ الدُّنْيَا إلى مَنَابِتِ الشِّيحِ، ومَهَافِي الرِّيحِ، ونَكَدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ ووَبَرٍ، أَذَلَّ الأُمَمِ دَاراً، وأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً**"[١].

هنا الإمام عليه السلام يشير إلى سيطرة الساسانيين على سواد العراق، وهو المشهور بخضرته، وأما بحر العراق فيقصد نهري دجلة والفرات، فضلاً عن شط العرب الذي كان يسمى دجلة العوراء[٢]، والروم أبعدوا العرب عن المناطق الخصبة في الشام، واضطروا القبائل العربية إلى مناطق البادية[٣]، التي وصفها الإمام بأنها "**مَنَابِتِ الشِّيحِ، ومَهَافِي الرِّيحِ**"، فالشيح نبات صحراوي[٤]، ومهافي الريح إشارة إلى الأثر السيء للرياح في الصحراء، حيث لايصدها شجر أو مانع ما[٥]، يبحثون عن الماء والكلأ، فـ "**تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ**"[٦]. فالكدر: الماء غير الصافي الذي يتجمع في الأودية بعد سقوط الأمطار، فيشربون منه[٧]، والجشب هو الطعام الغليظ، أو الذي لم

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٠٢.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٣/ ١٨٣، ٤/ ١٦٧.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/ ١٧٣.

(٤) الفراهيدي: العين: ٣/ ٢٦٣. الجوهري: الصحاح: ١/ ٣٧٩.

(٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/ ١٧٣.

(٦) نهج البلاغة: ص٥٦.

(٧) الفراهيدي: العين: ٥/ ٣٢٥. الجوهري: الصحاح: ٢/ ٨٠٣. ابن منظور: لسان العرب: ٥/ ١٣٤.

ينخل كالشعير وغيره، أو الذي ليس فيه أدم[١]. فحياتهم قاسية، و(نكد المعاش) ضيقه وقلته، قال ابن أبي الحديد[٢]: وتركوهم عالة، أي فقراء، جمع عائل، والعائل ذو العيلة والعيلة: الفقر، قال تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[٣]، ... وقوله "**إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ**"، الدبر مصدر دبر البعير، أي عقره القتب. والوبر للبعير بمنزلة الصوف للضان والشعر للمعز. ووصف عليه السلام أرضهم بأنها "**أَذَلَّ الأُمَمِ دَاراً**"، لعدم المعاقل والحصون المنيعة فيها. "**وأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً**"، لعدم الزرع والشجر والنخل بها. والجدب المحل.

لكن هذا الواقع الاقتصادي المأساوي تغير بعد البعثة النبوية الشريفة، يقول عليه السلام "**فَانْظُرُوا إلى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّه عَلَيْهِمْ، حِينَ بَعَثَ إليهم رَسُولًا، ... كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، والْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ**"[٤].

فقد امتدت رقعة دولة الإسلام على مساحات شاسعة من العالم يومذاك، وغدت أراضي الدولة الساسانية والبيزنطية تتبع الدولة الإسلامية، وخيرات البلاد جميعاً تدر عليهم من الخيرات ما لا يوصف.



(١) ينظر: الفراهيدي: العين: ٦/ ٣٩. ابن الأثير: النهاية: ١/ ٢٧٢.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/ ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٣) سورة التوبة الآية ٢٨.

(٤) نهج البلاغة: ص٤٠٢ ـ ٤٠٣.



المبحث الثاني

الجانب والسياسي والاجتماعي

أولاً: الجانب السياسي:

أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى الواقع السياسي عند العرب قبل البعثة المحمدية الشريفة، وهي إشارة أبانت الوضع السلبي الذي عاشه العرب آنذاك، إذ تميز واقعهم بـ:

أولاً: التفرقة: كان للنظام القبلي أثره في تفرق العرب قبائل متناثرة في شبه الجزيرة العربية، وصفها عليه السلام بأنها "قُرًى مُنْقَطِعَةٍ"[١]، وقال عليه السلام واصفا حالهم: "**تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وتَفَرُّقِهِمْ... لَا يَأْوُونَ إلى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، ولَا إلى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا، فَالأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، والأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، والْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ**"[٢].

ثانياً: الحروب: مع هذه الفرقة، تميز تاريخ العرب قبل البعثة المحمدية بحروب متواصلة، تقع أحياناً لأتفه الأسباب، مما أدى إلى أن تقطع الأرحام كما وصف حالهم الإمام "**وأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ**"[٣]، حتى إن بعثة النبي صلى الله عليه وآله جاءت (على حين... تلظ من الحروب)[٤]. هذه الحروب ـ التي

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٩٤.

(٢) نهج البلاغة: ص ٤٠١ ـ ٤٠٢.

(٣) نهج البلاغة: ص ٤٠٢.

(٤) نهج البلاغة: ص١٤٤.

سميت بأيام العرب[١]، وكانت موضع فخرهم في أنديتهم ومجالسهم[٢] ـ كانت سببا لقيام بعض القبائل بوأد بناتها[٣].

ثالثاً: الهيمنة الأجنبية: أشار أمير المؤمنين إلى أن حالة التفرقة هذه والحروب فيما بينهم أدت إلى سهولة السيطرة عليهم من قبل القوى الكبرى يومذاك "**لَيَالِيَ كَانَتِ الأَكَاسِرَةُ والْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ**"[٤]، فقد تمكن الساسانيون من مد سيطرتهم على العراق واتخذوا من المدائن[٥] عاصمة لهم[٦]، ولا يبعد أنهم شجعوا الخلافات بين القبائل العربية، ونصبوا المناذرة ملوكا على العرب في العراق، مقابل قيامهم بحماية المصالح الفارسية[٧]، وكذلك مد الرومان سيطرتهم على بلاد الشام ونصبوا الغساسنة ملوكا لحماية

---

(١) عن هذه الأيام ينظر: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٢/ ١٠١.ابن حمدون: التذكرة الحمدونية: ص٣٨٢ ـ ٣٨٤. ابن الأثير: الكامل: ١/ ٥٠٢ ـ ٥٠٦.

(٢) الملاح: الوسيط: ص٤٠٧.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٣/ ١٧٤ ـ ١٧٥. الآلوسي: بلوغ الارب ٣/ ٤٢ ـ ٤٣.

(٤) نهج البلاغة: ص٤٠١ ـ ٤٠٢.

(٥) مدينة تقع شمال شرق بغداد على بعد ستة فراسخ، وقد أختلف في أول من بناها هل هو الاسكندر المقدوني ؟، أم اردشير بن بابك أول ملوك الدولة الساسانية الذي اتخذها عاصمة ؟، وقد دأب الملوك من بعده على أن يبني احدهم مدينة إلى جوار السابقة حتى أصبح عددهن سبع مدن، عندها سميت بالمدائن، وقد افتتحها سعد بن أبي وقاص سنة ١٦هـ، أيام الخليفة عمر، ولما فتحت البصرة والكوفة انتقل أكثر أهل المدائن اليهما، ولما بنى المنصور بغداد انتقل من تبقى إلى بغداد. قال الحموي ت ٦٢٦هـ: ((فأما في وقتنا هذا فالمسمى بهذا الاسم بليدة شبيهة بالقرية بينها وبين بغداد ستة فراسخ، وأهلها فلاحون يزرعون ويحصدون، والغالب على أهلها التشيع على مذهب الامامية، وبالمدينة الشرقية قرب الإيوان قبر سلمان الفارسي رضي الله عنه، وعليه مشهد يزار إلى وقتنا هذا)). وينسب لهذه المدينة طائفة من حملة العلوم كالمدائني الإخباري، وابن أبي الحديد المعتزلي شارح نهج البلاغة، وغيرهم. انظر: السمعاني: الأنساب ٥/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢، ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٥/ ٧٤ ـ ٧٥. السيوطي: لب اللباب: ص ٢٣٩.

(٦) للتفاصيل ينظر: اليعقوبي: تاريخ: ١/ ١٣٧ وما بعدها، المسعودي: مروج الذهب: ١/ ٢٢١ ـ ٢٥٣. آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين (كل الصفحات). طه باقر: تاريخ إيران القديم: ص١١١ وما بعدها. شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية: ص ٦٩ ـ ٧٤.

(٧) الملاح: الوسيط: ص ٢١٩ ـ ٢٢٠، ٢٤٢. ولمزيد من التفاصيل عن المناذرة ينظر: اليعقوبي: تاريخ: ١/ ١٧٨ ـ ١٨٥، الملاح: الوسيط: ص ٢١٣ ـ ٢٥٣.

مصالحهم ولصد الغارات العربية عن حدودهم[١]. وكان الغساسنة مخلصين للرومان إلى درجة أن قام الملك الغساني بقتل الرسول الذي أرسله النبي محمد ﷺ يدعوهم للإسلام إرضاءً لأسياده الرومان[٢].

لكن هذا الحال تغير بعد البعثة النبوية الشريفة إلى حال مغاير تماما، إذ تميز واقعه بإن الدعوة التي جاء بها النبي ﷺ أدت إلى توحدهم تحت لواء واحد، مما ألف بين قلوبهم، فزالت الحروب والمنازعات، وغدا لهم سلطان واحد يفزعون إليه، فلم يعودوا بعد أتباعا للأجنبي، بل أصبحوا هم حكاما على الناس بعد أن كانوا تابعين للغير، يقول عليه السلام:

"فَانْظُرُوا إلى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللّه عَلَيْهِمْ، حِينَ بَعَثَ إليهم رَسُولًا، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ وجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، والْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ، قَدْ تَرَبَّعَتِ الأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ، وآوَتْهُمُ الْحَالُ إلى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ، وتَعَطَّفَتِ الأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، ومُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الأَرَضِينَ، يَمْلِكُونَ الأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، ويُمْضُونَ الأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ، لَا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ، ولَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ"[٣].

وقوله عليه السلام: لا تغمز له قناة، أي هو صلب. والقناة إذا لم تلن في يد الغامز كانت أبعد عن الحطم والكسر. وأما قوله: لا تقرع لهم صفاة ؛ فهو مثل يضرب لمن لا يطمع في جانبه لعزته وقوته[٤].

---

(١) الملاح: الوسيط: ص٢٥٦. ولمزيد من التفاصيل عن الغساسنة ينظر: اليعقوبي: تاريخ: ١/١٧٦ ـ ١٧٨. الملاح: الوسيط: ص٢٥٤ ـ ٢٦٩.

(٢) الواقدي: المغازي: ص٥١٤.

(٣) نهج البلاغة: ص٤٠٢ ـ ٤٠٣.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/١٧٩.

ثانياً: الجانب الاجتماعي:

طبيعة المجتمع قبل الإسلام:

المعلوم أن المدة الزمنية من تاريخ العرب التي سبقت الإسلام قد نعتت بالجاهلية، فما هي الجاهلية؟ ولماذا نعت العرب وقتذاك بذلك؟.

الجاهلية: لغة، مصدر جهل، والجهل نقيض العلم، وتجاهل: اظهر الجهل، والجهالة: ان تفعل فعلا بغير علم، والمجهلة: ما يحملك على الجهل[(١)].

اما اصطلاحا: فهو لفظ مستحدث ظهر بظهور الإسلام، وقد اطلق على حال العرب قبل الإسلام تمييزا وتفريقا لها عن الحالة التي صار عليها الغرب بظهور الرسالة[(٢)].

ولكن لماذا عرفت المدة السابقة للإسلام من تاريخ العرب بالجاهلية؟، هناك من يرى انه غلبت على العرب البداوة، وانهم قد تخلفوا حضاريا عن معاصريهم، فعاشوا عيشة قبائل رحل في جهل وغفلة ولم تكن لهم صلات بالعالم الخارجي، اميون، عبدة اصنام، ليس لهم تاريخ حافل[(٣)].

لقد تباينت الاراء حول سبب إطلاق هذه اللفظة (الجاهلية) على تلك الحقبة من تاريخ العرب التي سبقت الإسلام، ويمكن إيجازها بثلاثة اراء:

الأول: لأنهم لا يعرفون القراءة والكتابة.

الثاني: لعدم المامهم بالعلوم، وانهم اناس غلبت عليهم البداوة والجهل بالعلوم.

الثالث: لعدم معرفتهم بالدين الصحيح.

---

(١) الجوهري: الصحاح: ٤/ ١٦٦٣ ـ ١٦٦٤.

(٢) جواد علي: المفصل: ١/ ٢٩.

(٣) جواد علي: المفصل: ١/ ٢٩.

وقد اخضع أحد الباحثين هذه الآراء للدراسة والتحليل، واثبت عدم انطباقها على واقع العرب في تلك المدة. إذ رجع إلى المصدر الذي أطلق لفظ الجاهلية، ألا وهو القرآن الكريم الذي وجد أن لفظة (الجاهلية) وردت في القرآن الكريم في السور المدنية دون المكية[1]، مما يدل على ان ظهورها كان بعد الهجرة إلى المدينة، وان اطلاقها بهذا المعنى كان بعد الهجرة، وان المسلمين استعملوها منذ هذا العهد فما بعده[2].

وقد جاء أمير المؤمنين عليه السلام ليقتبس هذه اللفظة من القرآن الكريم، جريا على عادته في محاكاة اياته الشريفة، فهو الذي كان اقدر و"أكثر من غيره على محاكاة ومجاراة كتاب الله والاستفادة منه في استعمال الكلمة القرآنية، ووضعها في موضع جديد، واستعمال علوي بليغ، وإذا البلاغة القرآنية تتجسد على لسان علي"[3]. ولا بأس من الإشارة إلى النصوص التي وردت فيها لفظة الجاهلية في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ففي حديثه عن الأجواء التي بعث فيها النبي ﷺ قال: "**بعَثَه والنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ، واسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ، واسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ**"[4]. وفي مقام نصحه أصحابه قال: "**لَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، ولَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ**"[5]، ووصف حال المسلمين بعد مقتل عثمان بانه "**إِنَّ هَذَا الأمر أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ**"[6]، وأشار إلى أن من يتبع الشيطان هم: "**صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وفُرْسَانُ الْكِبْرِ والْجَاهِلِيَّةِ**"[7]. وعاد عليه السلام محذرا من الكبر فقال: "**فَاللَّه اللَّه فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ،**

---

(١) النصرالله: الجاهلية فترة زمنية أم حالة نفسية: (الصفحات جميعها)

(٢) جواد علي: المفصل: ١/ ٢٩.

(٣) الساعدي: علي القرآن الناطق: ١/ ١٢.

(٤) نهج البلاغة: ص١٧٧ ـ ١٧٨.

(٥) نهج البلاغة: ص٣٢٠.

(٦) نهج البلاغة: ص٣٢٣.

(٧) نهج البلاغة: ص٣٨٧.

فَإِنَّه مَلَاقِحُ الشَّنَئَانِ، ومَنَافِخُ الشَّيْطَانِ، الَّتِي خَدَعَ بِهَا الأُمَمَ الْمَاضِيَةَ والْقُرُونَ الْخَالِيَةَ، حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِه، ومَهَاوِي ضَلَالَتِه، ذُلُلًا عَنْ سِيَاقِه، سُلُساً فِي قِيَادِه، أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيه، وتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْه، وكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِه"(١).

وفي وصفه المتكبرين أو الكبراء والتحذير من طاعتهم "أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وكُبَرَائِكُمْ، الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وجَاحَدُوا اللَّه عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِه، ومُغَالَبَةً لِآلَائِه، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، ودَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ"(٢)

وقال عليه السلام موبخا العصاة الخارجين عن الطاعة "أَلَا وإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ"(٣).

ومن وصاياه العسكرية عليه السلام التي تعد من آداب الحروب أوصى بعدم التعرض للنساء، "ولَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى، وإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى والأَنْفُسِ والْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ، وإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، بِالْفَهْرِ أَو الْهِرَاوَةِ، فَيُعَيَّرُ بِهَا وعَقِبُه مِنْ بَعْدِه"(٤).

وفي موضع آخر "فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ، مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ"(٥).

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٨٩ ـ ٣٩٠.
(٢) نهج البلاغة: ص٣٩٠.
(٣) نهج البلاغة: ص٤٠٣.
(٤) نهج البلاغة: ص٥٠٩.
(٥) نهج البلاغة: ص٣٨٨.

وقال عليه السلام مفتخرا: "**فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ، وجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ**"[1].

وفي كتابه لابن عباس يستنكر عليه موقفه السلبي من بني تميم في البصرة، يصف الإمام بني تميم "**وإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ ولَا إِسْلَامٍ**"[2].

إلى غيرها من النصوص التي وردت فيها لفظة مشتقة من لفظ الجاهلية، كـ الجهل[3]، وجهالة[4]، والجاهلية الجهلاء[5]، والجهلاء[6]. وغيرها.

والمتأمل في النصوص أعلاه يمكن ان يسجل الملاحظات الاتية:

أولاً: إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أطلق ـ صراحة ـ هذه اللفظة على المدة التي سبقت الإسلام من تاريخ العرب، واوضح مثال على ذلك قوله مفتخرا: "**فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ، وجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ**"[7]. إشارة إلى شرف بيته على غيره أنه لا يختص بدورهم في الإسلام فقط، بل أن شرف بني هاشم قبل الإسلام (الجاهلية) مشهور، ومكارم أخلاقهم لا يدفعها دافع ولا ينكرها منكر[8].

ويظهر أن بعضهم تصور أن الإمام يشير إلى الجاهلية بمعناها الخلقي، لذا استبعد ذلك وأشار إلى أن اللفظة هكذا "وجاهليتكم لا تدفع"[9]. لكن

---

(1) نهج البلاغة: ص٥٢٩.

(2) نهج البلاغة: ص٥١٣.

(3) ينظر: نهج البلاغة: ص٨٠، ١٧٨، ٢٠٣، ٢٦٩، ٣٤٦، ٤٨٩، ٧٥٧.

(4) ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص١٣٧، ٤٥٨، ٤٦٨.

(5) صفة مبالغة للجهل: ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص١٧٨.

(6) جمع جاهل: ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص٣٩٨.

(7) نهج البلاغة: ص٥٢٩.

(8) ألف الجاحظ رسالة في فضل بني هاشم على عبد شمس، ينظر رسالة في فضل بني هاشم على عبد شمس (الصفحات جميعها). وكذلك ألف المقريزي رسالة في أسباب وصول بني أمية للحكم منابذة لبني هاشم بعد أن بين فضلهم. ينظر: النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وهاشم (الصفحات جميعها).

(9) الراوندي: منهاج البراعة: ٣/٧٨. نلاحظ ان ابن ميثم في شرحه أوردها بلفظ "جاهليتنا" وكذلك في كتابه مصباح السالكين: ص ٥٠٠ إذ ذكر اللفظة في اصل الخطبة "جاهليتنا" ولكن في شرحها قال: "جاهليتكم لا تدفع شرفنا وفضلنا فيها".

الواضح من سياق الكلام ان استعمال الإمام عليه السلام لفظة الجاهلية كانت في مقابل لفظة الإسلام "فإسلامنا" مقابل "جاهليتنا" وهذا دليل التقابل الزمني، فإن في كلا المدتين كان لبني هاشم مآثر محمودة. وكذلك في معرض كتابه لابن عباس واليه على البصرة يوصيه ببني تميم، قائلا عليه السلام: **"وإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ[1] فِي جَاهِلِيَّةٍ ولَا إِسْلَامٍ"**[2].

إن الإمام هنا يقصد بلفظ الجاهلية المدة الزمنية التي سبقت الدعوة المحمدية.

ثانياً: يبدو واضحا في النصوص ان لهذا النعت "الجاهلية" أسبابا ودوافع استوجبت وسم المجتمع انذاك بهذه الصفة، منها الممارسات السلبية التي ابتعدت بهم عن هدى الشرائع السماوية، كما هو واضح في اشارته عليه السلام: **"لَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، ولَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ"**[3].

كما تنبئ تلك النصوص عن تفشي امراض اجتماعية مقيتة في ذلك المجتمع كالكبر والحمية والعصبية والاستخفاف والحقد، وعدم احترام المرأة، فضلاً عن غيرها من السمات التي سياتي الحديث عنها تفصيلا.

ثالثاً: غير خاف على المطالع للنصوص السابقة ان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد القى تلك الخطب التي حوت هذه النصوص - في اغلبها ان لم تكن كلها - في مدة خلافته، أي بعد ظهور الإسلام ومضي مدة ليست بالقليلة، ومع ذلك فاننا نلحظ وبشكل لافت للنظر ان الدلائل واضحة على عودة مظاهر الجاهلية ونشاطها من جديد في المجتمع الإسلامي انذاك.

مما دعاه عليه السلام إلى الجد في اعادتهم لهدي الشريعة السمحاء ووضعهم على الطريق الصحيح، بالوعظ والانذار والتوضيح لمكامن العلل والحرص منه عليه السلام على معالجتها، ومن ذلك:

---

(١) الوغم: الحرب والحقد. ينظر: ابن الأثير: النهاية: ٢٠٩/٥، ابن منظور: لسان العرب: ٦٤١/١٢.
(٢) نهج البلاغة: ص ٥١٣.
(٣) نهج البلاغة: ص٣٢٠.

قوله عليه السلام: "**فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ، مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ**"[١]. وفي قول آخر يحذر من كبر ابليس والانقياد له "**صَدَّقَه بِه أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ وإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وفُرْسَانُ الْكِبْرِ والْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَه الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، واسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْه فِيكُمْ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إلى الأمر الْجَلِيِّ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُه عَلَيْكُمْ، ودَلَفَ بِجُنُودِه نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ، وأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وأَوْطَئُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ، وحَزّاً فِي حُلُوقِكُمْ ودَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ، وقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ، وسَوْقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إلى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ، فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجاً، وأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ وعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ**"[٢].

وعاد يؤنب سامعيه وماهم عليه من روح قبلية وتعصب عنصري ذميم وهما من شر سمات الجاهلية، مبينا ان هذه الافة الخطيرة قد ابتليت بها الأمم الماضية: "**أَلَا وقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ، وأَفْسَدْتُمْ فِي الأرض مُصَارَحَةً لِلَّه بِالْمُنَاصَبَةِ، ومُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ، فَاللَّه اللَّه فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ، وفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّه مَلَاقِحُ الشَّنَئَانِ، ومَنَافِخُ الشَّيْطَانِ الَّتِي خَدَعَ بِهَا الأُمَمَ الْمَاضِيَةَ والْقُرُونَ الْخَالِيَةَ، حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِه، ومَهَاوِي ضَلَالَتِه، ذُلُلًا عَنْ سِيَاقِه سُلُساً فِي قِيَادِه، أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيه، وتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْه، وكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِه**"[٣]. وحذر من تكرار التجربة التاريخية في هذا المضمار: "**واجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ، وأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ، مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ، وتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وتَخَاذُلِ الأَيْدِي...**"[٤].

إلى غيرها من النصوص التي تنطوي تحت هذا الجانب.

والغاية من هذا العرض الموجز لبعض الامثلة أعلاه انه بدلالة قول

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٨٨.
(٢) نهج البلاغة: ص٣٨٧ ـ ٣٨٨.
(٣) نهج البلاغة: ص٣٨٩ ـ ٣٩٠.
(٤) نهج البلاغة: ص٤٠٠.

الإمام عليه السلام وبيناته فإن "الجاهلية" لم تكن سمة مقتصرة على المدة التي سبقت الإسلام، بل هي سارية في كل مجتمع تتوافر فيه مصاديقها، وهذا ما يوافق النظرة القرآنية كما سيتضح لنا.

رابعا: ان ما ذكره الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن موجبات ذلك النعت للمجتمع في الفترة السابقة للإسلام وحتى المدة الإسلامية، يحاكي ما جاءت به آيات الذكر الحكيم التي ستكون مدار البحث فيما يأتي:

لقد سبقت الإشارة إلى أن هذه اللفظة وردت في القرآن الكريم في السور المدنية في اربع مواضع من القرآن الكريم وهي كالاتي:

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1].

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[2].

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ﴾[3].

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ﴾[4].

ومن خلال تأمل ما جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام نجد تناغما واضحا ما بين الاستعمال القرآني للفظة الجاهلية وما بين استعماله عليه السلام لها، ولاسيما في الآيات الثلاثة الأولى كما سنبينه الآن:

الآية الأولى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[5].

لقد حصرت الآية الأحكام في نوعين، اما احكام من الله أو من غيره، وقد

---

(١) سورة المائدة الآية ٥٠.

(٢) سورة الفتح الآية ٢٦.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٥٤.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

(٥) سورة المائدة الآية ٥٠.

اطلقت الاحكام الصادرة عن غير الله بانها احكام جاهلية، والقرآن هنا يشير إلى جماعة لم تقبل باحكام الله وارادت احكاما أخرى(١).

وهذا ما نجد له صدى واضحا في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ومن ذلك اشارته عليه السلام إلى بعض الاحكام المخالفة للشريعة الالهية، التي عدها عليه السلام من أحكام الجاهلية، ومن أبرزها ظاهرة "الوأد"(٢)، إذ يقول عليه السلام واصفا المجتمع آنذاك: "**الأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، والأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، والْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بَلاَءِ أَزْلٍ، وأَطْبَاقِ جَهْلٍ، مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ...**"(٣).

الوأد ـ لغة ـ الثقل، واطلقت الكلمة على البنت التي تدفن حية لانها تثقل

(١) ابن كثير: تفسير: ٢/ ٦٧. النصر الله: الجاهلية: ص١٥.

(٢) واما عن أسباب أو دوافع الوأد عند العرب قبل الإسلام، فهي متعددة منها:
العامل الديني: وذلك من خلال تقديم بعض البنات كقرابين للإلهة، كإظهار الشكر على النعم، وقد استنكر القرآن الكريم ذلك بقوله ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ سورة الأنعام الآية ١٣٧. وأحياناً تم وأد البنات بسبب عقيدة بعض المشركين بأن الملائكة بنات الله، فالحقوا البنات به، فهو أحق بهن، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ سورة النحل الآية ٥٧. العامل الاقتصادي: ان شحة موارد الصحراء جعلت الاعراب يعيشون حياة الكفاف والفقر، فاضطرهم ذلك لوأد البنات ؛ الآلوسي: بلوغ الإرب: ٣/ ٤٤. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾سورة الإسراء الآية ٣١. العامل الاجتماعي: يكاد يكون هذا العامل في مقدمة العوامل المسببة للوأد حيث إن المجتمع البدوي قائم على الغزو وهذا يؤدي إلى وقوع المرأة في الاسر مما يجلب العار لاهلها ؛ الآلوسي: بلوغ الارب: ٣/ ٤٢ ـ ٤٣. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية: ٢/ ٢٤. قال تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾؛ سورة النحل الآيتان ٥٨ ـ ٥٩. العامل الصحي: كان البعض يتشاءم إذا ولدت له بنت مصابة بالكساح أو ان تكون برشاء أو زرقاء أو عرجاء أو غير ذلك، فكانوا يئدون من تولد على هذه الصفات ؛ الآلوسي: بلوغ الإرب: ٣/ ٤٣.
وتجدر الإشارة ان هذه الحالات شاذه وانحصرت لدى بعض القبائل البدوية، وظهر من يستنكر ذلك عند العرب كما فعل عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ، اليعقوبي: تاريخ: ٢/ ١٢. وصعصعة بن ناجيه جد الفرزدق الذي كان يشتري المؤودة، لذا كان الفرزدق يقول مفتخرا: ومنا الذي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم يؤد. ينظر ديوان الفرزدق ص١٧٣، وينظر: النصر الله: الجاهلية: ص ١٧.

(٣) نهج البلاغة: ص٤٠٢.

بالتراب، جاء في اللغة: وأد الرجل ابنته إذا دفنها في القبر حية واثقلها بالتراب[١]، وهو ما اكده المفسرون إنما سميت المؤودة كذلك "لما يطرح عليها من التراب فيؤودها، أي يثقلها حتى تموت"[٢].

اما المعنى الاصطلاحي للوأد، فهو قتل الطفل، ذكرا كان أو أنثى سواء بالدفن أو بغيره كالقائه من شاهق، أو إغراقه، أو ذبحه[٣].

والإمام عليه السلام هنا يشير إلى "وأد البنات" تحديدا، ولكن يمكن ان يحمل قوله في موضع آخر "تسفكون دمائكم وتقطعون ارحامكم" على قتل الوالد لولده[٤]. وقد استنكر القرآن الكريم هذه الظاهرة وعدها من المسائل التي تأخذ حيزا كبيراً يوم القيامة كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾[٥][٦].

أما الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾[٧].

الحمية في الأصل من مادة "حمي" ومعناها الحرارة، ثم صارت تستعمل في معنى الغضب، ثم استعملت في النخوة والتعصب الممزوج بالغضب أيضاً[٨]، والحمية: هي السفه والحمق والانفة والخفة والغضب، وعدم الانقياد إلى قانون أو حكم، هي شعور بالاعتداد بالنفس[٩].

---

(١) أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية: ص٧٥. ابن منظور: لسان العرب: ٣/ ٤٤٢. الزبيدي: تاج العروس: ٥/ ٢٨٩.

(٢) الثعلبي: الكشف والبيان: ١٠/ ١٣٩. البغوي: معالم التنزيل: ٤/ ٤٥٢. وينظر: الشريف الرضي: تلخيص البيان في مجازات القرآن: ص٣٠٢. الطوسي: التبيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٢٨٣. الغرناطي: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٤٥٦. الآلوسي: روح المعاني: ٣٠/ ٥٢.

(٣) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٣/ ٣١٧. المحمودي: مفتاح السعادة: ٥/ ١٩٥ ـ ١٩٦.

(٤) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٣/ ٣١٧.

(٥) سورة التكوير الآيتان ٨، ٩.

(٦) النصر الله: الجاهلية: ص ١٧.

(٧) سورة الفتح الآية ٢٦.

(٨) ناصر مكارم الشيرازي: الامثل: ١٦/ ٣٥١.

(٩) ابن الأثير: النهاية: ١/ ٤٤٧. ابن منظور: لسان العرب: ١١/ ١٤، ١٢٩، ١٩٩.

ويقال ذو حمية منكرة إذا كان ذا غضب وانفة، أي حميت قلوبهم بالغضب، كعادة آبائهم في الجاهلية ان لا يذعنوا لأحد ولا ينقادون له[١]. قال الراغب[٢]: عبر عن القوة الغضبية إذا ثارت بالحمية، فقيل: حميت على فلان إذا غضبت.

وهذه الكلمة (الحمية) قد تستخدم في هذا المعنى المذموم "مقرون بالجاهلية أو بدونها" بعض الأحيان، وقد تستعمل في المدح حينا آخر، فتكون عندئذ بمعنى التعصب في الامور الإيجابية البناءة[٣].

ولكلا الحالتين مصداق في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ففي الجانب السلبي نجده عليه السلام يعدها من مظاهر الكبر والافتخار المذموم، وذلك حينما استدل عليه السلام بقصة ابليس وعصيان الأمر الإلهي بالسجود لآدم، إذ قال عليه السلام: "**اعْتَرَضَتْه الْحَمِيَّةُ، فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِه، وتَعَصَّبَ عَلَيْه لأَصْلِه**"[٤]، وفي مورد آخر لذم الشيطان ومن نهج نهجه يقول عليه السلام: "**صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وفُرْسَانُ الْكِبْرِ والْجَاهِلِيَّةِ**"[٥]، وفي موضع آخر قال عليه السلام محذرا: "**فَاللَّه اللَّه فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ**"[٦]. وقد عدها عليه السلام من خطرات الشيطان: "**فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ ونَخَوَاتِه ونَزَغَاتِه ونَفَثَاتِه**"[٧]، ومن مظاهر الكبر إذ يقول عليه السلام في صفة المتكبر "**وقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِه مِنْ نَارِ الْغَضَبِ**"[٨].

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان: ٩/ ٢١٠.
(٢) المفردات في غريب القرآن: ص١٣٢.
(٣) ناصر مكارم الشيرازي: الامثل: ١٦/ ٣٥١.
(٤) نهج البلاغة: ص٣٨٥.
(٥) نهج البلاغة: ص٣٨٧.
(٦) نهج البلاغة: ص٣٨٩ ـ ٣٩٠.
(٧) نهج البلاغة: ص٣٨٨ ـ ٣٨٩.
(٨) نهج البلاغة: ص٣٨٩.

اما الجانب الإيجابي لها فيمكن الاستدلال عليه بقول أمير المؤمنين عليه السلام مخاطبا المتقاعسين في جيشه "**أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ ولَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ**"[١].

ومظهر آخر من مظاهر الحمية المذمومة وردت الإشارة إليه في كلام أمير المؤمنين عليه السلام "العصبية" الجاهلية. والعصبية: مشتقة من عصب وجمعها اعصاب، والعصب هو الطي الشديد، وكل شيء استدار بشيء فقد عصب به، ويقال عصب الرجل بالرجل عصبا أي احاطو به لقتال أو حمية، وعصب القوم بالنسب احاطوا به، وعصبة الرجل بنوه الاقربون[٢].

وكان المجتمع انذاك يعتبر رابطة الدم والرحم اساس الروابط الاجتماعية فيضع مبدأ القرابة فوق مبادئ الحق والعدالة في حال التعارض بينهما[٣]، والقرآن الكريم قد ذم هذه الحمية كما مر في الآية السابقة.

ان العصبية والحمية من توابع الكبر ـ كما سياتي بيانه ـ والفرق بينهما ان الحمية للنفس، والعصبية للاقارب، والحمية للاهل والعصبية للقبيلة[٤].

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن كل تعصب لعلة ما مقتضيه لتعصبه إذ يقول عليه السلام: "**ولَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحداً مِنَ الْعَالَمِينَ ـ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ**"[٥] مقتضية لتعصبه حاملة له عليه.

ثم شرع عليه السلام في تفصيل بعض وجوه العصبية وأسبابها، فبدأ بذكر مبدأ العصبية لابليس وهذه العلة كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "**تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ الْجُهَلَاءِ، أو حُجَّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ**"[٦]، أي تحتمل تشبيه الأمر على أهل الجهل بحيث يظن سببا صحيحا للتعصب أو عن حجة ملتصق بعقول السفهاء

---

(١) نهج البلاغة: ص٧٨.
(٢) خريسات: العصبية القبلية: ص٢١
(٣) الملاح: الوسيط: ص٣٧٦.
(٤) المجلسي: مرآة العقول: ١١/ ١٥٩.
(٥) نهج البلاغة: ص٣٩٨.
(٦) نهج البلاغة: ص٣٩٨.

فيقلبها، وهذا هو مقتضى العقل، إذ كان الترجيح من غير مرجح محال في بداية العقول، وتقدير الكلام: فما وجدت أحداً يتعصب الا وجدته يتعصب عن علة[١].

يقول شوقي ضيف[٢]: وهي عصبية سيطرت على نفوسهم قدسوها تقديسا كان اعظم من تقديسهم للشعائر الدينية، تلك الشعائر التي كانت تشاركهم فيها قبائل أخرى، اما الشعائر العصبية القبلية فإنها خاصة بالقبيلة الواحدة وابنائها الذين يجمعهم دم واحد ونسب واحد، وربما تسامح الواحد في دينه، إذ لم يكن يهمه في كثير من الاحوال، اما في العصبية فإنه لا يتسامح في أي واجب من واجباتها".

وقال عليه السلام موضحاً سبب تعصب إبليس: "اما ابليس فتعصب على ادم لاصله، وطعن عليه في خلقته فقال: انا ناري وأنت طيني" فكانت علة تعصبه انه تعزز بخلقة النار واستوهن خلقة الصلصال[٣]. ولذا نعته عليه السلام بأنه "**إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ**"[٤] وفي موضع آخر أشار عليه السلام إلى أن الشيطان هو الذي وضع اساس العصبية ونازع الله رداء الجبرية، وكان عليه السلام قد حذر الناس من ابليس لأنه عدو لله وامرهم باعتبار حاله وما لزمه من الشقاء بسبب معصيته وتكبره وتعصبه "**فاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّه عَدُوَّ اللَّه أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِه، وأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِه، وأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِه ورَجِلِه، فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وأَغْرَقَ إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ، ورَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، فَـ** ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٥]، **قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ ورَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ، صَدَّقَه بِه أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ وإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وفُرْسَانُ الْكِبْرِ والْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَه**

---

(١) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٣٤١.

(٢) العصر الجاهلي: ص ٦١.

(٣) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ١١/ ٣٠٨.

(٤) نهج البلاغة: ص٣٨٥.

(٥) سورة الحجر الآية ٣٩.

الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، واسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْه فِيكُمْ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إلى الأمر الْجَلِيِّل"[(١)].

ثم بين من هم تلامذة ابليس ومن سار على نهجه واستسلم لغوايته إذ أشار عليه السلام إلى عصبية الاغنياء والجهال من مترفة الامم، وبين علة تعصبهم، وهي اثار مواقع النعم والأموال والأولاد وسائر ما ينتفع به إذ يقول عليه السلام: "**وأمَّا الأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الأُمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ،** فَـ ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٣٥﴾[(٢)]"[(٣)].

وفي الماحة منه عليه السلام لما رأى ان عمدة منشأ تعصب اغلب الناس هو اتباع الرؤساء وحذرهم من متابعتهم بقوله: "**أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وكُبَرَائِكُمْ**"[(٤)] والتكرير لتأكيد التحذير، ولا يكونوا مثل الكافرين الذين ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۟ ۝٦٦ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۟﴾[(٥)] أي اطعنا قادة الكفر وائمة الضلال[(٦)]، ووصف عليه السلام الكبراء السادات بأنهم "**الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ**"[(٧)] أي جهلوا أنفسهم ولم يفكروا في اصلهم من النطف المستقذرة ومن الطين المنتن ونحوه[(٨)].

ثم مضى عليه السلام في بيان اوصافهم بأنهم "**أَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وجَاحَدُوا اللَّه عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِه، ومُغَالَبَةً لِآلَائِه**"[(٩)]، ولذا

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٨٦ ـ ٣٨٧.
(٢) سورة سبأ الآية ٣٥.
(٣) نهج البلاغة: ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩.
(٤) نهج البلاغة: ص٣٩٠.
(٥) سورة الأحزاب الآيتان ٦٦ ـ ٦٧.
(٦) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٢٥٨/١١
(٧) نهج البلاغة: ص٣٩٠.
(٨) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٤٩/١٣.
(٩) نهج البلاغة: ص٣٩٠.

نعتهم عليه السلام "**فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ**"[١]، أي بهم قوام الكبر العصبية وثباته، كما ان قوام الاساس يقوا غيره واستحكام بها[٢]. واضاف عليه السلام في نعوتهم أنهم "**دَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ**"[٣]، واراد ان اعتزائهم إلى الجاهلية وانتسابهم إليها بمنزلة السيوف القواطع للحق المهلكة للدين[٤]. وهنا عليه السلام إنما استعار لفظ السيوف لهم باعتبار صرامة عزومهم ومضيهم عند الاعتزاء فيما يعتزي له كمضي السيوف وصرامتها في مضاربها، ويحتمل ان يريد بقوله (وأصحاب سيوف اعتزاء الجاهلية) وذلك عند قولهم: يا لفلان! والاعتزاء منهي عنه لكونه مبدأ الفتن[٥].

ان ما ذكر أعلاه هو حديثه عليه السلام في مقام الذم لتلك السمة، أي العصبية المذمومة. ولكن يجدر التنبيه إلى أن للإمام عليه السلام كلاما أيضاً في العصبية الممدوحة، والمرغوبة في الشريعة فقال عليه السلام: "**فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ، فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، ومَحَامِدِ الأَفْعَالِ، ومَحَاسِنِ الأُمُورِ، الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ والنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ، ويَعَاسِيبِ الْقَبَائِلِ بِالأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ، والأَحْلَامِ الْعَظِيمَةِ، والأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ، والآثَارِ الْمَحْمُودَةِ**"[٦].

وهنا إشارة واضحة منه عليه السلام إلى وجود عصبية محمودة إلى جانب العصبية المنفرة المذمومة، وهذا يعني ان معرض الذم وان كان غالباً على المجتمع في تلك الفترة السابقة للإسلام إلا أنه ليس شاملا بل فيه ما يدعو إلى المدح والافتخار، وخير مثال على ما ذكره بعض الكرام من العرب من أهل المجد

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٩٠.
(٢) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة ١١/ ٢٦٠.
(٣) نهج البلاغة: ص٣٩٠.
(٤) الحسيني: الديباج الوضي: ٤/ ١٩٩٦.
(٥) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨.
(٦) نهج البلاغة: ص٣٩٩.

والشرف والذين عبر عنهم عليه السلام بقوله "المجداء والنجداء من بيوتات العرب، ويعاسيب القبائل".

ورغم تعدد الامثلة بين ثنايا الروايات التاريخية الا اننا سنركز الحديث لاحقا عن الابرز وضوحاً في تاريخ العرب ألا وهم اجداد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله من بنو هاشم ممن تعارف باكرم الخصال وأعلى رتب الشرف، وممن انف عن أفعال الجهل والكبر والعصبية الا للخلال المحمودة ـ كما سياتينا بيانه[١] ـ ومن مصاديق ذلك ما كان منهم من نصرة الدين الإلهي ومنعة لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله[٢]، وقد ورد في الحديث "ما بعث الله نبياً الا في منعة من قومه"[٣].

ولنا تحفظ بشأن ما ورد لدى البعض من تحليل لموقف سيدنا أبي طالب عليه السلام وسيدنا الحمزة عليه السلام فعللوا موقف الأول تجاه الرسالة السماوية وابن أخيه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وما ابداه من موقف ايجابي، انه كان لتعصبه القبلي أو لحميته لقريبه[٤]؟! وكذلك فسر إسلام الحمزة عليه السلام انه جاء نتيجة غضبه وعصبيته للقرابة[٥]. ولكن المطّلع المتأمل لمواقف هذين السيدين ليقف على إيمان عميق بالله ورسوله صلى الله عليه وآله والا لما استحقا هذه المكانة في تاريخ الإسلام فغدا أبو طالب حامي الرسول والمدافع عنه وناصره إذ سماه الله سبحانه ناصر النبي، إذ قال جبرئيل للنبي صلى الله عليه وآله اثر موت أبي طالب: "اخرج منها فقد مات ناصرك"[٦]، واما الحمزة فهو أسد الله، وأسد رسوله، وسيد الشهداء[٧].

---

(١) ينظر الفصل الثالث ص: ٢٥٤ ـ ٢٥٩.

(٢) ينظر من هذا الفصل ص: ١٣٧ ـ ١٤١.

(٣) ابن حنبل: المسند: ٢/ ٥٣٣. السمعاني: تفسير: ٢/ ٤٤٨.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن هذا الرأي وما جاء في رده ينظر المحمداوي: أبو طالب: ص ١٠٧ ـ ٣١٤.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية: ١/ ١٨٤ ـ ١٨٥. ولمزيد من التفاصيل عن سيرة الحمزة عليه السلام ورد الشبهات عنها، ينظر: سعدي المالكي: حمزة بن عبد المطلب دراسة في سيرته الشخصية: (الصفحات جميعها).

(٦) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٩، ٤/ ١٢٨.

(٧) الصفار: بصائر الدرجات: ص١٤١.

ولنترك الحديث لأمير المؤمنين عليه السلام يحدثنا عن هاتين الشخصيتين، فنجده يفخر بابيه قائلاً: "**ولا أبو سفيان كأبو طالب**"(١)، ويفخر بعمه حمزة فيقول: "ومنا أسد الله"(٢).

إن الحمية والعصبية من توابع الكبر، الذي كان من أبرز سمات المجتمع الجاهلي انذاك، وقد وردت الإشارة إليه في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فما هو الكبر؟

الكبر: هو حالة تدعو إلى الاعجاب بالنفس والتعاظم على الغير، بالقول أو الفعل، وهو من اخطر الامراض الخلقية، واشدها فتكا بالإنسان، وادعاها إلى مقت الناس له وازدرائهم به، ونفرتهم منه. قال تعالى ذاما لهذه الخصلة ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾(٣) وقال: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾(٤).

فالكبرياء من السمات الخاصة بالله "**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ والْكِبْرِيَاءَ، واخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وجَعَلَهُمَا حِمًى وحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ، واصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ**"(٥)، وقد حذر أمير المؤمنين عليه السلام من هذه الحالة التي كانت من أبرز الظواهر في المجتمع آنذاك "**بَعَثَهُ والنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ، واسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ**"(٦) في مواضع عدة "**واسْتَعِيذُوا بِاللَّه مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ، كَمَا تَسْتَعِيذُونَه مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ، فَلَوْ رَخَّصَ اللَّه فِي الْكِبْرِ لأَحَدٍ مِنْ عِبَادِه، لَرَخَّصَ فِيه لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِه وأَوْلِيَائِه**"(٧)، وقال عليه السلام: "**فَاللَّه اللَّه فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ**"(٨)،

---

(١) نهج البلاغة: ص٥١١.
(٢) نهج البلاغة: ص٥٢٨.
(٣) سورة النمل الآية٢٣.
(٤) سورة الزمر الآية ٦٠.
(٥) نهج البلاغة: ص ٣٨٤ ـ ٣٨٥.
(٦) نهج البلاغة: ص ١٧٧
(٧) نهج البلاغة: ص٣٩٢.
(٨) نهج البلاغة: ص٣٩٧.

وضرب الامثلة لعاقبة الذي يتكبر بالشيطان أولاً الذي اضاع عبادة ستة الالاف سنة عن كبر ساعة واحدة(١) "**فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، ونَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ، وادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ. أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكَبُّرِهِ؟ ووَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً، وأَعَدَّ لَهُ فِي الآخِرَةِ سَعِيراً**"(٢).

فدعا الناس للاعتبار بحاله "**إذ أَحْبَطَ عَمَلَه الطَّوِيلَ وجَهْدَه الْجَهِيدَ**"(٣) "**فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ، مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ، وأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ، مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ ونَخَوَاتِه ونَزَغَاتِه ونَفَثَاتِه، واعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُءُوسِكُمْ، وإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ**"(٤).

ثم دعا للحذر من التأسي بفعال المثال الثاني من امثلة المتكبرين، وهو قابيل ابن آدم، إذ يقول عليه السلام: "**ولَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّه، مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَه اللَّه فِيه، سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِه مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ، وقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِه مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، ونَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِه مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ، الَّذِي أَعْقَبَه اللَّه بِه النَّدَامَةَ، وأَلْزَمَه آثَامَ الْقَاتِلِينَ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**"(٥).

وما زال عليه السلام محذراً من هذا المرض الأخلاقي البغيض وآثاره الوخيمة إذ يقول عليه السلام: "**اللَّه اللَّه فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ - فَإِنَّه مَلَاقِحُ الشَّنَئَانِ ومَنَافِخُ الشَّيْطَانِ - الَّتِي خَدَعَ بِهَا الأُمَمَ الْمَاضِيَةَ والْقُرُونَ الْخَالِيَةَ - حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِه ومَهَاوِي ضَلَالَتِه - ذُلُلًا عَنْ سِيَاقِه سُلُساً فِي قِيَادِه - أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيه وتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْه - وكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِه -** ...

---

(١) نهج البلاغة: ص ٣٨٦.
(٢) نهج البلاغة: ص٣٨٥.
(٣) نهج البلاغة: ص ٣٨٦.
(٤) نهج البلاغة: ص ٣٨٨ - ٣٨٩.
(٥) نهج البلاغة: ص٣٨٩.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، مِنْ بَأْسِ اللَّه وصَوْلَاتِه ووَقَائِعِه ومَثُلَاتِه، واتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ ومَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ، واسْتَعِيذُوا بِاللَّه مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ، كَمَا تَسْتَعِيذُونَه مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ"(١).

لعل أهم ما ميز حياة العرب في الجاهلية انها كانت حياة حربية تقوم على سفك الدماء حتى كأنها سنة من سننهم، فهم دائماً إما قاتلون أو مقتولون، لا يفرغون من دم إلا إلى دم آخر(٢). وإلى ذلك أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في معرض حديثه عن المجتمع آنذاك إذ يقول: "**قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ**"(٣) أي قد تداعوا إلى الموت والفناء من كثرة الغارات وشدائد سوء المعاش وظلم بعضهم لبعض، لأن الناس إذا لم يكن بينهم نظام عدلي ولم يجر في امورهم قانون شرعي اسرع فيهم ظلم بعضهم لبعض واستلزم ذلك فنائهم(٤).

إذ كان اكبر قانون عندهم يخضع له كبيرهم وصغيرهم هو قانون الأخذ بالثأر(٥)، فهو شريعتهم المقدسة، فكأن الثأر هو واجبهم الأول الذي لا يتساهلون فيه، ومن هنا تحولت القبائل العربية وتوزعت ما بين طارد ومطرود وغاز ومغزي كل يسعى إلى أخذ غيره بسلطان قوته وخاصة إذا لمس في الخصم ضعفا(٦).

لذا عد الإمام عليه السلام "الغارات" من أبرز مظاهر حياتهم آنذاك بقوله في وصف حالهم: "**فَالأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، والأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، والْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بَلَاءِ أَزْلٍ، وأَطْبَاقِ جَهْلٍ، مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ، وأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ**"(٧). فقد تحولوا بسبب اختصامهم على المراعي

---

(١) نهج البلاغة: ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠.
(٢) ضيف: العصر الجاهلي: ص ٦٢
(٣) نهج البلاغة: ص٣٨١.
(٤) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٥٥.
(٥) لمزيد من التفاصيل عن الثأر واثاره السلبية ينظر: بثينة الزبيدي: الثأر في العصر الاموي: ص ٧ ـ ٦٢
(٦) خريسات: العصبية القبلية: ص ٩٠
(٧) نهج البلاغة: ص٤٠٢.

واتخاذهم الغزو وسيلة من وسائل عيشهم إلى ما يشبه كتائب حربية، فكل قبيلة مستعدة دائماً للحرب والإغارة على من حولها من البدو والحضر، وهي دائماً شاكية السلاح حتى تحمي حماها ومنازلها وآبارها ومراعيها(١). وكانوا يسمون وقائعهم إياما(٢)، فهي ليست حروبا بالمعنى المفهوم من الحرب، فإن منها ما هو مجرد مناوشات أو مهاترات أو غزوات، ومنها أيام وقعت واستمرت لعدة سنين(٣). ولذا قال عليه السلام: "وأنتم معشر العرب... تسفكون دمائكم وتقطعون أرحامكم..." في دلالة على الأثر السلبي الذي جنته تلك الحروب والغزوات على علاقاتهم وتسببت بفرقتهم.

ولذا وصفهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالجفاء والغلظة وعبر عن مزيتهم قائلاً: "**الْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ**"(٤) يريد غلظة العرب وما كانوا عليه من قساوة القلوب وسفك الدماء، ووصفها بما اشتق منها مبالغة وتأكيداً لها، واراد الجفوة القوية(٥) ثم نجده عليه السلام يشير إلى سلوك اجتماعي مقيت إذ مما يشاع فيهم انهم "**يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ**"(٦) ففضلا عن ارتباكهم الفواحش والمحرمات، ظهر من عاداتهم استذلال من عقل منهم وحلم الغارة والنهب واثارة الفتن، واستنهاضه بنسبته إلى الجبن والضعف(٧).

الآية الثالثة: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾(٨).

---

(١) ضيف: العصر الجاهلي: ص ٦١ ـ ٦٢

(٢) لمزيد من التفاصيل ينظر: الالوسي: بلوغ الارب: ٢/ ٦٧ ـ ٧٣. جواد علي: المفصل: ٥/ ٢٦٠ ـ ٣١١

(٣) جواد علي: المفصل: ٥/ ٢٦٨.

(٤) نهج البلاغة: ص٢٧٥.

(٥) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٣/ ٢٢٢.

(٦) نهج البلاغة: ص٢٧٥.

(٧) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٣/ ٢٢٢.

(٨) سورة آل عمران الآية ١٥٤.

الظن: هو ان ترجح مضمون الخبر وعدمه، مع تجويز الطرف الاخر[١]، وأحياناً يأتي الظن بمعنى العلم، قال تعالى ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾﴾[٢] وقال أيضاً: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾[٣].

والآية هنا تشير إلى بعض افكار الجاهلية التي تبتني على غير أدلة سواء كانت أدلة شرعية أو عقلية، ومن تلك الأفكار قولهم بتعدد الالهة واتخاذ وسائط إلى الله تمثلت بالاصنام، وانكار بعضهم حياة ما بعد الموت ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[٤]. ولذلك سموا بالمعطلة، وكانوا يحملون الدهر مسؤولية ما يمر بهم من نكبات وتقلبات[٥]، إذن القرآن يرد القول ان أي ظن يأتي عن غير دليل شرعي أو عقلي فهو جاهلي، بغض النظر عن زمانه ومكانه[٦].

ومن مصاديق ذلك في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما أشار إليه في معرض حديثه عن اديان العرب، ومنها عبادة الأوثان بقوله عليه السلام: "**فَبَعَثَ اللّه مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم بِالْحَقِّ، لِيُخْرِجَ عِبادَه مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ إلى عِبادَتِه، ومِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إلى طَاعَتِه**"[٧]، وقال في موضع آخر" **الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ**"[٨] "**وأَصْنَام مَعْبُودَةٍ**"[٩]ومن اديان العرب الأخرى التي أشار اليها عليه السلام: "**وأَهْلُ الأرض يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ،**

(١) محمد رضا المظفر: المنطق: ١/١٨.
(٢) سورة ص الآية ٢٤.
(٣) سورة الكهف الآية ٥٣، وكذلك: البقرة الآية ٤٦، سورة الحاقة الآية ٢٠.
(٤) سورة الجاثية الآية ٢٤.
(٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/١١٧ ـ ١٢٠.
(٦) النصر الله: الجاهلية: ص ٢٠ ـ ٢١.
(٧) نهج البلاغة: ص٢٦٧.
(٨) نهج البلاغة: ص ٥٦.
(٩) نهج البلاغة: ص٤٠٢.

بَيْنَ مُشَبِّه لِلَّه بِخَلْقِه أو مُلْحِدٍ فِي اسْمِه، أو مُشِيرٍ إلى غَيْرِه"(١) والتي سنقف عليها بشكل تفصيلي في بحث الجانب الديني.

دور النبي صلى الله عليه وآله في اصلاح مجتمعه:

وبعد هذا العرض الموجز الذي تم لملمة شتاته من بين مواضع شتى تناثرت في كلامه الشريف عليه السلام، حتى تكونت لنا هذه الصورة عن تاريخ العرب قبل الإسلام وقبيل بعثته الشريفة صلى الله عليه وآله وبعد ان شخص عليه السلام وجوه الفساد والانحراف في ذاك المجتمع بين ان علاجها واصلاحها هو وظيفه النبوة التي وضعت العلاج اللازم لتلك الامراض العقيمة، لذا عبر عليه السلام عن دور النبي عليه السلام بقوله: **"طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وآذَانٍ صُمٍّ، وأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ، مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، ومَوَاطِنَ الْحَيْرَة"**(٢).

فالنبوة تعالج وجوه الفساد كلها في الإنسان والمجتمع في الروح والمادة، والمؤسسات لتحقيق الغاية العظيمة النبيلة، وهي تكوين الإنسان المتكامل، وقد أعلن الأنبياء صلوات الله عليهم هدفهم هذا على مدى التاريخ، كل واحد منهم في المحيط الذي بعث إليه في الزمان الذي كان فيه، إلى أن ختمت النبوة بمحمد صلى الله عليه وآله فكان هذا الهدف العظيم بحجم امتداد الرسالة الخاتمة في الزمان والمكان على مستوى البشرية كلها، وعلى مدى المستقبل كله إلى نهاية الزمان: **"فَبَالَغَ صلى الله عليه وآله وسلم فِي النَّصِيحَةِ، ومَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، ودَعَا إلى الْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ"**(٣)، **"... فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ"**(٤)، وقد اثمر جهد الأنبياء العظيم النبيل

---

(١) نهج البلاغة: ص٢١.
(٢) نهج البلاغة: ص٢٠١.
(٣) نهج البلاغة: ص١٧٨.
(٤) نهج البلاغة: ص٢١.

وجهادهم ومن اتبعهم وجرى على سنتهم، في تحقيق هذا الهدف العظيم الذي وضع الإنسانية على طريق التكامل[١].

ويقول عليه السلام في وصف النبي الأعظم ﷺ وتجربته الرسالية العظيمة واثره في عملية التغيير الشاملة التي قامت بها الدعوة الإسلامية "**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللّه سُبْحَانَه بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله، ولَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، ولَا يَدَّعِي نُبُوَّةً ولَا وَحْياً، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَه مَنْ عَصَاه، يَسُوقُهُمْ إلى مَنْجَاتِهِمْ**"[٢].

وقد بين عليه السلام النهج الذي اتبعه ﷺ في هداية الناس، الذي كان يعتمد على الرفق واللين والنصح والموعظة، يقول عليه السلام: فَبَالَغَ صلى الله عليه وآله وسلم فِي نصحهم، ودَعَاهم إلى الْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ[٣] وذلك استجابة لامر السماء ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ...﴾[٤]، "**أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ**"[٥]، وكان ﷺ الرحمة الإلهية المتجسدة بشخصه بين الخلق، لذا برز في فعاله رحمه ورفق لا مثيل له حتى عبر عن ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بذكر انموذج من فعاله فقال: "**يَحْسِرُ الْحَسِيرُ ويَقِفُ الْكَسِيرُ، فَيُقِيمُ عَلَيْه حَتَّى يُلْحِقَه غَايَتَه، إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ فِيه**"[٦]، وذلك إشارة إلى وصفه ﷺ بالشفقة على الخلق في حال اسفارهم معه في الغزوات ونحوها، أي انه كان يسير في آخرهم ويفتقد المنقطع منهم عن عياء وانكسار مركوب فلا يزال يلطف به حتى يبلغه أصحابه الا ما لا إيصاله ولا يرجى. وقيل: كنى بالحسير والكسير عمن عجز ووقف قدم عقله في الطريق إلى الله لضعف في عين بصيرته، واعوجاج في آلة إدراكه، وبقيامه عليه

---

(١) شمس الدين: حركة التاريخ: ص ٨٣.
(٢) نهج البلاغة: ص١٩٢، وينظر: عبد الرحمن الوائلي: جدلية العلاقة: ص ١٥٩ ـ ١٦٠.
(٣) نهج البلاغة ص١٧٨.
(٤) سورة النحل الآية ١٢٥.
(٥) نهج البلاغة ص١٠٧.
(٦) نهج البلاغة ص١٩٢ ـ ١٩٣.

حتى يلحفه إلى غايته عن اخذه له بوجوه الحيل والجواذب إلى الدين حتى يوصله إلى ما يمكن من العقيدة المرضية والاعمال الزكية التي هي الغاية من طريق الشريعة المطلوب سلوكها[١].

وفي نص آخر يضيء به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جانبا آخر من جوانب وظيفة النبوة قال: "**صُرِفَتْ نَحْوَه أَفْئِدَةُ الأَبْرَارِ، وثُنِيَتْ إليه أَزِمَّةُ الأَبْصَارِ، دَفَنَ اللَّه بِه الضَّغَائِنَ، وأَطْفَأَ بِه الثَّوَائِرَ أَلَّفَ بِه إِخْوَاناً، وفَرَّقَ بِه أَقْرَاناً، أَعَزَّ بِه الذِّلَّةَ، وأَذَلَّ بِه الْعِزَّةَ**"[٢]. ففي هذا النص كشف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن عمل النبوة في تغيير القيم السائدة في المجتمع، هذه القيم التي تحكم وتوجه العلاقات داخل المجتمع بين فئاته وافراده، وابدالها بقيم أخرى متسقة في طبيعتها مع طبيعة الرسالة النبوية لانها مستمدة منها.

وما يترتب على ذلك من تغيير في المفاهيم والقناعات ومن تبدل في نوع العلاقات نتيجة لتبدل القيم الجاهلية بالقيم النبوية. لقد ثنيت ازمة الابصار نحو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كما كانت تثني نحو كل نبي في مجتمعه، لأنه قد اثار اهتمام الناس كلهم واوجد هزة راحت تنداح على المجتمع كله وتنفذ في اعماقه[٣].

وقد كانت للفحام[٤] وقفة جيدة عند الصور الفنية التي رسمتها نصوص نهج البلاغة عن الوظيفة النبوية وما أحدثته من تغيير فعلي وصل حد الاعجاز في توحيد القبائل العربية ولم الصف ونقل المعرفة ومحاربة الجهل ومن تلك الصور:

قوله عليه السلام: "**أَضَاءَتْ بِه الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، والْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ**

---

(١) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٣/ ٣٥.

(٢) نهج البلاغة: ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٣) شمس الدين: حركة التاريخ: ص ٨٥.

(٤) بلاغة النهج: ص٤١ ـ ٥٠.

والْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ"[١] وهذه صورة اختصرت سنوات طوال من نضال النبي ﷺ وصبره حتى مكنه الله من بسط الفكر التوحيدي الجديد وتشريع قوانين العدالة السماوية الجديدة التي أنارت العقل وبسطت النفوذ ووحدت الكلمة.

والإمام اكتفى بقوله "**أَضَاءَتْ بِه الْبِلَادُ**" مقابل اطنابه بالصور الثلاث اللاحقة، لأن مراده بيان الحال لما بعد البعثة النبوية وأثر النبي ﷺ في استجلاب الخير للعرب خاصة، لذلك أشار إلى بعض الصفات الجاهلية الغالبة عليهم التي قضى عليها النبي ﷺ فوصف الضلالة بالمظلمة كناية عن المبالغة في عدم الاهتداء، وقال "**والْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ**" لأن طباعهم كانت غلظة وشناعة مثل وأد البنات وفعل السبي والنهب في الناس، ووصف الجهالة بالغالبة نظر إلى خفة العقول واشعال الحروب وسفك الدماء لأتفه الأسباب كما في حرب البسوس وحرب داحس والغبراء المشهورتين في الجاهلية.

والصفات التي اطنب بها الإمام في اطلاقها على المواصفات للمبالغة ومراعاة السياق، إذ هو لما قال "**أَضَاءَتْ**" حسن ايراد صفة الظلام على الضلالة، ووصف الجهالة بالغالبة للإشعار بهذه الصفة السائدة في عقول الناس قبل بعثة النبي ﷺ، واطلاق لفظ الجافية على المصدر للمبالغة من باب المجاز العقلي كما يقال جن جنونه.

وفي موضع آخر رسم الإمام للنبي صورة مشرقة للتغيير فقال: "**جَعَلَه اللَّه بَلَاغاً لِرِسَالَتِه وكَرَامَةً لأُمَّتِه، ورَبِيعاً لأَهْلِ زَمَانِه ورِفْعَةً لأَعْوَانِه وشَرَفاً لأَنْصَارِه**"[٢]. فوصف رسالة النبي بالبلاغ إشارة لإتمام النعمة على الناس ولطف الله بالبرية "وأما باقي رسله، وان ادوا ما عليهم من الابلاغ، إلا أنه لما كانت رسالاتهم مؤقتة محدودة لم يحصل منهم بلاغ منه تعالى كاف"[٣].

---

(١) نهج البلاغة: ص٢٧٥.

(٢) نهج البلاغة: ص٤٢٨.

(٣) التستري: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ٢/ ١٩٢.

وجعل الله ختام النبوة بمحمد ﷺ كرامة للعرب كونه منهم واختتام الاديان بالإسلام فبعد ان كانوا قبائل متناحرة في تخوم الصحراء كرمهم الله فأصبحوا سادة العالم والحاملين إليه لواء التوحيد. وجعله الله "**ورَبِيعاً لأهل زَمَانِه**" صورة للنماء والخيرات والبركات حتى لغير المؤمنين في عاطفة من المديح الصادق تطابق فيه الاداء مع المضمون ايما تطابق، تطابق يستشعر فارقه كل دارس لادب مديح السلاطين حين تسبغ مثل هذه الصفات على غير مستحقيها. وقول الإمام هذا يشبه قول ابيه رضوان الله عليه من قبل في النبي ﷺ[١].

وابيض يستسقي الغمام بوجهه ربيع اليتامي عصمة للارامل

وقوله[٢]:

وتلقوا ربيع الأبطحين محمدا على ربوة في رأس عنقاء عيطل

وقوله الأخير إشارة إلى ما خلف النبي فيهم من فهم جديد في النظر إلى الحياة ووظيفة الإنسان فيها رفع من مكانتهم بين الامم، قال أبو ذر: "تركنا النبي صلى الله عليه وسلم وما يتقلب في السماء طائر الا ذكرنا منه علما"[٣].

وقال في موضع آخر: "**فَرَتَقَ بِه الْمَفَاتِقَ وسَاوَرَ بِه الْمُغَالِبَ، وذَلَّلَ بِه الصُّعُوبَةَ وسَهَّلَ بِه الْحُزُونَةَ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِينٍ وشِمَالٍ**"[٤].

والمفاتق التي رتقها النبي كناية عامة عن كل مفسدة اصلحها النبي[٥] وكل سيئة وفعل من شأنه سفك الدم وفرقة الكلمة وهد الصف. والمفاتق جمع مفتق وهي الشقوق.

ويبدو من سياق الربط بين الفعل رتق ومفعوله المفاتق ان المراد به غير

---

(١) أبو طالب: ديوان شيخ الاباطح: ص٢٦.

(٢) ابن معد: الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ٢١٩. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٦٣/١٤

(٣) ابن حنبل: المسند: ٥/ ١٦٢.الهيثمي: مجمع الزوائد: ٨/ ٢٦٣.

(٤) نهج البلاغة: ص ٤٤٧.

(٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١١/ ٦٤.

الظاهر من اسم الفاعل "المفاتق" بضم الميم المقابل في الصورة الثانية للمغالب، وثمة معنى فارق بينهما، إذ الصورة تريد الجمع لا اسم الفاعل وان كان يوهمه الصورة الثانية. بقرينة المغالب، واراد من المساورة (المواثبة أي كسر به صلى الله عليه وآله سورة من أراد الطغيان)[(١)].

وقوله "**وذَلَّلَ بِه الصُّعُوبَةَ**" كناية عن التسهيل والتخفيف، وقوله "**وسَهَّلَ بِه الْحُزُونَةَ** " تعزيز لمعنى الأولى، والحزونة: ضد السهولة، والحزن هي ما غلظ من الأرض وخشن، واستعير لوصف الأخلاق الخشنة، وكلام الإمام يحمل معنيين: عام كنى به عن المعنى الأول ذاته في توخي التليين والتخفيف في التعامل اليومي، وخاص اومأ به إلى حادثة أفاد منها للانطلاق إلى المعنى العام. ولا ريب تلك نظرة جديدة إلى بناء الإنسان في ظل مفهوم المدنية وحياة اللاعنف التفت إليها النبي في ادق تفاصيلها. لذلك سرح الله به الضلال سريعا، واكد تشتيته بقوله "**عَنْ يَمِينٍ وشِمَالٍ**".

وكلام الإمام كثير في تصوير أحوال العباد والبلاد بعد التغيير النبوي يعجز التفاصيل إيفاءه حقه لذلك كثيراً ما يعمد الإمام إلى التكنية عنه بصور مختصرة تدع الأذهان تذهب فيه كل المذاهب في تصوره كقوله: "... **حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وآله ـ حُجَّتُه، وبَلَغَ الْمَقْطَعَ عُذْرُه ونُذُرُه**"[(٢)]. ومقطع الشيء نهايته وما يقطع به ولا يبقى خلفه شيء[(٣)]. أي ليس ثمة رسول ينتظر بعد النبي محمد لأنه تمت الحجة به على العباد وبلغ الأمر مقطعه "وانتهت عذر الله تعالى ونذره، فعذره ما بين المكلفين من الأعذار في عقوبته لهم ان عصوه، ونذره ما انذرهم به من الحوادث، ومن انذرهم على لسانه من الرسل"[(٤)].

(١) المجلسي: البحار: ١٨/ ٢٢٥.
(٢) نهج البلاغة: ص١٦٦ ـ ١٦٧.
(٣) ابن منظور: لسان العرب: ٨/ ٢٧٨.
(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٧/ ٧.

لقد أدت القيم الجديدة التي جاء بها النبي ﷺ إلى تغيير المفاهيم، ومن ثم إلى تغيير عميق وجذري في العلاقات الاجتماعية بين الافراد والفئات، وإلى أحداث التبدلات الاجتماعية. لقد دفنت به الضغائن، لأن أسباب تولدها قد زالت، ومن ثم فقد زالت أسباب تفجرها فزالت الثوائر. وقد أدت القيم الجديدة إلى إيجاد علاقات جديدة: فالف الله بالنبي ﷺ بالقيم التي بشر بها واذاعها في الناس، اخوانا في الإيمان، وفرقت هذه القيم الإيمانية بين اقران اختلفت بهم الطريق حين هتف بصوت النبوة في المجتمع، فسلك بعضهم طريق الإيمان وبقي الآخر على طريقه القديم، كما أدت هذه القيم الجديدة إلى تغيير في المراتب الاجتماعية، وغدت التقوى هي الاساس للتفاضل بين أفراد المجتمع، ومن ثم فقد اعز الله به ﷺ وبقيمه الإلهية الذلة التي كانت تفرضها القيم الجاهلية القديمة على الفقراء والمستضعفين، واذل به العزة التي كانت تنشأ من قيم غير ايمانية[١].

فكان من اثار نهجه العظيم ﷺ: **"فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ، ورَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ، وأَلَّفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ، والضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ"**[٢].

المكون المجتمعي:

لو تأملنا في المكون المجتمعي الذي احاط بالنبي الأعظم ﷺ في موطنه الأول ومحل ولادته وانطلاق دعوته (مكة المكرمة) لوجدناه يتكون من:

أولاً: المسلمون الأوائل: "الَّذِينَ دُعُوا إلى الإسلام فَقَبِلُوه"[٣]، وقد كان لثلة منهم قصب السبق في الإيمان الخالص بالله وبرسوله، وهم الذين تمايزوا

---

(١) شمس الدين: حركة التاريخ: ص ٨٥ ـ ٨٦.
(٢) نهج البلاغة: ص٤٨٣.
(٣) نهج البلاغة: ص٢٣١.

بهذه الفضيلة، وتقدموا على من سواهم ممن أسلم أو آمن فيما بعد[1]. وفي طليعة هؤلاء كانت **أسرة النبي** ﷺ التي تشكل المكوّن البيئي الأول الذي احتضنه ﷺ وهم الذين اصطلح على تسميتهم بـ"أهل البيت"[2]. والمتأمل في كلامه عليه السلام يلاحظ انه عليه السلام قد طرق هذا المفهوم تارة على وجه العموم، وأخرى على وِجه الخصوص، وذلك تبعاً لموارد الاستخدام[3].

فأما الوجه الأول الذي استخدم فيه الإمام عليه السلام هذا المصطلح بشكل عام يشمل بعض أقرباء النبي ﷺ من بني هاشم ـ خاصة ـ كالحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث عليهم السلام، إذ كان في معرض حديثه عن المواقف الجهادية لهؤلاء الافذاذ وكيف قدمهم النبي ﷺ قبل غيرهم ليكونوا أنصارا للإسلام[4]. وأما الوجه الخاص الغالب في استخدام الإمام عليه السلام لهذا المصطلح، فقد عنى به "أهل البيت" ممن هم عترته وخاصته الذين خصتهم آية التطهير[5].

لقد تحدث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن أهل البيت عليهم السلام مشيراً إلى جوانب متعددة وخصائص متنوعة، منها ما كان وصفاً لخصال وسجايا ذاتية ووراثية تلازم أجيال هذه الدوحة المباركة السابقة لرسالة الإسلام وعلاقتها بالرسالات السماوية المتقدمة، وكذلك تحدث الإمام عليه السلام عن مكارم الأخلاق،

---

(١) يتضح لهم هذا الفضل في إشارة الإمام عليه السلام محاججا معاوية بقوله: "لما ادخل الله العرب في دينه افواجا، واسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً، وكنتم ممن دخل في الدين اما رغبة أو رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم..." نهج البلاغة: ص٥١٢.

(٢) لمزيد من التفاصيل ينظر: حاكم الكريطي: أهل البيت (في نهج البلاغة قراءة تأويلية: (الصفحات جميعها).

(٣) تجدر الإشارة إلى أن الإمام عليه السلام في هذا المنهج سار على نهج القرآن الكريم في استخدام مصطلح أهل البيت (الذي تارة يستخدم لعموم بني هاشم، وأخرى لخصوص آل بيت النبي ﷺ وهم المشار إليهم بأصحاب الكساء. لمزيد من التفاصيل ينظر: عباس غياض: السياق واثره في دلالة النص القرآني عند مفسري الإمامية في العصر الحديث: ص ٢٦٣ ـ ٢٨٢.

(٤) نهج البلاغة: ص٥٠٣.

(٥) حول اختصاص آية التطهير باهل البيت ينظر: السيد علي الحسيني الميلاني: آية التطهير: ص٧ ـ ٣٤.

ومحامد الفعال التي اتصفت بها أسرة النبي صلى الله عليه وآله، وما عرف عنها وعن سادتها وقادتها الذين لعبوا أدوارا مشرفة وبارزة في حوزة الجزيرة العربية وما حولها، فقال في ذلك: "**فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ، وجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ، وكِتَابُ اللَّه يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وهُوَ قَوْلُه سُبْحَانَه وتَعَالَى**: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[1]"[2].

وفي كلام الإمام عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله ثمة إمعان في التركيز على طهارة النسب وشرف الآباء، وإنه من سلالة الأنبياء وذريتهم تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾[3][4]. ولسنا هنا في محل التفصيل في شرف النسب، إذ للحديث عنه محل آخر[5].

إن المساحة الأوسع التي استوعبها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه بخصوص أهل البيت عليهم السلام هي فيما كان من مواقفهم وردود فعلهم إزاء الحدث الأكبر أهمية في جزيرة العرب حينما بُعث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله نبياً، فأحدثت بعثته زلزالاً على كافة الاصعدة والمستويات، فاختلفت مواقف الطبقات الاجتماعية آنذاك، وتأرجحت بين قبول الرسالة الجديدة والإيمان بها وبقيمها والدفاع عنها، وبين رفضها ومقاومتها بل ومحاولة القضاء عليها، فقد وصف الإمام عليه السلام مواقف الجيل الأول من بني هاشم الذي عاصر البعثة، كما بسط القول فيما يخص العبء الأكبر والمسؤولية العظمى التي تحملها أهل البيت عليهم السلام عندما أنيط بهم حمل الرسالة والنهوض بأعبائها بعد رحلة النبي صلى الله عليه وآله[6].

---

(١) سورة الانفال الآية ٧٥.

(٢) نهج البلاغة: ص ٥٢٩. وينظر: درويش: علي كما وصف نفسه: ص١١.

(٣) سورة آل عمران الآية ٣٤.

(٤) الفحام: نهج البلاغة: ص ٢٢.

(٥) ينظر الفصل الثالث: ص.

(٦) درويش: علي كما وصف نفسه: ص١١ ـ ١٢.

فما ان كلف النبي ﷺ بالدعوة إلى دينه الحنيف، حتى حطت الرسالة السماوية رحالها في أفناء هذا البيت الرفيع " **وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ**"(١)، فكان أهل بيته ﷺ أول من لبى هذه الدعوة، فكانوا أول بيت في الإسلام يدخله نور الوحي، وأول قلوب أشرق فيها نور الإيمان بالدعوة المحمدية، إذ يقول عليه السلام: "**ولَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإسلام، غَيْرَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وخَدِيجَةَ وأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ وأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ**"(٢).

اما عن دور هذه الأسرة المباركة في مؤازرة دعوته ﷺ، فقد أشار عليه السلام إن عترة النبي ﷺ هي الرائدة ورجالها هم السابقون لنداء السماء، وليس لأحد أن يدعي إنه يوازي فضلهم أو يقارب صنيعهم ومرتبتهم في النصح لله ورسوله ﷺ، فهم أول من احتضن الإسلام ودافع عنه، وهذا ما عبر عنه عليه السلام بخصوص أهل البيت عليهم السلام: "**وهُمْ دَعَائِمُ الإسلام، ووَلَائِجُ الِاعْتِصَامِ**"(٣).

وتجدر الإشارة إلى أن النبي الأعظم ﷺ منع التفاضل بين أهل البيت عليهم السلام ومن سواهم مهما سمت مرتبته وعلا شأنه، إذ يقول ﷺ: "نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد"(٤). وهو ﷺ في ذلك قد جعل الافضلية المطلقة لأهل بيته عليهم السلام.

ولقد حذا أمير المؤمنين عليه السلام حذو رسول الله ﷺ في بيان تفرد أهل البيت عليهم السلام وتقدمهم دون منافس، إذ يقول مضيفا لحديث النبي ﷺ أعلاه ما يظهر بعض العلل الموجبة لعدم التجرؤ في وضع أهل البيت في كفة واحدة مع

---

(١) نهج البلاغة: ص ٢١٠. وورد أيضاً في بعض الروايات بلفظ "موضع الرسالة" وهي من نعوت أهل البيت (، ينظر: الصفار: بصائر الدرجات ص٨٢. الصدوق: كمال الدين: ص٢٠٦. الطوسي: أمالي: ص٦٥٤. القندوزي: ينابيع المودة ١/ ٧٧. وللتفصيل عن هذا النعت ينظر: الكربلائي: الأنوار الساطعة: ١/ ٤٠٣ ـ ٤٣٠.

(٢) نهج البلاغة: ص٤٠٦. لقد مر بنا الحديث بشيء من التفصيل عن إيمانه عليه السلام، ينظر الفصل الأول: ص ٦٩ ـ ٧٨.

(٣) نهج البلاغة: ص٤٨٩.

(٤) المتقي الهندي: كنز العمال: ١٢/ ١٠٤. المجلسي: البحار: ٦٥/ ٤٥، ١١٠/ ١٣.

من سواهم من الناس، إذ يقول عليه السلام: **"لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مِنْ هَذِه الأُمَّةِ أَحَدٌ، ولَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْه أَبَدا "**(١).

وفي شرحه لكلام أمير المؤمنين عليه السلام أعلاه يشير ابن أبي الحديد(٢) أنه لا شبهة أن المنعم أشرف من المنعم عليه، ولا ريب أن محمداً صلى الله عليه وآله والأدنين من بني هاشم ـ لا سيما علي عليه السلام ـ أنعموا على الخلق كافة بنعمة لا يقدر قدرها وهي الدعاء إلى الإسلام والهداية إليه أما أمير المؤمنين عليه السلام فنعمته على من تقدم عليه تتمثل بجهاده وهم قاعدون، وعلمه الذي احتاج إليه الجميع ولولاه لما حكم بالصواب.

ويشير الإمام عليه السلام إلى موقعية أهل البيت ودورهم في حياطة الدعوة المحمدية بقوله: **"هُمْ مَوْضِعُ سِرِّه، ولَجَأُ أَمْرِه، وعَيْبَةُ عِلْمِه، ومَوْئِلُ حُكْمِه، وكُهُوفُ كُتُبِه، وجِبَالُ دِينِه، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِه، وأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِه"**(٣). وأبان عليه السلام حاجة الأمة إلى الاعتماد عليهم، إذ أنهم المجسد الحقيقي للإسلام بكل تفاصيله إذ يقول: **"نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الْوُسْطَى بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي، وإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي"**(٤).

وشبه عليه السلام وجودهم كالنجوم الزواهر لمن أراد الهدى أو أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلا قويماً، فيقول: **"أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ، إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللَّه فِيكُمُ الصَّنَائِعُ، وأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ"**(٥).

---

(١) ٠ ـ نهج البلاغة: ص٢٥. وينظر: الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٧١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١/ ١٤٠.

(٣) نهج البلاغة: ص٢٥.

(٤) نهج البلاغة: ص٦٧٥.

(٥) نهج البلاغة: ص١٨٦.

وعرض الإمام عليه السلام عدة خصائص انفرد بها أهل البيت عليهم السلام مما جعلهم الاوّلى بالإتباع إذ يتضح من خلالها علة دعوة الناس لإتباعهم عليهم السلام منها: "**فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ومَوْتُ الْجَهْلِ، هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ ولَا يَخْتَلِفُونَ فِيه**"[١]، ومنها: "**وعِنْدَنَا أهل الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ، وضِيَاءُ الأَمْرِ**"[٢]، ومنها: "**انْظُرُوا أهل بَيْتِ نَبِيِّكُمْ، فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ، واتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، ولَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا، وإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، ولَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، ولَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا**"[٣].

لقد استنكر عليه السلام على الأمة حيرتها وتخبطها وهي تبتعد عن هذا المنهل الصافي الذي يمثل النبي ﷺ ونهجه القويم إذ يقول: "**فَأَيْنَ يُتَاه بِكُمْ؟ وكَيْفَ تَعْمَهُونَ؟ وبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ، وهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وأَعْلَامُ الدِّينِ، وأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، ورِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ**"[٤].

وأما عن نصح هذه الأسرة الطيبة لله ورسوله ﷺ في مواطن الجهاد، ومؤازرة النبي الأعظم ﷺ ونصرة دعوته، فقد تعددت موارد الإشارة لذلك، فضلاً عما سبق ذكره من إشارات بشكل عام وموجز ومركز، نأتي إلى ذكر الموارد الأخرى التي ركز فيها الإمام عليه السلام على بعض المواقف الجهادية الصلبة التي وقفها أهل بيت النبي ﷺ بالشكل والصورة التي ندر مثيلها، ففي معرض حديثه عليه السلام عن جهاد أصحاب النبي ﷺ ممن كان له موقف وحضور مع النبي ﷺ نجد تميزا لأهل بيته عليهم السلام لا يوازيه في الفضل أي أحد من صحابته، يدلنا على ذلك شهادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بما كان يصنعه النبي ﷺ في

(١) نهج البلاغة: ص٢٦٩.
(٢) نهج البلاغة: ص٢٣٠.
(٣) نهج البلاغة: ص١٨١.
(٤) نهج البلاغة: ص١٤١.

مواطن الشدة في الحروب إذ كان صلى الله عليه وآله "**إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أهل بَيْتِهِ، فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ والأَسِنَّةِ**"[١].

وقد سارت الركبان وطارت الأخبار بشجاعة الإمام عليه السلام، وقيل عنها ما لا يحصى، فهو الشجاع الذي ما فر قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً الا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية، وفي الحديث كانت ضرباته وتراً"[٢] ولكننا ملزمون بخطة تقتصر على ما ذكره الإمام فقط في نهج البلاغة، وقد أجمل الإمام عليه السلام القول بخصوص ما يمتلك من الشجاعة والاقدام بقول موجز ولكنه معبر " **أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ، وكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ ومُضَرَ**"[٣]. وأبان عليه السلام سبقه في مجال نصرة النبي صلى الله عليه وآله ودوره المتميز في الجهاد، ردا على من اتهمه بأن لا علم له بالحرب، فجاء رده " **لِلَّه أَبُوهُمْ، وهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي، لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا ومَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ**"[٤].

ومن أوضح صور المؤازرة التي وقف بها أهل البيت إلى جانب النبي صلى الله عليه وآله ودعوته الغراء، تحملهم ألوان الاذى في سبيل الله، وأصدق مصاديق ذلك هو الموقف الشجاع الذي كان لهم في شعب أبي طالب لما قاطعتهم قريش[٥].

ثم ذكر عليه السلام متفاخرا كيف كان أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله في طليعة الشهداء الذين ثبت أساس الدين بتضحياتهم العظيمة "**فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ**"[٦] ففي كل المواطن لهم ذكر وحضور وأثر فاعل، وكان أمير المؤمنين عليه السلام بالموقع الذي لا يجارى في تلك

---

(١) نهج البلاغة: ص٥٠٣.
(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٠.
(٣) نهج البلاغة: ص ٤٠٥.
(٤) نهج البلاغة: ص٦١.
(٥) نهج البلاغة: ص ٥٠٢.
(٦) نهج البلاغة: ص٥٠٣.

الميادين إذ واسى رسول الله ﷺ **"فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الأَبْطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الأَقْدَامُ"**[١]، وكان عليه السلام تواقا لنيل الشهادة[٢] كما نالها اخوته وبني عمومته من بني هاشم **"وأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، ولَكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ، ومَنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ"**[٣].

ومن دلالات فضل أهل البيت عليهم السلام وسابقتهم وتقدمهم في المواقف الجهادية، تفرد شهدائهم وجرحاهم عن سائر من سواهم **"أَلَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ، ولَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّه أُحَدِّثُ، أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّه تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ ولِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وخَصَّه رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِه عَلَيْه، أَولَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّه، ولِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ، قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وذُو الْجَنَاحَيْنِ"**[٤].

ولا يخفى أن هذه الإشارة في المثال الأول إلى عمه الحمزة بن عبد المطلب ذو المواقف المشرفة في مجاهدة أعداء الدين وقد أبلى البلاء الحسن في سبيل نصرة الإسلام. والمعني الثاني بكلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو أخوه جعفر بن أبي طالب الذي استشهد في واقعة مؤتة[٥]. والإمام عليه السلام اقتصر على هذين المثالين للدلالة فقط، والا فمفاخر هذه الأسرة من الكثرة التي تحتمل المزيد من الكلام.

---

(١) نهج البلاغة: ص ٤٢٢.

(٢) وقد نقل عنه عليه السلام في حواره مع رسول الله ﷺ حينما سأله عن موعد الشهادة التي وعده بها، إذ جاء في ذلك الحوار: "فقلت: يا رسول الله!، أو ليس قد قلت يوم أحد حيث استشهد من المسلمين من استشهد، وحيزت عني الشهادة، فشق ذلك عليّ، فقلت لي: أبشر فأن الشهادة من ورائك؟ فقال لي: ان ذلك كذلك، فكيف صبرك اذاً! فقلت: يا رسول الله! ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر". نهج البلاغة: ص٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٣) نهج البلاغة: ص٥٠٣.

(٤) نهج البلاغة: ص٥٢٧ ـ ٥٢٨.

(٥) لمزيد من التفاصيل عن شخصية جعفر بن أبي طالب عليه السلام وجهاده الفريد، ينظر: الحجاج: جعفر بن أبي طالب عليه السلام دراسة تاريخية: (الصفحات جميعها).

بل ذهب الإمام إلى أكثر من ذلك، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله فيما يتعلق باموات أهل البيت عليهم السلام، وما في ذلك من الخصوصية والتفرد فقال: **"أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صلى الله عليه وآله، إِنَّه يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا ولَيْسَ بِمَيِّتٍ، ويَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا ولَيْسَ بِبَالٍ، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ"**. ويظهر من شرح ابن أبي الحديد ان هذا النص من المتشابه الذي يصعب تفسيره واستكشاف مدلوله القطعي، وقد استبعد الشارح كون المراد هو بقاء الذكر الحسن أو الإشارة إلى مدلول الآية التي تصرح بأن الشهداء إحياء عند ربهم يرزقون. وذلك لأن ظاهر النص وما يحيطه من قرائن لا يمكن حمله على هذا المعنى، حسب قول ابن أبي الحديد[١]. ولكنه على جميع الاحتمالات والتفاسير يشير إلى فضيلة وكرامة بيّنة لأهل البيت عليهم السلام[٢].

وهؤلاء هم السابقون إلى الإسلام مع باقي من أسلم فيما بعد شكلوا النواة التي كونت مجتمع ما اصطلح على تسميته بـ **"المهاجرين"**، ممن استجاب لامر الله سبحانه وأطاع نبيه، فترك الديار والأموال والأهلين وهاجر إلى الله طائعا، بعد أن لاقوا في سبيل دينهم ما لاقوه من الاذى والتعنيف من قبل المشركين.

إن هؤلاء المهاجرين لم يكونوا على درجة واحدة من الفضل، إذ إن للهجرة قيود وشرائط، لا تقف عند حدود الهجرة الظاهرية (ترك المكان إلى مكان آخر) دون تحقق حصول الهجرة الواقعية المقيدة بالإيمان القلبي وكونها في الله وإلى الله ورسوله[٣]. والدليل على وجود التفاضل بين أفراد هذا المكون، ان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسم ثلة منهم بـ"المهاجرون الأولون"،

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٦/ ٣٧٧ ـ ٣٨٠.

(٢) درويش: علي كما وصف نفسه: ص ٢٩.

(٣) للسيد محمد السند تحقيق جدير بالتأمل حول عنواني "المهاجر" و"الأنصاري"، إذ تتبع الاستعمال القرآني لكلا العنوانين ووقف على دلالات اللفظة والقيود الملزمة لمقامات المدح والذم لمن تسمى بهما من صحابة النبي صلى الله عليه وآله. ينظر: الصحابة بين العدالة والعصمة: ص٥٦ ـ ٦١.

والأولية هنا قد تشمل السبق في الهجرة أو الصدق في النية كما ستدلنا أبعاد مفهومة (الهجرة):

الهجرة لغة: أنها جاءت من هجر: وكلمة هجر تأتي بمعنيين:

الأول: الهجَرَ بالفتح يعني الهذيان، والهُجر بالضم الاسم من الاهجار، وهو الإفحاش في المنطق[١]، ويقال للنخلة الطويلة ذهبت الشجرة هجرا أي طولا وعظما، وهذا أهجر من هذا أي أطول منه، وناقة مهجرة، أي فائقة في الشحم، ويقال لكل شيء أفرط في الطول أو تمام وحسن إنه لمهجر، ويقال جارية مهجرة، إذا وصفت بالفراهة والحسن، وإنما قيل ذلك لأن واصفها يخرج من الحد المقارب للشكل الموصوف في صفة فكأنه يهجر فيها أي يهذي[٢].

الثاني: الهجر ضد الوصل، وقد هجره هجرا وهجرانا: صرمه، والاسم الهجرة. ويقال هجرت الشيء هجرا إذا تركته وأغفلته، وهجر فلان الشرك هجرا وهجرانا وهجرة حسنة، والتهاجر: التقاطع[٣].

والهجرة: بالكسر والضم، الخروج من أرض إلى أخرى، ولقيته عن هجرة، بالفتح أي بعد حول أو بعد ستة أيام فصاعدا أو بعد مغيب[٤]. وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن، يقال: هاجر الرجل إذا فعل ذلك، وكذلك كل مخل بمسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه، فقد هاجر قومه[٥].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب: ٥/ ٢٥٠ ـ ٢٥١. الفراهيدي: العين: ٣/ ٣٨٦. الجوهري: الصحاح: ٢/ ٨٥١. الرازي: مختار الصحاح: ص ٣٥٣. الفيروز آبادي: القاموس المحيط: ٢/ ١٥٨ ـ ١٥٩. الزبيدي: تاج العروس: ٧/ ٦٠٧ ـ ٦١٣.

(٢) ابن منظور: لسان العرب: ٥/ ٢٥٢.

(٣) ابن منظور: لسان العرب: ٥/ ٢٥٠ ـ ٢٥١. الفراهيدي: العين: ٣/ ٣٨٦. الجوهري: الصحاح: ٢/ ٨٥١. الرازي: مختار الصحاح: ص ٣٥٣. الفيروز آبادي: القاموس المحيط: ٢/ ١٥٨ ـ ١٥٩. الزبيدي: تاج العروس: ٧/ ٦٠٧ ـ ٦١٣.

(٤) الفيروز ابادي: القاموس المحيط: ٢/ ١٥٨ ـ ١٥٩.

(٥) ابن منظور: لسان العرب: ٥/ ٢٥٠.

وسمي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشئوا بها لله، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة، فكل من فارق بلده من بدوي أو حضري أو سكن بلد آخر، فهو مهاجر، وكل من أقام من البوادي بمباديهم ومحاضرهم في القيظ، ولم يلحقوا بالنبي ﷺ ولم يتحولوا إلى أمصار المسلمين وان كانوا مسلمين، فهم غير مهاجرين، وليس لهم في الفيء نصيب(١).

لقد كان لهؤلاء (المهاجرين) ميزة في تاريخ الإسلام، إذ مثلوا الحجر الأساس لصرح الإسلام، فقد أثنى عليهم القرآن بالتكريم، وأولاهم عنايته الخاصة؛ لأنهم بذلوا في سبيل الله كل ما ملكوا من غال ونفيس(٢).

إن الهجرة في نظر الإسلام لا تقتصر على الهجرة المكانية والخارجية بل

---

(١) ابن منظور: لسان العرب: ٥/ ٢٥١.

(٢) ومن ذلك قوله تعالى:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ سورة البقرة الآية ٢١٨؛

- ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ سورة آل عمران الآية ١٩٥.

- ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ سورة آل عمران الآية ١٩٥.

- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ﴾ سورة الأنفال الآية ٧٤.

- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ سورة التوبة الآية ٢٠.

- ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ سورة التوبة الآية ١٠٠.

- ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجْرُ ٱلْأٓخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ#&٢٥٣; سورة النحل الآية ٤١.

- ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ سورة الحشر الآية ٨. وغيرها من الآيات الكريمة التي أشادت بفضلهم.

يلزم قبل ذلك أن تتحقق لدى الفرد المسلم هجرة داخلية باطنية، يترك فيها كل ما ينافي الأصالة والكرامة الإنسانية، لكي يتيسر له بهذا السبيل إلى الهجرة المكانية ـ إذن فالهجرة الباطنية ضرورية قبل أن يبدأ الإنسان المسلم هجرته الخارجية ـ وإذا لم يكن هذا الإنسان بحاجة إلى الهجرة الخارجية، يكون قد نال درجة المهاجرين بهجرته الباطنية(١).

نجد هذا المعنى ماثلا في أحاديث النبي الأعظم ﷺ كما في قوله ﷺ: "أفضل الهجرة أن تهجر ما كره الله"(٢)، وأوضح ﷺ أن أفضل الهجرة "أن تهجر السوء"(٣)، وفي حديث آخر إن النبي ﷺ قال: إن الهجرة خصلتان إحداهما ان تهجر السيئات والأخرى ان تهاجر إلى الله ورسوله ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة(٤). وفي رواية "أشرف الهجرة أن تهجر السيئات"(٥).

وفي حديث لأمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه "ويقول الرجل هاجرت ولم يهاجر، إنما المهاجرون الذين يهجرون السيئات ولم يأتوا بها"(٦).

نجد في هذا الحديث ما يدل على أن الذين هاجروا بأجسامهم دون أن تتحقق هجرة حقيقية في بواطنهم، هم ليسوا في درجة المهاجرين الذين استوجبوا رضا الله ورسوله.

ولقد جاء في أحاديث النبي ﷺ بشأن الهجرة ما قد يبدو للوهلة الأولى أنها متناقضة أو متعارضة، إذ يقول ﷺ: "لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد

---

(١) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: ٣/ ٢٧٦.

(٢) ابن حنبل: المسند: ٢/ ١٩٥. النسائي: السنن الكبرى: ٤/ ٤٢٥.

(٣) الصنعاني: المصنف: ١١/ ١٢٧. الهيثمي: مجمع الزوائد: ١/ ٥٩.

(٤) ابن حنبل: المسند: ١/ ١٩٢. الطبراني: الدعاء: ص٦١٦، المعجم الأوسط: ١/ ٢٣. البيهقي: شعب الإيمان: ٥/ ٤٤٤.

(٥) الطبراني: مسند الشاميين: ١/ ٣٧٨، المعجم الصغير ١/ ١٣. الهيثمي: مجمع الزوائد: ١/ ٦٠. السيوطي: الجامع الصغير: ١/ ١٦١.

(٦) الثقفي: الغارات: ٢/ ٥٠٢. الميرجهاني: مصباح البلاغة: ٣/ ٣٢٣.

ونية "[١]، ولكنه في حديث آخر يقول: "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة "[٢]. وقد جمع ابن الأثير[٣] بين الحديثين، بالتأويل الآتي، قائلاً: الهجرة هجرتان: أحدهما التي وعد الله عليها الجنة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[٤]، فكان الرجل يأتي النبي صلى الله عليه وآله ويدع أهله وماله لا يرجع في شيء منه، وينقطع بنفسه إلى مهاجره، وكان النبي صلى الله عليه وآله يكره أن يموت الرجل في الأرض التي هاجر منها، فقال حين قدم مكة "اللهم لا تجعل منايانا بها "[٥] فلما فتحت مكة صارت دار إسلام كالمدينة، وانقطعت الهجرة.

والهجرة الثانية: من هاجر من الأعراب وغزا مع المسلمين، ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى، فهو مهاجر، وليس بداخل في فضل من هاجر تلك الهجرة، وهو المراد بقوله: "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة" فهذا وجه الجمع بين الحديثين.

ولكن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يكشف عن مفهوم آخر للهجرة إذ يقول: **"والْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الأَوَّلِ، مَا كَانَ لِلَّه فِي أهل الأرض حَاجَةٌ، مِنْ مُسْتَسِرِّ الإِمَّةِ ومُعْلِنِهَا، لَا يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ، إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الأَرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا وأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، ولَا يَقَعُ اسْمُ الِاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْه الْحُجَّةُ، فَسَمِعَتْهَا أُذُنُه ووَعَاهَا قَلْبُه"**[٦].

---

(١) ابن حنبل: مسند أحمد: ١/ ٢٢٦. البخاري: الصحيح: ٣/ ٢٠٠. الدارمي: السنن: ٢/ ٢٣٩. ابن حزم: المحلى ٧/ ٤٥. النووي: المجموع: ١٩/ ٢٦٣.
(٢) الطوسي: المبسوط ٢/ ٤. ابن إدريس الحلي: السرائر ٢/ ١٤. ابن قدامة: المغني ١٠/ ٥١٣. المدني: رياض السالكين ٢/ ١٠٧، ٦٠٦.
(٣) النهاية: ٥/ ٢٤٤. وينظر: المجلسي: البحار: ٦٦/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠.
(٤) سورة التوبة الآية ١١١.
(٥) ابن حنبل: المسند: ٢/ ٢٥. الطبراني: الدعاء: ص ٢٦٨. ابن عبد البر: الاستذكار: ٧/ ٢٧٧، التمهيد ٨/ ٣٩٣. الذهبي: ميزان الاعتدال: ٤/ ٣٤٣. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٥/ ٢٥٣. المجلسي: البحار: ٦٦/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠.
(٦) نهج البلاغة: ص ٣٧٥.

وفي هذا النص جملة أمور يستلزم المقام الوقوف عندها بمزيد من التأمل:

لقد اختلف الشراح في هذا المقطع من كلامه الشريف فابن أبي الحديد المعتزلي[١] فرق بين هذه الهجرة التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام وبين الهجرة التي ذكرها النبي ﷺ بقوله: "لا هجرة بعد الفتح" إذ شفع عمه العباس بن عبد المطلب في نعيم بن مسعود الاشجعي[٢] أن يستثنيه، فاستثناه، وخص الأولى بالهجرة إلى الإمام، التي عدها من أسرار الوصية.

بينما نجد ابن ميثم[٣] يعطي لكلامه تأويلا آخر إذ عند شرحه لكلام الإمام عليه السلام: "الهجرة قائمة على حدها الأول"، يقول: "إذ لما كانت حقيقة الهجرة ترك منزل إلى منزل آخر لم يكن تخصيصها عرفا بهجرة رسول الله ﷺ ومن تبعه وهاجر إليه من مكة إلى المدينة، مخرجا لها عن حقيقتها وحدها اللغوي، إذ كان أيضاً كل من ترك منزله إلى منزل آخر مهاجرا.

ويضيف ابن ميثم[٤]: إذا عرفت ذلك فنقول: إن مراده عليه السلام من بقاء الهجرة على حدها بقاء صدقها على من هاجر إليه وإلى الأئمة من أهل بيته في طلب دين الله وتعرف كيفية السلوك لصراطه المستقيم كصدقها على من هاجر إلى الرسول ﷺ وفي معناها ترك الباطل إلى الحق وبيان هذا الحكم بالمنقول والمعقول.

ثم يبين ابن ميثم[٥] بيان ذلك نقلا وعقلا، فيذكر: أما المنقول فمن وجهين: أحدهما: قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[٦]، فقد سمى من فارق وطنه وعشيرته في طلب دين الله وطاعته مهاجرا.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٨١.

(٢) هو نعيم بن مسعود الاشجعي أسلم يوم الخندق، وينسب له دور في تخذيل المشركين واليهود في معركة الخندق، أرسله رسول الله ﷺ إلى ابن ذي اللحية، أستشهد في يوم الجمل الأصغر مع حكيم بن جبلة العبدي. ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب: ٤/ ١٥٠٨، الدرر ص١٧٧.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٢٧.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٢٧.

(٥) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(٦) سورة النساء الآية ١٠٠.

وقد علمت في أصول الفقه: من للعموم فوجب أن يكون كل من سافر لطلب دين الله من معادنه مهاجرا. الثاني: قول الرسول صلى الله عليه وآله: "المهاجر من هجر ما حرم الله عليه"[(١)]، وظاهر إن من هاجر معصية الأئمة إلى طاعتهم والاقتداء بهم، فقد هاجر ما حرم الله عليه فكان اسم الهجرة صادقا عليه.

وأما المعقول: فلأن المفارق وطنه إلى الرسول صلى الله عليه وآله مهاجر، فوجب أن يكون المفارق لوطنه إلى من يقوم مقامه من ذريته الطاهرين مهاجرا لصدق حد الهجرة في الموضعين، ولان المقصود من الهجرة ليس إلا اقتباس الدين وتعرف كيفية سبيل الله، وهذا المقصود حاصل ممن يقوم مقام الرسول صلى الله عليه وآله من الأئمة الطاهرين عليهم السلام بحيث لا فرق بين النبوة والإمامة، ولا مدخل لأحد هذين الوصفين في تخصيص مسمى الهجرة بمن قصد الرسول صلى الله عليه وآله دون من قصد من الأئمة فوجب عموم صدقه على من قصدهم[(٢)].

ولكن أبن أبي الحديد[(٣)] يرى أن هذا معارض بقوله صلى الله عليه وآله: "لا هجرة بعد الفتح" حتى شفع عمه العباس في نعيم بن مسعود الاشجعي أن يستثنيه فاستثناه.

أجاب ابن ميثم[(٤)] على ذلك قائلاً: يحمل ذلك على انه لا هجرة من مكة بعد فتحها إلى المدينة، توفيقا بين الدليلين، وسلب الخاص لا يستلزم سلب العام. واعلم أن فائدة هذا القول الدعوة إلى الدين واقتباسه منه ومن أهل بيته عليهم السلام بذكر الهجرة والتنبه بها وما تستلزم من الفضيلة، على أن التارك لأهله ووطنه إليهم طلبا للدين منهم يلحق بالمهاجرين الأولين في مراتبهم وثوابهم.

وأيده على ذلك حبيب الله الخوئي[(٥)] بقوله في تأويل النص نفسه: "لم

---

(١) ابن سلامة: مسند الشهاب: ١/ ١٣٨، ابن عبد البر: الاستذكار: ٧/ ٢٧٧.

(٢) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٣/ ١٠٣.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(٥) منهاج البراعة: ١١/ ١٣٩.

تتغير ولم تتبدل أي من أراد الفوز بالإيمان والوصول إلى معارج اليقين فليهاجر إلى أئمة الدين، لأن الهجرة قائمة على حدها الأول الذي كان في بدء البعثة، إذ الغرض الأصلي في ذلك لم يكن إلا الوصول إلى حضور حجة الله ورسوله، وتحصيل الإيمان والمعرفة ومعالم الشرع معه، وهذا الغرض موجود الآن ويحصل بالوصول إلى حضور الأئمة، لكونهم حجج الله على عباده وخلفائه في بلاده وقائمين مقام الرسول ﷺ، فالهجرة إليهم هجرة إليه".

وبعد أن ذكر أمير المؤمنين عليه السلام قيام الهجرة وبقائها على حدها الأول تنبيها بذلك على مطلوبيتها ووجوبها أردفه بقوله: "**مَا كَانَ لِلَّه فِي أهل الأرض حَاجَةٌ، مِنْ مُسْتَسِرِّ الإِمَّةِ ومُعْلِنِهَا**"[1]. فقد عد الراوندي[2] أن ما هنا نافية، أي لم يكن لله في أهل الأرض ممن أسر دينه، أو أعلنه وأظهر حاجة، فتكون "من هنا لبيان الجنس"، وقد اعترض على ذلك ابن أبي الحديد[3] بقوله: "وهذا ليس صحيح لأنه إدخال كلام منقطع بين كلامين متصل أحدهما بالآخر"، وفسر كلامه عليه السلام أعلاه: كناية عن بقاء التكليف كما يدل عليه قول النبي ﷺ: "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة".

وبين ابن ميثم[4] مراده من ذلك بقوله: "وجعلها هو ـ أي ابن أبي الحديد ـ بمعنى المدة: أي والهجرة قائمة على حدها الأول ما دام لله في أهل الأرض ممن اسر دينه، أو أعلنه حاجة: أي ما دامت العبادة مطلوبة لله تعالى من أهل الأرض بالتكليف، وهو كقولك في الدعاء: (اللهم أحيني ما كانت الحياة خير لي)، ويكون لفظ الحاجة مستعارا في حقه تعالى باعتبار طلبه للعبادة بالأوامر وغيرها كطلب ذي الحاجة لها.

---

(١) نهج البلاغة: ص ٣٧٥.
(٢) منهاج البراعة: ٢/ ٤٤٥. ينظر أيضاً: ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٢٨.
(٣) شرح نهج البلاغة: ١٣/ ١٠٣.
(٤) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

وأيده في ذلك المجلسي[١] بقوله: "والظاهر أن قوله عليه السلام ما كان لله في أهل الأرض حاجة" كناية عن بقاء التكليف كما يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وآله: لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، وللتجوز مجال واسع، وفي الصحيفة السجادية: "ولا ترسلني من يدك إرسال من لا خير فيه، ولا حاجة بك إليه"[٢]، وقيل كلمة ما ها هنا نافية ووجهوه بتوجيهات ركيكة".

وتوقف ابن ميثم[٣] في كلام ابن أبي الحديد المعتزلي إذ يقول: "إنه غير بعيد أن تكون نافية مع اتصال الكلام بما قبله، ووجهه إنه لما رغب الناس في طلب الدين والعبادة، فكأنه أراد أن يرفع حكم الوهم بما عساه يحكم به عند تكرار طلب الله للدين والعبادة من حاجته تعالى إليها من خلقه إذ كرر طلبه منهم بتواتر الرسل والأوامر الشرعية، ويصير معنى الكلام: إن الهجرة باقية على حدها الأول في صدقها على المسافرين لطلب الدين، فينبغي للناس أن يهاجروا في طلبه من أئمة الحق، وليس ذلك لأن لله تعالى إلى أهل الأرض ممن أسر دينه، أو أظهره حاجة، فإنه تعالى الغني المطلق الذي لا حاجة به إلى شيء" في حين إن حبيب الله الخوئي ضعّف مقالة ابن أبي الحديد بل أنكر حتى على ابن ميثم البحراني تأويله، مستعرضا ما يراه مناسبا لشرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام فيقول: "**مَا كَانَ لِلَّه فِي أهل الأرض حَاجَةٌ، مِنْ مُسْتَسِرِّ الإِمَّةِ ومُعْلِنِهَا**" إشارة إلى مطلوبيتها ليس لأجل حاجة وافتقار منه إلى المهاجرين وغيرهم من أهل الأرض مضمرين لما قصدوه بالهجرة أو مظهرين له. وبعبارة أخرى أنه سبحانه طلب الهجرة من المهاجرين، لا لأجل حاجة منه في هجرتهم، وغرض عائد إليه تعالى عن جلب منفعة أو دفع مضرة أو طلب ثناء

---

(١) البحار: ٦٦/ ٢٣٠ ـ ٢٣١.

(٢) وهو مقطع من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام يوم عرفة. ينظر: الصحيفة السجادية ص٣٢٨. ويعد من مناسك الحج ومستحباته أن يدعو به الحاج يوم عرفه. ينظر: السيد السيستاني: مناسك الحج ص٣٢٥، وحيد الخراساني: مناسك الحج ص٣٥٢، محمد إسحاق الفياض: مناسك الحج ص٢٩٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٢٩.

ومحمدة، بل هو الغني المطلق المتعالي عن الفاقة والافتقار، وإنما حثهم على الهجرة وعلى الإيمان المتحصل بالهجرة وسائر التكاليف الشرعية المتفرعة عليه لأجل إيصال النفع إلى العباد وانجائهم من العقوبة يوم المعاد.

فهذه الجملة ـ اعني قوله: (ما كان لله) ـ بمنزلة الاستئناف البياني، فإن قوله: والهجرة قائمة، لما كان دالا بدلالة التنبيه والإشارة على مطلوبية الهجرة، وربما يسبق منه إلى الأوهام القاصرة إن مطلوبيتها لأجل حاجة إليها منه سبحانه أتى بهذه الجملة دفعا لذلك التوهم.

وأضاف: قد ظهر بما ذكرناه ضعف ما قاله الشارح المعتزلي من أن معناه: ما دام لله في أهل الأرض المستسر منهم باعتقاده والمعلن حاجة أي ما دام التكليف باقيا زعما منه أن جعل "ما" نافية موجب لإدخال كلام منقطع بين كلامين يتصل أحدهما بالآخر.

ثم أوضح وجه الضعف في كلام ابن أبي الحديد وهو منع استلزام كونها نافية، لا انقطاع هذه الجملة عما قبلها، إذ قد ظهر بما ذكرناه اتصالها وحسن ارتباطها به كما لا يخفى. مضافا إلى أن وصف الله سبحانه بالحاجة على إبقائها على حقيقتها باطل، وعلى تأويلها بالمعنى المجازي كما أوّلها الشارح البحراني، فقدجعل لفظ الحاجة مستعارا في حقِّه تعالى باعتبار طلبه للعبادة بالأوامر وغيرها، كطلب ذي الحاجة لها مما تشمئز منه الطباع، ويأبى عنه الذوق السليم كما لا يخفى.

وخلص للقول: وبالجملة فهذه الجملة معترضة بين الجملتين، والغرض من الاعتراض تنزيه الله سبحانه من الحاجة والافتقار إلى عبادة أهل الأرض، فهي نظير الجملة المعترضة في قوله سبحانه: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾[1]، فإن قوله (سبحانه) جمله لكونه بتقدير الفعل وقعت في أثناء

(١) سورة النحل الآية ٥٧.

الكلام، لأن قوله: ولهم ما يشتهون، عطف على قوله: (لله البنات)، والنكتة فيه تنزيه الله وتقديسه عما ينسبون إليه[١].

ثم أوضح أمير المؤمنين عليه السلام شرطاً أساسياً في مصداق الهجرة، بقوله: "لا يقع اسم الهجرة على أحد إلا بمعرفة الحجة في الأرض، فمن عرفها، وأقر بها، فهو مهاجر"[٢] يعني انه لا يستحق أحد إطلاق اسم المهاجر عليه ووصفه بالهجرة إلا بمعرفة حجة الله في أرضه والإيمان به، وهذا الحجة هو النبي صلى الله عليه وآله في زمانه والأئمة المعصومون القائمون مقامه بعده[٣].

إن اشتراط "المعرفة" بقوله "فمن عرفها" إن الفرد يعد مهاجرا بشرط الخروج إلى الإمام والسفر إليه، أو المراد بالمعرفة المعرفة المستندة إلى المشاهدة والعيان، ويحتمل أن يكون المراد إن مجرد معرفة الإمام والإقرار بوجوب إتباعه كاف في إطلاق اسم الهجرة كما هو ظاهر الجزء الأخير من الكلام. فمعرفة الإمام والإقرار به في زمانه قائم مقام الهجرة المطلوبة في زمان الرسول صلى الله عليه وآله[٤].

وهنا يمكن أن نفهم القصد من كلامه عليه السلام حين وبّخ فئة من الناس ممن شذّ عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وطاعته عليه السلام في خطبة مشهورة عرفت بالقاصعة[٥] فقال لهم: "**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً**"[٦].

---

(١) منهاج البراعة: ١١/١٣٩ ـ ١٤٠.

(٢) نهج البلاغة: ص ٣٧٥.

(٣) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ١١/ ١٤٠.

(٤) المجلسي: البحار: ٦٦/ ٢٣١.

(٥) جاء في سبب إلقاء هذه الخطبة المسماة بالقاصعة: "إن أهل الكوفة كانوا في آخر خلافته عليه السلام قد فسدوا، وكانوا قبائل متعددة، فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة أخرى، فيصيبه أدنى مكروه، فينادي باسم قبيلته، ... فتثور الفتن، وتسل السيوف، ولا يكون لها أصل في الحقيقة إلا تعرض الفتيان بعضهم لبعض، وكثر ذلك، فخرج عليه السلام على ناقته فخطبهم بهذه الخطبة كسرا لصولتهم. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٣/ ١٦٧ ـ ١٦٨ حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ١١/ ٢٢٤.

(٦) نهج البلاغة: ص٤٠٤.

إن "التعرب بعد الهجرة" يعدّ من كبائر الذنوب في الإسلام[١]، لأنه يوجب الرجوع عن الدين، والتخلّق بأخلاق الجهلة. ولذا فإن الأعراب من أهل البادية ممن أظهر الشهادتين على وجه حكم بإسلامه ظاهرا، ولا يعرف من معنى الإسلام ومقاصده وأحكامه سوى الشهادتين[٢].

وقال ابن أبي الحديد[٣]: إن الأعراب على عهد رسول الله ﷺ من آمن به من أهل البادية، ولم يهاجر إليه، وهم ناقصو المرتبة عن المهاجرين لجفائهم، وقسوتهم، وتوحشهم، ونشأتهم في بعد عن مخالطة العلماء، وسماع كلام الرسول ﷺ وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٤].

إذن فحقيقة الهجرة هو الهجرة إلى الحجة وهو أمير المؤمنين عليه السلام لمعرفته والعلم بوجوب إطاعته وامتثال أحكامه، وعلى هذا فيكون كلامه عليه السلام في مقام التوبيخ على أنهم "بعدما كانوا عارفين به وبمقامه عليه السلام ووجوب طاعته وعالمين بأحكام الشرع وآدابه، ووظائف الإسلام كما هو شأن المهاجر، قد تركوا ذلك كله وصاروا مثل الأعراب الذين لا يعرفون إلا ظاهر الإسلام كما قال الله عز وجل ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي أحرى بأن لا يعلموا حدود الله في الفرائض والسنن والحلال والحرام. يعني إنكم قد صرتم بالعصبية والاستكبار والعناد وإثارة الفتن بمنزلة الأعراب الجاهلين بما لهم وما عليهم بعدما كنتم عارفين بذلك كله"[٥].

ويتجلى هذا المعنى بوضوح في تتمة كلامه عليه السلام وهو يشير إلى الحال الذي آل إليه هؤلاء بقوله "**مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الإسلام إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ**

---

(١) ـ الكليني: الكافي: ٢/ ٢٨١. الطبري: جامع البيان: ٥/ ٥٤. المناوي: فيض القدير: ١/ ٧٣. السيد السيستاني: فقه المغتربين: ص ٥١.

(٢) الشهيد الثاني: مسالك الإفهام: ٣/ ٦٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٣/ ١٨١.

(٤) سورة التوبة الآية ٩٧.

(٥) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ١٢/ ١١.

الإيمان إِلَّا رَسْمَه"[١]، فهم لم يأخذوا من الإسلام وأحكامه شيئاً إلا أنهم يتسمَّون بالمسلمين، ولم يعرفوا من الإيمان إلا صورته. ومن هنا صح إطلاق لفظ الأعراب عليهم كما ورد في الحديث: "التعرّب بعد الهجرة: التارك لهذا الأمر بعد معرفته"[٢]. وفي حديث للإمام الرضا عليه السلام أنه قال: "حرّم الله عز وجل التعرّب بعد الهجرة للرجوع عن الدين، وترك المؤازرة للأنبياء والحجج عليهم السلام وما في ذلك من الفساد، وإبطال حق كل ذي حق لا لعلة سكنى البدو"[٣]، وبالفعل فإننا نلمح في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما يقارب هذا المعنى إذ يقول عليه السلام: "**أَلَا وإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللَّه الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ**"[٤]. فها هم قد خذلوا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتركوا مؤازرته، وبذلك فقد وقعوا في معصية أمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله الذي اوجب طاعته عليه السلام بقوله ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[٥].

وحين نطل على المشهد من زاوية أخرى فإننا ندرك معنى الحديث النبوي الذي يقول: "لا هجرة بعد الفتح ولكن إنما هو الإيمان والنية والجهاد"[٦]، وفي حديث "لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا"[٧]. وفي حديث: "لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل"[٨] أو "ما دام الجهاد"[٩].

---

(١) نهج البلاغة: ص ٤٠٤.
(٢) الصدوق: معاني الأخبار: ص ٢٦٥.
(٣) الصدوق: علل الشرائع: ٢/ ٤٨١، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٩٩.
(٤) نهج البلاغة: ص ٤٠٣.
(٥) سورة النساء الآية ٥٩.
(٦) المتقي الهندي: كنز العمال: ١٠/ ٥٠٠، ١٦/ ٦٦٠. الريشهري: ميزان الحكمة: ٤/ ٣٤٢٩.
(٧) ابن حنبل: المسند: ١/ ٢٢٦، ٣١٦، ٣/ ٤٠١. الدارمي: السنن: ٢/ ٢٣٩. البخاري: الصحيح: ٢/ ٢١٤. مسلم: الصحيح: ٤/ ١٠٩.
(٨) ابن حنبل: المسند: ١/ ١٩٢. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٥/ ٢٥٠. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٦/ ٦٥٩.
(٩) الطبراني: الأحاديث الطوال: ص ٣٤. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٩/ ٣٩٥. السيوطي: الجامع الصغير: ١/ ٣٢٨. المتقي الهندي: كنز العمال: ٤/ ٣٨٢.

ونحن نعلم أن المقام قد استوجب من الإمام عليه السلام محاربة البغاة والخارجين عن الدين من الناكثين والقاسطين والمارقين، إذ يقول عليه السلام: "**أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الإسلام، وعَطَّلْتُمْ حُدُودَه وأَمَتُّمْ أَحْكَامَه، أَلَا وقَدْ أَمَرَنِيَ اللَّه، بِقِتَالِ أهل الْبَغْيِ والنَّكْثِ والْفَسَادِ فِي الأَرْضِ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ، وأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُه، بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِه ورَجَّةُ صَدْرِه، وبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أهل الْبَغْيِ، ولَئِنْ أَذِنَ اللَّه فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ، لأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَذُّراً فضل الوحي أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ، وكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ ومُضَرَ**"[1]. ولسنا بصدد إيراد شرح تفصيلي لهذا الكلام، وإنما ذكرناه بطوله ليتبين لنا ما يناسب مقام البحث وما استلزم من إيراده بيان انطباق حديث رسول الله ﷺ وما فيه من ضرورة على استمرار خط الجهاد لأعداء الدين مما يضمن استمرار فضيلة الهجرة إلى الله بنصرة أوليائه وحماة دينه، وعدّ خذلانهم في قمع المنكر وقتال أهل البغي.

إن إشارة الإمام عليه السلام في صدر هذا المقطع تبّين حال المتخاذلين الذين خالفوا أمر الله ورسوله ﷺ بوجوب إطاعة أمير المؤمنين عليه السلام الذي نبههم إلى أن قتاله لهذه الفرق إنما كان بأمر الله وعلى لسان رسوله ﷺ كما هو واضح في كلامه: "ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي" وكما مر في حديث الرسول ﷺ: "فان استنفرتم فانفروا" ولكنهم تخاذلوا ولم يطيعوه عليه السلام.

هذا من جانب فيما لو اختص حديثه عليه السلام بالقوم الذين حضروا خطبته من أهل الكوفة، فإن من عصاه ولم يطع أوامره فقد كان متخلفا عن مقام الهجرة إلى الله، أما لو توسعت دائرة الحديث فإنها تشمل كل من كان في عصره أولا، بل وكل آت بعده ثانيا فإن الأمر يستلزم وقفة توضيحية موجزة:

فأما الذين كانوا في عصره ممن كانوا يفخرون بهجرتهم مع النبي ﷺ

---

(١) نهج البلاغة: ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥.

فإنهم أتموا تلك الفضيلة بمعرفة الحجة على الخلق من بعده صلى الله عليه وآله وسلم والقائم مقامه ألا وهو أمير المؤمنين عليه السلام فآزروه ونصروه وهاجروا إلى طاعته وجاهدوا معه، فإنهم قد فازوا بمرتبة المهاجرين الأولين الذين حازوا رضا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم. وأما من نقض شرط الهجرة فقد كان ممن تعرب بعد هجرته فهم ممن ترك أمر طاعته عليه السلام بعد معرفته، فاستوجبوا غضب الله ولعنته عليهم.

وأما شمول حديثه لكل أهل زمان آتوا بعده، فدليله قائم من حديثه ذاته إذ يقول عليه السلام: "**لَا يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ، إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الأرض**". ومعلوم أن "**لَا تَخْلُو الأرض مِنْ قَائِمٍ لِلَّه بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّه وبَيِّنَاتُه، وكَمْ ذَا وأَيْنَ أُولَئِكَ أُولَئِكَ واللَّه الأَقَلُّونَ عَدَداً، والأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّه قَدْراً، يَحْفَظُ اللَّه بِهِمْ حُجَجَه وبَيِّنَاتِه حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، ويَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ**"[١].

وهذا الكلام نص صريح على وجوب دوام الحجة وبقائه في الأرض ما دام التكليف باقيا، فما أن يموت منهم أحد حتى يخلفه من يقوم مقامه، وقد دلت الآثار وتواترت الأخبار على أن المقصود بهم أئمة أهل البيت عليهم السلام فـ "لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت"[٢]، فهم الأمان لأهل الأرض كما النجوم أمان لأهل السماء[٣].

فأئمة أهل البيت عليهم السلام أحدهم يقوم مقام الآخر حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وبهذا فإن الهجرة قائمة على حدها الأول كما أشار بذلك أمير المؤمنين عليه السلام، وهي مستوجبة معرفة أولئك الأئمة الأطهار كل منهم في زمانه

---

(١) نهج البلاغة: ص ٦٨٦ ـ ٦٨٧.

(٢) الصفار: بصائر الدرجات: ص ٥٠٨. الكليني: الكافي: ١/ ١٧٩. الصدوق: علل الشرائع: ١/ ١٩٦.

(٣) نسبة للحديث "النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض" ينظر: الصدوق: علل الشرائع: ١/ ١٢٣، كمال الدين: ص ٢٠٥. الزرندي: درر السمطين: ص ٢٣٤. السيوطي: الجامع الصغير: ٢/ ٦٨٠. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٢/ ٩٦، ١٠١.

ومقامه، وبهذا فإن "معرفة الإمام، والإقرار به في زمانه قائم مقام الهجرة المطلوبة في زمان رسول الله ﷺ"[١].

أما المستضعفون في الأرض ـ في كل زمان ـ فقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام الحكم الذي يخصهم في قوله بهذا البيان، إذ يقول عليه السلام: "**وَلَا يَقَعُ اسْمُ الِاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ، فَسَمِعَتْهَا أُذُنُه ووَعَاهَا قَلْبُه**"[٢].

قال الراوندي[٣]: يمكن أن يشير هذا الكلام إلى إحدى آيتين: أحدهما: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[٤]، فيكون مراده عليه السلام ـ على هذا ـ أنه لا يصدق اسم الاستضعاف على من عرف الإمام وبلغته أحكامه ووعاها قلبه، وإن بقي في وطنه ولم يتجشم السفر إلى الإمام كما لايصدق على هؤلاء المذكورين في الآية. والثانية: قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[٥]، فيكون مراده عليه السلام على هذا إن من عرف الإمام، وسمع مقالته، ووعاها قلبه لا يصدق عليه الاستضعاف كما يصدق على هؤلاء، إذ كان المفروض على الموجودين في عصر الرسول ﷺ المهاجرة بالأبدان دون من بعدهم بل يقنع منه بمعرفته والعمل بقوله دون المهاجرة إليه بالبدن. وكان الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قد سئل عن الضعفاء، فقال: "الضعيف من لم ترفع له حجة، ولم يعرف الاختلاف، فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف"[٦].

---

(١) المجلسي: البحار: ٦٦/ ٢٣١.

(٢) نهج البلاغة: ص٣٧٥.

(٣) منهاج البراعة: ٢/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

(٤) سورة النساء الآية ٩٧.

(٥) سورة النساء الآية ٩٨.

(٦) الكليني: الكافي: ٨/ ١٢٥. المجلسي: البحار: ٤٨/ ٢٤٤.

وفي رواية عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام لما سئل عن المستضعف قال "هو الذي لا يستطيع حيلة إلى الكفر فيكفر، ولا يهتدي سبيلاً إلى الإيمان، لا يستطيع أن يؤمن، ولا يستطيع أن يكفر، فمنهم الصبيان، ومن الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان مرفوع عنهم القلم"[١].

إذن فلا عذر لمن بلغته دعوة الحجة وسمعها وتأخر عن النهوض والمهاجرة إليه مع قدرته على ذلك ولا يصدق عليه اسم الاستضعاف كما يصدق على المستضعفين من الرجال والنساء والولدان حتى يكون ذلك عذرا له، بل يكون في تأخّره ملوما مستحقا للعذاب كالذين قالوا كنا مستضعفين في الأرض، ويكون مخصوصا بالقادرين على النهوض دون العاجزين فإن اسم الاستضعاف صادق عليهم، وهذا الاحتمال إنما يكون جائز الإرادة من هذا الكلام المقدم مشروطا بمعرفة الإمام بالمشاهدة والسفر إليه، إذ لو جاز أن يطلق عليه المهاجرة مع عدم السفر إلى الإمام لما كان ملوما في تأخره عنه[٢].

ولما علم من المقاطع السابقة تصريحا أو تلويحا بوجوب السعي والهجرة إليه عليه السلام وإلى الأئمة ﻫ ولده ممن حق على الخلق طاعتهم ولا تخلو الأرض من بركة وجودهم، وبين عليه السلام انه لا يسوغ التقصير والاستضعاف في معرفة حقهم أردف ذلك بالتنبيه على أن معرفتهم حق المعرفة من خواص المؤمنين المخلصين: "**إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْمِلُه إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ، امْتَحَنَ اللّٰه قَلْبَه لِلإِيمَانِ**"[٣]. وبهذا فإن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أعطى للهجرة مفهومها ومقامها الصحيح وفق مارسمته الشريعة المقدسة، ونجد في كلماته إشارات في معرض المدح لمن حاز تلك الرتبة السامية في الإسلام ممن هاجر طائعا لله ورسوله صلى الله عليه وآله ونصرة الدين الحق، ومن ذلك قوله بادئا بنفسه في بيان سبقه عليه السلام

---

(١) الكليني: الكافي: ٢/ ٤٠٤. الكاشاني: الوافي ٤/ ٢٢٠. البحراني: البرهان ٢/ ١٥٦. المجلسي: مرآة العقول: ١١/ ٢٠١، هادي النجفي: موسوعة أحاديث أهل البيت: ٣/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

(٢) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٣٠ ـ ٢٣١.

(٣) نهج البلاغة: ٣٧٥.

للإيمان والهجرة إذ يقول: "**فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَسَبَقْتُ إِلى الإيمان والْهِجْرَةِ**"[(١)].

لقد أورد ابن أبي الحديد[(٢)] تساؤلا عن قول الإمام عليه السلام اعلاه: إنه سبق إلى الهجرة، ومعلوم إن جماعة من المسلمين هاجروا قبله، منهم عثمان بن مظعون[(٣)] وغيره، وقد هاجر أبو بكر قبله، لأنه هاجر في صحبة النبي ﷺ! وتخلف علي عليه السلام، فبات على فراش رسول الله ﷺ، ومكث أياما يرد الودائع التي كانت عنده، ثم هاجر بعد ذلك؟ وقال في جوابه:

انه عليه السلام لم يقل "وسبقت كل الناس إلى الهجرة" وإنما قال: "وسبقت" فقط، ولا يدل ذلك على سبقه للناس كافة، ولا شبهة انه سبق معظم المهاجرين إلى الهجرة، ولم يهاجر قبله أحد إلا نفر يسير جدا. وإن سيل الهجرة استمر حتى فتح مكة سنة ٨هـ.

وأيضا فإن اللام في "الهجرة" يجوز ألا تكون للمعهود السابق، بل تكون للجنس، وأمير المؤمنين عليه السلام سبق أبا بكر وغيره إلى الهجرة التي حصلت قبل هجرة المدينة، فإن النبي ﷺ هاجر من مكة مرارا يطوف على أحياء العرب، ويتنقل من أرض قوم إلى غيرها، وكان علي عليه السلام معه دون غيره ثم ذكر عدد هجراته ﷺ التي سبقت الهجرة إلى المدينة التي رافقه فيها أمير المؤمنين عليه السلام[(٤)].

إن التعليل الثاني مقبول ولا إشكال فيه، وأما ما ذكره أولا وانه عليه السلام قد

---

(١) نهج البلاغة: ص٩٤.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٩٧. وينظر: ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ٢/ ٤١٠ ـ ٤١١.

(٣) هو أبو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي. أسلم في مكة بعد أثني عشر، وقيل هاجر الهجرتين وشهد بدرا، ومات بالمدينة بعد معركة بدر، كان من المقربين إلى أمير المؤمنين عليه السلام لذا سمى عليه السلام أحد أولاده عثمان على أسمه. ينظر: ابن سعد: الطبقات: ٣/ ٣٩٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ١٠٥٣. التفرشي: نقد الرجال: ٣/ ١٩٧.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٩٧ ـ ٩٩.

سبقه أحد من الصحابة إلى الهجرة فلا نجده متوافقا مع واقع أمير المؤمنين عليه السلام وان كلامه صريح جداً في سبقه للجميع بلا استثناء، وأما كيفية ذلك، فنحن قد أدركنا المعنى الواقعي الحقيقي "للهجرة" من خلال ما بينه أمير المؤمنين عليه السلام وإنها هجرة إلى طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله ومعرفة مقامه صلى الله عليه وآله والإيمان به وتحصيل معالم الشريعة منه والتسليم له تسليم مطلقا.

ومما لا خلاف فيه أن ذلك كله متحصّل له عليه السلام ومن أسبق منه لنيل هذه الرتبة من اليقين والمعرفة بحجة الله على خلقه وهو النبي الأعظم صلى الله عليه وآله؟!، فهو عليه السلام وان تأخر عن الهجرة بدنيا ليسبقه إليها غيره إلا أنه قد هاجر ذاتيا وأدرك المقام الأسمى لتلك الفضيلة التي لم يسبقه إليها أحد. وقد مر علينا أن صحة إطلاق اسم "الهجرة" على أحد لا يستلزم السفر والمسير من مكان إلى مكان بل يكفي معرفته واقراره ونيته.

وفي إشارة أخرى له عليه السلام حول مقام الهجرة الممدوح لديه وممن خصه بالذكر من المهاجرين قوله عليه السلام لمعاوية، وقد استنكر عليه عليه السلام خوضه في شأن لا يعنيه وهو لما أرسل إليه معاوية كتابا اقتص فيه ذكر بعض الصحابة معرضا بأفضليتهم ـ حسب زعمه ـ على أمير المؤمنين عليه السلام فأجابه قائلاً:

" ...وزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإسلام فُلَانٌ وفُلَانٌ، فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّه، وإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُه، ومَا أَنْتَ والْفَاضِلَ والْمَفْضُولَ والسَّائِسَ والْمَسُوسَ، ومَا لِلطُّلَقَاءِ وأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ، والتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، وتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ، هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا، وطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْه الْحُكْمُ لَهَا، أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا الإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ، وتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ، فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ ولَا ظَفَرُ الظَّافِرِ، وإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيه رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ، أَلَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ، ولَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّه أُحَدِّثُ، أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّه تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ، ولِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وخَصَّه رَسُولُ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِه

عَلَيْه، أَولَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّه، ولِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ، قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وذُو الْجَنَاحَيْنِ"(١). وكما هو واضح في كلام أمير المؤمنين عليه السلام كيف انه استنكر على معاوية الخوض في مسألة التفضيل والترتيب بين الصحابة، إذ يقول له عليه السلام إن هذا الترتيب إما أن يتم أو لا، فإن تم فهو ـ أي معاوية ـ بمعزل عنه، إذ ليس له نصيب في تلك المراتب والسبق في الإسلام، وان نقص فلا يلحق معاوية عيبه أو نقصه لأنه لم يكن منهم، فعلى كلا الوجهين كان معاوية خائضا فيما لا يعنيه(٢).

ثم بين عليه السلام عدم لياقة معاوية لتمييز الفاضل والمفضول منهم، وترتيب درجاتهم، فوجه إليه استفهاماً على سبيل الاستحقار والإنكار عليه أن يخوض على صغر شأنه وحقارته في هذه الأمور، لأنه وأبوه أبو سفيان من الطلقاء. ممن كانوا في زمن الهجرة مشركين، ولما رفع الله الكلمة العليا ودخل الناس في دين الله أفواجا استسلما، وما اسلما كما قال بذلك أمير المؤمنين عليه السلام: "**فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَسْلَمُوا ولَكِنِ اسْتَسْلَمُوا وأَسَرُّوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ**"(٣).

وأما قوله عليه السلام: "بين المهاجرين الأولين"، فإنّه يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٤).

لقد جاء في تفسير الطبرسي(٥) لهذه الآية: إن فيها دلالة على فضل السابقين، ومزيتهم على غيرهم لما لحقهم من أنواع المشقة في نصرة الدين، فمنها مفارقة العشائر والأقربين، ومنها مباينة المألوف من الدين، ومنها نصرة

---

(١) نهج البلاغة: ص ٥٢٦ ـ ٥٢٨.
(٢) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٥٢١. حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ١٩/ ٩٣.
(٣) نهج البلاغة: ص ٥١١.
(٤) سورة التوبة الآية ١٠٠.
(٥) مجمع البيان: ٥/ ١١٣.

الإسلام وقلة العدد وكثرة العدو، ومنها السبق إلى الإيمان والدعاء إليه، إلى أن قال: وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني[١] في قوله تعالى بإسناده مرفوعا عن عبد الرحمن بن عوف (والسابقون الأولون) قال: هم عشرة من قريش أولهم إسلاما علي بن أبي طالب.

وبالجملة فإن شأن معاوية وقدره أدنى من أن يدخل في التمييز بين هؤلاء ونحوهم وليس بأهل لذلك[٢].

ونجد في كتاب آخر لأمير المؤمنين عليه السلام وجهه لمعاوية ذكر فيه المعنى نفسه بقوله: **"وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّه الْعَرَبَ فِي دِينِه أَفْوَاجاً، وأَسْلَمَتْ لَه هَذِه الأُمَّةُ طَوْعاً وكَرْهاً، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينَ فَازَ أَهل السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ"**[٣].

ثم نبّهه أمير المؤمنين عليه السلام على ضعفه وقصور ذرعه عن البلوغ لتلك المراتب السامية، وأنى للأعرج العروج إلى قلل شامخة، فقال عليه السلام: "ألا تربع أيها الإنسان... الخ" استفهام على سبيل الاسترحام أو الاستحقار والتقريع، فهل للظالع ـ وهو الأعرج ـ أن يحمل حملا ثقيلا؟ فرفقا بنفسك حتى لا تحمل ما لا تطيق؟ وألا تعرف قصور ذرعك وعدم قدرتك عن بلوغ درجات السابقين؟ ألا تضع نفسك حيث وضعها الله؟![٤].

ويواصل أمير المؤمنين عليه السلام تقريعه وتوبيخه لمعاوية، إلى أن بلغ إلى تذكيره وتنبيهه بأفضليته عليه السلام وأهل بيته وتقدمهم على من سواهم، وإن شاركهم بعضهم في تلك الخصائص والفضائل، وذكر لهم مثالين وهما: حمزة سيد الشهداء عليه السلام الذي كان من المهاجرين الأولين، وممن حاز مرتبة الشهادة وخصّه الله ورسوله صلى الله عليه وآله بما ذكره عليه السلام فيما تقدم، جعفر بن أبي طالب عليه السلام

---

(١) عند مراجعة الحاكم الحسكاني كانت الإشارة هكذا "هم ستة من قريش" شواهد التنزيل: ١/ ٣٣٤
(٢) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ١٩/ ٩٣.
(٣) نهج البلاغة: ص ٥١٢.
(٤) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ١٩/ ٩٤.

أيضاً الذي هاجر هجرتين، كانت الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة، وكان سباقا في نيل رتبة الهجرة والجهاد، ومن ثم الشهادة، وخص بذي الجناحين والطيار في الجنة.

وفي مقام آخر نجده عليه السلام يستنكر على معاوية ما ادعاه الأخير بأنه لا موجب للتفاضل بينهما ما داما من أصل واحد إذ أرسل إلى الإمام يقول: "إنا بنو عبد مناف" فأجابه الأمير عليه السلام مستنكراً "ولا المهاجر كالطليق"(١).

فعرض الإمام عليه السلام "شرفه من جهة هجرته مع الرسول ﷺ وخسة خصمه من جهة كونه طليقا وابن طليق، وهذه الفضيلة وان كانت خارجية إلا أنها تستلزم فضيلة نفسانية، وهي حسن الإسلام والنية الصادقة الحقة"(٢).

فالإمام عليه السلام يستنكر على معاوية المساواة بين فضيلة الهجرة التي اختص بها عليه السلام وبين كون معاوية طليقا لم يحظ بشرف تلك الرتبة في الإسلام.

وفي الوقت الذي يفتخر فيه أمير المؤمنين عليه السلام بأن جيشه يشتمل على نخبة من المهاجرين، مشرعا في وصفهم بأوصاف تزلزل أركان العدو من شدة الزحام وسطوع القتام إذ يقول عليه السلام مخاطبا معاوية: "**وأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ، والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ، مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ، أَحَبُّ اللِّقَاءِ إليهم لِقَاءُ رَبِّهِمْ**"(٣).

فهؤلاء الأفذاذ ممن صدق عليه "الهجرة" بواقعها السامي الذي اشترطه أمير المؤمنين عليه السلام، إذ إنهم فضلاً عن تلك الهجرة المتحققة في عهد رسول الله ﷺ فإنهم لم ينحرفوا عن جادة الصواب، وحافظوا على مراتبهم العليا في نيل فضيلة المهاجرة إلى حجج الله في أرضه، فنالوا بذلك رضا الله سبحانه وجنانه إذ يقول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

(١) نهج البلاغة: ص ٥١١.
(٢) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٤٦٧.
(٣) نهج البلاغة: ص ٥٣٢.

اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١].

وفي موضع آخر نجد أمير المؤمنين عليه السلام يرد مزاعم معاوية حين توعد الأخير بأنه قادم إليه بجيش يضم المهاجرين والأنصار، إذ قال له عليه السلام: **"وذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ، وقَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ"**[٢].

وكلامه ها هنا تكذيب لمعاوية فيما ادعاه، إذ ليس معه مهاجر لأن أكثر من معه ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله هم أبناء الطلقاء، ومن أسلم بعد الفتح، وقد قال صلى الله عليه وآله: "لا هجرة بعد الفتح"، وعبّرعن يوم الفتح بعبارة حسنة فيها تقريع لمعاوية وأهله بالكفر، وإنهم ليسوا من ذوي السوابق، فقال عليه السلام: "وقد انقطعت الهجرة يوم اسر أخوك"[٣]، يعني يزيد بن أبي سفيان[٤] أسر يوم الفتح

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٠.

(٢) نهج البلاغة: ص ٦٣١.

(٣) إن ابن ميثم لما ذكر أصل الخطبة أورد المقطع كالآتي "وقد انقطعت الهجرة يوم اسر أخوك" لكنه لما جاء على شرحه فإنه ذكر المقطع بالصيغة الآتية "وقد انقطعت الهجرة يوم اسر أبوك" [شرحها قائلاً] أي حين الفتح، وذلك إن معاوية وأباه وجماعة من أهله إنما اظهروا الإسلام بعد الفتح وقد قال صلى الله عليه وآله: "لا هجرة بعد الفتح" فلا يصدق عليهم إذن اسم المهاجرين، وسمى عليه السلام أخذ العباس لأبي سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله غير مختار وعرضه على القتل أسرا. ثم شرح: وروى: يوم أسر أخوك، وقد كان أسر أخوه عمرو بن أبي سفيان يوم بدر، فعلى هذه الرواية يكون الكلام في معرض التذكرة له بأن من شأنه وشأن أهله أن يؤسروا أولا فيسلموا، فكيف يدعون مع ذلك الهجرة، فإن الهجرة بهذا الاعتبار منقطعة عنهم، ولا يكون "يوم أسر" ظرفا لانقطاع الهجرة، لأن الهجرة انقطعت بعد الفتح. ينظر شرح نهج البلاغة: ٥/ ٢٥٨.

(٤) هو أبو خالد يزيد بن أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أسلم يوم فتح مكة، فكان من الطلقاء، والمؤلفة قلوبهم مع أبيه وأخيه معاويه، لأنه أراد الحرب لكنه أسر من قبل خالد بن الوليد، بدأ نجمه مع خلافة أبي بكر إذ استعمله على الشام، ولما تولى عمر الخلافة ولاه فلسطين، ثم الشام، حتى وفاته بالطاعون سنة ١٨هـ، فولى مكانه أخيه معاوية، ينظر: ابن سعد: الطبقات: ٧/ ٤٠٥، ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ص٣٥، ابن عبد البر: الاستيعاب: ٤/ ١٥٧٥، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٨/ ٢٩٨، ١٥/ ٩٥، ١٧/ ٢٥٦. الخزرجي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ص٤٣٢.

في باب الخندمة[١]، وكان قد خرج في نفر من قريش يحاربون ويمنعون من دخول مكة، فقتل منهم قوم وأسر يزيد بن أبي سفيان، أسره خالد بن الوليد، فخلصه أبو سفيان منه، وأدخله داره، فأمن لأن رسول الله ﷺ قال يومئذ: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن"[٢].

ومن ثم نراه يُعرض بحال أهل الشام ممن كان في ركب معاوية إذ يقول عليه السلام عنهم: "**جُفَاةٌ طَغَامٌ وعَبِيدٌ أَقْزَامٌ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّه ويُؤَدَّب، ويُعَلَّمَ ويُدَرَّبَ ويُوَلَّى عَلَيْه، ويُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْه، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ، ولَا مِنَ (الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ والإيمان)**"[٣].

إن الذي يعنينا من كلامه الشريف عليه السلام أن هؤلاء ليسوا من المهاجرين والأنصار في معرض الذم لهم لكون ذلك نقصانا لهم عن المهاجرين والأنصار وقد سبقت الإشارة إلى افتخاره عليه السلام بتواجد هذه الفئة في جيشه عليه السلام.

وفي معرض مدحه للمهاجرين نجده خص أحد الصحابة بالذكر وهو خباب بن الارت[٤]، إذ يقول عنه:

---

(١) الخندمة: جبل في مكة في ظهر أبي قبيس لما أراد النبي ﷺ فتح مكة اجتمع صفوان بن امية، وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو في الخندمة، وفيه قال حماس بن قيس لزوجته:

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان وفر عكرمة

وحيث أبو يزيد قائم كالمؤتمه واستقبلتنا بالسيوف المسلمة

يقطعن كل ساعد وجمجمة ضربا فلا تسمع إلا غمغمة

لم تنطفي باللوم أدنى كلمة

ينظر: الحموي: معجم البلدان ٢/ ٣٩٣، وينظر: الأزرقي: أخبار مكة ١/ ٢٢٢، ٢/ ٢٦٩.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٧/ ١٩٧.

(٣) نهج البلاغة: ص ٤٨٨.

(٤) هو خباب بن الارت بن جندلة التميمي النسب، الخزاعي بالولاء، حليف بني زهرة، كان عبدا يعمل السيوف قبل الإسلام، فأصابه سبي، فبيع بمكة، كان من المسلمين الأوائل ومن خيار المهاجرين، قيل هو سادس ستة، وقد تعرض إلى تعذيب المشركين حتى هاجر إلى المدينة، شهد جميع مشاهد النبي ﷺ، وكان إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه، حتى مات سنة ٣٧ أو ٣٩هـ وصلى عليه=

"يَرْحَمُ اللَّه خَبَّابَ بْنَ الأَرَتِّ فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً، وهَاجَرَ طَائِعاً وقَنِعَ بِالْكَفَافِ ورَضِيَ عَنِ اللَّه وعَاشَ مُجَاهِداً"[١].

كان خباب بن الارت من أفذاذ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله المخلصين والحاملين لأسرار الشريعة الإسلامية، ممن تلمسوا الحقيقة بقلوبهم وبلغو الدرجة القصوى من اليقين بالنسبة إلى معالم الدين، ومن الذين كانوا شهداء على الناس ومؤازرين للحق عند ظهور الخلاف، فكونه في صف أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام مجاهدا معه في صفين من الأدلة القاطعة على أن الإمام علياً عليه السلام مع الحق والحق مع علي يدور معه أينما دار[٢]، مثله في أصحابه عليه السلام مثل عمار[٣]. وقال ابن أبي الحديد: هو قديم الإسلام، قيل: إنه كان سادس ستة، وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد وهو معدود في المعذبين في الله[٤]. وورد في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: "السباق خمسة: فانا سابق العرب، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحبشة، وصهيب سابق الروم، وخباب سابق النبط"[٥].

وقد وصفه أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الوجيز من الكلام بما لا مزيد عليه، واثبت له فضيلة الرغبة في الإسلام، والطوع على الهجرة، وصرف الحياة في الجهاد فناهيك بهذه الفضائل عن التتبع للأقوال، وثناء سائر الرجال[٦].

=الإمام ودفن في الكوفة. وكان ابنه عبدالله على منهج أبيه في موالاة أمير المؤمنين عليه السلام وهو الذي قتلته الخوارج لموالاته الإمام. ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٤٣٧، ابن الجوزي: كشف المشكل من حديث الصحيحين ٤/ ٣٩، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٨/ ١٧١-١٧٢، التبريزي: الإكمال في أسماء الرجال ص٥٧، الكرباسي: إكليل المنهج ص٥٤٢.

(١) نهج البلاغة: ص ٦٦٢.

(٢) حديث خرجه: أبو جعفر الإسكافي: المعيار والموازنة ص٣٥، ابن قتيبة: الإمامة والسياسة (المنسوب) ١/ ٧٣، ابن مردويه: المناقب: ص١١٣، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٤/ ٣٢٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٤٩، الشامي: الدر النظيم ص٤٤١.

(٣) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٢١/ ٨٦.

(٤) شرح نهج البلاغة: ١٨/ ١٧١.

(٥) الصدوق: الخصال: ٣١٢. ابن الفتال: روضة الواعظين: ص ٢٨.

(٦) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٢١/ ٨٧.

ومن حظوة مقام الهجرة قوله عليه السلام في المهاجرين في كتاب إلى معاوية "**إنَّه بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ، عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْه، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، ولَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وإنما الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وسَمَّوْه إِمَاماً كَانَ ذَلِكَ لِلَّه رِضًا، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ، بِطَعْنٍ أو بِدْعَةٍ رَدُّوه إلى مَا خَرَجَ مِنْه، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوه عَلَى اتِّبَاعِه غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، ووَلَّاه اللَّه مَا تَوَلَّى**"(١).

أولاً: لا بد من الإشارة إلى أن كلامه "على مقتضى عقيدة القوم مداراة ومماشاة معهم بما اعتقدوا من أمر الخلافة إنما هو بالبيعة من أهل العقد والحل لا بالنص، وإلا فإمامته بلا فصل كانت ثابتة بالبراهين القطعية، فالقياس جدلي على اصطلاح أهل الميزان، لأنه اعتبر في مقدماته التسليم من الخصم أي تبكيت الخصم إلزامه بما سلم به"(٢). فهو بمقتضى المقام قد حصر الشورى في المهاجرين والأنصار لأنهما أهل الحل والعقد في أمة محمد ﷺ فمتى اتفقت كلمتهم على أمر اجمعوا عليه كان ذلك حقا مرضيا لله تعالى فيجب على الناس إتباعه. ومن ذلك إطباقهم على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن خلال ما مضى يتبين لنا بأن التعامل مع فضيلة "الهجرة" كان وفق رؤيتين:

الأولى: تمثلت في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام لهذه الفضيلة، وكيف أعطى لها أبعادا تتجاوز معناها اللغوي والاصطلاحي الذي قد يتحدد بهجرة البدن من مكان إلى آخر، إذ عدها عليه السلام ظاهرة ذات علاقة بالرسالة الإلهية وديمومتها، ومنوطة بمعرفة الحجة في الأرض، القيِّم على تأدية حق الشريعة في كل زمان، وقد اخرجها من افقها الضيق الذي لا تعدو أن تكون فيه مجرد حركة انتقال مكاني قد يطلب من ورائه السعة بعد الضيق والراحة والدعة والاستقرار في مكان آخر تتوافر فيه هذه المقومات.

---

(١) نهج البلاغة: ص ٤٩٩ ـ ٥٠٠.

(٢) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ١٧/١٦٩.

الثانية: التي طرح فيها عنوان "المهاجرين" كامتياز يحاول بعضهم التكسب فيه للحصول على أطماع دنيوية بحتة، إذ اظهروا إنهم تحملوا الآلام والمحن بترك أوطانهم، بهجرتهم مع النبي ﷺ وبهذا بات من حقهم الاستئثار بامتيازات ومناصب، كما حدث في السقيفة(١)، فقد طرحت "الهجرة" كامتياز تفاضلي في وجه الأنصار لبيان أحقية المهاجرين بالخلافة دون سواهم، ومن ثم غدت من القضايا التي تمثل منهجا في العامل السياسي، وتحولت فيما بعد إلى ما هو اخطر في الوجود الإسلامي، إذ أوجدت الطبقية في المجتمع الإسلامي، ففي عهد عمر بن الخطاب كان توزيع الأموال متفاوت حسب أمور عدة منها القدم في الإسلام، وهذا يعني تقديم المهاجرين على الأنصار(٢).

---

(١) لمزيد من التفاصيل والتحليل عما جرى في السقيفة ينظر: محمد رضا المظفر: السقيفة ص ٩ ـ ١٥٦، الخليلي: السقيفة أم الفتن ص١١ ـ ١١٨. النصرالله: مرويات الجوهري عن يوم السقيفة: ص١ ـ ٦١. العواد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: ص٧٢٥ ـ ٧٨٦.

(٢) ذكر اليعقوبي: ودون عمر الدواوين، وفرض العطاء سنة ٢٠، وقال: قد كثرت الأموال، فأشير عليه أن يجعل ديوانا، فدعا عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم بن نوفل بن عبد مناف، وقال: اكتبوا الناس على منازلهم، وابدأوا ببني عبد مناف. فكتب أول الناس علي بن أبي طالب في خمسة آلاف، والحسن بن علي في ثلاثة آلاف، والحسين بن علي في ثلاثة آلاف، وقيل بدأ بالعباس بن عبد المطلب في ثلاثة آلاف، وكل من شهد بدرا من قريش في ثلاثة آلاف، ومن شهد بدرا من الأنصار في أربعة آلاف، ولأهل مكة من كبار قريش مثل أبي سفيان بن حرب، ومعاوية بن أبي سفيان في خمسة آلاف، ثم قريش على منازلهم ممن لم يشهد بدرا، ولأمهات المؤمنين ستة آلاف ستة آلاف، ولعائشة وأم حبيبة وحفصة في اثني عشر ألفا، ولصفية وجويرية في خمسة آلاف خمسة آلاف، ولنفسه في أربعة آلاف، ولابنه عبد الله بن عمر في خمسة آلاف، وفي أهل مكة الذين لم يهاجروا في ستمائة وسبعمائة، وفرض لأهل اليمن فئ أربعمائة، ولمضر في ثلاثمائة، ولربيعة، في مائتين. وكان أول مال أعطاه مالا قدم به أبو هريرة من البحرين، مبلغه سبعمائة ألف درهم. قال: اكتبوا الناس على منازلهم، وكتبوا بني عبد مناف، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم أتبعوهم عمر بن الخطاب وقومه على الخلافة. فلما نظر عمر قال: وددت والله اني هكذا في القرابة برسول الله، ولكن ابدأوا برسول الله ثم الأقرب فالأقرب منه، حتى تضعوا عمر بحيث وضعه الله. وفرض للنساء المهاجرات وغيرهن على قدر فضلهن، وكانت فريضته لهن في ألفين، وألف وخمسمائة، وألف، وفرض لأسماء بنت عميس، وأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وخولة بنت حكيم بن الأوقص امرأة عثمان بن مظعون في ألفين، وفرض لأم عبد في ألف وخمسمائة، وفرض لأشراف الأعاجم، وفرض لفيروز بن يزدجرد دهقان نهر الملك والنخير خان، ولخالد وللجميل ابني=

ثانياً: ونبقى في مكة نستطلع مكونها المجتمعي، إذ نجد إشارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى "**المشركين**" الذين كان لهم موقفا سلبيا وقاسيا من النبي ﷺ ودعوته ومن آمن بها، وفي طليعة هؤلاء كان الملأ من قريش، والمعلوم ان "قريش" هم سادة مكة وهم عشيرة النبي ﷺ وأهله، وقد تباينت مواقف هؤلاء من النبي ﷺ فمنهم من آمن به وآزره، وفي مقدمتهم أهل بيته من بني هاشم كآل أبي طالب وغيرهم، وقد كان للعامل القبلي اثره الإيجابي في هذا المضمار، حتى ان بني هاشم مسلمهم وكافرهم قد قبلوا بمحاصرة قريش لهم وكانوا في شعب أبي طالب[1].

ولكن البعض الآخر من قريش كان الاشد على النبي ﷺ ومن آمن بدعوته إذ كان ﷺ، كما عبر أمير المؤمنين عليه السلام واصفا حالة "**خَاضَ إلى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ، وتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، وقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الأَدْنَوْنَ وتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الأَقْصَوْنَ**"[2]. واجمعت قريش على حربه[3]، يتقدمهم الملأ الذين كانوا واعين لخطورة هذه الدعوة على مصالحهم السياسية والاجتماعية، فاتهموا النبي ﷺ باتهامات شتى وآذوه وألبوا عليه العرب. وذكر لنا الإمام عليه السلام انموذجا على

=بصبهرى دهقان الفلوجة، وللهرمزان، ولبسطام بن نرسي دهقان بابل، وجفينة العبادي في ألفين ألفين، وقال: قوم أشراف أحببت أن أتألف بهم غيرهم. وقال عمر في آخر سنيه: اني كنت تألفت الناس بما صنعت في تفضيل بعض على بعض، وإن عشت هذه السنة ساويت بين الناس، فلم أفضل أحمر على أسود، ولا عربيا على عجمي، وصنعت كما صنع رسول الله وأبو بكر؛ تاريخ: ٢/ ١٥٣ .١٥٤. ولمزيد من التفاصيل عن ذلك ينظر: ابن الأثير: الكامل: ٢/ ٥٠٢ ـ ٥٠٥، الكتاني: التراتيب الادارية ١/ ٢٠٠ ـ ٢٠٢.

(١) أشار عليه السلام إلى هذه الحادثة، بقوله: "فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا واجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ، ومَنَعُونَا الْعَذْبَ، وأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، واضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللَّه لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِه، والرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِه، مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الأَجْرَ، وكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الأَصْلِ" نهج البلاغة: ص ٥٠٢.

(٢) نهج البلاغة: ص٤١٤.

(٣) إشارة لقوله عليه السلام بخصوص قريش: "فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي، كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم قَبْلِي" نهج البلاغة ص ٥٦١.

موقفهم هذا بقوله: "**وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صلى الله عليه وآله لَمَّا أَتَاهُ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إليه وَأَرَيْتَنَاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ**"(١). فطالبوه بأمر اعجازي.

وقد استمر موقف قريش المعادي ومن تبعها حتى فتح الله لنبيه ذاك الفتح العظيم، ودخل مكة منتصرا في السنة الثامنة للهجرة. فادخل الله العرب في دينه افواجا، واسلمت له هذه الأمة طوعا وكرها. فكان ممن استسلم لقهر الإسلام وغلبته بعضٌ من هؤلاء، الذين عرفوا بـ"**الطلقاء**"(٢)، فكانوا ممن دان بدين الإسلام كرها لا طواعية، بدلالة قوله عليه السلام لمعاوية وهو أحد الطلقاء في أكثر من موضع "**وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كَرْهاً، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الإسلام كُلُّه لِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم حِزْباً**"(٣).

إن هؤلاء "**الطلقاء**" لم يسلموا واقعا، بل تظاهروا بالإسلام(٤) ليقوا أنفسهم من حر السيوف، وتمتعوا بعفو رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم إذ قال لهم: ما ترون اني فاعل بكم؟ قالوا: اخ كريم وابن اخ كريم، قال صلى الله عليه وآله: "اذهبوا فانتم الطلقاء"(٥). وقد حجّم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام طموح هؤلاء، وبين موقعيتهم

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٠٦ ـ ٤٠٧.

(٢) الطليق هو كل من دخل عليه النبي صلى الله عليه وآله مكة عنوة فملكه بالسيف، ثم من عليه عن إسلام أو غير إسلام، كصفوان بن أمية الذي لم يسلم، ومعاوية الذي أعلن الإسلام، وكذلك من اسر في حروب الرسول صلى الله عليه وآله فمن عليه بفداء أو غير فداء، كسهيل بن عمرو الذي أمتن عليه بفداء، وأبي عزة الجمحي بغير فداء، وعمرو بن أبي سفيان الذي أمتن عليه معاوضة مقابل أطلاق أسير من المسلمين. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٥/١١٩.

(٣) نهج البلاغة: ص٦٣٠ ـ ٦٣١.

(٤) يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: "فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَسْلَمُوا ولَكِنِ اسْتَسْلَمُوا وأَسَرُّوا الْكُفْرَ...". نهج البلاغة: ص٥١١.

(٥) الطبري: تاريخ: ٢/٣٣٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٢/ ٢٥٢، ابن كثير: البداية والنهاية: ٤/ ٣٤٤.

في الإسلام، رغم كل محاولاتهم لتخطي حدود واقعهم الحقيقي، فبين ذلك من خلال مساجلاته مع معاوية كأنموذج منهم:

١ ـ انهم إنما اسلموا كرها ودخلوا في هذا الدين رهبة[١].

٢ ـ أنهم أظهروا الإسلام وأسروا الكفر[٢].

٣ ـ أنهم لا يمكن مساواتهم بأهل السابقة والفضل[٣] في الإسلام من المهاجرين[٤] وغيرهم.

أما المجتمع المدني، فقد كان يتكون من عدة عناصر سكانية ابرزها: (العرب ومنهم ما عرف بالأنصار ومن لحق بهم من المهاجرين. وأصحاب الديانات الأخرى من اليهود والنصارى والصابئة والمجوس)[٥].

وقد مر بنا الحديث عن المهاجرين، اما الأنصار فقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى انهم قد آمنوا بالنبي ﷺ وتعاهدوا على نصرته وآووا دعوته واحتضنوا رسالته، إذ نّوه عليه السلام إلى موقفهم من النبي ﷺ ودينه الحنيف فقال: "**هُمْ واللّه رَبَّوُا الإسلام كَمَا يُرَبَّى الْفِلْوُ[٦]، مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السِّبَاطِ[٧]**

---

(١) إشارة لقوله عليه السلام: "كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إمَّا رَغْبَةً وإمَّا رَهْبَةً". نهج البلاغة: ص ٥١٢.

(٢) إشارة لقوله عليه السلام "ما أَسْلَمُوا ولَكِنِ اسْتَسْلَمُوا وأَسَرُّوا الْكُفْرَ". نهج البلاغة: ص٥١١.

(٣) "فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ إذ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي ولَمْ تَكُنْ لَه كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُه ولَا أَظُنُّ اللَّه يَعْرِفُه". نهج البلاغة ص ٥٠٣. وأيضاً قوله: "وكنتم ممن دخل في هذا الدين اما رغبة واما رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم". نهج البلاغة ص٥١٢.

(٤) "ولَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ". نهج البلاغة ص٥١١. وأيضاً قال: "ومَا لِلطُّلَقَاءِ وأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ، والتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، وتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ، هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا، وطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْه الْحُكْمُ لَهَا" نهج البلاغة ص ٥٢٧.

(٥) لمزيد من التفاصيل ينظر: شذى العبيدي: مجتمع المدينة من خلال القرآن الكريم (الجوانب السياسية والاجتماعية): ص ١٧٤ ـ ٢٣٧.مؤيد الدليمي: ملامح المجتمع المدني في عصر النبوة دراسة تاريخية: ص ٢٧ ـ ٥٧.

(٦) الفلو: المهر إذا فطم أو بلغ السنة. ابن الأثير: النهاية: ٣/ ٧٢.

(٧) السبط الممدود، إشارة إلى السخاء. أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية: ص٢٧١.

وأَلْسِنَتِهِمُ السِّلَاطِ[(١)]"[(٢)]. كما أشار عليه السلام إلى منزلتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله حتى اوصى بهم من بعده بإن "**يُحْسَنَ إلى مُحْسِنِهِمْ، ويُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ**"[(٣)].

ومن المعلوم تاريخياً ان هذا المكون المجتمعي قد كان يتألف من قبيلتي الأوس والخزرج، التي شهدت الأيام وقائع وحروب بينهما قبل دخولهم في الإسلام، إذ كان له صلى الله عليه وآله الأثر الواضح في معالجة ذاك الخلاف الدامي ف "**دَفَنَ اللَّه بِه الضَّغَائِنَ، وأَطْفَأَ بِه الثَّوَائِرَ، أَلَّفَ بِه إِخْوَاناً**"[(٤)] فأظلهم بمظلة الإسلام، واصبحوا في دين الله اخوانا.

ورغم وجود بعض الاقليات الدينية الأخرى كالنصارى في مكة واليهود في المدينة، إلا أنه لم ترد الإشارة إليهم في نهج البلاغة.

هذا المجتمع برمته ممن احاط بالنبي صلى الله عليه وآله قد اصطلح على تسميته ب "**الصحابة**"[(٥)]، وقد أيد الله دينه ونبيه العظيم بالنخبة الفذة من هؤلاء، "**وتَأْيِيدَه إِيَّاه لِمَنْ أَيَّدَه مِنْ أَصْحَابِه**"[(٦)]، وقد شخص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عدة مواضع من كلامه الشريف جملة مواقف ومزايا لصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، فضلاً عن وقفات هامة وملحوظات عامة يمكن ان تستشف من كلامه عليه السلام سندرجها تباعا:

أولاً: **المواقف الجهادية**: يعد الجهاد من أفضل وسائل التقرب إلى الله الموصلة إلى رضوانه، وقد قرنه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالإيمان بالله والتصديق برسوله صلى الله عليه وآله، "**إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ**

---

(١) إشارة إلى سلاطة اللسان. ابن سيدة: المخصص ج١/ ق٢/ السفر الثاني ص١١٦، ابن منظور: لسان العرب: ٧/ ٣٢١.

(٢) نهج البلاغة: ص ٧٥٤.

(٣) نهج البلاغة: ص ١٠٢.

(٤) نهج البلاغة: ص١٧٨ ـ ١٧٩.

(٥) لقد ألفت عدة مؤلفات خاصة بهم ككتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، وكتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني.

(٦) نهج البلاغة: ص ٥٢٦.

وتَعَالَى، الإيمان بِهِ وبِرَسُولِهِ، والْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الإسلام"[١]. وقد استعار لفظ "الذروة" له ملاحظة الشبه في العلو والمرتبة في الإسلام بالسنام[٢] للبعير، لكون سالكه على يقين من لقاء الله وقوة من التصديق بما جاء به الرسول ﷺ حيث يلقي نفسه إلى التهلكة الحاضرة. ولانه الأصل الأعظم في جمع العالم على الدين[٣]. إذ لولا الجهاد ما ارتفع للإسلام راية، ولا كان له عين ولا اثر. وقد سطر صحابة النبي ﷺ ملاحم جهادية في ساحات الوغى عز نظيرها، وقد تحدث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن دلالات فضلهم في هذا الجانب وانفرادهم فيه لما حملوا من عقيدة راسخة فقال عليه السلام: **"وهِيجُوا إلى الْجِهَادِ فَوَلِهُوا وَلَه اللِّقَاحِ إلى أَوْلَادِهَا، وسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا، وأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الأرض زَحْفاً زَحْفاً، وصَفّاً صَفّاً، بَعْضٌ هَلَكَ، وبَعْضٌ نَجَا"**[٤].

ومن مصاديق هذا التفاني منهم في مجاهدة أعداء دينهم، انهم لم يثنهم عن اقامة فرض الجهاد وجود قراباتهم وذويهم في الجانب المقابل لهم في الحروب التي خاضوها، بل زادهم ذلك ثباتا واصرارا على دينهم: **"فلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الآباءِ والأَبْنَاءِ والإِخْوَانِ والْقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وشِدَّةٍ، إِلَّا إِيمَاناً ومُضِيّاً عَلَى الْحَقِّ، وتَسْلِيماً لِلأَمْرِ، وصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ"**[٥].

وفي موضع آخر وبيان أكثر يقول: **"ولَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، نَقْتُلُ آبَاءَنَا وأَبْنَاءَنَا وإِخْوَانَنَا وأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وتَسْلِيماً،**

---

(١) نهج البلاغة: ص٢١٠ ـ ٢١١.

(٢) في حديث آخر له عليه السلام: "ذروة الإسلام وسنامه الجهاد". ينظر: الطريحي: مجمع البحرين ١/ ١٥٨. وينظر: الصدوق: من لا يحضره الفقيه ٢/ ٧٥.

(٣) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٣/ ٩٧.

(٤) نهج البلاغة: ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٥) نهج البلاغة: ص٢٣٤.

ومُضِيّاً عَلَى اللَّقَم، وصَبْراً عَلَى مَضَضِ الأَلَم، وجِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، ولَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا والآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا، يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ"[(١)]. فكان الاب يقاتل في جانب وابنه في الجانب المقابل، لاختلاف عقائدهم، فهذا في صف المسلمين، وهذا مع المشركين، ومثال ذلك ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام كانا في جانب، وكان العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب في الجانب المقابل، فالقرابة كانت موجودة بين المسلمين والمشركين اما نسبا أو سبباً[(٢)]. وقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى تحرر هؤلاء المسلمين من غلبة غريزة حب الاقارب التي جبلت عليها القلوب فطريا، بل انهم قد تنفعوا من مواقفهم هذه في تكسب عدة أمور معنوية جليلة، وقد عدها أمير المؤمنين عليه السلام:

- انها زادتهم ايمانا بالله وبرسوله وتسليما لامره جل وعلا، والإيمان قابل للكمال والنقص، وهو على مراتب ثلاث كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام الاقرار باللسان والاعتقاد بالقلب والعمل بالاركان[(٣)]، فهؤلاء المؤمنون بعد تجربتهم الجهادية صار إيمانهم متكاملا بسبب التطبيق العملي. اما التسليم فهو من أعلى مراتب الإيمان أيضاً.

- انها زادتهم ثباتا وعزيمة على المضي في طريق الحق، وصبراً على مضض الالم بتحمل وقع الجراحات المادية وكذا الجراحات المعنوية الواردة على قلوبهم من حيث المعنى في قتلهم آباءهم وأبنائهم وأحبائهم، فكل ذلك من مضض الالم[(٤)]. ورغم كل ما لاقوه لم يزدهم ذلك الا ثباتا وجدا في جهاد عدوهم.

وواضح ان محور الكلام يدور بالدرجة الاساس عن صدق النوايا

---

(١) نهج البلاغة: ص ٩٢ ـ ٩٣.
(٢) الخراساني: مفتاح السعادة: ٧/ ١٨٣.
(٣) نهج البلاغة: ص ٧٠٠.
(٤) الخرساني: مفتاح السعادة: ٧/ ١٨٥.

والاخلاص في الجهاد، حتى استوجب نزول النصر المبين "**فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، ومَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى اللَّه صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ، وأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ**"(١). ولعل غزوة بدر من اتم المصاديق للنصر الذي اوجبه الله للمسلمين والكبت بالمشركين(٢).

ثانياً: المزايا الأخلاقية والعبادية: إن مما أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن تلك الجماعة الصالحة التي تربت في كنف الإسلام، وكانت على مساس بشخصية أعظم إنسان الذي كان بدوره صنيعة ربه، فأي آثار ممكن ان يتركها وجوده المبارك بينهم؟! قد بانت في سجاياهم وخصالهم الأخلاقية العالية كما وصفهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام "قوم والله ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل الحق، متاريك للبغي. مضوا قدما على الطريقة، واوجفوا على المحجة، فظفروا بالعقبى الدائمة، والكرامة الباردة"(٣). ومن أبرز خصائصهم تلك الجنبة العبادية في ذواتهم، إذ وسمهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بوسم رائع يكشف عن إيمان راسخ وعقيدة ثابتة وتعّبد فريد يدل على انقطاعهم عن الدنيا وزهدهم فيها وتشوقهم للاخرة إذ يقول عن صفاتهم: "**وقَرَءُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوه... لَا يُبَشَّرُونَ بِالأَحْيَاءِ، ولَا يُعَزَّوْنَ عَنِ الْمَوْتَى، مُرْه الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ، خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشِّفَاه مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ، أُولَئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ**"(٤).

وفي موضع آخر يقول: "**لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وآله ـ فَمَا أَرَى أَحَداً يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً، وقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وقِيَاماً، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وخُدُودِهِمْ، ويَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ**

---

(١) نهج البلاغة: ص٩٣.
(٢) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ سورة آل عمران الآية ١٢٣.
(٣) نهج البلاغة: ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧.
(٤) نهج البلاغة: ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

مَعَادِهِمْ، كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى، مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ، إِذَا ذُكِرَ اللَّه هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ، حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ، ومَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ، خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ ورَجَاءً لِلثَّوَابِ"[١]. وذلك إشارة لقوله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾[٢].

وفي إحدى اشاراته قال بحق جماعة من صحابة النبي صلى الله عليه وآله بأنهم "**الْمُسْتَحْفَظُونَ**"[٣]: واستحفظته الشيء، اودعته عنده وسألته ان يحفظه، و"**الْمُسْتَحْفَظُونَ**" ـ على بناء المفعول ـ المطلعون على أسرار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسيرته، الصادقون في الشهادة الذين لم يغيروا ولم يبدلوا لاغراض دنيوية[٤]. وهم العلماء واهل الدين الذين استحفظوا كتاب الله ودينه[٥].

ولعل هم من قصدهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مورد حديثه وكلامه عن رواة حديث النبي صلى الله عليه وآله إذ قال وهو يعد نماذج رواة الحديث: "**وآخَرُ رَابِعٌ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّه ولَا عَلَى رَسُولِه، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللَّه وتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ ولَمْ يَهِمْ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِه**"[٦].

ورغم ان صحبة النبي صلى الله عليه وآله فضيلة عظيمة، ولكن ليس كل صحابته كانوا على مرتبة واحدة، وطراز واحد في الفقه والعلم وفي الطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وآله، ففيهم من احسن الصحبة وابلى بلاءاً حسناً وجاهد في الله حق جهاده، وهاجر في سبيله، ولم يُحدّث بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى غير ذلك من السمات التي

---

(١) نهج البلاغة: ص١٨١ ـ ١٨٢.

(٢) سورة الفتح الآية ٢٩.

(٣) نهج البلاغة ص٤٢١.

(٤) المجلسي: البحار: ٣٤/١٠٩، حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ١٢/ ١٩٥.

(٥) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٣/ ٥٤٤.

(٦) نهج البلاغة: ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣.

وصفهم بها القرآن الكريم وأحاديث النبي الأعظم ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام ولكن من صحابة النبي ﷺ من "ابتغوا الفتنة"(١)، ومنهم من لمز النبي ﷺ(٢)، ومنهم من آذاه(٣)، ومنهم من كان في قلبه مرض(٤)، ومنهم من رد واعترض على النبي ﷺ(٥)، ومنهم من احدث بعده(٦)، وحسبنا ان نجد في كتاب الله سورة باسم المنافقين(٧)!

وفي نهج البلاغة وإلى جانب اشارات المديح المارة الذكر، فقد شخص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعض موارد الذم، لبيان الحقائق للمجتمع الذي قد يضع الجميع بميزان واحد بناءاً على الوثوق بكل من صحب النبي ﷺ ورآه، إذ يقول عليه السلام في حديثه عن المنافق "**فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّه مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْه، ولَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَه، ولَكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ رَآه وسَمِعَ مِنْه ولَقِفَ عَنْه فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِه**"(٨). فهنا وجب التمييز بين هؤلاء

---

(١) قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ التوبة ٤٧.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾التوبة ٥٨.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ التوبة ٦١.

(٤) قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١)﴾ الأحزاب ٦٠ ـ ٦١

(٥) ينظر: مازن الغزي: الرد على الرسول محمد ﷺ دراسة تاريخية: (الصفحات جميعها).

(٦) قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران ١٤٤

(٧) وفي القرآن الكريم في غير هذه السورة عدة موارد للتعريض ببعض الصحابة وذم طائفة منهم، كما في الإشارة أعلاه إلى بعض تلك الآيات، وكذلك ما افاضت به كتب الصحاح والمسانيد ومرويات التاريخ التي لم تخل من الذم لبعضهم، بل نرى الصحابة أنفسهم ينقد بعضهم بعضا، ويلعن بعضهم بعضا. لمزيد من التفاصيل ينظر: السند: الصحابة بين العدالة والعصمة: ص ١٥ وما بعدها. أحمد حسين يعقوب: نظرية عدالة الصحابة: ص ١١ وما بعدها. خليل عبد الكريم: الا.. أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ص ٣٠ وما بعدها. اياد المنصوري: المنهج العلمي في تقييم أفعال الصحابة: ص ١٨ وما بعدها. خالد البغدادي: تصحيح القراءة في نهج البلاغة: ص ٥١ ـ ١١٤. عبد الزهراء الخطيب: مصادر نهج البلاغة واسانيده: ص ١١٥ ـ ١٢٠.

(٨) نهج البلاغة: ص ٤٤١ ـ ٤٤٢.

الصحابة الذين احاطوا بالنبي ﷺ إذ لم يكونوا على مرتبة واحدة. إذ إن النبي ﷺ ومن خلال دولته وغزواته، ومن خلال بيعة الناس له، والحج والعمرة، وفتح مكة، وحجة الوداع خاصة، وسيطرة دولته الكاملة على شبه الجزيرة العربية لذا اتيحت الفرصة للجميع للإلتقاء به، إذ لم يبق في مكة ولا الطائف أحد في السنة العاشرة الا أسلم وشهد مع النبي ﷺ حجة الوداع، ومثل ذلك قول بعضهم في الأوس والخزرج انه لم يبق منهم أحد في اواخر عهد النبي الا ودخل الإسلام، وما مات النبي وواحد منهم يظهر الكفر، حتى الأطفال صاروا صحابة على سبيل الالحاق لغلبة الظن على انه ﷺ رآهم لتوفر دواعي الصحابه على احضارهم اولادهم عنده ﷺ، فإذا اخذنا بعين الاعتبار ان الفوارق قد ازيلت تماما بين الحاكم والمحكوم في دولة النبي ﷺ وانه كان يمشي في الشارع وحده، ويقضي حاجاته بنفسه، فكان بامكان أي مواطن في الدولة الإسلامية ان يراه أو يتكلم معه أو ان يحضر مجلسه مما جعل شعب دولة النبي ﷺ كلهم صحابة بهذا المفهوم(١).

وقد مر بنا ان الإمام عليه السلام أشار إلى أن من هؤلاء من أسلم طوعا ومنهم من أسلم كرهاً، فاضطر لاظهار الإيمان ولكن اسّر كفره، ولم يؤمن بالله والنبي ﷺ حقيقة، فكيف يمكن ان يكون الجميع بمنزلة واحدة؟!. وإن المتتبع لموارد الذم للصحابة في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يمكن ان يلحظ ان هذه الموارد جاءت على نحوين:

الأول: ما جاء صريحا منه بالتعريض بحق اشخاص معينين من الصحابة ولكن هذه الموارد في الأغلب إنما كانت تختص بالمدة التي اعقبت رحيل النبي الأعظم ﷺ(٢) إذ أطلع الشيطان رأسه من مغرزه فـ "**رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى**

---

(١) يعقوب: نظرية عدالة الصحابة: ص ١٧.

(٢) ينظر مثلاً ما جاء في الخطبة الشقشقية، نهج البلاغة: ص ٢٦ ـ ٣٢. ومساجلات الإمام عليه السلام مع معاوية، ينظر، مثلا: نهج البلاغة: ص ٤٩٩ ـ ٥٠١، ٥٠٢ ـ ٥٠٦، ٥١١ ـ ٥١٢، ٥٢٦ ـ ٥٣٢، ٥٣٣ ـ ٥٣٤، ٥٥٦ ـ ٥٥٧، ٥٦٢ ـ ٥٦٣، ٥٨٣ ـ ٥٨٤، ٦١٩ ـ ٦٢٠، ٦٣٠ ـ ٦٣٥، ٦٤٣ ـ ٦٤٤. وما جاء من=

الأَعْقَابِ، وغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، واتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ، ووَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، ونَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ"(١).

الثاني: فقد جاءت إشارته بشكل عام وكانت تشخيصاته غاية في الدقة في متفرقات خطبه وكلماته الشريفة، التي سنقف عندها تحديداً دون سابقتها اعلاه، وذلك لانها تخص عصر النبي الأعظم ﷺ وتدخل في مضمار بحثنا هنا.

وأولى تلك الإشارات الهامة ما ذكره عليه السلام عن وجود حركة للنفاق في عصر النبي ﷺ، والمنافقون هم الاشد خطراً على النبي ﷺ والإسلام، إذ نقل عليه السلام عن النبي ﷺ قوله: "**إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً ولَا مُشْرِكاً، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ، وأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ، ولَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، ويَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ**"(٢).

وقد بين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ان هذا الانموذج المنافق إنما هو: "**مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ، مُتَصَنِّعٌ بِالإسلام، لَا يَتَأَثَّمُ ولَا يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مُتَعَمِّداً**"(٣)، ولقد لبس على الناس أمرهم لكونه يظهر خلاف ما يبطن ولو "**عَلِمَ النَّاسُ أَنَّه مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْه، ولَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَه**"(٤). وقد تحدث القرآن الكريم عن صفات هؤلاء ومدى خطرهم على الإسلام، بل ان الله سبحانه خص بهم سورة كاملة بعنوان "سورة المنافقين"، وأيضاً في موارد أخرى من السور القرآنية كانت هناك اشارات كثيرة عن هذه

=توبيخه لعمرو بن العاص، نهج البلاغة: ص ٥٦٥، وأيضاً كلامه لطلحة والزبير، نهج البلاغة: ص ٦١٧ ـ ٦١٨. وكلامه لأبي موسى الاشعري، نهج البلاغة: ص ٦٢٩ ـ ٦٣٠، ٦٤٧.

(١) نهج البلاغة: ص٢٧٤.

(٢) نهج البلاغة: ص٥٢٥.

(٣) نهج البلاغة: ص٤٤١.

(٤) نهج البلاغة: ص٤٤١.

الطائفة من المجتمع المحيط بالنبي صلى الله عليه وآله، ونخص بالذكر سورة التوبة التي نزل فيها الأمر بجهاد المنافقين على حد جهاد الكفار[١].

وفي مورد آخر وهو يشير عليه السلام إلى فضيلة من فضائله التي خُصّ بها دون غيره إذ يقول عليه السلام: "**ولقد ولَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّه ولَا عَلَى رَسُولِه سَاعَةً قَطُّ**"[٢]. هذا النص يكشف لنا امران:

الأول: فيه ايماء إلى ما كان يفعله بعض الصحابة من التسرع والاعتراض على النبي صلى الله عليه وآله، وان هناك أمور وقعت من غيره عليه السلام على هذه الشاكلة التي تعد من موارد الطعن فيمن قام بمثل هكذا صنيع من صحابة النبي صلى الله عليه وآله.

الثاني: قوله بحق بعض صحابة النبي صلى الله عليه وآله بأنهم كانوا مستحفظون فيه دلالة واضحة على وجود من لم يكن مستحفظا من صحابة النبي صلى الله عليه وآله، وبهذا يكون ممن لم يحفظ عهد نبيه صلى الله عليه وآله.

وللإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقفة مع انموذج آخر ممن عايش النبي صلى الله عليه وآله، وممن كان يعاني من قصور أو تقصير في مستوى الإدراك والوعي والعلم، وانهم لم يكونوا على درجة من الحرص على الإفادة من وجود النبي صلى الله عليه وآله بينهم، تلك الإفادة المرجوة التي علقت الأمة آمالها عليهم إذ رأت فيهم صحبه الذين عايشوه فكانوا الأولى بنشر دينه وتعاليمه وأقواله إلى من سواهم ممن لم يحظ بلقائه صلى الله عليه وآله سيما الاجيال اللاحقة، ومن المعلوم انه صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء عليهم السلام ودينه خاتم الاديان. لذا تصبح الحاجة إلى معرفة هذا الدين ضرورة ملحة لكل العالم، وبالتالي وجب ان يكون الناقل له على درجة من الثقة يُطمئن لها.

---

(١) وقد سميت هذه السورة بـ"الفاضحة" لانها فضحت المنافقين. لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد السند: الصحابة بين العدالة والعصمة: ص ٦٥ ـ ٦٩. العبيدي: مجتمع المدينة: ص١٩٣ ـ ٢٠١.

(٢) نهج البلاغة: ص ٤٢١ ـ ٤٢٢.

ومما يؤسف له ان هذه الطمأنينة لا يمكن ان تمنح لكل من عاصر النبي ﷺ فـ "**وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ مَنْ كَانَ يَسْأَلُه ويَسْتَفْهِمُه، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الأَعْرَابِيُّ والطَّارِئُ، فَيَسْأَلَه عليه السلام حَتَّى يَسْمَعُوا**"[1]. ويتضح لنا من هذا النص مراتب الصحابة:

١ ـ منهم من كان لا يسأل النبي ﷺ اما لشدة اشتغاله بأمر الدنيا وطلب المعيشة أو لعدم اهتمامه بأمر الدين[2].

٢ ـ منهم من كان له رتبة الفهم ولكن لا يفهمه بمجرد الجواب، ولا يستفهم من النبي ﷺ اما لخوف نسبة الغباوة إليه بسبب عدم الفهم أول مرة[3]. أو مهابة لرسول الله ﷺ، وهم الذين يحبون ان يجيء الاعرابي أو الطاريء فيسأله وهم يسمعون[4].

٣ ـ ومنهم من كان بليدا بعيد الفهم قليل الهمة في النظر والبحث. أو من كان مشغولا عن طلب العلم وفهم المعاني[5].

وقد تميز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن هؤلاء بكونه الأحرص على التعلم والأخذ عن النبي ﷺ وانه الأكثر قدراً واستيعاباً لمرامي حديثه ﷺ وكانت له خصوصية في هذا المجال سنقف عليها بشيء من التفصيل في الفصل الخامس.



(١) نهج البلاغة: ص٤٤٣.

(٢) المازندراني: شرح أصول الكافي: ٢/ ٣٢٠.

(٣) المازندراني: شرح أصول الكافي: ٢/ ٣٢٠.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١١/ ٤٨.

(٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١١/ ٤٨.



المبحث الثالث

الجانب الديني

عرف العرب قبل بعثة النبي ﷺ كثيراً من المعتقدات[1]، إذ كانت ديانتهم متباينة تبعا للتباين في عدة ظروف وعوامل تركت أثرها جليا في اتسام الوضع الديني بالاضطراب إذ كان قوامه خليط من عناصر وثنية ويهودية ونصرانية ومجوسية وغيرها، قال البلخي[2] واصفا موقفهم الديني: (كان فيهم من كل ملة ودين، وكانت الزندقة والتعطيل في قريش، والمزدكية والمجوسية في تميم، واليهودية والنصرانية في غسان، والشرك وعبادة الأوثان في سائرهم... وكان في شركهم بقية من دين إسماعيل...). هذه الرؤية هي عين ما سبق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الإشارة إليها وهو يصف الحالة الدينية آنذاك قائلاً: "**وأَهْلُ الأرض يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وأَهْواءٌ مُنَتِشرَةٌ وطَرائِقُ مُتشَتِّتَةٌ**"[3]. إذن لم يكن لهؤلاء معتقد موحد ولا نظام ديني شامل، بل كانت هناك أكثرية وثنية، وقد تنوعت معبوداتهم ما بين الأصنام، والكواكب، والملائكة، والشياطين، بل وحتى الأشجار والحيوانات[4].

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن عقائد العرب قبل الإسلام ينظر: جواد علي: المفصل: الجزء السادس (الصفحات جميعها). أحمد عجيمي: كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد مصدرا لتاريخ العرب قبل الإسلام: ص ٥٩ ـ ٣٥٧. د. شاكر مجيد كاظم، ود. جواد كاظم النصرالله: الحياة العقائدية والاجتماعية: ص٤ ـ ٢١.

(٢) البدء والتاريخ: ١/ ٣٣١.

(٣) نهج البلاغة: ص٢١.

(٤) لمزيد من التفاصيل ينظر: جواد علي: المفصل: ٦/ ٣٤ ـ ٦٥.

لقد نشأت هذه الديانات الوثنية من فكرة عبادة العرب لمظاهر الطبيعة التي تقع تحت أبصارهم كالأرض والسماء والنجوم والكواكب. وتعد الوثنية بمثابة الطور الذي تمر به كل أمة في بداوتها قبل أن تنتقل إلى التوحيد، وقد قاوم العرب في جاهليتهم فكرة التوحيد ولم يتأثروا باليهودية أو المسيحية، ويبدو أن ذلك يرجع إلى أن الوثنية كانت تتفق مع نظام العرب القبلي القائم على الاستقلال، فكانت لكل قبيلة مقوماتها ومعتقداتها، فالفرد يفنى في القبيلة، والقبيلة مثله الأعلى[١].

ومهما يكن من أمر فقد انتشرت عبادة الظواهر الطبيعية المعروفة بالوثنية في بلاد العرب لتوهمهم أن وراءها قوى روحية كامنة تتحكم في تسيير حياتهم ومقدرات أمورهم، لذا اتخذوا لهذه الظواهر أشكالا مختلفة تتمثل في أشياء مادية قريبة وملموسة هي رمز للآلهة المعبودة منها الأحجار الطبيعية والمصقولة التي هذبتها يد الإنسان، والأشجار، والبيوت، والحيوانات، وغيرها، وأخذوا ينظرون إليها على أنها المواضع التي تحل فيها القوى المؤثرة، ذلك إن الأشياء المادية لم تكن المقصودة بالعبادة، بل كانوا يتقربون إلى الأرواح التي تحل فيها، إذ إن أكثرهم كانوا ماديين لابد لهم من الملموس والمحسوس الذي يمكن إدراكه والتقرب إليه[٢]. ثم تطورت عبادة قوى الطبيعة عند العرب فصارت عبادة للأصنام التي كانت تمثلها من قبل، فعبدوها على صورتها المادية وصار الأساس في اعتقادهم أن الله قد اتخذ أولياءهم الآلهة ومنحهم فيضا من قدراته، لذا تقربوا لها بالقرابين والعبادة التي تقربهم إلى الله زلفى. قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[٣][٤].

---

(١) رشيد الجميلي: تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية: ص ٢١٨.

(٢) محمود: العرب قبل الإسلام: ص ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٣) سورة الزمر آية ٣.

(٤) محمود: العرب قبل الإسلام: ص ١٦٨.

لقد جاء في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إشارة إلى عبادة الأوثان قبل بعثة النبي الأعظم ﷺ، إذ يقول: "**فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الأوثان إلى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إلى طَاعَتِهِ**"[١]. وأشار أيضاً إلى عبادة الأصنام في موردين: "**الأصنام فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ**"[٢]، و"**وَأَصْنَام مَعْبُودَة**"[٣].

لقد علل ابن الكلبي[٤] ظهور الوثنية عند عرب الحجاز رغم أنهم ورثة إسماعيل وأصحاب بيت الله بقوله: (وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجر من حجارة الحرم، تعظيما للحرم وصبابة بمكة، فحيثما حلو وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة، تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم وحبا له، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة، ويحجون ويعتمرون على أرث إبراهيم وإسماعيل. ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم).

وقد انتقد نبيه عاقل[٥] هذا الرأي قائلاً: (وفي هذا التعليل دليل على أن المؤلفين العرب الذين كتبوا في ظل الإسلام عن أديان الجاهلية أرادوا أن يمدوا جذور التوحيد عند العرب إلى الفترة السابقة للإسلام، وإظهار النزعة الموحدة كنزعة أصيلة في المجتمع العربي منذ أقدم العصور، إنما شوهت تشويها ولكنها تظل في نظرهم هي الأساس. وطبيعي أن في هذا التعليل لنشأة الوثنية عند عرب الشمال سذاجة ظاهرة وتعصب للإسلام إذ أنهم أحبوا ورأوا كل شيء من خلال نوره، دفعهم إلى تجاهل حقيقة أساسية، وهي أنه إذا صح

---

(١) نهج البلاغة: ص٢٦٧.
(٢) نهج البلاغة: ص ٥٦.
(٣) نهج البلاغة ص ٤٠٢.
(٤) الأصنام: ص٦. وينظر: ابن هشام: السيرة النبوية: ١/ ٥١. السهيلي: الروض الأنف: ١/ ٢١٠. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٥/ ١٨٥.
(٥) تاريخ العرب القديم: ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

هذا التفسير بالنسبة للقبائل التي سكنت مكة وهجرتها، فإنه لا يصح بالنسبة للقبائل التي أقامت في مكة باستمرار وظلت على الوثنية رغم ذلك".

ويبدو طرح مثل هذا التساؤل وإثارة هذا الإشكال حول رؤية ابن الكلبي أمر مقبول ويجعله في محل تأمل، ولكن ما قاله حول غرض ابن الكلبي بأنه حاول مد جذور التوحيد عند العرب إلى ما قبل الإسلام وإظهار النزعة الموحدة كنزعة أصيلة منذ أقدم العصور وهي إنما شوهت..." وبغض النظر عن حقيقة مراد ابن الكلبي.

يمكن القول أنه لا خلاف بين الباحثين في تاريخ العرب قبل الإسلام أن العرب كانوا قد عرفوا الله ووحدوه، وإن التوحيد كان في أول الأمر مبدأ فطريا بدلالة قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[1]. فالقرآن يذكر عقيدة المشركين بعد حرف العطف (ثم) الذي يدل على الترتيب والتراخي، وهذا يدل على أن التوحيد كان في أول الأمر مبدأ نظريا وعقيدة عامة للبشر، أما الشرك فقد حصل فيما بعد كانحراف عن الأصل الفطري[2]. ولقد أكد أمير المؤمنين عليه السلام هذا المعنى بقوله: "**فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الأوثان إلى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إلى طَاعَتِهِ، بِقُرْآن قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبادُ رَبَّهُمْ إذ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إذ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إذ أَنْكَرُوهُ**"[3].

فالجحود لا يكون إلا مع علم الجاحد بأنه صحيح[4] إلا أن يحمل كلامه عليه السلام على الإقرار في عالم الذر، إذ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[5].

---

(١) سورة الأنعام آية ١.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: ٤/ ٢٠٥.

(٣) نهج البلاغة: ص ٢٦٧.

(٤) ابن فارس: معجم: ١/ ٤٢٦.

(٥) سورة الأعراف آية ١٧٢.

ومن جانب آخر فإن الله سبحانه لا يعذب أمة إلا بعد إتمام الحجة عليها بإرسال الرسل الذين يهدون إلى عبادته وتوحيده، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[١] وأن الرسل قد تواترت بلا انقطاع ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٢]، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٣]. وقد حصل الانحراف عن التوحيد فيما بعد بالشرك وتعدد الآلهة: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[٤].

ثم أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ذكر في معرض حديثه عن بيت الله ـ الكعبة المشرفة ـ بأنه موجود منذ زمن آدم عليه السلام وأنه تعالى قد أمره بالحج إليه والطواف حوله: **"أَلاَ تَرَوْنَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيهِ إلى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَم بِأَحْجَارٍ لاَتَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ وَلاَ تُبْصِرُ وَلاَ تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاما، ... ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عليه السلام وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ"**[٥]. وفي هذا دلالة واضحة على تأصيل التوحيد في منطقة مكة خصوصا، إذ ارتبط ذلك بوجود هذا البيت المقدس. ولا شك في إن عقيدة الشرك إنما حدثت لاحقا. ولكن ما هو موقف العرب قبيل الإسلام من عبادة الله وتوحيده؟ فهل كانوا يعرفون الله؟.

إذا ما قمنا بدراسة الإشارات الواردة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام سيما الخاصة بعقيدة العرب تجاه الله عز وجل، فمن السهولة إفراز المصطلحات الآتية: ففي قوله: **"أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وتَنَازُعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ، فَقَفّى بِهِ الرُّسُلَ، وخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَالْعادِلِينَ بِهِ"**[٦].

---

(١) سورة الإسراء آية ١٥.
(٢) سورة فاطر آية ٢٤.
(٣) سورة النساء آية ١٦٥.
(٤) سورة يوسف آية ١٠٦.
(٥) نهج البلاغة: ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥.
(٦) نهج البلاغة: ص ٢٥١.

نجد من الألفاظ:

أولاً: "**الإدبار**"، قال عليه السلام: "**فَجَاهَدَ فِي اللَّه الْمُدْبِرِينَ عَنْه**"، والإدبار نقيض الإقبال. ومعناها: إعراضهم عن عبادة الله الواحد[1].

ثانياً: "**العادلين به**": يقال: عدلت الشيء بالشيء أعدله عدلا إذا ساويته[2]. وقد أورد ابن منظور[3] معان عدة لكلمة عدل منها: نظير، مثيل، وبصورة عامة تعني المساواة، والموازنة، والمماثلة، والمناظرة بين الشيئين لايشترط تساويهما في الجنس[4]. وجاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام: "**كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إذ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ**"[5]. وقد أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: "**أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**"[6]وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير آية ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ إنها جاءت ردا على مشركي العرب الذين قالوا: إن أوثاننا آلهة[7]، وهم قد جعلوا لله مثيلا يعبد، وساووا به غيره بأن جعلوا له أندادا[8].

ثالثاً: **الجهل**: من قوله عليه السلام: "**فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ... لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إذ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إذ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إذ أَنْكَرُوهُ**"[9].

---

(١) الجوهري: الصحاح ٢/ ٦٥٤. ابن منظور: لسان العرب: ٤/ ٢٦٨.
(٢) الطوسي: التبيان ٤/ ٧٥.
(٣) سورة الأنعام آية ١.
(٤) لسان العرب: ١١/ ٤٣٢. جثير: بيئة الرسول صلى الله عليه وآله ص ١٩٧.
(٥) نهج البلاغة ص ١٥٢.
(٦) سورة النمل آية ٦٠.
(٧) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٤٢. الطبرسي: الاحتجاج ١/ ٢٥. المجلسي: البحار ٩/ ٢٦٦.
(٨) الطوسي: التبيان ٤/ ٧٥.الطبرسي: مجمع البيان ٤/ ٧.
(٩) نهج البلاغة ص ٢٦٧.

إن الجهل: نقيض العلم[١]. تقول فلان جهل فلان حقه، وجهل عليّ وجهل بهذا الأمر، والجهالة: أن تفعل فعلا بغير علم[٢].

رابعاً: الجحود: من قوله عليه السلام: "**فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ..لِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إذ جَحَدُوهُ**"[٣]. الجحود: الإنكار مع العلم، وهو ضد الإقرار، ولا يكون إلا مع علم الجاحد بأنه صحيح، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[٤][٥].

وللمازندراني[٦] تعليق على ألفاظ (العلم) و(الإقرار) و(الإثبات) الواردة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في أعلاه إذ قال: "والظاهر أن المراد بالعلم العلم التصوري، والإقرار التصديق بوجوده، وبالإثبات الإقرار بوجوده لسانا، ففيه إشعار بأن العباد قبل البعثة لكونهم واغلين في الجهالة لم يدخل إلى قلوبهم تصور الصانع فضلاً عن الأخيرين، ويحتمل أن يراد بالعلم العلم بصفاته وبالإقرار التصديق بوجود ذاته وبالإثبات إثباتهما على نحو ما نطقت به ألسنة الشرع إذ بمجرد معرفة الذات والصفات بدون معرفة وجه الارتباط بينهما لا يتحقق معرفة الصانع والتوحيد المطلق".

وفي موضع آخر من كلامه عليه السلام يذكر مزيداً من المعتقدات، إذ يصفها قائلاً: "**بَيْنَ مُشَبِّه لِلَّه بِخَلْقِه أو مُلْحِدٍ فِي اسْمِه، أو مُشِيرٍ إلى غَيْرِه**"[٧]. التي سنأتي على بيانها لاحقا. وإنما ذكرناها هنا لتكتمل الصورة التي رسمتها كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المضمار.

إن تأمل النصوص السابقة يدل على تنوع عقيدة العرب في موقفها تجاه الله

---

(١) الفراهيدي: العين ٣/ ٣٩٠. الجوهري: الصحاح ٤/ ١٦٦٣.ابن فارس: معجم ١/ ٤٨٩. ابن منظور: لسان العرب ١١/ ١٢٩.

(٢) الفراهيدي: العين ٣/ ٣٩٠.

(٣) نهج البلاغة: ص ٢٦٧.

(٤) سورة النمل آية ١٤.

(٥) الجوهري: الصحاح: ١/ ٤٥١.ابن فارس: معجم: ١/ ٤٢٦. ابن منظور: لسان العرب: ٣/ ١٠٦.

(٦) شرح أصول الكافي: ١٢/ ٥٦٠.

(٧) نهج البلاغة: ص٢١.

سبحانه ما بين منكر وجاحد وجاهل وبين من جعل له ندا أو مثيلاً أو شبيهاً وغيرها. وإن هذه العقيدة المتباينة تستبطن اعترافا ضمنيا بوجود الله سبحانه وتعالى، وإن كان اعتقادهم مشوبا بالشرك.

ولكن لماذا هذا الجهل والإنكار والجحود بالله عز وجل؟

إن الجواب نجده حاضرا في مظان كلام أمير المؤمنين عليه السلام وهو يشخص سمات تلك الحقبة الزمنية على المستوى العقائدي التي كانت تتمحور بين الضلال والحيرة والجهل والفتنة، فقد ساد الناس سبات مقيت إثر غياب النبوات، وتطاول الزمن حتى اندرست الشريعة، وهذا ما أشار إليه عليه السلام في أكثر من موضع بقوله: "**أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ**"[١]. وما صاحب تلك الفترة من: "**طُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ... وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا وإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى**"[٢]، "**وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ**"[٣]، و "**وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ، وَغَبَاوَةٍ مِنَ الأُمَمِ**"[٤] وفي ذلك كله دلالة على الانحراف عن جادة الطريق، لجهل فيهم، وعدم فطنة لما ينبغي، فتخبطوا في الفتن بعد تصدع عرى الدين، واندراس شريعة المرسلين، وسادت الفرقة والاختلاف بينهم حتى صعب عليهم تلمس طريق الخلاص، إذ يقول عليه السلام: "**وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ**[٥] **فِيها حَبْلُ الدّينِ وَتَزَعْزَعَتْ سَوارِي**[٦] **الْيَقينِ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ**[٧] **وتَشَتَّتَ الأَمْرُ،**

---

(١) نهج البلاغة: ص ١٤٤، ١٧٦ ـ ١٧٧، ٢٥١، ٢٩٢.

(٢) نهج البلاغة: ص ١٤٤، ٢٩٢.

(٣) نهج البلاغة: ص ٢٩٢.

(٤) نهج البلاغة: ص ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٥) انجذم: انقطع: الزمخشري: اساس البلاغة: ص١١٤. ابن الأثير: النهاية: ١/ ٢٥٢. ابن منظور: لسان العرب: ١٢/ ٨٨.

(٦) سواري: جمع سارية وهي العمود والدعامة: ابن الأثير: النهاية: ٢/ ٣٦٥.

(٧) النَجْر: بفتح النون وسكون الجيم: الأصل: الفراهيدي: العين: ٦/ ١٠٦. ابن السكيت: ترتيب اصلاح المنطق: ص٣٧٥. الجوهري: الصحاح: ٢/ ٨٢٣.

وَضاقَ الْمَخْرَجُ وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ"[١] فعبارة "حبل الدين" ـ التي وردت بصيغة المفرد ـ إشارة إلى وحدة الدين الحق ووحدة المصدر الذي تستقي منه كافة أصول وتعاليم الأنبياء، وان شهدت هذه الأصول والتعاليم بعض الفوارق التي تفرزها طبيعة كل الزمان، وهذا ما يجوزه القرآن الكريم على لسان المؤمنين الصادقين بقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[٢].

وقوله عليه السلام: "**وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ**" لا يشير إلى الاختلافات التي شهدها ذلك العصر على أنها اختلافات صورية في تفرعاتها وأطيافها فحسب، بل كانت اختلافات أصولية وأساسية وجذرية[٣].

بل يمكن القول إن العبارة أشارت إلى معنى يتضمن تزلزل أركان الفطرة الإنسانية وأصولها التي جُبِل عليها من قبيل التوحيد وعشق الأعمال الصالحة والخيرة، الأمر الذي دعا إلى تلك الحالة من الفرقة والتشتت "**تَشَتَّتَ الأمر**" يمكن أن يكون إشارة إلى شدة الخلافات الدينية القصوى آنذاك[٤]. وإن من دواعي الفرقة والتشتت ما كان يسود المجتمع في تلك الفترة من جدل "**وَتَنازُعٍ مِنَ الأَلْسُنِ**"[٥] بين أصحاب الملل والمذاهب العقدية المختلفة بما فيهم عبدة الأوثان وأهل الكتاب ومن ليس له دين وعقيدة، فكلٌ يجادل بدافع التعصب لإثبات أحقيته، ولكن هذا الجدال كان مجرد تسطير للألفاظ الذي لم يرق إلى مستوى الحوار المنطقي، بل مجرد كلام لا شيء وراءه إلا الشحناء وإثارة الفتن والحروب[٦].

ثم إننا نجد في كلامه عليه السلام إشارة إلى المعطيات السلبية التي أفرزتها تلك

---

(١) نهج البلاغة: ص ٢٤.

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٥.

(٣) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ١/ ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٤) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ١/ ١٨٧.

(٥) نهج البلاغة: ص ٢٥١.

(٦) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ٥/ ٢٩٧. مغنية: في ظلال نهج البلاغة: ٢/ ٢٧٩.

الأوضاع المزرية فوصفها قائلاً: "فَالْهُدى خامِلٌ، وَالْعَمى شامِلٌ. عُصِيَ الرَّحْمنُ، وَنُصِرَ الشَّيْطانُ، وَخُذِلَ الإيمان، فَانْهارَتْ دَعائِمُهُ، وَتَنَكَّرَتْ مَعالِمُهُ، وَدَرَسَتْ[1] سُبُلُهُ، وَعَفَتْ شُرُكُهُ[2]"[3]. ثم أردف يخوض في بيان ما آل إليه حال الناس" أَطاعُوا الشَّيْطانَ فَسَلَكُوا مَسالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَناهِلَهُ[4]، بِهِمْ سارَتْ أَعْلامُهُ، وَقامَ لِواؤُهُ فِي فِتَنٍ داسَتْهُمْ بِأَخْفافِها[5]، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلافِها[6] وَقامَتْ عَلى سَنابِكِها[7]، فَهُمْ فِيها تائِهُونَ حائِرونَ جاهِلُونَ مَفْتُونُونَ"[8].

وفي مواضع أخرى يقول: "بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْواءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِياءُ، وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجاهِلِيَّةُ الْجَهْلاءُ، حَيارى فِي زَلْزالٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَبَلاءٍ مِنَ الْجَهْلِ"[9]، وقوله: "ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ،[10] وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ، قَدْ قادَتْهُمْ أَزِمَّةُ[11]

---

(١) درست: انطمست. ابن الانباري: الزاهر في معاني كلمات الناس: ص٣٢٣. الجوهري: الصحاح: ٦/ ٢٤٣٢.

(٢) الشرك جمع شراك وهي الطريق. الجوهري: الصحاح: ٤/ ١٥٩٤. ابن سيدة: المخصص: ٣/ ١/ ٢٠٨.

(٣) نهج البلاغة: ص ٢٤.

(٤) جمع منهل وهو مورد الماء. الفراهيدي: العين: ٤/ ٥١. ابن منظور: لسان العرب: ١١/ ٦٨١.

(٥) جمع خف وهو للبعير كالقدم للانسان. الفراهيدي: العين: ٤/ ١٤٣ ـ ١٤٤. الحربي: غريب الحديث: ٢/ ٨٥٣.

(٦) جمع ظلف وهو للبقر والشاة كالخف للبعير والقدم للانسان. الحربي: غريب الحديث: ٢/ ٨٥٣. الزمخشري: اساس البلاغة: ص٢٤٣.

(٧) جمع سنبك وهو طرف الحافر. الفراهيدي: العين: ٥/ ٤٢٧. ابن سلام: غريب الحديث: ٤/ ١٩٠. الجوهري: الصحاح: ٤/ ١٥٩٩.

(٨) نهج البلاغة: ص ٢٤.

(٩) نهج البلاغة: ص١٧٧ ـ ١٧٨.

(١٠) ضرب في الماء: سبح، وضرب في الأرض سار بسرعة وأبعد، والغمرة: الماء الكثير والشدة، وما يغمر العقل من الجهل. والمراد هنا شدة الفتن وبلاياها. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/ ١١٨.

(١١) جمع زمام، وهو ما تقاد به الدابة. ابن قتيبة: غريب الحديث: ١/ ١٧٩. ابن الانباري: الزاهر: ص٦٥٨.

الْحَيْنِ[١]، وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ"[٢] " يَحْيَوْنَ عَلى فَتْرَةٍ وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ"[٣].

الفترة:

مما ينبغي الوقوف عنده ما تكرر في حديثه عليه السلام عن تلك الفاصلة الزمنية التي كانت بين نبي الله عيسى عليه السلام والنبي محمد ﷺ التي عرفت بـ"الفترة"، إذ يقول عليه السلام: "**أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ**"[٤]، وهو عين ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[٥].

فعلة من فتر عن عمله، يفتر فتورا: إذا سكن فيه، والفترة: انقطاع ما بين النبيين، وفتر الماء: إذا انقطع عما كان عليه من البرد إلى السخونة، وامرأة فاتر الطرف: أي منقطعة عن حد النظر. والفتر: الانكسار والضعف، ومنه (فتر الحر) إذا انكسر وضعف[٦].

لقد اختلف في طول الفترة بين زمان النبي عيسى عليه السلام والنبي محمد ﷺ، فقيل أربعمائة سنة وبضع وثلاثون سنة، وقيل أربعمائة ونيف وستون سنة، وقيل خمسمائة وأربعون سنة، وقيل خمسمائة وستون سنة، وقيل ستمائة سنة[٧] ويرى ابن كثير[٨] إن القول الأخير هو الرأي المشهور. ومنهم من يقول ستمائة

---

(١) الحين: الهلاك. الفراهيدي: العين: ٣/ ٣٠٤. الجوهري: الصحاح: ٥/ ٢١٠٦.

(٢) نهج البلاغة: ص ٣٨٠ ـ ٣٨١.

(٣) نهج البلاغة: ص ٢٧٥.

(٤) نهج البلاغة: ص ١٤٤، ١٧٦ ـ ١٧٧، ٢٥١، ٢٩٢.

(٥) سورة المائدة آية ١٩.

(٦) الطريحي: مجمع البحرين: ٣/ ٣٥٧

(٧) الثعلبي: الكشف والبيان: ٤/ ٤٠. ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز: ٢/ ١٧٢. ابن الجوزي: زاد المسير: ٢/ ٢٥٦. القرطبي: الجامع: ٦/ ١٢٢. ابن حيان: البحر المحيط: ٣/ ٤٦٧. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٣٧. العيني: عمدة القارئ: ٥/ ٥٢.

(٨) تفسير: ٢/ ٣٧.

وعشرون سنة، والظاهر انه لا منافاة بينهما، فإن القائل الأول أراد ستمائة سنة شمسية، والآخر أراد قمرية.

إن قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الآنف الذكر بيان لبعض أمارات النبوة، فإن منها الزمان المتطاول الذي تندرس فيه الشريعة السابقة، والقوانين التي بها نظام العالم، ويحتاج الخلق إلى قوانين مجددة لنظام أحوالهم، وحينئذ تجب بعثة رسول[(١)].

إذن هذه الفترة شهدت غياب النبوات، فلم يكن بين النبي عيسى عليه السلام وبين النبي صلى الله عليه وآله نبي. وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام في مورد آخر من كلامه عن تلك الفترة بقوله: "**إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابا، وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلاَ وَحْيا**"[(٢)]. ومن خلال التأمل في كلام أمير المؤمنين عليه السلام يستوقفنا إشكالان:

الأول: ألا يتعارض ما ذكر أعلاه مع ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[(٤)].

الثاني: ورد في الأثر عن ابن عباس: "كان بين ميلاد النبي عيسى والنبي محمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة وتسع وستون سنة بعث في أولها ثلاثة أنبياء، وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾[(٥)]، وهو شمعون وكان من الحواريين"[(٦)].

---

(١) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٣/ ١٩٨.
(٢) نهج البلاغة: ص ١٩٢.
(٣) سورة فاطر آية ٢٤.
(٤) سورة النحل آية ٣٦.
(٥) سورة يس آية ١٤.
(٦) ابن سعد: الطبقات: ١/ ٥٣. ابن حيان الأندلسي: البحر المحيط: ٣/ ٤٦٧.

وعن الكلبي مثل قول ابن عباس إلا انه قال: "بينهما أربعة أنبياء، واحد من العرب من بني عبس وهو خالد بن سنان"[(١)] الذي نسب للنبي ﷺ أنه قال بحقه: "ضيعه قومه"[(٢)]. وفي هذا تعارض مع ما ذكر أعلاه في قوله عليه السلام: "وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابا، وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلاَ وَحْيا".

أما فيما يخص الإشكال الأول: فهناك عدة آراء:

الأول: إنه استثنى أمة النبي محمد ﷺ من الآية: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ فقالوا: "غير أمة محمد، فإنهم لم يجئهم رسول قبل محمد عليه السلام، ولا يجيئهم إلى يوم القيامة"[(٣)] وفي بعض التفاسير: "إلا العرب لم يكن لهم نبي سوى النبي"[(٤)] وهناك من قصر الأمر على الفترة الفاصلة بين نبوة عيسى عليه السلام والنبي محمد ﷺ مستدلين بقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[(٥)]. قال ابن عباس ومقاتل: المعنى: "لم يأتهم نذير في الفترة بين عيسى ومحمد"[(٦)]، فيما خص البعض الآخر "أهل مكة"[(٧)]، بل هناك من خص "قريش"[(٨)] من أهل مكة بأنهم من لم يأته النذير، استدلالا بالآية السابقة نفسها ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾.

أما أصحاب الرأي الثاني: فقد فسروا الآية ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾

---

(١) الزمخشري: الكشاف: ١/ ٦٠٣. الطبرسي: جوامع الجامع: ١/ ٤٨٧. القرطبي: الجامع: ٦/ ١٢٢.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف: ٧/ ٥٦٠. الكليني: الكافي: ٨/ ٣٤٢. الحاكم: المستدرك: ٢/ ٥٩٨. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٢/ ١٤٩.

(٣) مقاتل: تفسير: ٣/ ٧٦.

(٤) السمعاني: تفسير: ٤/ ٣٥٥. القرطبي: الجامع: ١٤/ ٣٤٠

(٥) سورة القصص آية ٤٦.

(٦) ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز: ٤/ ٣٥٧. الثعلبي: الكشف والبيان: ٧/ ٣٢٥. النسفي: تفسير النسفي: ٣/ ٢٣٩. ابن حيان الأندلسي: البحر المحيط: ٧/ ١١٧. الطوسي: التبيان: ٨/ ٢٩٣.

(٧) الثعلبي: الكشف والبيان: ٧/ ٢٥٢. البغوي: تفسير البغوي: ٣/ ٤٤٨. المحلي والسيوطي: تفسير الجلالين: ص ٥١٤.

(٨) الطبرسي: مجمع البيان: ٨/ ٩٨. الزمخشري: الكشاف: ٣/ ٢٤٠. ابن المنير الاسكندري: الإنصاف فيما تضمنه الكشاف: ٣/ ٢٤٠.

بأن دعوة الله تعالى قد عمت جميع الخلق، وان كان فيهم من لم تباشره النذارة فهو ممن بلغته، لأن آدم بعث إلى بنيه، ثم لم تنقطع النذارة إلى وقت محمد صلى الله عليه وآله[(١)]. وكانت العرب من الأمم التي خلت فيها النذر على هذا الوجه "أي بلغتهم النذارة وإن لم يكن بشكل مباشر، لأنها علمت بإبراهيم وبنيه وبدعوتهم، ولم يأتهم نذير مباشر لهم سوى محمد صلى الله عليه وآله"[(٢)].

وفريق آخر متفق مع هذا الرأي لكنه يرى إن الإنذار يكون في حال غياب النبي صلى الله عليه وآله لأن أوصياءه هم الذين يتولون مهمة تبليغ دعواه إلى الناس، فإن الأرض لا تخلو من حجة، فإن خلا الزمان من رسول فإنه لا يخلو من وصي رسول حاضرا أو غائبا، إذ لا يجوز ثبوت التكليف مع ارتفاع العصمة من المخلوقين من غير حجة ناطق أو ساكت[(٣)].

ويمكن القول أن الرأي الأول يرد عليه أن الآيات: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، وقوله ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾[(٤)]، في غاية الوضوح فلا يحتمل معه هكذا استثناء، فالأرض لا يمكن إن تخلو من حجة لله مطلقا، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "**لاَ تَخْلُو الأرض مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً لِئَلاَّ تَبْطُلَ حُجَجُ اَللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ**"[(٥)]، وأما عن قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي ما جاءهم رسول قبلك بتبديل شريعة، ولا تغيير ملة، ولم ينف عنهم الهداة والدعاة من الأوصياء، وكيف يكون ذلك وهو عز وجل يحكي عنهم في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾[(٦)]، فهذا

(١) ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز: ٤/٤٣٦.

(٢) الغرناطي: التسهيل: ٣/١٥٧. الثعالبي: الكشف والبيان: ٤/٣٢٦.

(٣) الراوندي: منهاج البراعة: ١/٣٧٠.

(٤) سورة النحل آية ٣٦.

(٥) نهج البلاغة: ص٦٨٦ ـ ٦٨٧.

(٦) سورة فاطر الآية ٤٢.

يدل على انه قد كان هناك هاد يدلهم على شرائع دينهم لأنهم قالوا ذلك قبل أن يبعث محمد ﷺ[١].

وأما عن التعارض بين هذه الآية وآية ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، فيمكن أن يقال: إن معنى جملة ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ هو إن كل أمة كان لها نذير إلا أنه لا يلزم حضوره بنفسه في كل مكان، بل يكفي أن يصل صوت دعوة أنبياء الله العظام بواسطة أوصيائهم إلى إسماع كل البشر في العالم. وهذا يشبه قولنا: إن كل أمة كان لها نبي من أولي العزم، ولها كتاب سماوي، فمعنى هذا الكلام إن صوت هذا النبي وكتابه السماوي قد وصل عن طريق وكلائه وأوصيائه لكل تلك الأمة على طول التاريخ[٢].

وهناك آيتان في نفس السياق وذات نفس المعنى قد تبدو كل منهما في محل تعارض مع الآية ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وهما:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾[٣]. فقد مر بنا إن آية ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ تعني إن كل أمة من الأمم السالفة كان لها نذير. ولكن ليس معنى هذا الكلام أن يبعث الله في كل مدينة أو منطقة رسولا، بل يكفي أن تبلغ دعوة الرسل وكلامهم أسماع المجتمعات المختلفة، إذ يقول القرآن: ﴿خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، ولم يقل: (خلا منها نذير) وعليه فلا منافاة بين هذه الآية التي تقول ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ التي يقصد منها كون المنذر منهم[٤].

ثانياً: قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾[٥]. أي لم تنذر

(١) الصدوق: كمال الدين: ص ٦٦٧ ـ ٦٦٨.
(٢) ناصر مكارم الشيرازي: تفسير الأمثل: ١٣/ ٩٤.
(٣) سورة سبأ آية ٤٤.
(٤) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: ١٤/ ٧٠.
(٥) سورة يس آية ٦.

آباءهم، على ما روي عن قتادة، فما هنا نافية، والجملة صفة (قوما) مبينة لغاية احتياجهم إلى الإنذار. والمراد بآبائهم آباؤهم الأدنون، وإلا فالأبعدون قد أنذرهم إسماعيل عليه السلام وبلغهم شريعة إبراهيم عليه السلام. وقد كان منهم من تمسك بشرعة على أتم وجه ثم تراخى الأمر وتطاول المدد فلم يبق من شريعته عليه السلام إلا الاسم. والدعاء إلى الله لم ينقطع عن كل أمة، إما بمباشرة من أنبيائهم وأما بنقل إلى وقت بعثته نبيا صلى الله عليه وآله، والآيات التي تدل على أن قريشا ما جاءهم نذير معناها لم يباشرهم ولا آباءهم القريبين، وأما إن النذارة انقطعت فلا، ولما شرعت آثارها تندرس بعث النبي صلى الله عليه وآله. وما ذكره المتكلمون من حال أهل الفترات فهو على حسب الغرض. وعليه فالمعنى ما أنذر آباءهم رسول أي لم يباشرهم بالإنذار لا أنه لم ينذرهم منذر أصلا، فيجوز أن يكون قد أنذرهم من ليس بنبي. فلا منافاة بين ـ ما ـ هنا وبين قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، وليس في ذلك إنكار الفترة المذكورة في قوله تعالى ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾[1]، لأنها فترة إرسال وانقطاعها زمانا لا فترة إنذار مطلقا[2]. وقال فخر الدين الرازي[3] وهو ينفي التعارض بين الآيتين أعلاه: "فوجوب بعث النذير لكل أمة لا يوجب أن يكون الرسول حاضرا مع القوم لأن تقدم الرسول لا يمنع من كونه رسولا إليهم، كما لا يمنع تقدم رسولنا مع كونه مبعوثا إلينا إلى آخر الأبد".

أما فيما يخص الإشكال الثاني، حول وجود أنبياء سبقوا بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله في الفترة ما بينه وبين عيسى عليه السلام فيرده الدليل القرآني في أعلاه، فضلاً عن الأدلة الآتية:

---

(١) سورة المائدة آية ١٩.

(٢) الالوسي: روح المعاني: ٢٢/٥٢٧ ـ ٥٢٨.

(٣) الرازي: مفاتيح الغيب: ١٧/١٠٦.

١ ـ قال النبي الأعظم ﷺ: "أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات[١]، ليس بيني وبينه نبي"[٢].

٢ ـ قول أمير المؤمنين عليه السلام: "**إِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدا صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابا، وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلاَ وَحْيا**"[٣]. ولعل هذا هو ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾[٤].

وهنا يستوقفنا إشكالان:

الأول: ما معنى قوله عليه السلام: "**وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابا**" هل في قوله هذا إطلاق شامل لكل العرب؟ أليس في العرب من كان على دين اليهودية والنصرانية؟ وبالتالي أتباع شريعة سماوية ولديهم كتب سماوية كالتوراة والإنجيل؟ أم انه عنى بالعرب فقط مشركي مكة؟ وللجواب يمكن القول إن العبارة إشارة إلى الأغلبية الساحقة من العرب آنذاك التي كانت تعبد الأوثان والأصنام، وقد تناست دعوة الأنبياء السابقين. وبناءً على هذا فليس هناك من منافاة بين هذا الحكم العام الناظر للأغلبية العظمى، ووجود الأقليات الدينية آنذاك كاليهود والنصارى. أضف إلى ذلك فإن الأقلية اليهودية كانت مهاجرة أتت إلى الحجاز من الشام كما قدمت الأقلية النصرانية من اليمن، فهما لا ينتميان إلى العرب[٥].

ثانياً: نعم كان الخطاب شاملا للعرب وبضمنهم اليهود والنصارى وكتبهم (التوراة والإنجيل)، ولكن إشارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تعني الكتب

---

(١) هم الذين من أب واحد ولأمهات شتى، فالمراد إن الأنبياء إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة. ابن سيدة: المخصص: ٤/١/٢٠٩، الزمخشري: أساس البلاغة: ص٦٥٣، ابن الأثير: النهاية: ٣/٢٩١، ابن منظور: لسان العرب: ١١/٤٧٠.

(٢) البخاري: الصحيح: ٤/١٤٢. ابن حبان: الصحيح: ١٥/٢٣٣. الطبراني: المعجم الأوسط: ٥/١٤٢، المعجم الصغير: ١/٢٥٧. ابن عبد البر: التمهيد: ١٤/٢٠٢. السيوطي: الجامع الصغير: ١/٤١٥

(٣) نهج البلاغة: ص ١٩٢.

(٤) سورة سبأ آية ٤٤.

(٥) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ٤/٢٨١.

السماوية غير المحرفة، وهذا ما أشار إليه عليه السلام في موضع آخر بقوله: "**أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ وَبَيَّنَ بِهِ الأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ**"[(١)].

وفي هذا دلالة على التزييف الذي دخل الشرائع السماوية، وبذا يكون الكتاب الموجود ليس كتابا سماويا يعول عليه في بيان الأحكام، وإن شرعة ليس بواجب الإتباع للتحريف الذي ناله، يقول تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾[(٢)].

أما حمل معنى "لا يقرأ كتاباً" على عدم معرفة العرب بالقراءة والكتابة، فهذا مما لا ينطبق مع الواقع فقد كان في عند العرب آنذاك من يحسن القراءة والكتابة والأدلة على ذلك كثيرة[(٣)]، هذا فضلاً عن إن العبارة التي تلي هذه العبارة ـ من كلام الإمام السابق ـ على الخلاف من ذلك[(٤)].

وإما قوله عليه السلام: "ولا يدعي نبوة ولا وحيا"، فيبدو انه اقتباس من الآية الشريفة ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾[(٥)]. وهنا يمكن طرح تساؤلين:

الأول: ألا يتعارض مفهوم الآية وكلام الإمام أعلاه مع قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾؟ وجوابه قد مر فيما سبق وتبين عدم التعارض بينهما.

الثاني: إن الإمام عليه السلام ينفي في كلامه أعلاه وجود نبوات متصلة بالسماء في تلك الفترة، وهذا يخالف ما مر ذكره من وجود ثلاثة أنبياء من بني إسرائيل، ونبي رابع من العرب يدعى خالد بن سنان العبسي، فأما عن أنبياء بني إسرائيل، فيرجح كونهم أوصياء للسيد المسيح عليه السلام ولا سيما مع خلو تلك الفترة من النبوات. وأما

---

(١) نهج البلاغة: ص ٣٠٢.

(٢) سورة الأنعام آية ٩١.

(٣) ينظر: هاشم يونس عبد الرحمن: الحياة الفكرية في الجزيرة العربية: ص١١٦، ١١٨ ـ ١٢٣، ١٢٩ ـ ١٣٣. النصرالله: الجاهلية: ص ٥ ـ ٨.

(٤) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ٤/ ٢٨٢.

(٥) سورة يس آية ٦.

عن خالد بن سنان العبسي فسوف نقف بشيء من التحليل عند الروايات التي ذكرته وتناولت قصة نبوته لكي نخرج برأي اقرب للواقع.

يروي ابن شبة النميري: "عن عكرمة عن ابن عباس (إن رجلاً من بني عبس يقال له: خالد بن سنان، قال لقومه: أنا اطفي عنكم نار الحدثان[١]، فقال له عمارة بن زياد[٢] - رجل من قومه -: والله ما قلت لنا يا خالد قط إلا حقا. فما شأنك وشأن نار الحدثان تزعم انك تطفأها؟ قال: فانطلق وانطلق معه عمارة بن زياد مع ناس من قومه حتى أتوها، وهي تخرج من شق جبل من حرة، يقال لها حرة أشجع[٣]، قال: فخط لهم خطة، فأجلسهم فيها، وقال لهم: إن أبطأت عنكم، فلا تدعوني باسمي. قال: فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها، فاستقبلها خالد، فجعل يضربها بعصاه ويقول: "بدا بدا، كل

(١) قال البلاذري تحت عنوان: - خبر نار الحدثان: قال هشام ابن الكلبي عن أبيه: كان خالد بن سنان بن عيث بن مريطة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة فيما يقال نبياً يوحى إليه، وكان حرّة الحدثان تأجّج بالليل نارا، فإذا كان النهار صارت النار دخانا يسطع، وكانت تلك النار قد أضرت بالناس، وربما خرج منها العنق فساح فلا يمر بشيء إلّا أكله، فأتى خالد بن سنان بني عبس فقال لهم: إن الله قد أمرني بإطفاء هذه النار فليقم معي من كل بطن منكم رجل، فكان عمارة بن زياد، أخو الربيع ممن قام معه، فانتهى بهم إلى طرف الحرة فإذا عنق من النار قد خرج على خالد ومن معه فصاروا منه في مثل كفة الميزان، ثم جعل العنق يدنو فقالوا: يا خالد أهلكتنا فقال: كلا وجعل يضرب النار بالدّرّة ويقول: بدّا بدّا كل هدي للّه مؤدّى، أنا عبد الله، أنا خالد بن سنان، فتراجع ذلك العنق يتخلل الحرة حتى انتهى إلى قليب في وسط الحرة فانساب فيه، وانقدم عليه خالد، وعليه إزار ورداء فمكث مليا، فقال ابن عم لخالد يقال له عروة بن سنّة بن عيث بن مريطة: لا يخرج منها أبدا، فما كان أن أسرع من أن خرج وثوباه ينطفان عرقا وهو يقول: زعم ابن راعية المعزى أن لا أخرج، وجلدي يندى، فسمّوا بني راعية المعزى إلى اليوم، وطفئت النار إلى اليوم. وكان إذا قحط الناس، وأمسك القطر خرج خالد حتى يأتي صخرة فيغشّيها بثوبه، ثم يقوم فيدعو الله فيمطرون ما دام الثوب على الصخرة، فإذا كشف الثوب عنها انقشع السحاب. أنساب الأشراف: ١٣/ ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) عمارة بن زياد بن سفيان بن عبدالله ابن ناشب العبسي: من رؤساء القادة في الجاهلية. كان كثير المال، واسع الجود. إلى على نفسه ألا يسمع صوت أسير ينادي في الليل إلا افتكه. وكان أخا ثلاثة (الربيع، وقيس، وأنس) كل واحد منهم قد رأس في الجاهلية وقاد جيشا. وكان عمارة يلقب بالوهاب ويقال له أيضاً "دالق" بمعنى دلق الغارة وشنها على العدو. وقتله شرحاف بن المثلم الضبي. الزركلي: الاعلام: ٥/ ٣٧

(٣) حرة أشجع: بين مكة والمدينة. البكري: معجم ما استعجم: ٢/ ٤٣٥.

هدى مؤدى، زعم ابن راعية المعزى أني لا اخرج منها، وثيابي تندى"، حتى دخل معها الشعب، قال ـ فأبطأ عليهم، فقال عمارة بن زياد: والله لو كان صاحبكم حيا لخرج إليكم (بعد)، فقالوا له: إنه نهانا أن ندعوه باسمه، قال: ادعوه باسمه فو الله لو كان صاحبكم حيا لخرج إليكم بعد، قال: فدعوه باسمه، قال: فخرج وهو آخذ برأسه، فقال: ألم أنهكم إن تدعوني باسمي؟ قد والله قتلتموني، احملوني وادفنوني، فإن مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر، فانبشوني، فإنكم ستجدوني حيا (فأخبركم بما يكون)، قال: فدفنوه، فمرت به الحمر فيها حمار أبتر، فقالوا: ننبشه فإنه قد أمرنا أن ننبشه، فقال عمارة: لا تحدث مضر: إنا ننبش موتانا، والله لا تنبشونه أبدا، قال: وقد كان خالد أخبرهم إن في عكم[1] امرأته لوحين، فإذا أشكل عليكم أمر، فانظروا فيهما، فإنكم سترون ما تسألون عنه، قال: ولا تمسهما حائض ـ فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما، فأخرجتهما وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم، قال أبو يونس: فقال سماك بن حرب: إن ابن خالد بن سنان، أو بنت خالد أتى، أو أتت[2] النبي صلى الله عليه وآله فقال: مرحبا بابن أخي أو ابنة أخي"[3].

إن الذي يمكن ملاحظته على هذه الرواية ما يأتي:

أ ـ ليس في رواية ابن عباس ما يشير إلى أن خالد بن سنان كان نبيا، وإن كان ما جاء في ذيل الرواية التي ألحقها به ابن شبة عن أبي يونس عن سماك بن حرب فيه إشارة إلى نبوته.

ب ـ أشارت الرواية إلى إن خالد بن سنان هو من قال لقومه: انه سيطفئ نار الحدثان، بينما جاءت روايات أخرى مخالفة لما ذكر من ناحيتين:

---

(١) عكم: نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها، عكم المتاع يحكمه عكما: شده بثوب، وهو أن يبسطه ويجعل فيه المتاع ويشده. ينظر الفراهيدي: العين: ١/ ٢٠٨. الجوهري: الصحاح: ٥/ ١٩٨٩. ابن منظور: لسان العرب: ١٢/ ٤١٥

(٢) بالأصل أتيت. والتصحيح من المقوم اللغوي.

(٣) تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢١ ـ ٤٢٣. وانظر الحاكم: المستدرك: ٢/ ٥٩٨ ـ ٥٩٩. الطبراني: المعجم الكبير: ١١/ ٢٣٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ٢/ ٢٦٩، السيرة النبوية: ١/ ١٠٤ ـ ١٠٥. ابن حجر: الإصابة: ٢/ ٣١١. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٨/ ٢١٣.

الأولى: فيما يخص إطفاء النار، فهنا خالد هو الذي تطوع لإطفائها، بينما في رواية ثانية إن الله هو الذي أمره بإطفائها.

إلا أن يكون قد أمره في الرواية السابقة إلا انه لم يصرح بذلك. وفي رواية ثالثة: انه اشترط على قومه إن هو أطفاها أن يؤمنوا به نبيا[(١)]. وفي رواية رابعة تذكر أن خالدا لما دعا قومه للإيمان به كذبوه، وقال له رجل من قومه يدعى (قيس بن زهير)[(٢)]: "إن دعوت فاسلت هذه الحرة علينا نارا ـ فانك إنما تخوفنا بالنار ـ اتبعناك، وإن لم تسل نارا كذبناك"، فتوضأ ودعا الله أن يسيل عليهم الحرة نارا، وإذا بهم بعد أن اشتعل أوارها يعودون فيطلبوا منه ردها[(٣)].

الثانية: أما ما يخص النار، فقد اختلفت الروايات بشأنها من عدة أمور:

١ ـ مكانها: فالرواية تقول: أنها في حرة أشجع، ورواية ثانية قالت: أنها في أرض الحجاز، بأرض بني عبس[(٤)]، وقيل: في أرض قريب من أرض عبس[(٥)]، وقيل: في ناحية خيبر من حرة[(٦)] النار[(٧)].

---

(١) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢٥. الراوندي: قصص الأنبياء: ص ٢٧٥. المجلسي: البحار: ١٤/ ٤٤٩.

(٢) هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسي الفارس المشهور الذي كانت على يديه حرب داحس والغبراء بين عبس وفزارة، اختلف في وفاته هل قبل البعثة أم ادرك عهد عمر بن الخطاب ؟. ينظر: أبو الفرج: الاغاني: ١١/ ٦٦، ٨٢، ١٠٣، ١٥/ ٣٧، ١٧/ ١٢٤.

(٣) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢٧.

(٤) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٣٠.

(٥) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢٥.

(٦) حرة النار: ذكر ياقوت: (حرة سليم: هو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، قال أبو منصور: حرة النار لبني سليم وتسمى أم صبار، وفيها معدن الدهنج، وهو حجر أخضر يحفر عنه كسائر المعادن، وقال أبو منصور: حرة ليلى وحرة شوران وحرة بني سليم في عالية نجد...) وذكر في موضع آخر: (حرة النار: بلفظ النار المحرقة: قريبة من حرة ليلى قرب المدينة، وقيل: هي حرة لبني سليم، وقيل: هي منازل جذام وبلي وبلقين وعذرة، وقال عياض: حرة النار المذكورة في حديث عمر هي من بلاد بني سليم بناحية خيبر، ... وفي كتاب نصر: حرة النار بين وادي القرى وتيماء من ديار غطفان، وسكانها اليوم عنزة، وبها معدن البورق، وهي مسيرة أيام،... قال: وأم صبار اسم الحرة). معجم البلدان: ٢/ ٢٤٦ .٢٤٩.

(٧) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢٤.

٢ ـ موعد خروجها: لقد اختلف في موعد خروجها، هل كل يوم[١]، أو تأتيهم كل سنة، وتخرج في وقت معلوم[٢].

٣ ـ وصفها: كذلك اختلفت الروايات في وصفها: فرواية تقول: (سالت عليهم نار من حرة النار في ناحية خيبر والناس في وسطها، وهي تأتي من ناحيتين جميعا، وإنها تخرج من غار"[٣]. وفي وراية ثانية "نار الحرتين كانت ببلاد عبس، وإذا كان الليل تسطع من الماء، وكانت بنو طي تتنفس منها إبلها من مسيرة ثلاث، وربما بدرت منها عنق، فتاتي كل شيء يقربها فتحرقها، وإذا كان النهار كانت دخانا"[٤]. أو أنها تخرج من كهف أو شق جبل أو بئر أو غار.

٤ ـ كيفية إطفائها: هنا تتباين الروايات في كيفية إطفائها من قبل خالد بن سنان، وهذه الروايات هي:

ـ **الأولى**: "خرج إليها يضربها بسوطه حتى رجعت من الشق الذي خرجت منه وثيابه تندى"[٥].

ـ **الثانية**: أنه قال لقومه: "فليقم معي من كل بطن رجل... [قال الراوي]: فخرج بنا حتى انتهى إلى النار، فخط خطا على من معه، ثم قال: إياكم أن يخرج أحد منكم من هذا الخط فيحترق، ولا ينوهن باسمي، فأهلك، قال: فخرج عنق من النار، فأحدق بنا حتى جعلنا مثل كفة الميزان، وجعل يدنو منا حتى كاد يأخذ بأفواهنا، وخرج يتبعها حتى ألجأها في بئر في وسط الحرة منها تخرج النار، فانحدر فيها خالد، وفي يده درة، فإذا هو بكلاب تحتها فرضهن بالحجارة، وضرب حتى أطفأها الله على يده. ومعهم ابن عم له يقال له

---

(١) الراوندي: الخرائج والجرائح: ٢/ ٩٥١، قصص الأنبياء: ص ٢٧٥.

(٢) الكليني: الكافي: ٨/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣. المجلسي: البحار: ١٤/ ٤٤٨. النمازي: المستدرك: ٣/ ١٤٥.

(٣) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢٤.

(٤) ابن حجر: الإصابة: ٢/ ٣١٠ ـ ٣١١. النمازي: المستدرك: ١٠/ ١٨٠.

(٥) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٣٠.

عروة بن سنان بن غيث وأمه رقاش بنت صباح من بني ضبة، فجعل يقول هلك خالد، فخرج وعليه بردان ينطفان ماء من العرق وهو يقول: بدا بدا كل هدى لله مؤدى أنا عبدالله أنا خالد بن سنان، كذب ابن راعية المعزى، لأخرجن منها، وجلدي يندى. فسمي بنو عروة ببني راعية المعزى، فهو اسمهم إلى اليوم "[١].

- **الثالثة**: "فقال لهم العبسي: ابعثوا معي إنسانا حتى أطفأها من أصلها، فخرج معه راعي غنم هو ابن راعية، حتى جاء غارا تخرج منه النار، ثم قال العبسي للراعي: أمسك ثوبي، ثم دخل في الغار، فقال: هديا هديا، كل يهن مؤدى، زعم ابن راعية الغنم، إني سأخرج، وثيابي لا تندى، قال وهو يمسح العرق عن جبينه: عودي بدا كل شيء مؤدى، لأخرجن منها، وجسدي يندى "[٢].

- **الرابعة**: "فأخذ عسيبا[٣] من نخل رطب، فدخل النار وهو يضربها بالقضيب وهو يقول: باسم رب الأعلى، كل هدى مؤدى، زعم ابن راعية المعزى، أن لا أخرج منها وثيابي تندى. فما من شيء أصابه ذلك العسيب إلا انطفئ فأطفأها "[٤].

- **الخامسة**: "فتناول عصا ثم استقبلها بعد ثلاث ليال فدخل فيها، فضربها بالعصا ويقول: هدا هدا كل خرج مؤدى، زعم ابن راعية المعزى أن لا أخرج منها وجبيني يندى، فلم يزل يضربها حتى رجعت "[٥].

- **السادسة**: "فاحتفر لها سربا ثم أدخلها فيه، والناس ينظرون ثم اقتحم فيها حتى غيبها، فسمع بعض القوم وهو يقول هلك الرجل، فقال خالد: كذب

---

(١) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٣١ ـ ٤٣٢.
(٢) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢٤.
(٣) العسيب: سعف النخيل. ابن سلام: غريب الحديث: ٤/ ١٥٦.
(٤) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢٥
(٥) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢٧

ابن راعية المعزى، وخرج يرشح جبينه عرقا وهو يقول: عودي بدا كل شيء يؤدى لأخرجن منها وجسدي يندى"[١].

ـ **السابعة**: "قال: فجاءت فاستقبلها بثوبه، ثم تبعها حتى دخلت كهفها، ودخل معها، وجلسوا على باب الكهف وهم يرون أن لا يخرج أبدا، فخرج وهو يقول: هذا هذا وكل هذا من ذا، زعمت بنو عبس إني لا أخرج وجبيني يندى"[٢].

ـ **الثامنة**: "فاستقبلها فردها بثوبه[٣]، حتى أدخلها غارا وهم ينظرون، فدخل معها، فمكث حتى طال ذلك عليهم، فقالوا: إنا لنراها قد أكلته، فخرج منها"[٤].

نلاحظ على ما جاء في هذه الروايات:

١ ـ انها متباينة في المكان الذي خرجت منه النار هل من بئر، أو شق حبل، أو غار، أو كهف؟.

٢ ـ تباين الروايات بماذا ضربها هل ضربها بسوطه أو بعصاه، أو درته، أو عسيبا من نخل رطب، أو استقبلها بيده أو بثوبه، أو أقحم نفسه فيها؟!

٣ ـ من هو الذي اصطحبه معه؟ ففي رواية اصطحب معه من كل بطن رجلاً، وفي ثانية حددت عددهم ٣٠ رجلاً، وفي ثالثة راعي الغنم وحده، وفي رابعة طلب أن يبعث معه شخص لم تعرفه الرواية، وفي أخرى أنه واجه النار أمام مرأى من الناس كلهم!!

٤ ـ نلاحظ الاختلاف حول من نعته بابن راعية المعزى الذي شكك

---

(١) ابن حجر: الإصابة: ٢/ ٣١١. النمازي: المستدرك: ١٠/ ١٨٠.

(٢) الكليني: الكافي ٨/ ٣٤٢.

(٣) وفي رواية (بيده) ينظر: الراوندي: الخرائج: ٢/ ٩٥١.

(٤) الرواندي: قصص الأنبياء: ص ٢٧٥.

بخروجه تارة عروة بن سنان بن غيث، وتارة عمارة بن زياد، وفي باقي الروايات لم تصرح باسمه!!.

٥ ـ بل إن التباين طال حتى الكلمات التي رددها والتي أدخلها أحد الباحثين في إطار ـ الكلام النبوي ـ!!![١] رغم ركاكتها!!

٦ ـ أوردت بعض الروايات تفاصيل مطولة غابت عن الروايات الأخرى!! فهل آثر بعض الناقلين الاختصار؟!! أم إن الآخرين أضافوا بعض الزيادات التي ألبست القصة زيها الأسطوري؟!!

ج ـ الغريب أن تأتي رواية أخرى تستبدل قصة النار بقصة (طائر) يفتك بالبشر ليواجهه خالد بن سنان بدعائه فيقضي عليه، فعن ابن عباس: إن الله خلق في زمان موسى عليه السلام طائرا اسمه العنقاء، لها أربعة أجنحة من كل جانب، وجهها كوجه الإنسان، وأعطاها من كل شيء حسن قسطا، وخلق لها ذكرا مثلها، وأوحى إليه إني خلقت طائرين عجيبين، وجعلت رزقهما في الوحوش التي حول بيت المقدس، وآنستك بهما وجعلتهما زيادة فيما فضلت به بني إسرائيل. فتناسلا وكثر نسلهما. فلما توفي موسى عليه السلام انتقلت فوقعت بنجد والحجاز، فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان إلى أن تنبأ خالد بن سنان العيسى[٢] بين عيسى ومحمد. فشكوها إليه، فدعا الله تعالى، فانقطع نسلها وانقرضت"[٣].

د ـ ثم تأتي رواية أخرى بقصة مغايرة فتروي "قال خالد بن سنان: يا بني عبس، إن كنتم تحبون أن تغلبوا العرب، ولا تغلبنكم فخذوا هذه الصخرة فاحملوها، فإذا لقيتم عدوا فاطرحوها بينكم، فأنكم لا تزالون غالبين ما كانت الصخرة معكم، واسم الصخرة (وماس)، فحملتها بنو عبس يتعاقبونها، فإذا

---

(١) محمد مهدي السويج: في النبوة والأنبياء الستة العرب: ص ٢٠٦.

(٢) هكذا وردت في الأصل ولعل المقصود: العبسي.

(٣) الزمخشري: ربيع الأبرار: ٤/٥٣٦. ابن كثير: البداية والنهاية: ١٣/١٠١. المجلسي: البحار: ٦٢/ ٢٤٣.

كانت الحرب سعى بها الغلام الشاب، فإذا لم يكن حرب كان جهدها يقلها أربعون رجلاً، قال: فدار حملها يوماً على بني بجاد من بني عبس، فقال لهم قيس بن زهير: يا بني عبس، أما تعرفنا العرب إلا بصخرة ورثناها خالد بن سنان؟ ألقوها فلا تحملوها، فحفروا لها حفيراً من الأرض فدفنوها، فلقيتهم بنو فزارة فقتلوهم، فكروا يطلعون الصخرة، فلما حفروا عنها صارت نارا، فتركوها فلن يقدروا عليها. فقال الحطيئة يهجوهم:

لعن الإله بني نجاد أنهم لا يصلحون وما استطاعوا فسدوا
برد الحمية واحد مولاهم جمد على من ليس فيه مجمد[1]

فرماس هنا صخرة لكنها في رواية ثانية هي عين ماء[2].

أما قيس بن زهير المذكور سابقاً هو نفسه الذي سبق ذكره بأنه طلب من خالد بن سنان أن يسيل الحرة نارا عليهم، فهل تكرر موقفه المعارض للعبسي هنا؟ أم قصته هذه بديلة عن تلك القصة؟!!

هـ ـ ثم إن بعض الروايات تشير إلى أن خالدا قد امتحن قومه في مسألة مغايرة إذ طلب منهم أن يدفنوه وبعد مدة ينبشوا قبره، فيجدوه حيا فيسألوه عما شاءوا، أو هو يخبرهم بما هو كائن إلى يوم القيامة ولكنهم لم يفعلوا، وقد وردت عدة اختلافات في هذه القصة بين مروياتها من عدة جهات وهي:

١ ـ انه مات إثر حادثة إطفاء النار كما مر بنا حين نهاهم أن ينادوه باسمه، فلم يلتزموا بذلك فخرج يحمل رأسه، وفي رواية انه قد حضرته الوفاة بشكل طبيعي وقد حدد لهم وقتا لموته[3].

٢ ـ إنه أعطاهم دلالة على أثرها يقوموا بنبش قبره بعد ثلاث، هذه الدلالة

---

(١) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/٤٢٨.
(٢) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/٤٢٩.
(٣) الراوندي: الخرائج: ٢/٩٥١.ابن الأثير: الكامل: ١/٣٧٦.

هي مجيء "عانة[١] فيها حمار أبتر"[٢] أو "عيراً يطوف بقبري"[٣] أو "عير أشهب يقود عانة من الحمر"[٤] أو "عير أقمر"[٥].

٣ ـ وفي رواية أنه لم يشترط مرور هذا الحيوان الذي يحفر قبره أو يطوف عليه أو يقف عنده، بل اكتفت: "ادفنوني ثم دعوني ثلاثة أيام ثم انبشوا عني ثم سلوني"[٦].

٤ ـ أما الذي نهى القوم عن نبش قبره لئلا تكون سبة عليهم بين العرب، فأيضا اختلفت الروايات ما بين: "أهل بيته وبني عمه"[٧] أو "قيس بن زهير"[٨] أو عمارة بن زياد"[٩] أو سليط بن مالك بن زهير بن جذيمة[١٠] أو بعض من قومه[١١]وقيل أنهم: "اجتمعوا وأرادو نبشه ثم قالوا: ما آمنتم به من حياته...."[١٢] وفي رواية إن قومه اختلفوا فصاروا فرقتين، وصار ابنه عبدالله في الفرقة التي أبت إن تنبشه وهو يقول: إذا فعلتم ادعى ابن المنبوش فتركوه[١٣].

---

(١) هي مجموعة الحمر الوحشية. ينظر: ابن سلام: غريب الحديث: ٤/ ٢٢٢. الجوهري: الصحاح ٤/ ١٧٠٤. الجواليقي: شرح أدب الكاتب: ص٢١٧. ابن منظور: لسان العرب: ٤/ ٣٢، ١١/ ٢٧٢.

(٢) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٣٢. الكليني: الكافي: ٨/ ٣٤٢ـ ٣٤٣، ابن كثير: البداية: ٢/ ٢٦٩. ابن حجر: الإصابة: ٢/ ٣١٢. المجلسي: البحار: ١٤/ ٤٤٨.

(٣) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٣١١.

(٤) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢٦.

(٥) ابن الأثير: الكامل: ١/ ٣٧٦.

(٦) الراوندي: الخرائج: ٢/ ٣١١.

(٧) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦.

(٨) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢٨.

(٩) ابن كثير: البداية والنهاية: ٢/ ٢٦٩، السيرة النبوية: ١/ ١٠٥. ابن حجر: الإصابة: ٢/ ٣١٢.

(١٠) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٣٣.

(١١) الراوندي: قصص الأنبياء: ص ٢٧٥.

(١٢) الكليني: الكافي: ٨/ ٣٤٢. المجلسي: البحار: ١٤/ ٤٤٨.

(١٣) الجاحظ: الحيوان ٤/ ١٦٣. ابن حجر: الإصابة: ٢/ ٣١١.

٥ ـ أما عن مكان دفنه، فتشير رواية إلى إنه أمر بدفنه "على هذه الأكمة[١]"[٢]، وفي رواية ثانيه: "في حقف[٣] من هذه الاحقاف"[٤].

ومن غريب ما روي عن "أبي الإصبع عبد الملك بن نصر وغيره يذكرون إن بينهم وبين القيروان بحرا في وسط جبل لا يصعده أحد وإن طريقها في البحر على الجبل، وإنهم رأوا في أعلى الجبل في غار هناك رجلاً عليه صوف أبيض وهو مختب في صوف أبيض ورأسه بين يديه كأنه نائم لم يتغير منه شيء. وأن جماعة أهل تلك الناحية يشهدون انه خالد بن سنان"[٥].

وقد علق ابن حجر[٦]على هذه الرواية: "قلت وشهادة أهل تلك الناحية بذلك مردودة، فأين بلاد بني عبس من جبال المغرب؟ "

وتضيف بعض الروايات كرامات أخرى إلى خالد بن سنان تتلخص بـ:

الأولى: إنه "جمع عبسا فقال: يا عشيرتاه احفروا هذه القاع، فحفروا فاستخرجوا حجرا فيه خط دقيق (قل هو الله أحد الله الصمد) السورة كلها، فقال: احفظوا هذا الحجر فإذا أصابتكم سنة أو قحطتم فاخمروه بثوب ثم أخرجوه فإنكم تسقون ما دام مخمرا فإذا كشفوه أقلعت السماء"[٧].

لكن هل هذا الحجر هو "رماس" أم غيره؟ وكيف يصح إن سورة

---

(١) الأكمة: تل من قف حجر واحد، وقيل هو الموضع الذي هو اشد ارتفاعا مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجرا. ويقال: هو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد فربما غلظ وربما لم يغلظ. الفراهيدي: العين: ٥/ ٤٢٠. ابن منظور: لسان العرب: ١٢/ ٢٠ ـ ٢١.

(٢) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٣٢.

(٣) حقف: الحقف من الرمل: المعوج، وجمعه احقاف. وهو ما اعوج من الرمل واستطال. الفراهيدي: العين: ٣/ ٥١. الجوهري: الصحاح: ٤/ ١٣٤٥. ابن منظور: لسان العرب: ٩/ ٥٢. وتسمى إحدى سور القرآن بسورة الاحقاف.

(٤) ابن حجر: الإصابة: ٢/ ٣١٠.

(٥) ابن حجر: الإصابة: ٢/ ٣١٢.

(٦) الإصابة: ٢/ ٣١٢.

(٧) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٣٢.

الإخلاص كتبت على هذا الحجر والقرآن قد اختص بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو معجزته.

الثانية: "قال: إن صاحبتي هذه حبلى في كذا كذا، تلد في كذا كذا، في شهر كذا كذا، وقد سميت من نعم المولود فاستوصوا به خيرا، فإنه سيشهد مشاهد أولدت مجاهدا، وهو أحيمر كالدرة، نفع مولاه من المضرة، نعم فارس الكرة، ولا تصيبنكم جائحة من عدو ولا سنة، ما كان بين أظهركم"[١].

وهنا يمكن السؤال: هل ابنه هذا هو المدعو عبدالله الذي مر ذكره الذي لم ينفذ وصية والده؟ أم غيره؟ ثم ما معنى قوله أولدت مجاهدا؟ هل جاهد مع قومه؟ أم مع النبي ﷺ إذ سيأتينا انه أدرك النبي ﷺ.

الثالثة: "كان خالد أخبرهم إن في عكم امرأته لوحين، فإذا أشكل عليكم أمر، فانظروا فيهما فإنكم سترون ما تسألون عنه، قال: ولا تمسها حائض، فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فاخرجتهما وهي حائض، فذهب ما كان فيهما من علم"[٢].

ولكن لماذا لم ينبه امرأته أن لا تمسهما وهي حائض؟! أو لماذا لم يخبروها بأن لا تمسهما إن كانت حائضا وقد نبههم؟!

الرابعة: ومن الطريف ما رواه القرماني[٣] في حديثه عن الأنبياء الذين كانوا في الفترة ما بين المسيح عليه السلام والنبي محمد ﷺ إن النبي خالد بن سنان العبسي كان على رأس أولئك الأنبياء.. وانه (نبي البرزخ) ومعنى ذلك ـ حسب ما فسروه ـ: أنه بعث لمن مات طفلا.

وقد علق أحد الباحثين قائلاً: "إن هذا ليدعو إلى الضحك في كون بعض

---

(١) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٣٢

(٢) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٢/ ٢٦٩، السيرة النبوية: ١/ ١٠٥. ابن حجر: الإصابة: ٢/ ٣١٢.

(٣) أخبار الدول ص ٧٩، نقلا عن السويج: في النبوة والأنبياء: ص ٢٠٩.

الأنبياء يركض خلف من مات ليبلغه رسالته علما إن الموت يحول دون ذلك. هذا من جهة ومن جهة أخرى، إن الأطفال غير مكلفين، والبرزخ ليس بدار عمل كالدنيا فالبرزخ عالم طريق بين العالمين الدنيوي والأخروي"[١].

وقد نسب إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال عن خالد بن سنان العبسي: "نبي ضيعه قومه" على اثر لقائه بأحد الأشخاص كما أشارت الروايات التي اختلفت فيه:

ـ روايات أشارت إلى إن ابنه قدم على صلى الله عليه وآله وسلم فرحب به ودعاه بـ "ابن أخي"[٢].

ـ روايات ثانية أشارت إن ابنته (المحياة)[٣] هي التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت عجوزا[٤]، فأكرمها ورحب بها، وأسلمت وآمنت به صلى الله عليه وآله وسلم[٥].

وقد ورد في بعض الروايات ما هو محل إشكال في قصة لقائها بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أ ـ ذكرت إحدى الروايات انه صلى الله عليه وآله وسلم صافحها حين لقائه بها، وهذا مردود لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يصافح النساء، إلا أن تكون من وراء ثوب أو المصافحة للبيعة التي تتم كما ورد في الأثر صلى الله عليه وآله وسلم كان يغمس يده اليمنى في إناء ثم

---

(١) السويج: في النبوة والأنبياء: ص ٢٠٩.

(٢) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢٣، ٤٣٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٢/ ٢٦٩، السيرة النبوية: ١/ ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٣) لا يوجد لها ذكر الا ما روي من قدومها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانها آمنت به ينظر: ابن الأثير: أسد الغابة: ٥/ ٤٥٤. ابن حجر: الإصابة: ٨/ ٣١٤ ـ ٣١٥.

(٤) ابن حجر: الإصابة: ٢/ ٣١٠.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف: ٧/ ٥٦٠. ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٣٣. الكليني: الكافي: ٨/ ٣٤٣. الصدوق: كمال الدين: ص ٦٥٩ ـ ٦٦٠. السمعاني: الأنساب: ٥/ ٤٥٦. الراوندي: الخرائج: ٢/ ٩٥٠ ـ ٩٥١. ابن الأثير: الكامل: ١/ ٣٧٦. ابن حجر: الإصابة: ٢/ ٣١١ ـ ٣١٢، ٨/ ٣١٤ ـ ٣١٥. العيني: عمدة القارئ: ١٧/ ٧٢ ـ ٧٣. المجلسي: البحار: ١٤/ ٤٥٠. النمازي: المستدرك: ٦/ ٢٩٠.

يخرجها وتغمس المرأة يدها في نفس الإناء فتتم البيعة[١] أو كما روي عنه ﷺ قوله: "إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة"[٢].

وروت عائشة: "ما مس رسول الله ﷺ بيده يد امرأة قط"[٣] فهل صافحته بطريقة المبايعة أعلاه؟ لا سيما وأن هناك رواية ذكرت أنها وفدت عليه في وقت كان فيه يبايع النساء فسألها من أنت..."[٤].

ب ـ أنها لما سمعت النبي ﷺ يقرأ سورة الإخلاص: (قل هو الله احد) قالت: "يا رسول الله إني لأسمع كلاما كنت أسمعه من أبي. قال: إن اباك كان نبياً ضيعه قومه"[٥]. وفي روايات إن من وفد على النبي ﷺ هم جماعة من بني عبس فذكروا خالد بن سنان فقال: ذاك نبي ضيعه قومه[٦] ولكن أليس القرآن قد اختص بالنبي محمد ﷺ فكيف سبق لخالد المعرفة بهذه السورة؟! وقد مر بنا بطلان هذا الأمر. مع أن روايات أخر تشير إلى عدم وجود ابن أو ابنة لخالد بن سنان، إذ اقبل وفد من بني عبس في ثلاثة نفر على النبي ﷺ فسألهم عن خالد بن سنان فقالوا: لا عقب له[٧].

كان هذا استعراض لمعظم الروايات التي ذكرت قصة هذا الرجل بما فيها من تباين واختلاف، بقي أن نشير إن الاشكالات على هذه المرويات لم تقف عند الحد الذي سجلناه في أعلاه، بل هناك من أنكر نبوته وانه لم يكن نبياً قط، والبعض الآخر شكك في هذه المسألة كما سيأتينا الآن:

---

(١) الكليني: الكافي: ٥/ ٥٢٧. المجلسي: البحار: ٢١/ ١٣٤. البروجردي: جامع أحاديث الشيعة: ٢٠/ ٣٠٣

(٢) مالك: الموطأ: ٢/ ٩٨٣. ابن حنبل: المسند: ٦/ ٣٥٧. ابن ماجة: السنن: ٢/ ٩٥٩. النسائي: السنن: ٧/ ١٤٩. البيهقي: المسند: ٨/ ١٤٨. ابن عبد البر: الاستذكار: ٨/ ٤٥٤

(٣) ابن حنبل: المسند: ٦/ ١١٤. مسلم: الصحيح: ٦/ ٢٩. النسائي: السنن: ٥/ ٢١٩. ابن عبد البر: التمهيد: ١٢/ ٢٤٥.

(٤) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢١.

(٥) ابن شبة: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٢٦.

(٦) ابن الأثير: أسد الغابة: ٢/ ٢٥٩. ابن حجر: الإصابة: ٢/ ٣١٣.

(٧) ابن كثير: البداية: ٥/ ١٠٣. ابن حجر: الإصابة: ٢/ ٣١٣.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: "إن خالدا كان عربيا بدويا وما كان نبيا، وإنما ذلك شيء يقوله الناس"[١]، وذكر ابن عبد الحكم[٢] (ت٢٥٧هـ): "الذي تزعم فيه قيس[٣] انه كان تنبأ في الفترة فيما بين النبي وعيسى صلوات الله عليهما". وقال ياقوت الحموي[٤] (ت٦٢٦هـ): "ويزعمون أن أبا[٥] خالد بن سنان العبسي كان نبياً وبعث إليهم"، وشك ابن الأثير[٦] (ت٦٣٠هـ) بذلك قائلاً: "قيل كان نبيا"، وكذا شكك به ابن كثير[٧] (ت: ٧٧٤هـ) في موارد عدة: "زعم بعضهم انه كان نبيا"، وقال بعد أن أورد قصة خالد بن سنان برواية ابن عباس: "فهذا سياق موقوف على ابن عباس وليس فيه انه كان نبيا"[٨]. أما الروايات التي عن غير ابن عباس فقال عنها: "والمرسلات التي فيها انه نبي لا يحتج بها هاهنا والأشبه انه كان رجلاً صالحا له أحوال وكرامات، فإنه إن كان في زمن الفترة، فقد ثبت في صحيح البخاري[٩] عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: "إن أولى الناس بعيسى بن مريم أنا لأنه ليس بيني وبينه نبي". وان كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبياً لأن الله تعالى قال: (لتنذر قوما ما آتاهم من نذير قبلك) وقد قال غير واحد من العلماء إن الله تعالى لم يبعث بعد إسماعيل نبياً من العرب إلا محمد صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء الذي دعا به

---

(١) الطبرسي: الاحتجاج: ٢/ ٩١. المجلسي: البحار: ١٤/ ٤٥١.
(٢) فتوح مصر وأخبارها ص ٢٠٧.
(٣) ربما صحفت فالمقصود "عبس".
(٤) معجم البلدان: ٣/ ٢٨٣.
(٥) لعلها أضيفت سهوا.
(٦) الكامل: ١/ ٣٧٦.
(٧) البداية والنهاية: ٢/ ٢٦٨، السيرة النبوية: ١/ ١٠٤
(٨) هي نفس الرواية التي ذكرناها آنفا من تاريخ المدينة لابن شبة: ٢/ ٤٢١ ـ ٤٢٣.
(٩) ٤/ ١٤٢، وينظر: ابن حنبل: المسند: ٢/ ٥٤١. مسلم: الصحيح: ٧/ ٩٦. الطبري: جامع البيان ٣/ ٣٩٦. السيوطي: الديباج: ٥/ ٣٤٩.

إبراهيم الخليل باني الكعبة المكرمة التي جعلها الله قبلة لأهل الأرض شرعا، وبشرت به الأنبياء لقومهم حتى كان آخر من بشر به عيسى بن مريم عليه السلام "[١].

فضلاً عن ذلك كان ابن كثير[٢] قد أشكل على رجالات السند في مرويات قصة خالد بن سنان. وقال في مورد آخر: "وكل واحد من خالد بن سنان وحنظلة بن صفوان كان في زمن الفترة كان صالحا ولم يكن نبياً لقول رسول الله ﷺ: أنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي"[٣]. وشكك ابن حجر[٤] في نبوته إذ قال: "الذي يقال أنه كان نبيا"، ونقل عن الفضل بن موسى الشيباني دخلت على أبي جمرة السكري، فحدثته بهذا [يقصد رواية قصة خالد بن سنان] عن الكلبي فقال: "استغفر الله استغفر الله"[٥]. وقال أبو السعود[٦] (ت: ٩٥١هـ): "وقيل لم يكن بعد عيسى عليه السلام إلا رسول الله ﷺ وهو الأنسب بما في تنوين فترة في التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بأن الرسول بعث إليهم عند إكمال حاجتهم إليه..."، وذهب الآلوسي[٧] (ت: بعد١٢٧٠هـ) للقول: "وخالد بن سنان العبسي عند الأكثرين ليس بنبي، وخبر ورود بنت له عجوز على النبي ﷺ وقوله لها: مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه ونحوه من الأخبار مما للحفاظ فيه مقال لا يصلح معه للاستدلال، وفي "شروح الشفاء" و"الإصابة"[٨] للحافظ ابن حجر بعض الكلام في ذلك".

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٢/ ٢٦٩.
(٢) البداية والنهاية: ٢/ ٢٦٨.
(٣) البداية والنهاية: ١٣/ ١٠١.
(٤) الإصابة: ١/ ١٨٠، ٥/ ٤٥٨.
(٥) الإصابة: ٢/ ٣١٠
(٦) تفسير أبي السعود: ٣/ ٢٢.
(٧) روح المعاني: ٢١/ ١٦٠.
(٨) لعله الكلام الذي أشكل فيه على المرويات وقد ذكرناه سابقا.

ومن المعاصرين ذهب جواد علي[(١)] للقول: "وزعموا أن رجلاً من بني (قطيعة بن عبس) كان نبيا" وأورد مقالة الجاحظ آنفة الذكر، ثم عقب بعد إن ذكر قصته مع نار الحدثان، "وزعموا انه هو الذي دعا على العنقاء فذهبت وانقطع نسلها".

وفي مقابل ذلك نجد إن روايات قصة خالد بن سنان على ما هي عليه من الاختلافات والتناقضات قد استفاضت بها كتب المؤرخين ويستوقفنا مقالة الصدوق بهذا الشأن إذ يقول:

"مع إنا لا ندفع الأخبار التي رويت انه كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله فترة لم يكن فيها نبي ولا وصي، ولا ننكرها ونقول: إنها أخبار صحيحة، ولكن تأويلها غير ما ذهب إليه مخالفونا من انقطاع الأنبياء والأئمة والرسل عليهم السلام. وإنما تعني الفترة أنه لم يكن بينهما رسول ولا نبي ولا وصي ظاهر مشهور كمن كان قبله، وعلى ذلك دل الكتاب المنزل إن الله عز وجل بعث محمد صلى الله عليه وآله على حين فترة من الرسل، لا من الأنبياء والأوصياء، ولكن قد كان بينه وبين عيسى عليه السلام أنبياء وأئمة مستورون خائفون، خالد بن سنان العبسي نبي لا يدفعه دافع ولا ينكره منكر لتواطؤ الإخبار بذلك عن الخاص والعام وشهرته عندهم"[(٢)].

فالصدوق هنا قد أنكر وجود نبي في زمن الفترة إلا أن يكون خائفا مستورا، ولعله بهذا يلمح إلى مقولة أمير المؤمنين عليه السلام: "**إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً**"[(٣)].

ولكن الحجة لا يقتصر على النبي بل قد يكون وصيا أو إماما كما أشار الصدوق إلى ذلك في بدء حديثه، فلماذا لا يكون خالد بن سنان وصيا أو

(١) ٦/٦٦.
(٢) كمال الدين: ص٦٥٩.
(٣) نهج البلاغة: ص ٦٨٦ ـ ٦٨٧.

رجلاً صالحا من الأحناف دعا إلى عبادة الله كحال عبد المطلب عليه السلام وغيره!! وهذا لا يدفعه دافع ولا ينكره منكر، ولكن بشرط أن لا يسلم بكل ما جاء عن هذا الرجل من أساطير وزيادات طفحت حتى بدت متناقضة مما يصعب قبولها.

أما المجلسي[1] فقد علق على رواية الطبرسي في أعلاه عن الإمام الصادق عليه السلام الذي أنكر بها نبوة خالد، فقال: "الأخبار الدالة على نبوته أقوى وأكثر".

فأما (القوة) فلا ندري أين تكمن؟ ثم أن هناك روايتين عن الإمام الصادق عليه السلام أحدهما تثبت نبوته والثانية تنكرها، فأيهما الأقوى؟ أما عن رجالات السند فهي لا تخلو من إشكال كما مر بنا، بل هي في الغالب مرسلة. وأما عن (الكثرة) فرب مشهور لا أصل له، ثم انه لا إشكال بوجود هذه الشخصية لكن تبقى نبوته محل إشكال يصعب معه التسليم بقبولها.

ونخلص إلى القول ان كلام الإمام عليه السلام قد دحض هذه الرواية التي قد بدت معارضة له، وذلك بعد تحليلها والتحقق منها. وبهذا يكون اعتماد كلامه عليه السلام خير ميزان يتم فيه قبول الرواية أم رفضها.

أصناف ديانات العرب قبل الإسلام:

لم يرد في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وصفا مفصلا لمعتقدات العرب قبل الإسلام، ولكن إشاراته المقتضبة بهذا الشأن حملت معاني عميقة ذات دلالات مفيدة وعلى عدة مستويات يأتي في مقدمتها الهدف الأول الذي دعاه لذكرها ألا وهو بيان فضيلة ما جاء به النبي محمد ﷺ وأثره الإيجابي على الأمة الذي لا يمكن الوقوف عليه ما لم يتم مقايسته بالوضع الذي كانوا عليه قبل البعثة النبوية، إذ حملت كلماته الشريفة في هذا المجال نقدا هادفا لذلك الماضي وكيفية انتفاع الخلق منه.

---

(١) البحار: ١٤/٤٥١.

ومن جانب آخر فإن المعلومات التي أوردها عليه السلام تشكل مادة قيمة ومصدرا موثوقا للمختصين بهذا الجانب. ففي معرض حديثه عن أديان العرب وما كانوا عليه من معتقدات قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله نجده يقول: "**بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله... وَأَهْلُ الأرض يَوْمَئِذ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّه للهِ بِخَلْقِهِ، أو مُلْحِد في اسْمِهِ، أو مُشِير إلى غَيْرِهِ**"(١).

ولما وقف الشراح(٢) على كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أعلاه بينوا أصناف ديانات العرب وإنهم كانوا على قسمين: العرب المعطلة والعرب غير المعطلة. وهناك من قسمهم إلى معطلة ومحصلة(٣).

القسم الأول: العرب المعطلة، وكانوا على ثلاثة أصناف:

أولاً: صنف أنكروا الخالق والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين حكى القرآن عنهم "**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**(٤)"(٥). وقصروا الحياة والموت على تحلل الطبائع المحسوسة وتركيبها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر(٦)، وعرف أصحاب هذه العقيدة بـ" الدهريين" : والدهر ـ لغة ـ يعني الزمان(٧)، وهما ساعات الليل والنهار(٨)،

---

(١) نهج البلاغة: ص٢١.

(٢) انظر ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/ ١١٧ ـ ١٢٠. ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٥٤ـ٣٥٨. حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٢/ ١٣٧ ـ ١٣٩. التستري: بهج الصباغة: ٢/ ٩٦ ـ ١٠٥.

(٣) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٥٥.

(٤) سورة الجاثية آية ٢٤.

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل: ص٣٨٩. وينظر: المسعودي: مروج الذهب: ٢/ ١٠٣. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/ ١١٨. ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٥٥.

(٦) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٥٥. الالوسي: بلوغ الإرب: ٢/ ٢١٤

(٧) الجوهري: الصحاح: ٢/ ٦٦١.

(٨) الطبري: جامع البيان: ٢٥/ ١٩٨

والوقت الطويل أو القصير، والعرب تقول أتيتك زمان الصرام وتعني به وقت الصرام[١] وأطلقه العرب على الرجل المعمر فقالوا دهري[٢].

أما المسلمون فإنهم أطلقوا الدهري على الملحدين الذين ينكرون الله وتأثيره ويسندون الحوادث إلى الدهر ولا يعتقدون بالبعث ويؤمنون بتدبير الحياة والموت إلى الدهر[٣]. وقد اعتقد هؤلاء إن الدهر هو الفاعل[٤]، فإذا "أصابهم خسران أو ضيم أو مكر نسبو ذلك إلى الدهر"[٥]، وأصحاب هذا الصنف من المعتقدات هم الذين أشار إليهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "أو مشير إلى غيره" وهم الدهريون وغيرهم من عبدة الأصنام والكواكب.

فالإشارة في قوله "مشيراً إلى غيره" إما بالإلهية فقد قالوا: هذه الأصنام آلهتنا، كما قال تعالى حاكيا عنهم ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾[٦]. وأما بالعبادة كما قال: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[٧]. وأما بإضافة هذه الآثار والحوادث في عالمنا هذا إلى الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية، فكل هذه الأمور مختصة به، فإذا أضافوها إلى غيره فقد أشاروا بها إلى غيره[٨]. وبهذا يكون "الدهريون" أوضح مصداق على هذا الصنف من المعتقدات، إذ نسبوا الحياة والموت إلى الدهر كما مر أعلاه.

ثانياً: الصنف الثاني: أقروا بالخالق وابتداء الخلق عنه، وأنكروا البعث والإعادة[٩] قال أحدهم:

---

(١) الطبري: تاريخ: ١/ ٦. د. شاكر مجيد، د. جواد النصر الله: الحياة العقائدية والاجتماعية: ص٣ ـ ٤.

(٢) ابن منظور: لسان العرب: ٤/ ٢٩٣.

(٣) الطبري: جامع البيان: ٢٥/ ١٩٧ ـ ١٩٩. المسعودي: مروج الذهب: ٢/ ١٠٣.

(٤) الطبري: جامع البيان: ٢٥/ ١٩٧. الالوسي: بلوغ الإرب: ٢/ ٢١٤ ـ ٢١٧.

(٥) القرطبي: الجامع: ١٦/ ١٧١. النصرالله: الجاهلية: ص ٢٠.

(٦) سورة الزخرف آية ٥٨.

(٧) سورة الزمر آية ٣.

(٨) الحسيني: الديباج الوضي: ١/ ١٦٧.

(٩) المسعودي: مروج الذهب: ٢/ ١٠٢. الشهرستاني: الملل: ص٣٨٩. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/ ١١٨. ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٥٥.

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو[١].

وهم المحكي عنهم في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[٢]. فالقرآن الكريم يصور إنكارا لا جهلا بالبعث وهو تعبير من أوضح الصور عن عقائد العرب قبل الإسلام عما بعد الموت بإنكارهم للآخرة وما يأتي فيها من حساب وجنة ونار، ولذلك صعب على أتباع هذا الصنف قبولهم العقائد الإسلامية في البعث والجزاء حتى أنهم سموا حديثه عن الآخرة أساطير الأولين، وزعموا أنهم وعدوا الوعود نفسها مع آبائهم بقوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾[٣]. ويفهم من سياق هذه الآية إن فكرة البعث لم تكن غائبة عن ذهن العرب قبل الإسلام، وإنما كانت معروفة إلا أنهم أنكروها بسبب عدم تحقيقها بشكل ملموس مما جعلهم يعلنون إن ما ورد في القرآن الكريم حولها لا يتعدى أساطير الأولين[٤].

وتجدر الإشارة إلى أن قسما من العرب اعتقدوا بفكرة البعث فكان من وصايا عبد المطلب: "والله إن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته"[٥].

ثالثاً: أما الصنف الثالث من العرب المعطلة فهم من اقروا بالخالق ونوع من الإعادة، وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام وزعموا إنها تشفع عند الله في

---

(١) الآلوسي: بلوغ الإرب: ٢/ ١٩٣. محمد عبد المعيد خان: الأساطير والخرافات: ص ٣١. ينسب البيت أعلاه إلى عبد الله بن الزبعرى. ينظر: النقوي: مفتاح السعادة: ١/ ٤٥٦. محسن الأمين: أعيان الشيعة: ١/ ٤٦.

(٢) سورة يس آية ٧٨.

(٣) سورة المؤمنون آية ٨١ ـ ٨٣.

(٤) د.شاكر مجيد كاظم، د. جواد النصر الله: الحياة العقائدية والاجتماعية: ص٤.

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل: ص٣٩٣. للمزيد من الادلة ينظر: النصرالله: الجاهلية: ص١٣ ـ ١٥.

الآخرة، وحجوا لها ونحروا لها الهدي، وقربوا لها القرابين وحللوا وحرموا وهم جمهور العرب[١].

وكان إنكارهم لبعث البشر في الصورة البشرية أشد، وإصرارهم على ذلك أبلغ[٢] وأخبر عنهم التنزيل بقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾[٤]. وفي القرآن آيات كثيرة تذكر إن المشركين كانوا يعبدون الله، قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾[٧][٨].

أما عبادة الأصنام والأوثان فقد كانت منتشرة في العرب انتشارا واسعا، فكل من اتخذ إلها من دون الله غير المرئي واللامتناهي فهو وثني أو صنمي[٩].

إن الاعتقاد بوجود قوى خفية تحرك الكثير من الظواهر وتفسر من خلالها الكثير من السلوكيات، لهو أمر لازم لكل الشعوب البدائية، فالعقل البشري

---

(١) المسعودي: مروج الذهب: ٢/ ١٠٢. وينظر: الشهرستاني: الملل والنحل: ص٣٨٩ ـ ٣٩٠. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/ ١١٨. ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٥٥. الآلوسي: بلوغ الإرب: ٢/ ١٩٢.

(٢) مصطفى عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: ص ١٠٢.

(٣) سورة الإسراء آية ٩٤.

(٤) سورة الفرقان آية ٧.

(٥) سورة المؤمنون الآيات ٨٤ ـ ٨٧.

(٦) سورة العنكبوت آية ٦١.

(٧) سورة لقمان آية ٢٥.

(٨) د. شاكر مجيد، د. جواد النصر الله: الحياة العقائدية والاجتماعية: ص٦.

(٩) سميح دغيم: أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام: ص ٨٦.

مشدود إلى الاعتقاد بوجود قوى خفية خارقة تنسب إليها كل ما يعجز العقل البشري آنذاك عن الإحاطة به، نعني بذلك كل ما هو وراء المحسوس[(١)]. وقد اعتقد العرب بوجود قوى روحية كامنة مؤثرة في العالم والإنسان وفي بعض الحيوانات والطيور والنبات والجماد وفي بعض مظاهر الطبيعة المحيطة به كالكواكب. فربط بين هذه الكائنات والموجودات والظواهر الطبيعية وبين القوى الخفية وقدسها، ثم تطورت وثنية العربي إلى عبادة قطع الصخور ومعظمها كانت بيضاء اللون لها علاقة بالغنم والجمل ولبنهما[(٢)].

إن عبادة العربي وتقديسه للظواهر الطبيعية لم تكن على أساس أنها تمثل أربابا، وان الأصنام التي عبدها لم تكن هي الآلهة بل كانت سكنا لهم ولأرواحهم فهي تمثل استقرار القوى الروحية في الأشياء المادية، وليس من الضروري أن تكون بصورة آلهة، ولكن عندما ينحط التفكير تحاط ذاتها بالتعظيم وكأنها الآلهة[(٣)].

وقد اختلفت الروايات التاريخية في منشأ عبادة الأصنام وانتشارها بين العرب[(٤)]، فروايات تنسب ذلك إلى عمرو[(٥)] بن لحي[(٦)]، وأخرى ترجعها إلى زمن نوح عليه السلام[(٧)]، وثالثة إلى زمن عاد[(٨)].

وعلى الرغم من تضارب الروايات في تحديد زمان عبادة الأصنام وبدايتها

---

(١) دغيم: أديان ومعتقدات العرب: ص ١٥٤

(٢) انظر جواد علي: المفصل: ٦/ ١٨ ـ ١٩، ٣٩ ـ ٤٠. خان: الاساطير العربية: ص ٩٨.

(٣) الجميلي: تاريخ العرب: ص ٢١٩.

(٤) ينظر: جواد علي: المفصل: ٦/ ٦٠ ـ ٦٥.

(٥) هو عمرو بن لحي بن غالوثة بن عمرو بن عامر، قيل انه استولى على البيت الحرام، ولما سار إلى البلقاء من الشام وجدهم يعبدون الأصنام فاستحسن فعلهم، وجلب منهم هبل ونصبه في الكعبة، ونسبوا للنبي صلى الله عليه وآله أنه رآه وقال عنه أنه أول من بدل دين إسماعيل. ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٥٠.٥١، الشهرستاني: الملل والنحل ص٣٨٧.

(٦) ابن هشام: السيرة النبوية: ١/ ٥٠ ـ ٥١.

(٧) ابن هشام: السيرة النبوية: ١/ ٥١. ابن كثير: البداية والنهاية: ١/ ١١٤ ـ ١١٨.

(٨) ابن كثير: البداية والنهاية: ١/ ١٣٨.

عند العرب، فإننا نرى إن تحديد هذه المسألة لا يتطلب منا إرجاعها إلى شخص معين، بل ربما كانت حالة نتجت عن وضع معين. فالإنسان دائماً مشدود إلى قوى خفية يعدها أقوى منه وتسير حياته، ولربما كان بناء الكعبة على أيام إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، وما روي عن هذه المسألة في قصة الحجر الأسود، وكيف وجده إبراهيم ما يشير إلى بداية خلع القداسة عن الأحجار. وربما كان ذلك سوء فهم من الأعراب، ولكن هذه العادة سرت بينهم وتقبلوها لسذاجتهم وفطرتهم، فحملوا معهم الأحجار وقدسوها وأسبغوا عليها تمنياتهم وألهوها لما شعروا بالحاجة إلى ذلك"(١).

ويذهب باحث معاصر إلى القول: "والحقيقة إن التحقيقات التاريخية لم تثبت حتى الآن إلى من يعود إدخال هذه المعتقدات والعبادات، وإن كان هناك تركيز ما على شخصية عمرو بن لحي، بيد أن المسألة برأينا تعود إلى أبعد من ذلك الشخص في الزمان، وربما تكون قد بدأت بجو عام عرفه العرب القدامى عن طريق احتكاكهم بغيرهم من الشعوب القديمة التي ربما كان لديها من المعتقدات ما ينبئ عن ترميز معنى لها عبر التشخيص والتمثيل، ومن هنا نشأت التماثيل والأصنام والأوثان، وربما أيضاً تكون هذه العبادات قد تأتت عن بعض مظاهر الطبيعة، وعظمة هذه المظاهر ما تمثله... فربما حرص العرب على تعظيم هذه الأمور نظرا لغرابتها في أذهانهم، فأقاموا لها التشخيصات المناسبة وقدسوها وعبدوها وطافوا حولها"(٢) وليست عبادة الأصنام والأوثان عبادة خاصة بالعرب، بل هي عبادة كانت معروفة عند غيرهم من الشعوب السامية، وعند غير الساميين، كما أنها لا تزال موجودة وقائمة حتى الآن(٣).

والصنم: هو ما كان له جسم أو صورة(٤)، وهذا يعني إنه تشخيص اعتقاد

---

(١) دغيم: أديان ومعتقدات العرب: ص ٨٨.
(٢) دغيم: أديان ومعتقدات العرب: ص ٩٦.
(٣) جواد علي: المفصل: ٦/ ٦٥
(٤) ابن الأثير: النهاية: ٣/ ٥٦.

ما وإعطاء هيئة ما، غالباً ما كانت هيئة أشخاص أو هيئة حيوان ما[١]. أما ابن الكلبي[٢] فقد عرفه: "ما كان معمولا من خشب أو ذهب أو فضة، على صورة إنسان، فهو صنم" وقد وردت الإشارة إليه في القرآن[٣] على صيغة الجمع "أصنام" التي تتحدث عن قوم موسى عليه السلام وعن إبراهيم عليه السلام وأبيه وقومه[٤].

ووردت لفظة الأصنام في مظان كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ثلاثة مواضع من خطبته الشريفة في معرض حديثة عن عرب ما قبل الإسلام "**اَلْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ**"[٥]، وقوله: "**وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ وَأَصْنَام مَعْبُودَةٍ وَأَرْحَام مَقْطُوعَةٍ وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ**"[٦]، و"**كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إذ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ ونَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ**"[٧].

أما ((الأوثان)) فقد وردت الإشارة إليها مرة واحدة بقوله عليه السلام: "**فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الأوثان إلى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إلى طَاعَتِهِ**"[٨].

والوثن: هو أيضاً اصطلاح للدلالة على التماثيل التي كان العرب يعبدونها في الجاهلية[٩]. ومهما يكن من أمر فإن الخلط بين الوثن والصنم كان أمرا معروفا من خلال كتب الإخباريين، ولم يكن الفصل واضحا بينهما ومن الروايات يمكننا التمييز بينهما، فالأصنام: هي تلك الأشكال التي صنعت أما على صورة إنسان أو حيوان ومن خشب أو فضة أو أي معدن آخر ووضعت في

---

(١) دغيم: أديان ومعتقدات العرب: ص ٨٨

(٢) الأصنام: ص٥٣.

(٣) انظر الأعراف ١٣٤، الأنعام ٧٤، الشعراء ٧١، إبراهيم ٣٨، الأنبياء ٥٨.

(٤) دغيم: أديان ومعتقدات العرب: ص ٨٩.

(٥) نهج البلاغة: ص٥٦.

(٦) نهج البلاغة: ص ٤٠٢.

(٧) نهج البلاغة: ص١٥٢.

(٨) نهج البلاغة: ص٢٦٧.

(٩) دغيم: أديان ومعتقدات العرب: ص ٩٠.

حضرة الآلهة. أما الأوثان: فهي الأشكال المصنوعة بالأحجار وقد لا تكون شكلا محددا أيضاً، وهي تعد مقدسة، وقد عبدها الأعراب قياسا على ما عرفوه من قدسية أحجار الكعبة، وغالبا ما تكون الأوثان أحجارا صغيرة، أو كما يقولون الوثن هو الصنم الصغير(١).

إن العرب في عبادتهم للأصنام ذوي آراء متباينة، فمنهم من يجعلها مشاركة للبارئ تعالى ويطلق عليهم لفظة الشريك، ومن ذلك قولهم في التلبية: لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك. ومنهم من لا يطلق عليها لفظ الشريك، ويجعلها وسائل وذرائع إلى الخالق سبحانه وهم الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾(٢)(٣).

وقد جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما يشير إلى عقيدة العرب بالأصنام، إذ مر بنا قوله "أو مشير إلى غيره" والإشارة هنا أما بالإلهية فقد قالوا: هذه الأصنام آلهتنا ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾(٤)، وأما بالعبادة ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾. وفي إشارة أخرى يقول عليه السلام: "أو ملحد في اسمه" ومعنى الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد. وأصل الإلحاد الميل والعدول عن الشيء(٥). وألحد في دين الله: إذا عدل عنه، وملحد من مادة "لحد" على وزن مهد، بمعنى الحفرة الواقعة على جانب، ومن هنا أطلق على مثل هذه الحفرة اسم اللحد، كما اطلق الإلحاد على كل عمل يخرج عن حالة الاعتدال ويجنح نحو الإفراط والتفريط ومن هنا نعتت الوثنية بالشرك والإلحاد. وقيل الإلحاد: ضربان: الشرك بالله، والشرك

---

(١) دغيم: أديان ومعتقدات العرب: ص ٩١.

(٢) سورة الزمر آية ٣.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/ ١١٩.

(٤) سورة الزخرف آية ٥٨.

(٥) ابن الأثير: النهاية: ٤/ ٢٣٦. ابن منظور: لسان العرب: ٣/ ٣٨٩.

بالأسباب، فالأول ينافي الإيمان ويبطله، والثاني يوهن عراه ويعطله[١] وأما قوله عليه السلام: "**أَوْ مُلْحِد في اسْمِهِ**"[٢]، فهو عينه ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣]، أي يميلون عن صفاته إلى غير ما وصف به نفسه، فيدعون له الشريك والصاحبة والولد[٤]. ومنهم من فسر الملحدين في أسماء الله بالكاذبين في أسمائه، وعلى هذا كل من سمى الله بما لم يسم به نفسه، ولم ينطق به كتاب، ولا ورد فيه إذن شرعي فهو ملحد في أسمائه[٥].

والمقصود من الإلحاد في أسماء الله هو أن نحرف ألفاظها أو مفاهيمها فنصفه بصفات لا تليق بساحته المقدسة، كما يصفه النصارى بالتثليث "الله والابن وروح القدس"، أو أن نطبق صفاته على المخلوقين، كما فعل ذلك المشركون وعبدة الأوثان، إذ اشتقوا لأصنامهم أسماء من أسماء الله، فسموها اللات والعزى ومناة وغيرها، فهذه الأسماء مشتقة من الله والعزيز والمنان على التوالي، أو أنهم حرفوا صفاته حتى شبهوه بالمخلوقات أو عطلوا صفاته وما إلى ذلك[٦].

القسم الثاني: العرب غير المعطلة: وهم الذين يطلق عليهم لفظ المتألهون[٧]. قالت العرب فلان يتأله: أي يتعبد، وهو عابد متأله[٨]، ويقصد بهم أصحاب الورع والتحرج عن القبائح وقد كانوا قلة، ومنهم عبد المطلب وولديه عبدالله وأبي طالب[٩].

---

(١) الطريحي: مجمع البحرين: ٤/ ١١٢.
(٢) نهج البلاغة: ص٢١.
(٣) سورة الأعراف آية ١٨٠.
(٤) الطريحي: مجمع البحرين: ٤/ ١١١.
(٥) الطبري: جامع البيان: ٩/ ١٧٩. ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٥٧.
(٦) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: ٥/ ٣٠٥.
(٧) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/ ١٢٠. ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ١/ ١٥٢.
(٨) الزمخشري: أساس البلاغة: ١٨.
(٩) النصر الله: شرح نهج البلاغة: ص ١٠٩.

والمتألهون يقرون بالخالق والبعث، وان الله يثيب المطيع، ويعاقب العاصي، وأشار الشهرستاني[١] إلى هؤلاء الموحدين، فقد قال: ومن العرب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وينتظر النبوة وكانت لهم سنن وشرائع.

وقد صُنف علماء العرب إلى عدة طوائف تحت مسمى (العرب المحصلة) منهم: العارفون بالأنساب، ومفسرو الأحلام، ومتخصصون في علم الأنواء (نوع من التنجيم المشوب بالخرافات)، والكهنة الذين يوحون إلى الناس بأنهم يخبرون عن مغيبات المستقبل. أما من غير العرب كان البراهمة الذين عاشوا في الهند ينكرون الأديان كافة ولا يؤمنون سوى بالأحكام العقلية وطائفة أخرى من عبدة الكواكب كما في عبدة الشمس والقمر التي تمثل نوعا من الوثنية[٢].

وإلى جانب هذه الطوائف هناك اليهود والنصارى والصابئة والمجوس، وقد شهدت كل طائفة منهم انحرافا عقائديا، فالمجوس قالت بإله الخير والشر. وقد انطوت المجوسية ـ التي قد تكون في بدايتها منسوبة إلى بعض الأنبياء ـ على خرافات جمة حتى ذهب بعض المحققين إلى أنهم يعتقدون بإله الخير، وإله الشر اللذين تقاتلا حتى تدخلت الملائكة، فأصلحت ذات بينهما بشرط تفويض العالم السفلي لإله الشر مدة سبعة آلاف سنة، ويفوض العالم العلوي لإله الخير[٣].

فيما ابتليت النصرانية بالتثليث، وقد حرفت اليهود كتاب التوراة وشحنته بالانحرافات والخرافات. وقد كان الغالب على هذه الطوائف دين التشبيه ومذهب التجسيم وهم الذين عنى بهم الإمام عليه السلام بقوله: "**بَيْنَ مُشَبِّه للهِ بِخَلْقِهِ**"[٤]، إن شبه وشبه لغتان بمعنى، يقال هذا شبهه، أي شبيهه. وبينهما شبه بالتحريك، والجمع مشابه على غير قياس[٥]. وذكر ابن منظور: شبه:

---

(١) الملل والنحل: ص٣٩٤. وينظر: المسعودي: مروج الذهب: ١/ ٧٨ ـ ٩١.

(٢) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٥٦. ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ١/ ١٥٢.

(٣) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٥٥.

(٤) نهج البلاغة: ص٢١.

(٥) الجوهري: الصحاح: ٦/ ٢٢٣٦.

الشبه والشبه والشبيه: المثل، والجمع أشباه. وأشبه الشيء بالشيء: ماثله[١]. والمشبه من قال بأن الله تعالى بصفة الجسم في الحصول في الحيز والأعضاء والجوارح، أو بصفة العرض في الحلول[٢]. وهذه مقالة اليهود والنصارى والصابئة والمجوس، وقد كانت أديانهم اضمحلت من أيديهم، وإنما بقوا متشبهين بأهل الملل، وغلب عليهم القول بالتجسيم، كما حكى القرآن الكريم عنهم ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[٣] و ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾[٥][٦].

وكان في العرب مشبهة ومجسمة سموا بذلك؛ لأنهم شبهوا الله بخلقه إذ جعلوا له يدا ورجلا وعينا، ومنهم أمية بن أبي الصلت إذ روي عنه إنه أنشد قائلاً:

من فوق عرش جالس قد حط رجليه إلى كرسيه المنصوب[٧]

وبهذا يكون الإمام عليه السلام أوجز جميع هذه الطوائف في ثلاث:

الأولى: المشبهة: التي جعلت لله شريكا كالمجوس والنصارى أو أولئك الذين يجعلون لله صفات المخلوقين كاليهود.

الثانية: أولئك الذين عدلوا باسمه إلى غيره كأغلب الوثنيين الذين سموا أوثانهم بأسماء الله فجعلوهم شفعاءهم عند الله.

---

(١) لسان العرب: ١٣/٥٠٣.
(٢) الحسيني: الديباج الوضي: ص ١٦٧.
(٣) سورة المائدة آية ١٨.
(٤) سورة التوبة آية ٣٠.
(٥) سورة المائدة آية ٦٤.
(٦) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥. ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ١/ ١٥٣
(٧) ديوانه ص١٦٤، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/ ١١٩.

الثالثة: أولئك الذين عبدوا غير الله كالدهرية وعبدة الأصنام والكواكب والشمس والقمر التي ترى الأصالة للكواكب والأصنام أي تراها هي الله(١).

وقد ترجمت كلمات الإمام عليه السلام كما أسلفنا حالة الصراع التي كانت بين هذه الملل والطوائف المختلفة "وتنازع من الألسن" بحيث جعلت الاضطراب العقائدي سمة بارزة من سمات ذلك العصر، وغلب الجهل والحيرة والفتن على المجتمع فـ "**لاعَلَمٌ قائِمٌ، ولامَنارٌ ساطِعٌ، وَلا مَنْهَجٌ واضِحٌ**"(٢) إذ الناس "**يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ، وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ، وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ**"(٣) وبهذايظهر سبب ما نعت به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام معتقد ذلك العصر بـ "**شَرِّ دِينٍ**"(٤).



(١) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ١/ ١٥٣.

(٢) نهج البلاغة: ص ٤٢٠.

(٣) نهج البلاغة: ص ٣٨٠ ـ ٣٨١.

(٤) نهج البلاغة ص ٥٦.



الفصل الثالث

النبوة في نهج البلاغة

الوظائف ـ العلامات ـ السمات

تمهيد: مفهوم النبوة وضرورتها

المبحث الأول: وظائف النبوة

المبحث الثاني: علامات النبوة

المبحث الثالث: سمات النبي الأعظم ﷺ وسجاياه الخلقية



تمهيد
مفهوم النبوة وضرورتها

النبي لغة: مأخوذ من نبا ينبو فهو اسم من النبوة، وهي الأرض المرتفعة، أو من نبئ، فهو اسم من النبأ وهو الخبر، ولعله ماخوذ من الاثنين من النبأ والانباء، ويقرئ بلا همزة تخفيفا[1].

أما **اصطلاحا**: النبي هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر[2]. إنه شخص من البشر ومن الناس انفسهم، يجتبيه الله تعالى على سائر بني نوعه، ويختصه بهدايته وعنايته، فيوحي إليه، أو يحدثه من وراء حجاب، أو يرسل إليه ملكا يكلمه. وهذه هي طرق الوحي التي يحصل بها الاتصال بالله تعالى، ويتلقى عبرها المعارف الحقة التي فيها السعادة، وفي خلافها الشقاء والضلال[3]. وقد أشار إليها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[4].

---

(١) ينظر: الزمخشري: الفايق: ٣/ ٢٧٤. ابن سيدة: المخصص: ٣/ ٣/ ٣٢١. الطبرسي: مجمع البيان: ١/ ٢٣٤. أبو المعالي القونوي: الفكوك في أسرار مستندات حكم الفصوص: ص٢٦٣. ابن منظور: لسان العرب: ١٥/ ٣٠٣.

(٢) الطوسي: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ص٢٤٤. العلامة الحلي: الباب الحادي عشر: ص٨٥. المقداد السيوري: النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر: ص٣٣٣.

(٣) العاملي: بداية المعرفة: ص١٩٥. مرتضى العسكري: المصطلحات الإسلامية: ص٦٣.

(٤) سورة الشورى الآية ٥١.

النبوة ضرورة إلهية:

يجد المتأمل في نهج البلاغة تركيزاً واضحاً من قبل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على مسألة "النبوة"، ويمكن ان يلاحظ على ما جاء في كلامه عليه السلام:

أولاً: أنه عليه السلام تناول مفهوم النبوة على مستويين، المستوى العام والخاص، فتارة يتحدث عن النبوة كحركة أو تيار واحد من جهة أن الأنبياء كلهم مصطفون من الله سبحانه ومبعوثون من قبله، وأن أساس دعوتهم التوحيد، وأن أهداف بعثتهم واحدة. وكلهم جاء بشريعة سماوية أو دعا إليها لإنقاذ الناس، وتحقيق سعادتهم، وإن كان محتوى دعواتهم ينبغي ان يتغير بتقدم الزمن، إلا أن الاصول والنتائج تبقى على حالها. وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بشكل عام عن النبوة في مظان كلامه المتناثر في خطبه وكلماته الشريفة.

وتارة نجده يخص بالذكر بعض الأنبياء، وان كان بإيجاز كحديثه عن النبي آدم عليه السلام وصفة خلقه(١)، وعلة خلقه من تراب(٢)، واصطفاء الأنبياء من ذريته(٣)،

---

(١) وذلك في قوله عليه السلام: "ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَه مِنْ حَزْنِ الأرض وسَهْلِهَا، وعَذْبِهَا وسَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، ولَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ ووُصُولٍ وأَعْضَاءٍ، وفُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ وأَمَدٍ مَعْلُومٍ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِه، فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا وجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا ومَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ والْبَاطِلِ، والأَذْوَاقِ والْمَشَامِّ والأَلْوَانِ والأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، والأَشْبَاه الْمُؤْتَلِفَةِ والأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، والأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ والْبَرْدِ، والْبَلَّةِ والْجُمُودِ...". نهج البلاغة: ص ١٧ ـ ١٩.

(٢) كما في قوله عليه السلام: "ولَوْ أَرَادَ اللَّه أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ، يَخْطَفُ الأَبْصَارَ ضِيَاؤُه ويَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُه، وطِيبٍ يَأْخُذُ الأَنْفَاسَ عَرْفُه لَفَعَلَ، ولَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَه الأَعْنَاقُ خَاضِعَةً، ولَخَفَّتِ الْبَلْوَى فِيه عَلَى الْمَلَائِكَةِ، ولَكِنَّ اللَّه سُبْحَانَه يَبْتَلِي خَلْقَه بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَه، تَمْيِيزاً بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ ونَفْياً لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وإِبْعَاداً لِلْخُيَلَاءِ مِنْهُمْ" نهج البلاغة: ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦.

(٣) واصْطَفَى سُبْحَانَه مِنْ وَلَدِه أَنْبِيَاءَ...". نهج البلاغة: ص ١٩.

وقصته مع ابليس(١)، وكذلك حديثه عن نبي الله داود عليه السلام وزهده وطبيعة عمله وعبادته، وأنه قارئ أهل الجنة(٢). وورد ذكر النبي سليمان عليه السلام إذ تحدث الإمام عن نبوته، وعظيم زلفته، وطول عمره، وسعة سلطانه، وتسخير الجن والإنس له(٣).

أما نبي الله موسى عليه السلام فقد تطرق لبعض احواله بتعدد الإشارات إلى ذكره. في أكثر من موضع من كلامه عليه السلام، فقد تحدث عن زهده وتواضعه وصفاته الجسمانية ولباسه، وبضعة تفصيلات حول لقاءه هو وأخوه هارون عليه السلام مع

---

(١) منها قوله عليه السلام: "واسْتَأْدَى اللَّه سُبْحَانَه الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَه لَدَيْهِمْ، وعَهْدَ وَصِيَّتِه إليهم فِي الإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَه، والْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِه، فَقَالَ سُبْحَانَه ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾، اعْتَرَتْه الْحَمِيَّةُ، وغَلَبَتْ عَلَيْه الشِّقْوَةُ، وتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ واسْتَوْهَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاه اللَّه النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ، واسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ وإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ، فَقَالَ * (فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) * ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَه آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا، عَيْشَه وآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَه وحَذَّرَه إِبْلِيسَ وعَدَاوَتَه، فَاغْتَرَّه عَدُوُّه نَفَاسَةً عَلَيْه بِدَارِ الْمُقَامِ، ومُرَافَقَةِ الأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّه والْعَزِيمَةَ بِوَهْنِه، واسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلًا وبِالِاغْتِرَارِ نَدَماً، ثُمَّ بَسَطَ اللَّه سُبْحَانَه لَه فِي تَوْبَتِه، ولَقَّاه كَلِمَةَ رَحْمَتِه ووَعَدَه الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِه، وأَهْبَطَه إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ وتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ" نهج البلاغة: ص ١٨ ـ ١٩. وأيضاً قوله عليه السلام: "ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَه الْمُقَرَّبِينَ، لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَه وهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، ومَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ * (إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ، فَإِذا سَوَّيْتُه ونَفَخْتُ فِيه مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَه ساجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ) *، اعْتَرَضَتْه الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِه، وتَعَصَّبَ عَلَيْه لأَصْلِه". نهج البلاغة: ص ٣٨٥. وفي إشارة اخرى: "أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لأَصْلِه، وطَعَنَ عَلَيْه فِي خِلْقَتِه، فَقَالَ أَنَا نَارِيٌّ وأَنْتَ طِينِيٌّ" نهج البلاغة: ص ٣٩٨.

(٢) وذلك في قوله عليه السلام: "وإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ ـ صلى الله عليه وسلم ـ، صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وقَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِه، ويَقُولُ لِجُلَسَائِه أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا، ويَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا" نهج البلاغة: ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨. "إِنَّ دَاوُدَ عليه السلام قَامَ فِي مِثْلِ هَذِه السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ إِنَّهَا لَسَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَه، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً أَو عَرِيفاً أَو شُرْطِيّاً، أَو صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ وهِيَ الطُّنْبُورُ أَو صَاحِبَ كَوْبَةٍ وهِيَ الطَّبْلُ، وقَدْ قِيلَ أيضاً إِنَّ الْعَرْطَبَةَ الطَّبْلُ، والْكَوْبَةَ الطُّنْبُورُ" نهج البلاغة: ص ٦٧٣.

(٣) وذلك في قوله عليه السلام: "فَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً أَو لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عليه السلام الَّذِي سُخِّرَ لَه مُلْكُ الْجِنِّ والإِنْسِ، مَعَ النُّبُوَّةِ وعَظِيمِ الزُّلْفَةِ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَه واسْتَكْمَلَ مُدَّتَه، رَمَتْه قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ، وأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْه خَالِيَةً، والْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً ووَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ" نهج البلاغة: ص ٣٥٢.

فرعون، فضلاً عن تأويل بعض الآيات الخاصة بموقف النبي موسى عليه السلام[١]. وكذلك نجد ذكر النبي عيسى عليه السلام وبضعة اشارات عن كيفية معيشته وبعض احواله الاجتماعية ومظاهر زهده عليه السلام[٢].

كما انه وبما يتصل بموضوع نبوة الأنبياء تحدث عن بعض اقوامهم في إشارة موجزة لكنها مركزة؛ كحديثه عن ثمود قوم صالح، وبني إسماعيل، وبني إسحاق، وبني إسرائيل، والفراعنة، والعمالقة، وأصحاب الرس، والمؤمنين الذين اتخذهم الفراعنة عبيداً واليهود. وهذا الذكر منه لهذه الأقوام كان على سبيل الوعظ والتذكير والاعتبار بما أصابهم بغية تجنب العوامل التي أدت إلى انحطاطهم ووقوع البلاء فيهم[٣].

---

(١) قال في موضع: "وإنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم، حَيْثُ يَقُولُ، * (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) *، والله مَا سَأَلَه إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُه، لأَنَّه كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الأَرْضِ، ولَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِه، لِهُزَالِه وتَشَذُّبِ لَحْمِه" نهج البلاغة: ص ٢٩٧. وفي موضع ثان قال عليه السلام: "ولَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ومَعَه أَخُوه هَارُونُ عليه السلام، عَلَى فِرْعَوْنَ وعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَه إِنْ أَسْلَمَ، بَقَاءَ مُلْكِه ودَوَامَ عِزِّه، فَقَالَ أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ، وبَقَاءَ الْمُلْكِ، وهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ والذُّلِّ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وجَمْعِه، واحْتِقَاراً لِلصُّوفِ ولُبْسِه" نهج البلاغة: ص ٣٩٣. وفي قول ثالث: "الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيماً وأَرَاه مِنْ آيَاتِه عَظِيماً، بِلَا جَوَارِحَ ولَا أَدَوَاتٍ ولَا نُطْقٍ ولَا لَهَوَاتٍ" نهج البلاغة: ص ٣٥١. وجاء في كلام له: "لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عليه السلام خِيفَةً عَلَى نَفْسِه، بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَّالِ ودُوَلِ الضَّلَالِ" نهج البلاغة: ص ٣٣.

(٢) يقول عليه السلام: "وإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، ويَلْبَسُ الْخَشِنَ ويَأْكُلُ الْجَشِبَ، وكَانَ إِدَامُه الْجُوعَ وسِرَاجُه بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وظِلَالُه فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الأرض ومَغَارِبَهَا، وفَاكِهَتُه ورَيْحَانُه مَا تُنْبِتُ الأرض لِلْبَهَائِمِ، ولَمْ تَكُنْ لَه زَوْجَةٌ تَفْتِنُه ولَا وَلَدٌ يَحْزُنُه، ولَا مَالٌ يَلْفِتُه ولَا طَمَعٌ يُذِلُّه، دَابَّتُه رِجْلَاه وخَادِمُه يَدَاه" نهج البلاغة: ص ٢٩٨. وفي موضع ثاني: قال في مدح الزاهدين السائرين على نهج المسيح عليه السلام: "طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الأرض بِسَاطاً، وتُرَابَهَا فِرَاشاً ومَاءَهَا طِيباً، والْقُرْآنَ شِعَاراً والدُّعَاءَ دِثَاراً، ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ". نهج البلاغة: ص ٦٧٢ ـ ٦٧٣.

(٣) جاء الحديث عن هؤلاء الأقوام ودعوة الإمام عليه السلام للاعتبار بحالهم في عدة مواضع منها:
ـ "وإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً، أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ، أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ، أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وأَطْفَئُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ وأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ، أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وهَزَمُوا بِالأُلُوفِ، وعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ ومَدَّنُوا الْمَدَائِنَ" نهج البلاغة: ص ٣٥٢. =

أما حديثه عن النبي الخاتم ﷺ فقد جاء بشكل أكثر تركيز وخصوصية كما يتبين من مفاصل هذه الاطروحة التي اختصت بتناول المادة الواردة في نهج البلاغة عن النبي محمد ﷺ وكيف عكست لنا رؤية الإمام لشخص النبي الأعظم ﷺ.

ان طبيعة المادة المختصة بالنبوة وتوافرها بمستوى عام وخاص في نصوص النهج، فرض علينا ـ في حال غياب النص الصريح المختص بالنبي ﷺ ـ تطبيق بعض الإشارات العامة عن الأنبياء على خصوص النبي ﷺ، وذلك لانسجام دعوتهم جميعاً ووحدة وظائفهم وسماتهم عدا بعض المزايا التي اختص بها ﷺ كونه خاتماً للأنبياء ومهيمنا عليهم وغيرها مما سنذكره في محله. **ثانيا**: نلاحظ أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نعت النبي ﷺ بأوصاف عدة في معرض حديثه عن النبي ﷺ، فتارة يقول عنه "نبي"(١)، وتارة "رسول"(٢)، فضلاً عن النعوت الأخرى من قبيل "البشير"(٣)، و"النذير"(٤)، و"الشاهد"(٥)، و"الأمي"(٦)، و"عبد الله"(٧)، و"الأمين"(٨)،

= ـ "فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، مِنْ بَأْسِ اللَّه وصَوْلَاتِه ووَقَائِعِه ومَثُلَاتِه، واتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ ومَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ". نهج البلاغة: ص ٣٩١ ـ ٣٩٢.وقد جاءت متفقة في سننها تاريخيا مع ماذكره القرآن ينظر مثلا: موسى نصار: الطغاة وسنن التاريخ في ضوء القرآن: ص٢٣١ ـ ٢٥٥.

(١) نهج البلاغة: ص ١٥٠، ١٨٧، ٢٤٤، ٤٠٧، ٥٠٢، ٥٩٦.

(٢) نهج البلاغة: ص ٩٢، ١٠٢، ١٠٧، ١٠٨، ١٨٥، ١٩٨، ٢١١، ٢٣٨، ٢٧٥، ٢٨٣، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٤٢، ٣٦١، ٣٧٦، ٣٨٠، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٧، ٤٢٢، ٤٣٣، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٧، ٤٨٦، ٥٢٧، ٥٢٧، ٥٧٦، ٦١٠.

(٣) نهج البلاغة: ص ١٩٣، ٣٢٩.

(٤) نهج البلاغة: ص ٥٦، ١٩٤، ٣٢٩، ٦٢٦.

(٥) نهج البلاغة: ص ١٠٨، ١٩٣، ١٩٨، ٢٢٥، ٦٢٦.

(٦) نهج البلاغة: ص ١٨٧.

(٧) ان صفة العبد هي أرقى وسام وأعلى مرتبة ينالها الإنسان في معراج تكامله المعنوي وقد منح القرآن هذا اللقب للرسول ﷺ في عدة مواضع من القرآن الكريم، ينظر مثلاً سورة الجن آية ١٨ ـ ١٩ وأيضا الكهف آية ١، أما في نهج البلاغة: ص ١٠٦، ١٨٥، ٢٧٥، ٣٤٢، ٣٦١، ٣٧٦، ٣٨٠، ٤١٧، ٤٤٧.

(٨) نهج البلاغة: ص ٥٦، ١٠٨، ١٨٥، ١٩٨، ٣٢٩، ٣٦١.

و"الصفي"[١]، و"الرضي"[٢]، و"الإمام"[٣]، و"الرشيد"[٤]، و"النجيب"[٥]، و"المصطفى"[٦]، و"الخاتم"[٧]، و"المجتبى"[٨]، و"الأطيب"[٩]، و"الأطهر"[١٠]، و"الأمين"[١١]، و"المأمون"[١٢] إلى غيرها من تلك الصفات التي تارة تأتي منفردة، وأخرى مترادفة مع عبارة ما، لتؤدي معناها بشكل أوفى[١٣].

في إشارة واضحة وردت في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيها: **"ولَمْ يُخْلِ اللّه سُبْحَانَه خَلْقَه مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أو كِتَابٍ مُنْزَلٍ أو حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أو مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ"**[١٤]، فوجود النبي المرسل[١٥] يُعد كما هو واضح من الطاف الله بعباده، ولئلا يكون للناس على الله حجة، ولابد ان يكون هذا اللطف شاملا لجميع الخلائق ولا يختص بزمان دون آخر.

فالنبي المرسل في المرتبة الأولى، إذ بعث الله رسله وجعلهم حجة له على

---

(١) نهج البلاغة: ص ٣٦١.
(٢) نهج البلاغة: ص ٣٦١.
(٣) نهج البلاغة: ص ١٧٦، ٢٢٦.
(٤) نهج البلاغة: ص ١٨٥.
(٥) نهج البلاغة: ص ٢٧٥.
(٦) نهج البلاغة: ص ٣٤٢، ٣٦١.
(٧) نهج البلاغة: ص ١٠٧، ٢٥١، ٣٢٩.
(٨) نهج البلاغة: ص ٣٤٢.
(٩) نهج البلاغة: ص ٢٩٨.
(١٠) نهج البلاغة: ص ١٩٤، ٢٩٨.
(١١) نهج البلاغة: ص ٥٦، ١٠٨، ١٨٥، ١٩٨، ٣٢٩، ٣٦١.
(١٢) نهج البلاغة: ص ١٠٨، ١٩٨.
(١٣) انظر مثلاً نهج البلاغة: ص ١٠٧، ١٩٤، ٢٢٥، ٣٢٩، ١٩٧، ١٩٨.
(١٤) نهج البلاغة: ص ٢٠.
(١٥) والتقيد بكونه مرسلا إشارة إلى انه لا بد من كونه صاحب شريعة وكتاب وذلك لا يكون الا في المرسلين، دون الأنبياء فقط، أو الأنبياء في الحقيقة كانوا مروجّين لشرايع المرسلين. ينظر: الخراساني: مفتاح السعادة: ١/ ٣٧١ ـ ٣٧٢.

خلقه " **لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الإِعْذَارِ إليهم** "[١]، وقال عليه السلام في حق النبي الخاتم صلى الله عليه وآله: "**أَرْسَلَه لإِنْفَاذِ أَمْرِه وإِنْهَاءِ عُذْرِه وتَقْدِيمِ نُذُرِه**"[٢].

وقد اتفق المسلمون واكثر الملل[٣] على ضرورة بعثة الأنبياء إلى الناس، بمعنى ان حكمة الله تقتضي ارسال الرسل لهداية البشر وارشادهم إلى مسالك السعادة، وتجنيبهم مهاوي الضلال والشقاء[٤].

لكن ما الادلة على ذلك؟

الدليل الأول: حكمته تعالى وتنزهه عن العبث واللغو في فعله.

لو لم يرسل الأنبياء إلى الناس حاملين نظم الحياة الاجتماعية الصحيحة، ومبينين لهم سبل العبادات المقربة إليه تعالى، لاضمحل المجتمع الإنساني، ولضل البشر في متاهات الشرك والفساد، وهذا مبطل لغرضه تعالى من الخلقة، ومستلزم للغو والعبث في فعله، تعالى الله عن ذلك علوا كبير

الدليل الثاني: النبوة طريق إلى سعادة الآخرة.

إن الهدف من خلق الإنسان تحليه بالكمالات المعنوية، وتهذيب النفس وتطهيرها من الشوائب، لبلوغ أعلى درجات القرب من الله تعالى، ونيل السعادة الأبدية، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٥]، وهذا لا ينال إلا بالوقوف على المعارف الحقة، وطرق الأعمال العبادية الصالحة، ومدارج نبذ التعلق بالأغراض الدنيوية الزائلة، فلابد حينئذ تحقيقا لحكمة الله

---

(١) نهج البلاغة: ص ٢٦٢.

(٢) نهج البلاغة: ص ١١٧.

(٣) ما عدا البراهمة والاشاعرة، أما البراهمة: فانكروا النبوات ضرورة وحسنا، واما الاشاعرة فأنكروا ضرورتها، ولكن لم ينكروا حسن البعثة. الطوسي: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ص٢٤٥ ـ ٢٤٩. المقداد السيوري: النافع يوم الحشر: ص٣٣٣. العاملي: بداية المعرفة: ص١٩٧، ٢٠٣ ـ ٢٠٦.

(٤) العاملي: بداية المعرفة: ص١٩٧. وعن فلسفة النبوة ينظر: السيد محمد باقر الصدر: المرسل، الرسول، الرسالة: ص٥٩ ـ ٦١.

(٥) سورة الذاريات الآية ٥٦.

تعالى في خلق البشر من إرسال شخص، لم يحصل له ذلك التعلق المانع، فيعلمهم المعارف الحقة، ويزيل عنهم ما علق من شبهات في عقولهم، ويعضد ما اهتدت إليه عقولهم بهدي الله وفطرته التي فطر الناس عليها، ويبين لهم مالم يهتدوا إليه، ويذكرهم بالنعيم الموعود، ويحذرهم من العقاب وسوء المآل[1].

وهذا ما ورد في كلام أمير المؤمنين عليه السلام مما نصطلح على تسميته (وظائف الأنبياء).



(١) لمزيد من التفاصيل ينظر: المقداد السيوري: النافع يوم الحشر: ص ٣٣٣ ـ ٣٣٥. الشيرازي: المقدمة العقائدية: ص١٤ ـ ١٥. حسن مكي العاملي: بداية المعرفة: ص ١٩٧ ـ ٢٠١. طارق محمد علي: عقائدنا (الحلقة الأولى والثانية): ص٦٦ ـ ٧١.

المبحث الأول

وظائف النبوة

يمكن أن نستشف من كلام أمير المؤمنين عليه السلام مجموع الوظائف التي انيطت بالأنبياء والرسل عليهم السلام:

أولاً: إداء ميثاق الفطره الإلهية[1]:

هنا الأنبياء طالبوا بأداء ميثاق الفطرة، وهو ميثاق التوحيد، إذ يقول الله سبحانه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[2]. فالدين والتوحيد له وجود نقي خالص من كل شائبة داخل نفس الإنسان، وأما الانحرافات فأمر عارض، ووظيفة الأنبياء إزالة هذه الأمور العارضة، وفسح المجال لفطرة الإنسان في الإشراق[3]. ويشهد بذلك أنه لما سئل الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام عن هذه الآية، قال: "فطرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته انه ربهم"[4]. وفي رواية أنه سئل الإمام الصادق عليه السلام، فقال: "هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، فقال: ألست بربكم؟ وفيهم المؤمن والكافر"[5].

---

(١) إشارة لقوله عليه السلام: "لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ". نهج البلاغة: ص ٢٠.

(٢) سورة الروم الآية ٣٠.

(٣) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: ١٢/ ٣٨٠.

(٤) ينظر: الصدوق: التوحيد: ص٣٣٠. ابن سليمان الحلي: مختصر بصائر الدرجات: ص١٦٠. الفيض الكاشاني: التفسير الأصفى: ٢/ ٩٥٩، ٤/ ١٣٢. البحراني: البرهان في تفسير القرآن: ٤/ ٣٤٤. المجلسي: البحار: ٦٤/ ٤٤. نعمة الله الجزائري: نور البراهين: ٢/ ٢١٤.

(٥) الكليني: الكافي: ٢/ ١٢. الفيض الكاشاني: الوافي: ٤/ ٥٨. الحر العاملي: الفصول المهمة: =

وما عبر عنه الإمام هنا وفي مواضع أخرى من خطب وتوجيهات هو تعبير عن حقيقة كبرى من الحقائق القرآنية، ورد التنبيه عليها أو الإشارة إليها في عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[1].

ويذهب باحث معاصر إلى إن نفس الإنسان خلقت صحيفة بيضاء لا شيء فيها، ولا توحي بشيء على الإطلاق، ولكنها تقبل كل ما يكتب فيها ويرسم، سواء أكان وحيا من الرحمن أم كان تضليلا من الشيطان، وبالبداهة إن الوحي من خالق الفطرة، وهو وحده الذي يجب أن يرسم فيها ما يرسم، وأن تؤمن به وتعمل[2].

ويضيف قائلاً: ويدلنا على صحة هذا التفسير إن الإنسان يولد، ولا يولد معه شيء إلا حواسه الخمس، ومعدة تطلب الطعام والشراب ـ لما هو مشاهد ـ بالحس والوجدان، ثم يكتسب معارفه مما يحيط به شيئاً فشيئا عن طريق هذه الحواس، وفي أقوال أهل البيت ما يعزز ذلك ويدل عليه، إذ روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: كان الناس قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله، لا مهتدين ولا ضالين، فبعث الله النبيين[3]. وبهذا فالمراد من قول الإمام عليه السلام: "**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ**" أي إن الأنبياء طلبوا من الناس أن يؤمنوا، ويعملوا بما أوحاه الله سبحانه إلى الفطرة على لسان أنبيائه، وليس معناه ـ كما يظن ـ إن الأنبياء طلبوا من الناس أن يؤمنوا بما توحيه الفطرة نفسها. كلا، لأنها صحيفة بيضاء لا توحي بشيء على الإطلاق[4].

=١/ ٤٢٣. المجلسي: مرآة العقول: ٧/ ٥٦. الحويزي: نور الثقلين: ٢/ ٩٥. المشهدي: كنز الدقائق: ص٢٣٣.

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٢ ـ ١٧٣.

(٢) مغنية: في ظلال نهج البلاغة: ١/ ٥٨ ـ ٥٩.

(٣) المشهدي: كنز الدقائق ٢/ ٣١٧. مغنية: الكاشف: ١/ ٣١٧. لمزيد من التفاصيل عن المراد بالآية ينظر المحمداوي: الإسلام قبل البعثة المحمدية: ص ٢١ ـ ٨٠.

(٤) مغنية: في ظلال نهج البلاغة: ١/ ٥٩.

أشار عليه السلام إلى السبب الرئيس الذي استوجب بعثة الأنبياء، فقال عليه السلام: **"لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ"**(١).

إذن هناك عهد لله قد تبدل، وحق لله قد جهل من المخلوقين، مما أدى بهم في أودية الشرك والضلال، وتلقفتهم الشياطين، فصدتهم عن معرفة الله وطاعته، أما عن ماهية هذا العهد، فيظهر إن المراد به ميثاق عالم الذر والمشار إليه في الآية القرآنية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾(٢). ويظهر إن المراد من هذا العالم وهذا العهد هو عالم الاستعداد والكفاءات، وعهد الفطرة والتكوين والخلق، فعند خروج أبناء آدم من أصلاب آبائهم إلى أرحام الأمهات، وهم نطف لا تعدو الذرات الصغار وهبهم الله الاستعداد لتقبل الحقيقة التوحيدية، وأودع ذلك السر الإلهي في ذاتهم وفطرتهم بصورة إحساس داخلي، كما أودعه في عقولهم وأفكارهم بشكل حقيقة واعية بنفسها. وبناءً على هذا، فإن جميع أبناء البشر يحملون روح التوحيد، وما أخذه الله من عهد منهم أو سؤاله إياهم: ألست بربكم؟ بلسان التكوين والخلق، وما أجابوه كان باللسان ذاته(٣)!

إن هذا العهد هو "عهد فطري"، وهو ما يعبر عنه علماء النفس بـ"الشعور الديني" الذي هو من الإحساسات الأصيلة في العقل الباطني للإنسان. وهذا الإحساس يقود الإنسان على امتداد التاريخ البشري إلى طريق معرفة الله ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾(٤)(٥). ولما كان الغالب على الخلق حب

---

(١) نهج البلاغة: ص١٩ ـ ٢٠.
(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٢.
(٣) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: ٥/١٩٦.
(٤) سورة الروم الآية ٣٠.
(٥) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: ٥/١٩٧ ـ ١٩٨.

الدنيا، والإعراض عن مقتضى الفطرة الأصيلة التي فطرهم الله عليها، والالتفاف عن القبلة الحقيقية التي أمروا بالتوجه إليها، وذلك بحسب ما ركب فيهم من القوى البدنية المتنازعة إلى كمالاتها، لا جرم كان من شأن كونهم على هذا التركيب المخصوص أن يبدل أكثرهم عهد الله سبحانه إليهم من الدوام على عبادته والاستقامة على صراطه المستقيم وعدم الانقياد لعبادة الشيطان كما قال سبحانه ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾[١]. وان يجهلوا حقه للغفلة بحاضر لذاتهم عما يستحقه من دوام الشكر، وأن يتخذوا الأنداد معه لنسيانهم العهد القديم، وان تجتذبهم الشياطين عن معرفته التي هي ألذ ثمار الجنة، وان تقتطعهم عن عبادته التي هي المرقاة إلى اقتطاف تلك الثمرة. ولما كان من شأنهم ذلك وجب في الحكمة الإلهية أن يختص صنفا منهم بالكمالات الشريفة التي يقتدر معه أبناء ذلك الصنف على ضبط الجوانب المتجاذبة، وعلى تكميل الناقصين ممن دونهم، وهم صنف الأنبياء عليهم السلام، والغاية منهم ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام: ليستأدوهم ميثاق الله فطرته، أي ليبعثوهم على أداء ما خلقوا لأجله وفطروا عليه من الإقرار بالعبودية لله، ويجذبوهم عما التفتوا إليه من إتباع الشهوات الباطنة واقتناء اللذات الوهمية الزائلة[٢].

يبدو من كلام أمير المؤمنين عليه السلام إن العهد التاريخي للإنسانية بدأ بظاهرة وجود النبوات في المجتمع البشري، هذه النبوات التي تقود مجتمعاتها نحو حياة أفضل، ووجود إنسان أكمل[٣]. إذ يشير عليه السلام في معرض حديثه عن قصة آدم "... **وأَهْبَطَه إلى دَارِ الْبَلِيَّةِ وتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ، واصْطَفَى سُبْحَانَه مِنْ وَلَدِه أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ**

---

(١) سورة يس الآية ٦٠.

(٢) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ١/٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(٣) شمس الدين: حركة التاريخ: ص ٧٢.

خَلْقِه عَهْدَ اللَّه إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّه واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَه، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَه...»[١]

هذا النص يوقفنا على عدة نقاط ستبحث في محلها، لكن الذي يهمنا هنا إشارته عليه السلام إلى كيفية بدء ظاهرة النبوة وإرسال الرسل، ولو عدنا إلى القرآن الكريم لوجدنا في آياته ما يشير إلى هذا المعنى، إذ يقول تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢].

فالآية تبين السبب في تشريع أصل الدين وتكليف النوع الإنساني به، وسبب وقوع الاختلاف فيه ببيان: إن الإنسان ـ وهو نوع مفطور على الاجتماع، والتعاون ـ كان أول اجتماعه امة واحدة، ثم ظهر فيه بحسب الفطرة الاختلاف في اقتناء المزايا الحيوية، فاستدعى ذلك وضع قوانين ترفع الاختلافات الطارئة، والمشاجرات في لوازم الحياة، فألبست القوانين الموضوعة لباس الدين، وشفعت بالتبشير والإنذار بالثواب والعقاب، وأصلحت بالعبادات المندوبة إليها ببعث النبيين، وإرسال المرسلين، ثم اختلفوا في معارف الدين أو أمور المبدأ والمعاد، فاختل بذلك أمر الوحدة الدينية، وظهرت الشعوب والأحزاب، وتبع ذلك الاختلاف في غيره، ولم يكن هذا الاختلاف الثاني إلا بغيا من الذين أوتوا الكتاب، وظلما وعتوا منهم بعدما تبين لهم أصوله ومعارفه، وتمت عليهم الحجة، فالاختلاف اختلافان: اختلاف في أمر الدين مستند إلى بغي الباغين دون فطرتهم وغريزتهم، واختلاف في أمر الدنيا وهو فطري وسبب لتشريع الدين، ثم هدى الله سبحانه

(١) نهج البلاغة: ص١٩ ـ ٢٠.
(٢) سورة البقرة الآية ٢١٣.

المؤمنين إلى الحق المختلف فيه بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[١].

ان ظاهر الآية يدل على إن هذا النوع قد مر عليهم في حياتهم زمان كانوا على الاتحاد والاتفاق، وعلى السذاجة والبساطة لا اختلاف بينهم بالمشاجرة والمدافعة في أمور الحياة، ولا اختلاف في المذاهب والآراء، وما يدل على نفي الاختلاف قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[٢]، فقد رتب بعثة الأنبياء وحكم الكتاب في مورد الاختلاف على كونهم امة واحدة، فالاختلاف في أمور الحياة ناشئ بعد الاتحاد والوحدة، والدليل على نفي الاختلاف الثاني قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا﴾[٣]، فالاختلاف في الدين إنما نشأ من قبل حملة الكتاب بعد إنزاله بغياً[٤].

ثانياً: تذكيرهم بالمنسي من نعم الله[٥]:

هنا يقصد بالنعمة، ما يمنّ الله بها على العباد في عالم الذر والميثاق، أو لعله يقصد جميع النعم المغفول عنها، والرأي الأول هو الظاهر نظرا إلى ظاهر لفظ النسيان[٦]. إذ إن الإنسان ينطوي على نعم مادية ومعنوية جمة ولو استغلها كما ينبغي فإنه سيشيد صروح سعادته وفلاحه، في حين سيفقد مثل هذه السعادة إذا ما نساها وتجاهل استعمالها واستغلالها[٧]. ثم إن هذا التذكير تارة يكون بالترغيب فيما عقده سبحانه مما أعده لأوليائه الأبرار، وتارة بالترهيب مما

(١) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن: ٢/ ١٠٤.
(٢) سورة البقرة الآية ٢١٣.
(٣) سورة البقرة الآية ٢١٣.
(٤) الطباطبائي: الميزان: ٢/١١٦ ـ ١١٧.
(٥) إشارة إلى قوله عليه السلام: "وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ". نهج البلاغة: ص ٢٠
(٦) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٢/ ١٢١.
(٧) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ١/ ١٤١.

أعده لأعدائه الظالمين من عذاب النار، تارة بالتنفير عن خسائس هذه الدار، وبيان وجوه الاستهانة بها والاستحقار[١].

ثالثاً: احتجاجهم بالتبليغ[٢]:

إتمام الحجة على الناس من خلال الأدلة العقلية ـ إلى جانب المسائل الفطرية ـ وإرشادهم إلى الكمال في ظل التعاليم السماوية والأوامر والأحكام الشرعية[٣].

رابعاً: إثارتهم دفائن العقول[٤]:

هذه القضية تعني بعث القوى العقلية والنفسية في الإنسان لانجاز عملية التقدم الصحيح والتغيير الإيجابي في المجتمع عن طريق الحركة التاريخية المستبطنة للوعي الإيماني المستقيم[٥]. إذ إن الناس قد يستطيعون فهم أمور بصورة مبهمة ونصف واعية، لكن استكمال فهمها، والارتفاع إلى مستوى الوعي التام بها يحتاج إلى مذكر يخرجهم من حالة الغفلة التي كانوا عليها، إذ يلاحظ إن القرآن في كثير من الموارد يسمي نفسه أو سائر الكتب السماوية بأسماء يكون طابعها الذكر والتذكرة ومن هذه الاسماء: الذكر[٦]، ذكرى[٧]، تذكرة[٨]، وهذه التسمية ناشئة من تلك الملاحظة. فعملية التذكر تعني إن إنسانا يعرف شيئاً ثم نسيه أو غفل عنه أي أصبحت معرفته له نصف واعية، ولا يؤثر العلم في انتخاب الإنسان إلا إذا التفت إليه. وقد تنحط بعض المجتمعات ـ

---

(١) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٥٠. الآملي: تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم: ٢/٣٠٦.
(٢) إشارة إلى قوله عليه السلام: "وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ". نهج البلاغة: ص ٢٠
(٣) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ١/ ١٤٢.
(٤) إشارة إلى قوله عليه السلام: "وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ". نهج البلاغة: ص ٢٠
(٥) شمس الدين: حركة التاريخ: ص ٨٠.
(٦) كما في قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ سورة الحجر الآية ٩.
(٧) كما في قوله تعالى﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنعام آية ٩٠.
(٨) كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾سورة المدثر الآية ٥٤.

نتيجة لعوامل مختلفة ـ لتعم الغفلة كل حياتها، فيصاغ الجو الاجتماعي بشكل لا تكون فيه هذه المسائل مطروحة للبحث، والطريق للناس إلى معرفتها، ها هنا يبرز دور الأنبياء في إخراج الناس من هذه الغفلة إلى حالة الوعي[١].

إن استعمال كلمة (الدفائن) في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نصه السابق إنما هو استعارة لطيفة، فإنه لما كانت جواهر العقول ونتائج الأفكار موجودة في النفوس بالقوة فأشبهت الدفائن، فحسن استعارة لفظ الدفينة لها، ولما كان الأنبياء هم الأصل في استخراج تلك الجواهر لإعداد النفوس لإظهارها حسنت إضافة إثارتها إليهم[٢]. إذ إن مهمة الأنبياء تكمن في أن يكشفوا للناس كنوز العلوم والمعارف الكامنة في عقولهم، فقد أودع الله هذه العقول كنوزا عظيمة قيمة، لو ظهرت واستغلت لشهدت العلوم والمعارف نهضة عظيمة وجبارة غير إن هذه الكنوز استترت اثر هذه الغفلة والتعاليم الفاسدة والذنوب والمعاصي والتلوث الأخلاقي، فبعث الأنبياء لإزالة هذه الحجب وإثارة تلك الكنوز المفعمة بالعلوم والمعارف[٣].

خامساً: يرونهم آيات المقدرة[٤]:

أي جعل الطبيعة موضوعا للبحث والتأمل، فإن مراقبة الطبيعة لفهمها والتعامل معها واكتشافها تعزز قضية الإيمان، لأنها تقدم مزيداً من الأدلة التجريبية على ما أدركته الفطرة السليمة من قضايا الالوهية. كذلك يعين التعامل مع الطبيعة بصورة مباشرة على انجاز عملية التقدم، بل شرط أساسي لانجاز التقدم المادي، وإذ تتحد قضية الإيمان في ذات الإنسان مع حركته التاريخية في الطبيعة والمجتمع فيكون تقدماً على هدى الإيمان، وأخلاقيات الروح

---

(١) محمد تقي مصباح: النبوة في القرآن: ص ٢٩.
(٢) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٥٠ ـ ٣٥١. الآملي: تفسير المحيط الأعظم: ٢/ ٣٠٦.
(٣) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ١/ ١٤٢.
(٤) إشارة إلى قوله عليه السلام: «ويُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ». نهج البلاغة: ص ٢٠

والعقل، ويكون إيماناً يستجيب للحياة الدنيا ولا يقف منها موقف الرفض والعداء[١].

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ست آيات من تلك الآيات، وبينها بقوله: "**مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ**"[٢].

فالأنبياء يرشدونهم إلى التأمل في آيات القدرة الإلهية من سقف فوقهم موضوع مشتمل على بدائع الصنع وغرائب الحكم، ومهاد تحتهم موضوع فيه ينتشرون وعليه يتصرفون، ومعائش بها يكون قوام حياتهم الدنيا، وبلاغ لمدة بقائهم لما خلقوا له، وآجال مقدرة بها يكون فنائهم ورجوعهم إلى بارئهم، وأعظم بالأجل آية رادعة وتقديراً جاذباً إلى الله تعالى، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: "أكثروا من ذكر هادم اللذات"[٣]. إلى غير ذلك من الأمراض التي تضعف قواهم وتهرمهم، والمصائب التي تتابعت عليهم، فإن كل هذه الآثار موارد احتجاج الأنبياء على الخلق ينبهونهم بصدورها عن العزيز الجبار عز سلطانه على انه هو الملك المطلق الذي له الخلق والأمر، ليقروا في أذهانهم صورة ما نسوه من العهد المأخوذ عليهم في الفطرة الأصلية من انه سبحانه هو الواحد الحق المتفرد باستحقاق العبادة، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[٤]. وقوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[٥]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾

(١) شمس الدين: حركة التاريخ عليه السلام: ص ٨٠.

(٢) نهج البلاغة: ص٢٠.

(٣) أبو طالب المكي: قوت القلوب: ٢/ ٤٢. الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٧٥. ابن سلامة: مسند الشهاب: ١/ ٣٩١. ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣٤/ ٤٢. ابن قدامة: المغني: ٢/ ٣٠٢. ابن أبي جمهور الأحسائي: عوالي اللئالي: ١/ ٢٤٧.

(٤) سورة الأنبياء الآية ٣٢.

(٥) سورة البقرة الآية ١٦٤.

وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[1]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على احتجاج الخالق سبحانه على خلقه بألسنة رسله، وتراجمة وحيه، وجذبهم بهذه الألطاف إلى القرب من ساحل عزته، والوصول إلى حضرة قدسه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[2][3].

سادساً: التبشير والإنذار:

من مهام الأنبياء التي وردت الإشارة إليها في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام مهمة "التبشير والانذار"، وهما من أهم مهام الأنبياء والرسل وضرورتها محسوسة جدا، لما لها من آثار في تحريك رغبات الناس ببيان الوان العذاب الإلهي، وألوان النعم الالهية. وقد وردت ذكر هاتين الصفتين في أكثر من مقطع من كلامه الشريف إذ يقول عليه السلام في معرض حديثه عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، **"بَلَّغَ عَنْ رَبِّه مُعْذِراً، ونَصَحَ لأُمَّتِه مُنْذِراً، ودَعَا إلى الْجَنَّةِ مُبَشِّراً، وخَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّراً"**[4]، وقوله عليه السلام: **"أَمِينُ وَحْيِه، وخَاتَمُ رُسُلِه، وبَشِيرُ رَحْمَتِه، ونَذِيرُ نِقْمَتِه"**[5]، **"شَهِيداً وبَشِيراً ونَذِيراً"**[6]، وقوله عليه السلام: **"فَإِنَّ اللَّه جَعَلَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَلَماً لِلسَّاعَةِ، ومُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ ومُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ"**[7]، وقوله عليه السلام: **"وأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ"**[8]، وقوله: **"أَرْسَلَه لإِنْفَاذِ**

---

(١) سورة الذاريات الآيات ٤٧ ـ ٤٩.

(٢) سورة إبراهيم الآية ٣٤.

(٣) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٤) نهج البلاغة: ص٢١٠.

(٥) نهج البلاغة: ص٣٢٩.

(٦) نهج البلاغة: ص١٩٣ ـ ١٩٤.

(٧) نهج البلاغة: ص٣٠٠.

(٨) نهج البلاغة: ص١٣٧.

أَمْرِه، وإِنْهَاءِ عُذْرِه، وتَقْدِيم نُذُرِه"[(١)]، وقوله: **"إِنَّ اللَّه بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ"**[(٢)].

إن إشارات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في أعلاه، وان كان قد عنى بها عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله إلا انها لا تختص به وحده، فإن الانذار والتبشير من ميزات جميع الأنبياء عليهم السلام، ومن أهم المهام المناطة بهم عليهم السلام وهذا ما نجده ماثلا في آيات الذكر الحكيم[(٣)].

ومع أن البشير والنذير وصفان متقارنان في الآيات اعلاه، وفي كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، الا ان بعض الآيات تذكر النبي بعنوان انه "نذير" فحسب، ولا نجد هذا الحال ينطبق على "البشير"، إذ لم يرد في آيات القرآن وفي كلام الإمام عليه السلام كما هو واضح اعلاه، ذكر "البشير" وحده اطلاقا.

ولهذا سر يتعلق بالمجال النفسي والتربوي، فهو يدل على ان الانذار أهم من التبشير في مجال التربية الإنسانية، وبعبارة أخرى فإن لعامل "الخوف" تاثيراً اكبر في نفس الإنسان من عامل "الأمل" لا سيما إذا أردنا إيجاد تغيير في حياته ليكف عن سلوكه السابق بارادته، ويختار ما يقترحه عليه المربي، فالانذار مؤثر أكثر من التبشير. ولعل هذه الملاحظة هي وراء ذكر القرآن "النذير" وحده صفة للمبعوث من قبل الله، دون أن يفعل ذلك في "البشير"[(٤)].

وهذا ما نلمسه بوضوح أيضاً في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام كما هو بين في أعلاه، وذلك لأن الإمام عليه السلام سائر على نهج القرآن في أدق تفصيلاته. وقد

---

(١) نهج البلاغة: ص١١٧.

(٢) نهج البلاغة: ص٥٦.

(٣) يقول الله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ البقرة ٢١٣، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ سورة سبأ ٢٨، وقوله: ﴿إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ سورة ص الآية٧٠، وقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ سورة فاطر الآية٢٤.

(٤) مصباح: النبوة في القرآن: ص ١٦٦.

خص عليه السلام النذارة بالذكر واختارها على البشارة إذ المقصود في هذا المقام التوبيخ للعرب وترقيق قلوبهم المشتملة على الغلظة والفظاظة، ولا ريب ان الانذار اقوى في الترقيق والردع، وذلك لأن عامة الخلق الا قليلاً منهم انظارهم مقصورة على زخارف الدنيا وشهواتها غافلون عن نعم الآخرة ولذاتها، فلا يرغبون عن النعم الحاضرة بما يبشرون بها من النعم الغائبة، ولا يقابلون اللذائذ الموجودة بلذائذ موعودة، لكون هذه عندهم نقدا وتلك نسيئة، وكان السبب الاقوى في الردع والالتفاف إلى الله إنما هو الانذار والتخويف، فاختار كونه نذيراً على كونه بشيرا[1].

وهنا ينبغي الا ننسى بأن انذار النبي صلى الله عليه وآله يشمل كافة الكائنات الأمر الذي يدل على عالمية الدين الإسلامي وخلوده، لأن العالمين مفهوم واسع يشمل كافة أفراد البشرية في كل عصر ومصر[2].



(١) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٣/ ٣١٥.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ٢/ ٧٢.

المبحث الثاني

علامات النبوة

أولاً: شرف النسب وطهارة المولد:

أنبياء الله صفوة عباده وخير خلقه، ولولا ذلك لما كلفهم بالقيام بحقه، وقد استخلصهم من اكرم العناصر، وامدهم بأوكد الاواصر؛ حفظا لنسبهم من قدح، ولمنصبهم من جرح، لتكون النفوس لهم أوطأ، والقلوب لهم اصفى، فيكون الناس إلى اجابتهم اسرع، ولأوامرهم اطوع(1).

لقد كان من مصاديق الاجتباء الإلهي لهذه الصفوة من عباده ان "**اسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ**"(2) وهو اصلاب الآباء "**وأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ**"(3)، أرحام الامهات، كما قال سبحانه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾(4). ثم استرسل عليه السلام قائلاً: "**تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الأَصْلَابِ إلى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ**"(5)، وتناسخ الاصلاب لهم إلى مطهرات الأرحام نقلهم إليها نطفا، وكرائم الاصلاب ما كرم منها، وحق لاصلاب

---

(1) الماوردي: أعلام النبوة: ص١٨٥.
(2) نهج البلاغة: ص١٧٥.
(3) نهج البلاغة: ص١٧٥.
(4) سورة الأنعام الآية ٩٨.
(5) نهج البلاغة: ص ١٧٥.

سمحت بمثلهم ان توصف بالكرم. ومطهرات الأرحام ما طهر منها وحق لما استعد منها لانتاج مثل هذه الامزجة وقبولها ان تكون طاهرة من كدر الفساد[١].

فاصول الأنبياء من جهة الاباء والامهات مطهرة عن الشرك، وعن أي دنس ـ وسنأتي على ذلك تفصيلا ـ وقال النبي الأعظم ﷺ: "نقلنا من الاصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية"[٢].

وفي رواية ان احدهم سأل النبي الأعظم ﷺ عن كيفية خلقه ﷺ فقال: "لقد سألت عن أمر جسيم، لا يحتمله الا ذو حظ عظيم، وان الأنبياء والاوصياء مخلوقون من نور عظمة الله جل ثناؤه، يودع الله انوارهم اصلابا وارحاما طاهرة، يحفظها بملائكته، ويربيها بحكمته ويغذوها، فأمرهم يجل عن ان يوصف، وأحوالهم تدق عن ان تعلم، لأنهم نجوم الله في أرضه، وأعلامه في بريته، وخلفاؤه على عباده، وأنواره في بلاده، وحججه على خلقه، هذا من مكنون العلم ومخزونه، فاكتمه إلا من اهله"[٣].

وهذا ما خص الله ، أنبياءه الكرام على مر الزمان، إذ اودع انوارهم في الاصلاب والارحام الطاهرة حتى افضت كرامة الله وانتهت نبوته إلى الحبيب محمد ﷺ، فبلغت بوجوده الشريف سلسلة النبوة والرسالة الغاية، واشرق وجه الأرض بنوره، ...

بلغ العلا بكماله كشف الدجى بجماله[٤]

---

(١) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٢/ ٥٢٥.

(٢) ابن معد: الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ص٥٦. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٧/ ٦٣، ١٤/ ٦٧. ابن ميثم: اختيار مصباح السالكين: ص ٢٣٥. العلامة الحلي: أجوبة المسائل المهنائية: ص١٢٧.

(٣) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٧/ ٨٢.

(٤) تكملة البيت:

بلغ العلى بكماله كشف الدجى بجماله
حسنت جميع خصاله صلّوا عليه وآله=

وقد كان النبي الأعظم ﷺ في "عالم المعنى والاصلاب الشامخة والارحام المطهرة قشورا لذلك اللب احاطت به احاطة الاشعة بالسراج، فهو مفارق لتلك المحال الشريفة في التقدير وان كان مقارنا لها في التدبير"[(١)].

فكان مما خص به ﷺ ان: "**أَخْرَجَه مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وأَعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَه، وانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَه**"[(٢)]، ف "**مُسْتَقَرُّه خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، ومَنْبِتُه أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، ومَمَاهِدِ السَّلَامَةِ**"[(٣)].

وقد بين أمير المؤمنين عليه السلام في هذه المقاطع كرامة الله لنبيه في طهارة جذوره العريقة، كما أشار إلى ذلك الذكر الحكيم، إذ يقول تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[(٤)].

وقال النبي الأعظم ﷺ: (نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح، كلنا بنكاح)[(٥)]. وإلى ذلك أشار القرآن قال تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي

=وهي للشاعر أبي محمد مصلح الدين عبد الله بن مشرف بن مصلح بن مشرف المعروف بالشيخ سعدي الشيرازي ت ٦٩١هـ/ ١٢٩٠ م، أديب، شاعر، صوفي، ولد بشيراز في أوائل العشر الأول من القرن السابع، وأقام ببغداد، وتفقه بالمدرسة النظامية، وعين معيدا بها، وسافر إلى الشام وارض الروم، ثم رجع إلى شيراز، وتوفي بها. من آثاره باللغة العربية: ديوان شعر صغير. ومؤلفات ورسائل في الأدب والأخلاق، ينظر: البغدادي: إيضاح المكنون ١/ ١٧٠، ٢/ ٧١، ٦٩١، هدية لعارفين ١/ ٣١٩، ٢/ ٢٩٣، ٤٣٤، ٤٦٢. الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٣/ ١٠٥. كحالة: معجم المؤلفين: ٦/ ١٥١.

(١) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٧/ ٨٢.

(٢) نهج البلاغة: ص ١٧٦.

(٣) نهج البلاغة: ص١٧٨.

(٤) سورة التوبة الآية ١٢٨.

(٥) القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١/ ١٥. السيوطي: الخصائص الكبرى: ١/ ٣٨، الدر المنثور: ٣/ ٢٩٤. الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد ١/ ٢٣٦. الحلبي: السيرة الحلبية: ١/ ٦٨. القندوزي: ينابيع المودة: ١/ ٦١. الشوكاني: فتح القدير: ٢/ ٤٢٠.

﴿ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾[١]. يقول النبي صلى الله عليه وآله: "لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين إلى ارحام الطاهرات"[٢].

ومما يلفت النظر ويدعو اللبيب للتأمل في النص السابق تشبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للأصل النبوي بـ"الشجرة"، ومن هذا المورد ونظائره التي ستأتينا يمكن ان نستقي بضعة ايحاءات وجبت الإشارة إليها والوقوف بشيء من التأمل عندها لعلنا نستبين مقصد الإمام من تعدد الإشارة إلى ذلك إذ يقول في أكثر من موضع:

- "**اخْتَارَه مِنْ شَجَرَةِ الأنبياء، ومِشْكَاةِ الضِّيَاءِ، وذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ، وسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ، ومَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ، ويَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ**"[٣].

- "**أُسْرَتُه خَيْرُ أُسْرَةٍ، وشَجَرَتُه خَيْرُ شَجَرَةٍ، أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ**"[٤].

- "**عِتْرَتُه خَيْرُ الْعِتَرِ، وأُسْرَتُه خَيْرُ الأُسَرِ، وشَجَرَتُه خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ، وبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وثَمَرٌ لَا يُنَالُ**"[٥].

- "**نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، ومَحَطُّ الرِّسَالَةِ**"[٦].

والإيحاءات التي يمكن استظهارها من هذه النصوص هي:

أولاً: إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذه المواضع ـ وهو ربيب القرآن ـ وجريا على منهج الذكر الحكيم قد ضرب الامثال للناس؛ لما للامثال من اثر في "تقريب المراد، وتفهيم المعنى، وايصاله إلى ذهن السامع، واحضاره في

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٩.

(٢) الفخر الرازي: مفاتيح الغيب: ٣٩/١٣. الحلبي: السيرة الحلبية: ٤٥/١. الجزائري: النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين: ص١٠٨. الآلوسي: روح المعاني: ١٩٥/٧.

(٣) نهج البلاغة: ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٤) نهج البلاغة: ص ٣٠٢.

(٥) نهج البلاغة: ص ١٧٦.

(٦) نهج البلاغة: ص ٢١٠.

نفسه بصورة المثال الذي مثل به، فقد يكون اقرب إلى تعقله، وفهمه، وضبطه، واستحضاره له باستحضار نظيره، فإن النفس تأنس بالنظائر والاشباه، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير. ففي الامثال من تأنس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت الامثال ازداد المعنى ظهورا ووضوحا، فالامثال شواهد المعنى المراد، وهي خاصية العقل ولبه وثمرته"[١]، والمعلوم ان الامثال القرآنية تدور بين كونها تمثيلا قصصيا أو تمثيلا طبيعيا كونيا[٢].

ويمكن القول: ان أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المقام استعمل النوع الثاني وهو "التمثيل الطبيعي" الذي عرف بأنه: "عبارة عن تشبيه غير الملموس بالملموس، والمتوهم بالمشاهد، شريطة ان يكون المشبه به من الامور التكوينية"[٣]. فهو عليه السلام استعار هذا المحسوس "الشجرة" للتشبيه بغير المحسوس "الأصل النبوي"، وذلك لما في "الشجرة" من خصائص يمكن ان تنطبق على المشبه به من جهة المقومات التي تمتلكها الشجرة من: العرق المتجذر في الأرض، والاصل القائم، والاغصان، والفروع والثمار. مع التنبيه على ان هذه هي صفات الاشجار الطيبة القوية الاصيلة وليست كغيرها من الشجر غير الجيد كما سيأتي بيانه.

ثانياً: لو تأملنا بدقة في اشارات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لوجدنا التشبيه مطابقا للتشبيه المذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[٤]. ويمكن ان يقارب

(١) ابن الجوزي: إعلام الموقعين ١/ ٢٩١، نقلا عن: السبحاني: الامثال في القرآن: ص ١٢. ونقل الشنقيطي كلام ابن الجوزي دون الإشارة إليه: ينظر: أضواء البيان: ٤/ ٢٠٣.

(٢) السبحاني: الامثال في القرآن: ص٢١.

(٣) السبحاني: الامثال في القرآن: ص ٢٠ ـ ٢١.

(٤) سورة إبراهيم: الآيتان ٢٤ ـ ٢٥.

مثالا آخر في كتاب الله حين يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[١]. ففي الإشارات القرآنية في أعلاه تتحقق المطابقة ما بين المثال القرآني والمثال في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، فالشجرة الموصوفة في القرآن لها ميزات تتناغم مع ميزات الشجرة الموصوفة في كلامه عليه السلام، فقد وصفت الشجرة في القرآن بعدة صفات:

الصفة الأولى: إنها "شجرة طيبة" و"مباركة"، أي كريمة المنبت، وفي قول: طيبة المنظر، والصورة، والشكل، طيبة الرائحة، طيبة الثمرة، يعني ثمارها المتولدة منها تكون لذيذة مستطابة، وكونها طيبة حسب المنفعة يعني انها كما يستلذ بأكلها فكذلك يعظم الانتفاع بها، ويجب حمل قوله: "شجرة طيبة" على مجموع هذه الوجوه، لأن باجتماعها يحصل كمال الطيب[٢].

الصفة الثانية: (أصلها ثابت): أي ضارب في الأرض بعروقه القوية، راسخ باق آمن الانقطاع والزوال والفناء؛ لأن الشيء الطيب إذا كان في معرض الانقراض والانقضاء فهو وان يحصل الفرح بوجوده إلا أنه يعظم الحزن بسبب الخوف من زواله وانقضائه، اما إذا علم من حاله انه باق دائم لا يزول ولا ينقضي فإنه يعظم الفرح بوجوده، ويكمل السرور بسبب الفوز به[٣].

ونجد في كلام أمير المؤمنين عليه السلام إشارات مجازية يمكن ان تقارب هذا المعنى القرآني في هذا الجانب، إذ يقول عليه السلام: "**مُسْتَقَرُّه خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُه أَشْرَفُ مَنْبِتٍ**"[٤]، وقوله: "**نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ**"[٥]، وقوله: "**فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ**

(١) سورة النور الآية ٣٥.

(٢) الفخر الرازي: مفاتح الغيب: ١٩/ ١١٦.

(٣) الفخر الرازي: مفاتح الغيب: ١٩/ ١١٧.

(٤) نهج البلاغة: ص١٧٨.

(٥) نهج البلاغة: ص ١٧٦.

مُسْتَوْدَعٍ وأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ"(١). إن هذه الإشارات تعطي دلالة على الأصل الطيب الثابت.

الصفة الثالثة: (فرعها في السماء)، يقول الفخر الرازي(٢): "هذا الوصف يدل على كمال حال هذه الشجرة من وجهين: **الأول**: ان ارتفاع الاغصان وقوتها في التصاعد يدل على ثبات الأصل ورسوخ العروق. **والثاني**: انها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عفونات الأرض، وقاذورات الابنية، فكانت ثمرتها نقية ظاهرة طيبة من جميع الشوائب". وإلى هذا المعنى ما يماثله في وصف أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول عن تلك الشجرة "وبَسَقَتْ فِي كَرَم"(٣)، وبسق الشيء: إذا علا وارتفع(٤)، وأراد عليه السلام ان كرمها عال على غيرها(٥).

ثم يصف تلك الفروع والاغصان بصفات عدة: "**لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ وثَمَرٌ لَا يُنَالُ**"(٦). وذلك لعلوها واستطالتها وكرم اصلها(٧). وفي موضع آخر يقول عليه السلام: "**أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ وثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ**"(٨) أي متدلية لثقلها وكثرة حملها(٩)، وهذا ما يوافق قوله تعالى: في الصفة الرابعة ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾(١٠)، وعلق ابن أبي الحديد(١١) على قوله عليه السلام: "وثمرها لا ينال"

---

(١) نهج البلاغة: ص ١٧٥.
(٢) مفاتح الغيب: ١٩/ ١١٧.
(٣) نهج البلاغة: ص١٧٦.
(٤) الفراهيدي: العين ٥/ ٨٥. الحربي: غريب الحديث: ٣/ ١١٢٢ ـ ١١٢٣. الجوهري: الصحاح: ٤/ ١٤٥٠. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: ١/ ٢٤٨. ابن منظور: لسان العرب: ١٠/ ٢٠. الزبيدي: تاج العروس: ١٣/ ٣٨.
(٥) الحسيني: الديباج الوضي: ٢/ ٧٧٧.
(٦) نهج البلاغة: ص١٧٦.
(٧) الحسيني: الديباج الوضي: ٢/ ٧٧٧.
(٨) نهج البلاغة: ص٣٠٢.
(٩) الحسيني: الديباج الوضي: ٣/ ١٣١٤.
(١٠) سورة إبراهيم الآية ٢٥.
(١١) شرح نهج البلاغة: ٧/ ٥١.

ان ليس المراد منه ان ثمرها لا ينتفع به؛ لأن ذلك ليس بمدح، بل يريد أن ثمرها لا ينال قهرا، ولا يجنى غصبا، ويجوز ان يريد بثمرها نفسه عليه السلام، ومن يجري مجراه من أهل البيت لأنهم ثمرة تلك الشجرة.

لقد أثير جدل حول طبيعة الشجرة ونوعها فهل هي المؤمن[1] أم النخلة[2] أم شجر جوز الهند[3]، أم هي شجرة في الجنة[4]، أم هي أي شجرة طيبة الثمار كالتين والعنب والرمان وغيرها[5]؟ وقد اختار الغرناطي[6] انها "شجرة غير معينة الا انها كل من اتصف بتلك الصفات"، وكان للفخر الرازي[7] تعليق لطيف حول اختلاف المفسرين في ماهية الشجرة الموصوفة في القرآن إذ يقول: "هؤلاء وان اصابوا في البحث عن مفردات ألفاظ الآية، الا انهم بعدوا عن إدراك المقصود، لأنه تعالى وصف هذه الشجرة بالصفات المذكورة، ولا حاجة بنا إلى أن تلك الشجرة هي النخلة أم غيرها، فانا نعلم بالضرورة ان الشجرة الموصوفة بالصفات الاربع المذكورة شجرة شريفة ينبغي لكل عاقل ان يسعى في تحصيلها وتملكها لنفسه، سواء كان لها وجود في الدنيا أو لم يكن، لأن هذه الصفة أمر مطلوب التحصيل".

في الوقت الذي أشارت بعض التفاسير وكتب الحديث إلى أن المراد بهذه الشجرة الطيبة "أهل البيت عليهم السلام": فالشجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونسبه ثابت في بني هاشم، أما فرع الشجرة فهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وغصن الشجرة هي السيدة فاطمة عليها السلام، أما ثمرها فهما الإمامان الحسن

---

(١) والشجرة الخبيثة الكافر. ينظر: ابن أبي حاتم: تفسير القرآن ٧/ ٢٢٤١. السيوطي: الدر المنثور: ٤/ ٧٥.

(٢) والشجرة الخبيثة: الحنظلة. ابن أبي حاتم: تفسير: ٧/ ٢٢٤٢ ـ ٢٢٤٣. السيوطي: الدر المنثور: ٤/ ٧٦ ـ ٧٧. وينظر: الترمذي: سنن الترمذي: ٤/ ٣٥٨.

(٣) السيوطي: الدر المنثور: ٤/ ٧٧.

(٤) ابن أبي حاتم: تفسير: ٧/ ٢٢٤٤. السيوطي: الدر المنثور: ٤/ ٧٧.

(٥) الآلوسي: روح المعاني: ١٣/ ٢١٤.

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ١٤٢.

(٧) مفاتح الغيب: ١٩/ ١٢٠.

والحسين عليه السلام والأئمة من ولد الإمام علي والصديقة فاطمة عليها السلام، وشيعتهم ورقها[١].

وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[٢]. فقال "رسول الله صلى الله عليه وآله اصلها، وامير المؤمنين فرعها، والأئمة من ذريتهما اغصانها، وعلم الائمة ثمرتها، وشيعتهم المؤمنون ورقها"[٣].

يقول الطباطبائي[٤] في تعليقه على هذه الرواية: ان هذه "الرواية مبنية على كون المراد بالكلمة الطيبة هو النبي صلى الله عليه وآله، وقد اطلقت الكلمة في كلامه على الإنسان كقوله ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾[٥]. ومع ذلك فالرواية من باب التطبيق ومن الدليل عليه اختلاف الروايات في كيفية التطبيق".

وفي قول أمير المؤمنين عليه السلام: "**نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ...**"[٦] ما قد يتناغم مع هذا التفسير، إذ "كانه جعل النبوة كثمرة اخرجتها شجرة بني هاشم"[٧].

وفي مقابل هذا نجد من يذهب إلى أن المقصود بتلك الشجرة الطيبة الموصوفة بالقرآن بأن التي أصلها ثابت، وفرعها في السماء هي قريش،

---

(١) ينظر: الصفار: بصائر الدرجات ص٧٩. الكليني: الكافي ١/ ٤٢٨، فرات الكوفي: تفسير فرات: ص٢٢٠. الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل: ١/ ٤٠٦. ابن مردويه: المناقب: ص٢٦٩. المازندراني: شرح أصول الكافي: ٧/ ١٠٢. البحراني: البرهان في تفسير القرآن: ٣/ ٢٩٧. الفيض الكاشاني: التفسير الأصفى: ١/ ٦١٧. المجلسي: البحار: ٢٤/ ١٤٣، ٦٤/ ٣٨، مرآة العقول ٥/ ١٠٤. الحويزي: نور الثقلين: ٢/ ٥٣٥. المشهدي: كنز الدقائق: ٧/ ٥١. الآلوسي: روح المعاني: ١٣/ ٢١٥. الشيرازي: تقريب القرآن إلى الأذهان: ٣/ ١٢٦.

(٢) سورة إبراهيم الآية ٢٤.

(٣) الصفار: بصائر الدرجات: ص٧٩. الكليني: الكافي: ١/ ٤٢٨. المجلسي: مرآة العقول: ٥/ ١٠٤.

(٤) الميزان: ١٢/ ٥٦ ـ ٥٧.

(٥) سورة آل عمران الآية ٤٥.

(٦) نهج البلاغة: ص٢١٠.

(٧) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٧/ ١٧٦.

فاصلها كبير وفرعها في السماء في الشرف فقد شرفهم الله بالإسلام الذي هداهم الله له، وجعلهم من اهله[١]. مستدلين برواية عن رسول الله ﷺ: "ان الله قلب العباد ظهرا وبطنا فكان خير عباده العرب وقلب العرب ظهرا وبطنا فكان خير العرب قريشا وهي الشجرة المباركة التي قال تعالى في كتابه ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾[٢]".

إذن التفسير الأول يخص المعنى بإهل البيت النبوي، والتفسير الثاني يعممه على قريش كلها، فتطلب هذا منا الوقوف للتأمل:

أولاً: يقول السيد الطباطبائي[٣] متعجبا من تفسير الشجرة المباركة بـ "قريش": "وهو عجيب، فإن كون أمة أو طائفة مباركة بحسب طبعهم لا يوجب كون جميع الشعب المتشعبة منها كذلك، فالرواية على تقدير تسليمها لا تدل الا على ان قريشا شجرة مباركة، واما ان جميع الشعب المتشعبة منها مباركة طيبة كبني عبد الدار مثلاً، أو كون كل فرد منهم كذلك كابي جهل وأبي لهب فلا قطعا، فاي ملازمة بين كون شجرة بحسب اصلها مباركة طيبة وبين كون بعض فروعها التي انفصلت عنها ونمت نماءً فاسدا مباركا طيبا". وقد ساق السيد الطباطبائي أمثلة تدلل على فساد بعض بطون قريش وافرادها منها:

ـ ان عائشة قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله ﷺ يقول لابيك وجدك "انكم الشجرة الملعونة في القرآن"[٤].

ـ وروى سهل بن سعد وعبدالله بن عمر ويعلى بن مرة والحسين بن علي

---

(١) ابن أبي حاتم: تفسير القرآن: ٧/ ٢٢٤٤. السيوطي: الدر المنثور: ٤/ ٧٧، ٦/ ١٨. ١٩. وينظر: الهيثمي: مجمع الزوائد ١٠/ ٢٤.

(٢) السيوطي: الدر المنثور: ٦/ ١٨ ـ ١٩. الآلوسي: روح المعاني: ١٣/ ٢١٥. وانظر تعليق الطباطبائي على ذلك: الميزان: ١٢/ ٦٤.

(٣) الميزان: ١٢/ ٥٧.

(٤) ابن مردويه: المناقب: ص١٦٤. العيني: عمدة القارئ: ١٩/ ٣٠. السيوطي: الدر المنثور: ٤/ ١٩١. الشوكاني: فتح القدير: ٣/ ٢٤٠. الآلوسي: روح المعاني: ١٥/ ١٠٧.

وسعيد بن المسيب: ان بني أمية هم الذين نزل فيهم قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾[1]، ولفظ سعد: رأى رسول الله ﷺ بني فلان ينزون على منبره نزو القردة، فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكا حتى مات، وانزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا﴾[2].

ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام وأيضاً عن عمر في تفسير قوله ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾[3] انهم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية[4].

ثانياً: مر بنا ان أمر الاجتباء منوط بارادة الله تبارك وتعالى، فهو الذي حبى نبيه الكريم وخصه بما لا يمكن لمخلوق ان يضاهيه في مقاماته السامية، ومن تلك المقامات: اصطفاء اصله وعلو نسبه وكرامة حسبه، إذ خصه بأن "اختاره من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسرة البطحاء، ومصابيح الظلمة، وينابيع الحكمة"[5]. وقد حمل عدد من الشراح على ان

---

(١) سورة الاسراء الآية ٦٠.

(٢) أبو يعلى: المسند: ١١/٣٤٨. الطبري: جامع البيان: ١٥/١٤١. الثعلبي: الكشف والبيان: ٦/ ١١١.السمعاني: تفسير: ٣/ ٢٥٥. ابن العربي: العواصم من القواصم: ص٢٣٥. ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز: ٣/٤٦٨. الفخر الرازي: مفاتح الغيب: ٢٠/٢٣٦. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٩/ ٢٢٠. القرطبي: الجامع: ١٠/ ٢٨٢. النويري: نهاية الإرب: ٢٠/٢٨٨. أبو حيان: تفسير البحر المحيط: ٦/٥٣. الذهبي: تاريخ الإسلام: ٣/٣٦٦. الغرناطي: التسهيل: ٢/ ٥٠٠. ابن كثير: تفسير: ٣/ ٥٢. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٥/ ٢٤٤. القلقشندي: مآثر الأنافة: ١/ ١٦٧. العيني: عمدة القارئ: ١٩/ ٣٠. السيوطي: تاريخ الخلفاء: ص١٦. المناوي: الفتح السماوي: ٢/ ٧٧٧.

(٣) سورة إبراهيم الآية ٢٨.

(٤) الثوري: تفسير سفيان الثوري: ص١٥٧. الصنعاني: تفسير عبد الرزاق: ٣/ ٢٤٢. أبو جعفر الإسكافي: المعيار والموازنة: ص٢٩٩. الطبري: جامع البيان: ١٣/ ٢٨٧. العياشي: تفسير: ٢/ ٢٢٩. الحاكم: المستدرك: ٢/ ٣٥٢. ابن مردويه: المناقب: ص١٦٥. الثعلبي: الكشف والبيان: ٥/ ٣١٩. الطوسي: التبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٢٩٤. البغوي: معالم التنزيل: ٣/ ٣٥. الطبرسي: جوامع الجوامع: ٢/ ٢٨٣. أبو الفتوح الرازي: روض الجنان في تفسير القرآن: ١٠/ ٢٤٩. ابن الجوزي: زاد المسير: ٤/ ٢٦٦. البيضاوي: أنوار التنزيل: ٣/ ١٩٩. الذهبي: ميزان الاعتدال: ٣/ ٢٩٥. ابن كثير: تفسير: ٢/ ٥٥٨. المقريزي: النزاع والتخاصم بين بني أمية وهاشم: ص٧٢. ابن حجر: فتح الباري: ٧/ ٢٣٥. المتقي الهندي: كنز العمال: ٢/ ٤٤٤.

(٥) نهج البلاغة: ٢٠٠ ـ ٢٠١.

المراد "من شجرة الأنبياء" هنا هو النبي إبراهيم عليه السلام واولاده لأن أكثر الأنبياء منهم[١]. وهو المعبر عنه في موضع آخر من كلامه الشريف بـ "خير مستقر" و"اشرف منبت" و"اعز الارومات مغرسا".

وتوالت العناية الإلهية تكتنف الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله باعز اصطفاء إذ يقول صلى الله عليه وآله: "بعثت في خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت في القرن الذي كنت فيه"[٢]. وقال صلى الله عليه وآله: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"[٣].ويقول عليه السلام "**كُلَّمَا نَسَخَ اللَّه الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَه فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيه عَاهِرٌ ولَا ضَرَبَ فِيه فَاجِرٌ**"[٤]، والى المعنى ذاته يشير صلى الله عليه وآله: "ما افترقت فرقتان منذ نسل آدم ولده الا كنت في خيرهما"[٥].

ففضلا عن دلالات هذه النصوص والأحاديث الشريفة على طهارة اصل النبي صلى الله عليه وآله من دنس الشرك والشك في النسب فإنه يتبين لنا ان الاصطفاء الإلهي قد اختص بآباء النبي صلى الله عليه وآله طاهر بعد طاهر، وطيب بعد طيب حتى اخرجه من ابوين طاهرين، وان هذا الاصطفاء قد حدد بسلسلة متصلة تميزت بانها

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٧/ ١٤٨. الحسيني: الديباج الوضي: ٢/ ٧٧٧. مغنية: في ظلال نهج البلاغة: ٢/ ١٣٤. حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٧/ ٢٨٣.

(٢) ابن حنبل: المسند: ٢/ ٤١٧.

(٣) البخاري: التاريخ الصغير: ١/ ٣٥، التاريخ الكبير ١/ ٤. مسلم: الصحيح: ٧/ ٥٨. الترمذي: السنن: ٥/ ٢٤٥. أبو يعلى: امسند: ١٣/ ٤٦٩. ابن حبان: الثقات: ١/ ٢١. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ١٣/ ٦٥. ابن عبد البر: الاستذكار: ٨/ ٦١٤، الأنباه على قبائل الرواة: ص٤٠. ابن عساكر: الأربعين البلدانية: ص١٤٣. ابن قدامة: الشرح الكبير: ٧/ ٤٦٧. ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد: ٣/ ١٥١. السيوطي: الجامع الصغير: ١/ ٢٥٦. الأنصاري: فتح الوهاب: ٢/ ٦٧. الشربيني: مغني المحتاج: ١/ ٧.

(٤) نهج البلاغة: ص٤٤٧ ـ ٤٤٨. وينظر: البيهقي: معارج نهج البلاغة: ص٣١٦.

(٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٩/ ٣٢٦. وينظر: ابن حبيب: المنمق: ص١٩. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣/ ٤٠٨. الكلاعي: الاكتفاء: ١/ ٧. السيوطي: الخصائص النبوية: ١/ ٣٧، الدر المنثور: ٣/ ٢٩٤. المتقي الهندي: كنز العمال: ١١/ ٤٢٨. الألباني: إرواء الغليل: ٦/ ٣٣٢.

الأفضل والأكرم، وما لفظة "الافتراق" في الحديث أعلاه إلا دلالة على ان التشعب قد حدث في ذلك الأصل، فمن نسل آدم كان اصطفاء إبراهيم عليه السلام ومن ولد إبراهيم كان اصطفاء إسماعيل ومن ولد إسماعيل كان الاصطفاء قد خص كنانة، ومن كنانة خص قريش، ومن بطون قريش خص بني هاشم ثم من بني هاشم خص بنو عبد المطلب، ومن بني عبد المطلب اختص بعبد الله وأبي طالب.

إذ يقول صلى الله عليه وآله: "كنت انا وعلي نورا بين يدي الله مطيعا يسبح الله ذلك النور ويقدسه قبل ان يخلق آدم باربعة عشر آلف عام فلما خلق الله ادم ركز ذلك النور في صلبه فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب فجزء انا وجزء علي"[١].

ولتحديد مسار العناية الإلهية في دائرة الاصطفاء بشكل ادق لنتأمل كلمات أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول: "**عِتْرَتُه خَيْرُ الْعِتَرِ، وأُسْرَتُه خَيْرُ الأُسَرِ، وشَجَرَتُه خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ، وبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وثَمَرٌ لَا يُنَالُ**"[٢]، وفي مورد آخر يقول: "**أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ، أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ**"[٣]. ويظهر أن المراد بالشجرة هنا أما إبراهيم أو إسماعيل أو هاشم عليه السلام[٤]. واحتمل البعض ان يراد بها نفسه الشريفة على كون الاضافة بيانية[٥]. فإذا كان المراد بالشجرة إبراهيم أو إسماعيل فالمراد بالفروع الأنبياء من ذريتهما، وإذا كان المراد بها هاشم أو النبي صلى الله عليه وآله فالمراد بها الائمة عليهم السلام[٦].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٦٧. وينظر: ابن مردويه: المناقب: ص٢٨٦.
(٢) نهج البلاغة: ص١٧٦.
(٣) نهج البلاغة: ص٣٠٢.
(٤) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٧/ ٨٤، ٨٧ ـ ٨٨.
(٥) حبيب الخوئي: منهاج البراعة: ٧/ ٨٧.
(٦) حبيب الخوئي: منهاج البراعة: ٧/ ٨٨.

ولرب قائل يقول: ان حديث النبي صلى الله عليه وآله الذي ورد فيه: "واصطفى قريشا من كنانة" قد يبدو فيه للوهلة الأولى امكان قبول تطبيق عنوان "الشجرة الطيبة" الموصوفة في القرآن على "قريش" لشمولها بالاصطفاء واختصاصها من كنانة دون باقي البطون؟! وهذا مما يقود بشمول كل فروع قريش بالاصطفاء!

ويرد هذا عدة امور، هي:

أولاً: أسلفنا ان ورود لفظة "النسخ" و"الافتراق" في تلك الأحاديث الشريفة تدلل على حدوث التشعب في كل اصل اصطفاه الله تعالى ورغم ان قريش مرت في مسار التدرج الاصطفائي الا ان كلام النبي صلى الله عليه وآله واضح في انه قد خص من قريش فرعا واحداً أو مسارا بعينه دون باقي الفروع، فالمعلوم ان قريشا يتفرع منها عدة بطون ولكن الاصطفاء قد خص منها "بني عبد مناف" "هاشما" و"عبد المطلب" يقول صلى الله عليه وآله: "الناس من أشجار شتى، وانا وأنت يا علي من شجرة واحدة"[(١)].

يقول صلى الله عليه وآله: "ان جبرائيل قال لي: يا محمد قد طفت الأرض شرقا وغربا، فلم اجد فيها اكرم منك ولا بيتا اكرم من بني هاشم"[(٢)]. وذكر الترمذي[(٣)]: "ان الله خلق الخلق، فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم فرقتين، فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل، فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا، فجعلني في خيرهم بيتا، وخيرهم نفسا".

ثانياً: ان التأمل في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام الذي قادنا إلى الوقوف عند استعماله للتمثيل بـ "الشجرة الطيبة" التي بانت في مظان كلامه صفاتها وميزاتها كما مر بنا، ها هو يوقفنا ثانية عند مقاطع من كلماته الشريفة يمكن ان

---

(١) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٦٨. ابن مردويه: المناقب: ص٢٦٥. الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل: ١/ ٣٧٥. السيوطي: الدر المنثور: ٤/ ٤٤.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٧/ ٥١.

(٣) السنن: ٥/ ٢٤٤. وينظر: الهيثمي: مجمع الزوائد: ٨/ ٢١٦.

نستوحي منها صفات الضد لتلك الشجرة الطيبة الثابتة المتعالية المتدلية الثمار. وكأن كلامه عليه السلام في مقام المقابلة بينها وبين نقيضها، وما ذاك الا جريا على نهج القرآن الكريم الذي نعت الشجرة الطيبة بأفضل الصفات، وأشار إلى الشجرة الخبيثة واهم سماتها بقوله تعالى ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾[١]. وابرز مصداق في كلام أمير المؤمنين عليه السلام على ذلك، حين وبخ عليه السلام أحد مناوئيه وهو المغيرة بن الاخنس[٢] قائلا له: "**يَا ابْنَ اللَّعِينِ الأَبْتَرِ! والشَّجَرَةِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا ولَا فَرْعَ**"[٣]. وذلك كناية عن وضاعة اسرته وبعدها عن القيم، والملاحظ ان كلامه عليه السلام ها هنا، إنما هو اقتباس من الآية الكريمة في أعلاه ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾، فشجرة الإنسان قبيلته التي يعزى اليها، واراد عليه السلام انه لا اصل له، فيعرف ولا فرع له فيثمر ويورق[٤].

هذا من جانب ومن جانب آخر نجد ان أمير المؤمنين عليه السلام يشير إلى أن الأصل الواحد قد ينتج فرعا طيبا تتجلى فيه سمات الاصالة، في الوقت نفسه قد ينتج فرعا آخر مغايراً للأول في خصائصه. وهذا ما سبقت الإشارة إليه، ومن مصاديق ذلك ما ورد في نهج البلاغة:

انه لما سئل عن قريش قال عليه السلام وقد انتخب منها ثلاث بيوت: "**أَمَّا بَنُو**

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٢٥.

(٢) هو المغيرة بن الاخنس بن شريق الثقفي، حليف بني زهرة، وأمه عمة عثمان بن عفان، قتل الإمام علي عليه السلام أخاه أبا الحكم يوم أحد، ومن هنا كان يحقد على أمير المؤمنين عليه السلام، وقد عده النبي صلى الله عليه وآله من المؤلفة قلوبهم، وكان يشير على عثمان بعدم الاستجابة لمطالب الثائرين، قتل يوم الدار مع عثمان. الضبي: الفتنة ووقعة الجمل: ص٦٩ ـ ٧١. ابن أبي شيبة: المصنف: ٨/ ٦٨٠. ابن سعد: الطبقات: ٣/ ٦٦ .بن خياط: تاريخ خليفة: ص١٣٣. ابن عبد البر: الاستيعاب: ٣/ ١٠٤٧، ٤/ ١٤٤٤. ابن الأثير: أسد الغابة: ٤/ ٤٠٥. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٨/ ٣٠١ ـ ٣٠٦. ابن حجر: الإصابة: ٦/ ١٥٥. التستري: قاموس الرجال: ١٠/ ١٨٦.

(٣) نهج البلاغة: ص٢٥٣.

(٤) الحسيني: الديباج الوضي: ٣/ ١١٠٥. ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ٥/ ٣٢١ ـ ٣٢٢.

مَخْزُوم فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ، نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ والنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ، وأَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدُهَا رَأْياً، وأَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا، وأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا، وأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا، وهُمْ أَكْثَرُ وأَمْكَرُ وأَنْكَرُ، ونَحْنُ أَفْصَحُ وأَنْصَحُ وأَصْبَحُ"[1].

وعلى الرغم من تباين آراء الشراح حول مراد الإمام عليه السلام من وسم بني مخزوم وبني عبد شمس بتلك السمات وهل هي في مقام المدح أو الذم[2]، الا ان الذي يهمنا هنا ولا خلاف فيه ان بني هاشم هم الأفضل والاسمى ما بين الفروع القرشية.

ولمزيد من التوضيح واستجلاء الأمر نقف عند مساجلة أمير المؤمنين عليه السلام مع معاوية حين ارسل إليه الأخير كتابا حاول فيه ان يموه ويخادع بأن لا فضل للإمام عليه السلام عليه ما داموا من اصل واحد يجمعهم، فأجابه عليه السلام بالقول: **"وأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ، ولَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، ولَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ولَا أبو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، ولَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، ولَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، ولَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، ولَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ، ولَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوى فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، ونَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ"**[3].

فعلى الرغم من ان بني هاشم وبني أمية من اصل واحد وهو عبد مناف الا ان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد فصل وفرق ما بين الفرعين باوضح الفوارق، وقطع على معاوية تمويهاته الخداعة، إذ بين عليه السلام ان الاصطفاء قد عرج من عبد مناف إلى ولده هاشم، وهذا فيه دلالة على انه أفضل كما مر بنا سابقاً في

---

(١) نهج البلاغة: ص٦٧٧ ـ ٦٧٨. وينظر: الزمخشري: ربيع الأبرار: ٤/ ٢١٧.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٨/ ٢٨٥ ـ ٣٠٩. ابن ميثم: اختيار مصباح السالكين: ص٦٠٧، شرح نهج البلاغة: ٥/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠. حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٢١/ ٢٠٨ ـ ٢١٠. مغنية: في ظلال نهج البلاغة: ٤/ ٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٣) نهج البلاغة: ٥١١ ـ ٥١٢.

إشارته "كلما نسخ الخلق فرقتين جعله في خيرهما"، وفي موضع آخر نجد أمير المؤمنين عليه السلام يرسم الفاصل بين بني هاشم وبني أمية بحدود واضحة قوية، إذ يقول عليه السلام:

"أَمَّابَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ، تَذْكُرُ فِيه اصْطِفَاءَ اللَّه مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله لِدِينِه، وتَأْيِيدَه إِيَّاه لِمَنْ أَيَّدَه مِنْ أَصْحَابِه، فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً، إذ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللَّه تَعَالَى عِنْدَنَا، ونِعْمَتِه عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إلى هَجَرَ[١]، أو دَاعِي مُسَدِّدِه إلى النِّضَالِ[٢]، وزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإسلام فُلَانٌ وفُلَانٌ، فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّه، وإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُه، ومَا أَنْتَ والْفَاضِلَ والْمَفْضُولَ والسَّائِسَ والْمَسُوسَ؟! ومَا لِلطُّلَقَاءِ وأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ، والتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، وتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ، هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا[٣]، وطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْه الْحُكْمُ لَهَا، أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا الإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ، وتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ، فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ ولَا ظَفَرُ الظَّافِرِ".

"وإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيه رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ، أَلَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ، ولَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّه أُحَدِّثُ، أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّه تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ ـ ولِكُلٍّ فَضْلٌ ـ حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وخَصَّه رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِه عَلَيْه، أَولَا تَرَى أَنَّ

---

(١) هجر مدينة في البحرين كثيرة النخل، والمثل قيل في رجل من أهل البحرين قدم البصرة وانفق اموالا لشراء التمر لينقلها إلى هجر لكنها فسدت، فقيل هذا المثل. البيهقي: معارج نهج البلاغة: ص٣٧٢. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٥/ ١٨٨. الحميري: الروض المعطار: ص٥٩٢. الغروي: الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة: ص٣٦٣ ـ ٣٦٥.

(٢) المسدد: معلم رمي السهام، والنضال: المراماة أي كمن يدعو أستاذه في فن الرمي إلى المناضلة. ينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٥/ ١٨٨ ـ ١٨٩. ابن ميثم: اختيار مصباح السالكين: ص٤٩٩. المازندراني: شرح أصول الكافي: ٦/ ٤٢٥. محمد عبده: نهج البلاغة (الشرح): ص٣٦١.

(٣) يضرب مثلاً للرجل يدخل نفسه في القوم وهو ليس منهم. أبو هلال العسكري: جمهرة الامثال: ١/ ٣٧٠. ابن نباتة: سرح العيون: ص٢٩٦.

قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّه - ولِكُلٍّ فَضْلٌ - حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ، قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وذُو الْجَنَاحَيْنِ، ولَوْلَا مَا نَهَى اللَّه عَنْه مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَه، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، ولَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ، فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِه الرَّمِيَّةُ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، والنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا، لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا، ولَا عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا، فَنَكَحْنَا وأَنْكَحْنَا، فِعْلَ الأَكْفَاءِ ولَسْتُمْ هُنَاكَ، وأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ! ومِنَّا النَّبِيُّ ومِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ(١)، ومِنَّا أَسَدُ اللَّه ومِنْكُمْ أَسَدُ الأَحْلَافِ(٢)، ومِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أهل الْجَنَّةِ ومِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ(٣)، ومِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ومِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ(٤)، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وعَلَيْكُمْ، فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ وجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ، وكِتَابُ اللَّه يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وهُوَ قَوْلُه سُبْحَانَه وتَعَالَى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾(٥)، وقَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ

---

(١) يقصد بالمكذب: أبو سفيان والد معاوية. ينظر: ، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٥/ ١٩٦. وقال ابن ميثم انه أبا جهل. ينظر: اختيار مصباح السالكين: ص ٥٠٠. وهذا لايصح لأن أبا جهل من مخزوم والإمام بصدد الرد على قول معاوية (انا بنو عبد مناف) وأبي جهل ليس من عبد مناف.

(٢) يقصد باسد الله حمزة بن عبد المطلب، أما أسد الاحلاف فلعله عتبة بن ربيعة جد معاوية لأمه، البيهقي: معارج نهج البلاغة: ص٣٧٣. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٥/ ١٩٦، وقيل هو أبو سفيان، وهذا لايصح لأن أبو سفيان لم يعرف بالشجاعة، والأصح أنه عتبة فهو قائد النفير إلى بدر واول من دعا إلى البراز يوم بدر، فدعا النبي صلى الله عليه وآله حمزة لمبارزته فقتله حمزة.

(٣) هم أولاد عقبة بن أبي معيط، ومنهم الوليد بن عقبة الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ سورة الحجرات الآية ٦. ينظر: أبو الفرج: الاغاني: ١/ ٤٩. البيهقي: معارج نهج البلاغة: ص٣٧٤. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٥/ ١٩٧. الصفدي: الوافي بالوفيات: ٢٠/ ٥٩.

(٤) هي أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان عمة معاوية، وقد سماها القرآن (حمالة الحطب) قال تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ سورة المسد الآيات ١ ـ ٥، ينظر: الطبري: جامع البيان: ٣٠/ ٤٤١. ابن أبي حاتم: تفسير القرآن: ١٠/ ٣٤٧٣. ابن أبي الزمنين: تفسير ابن أبي الزمنين: ٥/ ١٧١. السمعاني: تفسير: ٦/ ٣٠٠. ابن عربي: تفسير: ٢/ ٤٣٧. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٥/ ١٩٧. ابن ميثم: اختيار مصباح السالكين: ص٥٠٠.

(٥) سورة الانفال الآية ٧٥.

﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ وتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ، ولَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الأَنْصَارِ، يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه آله فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِه، فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِه فَالأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ، ..."[٢].

إن كلامه عليه السلام لا يحتاج إلى تعليق، إذ بدا فضل بني هاشم واضحا على سواهم، وفضل أهل البيت عليهم السلام على سائر بني هاشم، ولنا وقفة مع المقطع الأخير من النص واشارته عليه السلام إلى احتجاج المهاجرين على الأنصار يوم السقيفة إذ سأل عليه السلام: "**بما احتجت قريش على الأنصار؟ فقالوا: "قَالُوا احْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ عليه السلام احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ**"[٣]. فالإمام عليه السلام لم ينكر عليهم هنا بأن يكونوا ورسول الله من شجرة واحدة، لكن الله اختص بحكمته ذاك الفرع الذي انتج أهل بيت النبوة عليهم السلام، فإذا كانت الشجرة ذات اثر فإن ثمرها اعظم اثرا. ثم يأتي حديثه مع معاوية، ليزيد الأمر وضوحا، إذ يقول: "فان يكن الفلج به" الظفر بالقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله "فالحق لنا دونكم" لأنه اقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله، بل انه في موضع آخر قد أدلى بقوله: "**إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ، غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، ولَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ**"[٤].

فها هو كلامه عليه السلام يفسر بعضه بعضا، فآل محمد هم صنائع الله المختصون بفضله بأن جعل النبوة والامامة فيهم و ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[٥].

وفي كلمات الإمام عليه السلام وخطبه مصاديق أخرى تقوي دلالة اختصاص

---

(١) سورة آل عمران الآية ٦٨.

(٢) نهج البلاغة: ص ٥٢٦ ـ ٥٢٩. وينظر: المنقري: وقعة صفين: ص٨٨. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية: ٧/ ١٦٤. النويري: نهاية الارب: ٧/ ٢٣٤. القلقشندي: صبح الأعشى: ١/ ٢٧٤.

(٣) نهج البلاغة: ص١٠٢ ـ ١٠٣.

(٤) نهج البلاغة: ص ٢٦٣.

(٥) سورة الأنعام الآية ١٢٤.

الاصطفاء بالفرع الهاشمي دون غيره، فها هي مواقف قريش من دعوة النبي صلى الله عليه وآله تخرجهم من دائرة الاصطفاء إلى دائرة العداء للدعوة الإلهية وحملتها، إذ كان بنو هاشم اهلا لهذه الدعوة ومن ذلك نذكر:

ـ ما جرى في حصار الشعب حسبما ورد في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام **"فأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا واجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ، ومَنَعُونَا الْعَذْبَ، وأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، واضْطَرُّونَا إلى جَبَلٍ وَعْرٍ، وأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ..."**[1].

أبَعْدَ هذه الفعال يمكن ان يقال: ان كل قريش كانت بمجرى ومقام واحد؟! بل لم يقف الأمر عند هذا الحد، حتى ان أهل البيت عليهم السلام قد ورثوا هذا الموقف من شرار قريش بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله ولنعم قوله عليه السلام عنهم: **"ولَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ"**[2] وقد وصف مواقفهم منه عليه السلام في مواضع عدة منها، قوله مخاطبا أخيه عقيل: **"فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً، وتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ، وتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ، وجِمَاحَهُمْ فِي التِّيه، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي، كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله قَبْلِي، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي، فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي"**[3]. وفي نص آخر يقول: **"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ ومَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِيَ، وأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي"**[4]. وفي موضع آخر يقول: **"مَالِي ولِقُرَيْشٍ! واللَّه لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ، ولأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ، وإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ"**[5]. ثم

---

(١) نهج البلاغة: ص٥٠٢.

(٢) نهج البلاغة: ص٥١٢.

(٣) نهج البلاغة: ص ٥٦١.

(٤) نهج البلاغة: ص ٣٢٨.

(٥) نهج البلاغة: ص ٧١.

نراه يوضح سر هذا العداء من قبلهم فيقول: "**وَاللّهِ مَا تَنْقِمُ مِنَّا قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّ اللّهَ اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ، فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيِّزِنَا**"[١].

من هنا يتضح صعوبة التسليم للتفسير الذي منح مثلية الشجرة الطيبة لقريش كلها، وبعد ان تبين ما تبين من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فإن هناك هوة واسعة ما بين المسارين: أهل البيت عليهم السلام وهم ثمرة الفرع الهاشمي وأعداؤهم من بني أمية وغيرهم. وللاديب العقاد كلاما لطيف يرسم لنا جانبا من هذا التباين بين المسارين، إذ يقول: "الهاشميون والامويون من ارومة واحدة ترتفع إلى عبد مناف ثم إلى قريش في اصلها الاصيل، ولكن الاسرتين تختلفان في الأخلاق، فبنو هاشم في الأغلب مثاليون اريحيون، ولا سيما ابناء فاطمة الزهراء، وبنو أمية في الأغلب الاعم عمليون نفعيون، ولاسيما الاصلاء منهم في عبد شمس من الاباء والامهات، ... فكان الهاشميون سراعا إلى النجدة ونصرة الحق والتعاون عليه، ولم يكن بنو أمية كذلك"[٢].

وعودا على بدء نقول: قد اتضح كيف ان أمير المؤمنين عليه السلام شبه الأصل النبوي بالشجرة الطيبة وقد شبه أعداءهم ومناوئيهم بالشجرة الخبيثة، وان تناغم هذا التشبيه مع التشبيه القرآني أمر لا محذور فيه لا سيما وان بعض التفاسير وكتب الحديث قد ايدت هذا الجانب؛ من ذلك ـ فضلاً عما سبقت الإشارة إليه ـ حديث ورد بألفاظ شتى في المصادر المختلفة إذ روى ميناء بن أبي ميناء[٣] مولى عبد الرحمن بن عوف قال: "خذوا عني قبل ان تشاب الأحاديث

(١) نهج البلاغة: ص٧١. ورغم هذا الموقف الممتلئ حقدا من قبل القرشيين تجاه أمير المؤمنين عليه السلام واهل بيته عليهم السلام نجد اخلاقه المحمدية ماثلة دائما، فها هو يتاسف على قتلاهم بعد حرب الجمل إذ يمر فيرى طلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عتاب فيقول: "أَمَا وَاللّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَه أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ". نهج البلاغة: ص ٤٥٦.

(٢) أبو الشهداء: ص٢٣ ـ ٢٤.

(٣) هو ميناء بن أبي ميناء الخزاز مولى عبد الرحمن بن عوف، عده الحاكم من الصحابة، لكن ابن حجر عد ذلك وهما من الحاكم، فيما ذكر البخاري أنه بلغ الحلم أيام عثمان، روى عن عبد الرحمن بن عوف والإمام علي عليه السلام وعثمان وابن مسعود وأبي هريرة والسيدة عائشة، قال عنه ابن حجر: متروك ورمي=

بالاباطيل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: انا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، واصل الشجرة في جنة عدن، وسائر ذلك في سائر الجنة"[١]. وجاء في بعض التفاسير ان المراد من الشجرة الخبيثة في القرآن هم بنو امية[٢]. فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً...﴾ الآيتان قال: هذا مثل ضربه الله لأهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله، ولمن عاداهم هو مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار[٣].

وقد أورد الآلوسي[٤] ما نصه: "وروى الإمامية وأنت تعرف حالهم عن أبي جعفر (تفسيرها يعني الشجرة الخبيثة ببني أمية وتفسير الشجرة الطيبة برسول الله صلى الله عليه وآله وعلي كرم الله وجهه وفاطمة (وما تولد منهما، وفي بعض روايات أهل السنة ما يعكر على تفسير الشجرة الخبيثة ببني امية، فقد اخرج ابن مردويه عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ان الله تعالى قلب العباد ظهرا وبطنا فكان خير عباده العرب وقلب العرب ظهرا وبطنا، فكان خير العرب قريشا، وهي الشجرة المباركة التي قال الله تعالى في كتابه (مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) لأن بني أمية من قريش". وقد مر بنا ردّ السيد الطباطبائي في محل تعجبه من هذا القول الذي أشرنا إليه سابقا[٥].

=بالرفض، والغلو في التشيع، ولعل السبب في تركه هو روايته فضائل أهل البيت (كالرواية أعلاه. فيما عده ابن حبان من الثقات. ابن معين: تاريخ ابن معين: ١/ ٦٤. البخاري: التاريخ الكبير: ٨/ ٣١: ابن حبان: الثقات: ٥/ ٤٥٥. الحاكم: المستدرك: ٣/ ١٦٠. الذهبي: المغني: ٢/ ٤٨٨. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥. المباركفوري: تحفة الأحوذي: ١٠/ ٣٠٤.

(١) الحاكم: المستدرك: ٣/ ١٦٠. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ١٤/ ١٦٨.

(٢) القمي: تفسير القمي: ١/ ٣٦٩. العياشي: تفسير: ٢/ ٢٢٥. الطبرسي: جوامع الجامع: ٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣. الفيض الكاشاني: التفسير الأصفى: ٣/ ٨٦.

(٣) العياشي: تفسير: ٢/ ٢٢٥. المجلسي: البحار: ٢٤/ ١٤٢.

(٤) روح المعاني: ١٣/ ٢١٥.

(٥) ينظر من هذا الفصل: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

ولا يفوتنا الإشارة إلى حديث أمير المؤمنين عليه السلام الذي يعضد ما أشرنا إليه أعلاه من انطباق التمثيل على أهل البيت عليهم السلام واعدائهم إذ يقول: "سموهم باحسن أمثال القرآن، يعني عترة النبي صلى الله عليه وآله هذا عذب فرات فاشربوا، وهذا ملح اجاج فاجتنبوا"(١).

وفي حديث للإمام الصادق عليه السلام يقول لأحد اصحابه: "ان الله خلقنا، فاكرم خلقنا، وفضلنا وجعلنا امناءه وحفظته وخزانه على ما في السموات وما في الأرض، وجعل لنا اضدادا وأعداء، فسمانا في كتابه وكنى عن اسمائنا باحسن الاسماء، واحبها إليه، وسمى اضدادنا واعدائنا في كتابه وكنى عن اسمائهم وضرب لهم الامثال في كتابه في ابغض الاسماء إليه وإلى عباده المتقين..."(٢).

مر بنا في نصوص النهج ان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد اكد على ان التنسيل الذري النبوي قائم على اساس الاصطفاء، وهذا ما أشارت إليه آيات الذكر الحكيم إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾(٣). إذ اقتضت حكمة الباري ان يكون الأنبياء من ذوي الانساب الاصيلة والاقوام العريقة الشريفة. ومن خلال إشارات نصوص نهج البلاغة يمكننا ان نقف على أهم ميزات السلالة الطاهرة للاباء والامهات التي احتضنت النور المحمدي:

الطهارة: مر بنا فيما مضى الإشارة إلى طهارة الاصلاب والارحام التي تشرفت بحمل نور النبي محمد صلى الله عليه وآله من لدن ادم عليه السلام، إذ يقول عليه السلام: "**تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الأَصْلَابِ إلى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ**"(٤). وهذه الطهارة تشمل جانبين:

(١) العياشي: تفسير: ١/١٣. المجلسي: البحار: ٨٩/١١٦.
(٢) الحسيني: تأويل الآيات: ١/١٩. المجلسي: البحار: ٢٤/٣٠٣.
(٣) سورة آل عمران الآيتين ٣٣ ـ ٣٤.
(٤) نهج البلاغة: ص١٧٦.

الأول: الطهارة من دنس الرجس والزنا والسفاح وكل متعلقات وفواحش الجاهلية، إذ لم يكن في نسبه وشب[١]. وفي هذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "**لَمْ يُسْهِمْ فِيه عَاهِرٌ ولَا ضَرَبَ فِيه فَاجِرٌ**"[٢]. وفي إشارة ثانية يقول: "**مُسْتَقَرُّه خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، ومَنْبِتُه أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، ومَمَاهِدِ السَّلَامَةِ**"[٣]. إذ حمل معنى "مماهد السلامة"، ها هنا بمعنى: البراءة من العيوب أي في نسب طاهر غير مأفون ولا معيب"[٤]. ومن قبله نجد ان النبي صلى الله عليه وآله يؤكد هذا الأمر بعدة أحاديث عدة منها: قوله صلى الله عليه وآله: "ما مسني عرق سفاح قط، وما زلت انقل من الاصلاب السليمة من الوصوم ـ أي العيوب ـ والارحام البريئة من العيوب"[٥]. وفي قول آخر يقول صلى الله عليه وآله: "خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح، من لدن آدم لم يصبني سفاح الجاهلية، ولم اخرج الا من طهر"[٦]. وقال صلى الله عليه وآله: "ان الله لم يمسسني بسفاح في ارومتي منذ إسماعيل بن إبراهيم إلى عبد الله بن عبد المطلب"[٧]. وجاء في تفسير الآية الشريفة ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[٨]، قال صلى الله عليه وآله: نسبا وصهرا وحسبا ليس من آبائي من لدن آدم سفاح، كلنا بنكاح. ولقد قال الكلبي: كتبت للنبي صلى الله عليه وآله خمسمائة ام، فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئاً مما كان عليه أهل الجاهلية[٩].

---

(١) وشب: اختلاط في النسب يدعو إلى الريب. ينظر: الفراهيدي: العين: ٦/ ٢٩١.

(٢) نهج البلاغة: ٤٤٨.

(٣) نهج البلاغة: ص١٧٨.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٧/ ٥٥.

(٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١١/ ٧٠.

(٦) ابن سعد: الطبقات: ١/ ٦١. الطبراني: المعجم الاوسط: ٥/ ٨٠. الرامهرمزي: الحد الفاصل: ص٤٧٠. الصدوق: الاعتقادات في دين الإمامية: ص١١٠. الحاكم: معرفة علوم الحديث: ص١٧١. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٨/ ٢١٤.

(٧) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٧/ ٦٣.

(٨) سورة التوبة الآية ١٢٨.

(٩) ابن سعد: الطبقات ١/ ٦٠ ـ ٦١. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣/ ٤٠٣. ابن سيد الناس: عيون الأثر: ١/ ٣٦. السيوطي: المحاضرات والمحاورات: ص٥٥. القندوزي: ينابيع المودة: ١/ ٦١.

ومما لا يفوتنا تسجيله ما قد يتبادر للذهن: لماذا هذا التأكيد من النبي الأعظم ﷺ وامير المؤمنين عليه السلام على هذا الجانب؟ هل طعن في نسب النبي ﷺ فاستلزم الأمر رده بهذه الأحاديث أم انها إدراك للأمر قبل وقوعه؟!!

لو تصفحنا مرويات بعض المصادر التاريخية لوجدناها قد روجت لهذه الطعون وباتت الاجيال تتناقلها وكانها من المالوفات التي لا ضير فيها، ويمكن ان نستقرأ من خلالها رؤية تبين ان النبي ﷺ لا فضل له الا النبوة، وانه كالآخرين الذين شابت انسابهم شوائب الجاهلية وارجاسها، لكن هذه الرؤية لا تمثل الجميع فهناك من ذهب إلى رأي مخالف واكد على طهارة آباء النبي ﷺ وامهاته من هذه الناحية(١).

الذي يستدعي قوله هنا: انه يتضح وفق ذلك ان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام له رؤية مغايرة لما ألفت عليه تلك المصادر التي اساءت للنبي ﷺ، وانه سبق جميع الباحثين والمؤرخين الذين دفعوا هذه الشبهات بالادلة الوافية، بل انه عليه السلام قد استبق زمن وضع هذه المرويات ليقول كلمته الفصل في رد كل ما سيضعه الوضاعون للنيل من طهارة نسب النبي ﷺ.

وللماوردي(٢) كلام لطيف في هذا المجال يختصر المقال بقوله: "واما طهارة مولده، فإن الله تعالى استخلص رسوله من اطيب المناكح، وحماه من دنس الفواحش، ونقله من اصلاب طاهرة إلى ارحام مطهرة. وقد قال ابن

---

(١) ينظر على سبيل المثال ما جاء في الرسائل العشر للسيوطي: ومنها: الرسالة الأولى: المقامة السندسية في النسبة المصطفوية: ص٧ ـ ٢٦، الرسالة الثانية: الدرج المنيفة في الآباء الشريفة: ص٢٧ ـ ٤٣، الراسالة الثالثة: مسالك الحنفا في والدي المصطفى: ص٤٥ ـ ١٠٢، الرسالة الرابعة: نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين: ص١٠٣ ـ ١١٨، الرسالة الخامسة: التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله في الجنة: ص١١٩ ـ ١٦٤، الرسالة السادسة: السبل الجلية في الآباء العلية: ص١٦٥ ـ ١٧٩، الرسالة السابعة: تنزيه الأنبياء عن تشبيه الأغبياء: ص١٨١ ـ ١٩٦ إيمان الساعدي: والدي النبي محمد ﷺ، الفصل الثالث، تحت عنوان (عقيدة والدا النبي ﷺ). حيدر إسماعيل: آباء النبي محمد ﷺ من آدم إلى عبد الله: ص٦ ـ ٣٤٨.

(٢) اعلام النبوة: ص ٢٠١ ـ ٢٠٢

عباس في تأويل قوله تعالى ـ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ[(١)] ـ أي تقلبك من اصلاب طاهرة من أب بعد أب إلى أن جعلك نبيا، وكان نور النبوة في آبائه ظاهرا، وإذا خبرت حال نسبه، وعرفت طهارة مولده، علمت انه سلالة آباء كرام سادوا ورأسوا لأنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم... [وساق نسبه إلى عدنان ثم قال]: ليس في آبائه خامل وله مسترذل ولا مغمور مستذل كلهم سادة قادة وهم اخص الناس بالمناكح الطاهرة".

الثاني: الطهارة من الشرك: قد صرحت كلمات أمير المؤمنين عليه السلام السابقة لفظا ومعنىً بطهارة اسلافه صلى الله عليه وآله من الكفر والشرك بالله الذي الحقته بعض المرويات التاريخية بآباء النبي صلى الله عليه وآله. والكافر لا يقال بحقه: انه مختار أو كريم ولا طاهر لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[(٢)]. وفي قوله تعالى ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ دلالة لا لبس فيها على طهارة آبائه صلى الله عليه وآله من كل شرك وكفر. وهنا تنتفي تقولات بعض الرواة الذين نجد في مروياتهم ما يشير إلى أن من آبائه صلى الله عليه وآله من اشرك بالله وعبد الأصنام، كما هو الحال في الرواية المزعومة التي نسبت إلى جد النبي صلى الله عليه وآله خزيمة بن مدركة[(٣)] انه أول من وضع هبل في الكعبة حتى سمي هبل خزيمة[(٤)]. رغم ان النبي صلى الله عليه وآله كان قد خصه من ضمن آبائه الذين اكد انهم "على ملة إبراهيم فلا تذكروهم الا بخير"[(٥)]، وذكر

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٩.

(٢) سورة التوبة الآية ٢٨.

(٣) هو خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فهو الجد الرابع عشر للنبي صلى الله عليه وآله. كان أحد حكام العرب، وصاحب الفضل والسؤدد فيهم، كان من الموحدين ومات على ملة النبي إبراهيم عليه السلام. ينظر: اليعقوبي: تاريخ: ١/ ٢٢٩. الصالحي: سبل الهدى: ١/ ٢٨٧. الديار بكري: تاريخ الخميس: ١/ ١٥٠.

(٤) البلاذري: انساب الاشراف: ١/ ٣٧. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٥/ ٣٩١. ابن الأثير: الكامل: ٢/ ٢٨. النويري: نهاية الارب: ١٦/ ١٢. البغدادي: خزانة الادب: ٧/ ٢١٢.

(٥) ابن حجر: فتح الباري: ٧/ ١٢٥. ولقد ناقش إسماعيل هذه الشبهة ودحضها بعدة أدلة. ينظر: آباء النبي محمد صلى الله عليه وآله: ص٩١ ـ ٩٤.

البلاذري ان تسمية عبد مناف جد النبي ﷺ كانت نسبة إلى صنم من الأصنام[١] بينما أصل التسمية يرجع إلى انها كانت بمعنى "علا واناف"[٢] واسمه المغيرة بن قصي[٣].

فلا يمكن قبول ما جاء في تلك الروايات الشائبة التي حاولت ان تلصق بآباء النبي ﷺ الشرك بالله أو أي عمل ينافي الشريعة الإلهية والثوابت العقلية، وقد صرح النبي ﷺ بأن آباءه واجداده كانوا موحدين وعلى ملة إبراهيم عليه السلام[٤]. وفي مراجعة فاحصة لسير حياتهم نجد ان مَعْلَم التوحيد بارز في ثنياتها ورغم ان هناك من تكفل باستقصاء تلك الشبهات وردها الا اننا إنما ألمحنا بشكل موجز لتلك الشبهات دون الخوض في تفاصيلها بغية بيان الفارق بين رؤية أمير المؤمنين عليه السلام ومن اهتدى بنوره، وبين الرؤية السلبية للروايات التاريخية الموضوعة في هذا الجانب[٥].

نخلص إلى القول إن النبي ﷺ تميز بانتسابه إلى اعرق واشرف الأنساب إذ قيض له الباري آباء وأمهات طاهرون مطهرون من كل شائبة ودنس رغم تواجدهم في بيئة مشوبة في الاعم الأغلب بالآثام، إلا ان المسار النبوي الطيب تنزه عن كل ذلك فتسامى طيباً كريماً معافى.

لقد تميزت سلالة النبي ﷺ بمكارم ومحامد كثيرة، لا يتسع المجال

---

(١) البلاذري: انساب الاشراف: ١/ ٥٢.

(٢) مناف: مأخوذ من ناف أي ارتفع، وجبل منيف، أي مرتفع، وجبل عالي المناف، أي المرتقى، وناف ينوف، أي طال، وإمرأة منيفة، تامة الحسن والجمال. ومنه عبد مناف. الزمخشري: أساس البلاغة: ص٩٩٦. ابن منظور: لسان العرب: ٩/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات: ١/ ٥٥. ياقوت الحموي: معجم الأدباء: ١٤/ ٤١. ابن شهر آشوب: المناقب: ١/ ١٣٤. المجلسي: البحار: ١٥/ ١٠٤.

(٤) ينظر: إسماعيل: آباء النبي محمد ﷺ: ص٤٥ ـ ٥٩.

(٥) لمزيد من التفاصيل ينظر: إسماعيل: آباء النبي محمد ﷺ (الصفحات جميعها). وينظر: حسين الصافي: آباء النبي ﷺ في الكتاب والسنة: ص ١٠٥ ـ ١٢٤.

للإفاضة فيها، لذا سنقتصر على الإشارات الموجزة التي وردت في مظان كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد أشار إلى عدة جوانب، وخصائص ذاتية، ومكارم أخلاقية اختص بها آباء النبي صلى الله عليه وآله، من قبيل وصفه لبني هاشم بالكرم، والسخاء، والشجاعة، والفصاحة، والهيبة، إذ يقول عليه السلام: "**وأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا، وأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا، ....، ونَحْنُ أَفْصَحُ وأَنْصَحُ وأَصْبَحُ**"[(١)].

ولا يسعنا الاستفاضة في تتبع مصاديق هذه الصفات والسجايا على جميع آباء النبي صلى الله عليه وآله، بل سنركز الحديث على ثلاث شخصيات خصها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بذكره لها في معرض المساجلة بينه وبين معاوية، إذ قال له: "**ولَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، ولَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ ولَا أبو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ**"[(٢)].

ففي جانب الكرم والسخاء، فإنّا نجد هاشماً[(٣)] الذي اسمه "عمرو"[(٤)] شهد له التاريخ بسخاء لا مثيل له، حتى ان لقبه بـ"هاشم" كان كناية عن جوده وكرمه، إذ عُرف به لتهشيمه الثريد لبني قومه في ازمة لحقتهم في عهده[(٥)]. وفي ذلك يقول الشاعر (ابن الزبعرى)[(٦)]:

---

(١) نهج البلاغة: ص٦٧٧ ـ ٦٧٨.

(٢) نهج البلاغة: ص٥١١.

(٣) لمزيد من التفاصيل ينظر: رياض رحيم الصفراني: هاشم بن عبد مناف دراسة في سيرته الشخصية: (الصفحات جميعها).

(٤) سمي عمرو العلا لمعاليه. ينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢١٠.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣/ ٥٩. ابن الجوزي: المنتظم: ٢/ ٢١٠. النويري: نهاية الارب: ٢/ ٣٥٨. ابن كثير: السيرة النبوية: ٢/ ١٦٤. ابن حجر: فتح الباري: ٧/ ١٢٤.

(٦) هو عبد الله بن الزبعرى السهمي القرشي من شعراء المشركين، كان يؤذي النبي صلى الله عليه وآله في مكة، وهو صاحب الأبيات المشهورة يوم أحد ثأرا لقتلى المشركين يوم بدر:
ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
اسلم عام الفتح، فكان من الطلقاء. ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب: ٣/ ٩٠١. ابن الأثير: أسد الغابة: ٣/ ١٥٩.

عمرو العلا هشم الثريد لقومه   كانوا بمكة مسنتين عجاف[١]

و "كانت مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء، وكان يحمل ابن السبيل ويأوي الخائف"[٢].

وقد تولى هاشم مهام الرفادة وهي التي تتضمن تهيأة الطعام للحاج أيام الموسم[٣]، وكانت فضيلة اطعام الطعام من اكبر الفضائل التي يمتدح بها العرب، وينال صاحبها الاحترام العام، والمنزلة الرفيعة والسمعة الطيبة، بل كانوا يعتبرون المؤاكلة عقد رباط وجوار[٤]. وكان هاشم قد وصل القمة في الكرم وذاع صيته عند قريش وخارجها، حتى عجز بعض فروع قريش ان يصنعوا صنيعه في الكرم والاطعام كأمية بن عبد شمس في قضية المنافرة المعروفة[٥].

ما أحد كهاشم وإن هشم   ولا أمرؤ كحاتم وان حتم[٦]

وقد آلت إليه زعامة مكة، وساد قومه، واعاد إلى الأذهان سيرة جده قصي بن كلاب، وقد توفر لديه القدرة على الوفاء بالتزامات الرئاسة من الشجاعة والكرم ورجاحة العقل وبذل المال وغيرها من سمات هيأت له السيادة على قومه، يقول الشاعر مطرود بن كعب الخزاعي[٧]:

---

(١) الازرقي: أخبار مكة ١/ ١١٢، السهيلي الروض الأنف ١/ ١٦١. وقد نسبه آخرون إلى مطرود بن كعب الخزاعي. ينظر: ابن حبيب: المنمق: ص٢٧. اليعقوبي: تاريخ: ١/ ٢٤٣. ابن عنبة: عمدة الطالب: ص٢٥.

(٢) الديار بكري: تاريخ الخميس: ١/ ١٥٨.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٠٩.

(٤) الملاح: الوسيط: ص٣٨٢.

(٥) محمد بن إبراهيم آل لطيف: مآثر آل البيت وبني هاشم: ص ٥٢. النصرالله: شرح نهج البلاغة: ص٦٠ ـ ٦١.

(٦) الثعالبي: يتيمة الدهر: ٤/ ٣٤١.

(٧) هو من فحول شعراء الجاهلية، ارتكب جناية فلجأ إلى عبد المطلب فآمنه، وبقي عنده في حماية بني هاشم. ينظر: الزركلي: الأعلام: ٧/ ٢٥١.

يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بدار عبد مناف[١]

وكان من احسن الناس وجهاً حتى لقبته العرب لجماله "قدح النضار"[٢] و"البدر"، وكان له من الهيبة حتى قيل انه لم يكن يراه أحد الا احبه واقبل نحوه[٣].

وقد ورث ولده عبد المطلب من أبيه من صفات الكمال والجمال والسخاء ما فاق فيه من سواه، إذ كان سيدا من سادات العرب ومقدميهم، فصيحاً، عاقلاً، ذا اناة ونجدة، ومن الاربعة الذين وطد الله بهم قريش وبنو مكة ونظموها وتعاهدوا البيت الحرام[٤]. فمن صفاته الشخصية انه كان اوسم العرب شكلا، واعظمهم مهابة، واجملهم صفاتا، واطولهم قامة، واحسنهم وجها [٥].

وكان من حلماء قريش وحكمائها، وكان مجاب الدعوة محرماً الخمر على نفسه، وهو أول من تحنث بحراء، وقد دأب على اطعام المساكين، وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال، ولذلك كان يقال له مطعم الطير، ويقال له الفياض[٦]

وله من الهيبة التي ما رآه ملك قط إلا اكرمه وشفعه[٧]، وقد روي عن النبي

---

(١) ابن حبيب: المحبر ص١٦٣. البلاذري: انساب الاشراف: ١/ ٥٩. الشريف المرتضى: الأمالي: ٤/ ١٧٨.

(٢) هو شجر الاثل الورسي اللون. الزمخشري: الفائق في غريب اللغة: ٣/ ٣٠٥. وقيل هي الاقداح الحمر الجيشانية. ابن منظور: لسان العرب: ٥/ ٢١٤.

(٣) الصالحي الشامي: سبل الهدى: ١/ ٢٧٠.

(٤) آل لطيف: مآثر آل البيت وبني هاشم ص ٥٥.

(٥) لقد وصفه دغفل النسابة قائلاً: "كان عبد المطلب ابيض، مديد القامة، حسن الوجه، في جبينه نوّر النبوة، وعز الملك، يطيف به عشرة من بنيه، كأنهم أُسد غاب". ينظر: أبو الفرج الاصفهاني: الأغاني: ١/ ٤٥.

(٦) احمد بن زيني دحلان: السيرة النبوية: ١/ ٢٢. وينظر: إسماعيل: آباء النبي محمد صلى الله عليه وآله: ص ١٥٨ - ١٦٥.

(٧) ابن سعد: الطبقات: ١/ ٨٥.

الأعظم ﷺ: "ان الله يبعث جدي عبد المطلب أمة وحده في هيئة الأنبياء وزيّ الملوك"[١]. ومما شرف به عبد المطلب عبادته، وزهده، وفصاحته، وموقفه الشجاع في مواجهة ابرهة صاحب الفيل، فكان ان لقبته قريش بإبراهيم الثاني[٢]. وكان مفزع قريش في النوائب وملجأهم في الامور وشريفهم وسيدهم كمالا وفعالا[٣]. وكان مقراً بالتوحيدً، مثبتا للوعيد وتاركاً للتقليد[٤]. اما شعره وفصاحته فاشهر من ان يذكر، وله ديوان شعر مطبوع[٥].

كان بنوه ممن اشتهر بصفات ندر وجودها، حتى قيل: "لم يكن في العرب عدة بني عبد المطلب، اشرف منهم ولا اجسم، ليس منهم رجل الا اشم العرنين، يشرب انفه قبل شفتيه، ويأكل الجذع، ويشرب الفرق"[٦]. وكان لكل واحد من ولد عبد المطلب شرف وذكر وفضل وقدر ومجد[٧] قال أبو حيان التوحيدي[٨]: "انصرف العباس بن مرداس السلمي من مكة فقال: يا بني سليم، اني رأيت أمراً، وسيكون خيراً، رأيت بني عبد المطلب كأن قدودهم الرماح الردينية[٩]، وكأن وجوههم بدور الدجنة، وكأن عمائمهم فوق الرجال ألوية، وكأن منطقهم مطر الوبل على المحل؛ وإن الله إذا أراد ثمراً غرس له غرساً، وإن أولئك غرس الله؛ فترقبوا ثمرته، وتوكفوا غيثه، وتفيئوا ظلاله، واستبشروا بنعمة الله عليكم به".

---

(١) اليعقوبي: تاريخ ٢/ ١٤.
(٢) اليعقوبي: تاريخ ٢/ ١١. ولمزيد من التفاصيل عن موقفه المتميز في مواجهة ابرهة ينظر: النصر الله: شرح نهج البلاغة: ص ٦١ ـ ٦٥.
(٣) دحلان: السيرة النبوية: ١/ ٢٢.
(٤) المسعودي: مروج الذهب: ٢/١٠٣.
(٥) ينظر: إسماعيل: آباء النبي ﷺ: ص ١٦٤ ـ ١٦٥.
(٦) ابن حبيب: المنمق: ص٣٤.
(٧) اليعقوبي: تاريخ: ٢/ ١١.
(٨) الامتاع والمؤانسة: ١/ ٧٦.
(٩) الرماح الردينية: نسبة لأمراة تدعى ردينة كانت تسوي الرماح بخط هجر، الجوهري: الصحاح ٥/ ٢١٢٢، ابن منظور: لسان العرب ١٣/ ١٧٨، الزبيدي: تاج العروس: ١٨/ ٢٣٢.

وعن الكلبي: "فلم يكن في العرب بنو أب مثل بني عبد المطلب أشرف منهم ولا اجسم شم العرانين تشرب انوفهم قبل شفاههم"[(١)]. وفي اعلام النبوة للماوردي[(٢)]: "وصار عبد المطلب سيداً عظيم القدر مطاع الأمر نجيب النسل حتى مر به اعرابي وهو جالس في الحجر وحوله بنوه كالأُسد فقال: إذا احب الله إنشاء دولة خلق لها أمثال هؤلاء. فأنشأ الله لهم بالنبوة دولة خلد بها ذكرهم ورفع لها قدرهم حتى سادوا الانام وصاروا الاعلام وصار كل من قرب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من آياته أعظم رياسة وتنوها وأكثر فضلاً وتألها".

وممن برز من ولده وحاز سيادة قومه بعد ابيه ولده أبو طالب عليه السلام الذي اشتهر بالكرم والشجاعة والفصاحة والهيبة والجمال. فاما كرمه، فقد كان كآبائه سخياً كريماً معطاءاً، حتى قيل فيه: "الجواد بما يملك من غير منة، والسمح بما يستطيع بلا طلب"[(٣)]، وقد بلغ من جوده ان اعترف اعدائه له بهذه المكرمة[(٤)]. اما دليل شجاعته فإنه لا يحتاج إلى بيان، إذ يكفي موقفه من نصرة النبي صلى الله عليه وآله ووقوفه بوجه اعتى عتاة قريش، وقد عبر هو عليه السلام عن شجاعته بقوله[(٥)]:

أنـــىّ تـــضـــام ولـــم أمُـــت وأنـــا الـــشـــجـــاع الـــعـــربـــد

وقد قيل عنه صلى الله عليه وآله: "لو ولد الناس أبو طالب لولدهم شجعاناً"[(٦)] وقد

---

(١) ابن سعد: الطبقات: ١/ ٩٤. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣/ ١١٧.

(٢) ص ٢١٥.

(٣) المسعودي: اثبات الوصية: ص ١٣٥.

(٤) روي ان احدهم دخل على معاوية في مجلسه فقال: "جئتك من عند الآم العرب وابخل العرب واعيا العرب واجبن العرب، قال ومن هو... قال علي بن أبي طالب" فلما اختلى به وبخه قائلاً: "ويحك يا جاهل كيف يكون الأم العرب وابوه أبو طالب وجده عبد المطلب". الاربلي: كشف الغمة: ٢/ ٤٨. وينظر: المحمداوي: أبو طالب: ص ٢٣.

(٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧٧.

(٦) الإربلي: كشف الغمة ٢/ ٢٣٥.

جعلته هذه السمات السيد المطاع في قومه والافضل بين رجالات قريش وهذا ما أشارت إليه وفود قريش لما وفدوا عليه يشكون إليه أمر رسول الله ﷺ لأنه عاب دينهم وسفه احلامهم فخاطبوا أبو طالب بقولهم "أنت سيدنا وافضلنا في انفسنا"(١).

ثانياً: الميثاق:

وردت هذه المفردة "الميثاق" في ثلاث مواضع من كلامه الشريف في نهج البلاغة:

١ ـ "**واصْطَفَى سُبْحَانَه مِنْ وَلَدِه أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ**"(٢).

٢ ـ قوله عليه السلام في معرض حديثه عن النبي ﷺ: "**مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُه، مَشْهُورَةً سِمَاتُه**"(٣).

٣ ـ الذي يختص بوظيفة النبوات إذ يقول عليه السلام: "**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه**"(٤).

إن هذه المقاطع تنبئ عن ميثاق مأخوذ، ففي المقطع الأول، إن الذي أخذ الميثاق هو الله تعالى على أنبيائه وهذا ما أشار إليه في كتابه الكريم بقوله جلا وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾(٥).

والمعنى في كلام الإمام عليه السلام انه تعالى أخذ الميثاق عليهم بأن يبلغوا الناس ما أوحى إليهم الله سبحانه، فقد أعطى الرسالة وأخذ الأمانة، فإن بلغوا

(١) ابن سعد: ١/٢٠٢. وينظر: المحمداوي: أبو طالب: ص ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) نهج البلاغة: ص١٩.

(٣) نهج البلاغة: ص٢٠ ـ ٢١.

(٤) نهج البلاغة: ص٢٠. ينظر من هذا الفصل ص: ٢٢٢ ـ ٢٢٦

(٥) سورة الأحزاب الآية ٧.

الرسالة رد إليهم الأمانة، فهم ذوو أمانة، وان لم يبلغوا الرسالة لم يرد إليهم الأمانة[١].

إذ حكمت الحكمة الإلهية عليهم بالقوة على ما كلفوا به من ضبط الوحي في ألواح قواهم، وجذب سائر النفوس الناقصة إلى جناب عزته بحسب ما أفاء لهم من القوة على ذلك الاستعداد له، وما منحهم من الكمال الذي يقتدرون معه على تكميل الناقصين من أبناء نوعهم. ولما كانت صورة العهد، وأخذ الأمانة في العرف أن يوعز الإنسان بأمر، ويؤكد على القيام به بالإيمان وإشهاد الحق سبحانه، وكان مداد الحكم الإلهي جاريا بإرسال النفوس البشرية إلى هذا العالم، وكان مداد العناية الإلهية من ذلك البعث أن يظهر ما في قوة كل نفس من كمال أو تكميل إلى الفعل، وكان ذلك لا يتم إلا بواسطة بعضها للبعض كان الوجه الذي بعث عليه مشبها للعهد والميثاق المأخوذ والأمانة المودعة كل لما في قوته وما اعد له[٢].

يبدو من كلامه أعلاه في النص الأول إن هذا الميثاق كان عاما للأنبياء جميعا، كما هو واضح أيضاً في مراد الآية أعلاه، وان كانت خصت فيما بعد بخمسة من الأنبياء هم أولو العزم وفي مقدمتهم النبي محمد ﷺ لعظمته وشرفه وتقدم مكانته، مما يدلل على إن المسؤولية عليهم اشد وان لهم خصوصية ولا سيما في هذا المجال.

أما المقطع الثاني "مأخوذا على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته"، فهنا رأيان:

الأول: إن الله أخذ ميثاقه وهو الدعاء إلى توحيده والإقرار بربوبيته.

الثاني: إن الله أخذ ميثاق النبي محمد ﷺ وتصديقه والاعتراف بنبوته[٣].

---

(١) الشيرازي: توضيح نهج البلاغة: ١/ ٣٦.

(٢) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٤٨.

(٣) الحسيني: الديباج الوضي: ١/ ١٦٥.

وإلى مثل هذا المعنى أشار القرآن إذ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1].

ومحصل معنى الآية: إن الله أخذ الميثاق من الأنبياء وأممهم إن لو أتاهم الله الكتاب والحكمة وجاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن بما أتاهم وينصرن الرسول وذلك من الأنبياء تصديق من المتأخر للمتقدم والمعاصر، وبشارة من المتقدم بالمتأخر وتوصية الأمة، وعلى الأمة الإيمان والتصديق والنصرة، ولازم ذلك وحدة الدين الإلهي[2]. وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا أن يخبروا أممهم بمبعثه ونعته، ويبشروهم به ويأمروهم بتصديقه[3]. وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال: لم يبعث الله نبياً آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه ثم تلا: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة). من هنا حصلت به البشائر من الأنبياء اجمعهم قبل إخراجه إلى العالم بالوجود، وإنما أراد جل اسمه بذلك إجلاله وإعظامه وان يأخذ العهد له على الأنبياء والأمم كلها...)[4].

أما في قول أمير المؤمنين عليه السلام: "مشهورة سماته"، إشارة واضحة إلى وضوح صفاته وعلاماته في الكتب المنزلة والصحف السماوية السابقة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[5]. أي أنهم ليسوا مطلعين على أصل ظهوره ودعوته فحسب، بل ويعرفون أيضاً إشاراته وخصوصياته وجزئياته، حتى قال تعالى في ذيل الآية التي جاءت في سورة

---

(١) سورة آل عمران الآية ٨١.

(٢) الطباطبائي: الميزان: ٣/ ٣٢٣.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان: ٢/ ٣٣٤. المجلسي: البحار: ١٥/ ١٧٦.

(٤) المفيد: المسائل السروية: ص ٤١.

(٥) سورة البقرة الآية ١٤٦، سورة الأنعام الآية ٢٠.

البقرة: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1][2]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾[3] وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: "يعني اليهود والنصارى صفة محمد واسمه"[4].

إن اللافت للنظر: إن القرآن لا يقول: (يجدون علائمه ودلائله) بل يقول (يجدونه) أي يجدون نفس ذلك النبي صلى الله عليه وآله في التوراة والإنجيل، وهذا التعبير الذي يعني حضور النبي صلى الله عليه وآله في كتبهم هو تأكيد على منتهى وضوح الأمر[5].

وروى عن الإمام الباقر عليه السلام: "لما أنزلت التوراة على موسى بشر بمحمد صلى الله عليه وآله، قال: فلم تزل الأنبياء تبشر به حتى بعث المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فبشر بمحمد صلى الله عليه وآله، وذلك قوله (يجدونه)، يعني اليهود والنصارى، (مكتوبا)، يعني النبي محمد (عندهم) يعني في التوراة والإنجيل، وهو قول الله عز وجل يخبر عن عيسى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[6]"[7]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[8]. إذ لما ظهر النبي صلى الله عليه وآله نهضوا لمخالفته ووقفوا ضده، رغم إن مسألة ظهوره كانت واضحة في كتبهم[9].

والنقطة الجديرة بالتأمل إن عبارة (مصدق لما معهم) أو ما يشابهها من

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٦.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ٨/ ٢٨٨.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٥٧.

(٤) أبو حمزة الثمالي: تفسير أبي حمزة: ص١٧٦. البحراني: البرهان: ٢/ ٥٩٤. المجلسي: البحار: ١٥/ ٢٢٧.

(٥) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ٨/ ٢٩٠..

(٦) سورة الصف الآية ٦.

(٧) الكليني: الكافي ٨/ ١١٧. المجلسي: مرآة العقول: ٢٥/ ٢٨٠.

(٨) سورة البقرة الآية ٨٩.

(٩) ينظر: هادي عبد النبي التميمي: الدور اليهودي في الدولة الإسلامية حتى نهاية عصر الرسول صلى الله عليه وآله: ص ٤٠ ـ ٥٣.

تعبير وردت في القرآن الكريم مرات عدة[١]، وليس مفهومها إن النبي ﷺ يؤيد كتبهم السماوية مع ما حدث فيها من تحريف، بل المقصود إن أوصاف النبي ﷺ موافقة ومتطابقة مع العلامات والإشارات التي في أيديهم، وبتعبير آخر إن للنبي ﷺ وكتابه السماوي نفس الأوصاف التي كانوا يعرفونها من قبل، وكان هذا تصديقا لكتبهم السماوية من ناحية تطابقها تماما مع صفاته ﷺ[٢].

والى اليوم فإن علاماته وسماته ﷺ موجودة في الكتب التي في متناول أيدينا (التوراة والإنجيل) وبالإمكان الوقوف عليها إذا ما تم استقصاؤها بدقة[٣].

ثالثاً: الاختصاص بالوحي:

ومن جملة المزايا التي اختص بها الأنبياء والمرسلون، إن الله سبحانه خصهم بالإيحاء الإلهي، الذي كان اتصالا غيبيا خفيا بين الله وأصفيائه، الذين اجتباهم لتأدية رسالاته، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "**بَعَثَ اللَّهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ**"[٤] وهو صدى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾[٦]. وجاء في خطب وكلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بضعة إشارات إلى ظاهرة الإيحاء الإلهي، إذ أشار عليه السلام إلى أنها ظاهرة تشترك فيها جميع الأنبياء، وإنها لازمتهم

---

(١) ينظر مثلا: سورة البقرة الآيتان ٨٩، ١٤٦، سورة الأنعام الآية ٢٠، سورة الأعراف الآية ١٥٧، سورة الصف الآية ٦.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ٨/ ٢٩٢.

(٣) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ٨/ ٢٩٣ ـ ٣٠٢.وينظر عودة مهاوش: الكتاب المقدس تحت المجهر: ص١٣٨ ـ ١٥٣.

(٤) نهج البلاغة: ص٢٦٢.

(٥) سورة الشورى الآية ٣.

(٦) سورة الزمر الآية ٦٥.

منذ بدء اصطفائهم إذ ائتمنهم الله سبحانه على وحيه، وتبليغ رسالته، وتعهدوا هم بأداء الأمانة على أكمل وجه وأتمه، يقول عليه السلام: "**وَاصْطَفَى سُبْحَانَه مِنْ وَلَدِه أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ**"[1] فمقام تلقي الوحي والرسالة ليس من صنف المقامات المتاحة للجميع ومن دون مؤهلات واستحقاق لها، فهو مقام لا يعطى إلا لمن توفرت فيه مقدمات الكمال وشروطه و ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[2]. وهنا لا بد من وقفة تعريفية مع مفردة (الوحي) التي نحن بصدد الحديث عنها:

الوحي ـ لغة ـ إعلام في خفاء، وقيل: الإشارة السريعة، وكل ما ألقي إلى آخر فهو وحي من إشارة أو كتابة أو رسالة أو الهام أو كلام خفي[3]، ومن خلال تقصي استعمالات مفردة "الوحي" في القرآن الكريم يمكن أن نقف على نوعين للوحي الإلهي:

الوحي التشريعي: ما كان ينزل على الأنبياء ويمثل العلاقة الخاصة بينهم وبين الخالق، فقد كانوا يستلمون الأوامر الإلهية والحقائق عن هذا الطريق.

الوحي التكويني: وهو في الحقيقة وجود الغرائز والقابليات والشروط والقوانين التكوينية الخاصة التي أوجدها الخالق في أعماق جميع الكائنات في هذا العالم[4].

إن الذي عليه مدار بحثنا هو النوع الأول الذي اصطلح على تسميته بالوحي الشرعي أو التشريعي، وفيه يشترك جميع الأنبياء والرسل، وإن مصدره الله تعالى، ولا يتلقاه منه أو من الملك المخصص إلا نبي أو رسول لرب العالمين، فهو متميز إرسالا عمن سواه من طرق الوحي، ومتميز بمستقبله الذي

---

(١) نهج البلاغة: ص١٩.
(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٤.
(٣) الجوهري: الصحاح: ٦/٢٥١٩ ـ ٢٥٢٠. ابن فارس: المعجم: ٦/٩٣. ابن الأثير: النهاية: ٥/١٦٣. الرازي: مختار الصحاح: ص ٣٦٥. ابن منظور: لسان العرب: ١٥/٣٧٩ ـ ٣٨٢.
(٤) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: ١٥/٤٢١.

يجب أن يكون حائزا على شرف النبوة أو تكليف الرسالة[١]. فالوحي من لوازم النبوة، وهو نوع تكليم إلهي تتوقف عليه النبوة[٢].

للوحي صور متعددة يمكن الوقوف عليها من خلال مراجعة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والمقطوعات الروائية، ولكن سنقتصر على صور الإيحاء الخاصة بالنبوة والإرسال التي يمكن إيجازها بالآتي:

أ ـ الوحي المباشر: وهي حالة إلقاء الكلمة الإلهية إلى الرسول بدون وساطة ملك، كما خاطب الله نبيه محمدا ﷺ في معراجه إلى السموات العلى[٣]، وكما خاطب الله نبيه موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾﴾[٤].

ب ـ عن طريق الملك جبرئيل عليه السلام: قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[٥].

ج ـ الإيحاء بواسطة الرؤيا: كما في قضية رؤيا النبي إبراهيم عليه السلام[٦]، وكما في قوله تعالى ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّ...﴾[٧].

د ـ إلقاء المعنى في قلب النبي أو نفثه في روعه بصورة يحس بأنه تلقاه من الله تعالى. قال ﷺ: "يا أيها الناس انه قد نفث في روعي روح القدس..."[٨].

---

(١) اقبال بن عبد الرحمن ابداح: الوحي القرآني بين المفسرين والمستشرقين: ص ٢٢ ـ ٢٤.
(٢) الطباطبائي: الميزان: ٢/ ١٣٥.
(٣) سورة النجم الآيات ١٣ ـ ١٨.
(٤) سورة طه الآيتان١١. ١٢.
(٥) سورة الشعراء الآيتان ١٩٣ ـ ١٩٤.
(٦) ينظر سورة الصافات الآية ١٠٢ ـ ١٠٧.
(٧) سورة الفتح ٢٧.
(٨) الشافعي: المسند: ص ٢٣٣. الصنعاني: المصنف: ١١/ ١٢٥. ابن أبي شيبه: المصنف: ٨/ ٢٩. الصفار: بصائر الدرجات: ص ٤٧٣. الكليني: الكافي: ٢/ ٧٤، ٥/ ٨٠. الاسكافي: التمحيص: ص٥٢. الحراني: تحف العقول: ص ٤٠. الطوسي: تهذيب الأحكام: ٦/ ٣٢١. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٤/ ٧١. المتقي الهندي: كنز العمال: ٤/ ١٩، ٢٢ ـ ٢٣.

وهناك تفصيلات وتفرعات أخرى تخص الوحي وصوره وخواصه لا مجال لبحثها هنا(١).

لقد كانت أوضح صور الإيحاء بيانا في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام هو ما كان عن طريق الملائكة، وفيما عداها تبدو إشاراته عليه السلام عامة عن ظاهرة الوحي. ففي معرض حديث أمير المؤمنين عليه السلام عن مهام الملائكة، قال عليه السلام: "**ومِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِه وأَلْسِنَةٌ إلى رُسُلِه**"(٢)، وفي قول آخر: "**جَعَلَهُمُ اللَّه فِيمَا هُنَالِكَ أهل الأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِه**"(٣) فالأمانة من أبرز سمات رسل الله ـ الملائكة ـ وقد أشار القرآن في وصف جبرئيل عليه السلام ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾(٤). فالملائكة هنا أمناء على إيصال الوحي للرسل والأنبياء، والأنبياء والرسل أمناء على إيصاله للناس، يقول عليه السلام في نعت النبي صلى الله عليه وآله: "أَمِينُ وَحْيِه"(٥)، وخصه الله تعالى بأن "وخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ"(٦).

وأشار الإمام عليه السلام في موضع آخر إلى إن بعض الملائكة لها دور خاص في التسديد الإلهي لنبيه الكريم إذ "ولَقَدْ قَرَنَ اللَّه بِه صلى الله عليه وآله، مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِه، يَسْلُكُ بِه طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَه ونَهَارَه"(٧).

وتدلل إشارات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في النصوص التي ورد فيها ذكر مفردة "الوحي" ـ على قلتها ـ على إرتباط الوحي بالله وأنه واسطته إلى أنبيائه،

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن ظاهرة الوحي وما قيل فيها، يراجع: ابداح: الوحي القرآني: ص١٧ ـ ١٣٦.الآملي: الوحي والنبوة: ص١٤٣ ـ ١٥٣.الحكيم: علوم القرآن: ص٢٦، ١٤٨ ـ ١٦٤..

(٢) نهج البلاغة: ص ١٧.

(٣) نهج البلاغة: ص١٥٧.

(٤) سورة التكوير الآية ٢١. هناك من يرى بأن المراد بهذه الآية هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وليس جبرئيل عليه السلام ينظر: السيد محمد الصدر: ما وراء الفقه: ٦/ ٦٤ ـ ٦٥.

(٥) نهج البلاغة: ص٣٢٩.

(٦) . نهج البلاغة: ص. ٢٥١.

(٧) نهج البلاغة: ص٤٠٦.

يبلغون أحكامه وشرائعه السماوية إلى العباد، فهو عبارة عن نوع علاقة وارتباط ووحي غيبي خارج عن إطار المادة والطبيعة يحصل بين الله عز وجل وبين من اصطفاه لهذا المقام.

ويقودنا مزيد من التأمل في تلك الموارد إلى أن نستوحي حقيقة مفادها: إن الوحي هو حصيلة الاتصال بعالم الغيب، وإنه لا يصح تحليله بأدوات معرفية معتادة، وليس هو نتاج الحس، ولا العقل، ولا الغريزة، وليس وليد نبوغ الأنبياء وتفكيرهم الخاص، كما ذهب إلى هذا القول ثلة ممن تعرضوا لبيان ماهية الوحي المنزل على النبي ﷺ ـ حتى بلغ بهم فهمهم القاصر المستند على روايات نسجتها مخيلة بعض الرواة في إطار مادي إلى محاولات صب الحقائق الغيبية في قوالب حسية لتفسير هذه الظاهرة الإلهية، ولذا خلصوا إلى النتيجة التي تقول ان الأنبياء من نوابغ البشر، والوحي ما هو إلا حصيلة تفكرهم العميق ونتيجة لفعاليات حواسهم الباطنية، وإن حقيقة "الروح الأمين" في تصور هؤلاء هي روح هؤلاء النوابغ الزكية، ونفوسهم الصافية النقية، وان الكتب السماوية كذلك ليست سوى أفكارهم السامية وتصوراتهم الراقية[١].

وفي نص آخر يبين أمير المؤمنين عليه السلام إن النبي ﷺ كان بمستوى عال من الإدراك والاستيعاب والحفظ لوحي الله المنزل إذ يقول عليه السلام: "**وَاعِياً لِوَحْيِكَ**"[٢]. وخلافا للانطباع الذي يعطيه مفهوم" الوعي" في كلام أمير المؤمنين عليه السلام أعلاه نجد الروايات تعكس انطباعا يبدو في أحد أبعاده مشوشا بخصوص حالة تلقي الوحي السماوي[٣]، وقد ساقنا التقصي السريع لمعظم الروايات ـ التي تناولت بيان حالة التلقي للوحي من قبل النبي ﷺ ـ إلى ترسيخ طابع الشك والريبة فيما ذكروه عن هذه المسألة! إذ يسأل أحدهم

---

(١) سبحاني: العقيدة الإسلامية في ضوء مدرسة أهل البيت (: ص ١٢٧.

(٢) نهج البلاغة: ص١٠٧.

(٣) لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الجبار ناجي: نقد الرواية التاريخية: ص ٢٠١ ـ ٣٠٠.

النبي ﷺ كيف يأتيك الوحي؟ فيقول ﷺ: "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول"[١].

فهل هذا تعدد أم تناقض؟ في الأولى يبدو عنيفا يتكلف النبي ﷺ شدة حتى يبلغ درجة الوعي، وفي الثانية يكون لينا فيعي منه ﷺ مباشرة؟! وقد علل باحث ذلك بقوله: "ولعل حكمة ظهوره على الصورة البشرية واضحة الدلالة على معناها من حيث كونها أكثر إيناسا وتأمينا للمخاطب[٢].

لكن نجد في رواية أخرى ما يناقض هذه الحالة بشكل تام إذ يروى عنه ﷺ: "كان الوحي يأتيني على نحوين يأتيني به جبرئيل، فيلقيه علي كما يلقي الرجل على الرجل، فذلك يتفلت مني، ويأتيني في شيء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي، فذاك الذي لا يتفلت مني"[٣].

هنا ترد حالة أخرى! فهل من معلل لما جاء فيها؟ وهل من مرشد لنا أي الحالتين هي الأصح ومن هي التي وقعت فعلا؟ وما معنى قوله ﷺ فذلك يتفلت مني؟ ولا يعيه النبي ﷺ؟

وفي نص آخر يُسأل النبي ﷺ: هل تحس بالوحي؟ فيجيب: "أسمع صلاصل ثم اسكت[٤] عند ذلك ـ فما من مرة يوحي إليّ إلا ظننت إن نفسي

---

(١) الإمام مالك: الموطأ: ١/ ٢٠٢. الحميدي: المسند: ١/ ١٢٥. ابن راهويه: مسند ابن راهويه: ٢/ ٢٥٢. ابن حنبل: المسند: ١٥٨/٦. البخاري: الصحيح: ١/ ٢ ـ ٣، ٤/ ٨٠. خلق أفعال العباد: ص٨٤٨٣. مسلم: الصحيح: ٧/ ٨٢. الترمذي: السنن: ٢٥٨/٥. النسائي: السنن: ١٤٦/٢ ـ ١٤٧. الطبراني: المعجم الكبير: ٣/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠. الحاكم: المستدرك: ٣/ ٢٧٩. البيهقي: السنن الكبرى: ٧/ ٥٣. ابن عبد البر: التمهيد: ١/ ٢٨٤، ٢٢/ ١١٢. ابن شهر آشوب: المناقب: ١/ ٤١. المتقي الهندي: كنز العمال: ٤٥٨/١١ ـ ٤٥٩، ٤٤٧/١٢. السيوطي: تنوير الحوالك: ص ٢١٣.

(٢) ابداح: الوحي القرآني: ص ٨٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات: ١٩٧/١. ابن حجر: فتح الباري: ١٨/١. المتقي الهندي: كنز العمال: ٤٥٩/١١.

(٤) في مورد " اثبت". ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/ ٣١. وفي مورد "أسبت". المقريزي: إمتاع الأسماع: ٨/٣.

تفيض[(١)]"[(٢)]. إذن حسب ظاهر الروايات فإن هناك "شدة ومكابدة" يعانيها النبي ﷺ عند تلقيه الوحي، وهذا ما نجد مثيله في روايات أخرى، فإنه "إذا نزل عليه كرب لذلك وتربد وجهه"[(٣)] و"وأغمض عينيه"[(٤)]، وهنا الصحابة يسمعون "منه دويا كدوي النحل"[(٥)]، بل "يكاد يغشى عليه"، فقد كان ﷺ "يجد ثقلا عند نزول الوحي، ويتحدر جبينه عرقا في البرد كأنه الجمان، وربما غط كغطيط البكر، محمرة عيناه"[(٦)]. و"كان إذا أوحي إلى رسول الله ﷺ وقذ[(٧)] لذلك ساعة كهيئة السكران"[(٨)]. ولما "نزلت عليه سورة المائدة، فإندق عنق الراحلة من ثقلها"[(٩)]، وحينما سئل كيف يأتيك الوحي؟ قال ﷺ: "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشد علي، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما يقول، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول"[(١٠)].

---

(١) في مورد "تقبض" ابن كثير: تفسير: ٤/ ١١٥، ٤٦٤. ودل نقله عن ابن حنبل قوله "تفرد به أحمد".

(٢) . ابن حنبل: المسند: ٢/ ٢٢٢. المتقي الهندي: كنز العمال: ١١/ ٤٥٨. السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: ١/ ١٢٧، الدر المنثور: ٦/ ٢٧٨.

(٣) . مسلم: الصحيح: ٥/ ١١٥، ٧/ ٨٢. البيهقي: السنن الكبرى: ٧/ ٥٣. ابن حزم: المحلى: ١١/ ١٨٥. ابن حنبل: المسند: ٥/ ٣١٨. النسائي: السنن: ٥/ ٣. السيوطي: الجامع الصغير: ٢/ ٣٢٢. المتقي الهندي: كنز العمال: ٧/ ١٥١. المناوي: فيض القدير: / ٥٧٩.

(٤) . ابن كثير: البداية: ٣/ ٣٠، السيرة النبوية: ١/ ٤٢٢. الصالحي الشامي: سبل الهدى: ٢/ ٢٥٧.

(٥) . ابن حنبل: المسند: ١/ ٣٤. الترمذي: السنن: ٥/ ٨. النسائي: السنن: ١/ ٤٥٠. الحاكم: المستدرك: ١/ ٥٣٥. ابن حجر: فتح الباري: ١/ ١٨، ١١/ ١٢٠.

(٦) الحلبي: السيرة الحلبية: ١/ ٤١٥.

(٧) . وقذ أي ضعف ووهن من الخوف، والوقذ شدة الضرب، والموقوذة المقتولة ضربا. الفراهيدي: العين ٥/ ٢٠١. ابن قتيبة: غريب الحديث: ٢/ ١٦٤. الجوهري: الصحاح: ٢/ ٥٧٢. الزمخشري: أساس البلاغة: ١٠٣٥. الفائق ٢/ ٨٦. ابن الأثير: النهاية: ٥/ ٢١٢. ابن منظور: لسان العرب: ٣/ ٥١٩.

(٨) ابن سعد: الطبقات: ١/ ١٩٧. السيوطي: الجامع الصغير: ٢/ ٣٢٣. المتقي الهندي: كنز العمال: ٧/ ١٥١. المناوي فيض القدير: ٥/ ١٤٢.

(٩) ابن كثير: البداية: ٣/ ٣١، تفسير: ٢/ ٣.

(١٠) الإمام مالك: الموطأ: ١/ ٢٠٢. الحميدي: المسند: ١/ ١٢٥. ابن راهويه: المسند: ٢/ ٢٥٢. ابن حنبل: المسند: ٦/ ١٥٨. البخاري: الصحيح: ١/ ٢ ـ ٣، ٤/ ٨٠. خلق أفعال العباد ص٨٣ ـ ٨٤. مسلم: الصحيح: ٧/ ٨٢. الترمذي: السنن: ٥/ ٢٥٨. النسائي: السنن: ٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧. الطبراني: =

فهل يفهم من ذلك أن هناك تعددا في هيئات نزول الوحي، وكيفيه تلقي النبي صلى الله عليه وآله له أم هناك تناقض؟ ففي الحالة الأولى يبدو الوحي عنيفا يتكلف معه النبي صلى الله عليه وآله شدة حتى يعي ما يلقيه إليه.

ولكن ما المقصود بالصلصلة؟ إنها صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ثم أطلق على كل صوت له طنين، وقيل الصلصلة المذكورة هي صوت الملك بالوحي، وقيل: بل هو صوت حفيف أجنحة الملائكة، وبالمحصلة فلن يخرج المعنى عن كونه ذلك الصوت الذي يرافق الوحي قدوما أو إيحاءً(١). وفي تأويل آخر للصلصلة بأنها تلقي القرآن يسمعه ولا يتبينه أول ما يسمعه حتى يفهمه ويعيه بعد ذلك(٢). أما في الحالة الثانية يبدو الوحي هينا عليه، لينا معه حتى انه ليعي ما يتلقاه منه دون تكلف.

فان كانت المشكلة في تمثل الملك بالصورة البشرية، لإنها أكثر إيناسا للمخاطب، فلماذا نجد ما يلقيه يتفلت منه صلى الله عليه وآله، ولا يعيه بتمامه. ففي الرواية الأولى تتسبب "الشدة في التنزيل" بتأخر إدراك النبي ووعيه لما يلقيه الوحي! ولا ندري هل تعني الرواية إن الإيحاء كان دون وساطة الملك فكان كمثل الصوت العنيف، لا يعي النبي ما يوحى إليه إلا بعد انقطاعه عنه، وقد علله البعض بالمقدمة التي تسبق الوحي إيذانا بتعظيمه والاهتمام به لأن الكلام لا بد له من تهيئة وتقديم(٣).

أما في الرواية الثانية نجد الصورة مغايرة فمجيء الوحي بهيئة ذلك الصوت يخالط قلب النبي صلى الله عليه وآله ويعيه بتمامه إذ كما يصور يخالط قلبه فلا يتفلت منه!!

=المعجم الكبير: ٣/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠. الحاكم: المستدرك: ٣/ ٢٧٩. البيهقي: السنن الكبرى: ٧/ ٥٣. ابن عبد البر: التمهيد: ١/ ٢٨٤، ٢٢/ ١١٢. ابن شهر آشوب: المناقب: ١/ ٤١. المتقي الهندي: كنز العمال: ١١/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩، ١٢/ ٤٤٧. السيوطي: تنوير الحوالك: ص ٢١٣.

(١) ابن حجر: فتح الباري: ١/ ١٩.

(٢) ابن حجر: فتح الباري: ١/ ١٩. المباركفوري: تحفة الأحوذي: ١٠/ ٧٩.

(٣) ابن حجر: فتح الباري: ١/ ١٩.

فأي الحالتان أصح؟ ومن أين جاء هذا الخلط والتباين؟ مع إننا نجد إشارة أمير المؤمنين عليه السلام واضحة الدلالة إن النبي صلى الله عليه وآله كان واعيا لوحي الله بشكل مطلق وتام، إذ يقول عليه السلام: "وَاعِياً لِوَحْيِكَ"[(١)].

أما عن "الشدة" التي يعالجها النبي صلى الله عليه وآله عند التنزيل كما صرحت بذلك عدة روايات، فإنها محل تأمل.. فإن كنا لا نستبعد ما يلازمه صلى الله عليه وآله من حالة معينة أثناء تلقيه الوحي كالغشية أو السكينة، أو حال التعرق الشديد أو السبته، كما في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام "إن الله إذا اتخذ عبدا رسولا انزل عليه السكينة والوقار فكان يأتيه من قبل الله عز وجل مثل الذي يراه بعينه"[(٢)].

وحين سئل عليه السلام عن سر هذه الغشية أو السبته قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أتاه الوحي من الله وبينهما جبرئيل يقول: هو ذا جبرئيل، وقال لي جبرئيل، وإذا أتاه الوحي وليس بينهما جبرئيل تصيبه تلك السبته، ويغشاه منه ما يغشاه لثقل الوحي عليه من الله عز وجل"[(٣)].

وفي رواية إن زرارة[(٤)] سأله: "جعلت فداك، الغشية التي كانت تصيب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أنزل عليه الوحي؟ فقال: ذاك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذلك إذا تجلى الله له. قال: ثم قال: تلك النبوة يا زرارة واقبل متخشع"[(٥)].

---

(١) نهج البلاغة: ص١٠٧.

(٢) العياشي: تفسير: ٢/ ٢٠١. المجلسي: البحار: ١٨/ ٢٦٢. الفيض الكاشاني: التفسير الصافي: ٣/ ٥٥.

(٣) البرقي: المحاسن: ٢/ ٣٣٨. المجلسي: البحار: ١٨/ ٢٥٦.

(٤) هو زرارة بن أعين بن سنسن الشيباني، مولى بني شيبان، يعد من أصحاب الإمام الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام، له إلمام بعلوم القرآن والفقه والكلام والآدب والشعر، له من الكتب الاستطاعة والجبر والعهود، له مكانة متميزة عند الإمام الصادق عليه السلام، مات سنة ١٥٠هـ. ينظر: النجاشي: الرجال: ص١٧٥. الطوسي: اختيار معرفة الرجال: ١/ ٣٤٥، رجال الطوسي: ص١٣٦، ٢١٠، ٣٢٧، الفهرست: ص١٣٣ ـ ١٣٤. ابن شهر آشوب: معالم العلماء: ص٨٨. العلامة الحلي: خلاصة الأقوال: ص١٥٢. ابن داود: رجال ابن داود: ص٩٦. السيد الخوئي: معجم رجال الحديث ٨/ ٢٢٥ ـ ٢٦٧.

(٥) الصدوق: التوحيد: ص ١١٦. المجلسي: البحار: ١٨/ ٢٥٦. النمازي: المستدرك: ١٠/ ٢٦٥.

ولعل حصول السبتة وعروض الغشية له ﷺ إذا كان الوحي بلا واسطة، لعلها من جهة رؤيته ﷺ عظمة الله وجلاله، فتلك الغشية إنما هي إذا تجلى الله تعالى للنبي ﷺ أي ظهر أمره وجلاله وعظمته لا انه ظهر بنفسه، فإن رؤيته محال وليس هذا إلا على حد قوله تعالى ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[١] أي تجلى بنوره[٢].

وان كنا نرى إن مقام النبي ﷺ قد تسامى فوق كل مقام، ودنا من حضيرة القدس الإلهي بمكان لم يدانِه فيه أحد، إذ انفرد في عروجه فكان في مقام قاب قوسين أو ادنى[٣]، ولم ينقل عنه أي مكابدة أو شدة يعانيها عند اقترابه من ساحة القدس الإلهي، في أعلى مقاماته، فكيف يقال إن سر تلك الحالة يعود لتقريب طبيعته البشرية من الجو الملائكي![٤]، وهو الذي قد اعتاد الجو الملائكي وألفه منذ طفولته، بل ان معراجه خير دليل على أن طبيعته البشرية قد تسامت فوق الملائكية، ونالت من القرب ما لم ينله ملك مقرب أو نبي مرسل!!

وإننا لنقف بتحفظ شديد أمام تلك النصوص التي أظهرت النبي ﷺ حين نزول الوحي عليه: تارة كربا حزينا يتربد وجهه، ويتغير لونه، وكأنه غاضب[٥]، فلماذا هذا الغضب ولماذا الحزن والكرب؟ وتارة تظهره روايات بهيأة السكران[٦]، وأخرى يكاد يغشى عليه أو يغلبه النعاس وتأخذه السبل[٧]،

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٣.

(٢) زرندي: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه: ص ٤٠ ـ ٤١.

(٣) ينظر سورة النجم الآيات ٨ ـ ١٨.

(٤) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: ١/ ١٠٠.

(٥) وذلك إشارة لما نقل عنه ﷺ انه كان يتربد وجهه، يقول ابن منظور: وإذا غضب الإنسان تربد وجهه، كأنه يسوء منه مواضع، وأربد وجهه إذا تغير. ينظر: لسان العرب: ٣/ ١٧٠.

(٦) ابن سعد: الطبقات: ١/ ١٩٧. السيوطي: الجامع الصغير: ٢/ ٣٢٣. المتقي الهندي: كنز العمال: ٧/ ١٥١. المناوي: فيض القدير: ٥/ ١٤٢.

(٧) ابن حجر: : فتح الباري: ٨/ ٣٦٥. العيني: عمدة القاري: ١٩/ ٨٥. الصالحي الشامي: سبل الهدى: ٢/ ٢٥٩.

أو يغط كغطيط البكر محمرة عيناه(١)، بل إننا لنجد تناقضا ما بين نصوص الروايات ما بين اللين والشدة كما مر سابقاً وما بين احمرار وجهه(٢) أو اسوداده(٣)، وما بين إغماض عينيه(٤) أو شخوص بصره(٥). فلا ندري أي الحالات أصح؟ والأدهى من ذلك إن ينسب إلى النبي ﷺ انه قال: "فما من مرة يوحى إليّ إلا ظننت نفسي تفيض"(٦).

والغريب أن يأتي من يؤول هذه الشدة في التنزيل قائلاً: "وإنما كان ذلك ليبلو صبره، ويحسن تأديبه، فيرتاض لاحتمال ما كلفه من أعباء النبوة"(٧). ويأتي آخر ليقول: إن سبب الشدة هيبة الملك وما جاء به من ثقل الوحي(٨). بل إن عددا من الروايات تجعل من ثقل الوحي ثقلا ماديا محسوسا، فقد روى زيد بن ثابت "أنزل الله على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي، فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي"(٩). ولا يبعد أن هذه الرواية أرادت خلق منقبة لزيد بن ثابت، ولعلهم أرادوا الإشارة إلى قرب زيد وسرعة تدوينه للقرآن.

وفي رواية عن عائشة أنها قالت: "كان ليوحي إلى رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) وهو على راحلته فتضرب بجرانها(١٠) فما تستطيع إن تتحرك

---

(١) السيوطي: الخصائص الكبرى: ١/ ١١٩. الحلبي: السيرة الحلبية: ١/ ٤١٥.
(٢) النسائي: السنن: ٥/ ٤.
(٣) الإشارة أعلاه من تربد وجهه أي اسوداد مواضع منه.
(٤) الحلبي: السيرة الحلبية: ١/ ٤٠٧.
(٥) ابن كثير: البداية: ٣/ ٣١. المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ٤٧.
(٦) ابن حنبل: المسند: ٢/ ٢٢٢. المتقي الهندي: كنز العمال ١١/ ٤٥٨.
(٧) العيني: عمدة القاري: ٣/ ٤٣.
(٨) النووي: شرح صحيح مسلم: ٤/ ١٦٦.
(٩) البخاري: الصحيح: ١/ ٩٧، ٣/ ٢١٢، ٥/ ١٨٢. الترمذي: السنن: ٤/ ٣٠٩، النسائي: السنن: ٦/ ١٠. ابن الجارود: المنتقى من السنن المسندة: ص ٢٥٩. الزيلعي: تخريج الأحاديث والآثار: ١/ ٣٤٩.
(١٠) الجران: مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره. ينظر: الطريحي: مجمع البحرين: ١/ ٣٦٥.

حتى يسري عنه، وتلت قوله عز وجل ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[١]"[٢]. بل إن هذه الراحلة لترغو وتفتل يديها حتى تكاد ذراعها إن تنفصم، فربما بركت وربما قامت موتدة[٣] يديها[٤]. بل لما نزلت سورة المائدة، وكان النبي على بغلة، فثقل عليها الوحي حتى وقفت، وتدلى بطنها حتى تكاد سرتها أن تمس الأرض[٥]. أو يكاد ينكسر عضدها من ثقل سورة المائدة[٦].

لقد شكك السيد الطباطبائي[٧] في هذه الروايات قائلاً: "إن صحت الرواية كان ظهور اثر ثقل الوحي على الناقة أو البغلة من قبيل تجسيم المعاني، وكثيراً ما يوجد مثله فيما نقل من المعجزات وكرامات الأولياء، وأما اتصاف الوحي وهو كلام بالثقل المادي فغير معقول".

رابعا: المعجزة:

إن إتمام الحجة على الناس بواسطة الأنبياء بحاجة إلى علامة إلهية يفهم الناس من خلالها ارتباط هؤلاء الأنبياء بالله فتثبت لديهم مصداقية دعواهم.

إذن ادعاء النبوة يستلزم علامة دالة على صدق هذا الادعاء ومن هنا جاءت الضرورة لتزويد الأنبياء بالمعجزة التي تعني "فعل شيء على خلاف المجرى العادي للطبيعة يتم بالاعتماد على القدرة الإلهية، وطريق معرفتها أمران:

---

(١) سورة المزمل الآية ٥.
(٢) الصالحي الشامي: سبل الهدى: ٢/ ٢٥٧. وينظر: ابن حنبل: المسند: ٦/ ١١٨. الطبرسي: مجمع البيان: ١/ ١٦٣. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٨/ ٢٥٧. السيوطي: تنوير الحوالك: ص ٢١٣.
(٣) موتدة: بضم الميم من الوتيد، صوت شدة الوطء على الأرض يسمع كالدوي من بعد. ينظر: الصالحي الشامي: سبل الهدى: ٢/ ٢٦١. ولكنه ورد عن ابن منظور بـ"الوئيد". ينظر لسان العرب: ٣/ ٤٤٢.
(٤) ابن سعد: الطبقات: ١/ ١٩٧. الصالحي الشامي: سبل الهدى: ٢/ ٢٥٧.
(٥) العياشي: تفسير: ١/ ٢٨٨. الطبرسي: مجمع البيان: ٣/ ٢٥٧. الفيض الكاشاني: التفسير الصافي: ٧/ ٣٢٢.
(٦) ابن كثير: البداية: ٣/ ٣١، تفسير: ٣/ ٣١، السيرة النبوية: ١/ ٤٢٤. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٧/ ١٣. المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ٤٩.
(٧) الميزان: ٢٠/ ٧١.

١ ـ إنها لا تحصل عن طريق التعليم والتعلم.

٢ ـ لا يتغلب عليها أي عامل آخر"(١).

وقد زخرت آيات القرآن الكريم بأمثلة وافية عن المعاجز التي أظهرها الأنبياء لأقوامهم لإثبات نبواتهم، ولكن الذي يمكن ملاحظته على تلك الآيات التي تناولت الجانب الاعجازي في سيرة الأنبياء مع أقوامهم إن حدوث المعجزة لا ينحصر في موارد إثبات النبوة فقط، بل جرت أفعال خارقة للعادة على أيدي عدد من الأنبياء تخرج عن نطاق إثبات النبوة(٢).

إن لكل نبي معجزة تدل على صدقهِ، وتتناسب مع الظرف الذي يعيشه، كما هو الحال في أنبياء الله موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام(٣).

١ ـ القرآن الكريم:

كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله عدة معجزات، لكن الميزة التي اختص بها في جانب الإعجاز، هو إن الله قد زوده بمعجزة خالدة ألا وهي (القرآن الكريم)،

---

(١) مصباح: النبوة في القرآن: ص ٤٦

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع: مصباح: النبوة في القرآن: ص ٧٥ ـ ٨٢.

(٣) مكتبة الروضة الحيدرية: القرآن في نهج البلاغة: ص ١١ ويؤيد ما رواه ابن السكيت، قال سألت أبي الحسن عليه السلام لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطب؟ وبعث محمدا ـ صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء ـ بالكلام والخطب؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إن الله لما بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجة عليهم، وإن الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى، وأبرء الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجة عليهموإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام وأظنه قال: الشعر فأتاهم من عند الله من واعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجة عليهم، قال: فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك قط، فما الحجة على الخلق اليوم؟ قال: فقال عليه السلام: العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه، قال: فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب. ينظر: الكليني: الكافي ١/ ٢٤. ٢٥. الطبرسي: الاحتجاج: ٢/ ٢٢٥. البحراني: البرهان: ١/ ٦٥. السيد الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ص٣٩. وللمزيد عن معجزات النبي صلى الله عليه وآله ينظر: ابن بريال: تاريخ ابن بريال: ١/ ٢٧٣ ـ ٢٨٣.

فلما كان صلى الله عليه وآله لم يبعث لامة معينة في زمان أو مكان معينين، وجب أن تتبعه البشرية منذ بعثته وإلى يوم القيامة، لذلك اقتضت الحكمة الإلهية تزويده بمعجزة خالدة على خلاف معاجز الأنبياء، ويمكن إيجاز ميزات هذه المعجزة كما أشار أحد الباحثين. بأنها كانت معجزة "ناطقة" و"خالدة" و"عالمية" و"معنوية"(١).

أما كونها "**ناطقة**"، فإن معاجز الأنبياء السابقين لم تكن كذلك أي إنها كانت بحاجة إلى وجود النبي. أما القرآن فمعجزة ناطقة، لا يحتاج إلى تعريف، يدعو لنفسه بنفسه، ليتحدى بنفسه المعارضين ويدينهم ويخرج منتصرا من ساحة التحدي، وهو يتحدى اليوم جميع البشر كما كان يتحداهم في عصر الرسالة. انه دين ومعجزة، وهو قانون ووثيقة تثبت إلهية القوانين التي ضمها(٢).

ويمكن أن نلمس ذلك في كلام أمير المؤمنين عليه السلام عن القرآن الكريم إذ يقول: "**ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْه الْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُه، وسِرَاجاً لَا يَخْبُو تَوَقُّدُه، وبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُه، ومِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُه، وشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْءُه، وفُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُه، وتِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُه**"(٣). وقال عليه السلام: "**وكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ - نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ - وبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ - وعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُه... كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ - وتَنْطِقُونَ بِهِ وتَسْمَعُونَ بِهِ - ويَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ - ويَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ - ولَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ - ولَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ**"(٤).

وأما **خلود القرآن وعالميته**، فارتبط بتحطيمه سدود "الزمان والمكان" فتعالى عليهما؛ لأن معاجز الأنبياء السابقين - وحتى معاجز النبي الخاتم غير القرآن - مسجلة على شريط معين من الزمان، وواقعة في مساحة معينة من المكان، وأمام جمع معدود من الناس، مثل معاجز النبي عيسى عليه السلام كحديثه

---

(١) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: ١/ ٩٣ - ٩٤.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي: الامثل: ١/ ٩٣ - ٩٤.

(٣) نهج البلاغة: ص ٤٢٨.

(٤) نهج البلاغة: ص ٢٥٠ - ٢٥٢.

في المهد، وإحيائه الموتى، وواضح إن الأحداث المقيدة بزمان ومكان معينين تمسي صورتها باهتة كلما ابتعدنا عن ظروفها الزمانية والمكانية. وهذا من خصائص الأمور الزمنية. لكن القرآن لا يرتبط بالزمان والمكان، فهو يطلع علينا اليوم كما طلع على عرب الجاهلية قبل قرون، بل إن مرور الزمن وازدياد البشرية قدرة في العلم والإمكانات لتستفيد منه أكثر من ذي قبل، وما لا يرتبط بزمان أو مكان فإنه يحوي عناصر الدوام والخلود وتتسع دائرته العالمية، وبديهي إن الدين العالمي الخالد بحاجة إلى مثل هذه الوثيقة العالمية الخالدة[١]. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "**وإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُه أَنِيقٌ وبَاطِنُه عَمِيقٌ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُه، ولَا تَنْقَضِي غَرَائِبُه، ولَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِه**"[٢]. وقال عليه السلام أيضاً: "**وفِي الْقُرْآنِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وحُكْمُ مَابَيْنَكُمْ**"[٣] وقال عليه السلام أيضاً: "**وبَحْرٌ لَا يَنْزِفُه الْمُسْتَنْزِفُونَ، وعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ، ومَنَاهِلُ لَا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ، ومَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ، وآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ، جَعَلَه اللَّه رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ ورَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، ...**"[٤].

أما الصفة "**المعنوية**" للقرآن فنفهمها حين ننظر إلى معاجز الأنبياء السابقين، ونرى إنها كانت غالباً "جسمية" مثل: شفاء الأمراض الجسمية المستعصية، وتحدث الطفل في المهد... وكانت تتجه نحو تسخير الأعضاء البدنية. أما القرآن، فيسخر القلوب والنفوس، ويبعث فيها الإعجاب والإكبار، انه يتعامل مع الأرواح والأفكار والعقول البشرية، وواضح امتياز مثل هذه المعجزة على المعاجز الجسمية[٥].

ويمكن أن نلمس هذه الميزة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في معرض حديثه

---

(١) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: ١/ ٩٤.
(٢) نهج البلاغة: ص ٤٧.
(٣) نهج البلاغة: ص٧٢١.
(٤) نهج البلاغة: ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩.
(٥) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: ١/ ٩٤.

عن آثار القرآن في هذا الجانب، قائلا عليه السلام: "واعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، والْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، والْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ، ومَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْه بِزِيَادَةٍ أو نُقْصَانٍ، زِيَادَةٍ فِي هُدًى أو نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى، واعْلَمُوا أَنَّه لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، ولَا لأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى، فَاسْتَشْفُوه مِنْ أَدْوَائِكُمْ، واسْتَعِينُوا بِه عَلَى لأْوَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيه شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ، وهُوَ الْكُفْرُ والنِّفَاقُ والْغَيُّ والضَّلَالُ"[١]. وفي موضع آخر يقول عليه السلام خير واعظ: "وإِنَّ اللَّه سُبْحَانَه لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّه حَبْلُ اللَّه الْمَتِينُ، وسَبَبُه الأَمِينُ، وفِيه رَبِيعُ الْقَلْبِ، ويَنَابِيعُ الْعِلْمِ، ومَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُه"[٢]. ويقول عليه السلام أيضاً زاد العباد: "جَعَلَهُ اللَّهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، ورَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، ومَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ، ودَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، ونُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، وحَبْلًا وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، ومَعْقِلًا مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وعِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ، وسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وهُدًى لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ، وعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ، وبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ، ومَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلأَمَ، وعِلْماً لِمَنْ وَعَى، وحَدِيثاً لِمَنْ رَوَى، وحُكْماً لِمَنْ قَضَى"[٣]. وقوله عليه السلام: "وتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّه أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وتَفَقَّهُوا فِيه، فَإِنَّه رَبِيعُ الْقُلُوبِ، واسْتَشْفُوا بِنُورِه، فَإِنَّه شِفَاءُ الصُّدُورِ"[٤].

٢ ـ معجزة الشجرة:

جدير بالملاحظة هنا ان نشير إلى أن القرآن بوصفه معجزة اتى بها النبي صلى الله عليه وآله ابتداء، في حين ذكر الإمام عليه السلام معجزة أخرى له صلى الله عليه وآله إنما جاءت بناء على مطالبة الآخرين بها كما هو في حادثة دعوته صلى الله عليه وآله للشجرة:

(١) . نهج البلاغة: ص٣٣٥.
(٢) نهج البلاغة: ص ٣٣٩.
(٣) نهج البلاغة: ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠.
(٤) نهج البلاغة: ص ٢١١.

"ولَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صلى الله عليه وآله لَمَّا أَتَاهُ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً، لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ ولَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، ونَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إليه وأَرَيْتَنَاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ ورَسُولٌ، وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ.

فَقَالَ صلى الله عليه وآله: ومَا تَسْأَلُونَ قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا، وتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله: إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إلى خَيْرٍ، وإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ، ومَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ، ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وآله: يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ! إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ وتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ، والَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وجَاءَتْ ولَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مُرَفْرِفَةً، وأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صلى الله عليه وآله، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إلى ذَلِكَ، قَالُوا عُلُوّاً واسْتِكْبَاراً، فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا ويَبْقَى نِصْفُهَا، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إليه نِصْفُهَا، كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وأَشَدِّهِ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَقَالُوا كُفْراً وعُتُوّاً فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إلى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ صلى الله عليه وآله فَرَجَعَ، فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وإِجْلَالاً لِكَلِمَتِكَ، فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بَلْ ساحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا يَعْنُونَنِي..."[1].

(١) نهج البلاغة: ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨.

وجاء في أقوال بعض الشراح عن هذه الحادثة إن أمرها مشهور مستفاض قد ذكره المحدثون والمؤرخون في كتبهم(١)، وذكره المتكلمون في معجزات الرسول صلى الله عليه وآله، وقد روي الخبر على الوضع الذي جاء في خطبة أمير المؤمنين، ومنهم من يروي ذلك مختصرا انه دعا شجرة فأقبلت تخد إليه الأرض خدا(٢).

ولأحد الباحثين(٣) ثمة ملاحظات قيمة حول هذه الحادثة التي يرويها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سنوجزها بنقاط:

أولاً: ان روعة تصوير الإمام عليه السلام لتفاصيل هذه الحادثة ينبع من كونه شاهدا فيها، فضلاً عن قدرته التصويرية البلاغية في اسلوب عرضها.

فالإمام عرض هذه الحادثة بمشهد يضم ثلاث صور يجمعها جامع واحد:

الصورة الأولى: رسمت تحدي النبي لهم في اصرارهم وبقائهم على الكفر برسالته، وذلك في قوله متيقنا باسلوب التوكيد "**فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلى خَيْرٍ**".

الصورة الثانية: الامعان في التفصيل بأمر الشجرة واغصانها وامرها بالسجود. فاول الأمر انقلاع الشجرة بعروقها، والثاني امرها بانشقاقها إلى نصفين ومجيء نصف منها إلى الرسول صلى الله عليه وآله، وبقاء النصف الآخر، والثالث امرها بالالتحام كما كانت.

الصورة الثالثة: المؤثرات، واعني بها حرص الإمام على تصوير التفاصيل الدقيقة والمؤثرة للشجرة من حركة وصوت، مثل قوله: "**والَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وجَاءَتْ ولَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مُرَفْرِفَةً**" فالدوي والقصف

---

(١) مسلم: الصحيح: ٨/ ٢٣٤. البيهقي: السنن: ١/ ٩٤. ابن عبد البر: التمهيد: ١/ ٢٢٢. ابن بريال: تاريخ ابن بريال: ١/ ٣٧٨.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/ ١٦٧. ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤١/ ٣٧٤.

(٣) الفحام: بلاغة النهج: ص ٥٢ ـ ٥٣.

والرفرفة تصوير دقيق للصوت والحركة تحيل السامع إلى مشاهد، وتلك سمة اسلوبية عامة في بلاغة الإمام في كلامه. وهي هنا ـ لا ريب ـ لا تتاح الا لمن شهد هذه المعجزة بنفسه.

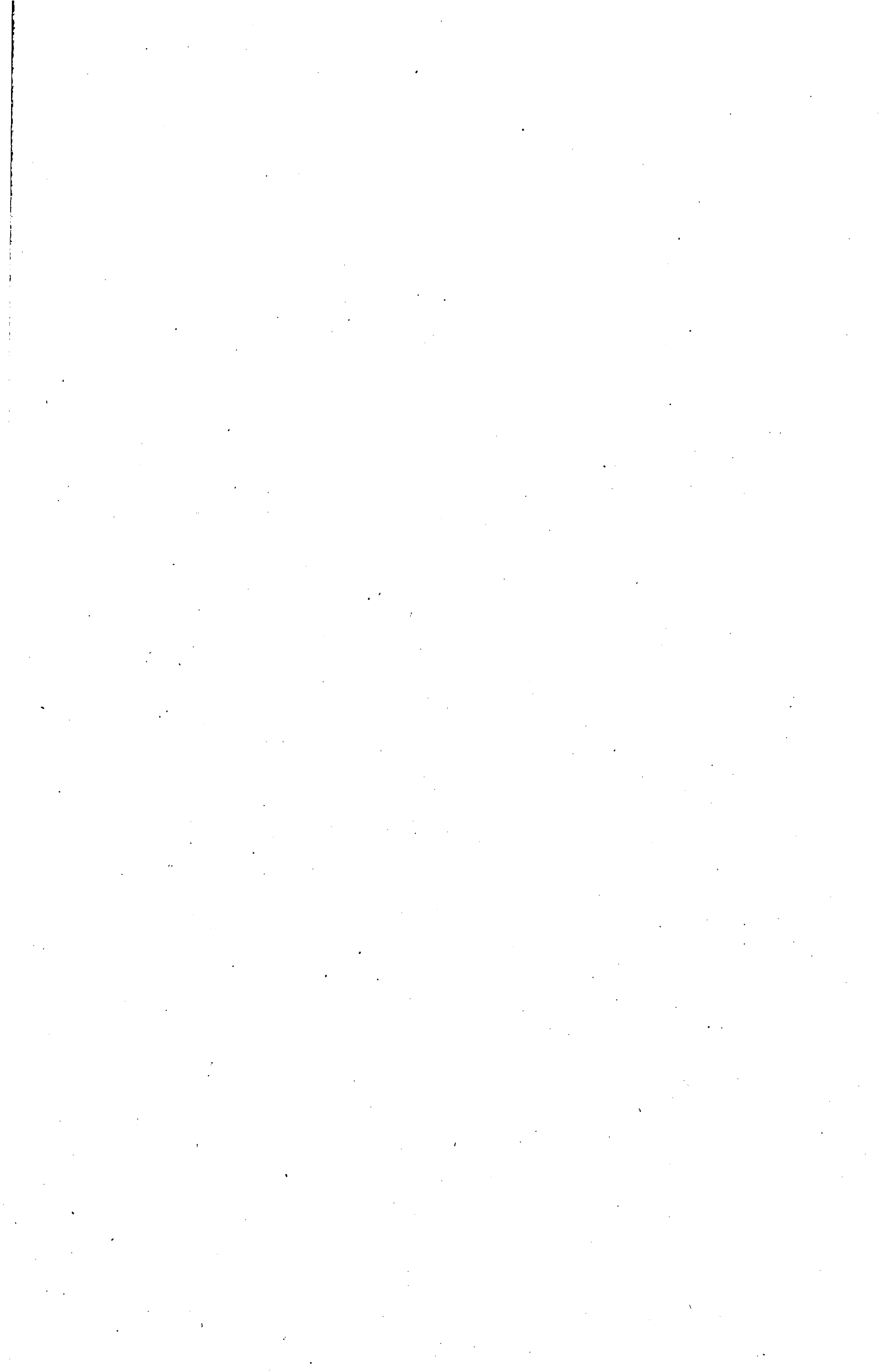
اما الجامع لهذه الصور كلها فهو الغرض الذي ساق الكلام من اجله، وهو تصوير منزلته من الله تعالى ورسوله، وهذا يمكن ملاحظته:

أولاً: في تأكيده بقربه من النبي ﷺ إذ كان عن يمينه. وان الشجرة قد القت ببعض اغصانها على منكبه. ج ـ فضلاً عن قوة التصريح في القول الأخير على لسان طغاة قريش " **وهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا يَعْنُونَنِي** "

ثانياً: في هذه الحادثة ثمة معجزات أخر تعزز صدق الرسالة المحمدية، فقد أنبأ الرسول بعواقب طغاة قريش في غيب من علم الله تعالى اطلعه عليه فذكر مسبقا عنادهم واصرارهم على الكفر وحكم بأنهم "**لَا تَفِيئُونَ إِلى خَيْرٍ، وإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ، ومَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ**".

ويمكن عد تنبؤاته التي أشار إليها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من باب الاعجاز أيضاً، والتي ستأتي الإشارة إليها بإيجاز في الفصل الخامس.





المبحث الثالث

سمات النبي الأعظم ﷺ وسجاياه الخلقية

أولاً: السمات الخاصة:

جاء في بعض خطب الإمام عليه السلام وكلماته الإشارة إلى سمات اختص بها النبي ﷺ، وهي كالاتي:

١ ـ مقام الشهادة:

مما اختص به النبي الأعظم ﷺ بأن له مقام "الشهود" يقول تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـٰذِيرًا﴾[١]، وفي قول أمير المؤمنين عليه السلام واصفا النبي الأعظم ﷺ: "**شَهِيداً وبَشِيراً ونَذِيراً**"[٢]، وفي قول "**شَاهِداً عَلَى الْخَلْقِ**"[٣]. وقد تعددت مواطن هذه الشهادة، فمنها ما انفرد به، ومنها ما شاركه فيه غيره من الأنبياء كما سيتبين الآن:

١ ـ **الشهادة على نبوة الأنبياء**: إذ أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى اختصاصه ﷺ بهذا المقام إذ جعله الله سبحانه "**مُهَيْمِناً عَلَى الْمُرْسَلِينَ**"[٤]،

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٥.

(٢) نهج البلاغة ص١٩٣ ـ ١٩٤.

(٣) نهج البلاغة ص٢٢٥.

(٤) نهج البلاغة ص٦٢٦.

والمهيمن: الشاهد والرقيب، أي شاهداً على إيمان من آمن، وكفرْ من كفر، وقيل يشهد بصحة نبوة الأنبياء من قبله[١]. فكل زيادة أو نقيصة في دينهم ـ مما حرّفه الناس ـ يبينه النبي صلى الله عليه وآله، حتى يُرجع دين المرسلين كما جاؤوا به، لا كما فعلته اقوامهم من بعدهم[٢].

٢ ـ **الشهادة على الخلق يوم القيامة**: يقول عليه السلام: "وشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ"[٣]. وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[٤] وقوله ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾[٥]، فكل نبي سيشهد على امته، والشهادة توجب ان يكون الشاهد عالماً بحقائق الاعمال التي يشهد عليها، ولا يكون هذا الا بأن يستوي عنده الحاضر والغائب، ولا يتصور هذا المقام الا لنبي كل امة[٦].

اما خصوص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله فيقول الحق ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[٧]. وفي آية أخرى ان الأمة الإسلامية ستكون شاهدة على الناس، والنبي محمد صلى الله عليه وآله هو الشاهد بدوره عليهم ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٨].

٢ ـ مقام الخاتمية[٩]:

ما ان حل القرن السابع الميلادي، حتى كأن البشرية قد وصلت إلى درجة

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٧/١٥١.
(٢) الشيرازي: توضيح نهج البلاغة: ٤/٢١٦.
(٣) نهج البلاغة ص١٠٨.
(٤) سورة النحل الآية ٨٩.
(٥) سورة القصص الآية ٧٥.
(٦) سبحاني: محاضرات في الإلهيات: ص ٤٤٣.
(٧) سورة النساء آية ٤١.
(٨) سورة البقرة اية ١٤٣.
(٩) الختم هو بلوغ آخر الشيء، يقال ختمت العمل، وختم القارئ السورة، والختم هو الطبع على الشيء=

من التكامل في التعامل مع الطبيعة، وتعامل الإنسان مع الإنسان اينما كان، لذا وصل الإنسان إلى الدرجة التي تؤهله ليكون خليفة الله في الأرض، فالمعروف ان الأنبياء السابقين كانوا أنبياء قوميين، فكلٌ ارسل إلى قومه، والكتب السماوية كانت متباينة، وخاضعة لعنصر الزمن، ومختصة بقوم دون قوم، فما تلبث ان تنسخ لانها لم تعد ملائمة لتطور الإنسان[(١)].

وبعد ان واتر الله بعث أنبيائه، وادى كل منهم ما اوكل إليه من مهام، جاء دور النبي الخاتم الذي قفى به الرسل وختم به الوحي، فعمر في قومه ازمانا، حتى اكمل الله لهم ولجميع البشرية فيما انزل من كتابه، دينه الذي رضي لنفسه. وكأنه قد جاء الدور الختامي للرسالات السماوية، فالدين الذي سيسود العالم هو الدين الإسلامي، والدستور الذي ينظم جميع شؤون البشرية هو "القرآن الكريم"، الذي ستتناسب احكامه طردياً مع كل متغيرات الزمان والمكان. والنبي الخاتم للأنبياء هو النبي محمد ﷺ فلا نبي بعده.

وقد وردت في آيات الذكر الحكيم اشارات واضحة إلى مسألة الخاتمية، اما بتصريح لفظي كقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[(٢)]، أو بما يدل عليه من قبيل الآيات التي منها إشارة إلى عالمية الدعوة المحمدية وشموليتها لكل الناس حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ومثال ذلك في قوله تعالى ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[(٣)]، فإن سعة مفهوم تعبير ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ توضيح رسالة القرآن ونبي الإسلام العالمية من جهة ومسألة الخاتمية من جهة أخرى. وقوله تعالى ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[(٤)]، وقوله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا

=فذلك من هذا الباب أيضاً، لأن الطابع على الشيء لا يكون الا بعد بلوغ آخره. ينظر: ابن فارس: معجم: ٢/ ٢٤٥.

(١) النصر الله: شرح نهج البلاغة: ص ١٢٠.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٠.

(٣) سورة الانعام آية ١٩.

(٤) سورة الفرقان آية ١

وَنَذِيرًا﴾(١)، وقوله تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(٢). وأيضاً هنا سعة دلالة لفظة "العالمين" و"الكافة" تؤيد هذا المعنى الشمولي لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله.

وقد ورد في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الإشارة إلى مسألة خاتمية النبي صلى الله عليه وآله في عدة مواضع من نهج البلاغة أيضاً اما بشكل صريح باللفظ كقوله عليه السلام: "**خَاتَمُ رُسُلِه**"(٣)، وفي موضع "**خَتَمَ بِه الْوَحْيَ**"(٤)، وقد جاءت أيضاً اشارات تدلل على هذه القضية ـ الخاتمية ـ كما في قوله عليه السلام: "**بَعَثَ اللَّه سُبْحَانَه مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله لإِنْجَازِ عِدَتِه وإِتْمَامِ نُبُوَّتِه**"(٥)، وفي موضع آخر "**أَرْسَلَه لإِنْفَاذِ أَمْرِه، وإِنْهَاءِ عُذْرِه، وتَقْدِيمِ نُذُرِه**"(٦)، وقد خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله راثياً بما يدل على هذا المعنى أيضاً إذ يقول: "**لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ والإِنْبَاءِ وأَخْبَارِ السَّمَاءِ**"(٧).

٣ ـ النبي الأمي:

أطلق القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله نعوتا وألقابا عدة من بينها نعت (النبي الأمي)، وهو من النعوت التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله ولأهمية هذا النعت استلزم الوقوف عنده.

لقد تباينت الآراء في معنى كلمة الأمي، التي نُعت بها النبي صلى الله عليه وآله:

---

(١) سورة سبأ الآية ٢٨.
(٢) سورة الأعراف آية ١٥٨.
(٣) نهج البلاغة ص٣٢٩.
(٤) نهج البلاغة ص ٢٥١.
(٥) نهج البلاغة ص٢٠.
(٦) نهج البلاغة ص١١٧.
(٧) نهج البلاغة ص٤٨٦.

الرأي الأول: عدم المعرفة بالقراءة والكتابة[١].

قيل إن الأمي لغة الذي على خلقة الأمة، لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته. فالإنسان حينما يولد لا يعرف القراءة والكتابة، فإذا كبر واستمر على ذلك يوصف بأنه أمي نسبة للخلقة التي ولدته أمه عليها[٢]. وهذا هو التفسير اللغوي الوحيد لمعنى الأمية، وهو تفسير مضطرب، والظاهر أن علماء اللغة لم يجدوا لمعنى الأمية أصلا، ووجدوها عند عرب قبل الإسلام لذا لجأوا إلى هذا التفسير، ولو كانت لفظة الأمية معروفة عند مجتمع قبل الإسلام بهذا المعنى لاستشهدوا عليها بشعر شعراء قبل الإسلام أو المخضرمين، إذ إن عدم استشهادهم بالشعر كعادتهم في الألفاظ الغريبة دليل على إن هذه اللفظة بهذا المعنى من الألفاظ التي ولدت في الإسلام[٣].

لقد اختلفت الآراء في حقيقة ذلك، فهل أن العرب كانت لديهم معرفة بالقراءة والكتابة أم لا؟[٤] وتبعا لذلك هل كان النبي ﷺ يعرف القراءة والكتابة أم لا؟ في الواقع إن هناك شبه إجماع بين مفكري الإسلام من لغويين ومفسرين ومؤرخين ومتكلمين وغيرهم على انه ﷺ لم يكن يعرف القراءة والكتابة قبل بعثته ﷺ، بدليل قوله تعالى ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[٥]. فالحكمة من عدم معرفته ﷺ بالقراءة

---

(١) الزمخشري: الكشاف: ٤/ ٥٣٠. الرازي: مفاتح الغيب: ٢/ ٦٣١، ٨/ ٢٠٢.

(٢) الرازي: مفاتح الغيب: ٢/ ٧١٧، ٨/ ٢٠٢. ابن منظور: لسان العرب: ١/ ١٠٥. وهذا يلزم أن الذي يولد أعمى ويكبر ويبقى أعمى يسمى أمياً، وكذلك لو ولد أعرجاً أو أصماً أو غيرها من الصفات !! ينظر: النصرالله: الجاهلية: ص٥.

(٣) جواد علي: المفصل: ٨/ ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٤) هناك من الأدلة التي تفيد أن القراءة والكتابة كانت موجودة عند العرب قبل الإسلام وبنسبة لا باس بها حيث وجود عدد من المتعلمين، وأماكن للدراسة، ووعي بأهمية القراءة والكتابة. إذن فتفسير تسمية العرب قبل الإسلام بالأميين لعدم معرفتهم بالقراءة والكتابة. تفسير لا يطابق الواقع. لمزيد من التفاصيل ينظر: هاشم يونس عبد الرحمن: الحياة الفكرية في الجزيرة العربية ص ١١٦، ١١٨ ـ ١٢٣، ١٢٩ ـ ١٣٣. النصرالله: الجاهلية: ص٥ ـ ٨.

(٥) سورة العنكبوت الآية ٤٨. الرازي: مفاتح الغيب: ٤/ ٤٤١. الذهبي: سير أعلام: ١٤/ ١٩٠ ـ ١٩١.

والكتابة لئلا يشك المشركون بصحة القرآن الكريم. ولكن المفكرين اختلفوا في حاله بعد البعثة على اتجاهين:

الاتجاه الأول: يرى انه ﷺ استمر على عدم معرفته كالرازي والقرطبي والذهبي وغيرهم. إذ يرى الرازي[١] انه لو تعلم الخط لصار متهماً، ثم انه ﷺ لم يجالس العلماء، وما غاب عن مكة فترة طويلة. أما الذهبي[٢] فيقول: "والله تعالى من حكمته لم يلهم نبيه تعلم الكتابة ولا قراءة الكتب حسماً لمادة المبطلين". ويقول القرطبي[٣]: "والصحيح في الباب انه ما كتب حرفاً واحداً، وإنما أمر من يكتب، وكذلك ما قرأ ولا تهجى".

الاتجاه الثاني: فيرى أن النبي ﷺ قد تعلم القراءة والكتابة بعد البعثة، وكان من أصحاب هذا الاتجاه ـ الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، والمفيد (ت: ٤١٣هـ)، والباجي (ت: ٤٧٤هـ)، فالجاحظ يرى إن عدم إلمام الرسول ﷺ بالكتابة لا يعني عدم معرفته بها[٤].

وقال الشيخ المفيد[٥]: "إن الله تعالى لما جعل نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ جامعاً لخصال الكمال كلها وخلال المناقب بأسرها، لم تنقصه منزلة بتمامها يصح له الكمال ويجتمع فيه الفضل، والكتابة فضيلة من منحها فضل ومن حرمها نقص. ومن الدليل على ذلك: أن الله تعالى جعل النبي ﷺ حاكماً بين الخلق في جميع ما اختلفوا فيه، فلا بد أن يعلمه الحكم في ذلك، وقد ثبت أن أمور الخلق قد يتعلق أكثرها بالكتابة، فتثبت بها الحقوق وتبرأ بها الذمم وتقوم بها البينات ويحفظ بها الديون وتحاط بها الأنساب، وإنها فضل يتشرف المتحلي به على العاطل منه. وإذا صح أن الله جل اسمه قد جعل نبيه

---

(١) مفاتح الغيب: ٤/ ٤٤١.
(٢) سير أعلام: ١٤/ ١٩٠ ـ ١٩١.
(٣) الجامع: ١٣/ ٣٥٣.
(٤) البيان والتبيين: ٤/ ٣٢ ـ ٣٤.
(٥) أوائل المقالات: ص١١ ـ ١١٣.

بحيث وصفناه من الحكم والفضل، ثبت انه كان عالماً بالكتابة محسناً لها، وشيء آخر وهو قول الله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ومحال أن يعلمهم الكتاب وهو لا يحسنه... ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ فنفى عنه إحسان الكتابة وخطه قبل النبوة خاصة، فأوجب بذلك إحسانه لها بعد النبوة، ولولا إن ذلك كذلك لما كان لتخصيصه النفي معنى يعقل. ولو كان حاله ﷺ في فقد العلم بالكتابة بعد النبوة كحاله قبلها لوجب ـ إذا أراد نفي ذلك عنه ـ أن ينفيه بلفظ يقيده.. فيقول له وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذ ذاك ولا في الحال، أو يقول لست تحسن الكتابة ولا تأتي منك على كل حال. كما انه لما أعدمه قول الشعر ومنعه منه نفاه عنه بلفظ يعم الأوقات، فقال الله تعالى ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾[1] وإذا كان الأمر على ما بيناه ثبت أنه ﷺ كان يحسن الكتابة بعد أن أنبأه الله تعالى على ما وصفناه. وهذا مذهب جماعة من الامامية، ويخالف فيه باقيهم. وسائر أهل المذاهب والفرق يدفعونه وينكرونه".

أما أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي[2] (ت: ٤٧٤هـ). فهو أحد علماء الأندلس، ألف رسالة في إثبات أن النبي ﷺ كان يجيد القراءة والكتابة أسماها (تحقيق المذهب من أن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كتب)[3]. مستدلاً على ذلك بما جاء في صحيح مسلم[4] أن النبي ﷺ لما كتب كتاب الصلح يوم الحديبية مع المشركين قال له سهيل بن عمرو: لو نعلم أنك

---

(١) سورة يس الآية ٦٩.

(٢) ينظر ترجمته: ابن بشكوال: الصلة: ٢/٣١٧. الضبي: بغية الملتمس: ص٦٢٩. ابن الأبار: الحلة السيراء: ٢/٩٨. ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٢/ ٤٩٢.

(٣) القرطبي: الجامع: ١٣/ ٣٥٢ ـ ٣. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣/ ٢٤٩.

(٤) ٥/ ١٧٤. وورد عند البخاري "ثم قال لعلي: امح رسول الله. قال: لا والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول الله الكتاب، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله..." الصحيح: ٣/١٦٨، ٤/ ٧١، وانظر النسائي: خصائص أمير المؤمنين: ص ١٥٠.

رسول الله صلى الله عليه وآله لأتبعناك ولكن أكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام أريني مكانها، فأراه فمحاه وكتب (ابن عبد الله)[١]. وأيضاً استدل الباجي بما ذكره الشعبي بأن النبي صلى الله عليه وآله ما مات حتى كتب، وروى ابن كبشة السلولي أن النبي صلى الله عليه وآله قرأ صحيفة لعينية بن حصن وأخبر بمعناها[٢].

الرأي الثاني: ان تسمية الأمي والأميين نسبة لأم القرى[٣] (مكة المكرمة) حيث كانت مركزاً لمدن الجزيرة العربية حيث الكعبة البلد الحرام، وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[٤]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾[٥]

لقد جاءت هذه النسبة على اعتبار أن النسبة في الكلمات المركبة تكون للجزء الأول ـ وهذا موضع خلاف بين اللغويين إذ إن من الكلمات من تنسب إلى الجزءين مثل بعلبك تكون بعلبكي، أو عبد الدار تكون عبدري.

الرأي الثالث: الأمي هو الذي لم يكن مرتبطا بديانة سابقا.

حينما نستعرض الآيات القرآنية الواردة فيها لفظة الأمية لا نجد فيها ما يشير إلى إنها تعني عدم المعرفة بالقراءة والكتابة، أو الإشارة لأم القرى، كقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾[٦]، فهي تشير لمجموعتين الأولى: أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، والثانية: الأميين، الذين ليس لديهم كتاب سماوي[٧]، ويؤكد ذلك الآية: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ١٣/ ٣٥٢.

(٢) القرطبي: الجامع ١٣/ ٣٥٢. ولمزيد من الأدلة ينظر: محمد حسن آل ياسين: في رحاب الرسول صلى الله عليه وآله ص١٢١ ـ ١٢٢. عبد الرحمن: الحياة الفكرية في الجزيرة العربية: ص١٣٩. النصرالله: الجاهلية: ص ١٠.

(٣) الطوسي: التبيان: ١٠/ ٤. الرازي: مفاتيح الغيب: ٢/ ٧١٧. الطبرسي: مجمع البيان: ٢/ ٤٨٧.

(٤) سورة الأنعام الآية ٩٢.

(٥) سورة القصص الآية ٥٩.

(٦) سورة آل عمران الآية ٢٠.

(٧) الزمخشري: الكشاف: ١/ ٣٤٧.

أَمَانِيَّ﴾[١]، حيث تصف جماعة من اليهود بعدم فقه التوراة[٢]، فيما تأتي آية ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾[٣]، التي تشير لاعتقاد اليهود في الأقوام الذين ليس لديهم ديانة سماوية، وأسموهم (أميون) ولذلك كانوا يرون جواز أخذ أموالهم[٤].

وتأتي آية ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٥]، فلو كان العرب لا يجيدون القراءة والكتابة كما وصفوا بالأميين لوجب أن يكون هدف الرسول ﷺ من رسالته تعليمهم القراءة والكتابة، ولكن نجد هدفه أسمى من ذلك، ألا وهو بيان الآيات الدالة على وجود الله ووحدانيته وعظمته ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ويطهرهم من الرذائل ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾، ثم يعلمهم أحكام القرآن والسنة الشريفة ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ لأنهم كانوا بلا منهج سماوي ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ لأنهم يسيرون على أعراف وتقاليد ابتدعوها.

ومن هنا جاء وصف النبي ﷺ بالنبي الأمي أي الذي لم يكن مرتبطاً بديانة سماوية سابقاً فليس هو يهودياً ولا نصرانياً، ولعله رد على من ادعى أخذ النبي ﷺ عن أهل الكتاب[٦].

ثانياً: السجايا الخلقية:

تمهيد (صفات الكمال)

التحلي بالركائز الأخلاقية العالية هو ما ميز رسول الله ﷺ وكانت أولى

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٨.
(٢) الزمخشري: الكشاف: ١/١٥٧.
(٣) سورة آل عمران الآية ٧٥.
(٤) الزمخشري: الكشاف: ١/٣٥٧.
(٥) سورة الجمعة الآية ٢.
(٦) النصر الله: الجاهلية: ص١٢.

دعائمه في صدحه بامره من النبوة الالهية، وقد وصفه الله بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١)، وهذا الوصف يقتضي تفاوت في مراتبه؛ إذ ان للبشر درجات وصفات تتفاوت فيما بين الخلق، ومن المعلوم ان الأنبياء هم صفوة الخلق حتى إن القرآن قد أشار إلى حقيقة تفاوت الأنبياء في ما بينهم فهم ليسوا بمقام واحد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(٢)، اما قوله تعالى على لسان نبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾(٣). "إنها مثلية قاصرة على تلك المشتركات التي تجمع بني الإنسان، ولكنها وبكل تاكيد ليست مثلية مطلقة بل مثلية الصورة الخارجية، وشتان ما بين من اختاره ربه واصطفاه على الأنبياء والمرسلين وجعله حجة على العالمين، وهو من باب أولى على رأس عالم الابرار المقربين وبين من يقطن على السفح المقابل، ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾(٤)، رغم انهم يشتركون جميعاً في مثلية الصورة التي لا يمكن لها ان تنفي التناقض المطلق بين العالمين عالم الحقيقة الممتدة من الأرض صعودا إلى أعلى عليين وعالم الانحطاط الممتد سقوطا إلى اسفل سافلين"(٥).

إن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان، الأول: ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا، والثاني: مكتسب ديني، وهو ما يحمد فاعله، ويقرب إلى الله تعالى زلفى. فالضروري المحض مما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب، مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته، وجمال صورته، وقوة عقله، وفصاحة لسانه، وشرف نفسه، وكرم أرضه وغيرها، وأما المكتسبة

(١) سورة القلم الآية ٤
(٢) سورة الإسراء الآية ٥٥.
(٣) سورة الكهف الآية ١١٠.
(٤) سورة المائدة الآية ٦٠.
(٥) راسم النفيس: النبوة في نهج البلاغة: ص٣٦.

الأخروية، فسائر الأخلاق العلية، والآداب الشرعية، من الدين، والعلم، والحلم، والعدل، والزهد، والتواضع، والجود، والشجاعة، والرحمة وغيرها التي جماعها حسن الخلق[١].

ومن لطف الله تعالى وفضله أن هيأ لنبيه المصطفى ﷺ جميع أسباب الشرف، والرفعة، وعلو المنزلة، وأسبغ عليه جميع الخصال التي تؤهله للقيام بأعباء الرسالة العظمى التي اصطفاه من اجلها واختاره لها.

إن صفات الكمال غير المكتسبة التي هي جبلة الخلقة قد حازها جميعا، وأحاط بشتات محاسنها، وقد استفاضت الأخبار في بيانها والحديث عنها[٢].

وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل من اتصف بها، وتعظيم من نالها ولو بالخلق الواحد منها، فضلاً عما فوقه، وأثنت الشريعة الغراء على جميعها ودعت إليها، وهي المسماة بحسن الخلق، فقد توافرت في شخصية النبي الكريم ﷺ حتى بلغ فيها أسمى المقامات، إذ لم ينل أحد من البشر ما نال النبي الأعظم ﷺ من سمو وتكامل في هذا الجانب، حتى إن القرآن حين أثنى عليه ﷺ لم يجد أرفع، ولا ابلغ من قوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣]، إذ كان ﷺ آية من آيات الله في معالي أخلاقه.

وقد أولى الإسلام مكارم الأخلاق عناية فائقة، لأنه في جوهره، "رسالة أخلاقية" بكل ما تحمله هذه الكلمة من عمق وشمول، وقد لخص النبي الأعظم ﷺ الهدف من رسالته بقوله: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[٤] وذلك لما للأخلاق الفاضلة من اثر ايجابي في هداية الأفراد والشعوب.

---

(١) . القاضي عياض: الشفا: ١/٥٩.

(٢) لقد أفاضت مؤلفات عدة في دراسة أوصاف النبي ﷺ وسجاياه وأخلاقه، ونقل الكثير الطيب من هذه الأخلاق الكريمة، انظر مثلاً الترمذي: الشمائل المحمدية: ص٢٧١ ـ ٢٩٧.

(٣) سورة القلم الآية ٤.

(٤) ابن سلامة: مسند الشهاب: ٢/١٩٢ ـ ١٩٣. وينظر: الإمام مالك: الموطأ: ٢/٩٠٤. البخاري:=

وقد حث النبي صلى الله عليه وآله على مكارم الأخلاق وجمع بين التقوى وحسن الخلق حتى قال: "أكثر ما يدخل الجنة: تقوى الله وحسن الخلق"(١) وعَدَ حسن الخلق من كمال الإيمان، فقال صلى الله عليه وآله: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا"(٢)، وقال أيضاً: "إن أحبكم إليّ وأقربكم مني يوم القيامة مجلسا، أحسنكم خلقا، وأشدكم تواضعا"(٣).

وكفى بحسن الخلق شرفا وفضلا أن الله لم يبعث أنبياءه إلى البشرية إلا بعد أن حلاهم بهذه السجية وزانهم بها فهي رمز فضائلهم وعنوان شخصياتهم. إذ أن "مكارم الأخلاق" من صفات الأنبياء والصالحين بها تنال الدرجات وترفع المقامات، وقد جعلها الله تعالى" صلة بينه وبين عباده"(٤).

وقد أصّل أمير المؤمنين عليه السلام هذه الرؤية القرآنية لخلق النبي صلى الله عليه وآله في نهج البلاغة فذكر خصال النبي صلى الله عليه وآله وسجاياه الخلقية، ما دامت الملازمة جلية بين النبي والخلق العظيم فما يذكر صلى الله عليه وآله في موضع إلا والثناء حليفه، فكيف إذا كانت مآثره الأخلاقية وكمالاته الذاتية هي عنوان شخصه والمع فضائله!

=الأدب المفرد ص ٦٧. ابن بابويه: فقه الرضا: ص ٣٥٣. الحاكم ا: المستدرك: ٢/ ٦١٣. البيهقي: السنن: ١٠/ ١٩٢. ابن عبد البر: الاستذكار: ٨/ ٥٧٦. التمهيد: ١٦/ ٢٥٥.المتقي الهندي: كنز العمال: ٣/ ١٦، ١١/ ٤٢٠، ٤٢٥. الريشهري: ميزان الحكمة: ٤/ ٣٠٠٨.

(١) ابن حنبل: المسند: ٢/ ٤٤٢. البخاري: الأدب المفرد: ص٧٠. الترمذي: السنن: ٣/ ٢٤٥. ابن أبي الدنيا: الورع ص٩٣. ابن حبان: صحيح ابن حبان: ٢/ ٢٢٤. الصدوق: الخصال: ص٧٨، عيون أخبار الرضا: ١/ ٤١. االمفيد: الاختصاص: ص ٢٢٨. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٥/ ٨٠١.

(٢) الغازي: مسند الرضا عليه السلام: ص٦٥، ١٢٥. ابن حنبل: المسند: ٢/ ٢٥٠، ٤٧٢، ٥٢٧، ٦/ ٤٧.الدارمي: السنن: ٢/ ٣٢٣. الترمذي: السنن: ٢/ ٣١٥، ٤/ ١٢٢.الضحاك: الآحاد والمثاني: ٢/ ١٧٥

(٣) الحميري: قرب الإسناد: ص ٤٦. المجلسي: البحار: ج ٦٨/ ٣٨٥، ٧٠/ ٢٣١. البروجردي: جامع أحاديث الشيعة: ١٣/ ٤٤٨. الريشهري: ميزان الحكمة: ١/ ٨٠٠.

(٤) وهو حديث النبي صلى الله عليه وآله: (جعل الله سبحانه مكارم الأخلاق صلة بينه وبين عباده، فحسب أحدكم أن يتمسك بخلق متصل بالله تعالى). الحلواني: نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص ٥٢. النوري: المستدرك: ١١/ ١٩٢ ـ ١٩٣. الريشهري: ميزان الحكمة: : ١/ ٨٠٤.

تلك السجايا التي أشار إلى بعضها الإمام عليه السلام، فيحتاج تفصيلها وبسط القول فيها إلى مباحث، لا يتسع المجال ها هنا لذكرها جميعا، بل سنقتصر على ما ورد ذكره في مضامين خطبه وكلماته الشريفة الواردة في نهج البلاغة. وبدءً لابد من الوقوف عند المؤهلات التي أشار إليها الإمام عليه السلام التي هيأت النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لاكتساب الفضائل والمراتب العالية من الأخلاق المتجلية في شخصه باسطع صورها النورانية.

أشار عليه السلام إلى دور السماء في ذلك بقوله: "**ولقَدْ قَرَنَ اللَّه بِه صلى الله عليه وآله مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِه، يَسْلُكُ بِه طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَه ونَهَارَه**"(١)، وقد اثر عنه صلى الله عليه وآله قوله: "أدبني ربي فأحسن تأديبي"(٢)، وقريب منه ما روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام لما سئل عن قول الله عز وجل ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾(٣)، فقال عليه السلام: "يوكل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم ويؤدون إليه بتبليغهم الرسالة، ووكل بمحمد صلى الله عليه وآله ملكا عظيماً منذ فصل عن الرضاع، يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصده عن الشر ومساوئ الأخلاق"(٤).

إن ما أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيه بينة واضحة على التسديد الإلهي والرعاية الربانية لشخص النبي الأقدس صلى الله عليه وآله وما لها من اثر فعال في رسم معالم سجاياه الخلقية. وأشار بالملك الذي قرنه به إلى جبرائيل وهو العقل الفعال في عرف قوم، واقترانه به إشارة إلى توليه بتربية نفسه القدسية

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٠٦.

(٢) . الطبرسي: مجمع البيان: ١٠/٨٦. الثعلبي: الكشف والبيان: ١٠/ ١٠. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١١/ ٢٣٣، السيوطي: الجامع الصغير: ١/ ٥١. الصالحي الشامي: سبل الهدى: ٢/ ٩٣. المتقي الهندي: كنز العمال: ١١/ ٤٠٦. المناوي: فيض القدير: ١/ ٢٩٠.

(٣) سورة الجن الآية ٢٧.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٢٠٧. المجلسي: البحار: ١٥/ ٣٦٢. البحراني: حلية الأبرار: ١/ ٣٣.

بإفاضة العلوم ومكارم الأخلاق وسائر الطرق المؤدية إلى الله سبحانه من حين صغره صلى الله عليه وآله بحسب حسن استعداد مزاجه وقوة عقله الطفولي[(١)].

ثم جاءت إشارة الإمام عليه السلام لتؤكد أثر الجانب الوراثي في شخصية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إذ قال "**مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ**"[(٢)]. إن من بين ما يحمله قوله: "معادن الكرامة، ومماهد السلامة" هو ما تقلب عليه من مكارم الأخلاق الممهدة للسلامة إذ كان أباؤه وامهاته إضافة إلى الطهر والإيمان يتحلون بالفضائل الإنسانية والنزاهة من المعايب الأخلاقية[(٣)].

ومن المعلوم إن أحد الإبعاد المهمة في شخصية الفرد إنما يبلوره الجانب الوراثي حيث يكتسب الأبناء القدسية من جراء الآباء من أهل الورع والتقوى والصلاح، والأمهات من ذوي الطهر والنجابة والعفاف، وبالطبع كل ذلك دون حصول الإجبار، والنبي صلى الله عليه وآله كان أنموذجا بارزا في هذا الأمر، فهو ينتهي لآل إبراهيم والأنبياء عليهم السلام الذين انحدروا من نسله، ومن صلب بني هاشم المعروفين بالشجاعة والكرم والأثرة، ومن ولد عبد المطلب المشهور بإيمانه وعدله وشجاعته، فقد تحلى صلى الله عليه وآله بكل هذه الصفات[(٤)].

ثم نجده عليه السلام في إشارة أخرى يخوض في خلقه الجذاب صلى الله عليه وآله الذي استقطب القلوب وخطف القلوب، وشدها إليه، إذ يقول: "**قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَه أَفْئِدَةُ الأَبْرَارِ، وثُنِيَتْ إليه أَزِمَّةُ الأَبْصَارِ**"[(٥)].

من يقف على أخلاقه صلى الله عليه وآله يدرك السر وراء انجذاب الناس إليه جيلا بعد

---

(١) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/٣٦٦.

(٢) نهج البلاغة: ص١٧٨.

(٣) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٢/ ٥٣١. المجلسي: البحار: ١٦/ ٣٨٠. ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ٤/ ١٨٠.

(٤) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ٤/١٦٢.

(٥) نهج البلاغة: ص١٧٨.

جيل، لأن الأخلاق الإلهية المرضية قد تجسدت في شخصه بأروع صورها، وأجل حالاتها، وهذه الأخلاق إحسان للآخرين. والنفس مجبولة على حب من أحسن إليها، وكما قال ﷺ: "حسن الخلق يثبت المودة"[(١)]، فكان لحسن خلقه ومداراته الرفيعة ورحمته الإلهية الأثر الطيب في تثبيت مودته وتمكنها من سوائد القلوب، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[(٢)] ثم أشار عليه السلام إلى آثار أخرى لبركة الوجود المحمدي بين الناس، وبما تهيأ له من سمات وسجايا محببة إلى النفوس، ساهمت بشكل فعال في إصلاح المفاسد وقلب الموازين لما فيه الخير والصلاح، إذ يقول: **"دَفَنَ اللَّه بِهِ الضَّغَائِنَ، وأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ أَلَّفَ بِه إِخْوَاناً، وفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ، وأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ"**[(٣)]

فقد أزال الله به الضغائن والأحقاد، واطفأ نيران الفتن والعدوان، وألف بين القلوب المتباعدة، وآخى بين المؤمنين، وجمع بين المتباعدين، في حين انه فرق به بين جماعات كانت مجتمعة على الباطل، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[(٥)]. بل إن الله تعالى ببركة الوجود المحمدي رفع المستضعفين وأعزهم بالإسلام، وأذل المستكبرين بعد أن كانوا

---

(١) الحراني: تحف العقول: ص ٤٥.علي الطبرسي: مشكاة الأنوار: ص ١٣٨. المجلسي: البحار: ٧٤/ ١٤٨. الريشهري: ميزان الحكمة: ١/ ٨٠٥.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩.
(٣) نهج البلاغة: ص١٧٨ ـ ١٧٩.
(٤) سورة الأنفال الآيتان ٦٢ ـ ٦٣.
(٥) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

أعزة أيام الشرك والضلال. وهكذا استقطب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بخلقه الإلهي ومنهجه السوي كل من حوله وكل من عرفه، فاستضاءت القلوب بنور هداه صلى الله عليه وآله.

إن المتتبع لكلمات الإمام عليه السلام وخطبه الشريفة ليقف بإجلال عند تلك العبارات اللطيفة الرائعة التي وصف بها خصال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، والحق انه عليه السلام قد أدى حق الكلام بشأن خصاله صلى الله عليه وآله وأماط اللثام عن عظمة خلقه الإلهي، إذ يصفه قائلاً: "**أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً**"[1] أي في جميع خصاله الشريفة، منذ طفولته وحتى آخر لحظات حياته نشأ متجليا بكل خلق كريم، ومبتعدا عن كل وصف ذميم حتى كان كما وصفه عليه السلام: "**خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلًا، وأَنْجَبَهَا كَهْلًا**"[2]، لقد كان صلى الله عليه وآله قبل بعثته في الذروة العليا من الأخلاق الحسنة، كالصدق والأمانة والوفاء والشجاعة والحلم وغيرها، وكان يحظى بالإجلال والإكبار من حصل على واحدة منها، فكيف بمن جمعت له وتوفرت فيه كلها، ولما بعثه الله زاده قوة في هذه الخصال الحميدة إلى قوته حتى بلغ الكمال.

فأما شرف النسب: فقد تحدر صلى الله عليه وآله من أكرم المناسب، وانتمى إلى أطيب الأعراق، إذ اختاره الله من "**شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسرة البطحاء**"[3].

فمن لطف الله به صلى الله عليه وآله أن جعله عريق النسب، كريم المنبت، اصطفاه من اشرف قبائل العرب "قريش" وجعل فرع وجوده من شجرة الأنبياء التي اصطفى منها أمناء رسالاته. وهذا ما سبق أن تناولناه في مبحث علامات الأنبياء.

---

(١) نهج البلاغة: ص١٩٤.
(٢) نهج البلاغة: ص١٩٤.
(٣) نهج البلاغة: ص٢٠٠ ـ ٢٠١.

وقد ألمح الإمام عليه السلام في مضامين كلماته إلى صور موجزة من ملامح شخصية النبي صلى الله عليه وآله وخصاله وكمالاته، وبعض من جوانب سلوكه الفردي والاجتماعي، وسنقف عند هذه السجايا والخصال التي ذكرها الإمام عليه السلام.

ومن أهم هذه السجايا:

أولاً: الرحمة:

تعد الرحمة من الأخلاق الإلهية التي أودعها الله سبحانه في الأنبياء ومنهم نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله الذي كان ارحم الناس بالناس، فنصح لهم وهداهم إلى الصلاح، واخذ بأيديهم إلى السعادة في الدارين، ولقد نوه سبحانه بما جبل عليه نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله من الرحمة والرأفة بالمؤمنين والحرص عليهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١]، وقوله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[٢].

وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "**وبَعِيثُكَ نِعْمَةً، ورَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً**[٣]"، وفي موضع آخر قال: "**ورَسُولُ رَحْمَتِهِ**"[٤]، فكان صلى الله عليه وآله الرحمة المهداة من الله الكريم إلى عباده، وسيرته العطرة تشهد بهذه الرحمة التي طبقت الآفاق وشملت جميع الناس، فكان من أوصافه صلى الله عليه وآله أنه يشق عليه ضر الناس أو هلاكهم، بل أن رحمته ورأفته شملت حتى المخالفين له.

وأما قوله عليه السلام: "**وبَعِيثُكَ نِعْمَةً**"[٥] فهي إشارة إلى أن بعثة النبي صلى الله عليه وآله كانت نعمة كبيرة من جانب الله سبحانه، كما كانت أنموذجا بارزا لرحمته الواسعة سبحانه، فقد اهتدت به الملايين من أفراد البشرية، وانقادت إلى الحق في ظل

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٨.

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٣) نهج البلاغة ص١٩٨.

(٤) نهج البلاغة ٤٢٣.

(٥) نهج البلاغة: ص١٩٨.

تعاليمه السامية، وهذا الكلام في الواقع من الآيات القرآنية ومنها: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾(١)، و﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾(٢)(٣).

سأل الإمام الحسين عليه السلام أباه أمير المؤمنين عليه السلام عن دخول رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء، جزء لله، وجزءً لأهله، وجزء لنفسه، ثم جزء جزأه بينه وبين الناس، فيرد ذلك بالخاصة على العامة، ولا يدخر عنهم شيئاً وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مساءلتهم عنه، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، يقول: ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها، فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره. يدخلون روادا ولا يفترقون إلا عن ذواق، يخرجون أدلة ـ يعني على الخير ـ.

قال الإمام الحسين عليه السلام: فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟

قال: كان رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يخزن لسانه إلا فيما يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره وخلقه، يتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهيه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملو، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق، ولا يجاوزه، يلونه من الناس، خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٤.

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٣) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ٤/ ٣١٢.

قال الإمام الحسين عليه السلام: فسألته عن مجلسه، فقال عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لا يقوم ولا يجلس إلا عن ذكر الله، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، يعطي كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه. من جالسه أو فاوضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبا، وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس علم وحلم وحياء، وأمانة وصبر لاترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثيفلتأته، متعادلين، بل كانوا يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب"(١).

وفي بيته كان مضرب المثل في القيام بدور رب الأسرة، فقد قيل لعائشة: "ماذا كان يعمل رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم في بيته؟ قالت: كان بشرا من البشر: يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه"(٢).

وعن طريقة تعامله مع جلسائه، قال الإمام الحسين عليه السلام: سألت أبي أمير المؤمنين عليه السلام عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في جلسائه؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: "كان رسول الله صلى الله عليه وآله دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عيان، ولا مشاح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه راجيه، ولا يخيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء والإكثار وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدا، ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، وإذا تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده

(١) الترمذي: الشمائل المحمدية: ص١٨١ .١٨٢.

(٢) الترمذي: الشمائل المحمدية: ص١٨٥.

حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، حتى إن كان أصحابه ليستجلبوهم. ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام"(١).

ثانيا: العدل:

جاء في مظان كلام الإمام عليه السلام الإشارة إلى اتصاف رسول الله صلى الله عليه وآله بـ"العدل"، إذ يقول عليه السلام: "**وحُكْمُه الْعَدْلُ**"(٢)، والعدل: صفة عظيمة محببة للنفوس، أمر الله بها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾(٣)، وحمل به أنبياءه، وقد كانت غريزة فطر الله عليها نبيه صلى الله عليه وآله، الذي كان حريصا على إبراز قيمة (العدل) في الدنيا وعظم أجره في الآخرة، يقول صلى الله عليه وآله: "إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن بما اقسطوا في الدنيا"(٤)، وقد التزم صلى الله عليه وآله بالعدل والقسط منهاجا له، وامتلأت كتب السيرة بمواقف مشهودة عن عدله، فقد كان يتحاكم إليه قبل الإسلام(٥)، وغدا ممثل العدل الإلهي في الأرض بعد بعثته.

ولكن اشتهر عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: "أنكم تختصمون إليّ إنما أنا بشر ولعل

---

(١) الترمذي: الشمائل المحمدية: ص ١٨٩.

(٢) نهج البلاغة: ص١٧٦.

(٣) سورة النحل الأية ٩٠.

(٤) ابن حنبل: المسند: ١٥٩/٢. وانظر: ابن أبي شيبة: المصنف: ٨/ ٨١. النسائي: السنن: ٣/ ٤٦٠. الحاكم المستدرك: ٤/ ٨٨.المتقي الهندي: كنز العمال: ٦/ ٨.

(٥) ابن راهويه: المسند: ٤/ ٦٠ ـ ٦١. وقد ورد باختلافات واضافات قليلة في مصادر أخرى، ينظر: مالك: المدونة الكبرى ٤/ ٣٦٥، الموطأ ٧١٩/٢. الشافعي: كتاب الام: ٦/ ٢١٥. ابن أبي شيبة: المصنف: ٨/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦، ابن حنبل: المسند: ٦/ ٣٢٠. النسائي: السنن: ٣/ ٤٦٨، ٤٧٢. أبو يعلى: المسند: ٣٠٣/١٢ ـ ٣٠٨، ٤٢٨. الطبراني: مسند الشاميين: ٢/ ٢٤٣. الدارقطني: السنن: ٤/ ١٥٤ ـ ١٥٥. البيهقي: معرفة السنن: ٧/ ٣٧٩. الطوسي: المبسوط: ٨/ ٢٥٦.

بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما اقضي بينكم بما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً، فإنما اقطع له قطعة من النار، فلا يأخذه"[١].

ومعنى هذا انه قد يقضي بغير الواقع، فكيف يكون حكمه العدل كما مر في وصف أمير المؤمنين عليه السلام؟

قال مغنية[٢] في جواب ذلك: "الجواب عن هذا السؤال موجود في قول النبي صلى الله عليه وآله: وهو "إنما أنا بشر... أقضي على نحو ما اسمع... فاحسبه صادقا". أي أن النبي حين يقضي بين اثنين لا ينزل عليه وحي من السماء بأن هذا هو الحق، وذاك باطل، وإنما يعتمد في الحكم والفصل بين الناس على ما قرره سبحانه لكل قاض من الأصول كالبينات والإيمان وغيرها مما يوجب العلم والوثوق، كما قال: "فأحسبه صادقا". ومعنى هذا ان العدل في الحكم يرتبط بالأصول المقررة، وإن العالم العادل من عرفها والتزم بها، وإن من تاه عنها فهو جائر أو جاهل".

ولكن تستوقفنا هنا عدة نقاط:

١ ـ إن الله تعالى يقول عن نبيه الكريم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[٣]، فكيف نحتمل ان ما يصدر عن النبي صلى الله عليه وآله من حكم للفصل بين متخاصمين أو غيره أن لايصيب الواقع مما يجوز عليه الخطأ في تطبيق الشريعة، وان كان غير قاصد لذلك! ألا يتنافى هذا مع عصمته صلى الله عليه وآله؟!

٢ ـ ان النبي صلى الله عليه وآله ممثل الحكم والعدل الالهيين على الأرض، ومن شؤون الأنبياء فصل الخصومات والقضاء بين الناس بالعدل، والله يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ

---

(١) الشافعي: الأم: ١/ ٢٩٧: الرسالة: ص١٥٠. الطوسي: الخلاف: ٦/ ٢٥٧. المرتضى: شرح الأزهار: ٤/ ١١٩. الشهيد الثاني: مسالك الأفهام: ١٤/ ٢٦٢. الكاشاني: مفاتيح الشرائع: ٣/ ٢٧٥.

(٢) في ظلال نهج البلاغة: ٢/ ٦٤.

(٣) سورة النجم الآيتان ٣ ـ ٤.

وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١]. وقال أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[٢]، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام "اتقوا الحكومة، فإن الحكومة إنما هي للإمام العالم بالقضاء العادل في المسلمين، لنبي أو وصي نبي"[٣] إذ كيف لا يصيب حكمه الواقع، وان حدث هذا ولم يتحقق العدل بين الناس بوجود النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فإلى أين يلجا المظلوم أو المغلوب على أمره إن أعجزه البيان في الحجة، ولم ينجده عدل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله؟!

٣ ـ لا إشكال في أن الله أمر بالحكم والقضاء وفق الأصول المعتمدة كالبينات والإيمان، ولكن مالا يمكن قبوله ان يحتمل عدم مطابقة الحكم الصادر عن النبي صلى الله عليه وآله للحق والواقع، وان كان البعض أبين في حجته فإن ذلك لن يعجز رسول الله صلى الله عليه وآله وهو الذي هيأ الله له من الكمالات الذاتية التي جعلته في قمة الكمال الإنساني، أن يتوصل للحكم الحقيقي من خلال الأصول المتعارف عليها.

وخير دليل على ذلك نذكر هذه الحادثة: إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حينما ولاه النبي على قضاء اليمن قال: "يا رسول الله ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء"، فقال صلى الله عليه وآله: "إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك" وهذه مقدمة تؤكد سبق التسديد الإلهي للوصي عليه السلام في بلوغه الحكم الحق. ثم قال له: "فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء، قال عليه السلام: فما زلت قاضيا

---

(١) سورة النساء الآية ٦٥.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٦.

(٣) الكليني: الكافي: ٧/ ٤٠٦. الصدوق: من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٥. الطوسي: تهذيب الأحكام: ٦/ ٢١٧. الفاضل الهندي: كشف اللثام: ١٠/ ٦. الفيض الكاشاني: المحجة البيضاء: ٦/ ١٩٤. الحر العاملي: هداية الامة: ٨/ ٣٦١. المحقق البحراني: الدرر النجفية: ١/ ٢٧٣. آل عصفور: الأنوار اللوامع: ١٤/ ٧. الجواهري: جواهر الكلام: ٤٠/ ١٧.

أو ما شككت في قضاء بعد"[١]، وقد روي عن عمر قوله في الإمام: "علي أقضانا"[٢] ولم يشهد له التاريخ زللا أو سهوا في حكم قضى به بين الناس، بل كانت أحكامه تطابق الواقع الحق وتحقق العدل. فكيف الحال برسول الله ﷺ؟!!

ثم نذكر حادثة أخرى لما أرسل رسول الله ﷺ معاذ بن جبل قاضيا إلى اليمن، قال له "وان أشكل عليك أمر فقف حتى تتبينه أو تكتب إليّ فيه"[٣].

٤ ـ ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[٤]، انه ترافع بعض الناس إلى النبي ﷺ، وكان كل من المتخاصمين يسعى لأن يبرئ نفسه ويلقي بالتهمة على الآخر، وكان مع أحدهما شهود، ومع الآخر رجل طليق اللسان حاول ان يخدع النبي ﷺ بإثارة عواطفه على المتهم البريء، ليقضي بخلاف الحق، وعند ذلك نزلت هذه الآية الكريمة لترفع النقاب عن وجه الحقيقة وتكشف من هو المتهم الحقيقي[٥].

لا ريب إن هذه الآية هي بصدد إثبات عصمة النبي ﷺ وعدم خطئه في

---

(١) ابن حنبل: المسند: ١/ ٨٣. أبو داود: السنن: ٢/ ١٦٠. ابن حزم: المحلى: ٩/ ٣٦٧. البيهقي: السنن الكبرى: ١٠/ ٨٦. القاضي النعمان: شرح الأخبار: ٢/ ٣٠٤. ابن حجر: فتح الباري: ٨/ ٥٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات: ٢/ ٣٣٩. ابن أبي شيبة: المصنف: ٧/ ١٨٣. ابن حنبل: المسند: ٥/ ١١٣. وكيع: أخبار القضاة: ١/ ٨. الحاكم: المستدرك: ٣/ ٣٠٥. الدار قطني: علل الدار قطني: ١/ ٧٧. ابن عبد البر: الاستذكار ٢/ ٦٦. الذهبي: تاريخ الإسلام: ٣/ ٦٣٨، تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٢٠. الصفدي: الوافي بالوفيات: ٢١/ ١٧٩. ابن حجر: فتح الباري: ٧/ ٦٠. السيوطي: تاريخ الخلفاء: ص١٨٨. العجلوني: كشف الخفاء: ١/ ١٦٢. المغربي: فتح الملك العلي: ص٧١.

(٣) ابن ماجه: السنن: ١/ ٢١. المتقي الهندي: كنز العمال: ٦/ ١٠١. الشنقيطي: أضواء البيان: ٤/ ١٧٣.

(٤) سورة النساء الآية ١١٣.

(٥) ينظر: الترمذي: السنن: ٤/ ٣١٠ ـ ٣١٣. الطبري: جامع البيان: ٥/ ٣٦٠ ـ ٣٦٢. الحاكم: المستدرك ٤/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦. الطبرسي: مجمع البيان: ٣/ ١٨٨.

مجال تطبيق الشريعة، استنادا إلى سبب النزول الذي ذكره المفسرون فإن الخطأ في هذا المجال لا ينفك بحال عن الضلال كما نصت عليه الآية، وهو منتفٍ عن الأنبياء عليهم السلام بنص القرآن الكريم. ولقائل أن يقول: إن الآية الكريمة مرتبطة بباب القضاء، وفك الخصومات، فلعل الأنبياء عليهم السلام يخطئون في التطبيق في أبواب أخرى من الشريعة، فلا يتم الاستدلال على المطلوب حينئذ؟

جواب ذلك: ان الآية قالت: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[١]، وهذا التعبير يحدد بيان السبب في عدم وقوع الخطأ في باب القضاء، وهو فضل الله ورحمته بالنبي صلى الله عليه وآله، ومن المعلوم ان فضل الله ورحمته بالنبي صلى الله عليه وآله ليس مختصا بباب القضاء بل هو ثابت له في كل شؤونه وأفعاله[٢].

ثالثاً: البلاغة:

أما عن منطقه الشريف صلى الله عليه وآله، فقد وصف الإمام عليه السلام كلامه وسكوته بصفة تعد من مفاخر الصفات وكمالات الذات، إذ قال عنه: "**كَلَامُه بَيَانٌ، وصَمْتُه لِسَانٌ**"[٣].

والمراد بالبيان: إخراج الشي من حيز الخفاء إلى حيز الوضوح[٤]. فإذا نطق صلى الله عليه وآله تفتق لسانه بأسرار الحكمة، وبيان حقائق الوحي، وكشف النقاب عن سبيل النجاة ومهوى الردى، ومستنقع السقوط[٥]. فهو الذي اصطنعه الله لوحيه، وخصه بتنزيله، ونصبه لبيانه ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٦].

---

(١) سورة النساء الآية ١١٣.

(٢) السيد الحيدري: عصمة الأنبياء في القرآن: ص١٦٩ ـ ١٧٠.

(٣) نهج البلاغة: ص١٧٩.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٧/ ٦٩.

(٥) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ٤/ ١٨١.

(٦) سورة النحل الآية ٤٤.

فكلامه ﷺ بيان للحق والعدل، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[١]، وهذا يعود إلى أن النبي ﷺ نشأ وتقلب في أفصح القبائل وأخلصها منطقا وأعذبها بيانا، إذ يقول: "أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش"[٢]، وقد كانت هذه الفصاحة توفيقا له من الله وتوقيفا، إذ ابتعثه للعرب وهم قوم يقادون من ألسنتهم، ولهم المقامات المشهورة من البيان والفصاحة[٣]، غير أنهم هذبوا الكلام وحذقوه وبالغوا في إحكامه، فإن ذلك لا يكون إلا عن نظر متقدم وروية مقصودة وتكليف يستعان له بأسباب الإجادة التي تسمو إليها الفطرة اللغوية، فيشبه أن يكون القول مصنوعا مقدرا، على أنهم مع ذلك لايسلمون من عيوب الاستكراه والزلل والاضطراب، ومن حذف في موضع اطناب، واطناب في موضع، ومن كلمة غيرها اليق، ومعنى غير ارد، ثم هم في باب المعاني ليس لهم الا حكمة التجربة، والا فضل ما ياخذ بعضم عن بعض، قل ذلك أو كثر، والمعاني هي التي تعمر الكلام وتستتبع ألفاظه، وبحسبها يكون ماؤه ورونقه، وعلى مقدارها وعلى وجه تأديتها يكون مقدار الرأي فيه ووجه القطع به[٤].

بيد ان رسول الله ﷺ كان أفصح العرب، على انه لا يتكلف القول ولا يقصد إلى تزيينه، ولا يبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده... ثم أنت لا تعرف له إلا المعاني التي هي من الهام النبوة ونتاج الحكمة، وغاية العقل، وما إلى ذلك مما يخرج به الكلام وليس فوقه مقدار إنساني من البلاغة والتسديد وبراعة القصد[٥].

---

(١) سورة النجم الآيتان ٣ ـ ٤.

(٢) ابن سلام: غريب الحديث: ١/ ١٤٠. ابن قتيبة: المعارف: ص ١٣٢. الزمخشري: الفائق في غريب الحديث: ١/ ١٢٦. العجلوني: كشف الخفاء: ١/ ٢٠١.

(٣) الرافعي: اعجاز القرآن: ص٢٢٣.

(٤) الرافعي: اعجاز القرآن: ص٢٢٢.

(٥) الرافعي: اعجاز القرآن: ص٢٢٢ ـ ٢٢٣.

وفي مورد آخر وصف الإمام عليه السلام كلام النبي صلى الله عليه وآله بقوله: "وكَلَامُه الْفَصْلُ"[١] أي الفاصل بين الحق والباطل[٢]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾[٣][٤]، وقيل مراده عليه السلام: الجد لا الهزل، ولهذا قال صلى الله عليه وآله: "أوتيت جوامع الكلم"[٥]، وأراد بجوامع الكلم انه يتكلم بالكلمات القصيرة وتحتها معان جمة ونكت غزيرة"[٦]. وأما عن قوله عليه السلام: "وصمته لسان" فلا يعني باللسان ها هنا الجارحة نفسها، بل الكلام الصادر عنها[٧]. واستعار لفظ "اللسان" لسكوته، ووجه المشابهة أن سكوته صلى الله عليه وآله مستلزم للبيان من وجهين:

أحدهما: أن يسكت عما لا ينبغي من القول، فيتعلم الناس السكوت عن الخوض فيما لايعنيهم.

الثاني: إن الصحابة كانوا إذا فعلو فعلا على سابق عادتهم فسكت عنهم، ولم ينكره عليهم علموا بذلك انه على حكم الإباحة، فكان سكوته عنهم في ذلك بيانا له، وأشبه سكوته عنه باللسان المعرب عن الأحكام[٨]. فسكوته يختزن المعنى والمفهوم، ولم يكن صمتا طبيعيا، وهو يريد أن صمته بمنزلة قوله، في كونه شرعا يقتدي به، هذا من باب، ومن باب آخر فإنه يريد أن صمته حكمة وصواب وليس غفلة، وذهولا وحصرا وعَيا مثل سكوت غيره"[٩]. فمن كمال تلك النفس العظيمة غلبة فكره على لسانه، فقل كلامه، وخرج قصدا في ألفاظه محيطا بمعانيه[١٠].

---

(١) نهج البلاغة: ١٧٦.
(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٧/ ٥٢. ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٢/ ٥٢٧.
(٣) سورة الطارق الآية ١٣.
(٤) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٢/ ٥٢٧.
(٥) ابن أبي شيبة: المصنف: ٧/ ٤٣١. ابن حنبل: المسند: ٢/ ٢٥٠، ٤٤٢. الإيجي: المواقف: ٣/ ٤٠٩. الهيثمي: مجمع الزوائد: ١/ ١٧٣، ١٨٢. المتقي الهندي: كنز العمال: ١/ ٣٧١.
(٦) الحسيني: الديباج الوضي: ٢/ ٧٧٨ - ٧٧٩.
(٧) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٧/ ٥٥.
(٨) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٢/ ٥٣٢.
(٩) الحسيني: الديباج الوضي: ٢/ ٧٨٣.
(١٠) الرافعي: اعجاز القرآن: ص٢٣٥.

وحق للإمام عليه السلام أن يفتخر بأنهم ـ أي أهل بيت النبوة ـ في محل لا يضاهي من كمال الفصاحة والبلاغة ما لو أراده مريد لعجز عنه، فيقول عليه السلام: **"إِنَّا لأُمَرَاءُ الْكَلَامِ، وفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُه، وعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُه"**[١].

رابعا: التواضع:

هو خلق كريم، وخلة جذابة، تستهوي القلوب، وتستثير الاعجاب، والتقدير[٢]. ومن موجبات المعرفة الحقة للذات الإلهية استشعار الفقر في ذات الإنسان، يقول أمير المؤمنين عليه السلام **"وإِنَّه لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّه أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُه أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَه، وسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُه أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَه"**[٣].

فالإنسان بقدر ما يدرك من عظم الله تعالى وجلاله وجبروته، فإنه يستشعر الفقر في نفسه إلى الله والحقارة تجاهه، ويدرك انه لا ينبغي له ان يستعظم ذاته؛ لأن المنزلة والتقدير إنما يكون لمن رأى ان العظمة لله وحده سبحانه، والخاشعون من عباد الله هم أولئك الذين يستشعرون العظمة له عز اسمه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[٤][٥].

وفي موضع آخر يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **"إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللَّه سُبْحَانَه فِي نَفْسِه، وجَلَّ مَوْضِعُه مِنْ قَلْبِه، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَه ـ لِعِظَمِ ذَلِكَ ـ كُلُّ مَا سِوَاه"**[٦].

فمن عظم جلال الله في قلبه صغر عنده كل ما سواه، وقد تجلى التواضع بأبهى واكمل صورته في أخص خلق الله واقربهم منزلة منه الا وهم الأنبياء، إذ

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٨٤.
(٢) مهدي الصدر: أخلاق أهل البيت: ص ٣٦.
(٣) نهج البلاغة: ص٢٦٩.
(٤) سورة فاطر الآية ٢٨.
(٥) عبد المجيد زهادت: التربية والتعليم في نهج البلاغة: ص ٨٩
(٦) نهج البلاغة: ص ٤٥٣.

نجد في كلام الإمام عليه السلام وقفة مع هذه الخصلة من خصال أنبياء الله إذ يقول عليه السلام: "**فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ، لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ ومَلائِكَتِهِ، ولَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إليهم التَّكَابُرَ، ورَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ**"[(١)]، ففي قوله ها هنا استدلال على تحريم الكبر مطلقا وانه لا رخصه فيه لأحد من خلق الله.

إن الكبر نقيض التواضع وأما حقيقته: فهي هيأة نفسانية تنشأ عن تصور الإنسان نفسه اكمل من غيره وأعلى رتبة وتلك الهيئة تعود إلى ما يحصل للنفس عن ذلك التصور من النفخ والهزة والتعزز والتعظم والركون إلى ما تصورته من كمالاتها وشرفها على غيرها، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "أعوذ بك من نفخة الكبر"[(٢)]، وهي رذيلة تحت الفجور تقابل فضيلة التواضع[(٣)].

وقد ورد ذم هذه الخصلة في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله منها قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾[(٤)]، ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾[(٥)]، وفي الحديث القدسي: "يقول الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة أزاري، فمن نازعني واحداً منهما القيته في جهنم"[(٦)]، وقال النبي صلى الله عليه وآله: "لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر"[(٧)].

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٩٢.

(٢) المازندراني: شرح أصول الكافي: ١/ ٢٣٥.

(٣) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٧٥.

(٤) سورة غافر الآية ٣٥.

(٥) سورة إبراهيم الآية ١٥.

(٦) الحميدي: مسند الحميدي: ٢/ ٤٨٦. ابن راهويه: المسند: ١/ ٣٠٥. ابن حنبل: المسند: ٢/ ٢٤٨. ابن أبي الدنيا: التواضع والخمول: ص٣. البيهقي: شعب الإيمان: ٦/ ٢٨١. البيهقي: معارج نهج البلاغة: ص٣٥٨. ابن الجوزي: دفع شبه التشبيه: ص٢٣٢. المنذري: الترغيب والترهيب: ٣/ ٥٦٢. المجلسي الأول: روضة المتقين: ٤/ ٤٨. الفيض الكاشاني: الوافي: ١/ ١٦١. المجلسي: ملاذ الأخيار: ٥/ ٥٩. النوري: المستدرك: ١٢/ ٣١.

(٧) البخاري: التاريخ الكبير: ٥/ ٢. الترمذي: السنن: ٣/ ٢٤٤. الكليني: الكافي: ٢/ ٣١٠. الصدوق: ثواب الأعمال: ص٢٢١. النووي: الأذكار النووية: ص٣٥٠، شرح صحيح مسلم: ٢/ ٨٩. الدميري:=

والى هذا المعنى يشير أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "**الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ والْكِبْرِيَاءَ، واخْتَارَهُمَا لِنَفْسِه دُونَ خَلْقِه، وجَعَلَهُمَا حِمًى وحَرَماً عَلَى غَيْرِه، واصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِه، وجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَه فِيهِمَا مِنْ عِبَادِه**"[١].

ومعنى اختياره هنا تفرده باستحقاقهما لذاته، فإن المستحق للعز والكبرياء بالذات ليس الا هو، ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾[٢]، والالف واللام هنا يفيد حصر الكبرياء والعلو فيه[٣]. وأما قوله عليه السلام: "**وجَعَلَهُمَا حِمًى وحَرَماً عَلَى غَيْرِه**"[٤]، فقد استعار لفظ الحمى والحرم باعتبار اختياره لهما وتحريمهما على غيره من خلقه كما يحمي الملك المرعى والحرم[٥].

ويقول عليه السلام: "**ومَا بَيْنَ اللَّه وبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِه هَوَادَةٌ، فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَه عَلَى الْعَالَمِينَ**"[٦]، فليس "بين الله وبين أحد من خلقه صلح، فيخصص باباحة حكم حرمه على سائر خلقه، فيختلف بذلك حكمه فيهم لأن الصلح من عوارض الحاجة أو الخوف المحالين عليه تعالى"[٧]. وبهذا يتضح لنا مراده من قوله المار الذكر "فلو رخص الله في الكبر لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه"[٨].

=حياة الحيوان: ١/ ٤٩٦. الشهيد الثاني: رسائل الشهيد الثاني: ٢/ ٨١٢، منية المريد ص١٥٦. البهوتي: كشف القناع: ١/ ٢٧٠. الكحلاني: سبل السلام: ٤/ ٢٠٠. الشوكاني: نيل الأوطار: ٢/ ١٠٨.

(١) نهج البلاغة: ص ٣٨٤ ـ ٣٨٥.
(٢) سورة الرعد الآية ٩.
(٣) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٧٧.
(٤) نهج البلاغة: ص٣٨٥.
(٥) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٧٧.
(٦) نهج البلاغة ص٣٨٦.
(٧) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٩١.
(٨) نهج البلاغة: ص٢٩٢.

إذ إن وجه الملازمة فيه ان الأنبياء خواص الله واحباؤه واهل طاعتة، فلو كان فيه رخصة لم يجعلها الا لهم، وتقدير الاستثناء فيه لنقيض الآتي: لكنه لم يرخص فيه لهم، فينتج انه لم يرخص فيه لأحد من عباده، لكنه حذف هنا استثناء النقيض واستثنى بعض لوازمه، وهو تكريهه التكابر عليهم، وذلك بوعيده للمستكبرين على الكبر، ثم برضى التواضع لهم، وذلك بامرهم فيه كما قال تعالى:

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[١] ونحوه[٢].

ثم شرع عليه السلام في بيان دلائل التواضع في الأنبياء وسماته إذ يقول: "**فَأَلْصَقُوا بِالأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ**"[٣]. امتثالا لما امروا به من التواضع والتذلل للخالق[٤]. "وخفضوا اجنحتهم للمؤمنين، وكانوا قوما مستضعفين امتثالا لما مروا به من التواضع للخلائق، قال المجلسي: خفض الجناح كناية عن لين الجانب وحسن الخلق والشفقة"[٥].

وجاء في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٦]، إن الطائر إذا أراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه، وإذا أراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلاً في التواضع ولين الجانب، رفعه قول أحدهم:

وانت الشهير بخفض الجناح ... فلا تك في رفعه اجدلا[٧]

(١) سورة الحجر الآية ٨٨.

(٢) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٣١٧.

(٣) نهج البلاغة: ص٣٩٢.

(٤) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ١٠/ ٢٦٦.

(٥) البحار: ١٤/ ٤٧٩.

(٦) سورة الشعراء الآية ٢١٥.

(٧) استشهدت مصادر التراث بهذا البيت كثيراً دون الإشارة لقائله. ينظر: الزمخشري: الكشاف: ٣/ ١٣١. أو حيان الأندلسي: البحر المحيط: ٧/ ٤٣. الأفندي: تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات: ص٤٩٨. حبيب الله الخوئي: شرح نهج البلاغة: ١١/ ٣١٥. الآلوسي: روح المعاني: ١٩/ ١٣٥. الشنقيطي: أضواء البيان: ٢/ ٣١٦.

ينهاه عن التكبر بعد التواضع(١). والعرب تقول لمن كان ساكنا وقورا: انه خافض الجناح(٢). وأما قوله عليه السلام: "وكانوا قوما مستضعفين" كونهم متصفين بالضعف والمسكنة في نظر الناس وضيق العيش في الدنيا كما سنقف تفصيلا في محله.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله اشد الناس تواضعا، وابعدهم عن الكبر، وان المتتبع لسيرته الشريفة يلمس ذلك بوضوح، وقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام شاهدا على ذلك في حديثه عن نمط معيشته صلى الله عليه وآله فقال: "**وَلَقَدْ كَانَ صلى الله عليه وآله يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِه نَعْلَه، وَيَرْقَعُ بِيَدِه ثَوْبَه، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَه**"(٣)، إذ كان صلى الله عليه وآله يتخذ في جلسته هيأة تبعد عن نفس جالسها أي فخر أو تكبر، ولكنها تفرض الهيبة في نفوس الآخرين، حتى روت إحدى الصحابيات وهي قيلة بنت مخرمة(٤) انها رأت رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد وهو قاعد القرفصاء(٥) قالت: "فلما رأيت رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) المتخشع في الجلسة، ارعدت من الفرق(٦)"(٧).

---

(١) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ١١/ ٢٦٧.

(٢) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٣١٧.

(٣) نهج البلاغة: ص ٢٩٩.

(٤) قيلة بنت مخرمة التميمية قدمت على النبي صلى الله عليه وآله وأسلمت وسمعت منه وروت عنه وصلت معه. ابن سعد: الطبقات: ٨/ ٣١٢. ابن ماكولا: إكمال الكمال: ٧/ ١٣٠. ابن الأثير: أسد الغابة: ٥/ ٥٣٥.

(٥) القرفصاء: هو أن يجلس الرجل كجلوس المحتبي ويكون احتباؤه بيديه يضعهما على ساقيه كما يحتبي بالثوب، تكون يداه مكان الثوب. ابن سلام: غريب الحديث: ١/ ٢١١، ٢/ ١٠٨. وقال الجوهري: وهو أن يجلس على أليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبي بيديه يضعهما على ساقيه، كما يحتبي بالثوب، تكون يداه مكان الثوب. الصحاح ٣/ ١٠٥١. الثعالبي: فقه اللغة: ص١٨٣. ابن فارس: معجم: ٥/ ١١٨.

(٦) الفرق: الخوف والفزع. سيبويه: كتاب سيبويه: ٤/ ١٩. الجوهري: الصحاح: ٤/ ١٥٤١. ابن سيده: المخصص: ٤/ ٢/ ١٤٠.

(٧) البخاري: الأدب المفرد ص٢٥١. أبو داود: السنن: ٢/ ٤٤٥. الطبراني: المعجم الكبير: ٢٥/ ٩.=

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ما أكل رسول الله صلى الله عليه وآله متكئا منذ بعثه الله إلى أن قبضه تواضعا لله عز وجل"[١] فالمراد من جلوسه جلسة العبد، أما أن يجلس على الأرض أو يجلس من غير تربع خلاف جلوس الملوك، أو الجلوس دون شرفه، إذ كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله إذا دخل منزلا قعد في أدنى المجلس إليه حين يدخل[٢].

وتضمن كلام أمير المؤمنين عليه السلام ذكر عدة مزايا تشير إلى تواضع النبي صلى الله عليه وآله منها:

١ ـ لبس النعل المخصوف، فهو دليل ظاهر على التواضع ولا سيما إذا كان لابسها هو الخاصف.

٢ ـ لبس الثوب المرقع.

٣ ـ ركوب الحمار العاري. وإرداف غيره خلفه.

كل ذلك آية التواضع وهظم النفس، وآكد في الدلالة عليه[٣].

وقال الإمام الرّضا عليه السلام عن آبائه عن النّبيّ صلّى صلى الله عليه وآله، قال: خمس لا أدعهنّ حتى الممات: الأكل على الحضيض مع العبد، وركوبى الحمار موكفا، وحلب العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدي[٤].

=البيهقي: السنن الكبرى ٣/ ٢٣٥. السمعاني: أدب الإملاء والإستملاء: ص٤٥. النووي: رياض الصالحين: ص٣٩٣. المزي: تهذيب الكمال: ٣٥/ ٢٧٨. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٦/ ١١. المجلسي: البحار: ١٧/ ٣٢.

(١) الكليني: الكافي: ٨/ ١٦٤.

(٢) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٩/ ٣٢٠.

(٣) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٩/ ٣٢٠ ـ ٣٢١.

(٤) الصدوق: الأمالي ص١٣٠، الخصال ص٢٧١، علل الشرائع ١/ ١٣٠، عيون أخبار الرضا(٢/ ٨٧، الطبرسي: مكارم الأخلاق ص١١٥، الأشتري: تنبيه الخواطر ٢/ ٤٧٥، الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٢/ ٦٢، ٢٤/ ٢٥٦، البحراني: حلية الأبرار: ١/ ٢١٥، المشهدي: كنز الدقائق: ٥/ ٦٣، البروجردي: جامع أحاديث الشيعة ١٤/ ٣٠٧.

وكان فراشه ﷺ غاية في التواضع، قالت عائشة: "إنما كان فراش رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم الذي ينام عليه من أدم، حشوه ليف"(١). و"سئلت عائشة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك؟ قالت: من أدم، حشوه من ليف، وسئلت حفصة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك؟ قالت: مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه"(٢).

ومن مظاهر تواضعه كان ﷺ يقول: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله"(٣). وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد، وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف، وعليه إكاف من ليف"(٤). و"كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب"(٥).

خامسا: الشجاعة.

تعد الشجاعة من الخصال اللازمة للأنبياء، إذ جعل الله تعالى "**رُسُلَه أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ**"(٦)، وهي صفة تتطلبها مهمتهم التبليغية، إذ ان هذه المهمة تواجه الصعوبات الجمة من التكذيب والتشكيك

والترصد وغيره. وقد جمع الله أنواع القوة في رسوله الكريم ﷺ، جمع له القوة الإيمانية الكاملة، والقوة البدنية، فاستعملها ﷺ مجتمعة في عبادة الله وطاعته والسعي الحثيث إلى كل ما يقربه إليه من مجاهدة أعداء دينه ونشر دعوته الغراء في جميع الأصقاع. وقد كانت حياته ﷺ القولية والفعلية أنموذجا

---

(١) الترمذي: الشمائل المحمدية ص١٧٧.
(٢) الترمذي: الشمائل المحمدية: ص١٧٨.
(٣) الترمذي: الشمائل المحمدية: ص١٧٨.
(٤) الترمذي: الشمائل المحمدية: ص١٧٩.
(٥) الترمذي: الشمائل المحمدية ص١٨٠.
(٦) نهج البلاغة: ص٣٩٣.

متميزا في الشجاعة إذ كان منها بالمحل الذي لايجهل، فعند التأمل في سيرته الشريفة نجده يتعامل مع كل المواقف بقلب ثابت وشجاعة نادرة، لذا خاطبه الحق تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾(١).

وقد سئل الطوسي عن قول الله تعالى حول أمره تعالى نبيه الكريم صلى الله عليه وآله ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ ولم نره صلى الله عليه وآله نازل بطلا، ولا قاتل، ولو كان منازلا مقاتلا لكان له قتلى وجرحى كما كان لأمير المؤمنين عليه السلام، والنبي صلى الله عليه وآله أشجع من أمير المؤمنين عليه السلام إذا كان فئة لإصحابه. فما هذا القتال المأمور.

فأجاب: القتال قد يكون بأن يتولى القتال بنفسه، وقد يكون بأمر أصحابه وبحثهم عليه كما يقولون: فلان الملك يقاتل فلانا إذا أمر بقتاله أو حضر موضع القتال، والنبي صلى الله عليه وآله كان حاضرا، وكان يحث أصحابه ويبعث السرايا، وكل ذلك منسوب إليه. وقد قتل يوم بدر أبي بن خلف، رماه بحربته فخدش جسمه فمات منه(٢).

بل ذكر الماوردي(٣) ان أُبَيّ بْنُ خَلَفٍ(٤) هو من دعا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الْبِرَازِ يَوْمَ أُحُدٍ فَبَرَزَ إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فَقَتَلَهُ.

---

(١) سورة النساء الآية ٨٤.

(٢) الرسائل العشر: ص٣٢٣.

(٣) الأحكام السلطانية: ص ٣٨.

(٤) ولنقف عند شخصية (أبي بن خلف) قتيل النبي صلى الله عليه وآله: يعد أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي وأخوه أمية بن خلف، من أكابر مشركي قريش، وعتاتهم، كانت جمح أهل بغي وعوان، وكان أبي بن خلف يماطل الناس حقوقهم، وكثر ما آذى النبي صلى الله عليه وآله، وتهدده بالقتل، فكان يلقى رسول الله صلوات الله عليه بمكة، فيقول: يا محمد، والله لأن لم تنته عما أنت عليه لأقتلنك، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إليه، وقال: بل أنا والله أقتلك يا أبي، جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله بعظم رميم ففته بيده، ثم نفخه، فقال: يا محمد أتزعم أن ربك يحيي هذا بعد ما ترى ؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ ونزل فيه: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ۝٦٦﴾، وكان وأخوه أمية يعذبان بلال بن رباح أشد العذاب، وكان ممن اجتمع في الدار ليلة الهجرة وأئتمروا على قتل النبي صلى الله عليه وآله، وذكر عبد الرزاق الصنعاني: "وأما أبي بن خلف فقال: والله=

وحضر النبي ﷺ المواقف الصعبة، وفر الأشداء من بين يديه، وهو ثابت لايبرح، ومقبل لا يدبر، إذ كان يتقدم أصحابه في الجهاد في سبيل الله حتى شج وجهه وكسرت رباعيته(١). ولقد كان متحليا بالشجاعة منذ نشأته الأولى، فهو الذي شارك في حرب الفجار ولم يبلغ الخامسة عشر بعد(٢)، وصدع بالدعوة مواجها عتاة قريش بما تنكره عقولهم، ولا تدركه تصوراتهم، فلم يمنعه ذلك من المضي قدما في مواجهتهم "غَيْرَ نَأكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، ولَا وَاهٍ فِي

=لأقتلن محمدا، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: بل أنا أقتله إن شاء الله، قال: فانطلق رجل ممن سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بن خلف، فقيل: إنه لما قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ما قلت، قال: بل أنا أقتله إن شاء الله، فأفزعه ذلك، وقال: أنشدك بالله أسمعته يقول ذلك؟ قال: نعم، فوقعت في نفسه، لأنهم لم يسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا إلا كان حقا، فلما كان يوم أحد خرج أبي بن خلف مع المشركين، فجعل يلتمس غفلة النبي صلى الله عليه وسلم ليحمل عليه، فيحول رجل من المسلمين بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: خلوا عنه، فأخذ الحربة فجزله بها ـ يقول: رماه بها ـ فيقع في ترقوته، تحت تسبغة البيضة، وفوق الدرع، فلم يخرج منه كبير دم، واحتقن الدم في جوفه، فجعل يخور كما يخور الثور، فأقبل أصحابه، حتى احتملوه وهو يخور، وقالوا: ما هذا؟ فوالله ما بك إلا خدش، فقال: والله لو لم يصبني إلا بريقه لقتلني، أليس قد قال: أنا أقتله إن شاء الله، والله لو كان الذي بي بأهل [ذي] المجاز لقتلهم، قال: فما لبث إلا يوماً أو نحو ذلك حتى مات إلى النار فأنزل الله فيه (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا). وقال رسول الله ﷺ بعد قتله: "اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في سبيل الله واشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله". ومات أبي بن خلف بسرف ودفن فيها، وبقي ولده عبدالله ـ الذي أسر يوم بدر وأطلق سراحه بفداء ـ على الشرك حتى فتح مكة، فكان من الطلقاء، ثم خرج يوم الجمل محاربا أمير المؤمنين عليه السلام فقتل فيها. ينظر: ابن سعد: الطبقات: ٢/ ٤٦. ابن حبيب: المنمق: ص٥٤، ٢٨١. الطبري: جامع البيان: ٢٣/ ٣٧. القاضي النعمان: شرح الأخبار: ١/ ١٧٩. المفيد: الأمالي: ص ٢٤٧. الطبرسي: مجمع البيان: ٦/ ٤٣٧. ابن الأثير: أسد الغابة: ٣/ ١١٤. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٣٠٤، ١٥/ ٢٢٤. ابن كثير: البداية: ٤/ ٣٦ ـ ٣٧.

(١) ابن سعد: الطبقات: ٢/ ٤٤. الطبراني: المعجم الكبير: ٦/ ١٦٢. البيهقي: معرفة السنن والآثار: ٢/ ٧٥. الزيلعي: تخريج الأحاديث ١/ ٢٢٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٤/ ٣٣، السيرة النبوية: ٣/ ٥٧. الحلبي: السيرة الحلبية: ٢/ ٥٤٨.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية: ١/ ١١٩. المسعودي: التنبيه والاشراف ص١٩٧. ابن كثير: البداية والنهاية ٢/ ٣٥٣.الذهبي: تاريخ الإسلام: ١/ ٦١.

عَزْمٍ"[١] وسجل لنا تاريخه أروع الأمثلة في الجهر بالحق، لا يثنيه عن ذلك اجتماع على تكذيبه.

وقد تحدث الإمام عليه السلام عن شجاعة النبي في ميادين القتال، وفي أحلك المواقف، إذ يقول: "**كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إلى الْعَدُوِّ مِنْه**"[٢]. وهي كلمات تنطوي على شجاعة لا مثيل لها، لا سيما وان الذي يتحدث هو أمير المؤمنين عليه السلام القائل: "**واللَّه لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا**"،[٣] إذ انه عليه السلام "**آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّه**"[٤].

فقد كان إذا عظم الخوف من العدو، واشتد عضاض الحرب، فزع المسلون إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه، فينزل الله تعالى النصر عليهم به، ويامنون ما كانوا يخافونه بمكانه[٥]. ويقول عليه السلام: "**فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إلى الْعَدُوِّ مِنْه**"[٦] يشير بهذا إلى ما أعطاه الله من شدة الجأش وثبوت القلب وقوة العزيمة وشجاعة الجنان[٧].

سادسا: الزهد:

الزهد: لغة خلاف الرغبة، تقول: زهد في الشيء، وعن الشيء يزهد زهدا وزهادة[٨]. أما اصطلاحا فالزهد: الإعراض عن الظواهر المادية والملذات

---

(١) نهج البلاغة ص١٠٧.

(٢) نهج البلاغة ص٧٠٩.

(٣) نهج البلاغة ص٥٧٦.

(٤) نهج البلاغة ص ٣٤.

(٥) نهج البلاغة ص ٧٠٩.

(٦) نهج البلاغة ص ٧٠٩.

(٧) الحسيني: الديباج الوضي: ٦/ ٢٩٢٠. ومن أروع ما وجدناه حول شجاعة النبي صلى الله عليه وآله ما جاء في المساجلات الفكرية بين قطبين من أقطاب الاعتزال في القرن الثالث الهجري، وهما الجاحظ وأبو جعفر الاسكافي، ينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٢٧٧ ـ ٢٨٣.

(٨) الجوهري: الصحاح: ٢/ ٤٨١

والمشاغل الملهية التي تفضي الرغبة فيها إلى توقف الحركة التكاملية للإنسان أو بطئها[(١)].

وجدير بالذكر أن خطب الإمام عليه السلام في نهج البلاغة تعج بمضامين (الزهد) إذ نجده عليه السلام داعيا له بأساليب شتى تنوعت ما بين الدعوة للاتعاظ والاعتبار أو ذم الدنيا وتهوين شأنها والتحذير من غرورها، وكان من ألمع نماذجه تقديمه سيرة النبي صلى الله عليه وآله بوصفه أنموذجا متكاملا في هذا الجانب داعيا إلى التأسي به واقتفاء أثره، فيقول عليه السلام: "**لَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله كَافٍ لَكَ فِي الأُسْوَةِ، ودَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وعَيْبِهَا، وكَثْرَةِ مَخَازِيهَا ومَسَاوِيهَا**"[(٢)] وعد ذلك من نعم الله تعالى إذ يقول: "**فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّه عِنْدَنَا، حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِه سَلَفاً نَتَّبِعُه وقَائِداً نَطَأُ عَقِبَه**"[(٣)].

لقد كان الزهد معلما بارزا في حياة الأنبياء، وكان محل اختبارهم، إذ إن إعراضهم عن الدنيا وزهدهم فيها كان شرطا في بلوغهم درجات الوحي والرسالة والتصدي للتبليغ والدعوة، وهنا يمكن ان نسال: لماذا طلب الله تعالى من الأنبياء الزهد في الدنيا؟ وجوابه: إن من الملازمات العقلية لحب الدنيا هو السيئات والذنوب؛ للارتباط الوثيق بين حب الدنيا والذنوب، فكلما ازداد حب الإنسان للدنيا ازدادت ذنوبه، وقد ورد في الحديث الشريف ان

---

(١) الريشهري: القيادة في الإسلام: ص ٢٨٩. يخيل للبعض ان الزهد هو ترك ملذات الدنيا، ولبس الخشن من الثياب، وأكل الجشب من الطعام، غير إن ذلك إنما هو من مظاهر الزهد لا من مقوماته، وحقيقة الزهد هو ما عرفه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: "الزهد ليس ان لا تملك شيئاً، وإنما ان لا يملكك شيء". وحصره أمير المؤمنين عليه السلام بين كلمتين من القرآن إذ يقول: "الزهد بين كلمتين من القرآن، قال سبحانه وتعالى (لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) سورة الحديد اية ٢٣. ومن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه". ومعنى كلامه إن فيه "تنفير عن تمني الدنيا والرضا بحصولها وعن الهم بفواتها ودلالة على ان الزهد ليس فقدها بل عدم تعلق القلب بها حيث لا يفرح بحصولها ولا يحزن بفواتها، وبعبارة أخرى يتركها ويغتم بوجودها لعلمه بأنها من أعظم أسباب الغفلة". المازندراني: شرح أصول الكافي ٨/ ٣٧٨.

(٢) نهج البلاغة: ص ٢٩٧.

(٣) نهج البلاغة: ص ٣٠١.

"حب الدنيا رأس كل خطيئة"[١]، فإذا لم يكن حب الدنيا له وجود في حياة الإنسان فسوف تكون النتيجة مفادها: إن الإنسان سوف يبتعد عن الذنوب بقدر ابتعاده عن حب الدنيا، وما نحن فيه من أعمال الشرط من الله تعالى على الأنبياء بالزهد في حب الدنيا سوف يكون من نتائجه ان يتركوا الدنيا والتعلق بها كذلك ترك الذنوب والمعاصي وبالنتيجة النهائية سيكونون معصومين بالعصمة الذاتية التي تكون ملازمة لهم من جهة لطف الله تبارك وتعالى فضلاً عن اقتضاء الضرورة الربانية ذلك[٢].

أما لماذا اشترط الزهد في حب الدنيا وما حاجة العصمة للأنبياء، فهذا ما يكون الاحتياج إليه بصورة ضرورية ومؤكد ولاحتياج الأنبياء العصمة في مقام التبليغ للرسالة السماوية بل مطلق العصمة لهم، ولئلا يكون للناس الحجة على الله تعالى، والعصمة لا تأتي مع حب الدنيا. إما الدليل على هذا الكلام ما جاء في القرآن الكريم والروايات الواردة في المقام التي تدل على المطلب بل هناك الدليل العقلي أيضاً، أما الدليل الذي نستطيع به هنا فهو ما جاء في دعاء الندبة[٣] الشريف إذ ورد فيه: "اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في

---

(١) الصدوق: الخصال: ص٢٥. ابن الفتال: روضة الواعظين: ص٤٤١. الكراكجي: كنز الفوائد: ص٩٨. الواسطي: عيون الحكم والمواعظ: ص٢٣١. ابن فهد الحلي: التحصين: ص٢٧. ابن أبي حجمهورالأحسائي: عوالي اللئالي: ١/ ٢٧. السيوطي: الجامع الصغير: ١/ ٥٦٦.المباركفوري: تحفة الأحوذي: ٦/ ٨٢.

(٢) محمد فاضل المسعودي: الاسرار الفاطمية: ص ٧٧ ـ ٧٨.

(٣) دعاء الندبة: دعاء ينسب للإمام الصادق عليه السلام، وقيل لم ينسب لأحد من الأئمة عليهم السلام، يدعى به للإمام محمد بن الحسن المهدي المنتظر (عج)، يفضل الدعاء به في يوم الجمعة، وفي الأعياد الأربعة، عيد الفطر والأضحى والغدير والجمعة، ويدعى به عند زيارة العسكريين في سامراء. أقدم من ذكره محمد بن الحسين بن سفيان البزوفري من مشايخ المفيد، وكان هذا الدعاء موضع اهتمام العلماء فقد شرح كثيراً، فممن شرحه، حسين التربتي السبزواري (ت: بعد ١٣٠٠هـ)، وعلي بن علي رضا الخوئي (ت: ١٣٥٠هـ). المجلسي: بحار الأنوار ٩٩/ ١٠٤، الأصفهاني: مكيال المكارم ٢/ ٨٦. الطهراني: الذريعة: ١٣/ ٢٦٠، الاصفهاني: وظيفة الأنام: ١/ ٤٩، الحكيم: دور أهل البيت (: ٢/ ٤٠٤، الكوراني: المعجم الموضوعي: ص٩٦٥. مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام: موسوعة طبقات الفقهاء: ١٤/ ١/ ٢٤٢، ٤٢٩.

أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك إذ اخترت لهم جزيل ماعندك من النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا وزخارفها وزبرجها فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم وقربتهم وقدمت لهم الذكر العلي والثناء الجلي واهبطت عليهم ملائكتك وكرمتهم بوحيك، ورفدتهم بعلمك وجعلتهم الذريعة إليك والوسيلة إلى رضوانك..." [١].

وقد أوضح الإمام عليه السلام علة اختيار الله لأنبيائه حياة الزهد، رغم قدرته جل وعلا على ان يزودهم بكل متع الدنيا وملذاتها وزبرجها، إذ يقول: "**وَلَوْ أَرَادَ اللَّه سُبْحَانَه لأَنْبِيَائِه حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ، ومَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، ومَغَارِسَ الْجِنَانِ، وأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ، ووُحُوشَ الأَرَضِينَ ـ لَفَعَلَ ـ ولَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وبَطَلَ الْجَزَاءُ، واضْمَحَلَّتِ الأَنْبَاءُ، ولَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ، ولَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، ولَا لَزِمَتِ الأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا**" [٢]، إذ "لا واسطة بين الله وعباده إلا التبليغ عنه على لسان أنبيائه بهدف الإيمان به والعمل بشريعته عن قناعة لا عن رغبة أو رهبة. وإذا كان هذا هو الغرض من بعثة الأنبياء فلا موجب إذن لأن يزودهم الله سبحانه بكنوز الدنيا وحدائقها وطيورها ووحوشها (ولو فعل) أي لو زود سبحانه الأنبياء بمتاع الحياة يقول: (لسقط البلاء) والاختبار والامتحان لأن الناس عبيد الدنيا، ولمن في يده شيء منها، وعليه يكون إيمانهم بالأنبياء الأغنياء إيمانا بالمال لا برسالة الله وأنبيائه. (وبطل الجزاء) لأنه لغير الله (واضمحلت الأنباء) والأحاديث عن الأنبياء وسيرتهم وعظمتهم وشريعتهم إذ يكون الحديث عنهم والحال هذه حديثا عن الدنيا التي يملكونها لا حديثا عن الله وحلاله وحرامه (ولما وجب للقابلين أجور المبتلين) لأن المراد بالمبتلى من أظهره التمحيص

---

(١) المسعودي: الاسرار الفاطمية: ص٧٨.

(٢) نهج البلاغة: ص ٣٩٣.

على حقيقته، ولن يكون هذا إلا في الضراء وساعة العسرة (ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين) لأن أهل الاحسان يعطون ولا يطمعون في الربح (ولا لزمت الأسماء معانيها) لكل كلمة معنى تدل عليه، ولكل اسم مسمى يفهم منه، ومعنى الإيمان بالله ورسله هو التصديق به وبهم، ولو اسمينا من آمن طمعا، ـ مؤمنا ـ لوضعنا الكلمة في غير مدلولها والاسم في غير مسماه"[1].

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى الهيأة اللائقة التي أرادها الله لأنبيائه التي يتجلى فيها مظهر الفقر والفاقة والجوع بشكل لافت للنظر بوصفه معلما من معالم الزهد في الدنيا إذ يقول: "**ولَكِنَّ اللَّه سُبْحَانَه جَعَلَ رُسُلَه أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ الْقُلُوبَ والْعُيُونَ غِنًى، وخَصَاصَةٍ تَمْلأُ الأَبْصَارَ والأَسْمَاعَ أَذًى**"[2]. وليس بخاف عن أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وهو الأعظم زلفة عند الله والمتقدم على جميع الأنبياء، كان المصداق الأول للارادة الإلهية فهو الذي: "**جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ، أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أم أَهَانَهُ؟ فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ واللَّهِ الْعَظِيمِ بِالإِفْكِ الْعَظِيمِ، وإِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ**"[3] إذ كان صلى الله عليه وآله "**قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وصَغَّرَهَا، وأَهْوَنَ بِهَا وهَوَّنَهَا، وعَلِمَ أَنَّ اللَّه زَوَاهَا عَنْه اخْتِيَاراً، وبَسَطَهَا لِغَيْرِه احْتِقَاراً، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِه، وأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِه، وأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِه، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، أو يَرْجُوَ فِيهَا مَقَاماً**"[4].

إن تحقير الدنيا وتهوين شأنها ومحو آثارها من القلب إنما كان منهجا قائما

---

(١) مغنية: في ظلال نهج البلاغة: ٣/ ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٢) نهج البلاغة: ص ٣٩٣.

(٣) نهج البلاغة: ص ٣٠٠.

(٤) نهج البلاغة: ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

في حياة النبي ﷺ فهو الذي "**عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا**"(١)، إذ ورد في الأثر انه ﷺ قال: "عرضت علي كنوز الأرض ودفعت إليّ مفاتيح خزائنها، فكرهتها واخترت الدار الآخرة(٢)"، وهو ما يوضحه ما روي عنه ﷺ: "**أتاني ملك فقال: يامحمد! إن ربك يقرئك السلام، ويقول لك: إن شئت جعلت لك بطحاء مكة ذهبا، فرفع رأسه إلى السماء، فقال: يارب، اشبع يوماً فأحمدك، وأجوع يوماً فأسالك**"(٣)، لأنه ﷺ: "**عَلِمَ أَنَّ اللَّه سُبْحَانَه أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَه، وحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَه، وصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَه**"(٤). وكفى بالدنيا هوانا عند الله "**أَنَّه لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا، ولَا يُنَالُ مَا عِنْدَه إِلَّا بِتَرْكِهَا**"(٥) وكذا حال الأنبياء عليهم السلام الذين سبقوه ﷺ وقد عرض لنا الإمام عليه السلام نماذج من زهدهم، بعد أن صدر كلامه بذكر النبي ﷺ: "**ولَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله كَافٍ لَكَ فِي الأُسْوَةِ، ودَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وعَيْبِهَا، وكَثْرَةِ مَخَازِيهَا ومَسَاوِيهَا، إذ قُبِضَتْ عَنْه أَطْرَافُهَا ووُطِّئَتْ لِغَيْرِه أَكْنَافُهَا، وفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا وزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا**"(٦).

ثم أشار عليه السلام إلى زهد النبي موسى عليه السلام فقال: "**وإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّه صلى الله عليه وسلم حَيْثُ يَقُولُ ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾(٧)، واللَّه مَا سَأَلَه إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُه، لأَنَّه كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الأَرْضِ، ولَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِه، لِهُزَالِه وتَشَذُّبِ لَحْمِه**"(٨).

---

(١) نهج البلاغة: ص ٢٩٩.
(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٩/ ٢٣٠.
(٣) داود ابن سليمان الغازي: مسند الرضا عليه السلام: ص ٩٩. الكليني: الكافي: ٨/ ١٣١. الصدوق: عيون اخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٣٣.
(٤) نهج البلاغة: ص ٢٩٩.
(٥) نهج البلاغة: ص ٧٣٩.
(٦) نهج البلاغة: ص ٢٩٧.
(٧) سورة القصص الآية ٢٤.
(٨) نهج البلاغة: ص ٢٩٧.

ثم ذكر عليه السلام نبي الله داود عليه السلام فقال: "**وإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ - صلى الله عليه وسلم - صَاحِبِ الْمَزَامِير، وقَارِئِ أهل الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِه، ويَقُولُ لِجُلَسَائِه أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا، ويَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا**"(١).

وأضاف أمير المؤمنين عليه السلام مثالا رابعا لزهد الأنبياء متمثلا بالنبي عيسى عليه السلام، فقال: "**وإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، ويَلْبَسُ الْخَشِنَ، ويَأْكُلُ الْجَشِبَ، وكَانَ إِدَامُه الْجُوعَ، وسِرَاجُه بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وظِلَالُه فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الأرض ومَغَارِبَهَا، وفَاكِهَتُه ورَيْحَانُه مَا تُنْبِتُ الأرض لِلْبَهَائِمِ، ولَمْ تَكُنْ لَه زَوْجَةٌ تَفْتِنُه ولَا وَلَدٌ يَحْزُنُه، ولَا مَالٌ يَلْفِتُه ولَا طَمَعٌ يُذِلُّه، دَابَّتُه رِجْلَاه وخَادِمُه يَدَاه**"(٢).

ولسنا بحاجة لتحليل النص وتأويله مفصلا، لأن أي تفسير له سيكون أدنى من مرتبة بلاغته، مما يفقده بعضا من فرادة معانيه وخصوبتها، لكن أيسر فهم يمكن ان يقال بصدده يتلخص في انه كان من نتيجة ذلك السلوك النبوي الزاهد المتقشف ان حاز الأنبياء رضى إلهي دنيوي، إذ اختيروا ليكونوا أصحاب رسالات يبشرون ويندرون، واقتدت الإنسانية بالتعاليم التي جاؤوا بها من السماء، ونالوا احتمالا بشريا طويل الأمد والمدى، وفازوا بمكانة رفيعة يوم القيامة ارتضاها الله لهم، وارتضوها هم لأنفسهم"(٣).

وبعد أن عرض الإمام عليه السلام لتلك النماذج في الزهد من حياة الأنبياء، عاد إلى الأمر للدعوة بالتأسي بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله "لأنهم المأمورون بوجوب الاقتداء به مطلقا وفيه الأسوة الكاملة لمن تأسى به ولأنه اقرب عهدا بمن سبق، وحث على التأسي به بكون المتأسي والمقتص لأثره أحب العباد إلى الله، وذلك من قوله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

(١) نهج البلاغة: ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

(٢) نهج البلاغة: ص ٢٩٨.

(٣) كاظم محمد المحراث: تجليات الزهد في نهج البلاغة: ص ١٧٣.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾[(١)(٢)] فقال عليه السلام في وصفه زهد النبي صلى الله عليه وآله: "**أَهْضَمُ أهل الدُّنْيَا كَشْحاً، وأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً، عُرِضَتْ عَلَيْه الدُّنْيَا، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وعَلِمَ أَنَّ اللَّه سُبْحَانَه أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَه، وحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَه، وصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَه، ولَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّه ورَسُولُه، وتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّه ورَسُولُه، لَكَفَى بِه شِقَاقاً لِلَّه، ومُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّه**"[(٣)]، ثم أردف ذلك ببيان صور من حياته ونمط عيشه التي تجلى فيها الزهد بأروع مظاهره، ومن ذلك قوله: "**ولَقَدْ كَانَ صلى الله عليه وآله يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ، ويَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ**"[(٤)]، وهذا ما ورد عنه صلى الله عليه وآله: "آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد، فانما أنا عبد"[(٥)].

ومن مظاهر زهده إنه كان "**يَخْصِفُ بِيَدِه نَعْلَه، ويَرْقَعُ بِيَدِه ثَوْبَه، ويَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، ويُرْدِفُ خَلْفَه**"[(٦)]، وكان نعل النبي صلى الله عليه وآله لهما قبالان، مثني شراكهما[(٧)]، وكان يلبس النعال التي ليس فيها شعر[(٨)].

وبلغ من زهده وتقشفه صلى الله عليه وآله انه "**قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً**"[(٩)] أي لم يتناول منها إلا بقدر الكفاف وما تدعو إليه الضرورة، حتى انه كان يقضي الليالي طاويا، ويربط الحجر على بطنه من شدة الجوع[(١٠)]، وكان يسميه المشبع[(١١)]، حتى

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣١.

(٢) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٣/ ٣٥٧.

(٣) نهج البلاغة: ص٢٩٩.

(٤) نهج البلاغة: ص ٢٩٩.

(٥) الصنعاني: المصنف: ١٠/ ٤١٥. ابن سعد: الطبقات: ١/ ٣٧١. الطبرسي: مكارم الأخلاق: ص٢٧. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٥/ ٢٣٢.

(٦) نهج البلاغة: ص ٢٩٩.

(٧) الترمذي: الشمائل المحمدية ص ٥٠.

(٨) الترمذي: الشمائل المحمدية ص٥١.

(٩) نهج البلاغة: ص ٢٩٩.

(١٠) ابن سلامة: مسند الشهاب: ٢/ ٣٠٨. ابن شهر اشوب: المناقب: ١/ ١٢٧. الديلمي: إعلام الدين في صفات المؤمنين: ص٢٣٩. المتقي الهندي: كنز العمال: ٧/ ٢٠٣، ٢١٧.

(١١) المازندراني: شرح اصول الكافي: ٨/ ٣٨٠.

قال أبو طلحة: "شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم الجوع، ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين"(١). بل لم يجتمع عنده صلى الله عليه وآله وسلم غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضفف(٢)(٣).

وكان جل طعامه ﷺ من خبز الشعير، وما كان يأكل منه بقدر الشبع(٤). وعن عبد الرحمن بن عوف، قال: مات رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، فلا أرانا أخرنا لما هو خير لنا"(٥).

وكانت عائشة تقول: "ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم"(٦). وكان "رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا هو وأهله يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير"(٧). وكان ﷺ أدامه الخل، ويقول: "نعم الإدام الخل"(٨). وكان يعجبه الدباء(٩)(١٠).

حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف حال النبي ﷺ وبيان اثر الجوع فيه انه "**أَهْضَمُ أهل الدُّنْيَا كَشْحاً، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً**"(١١) ويقول الإمام الصادق عليه السلام: "ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها

(١) الترمذي: الشمائل المحمدية: ص٧٧.
(٢) قال بعضهم هو كثرة الأيدي. الترمذي: الشمائل المحمدية: ص٨١.
(٣) الترمذي: الشمائل المحمدية ص٨١.
(٤) ابن حنبل: المسند: ٦/٩٨، ١٢٨. البخاري: الصحيح: ٧/ ١٨٠، ٢٣٠. مسلم: الصحيح: ٨/ ٢١٧-٢١٨. ابن ماجة: السنن: ٢/ ١١١٠.
(٥) الترمذي: الشمائل المحمدية: ص٨٢.
(٦) الترمذي: الشمائل المحمدية: ص٨٤.
(٧) الترمذي: الشمائل المحمدية ص٨٥.
(٨) الترمذي: الشمائل المحمدية ص٨٧.
(٩) الدباء: القرع. الفراهيدي: العين: ٨/ ٨٢. ابن قتيبة: غريب الحديث: ١/ ٨٩.
(١٠) الترمذي: الشمائل المحمدية ص٩١.
(١١) نهج البلاغة: ص ٢٩٩.

جائعا خائفا"[١]. وقال النعمان بن بشير: "ألستم في طعام وشراب ما شئتم؟! لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه"[٢].

وقد جاءت إليه السيدة فاطمة عليها السلام في غزوة الخندق ومعها كسيرة خبز فأعطتها إليه صلى الله عليه وآله فقال لها: يا فاطمة أما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث"[٣]. نعم لقد كان في متناول يده أطيب الأطعمة وألذها ولكنه صلى الله عليه وآله اكتفى إلى آخر عمره بخبز الشعير؛ كي لا يكون طعامه أفضل من طعام اضعف رعيته.

ومن هوان الدنيا على الله ان يجوع فيها حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله مع عظم قدره وعلو مكانته "**وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللّه صلى الله عليه وآله، مَا يَدُلُّكُ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وعُيُوبِهَا، إذ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِه، وزُوِيَتْ عَنْه زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِه**"[٤]. وقد عاش صلى الله عليه وآله في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه الفقراء: "**لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِه، وأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّه**"[٥].

لقد اختار صلى الله عليه وآله لنفسه ولأهل بيته هذا النمط الفريد من حياة الزاهد في الدنيا وزخرفها، إيمانا بأن متاعها قليل فما هو إلا ظل زائل، فأخرج الدنيا من نفسه وأشخصها عن قلبه، واقبل على الآخرة التي هي دار القرار وليكون بيته أسوة لجميع الناس، يجد فيها الفقير عزاء لما يواجه من ضيق وحرمان، ويجد فيها الغني داعيا للتخفيف من المغريات وعدم الاغترار بالشهوات فيكون صلى الله عليه وآله

---

(١) الكليني: الكافي: ٢/ ١٢٩. المجلسي: البحار: ١٦/ ٢٦٦. الريشهري: ميزان الحكمة: ٤/ ٣٢٣٠.
(٢) الترمذي: الشمائل المحمدية ص٧٦.
(٣) ابن سعد: الطبقات: ١/ ٤٠٠. الصدوق: عيون اخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٤٤. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤/ ١٢٢. محب الدين الطبري: ذخائر العقبى: ص ٤٧.
(٤) نهج البلاغة: ص٣٠٠.
(٥) نهج البلاغة: ص ٣٠١.

أسوة لامته في جميع الأحوال كما أراده الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(١).

ولم يكن زهده وتقشفه بسبب قلة ذات يده، فقد فتح الله له الأرض، وجاءته الغنائم وكثرت لديه الأموال، ولكن أياديه الشريفة قد فاضت بها على المسلمين بكل سخاء، ولم يبق منها شيء لنفسه، حتى فارق الدنيا ولم يترك دينارا ولا درهما، وكانت درعه مرهونة عند يهودي على عشرين صاعا من شعير اشتراها لقوت عياله(٢). "**وَوَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيماً**"(٣) بعد أن "**بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً، وَنَصَحَ لأُمَّتِهِ مُنْذِراً**"(٤).

إن كل ما ذكر إنما كان تجسيدا لزهده الظاهري، ولكن لا شك ان مفهوم الزهد عند النبي صلى الله عليه وآله لا يتحدد باللباس الخشن والمأكل الجشب البسيط، بل ان حدوده تمتد لأبعد من ذلك، فنراه لا يسمح لمتع الدنيا التحكم في نفسه دون أن يكون له قوة السيطرة عليها، حتى انه ليشح بنظره عن ابسط مظهر يذكره بزينة الحياة الدنيا حيث "**يَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِه، فَتَكُونُ فِيه التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ، يَا فُلَانَةُ لإِحْدَى أَزْوَاجِه غَيِّبِيه عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إليه ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا**"(٥). وفي هذا إشارة واضحة إلى "زهده الحقيقي وهو حذف الموانع الداخلة النفسية عن النفس، وما قبله من الأوصاف إشارة إلى زهده الظاهري وهو حذف الموانع الخارجة عنه"(٦).

والحادثة التي يذكرها الإمام عليه السلام إنما وقعت ـ حسب تصريح عدة روايات

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢١.

(٢) ابن حنبل: المسند: ١/ ٣٠٠. الحميري: قرب الاسناد: ص ٩٢. البيهقي: السنن الكبرى: ٦/ ٣٦. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٣/ ١٢٣.

(٣) نهج البلاغة: ص ٣٠١.

(٤) نهج البلاغة: ص ٢١٠.

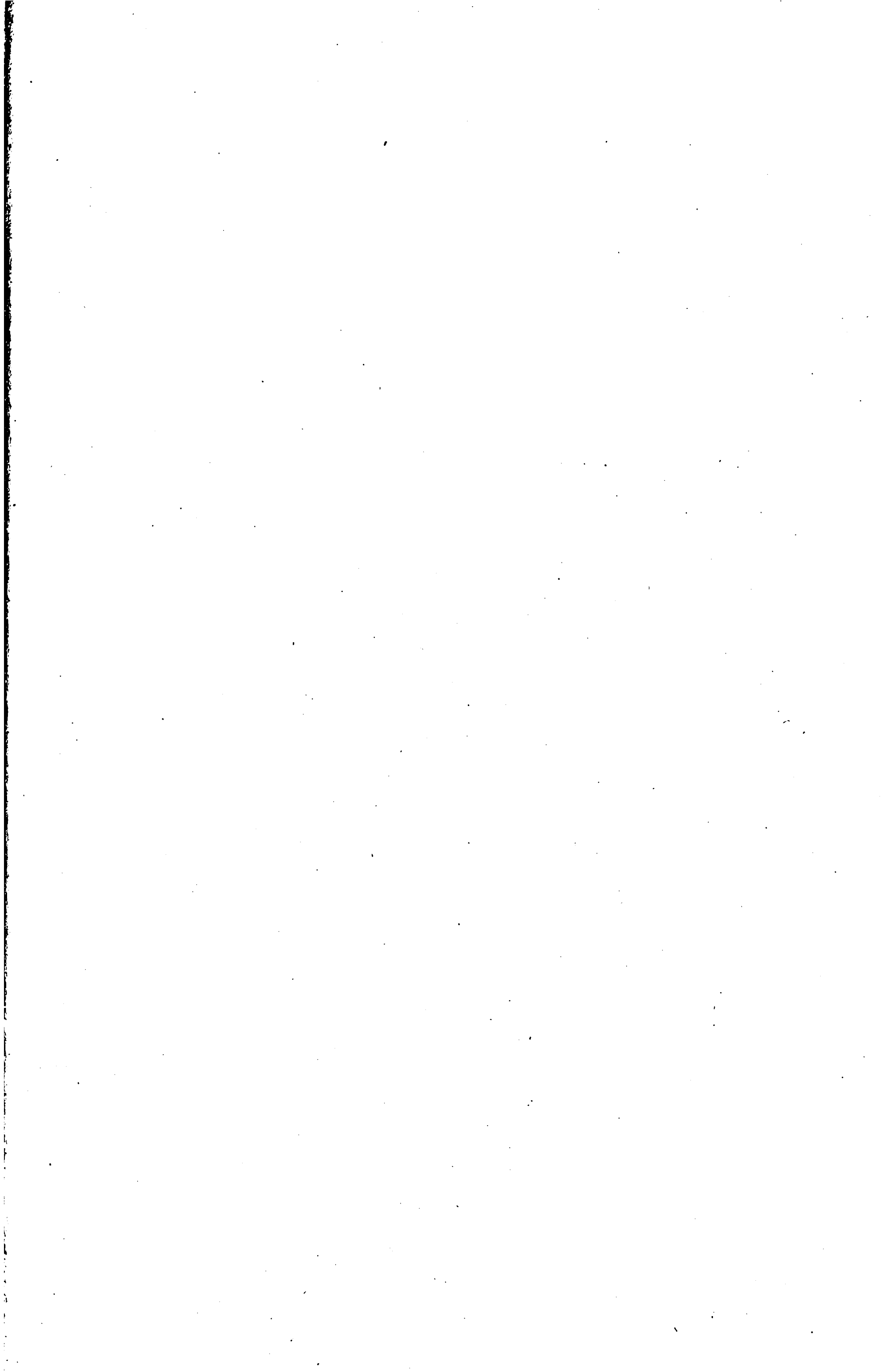
(٥) نهج البلاغة: ص ٢٩٩.

(٦) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٣/ ٣٥٨.

مع عائشة، ومن ذلك ما روته بقولها: "كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبلته، فقال لي رسول الله ﷺ: حولي هذا فاني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا"(١).



(١) ابن راهويه: المسند ٣/٧١٩. ابن حنبل: المسند: ٦/٤٩، ٥٣، ٢٤١. مسلم: الصحيح: ٦/١٥٨. النسائي: السنن: ٨/٢١٣. المتقي الهندي: كنز العمال: ٣/٢٤٢، ٧/١٦٨. ومن الغريب ان هناك روايات مغرضة قد أشارت بوقوع هذه الحادثة مع السيدة فاطمة عليها السلام، وبعد إخضاع تلك الروايات للنقد والتحليل تبين أنها من الموضوعات التي افرزها خط الانحراف عن أهل البيت (بقصد الإساءة لمقام السيدة فاطمة عليها السلام. لمزيد من التفاصيل ينظر: العواد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ص ٤٨٤ ـ ٤٩٨.



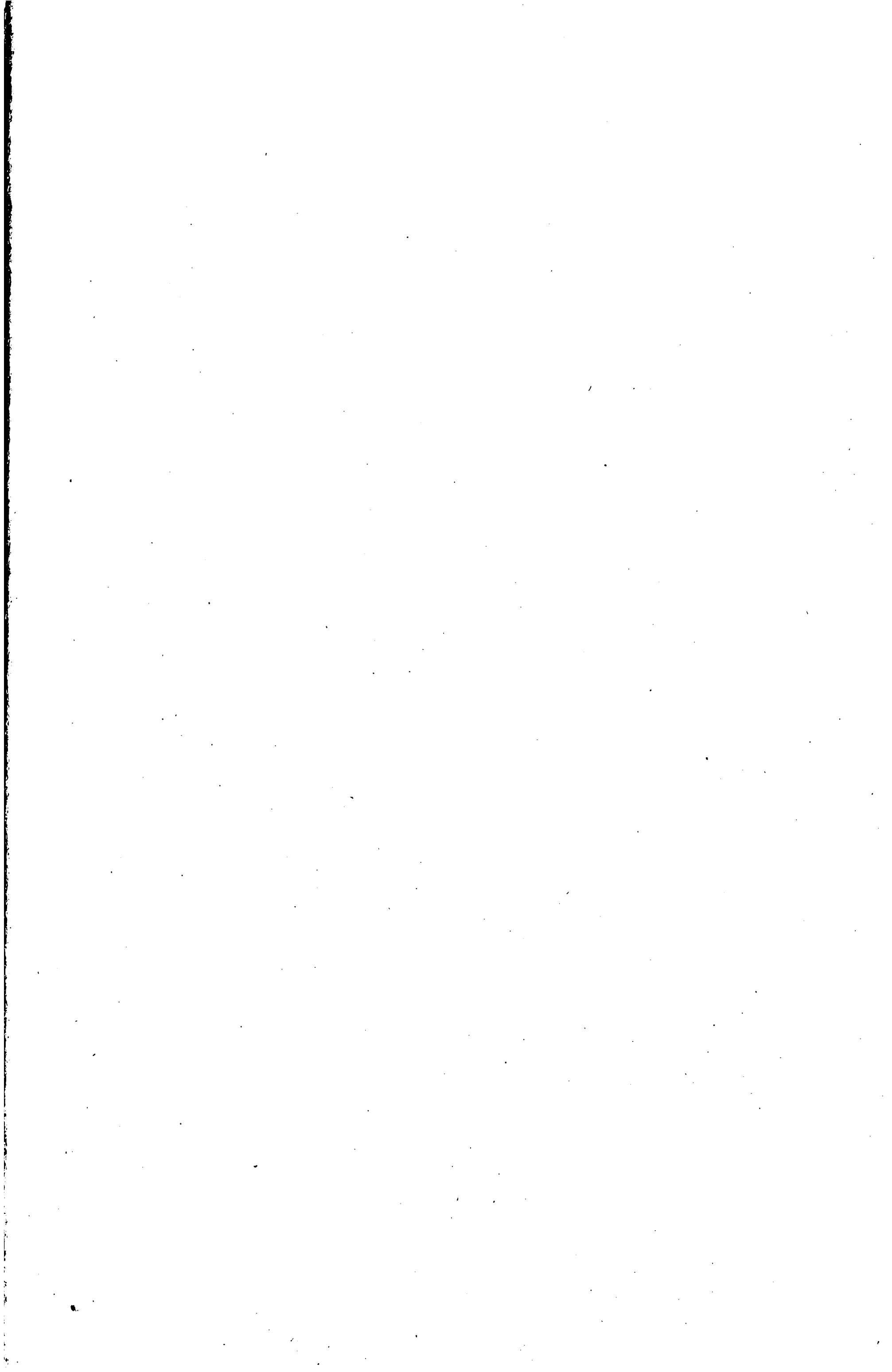
الفصل الرابع

مقدمات البعثة النبوية وأحداثها

المبحث الأول: تعبد النبي ﷺ في غار حراء قبل البعثة

المبحث الثاني: البعثة النبوية

المبحث الثالث: الدعوة المحمدية



المبحث الأول

تعبد النبي ﷺ في غار حراء قبل البعثة

يظهر أن تربية أمير المؤمنين عليه السلام لم تقتصر على وجوده في بيت النبي ﷺ بل كان يتبعه حتى خارج مكة أيام تعبد النبي وتحنّثه، إذ يشير عليه السلام إلى ذلك صراحة بقوله: "**وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ، فَأَرَاه ولَا يَرَاه غَيْرِي**"(١).

فيشير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى حدث مهم متعلق بحياة النبي ﷺ قبل أو قبيل بعثته الشريفة، وهو دأبه ﷺعلى المجاورة في غار حراء في كل سنة. وهذا ما يتفق مع مرويات التاريخ التي تواترت في ذكر هذه الحادثة(٢). **وحراء**: هو الجبل الطويل الذي بأصل "شعب آل الاخنس(٣)"(٤)، بينه وبين مكة نحو

---

(١) نهج البلاغة: ص ٤٠٦.

(٢) الصنعاني: المصنف: ٥/ ٣٢١. ابن حنبل: المسند: ٦/ ٢٣٢. البخاري: الصحيح: ١/ ٣، ٦/ ٨٨. مسلم: الصحيح: ١/ ٩٧. الحاكم: المستدرك: ٣/ ١٨٣. السيوطي: الديباج: ١/ ١٨٢.

(٣) و (٤) هو الأخنس بن شريق، اسمه أُبي، أصله من ثقيف وهو من بني زهرة، كان ممن يغمز النبي في مكة، ورجع ببني زهرة ولم يشاركوا في بدر بعد أن نجت القافلة، لذا سمي الأخنس، من الطلقاء والمؤلفة قلوبهم، لذا يعد من أكابر المنافقين، نزل فيه قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ سورة البقرة الآيات ٢٠٤ ـ ٢٠٦، وقوله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ سورة الهمزة الآية ١ ـ ٩ ـ قال الأزرقي: (دار الأخنس التي في زقاق العطارين من الدار التي بناها حماد البربري لهارون أمير المؤمنين إلى دار القدر التي للفضل بن الربيع وهذا الربع لهم جاهلي ولآل الأخمس أيضاً الحق الذي بسوق الليل على الحدادين مقابل دار الحوار شراء من بني عامر بن لوي). الازرقي: اخبار مكـة: ٢/ ٢٨٨. وينظر: ابن عبد البر: الدرر ص١٠٥، الطوسـي: التبيـان=

ثلاثة اميال عن يسار الذاهب من مكة إلى منى[١]. ومن خصائص هذا الغار إن المصلي فيه يرى الكعبة وهي في واد بين جبال؛ لأن الغار أعلى من الجبال التي حولها، فكأنه مفصل للعبادة مع استقبال الكعبة ومشاهدتها[٢].

والجوار ـ بالكسر ـ بمعنى المجاورة، وهي الاعتكاف[٣]، ولا فرق بين الجوار والاعتكاف الا من وجه واحد، وهو أن الاعتكاف لا يكون الا داخل المسجد، والجوار قد يكون خارج المسجد، ولذلك لم يسم جواره صلى الله عليه وآله اعتكافا، لأن حراء ليس من المسجد، ولكنه من جبال الحرم[٤].

إن المعتكف في جبل حراء يسمى متحَّنفا، أي عابد على ملة إبراهيم الحنيفية، أي المائلة من الشر إلى الخير وقال بعضهم: "يتحنث" بالثاء، كما في رواية ابن هشام[٥] الذي أشار بوضوح إلى إبدال الفاء بالثاء "التحنث والتحنف، يريدون الحنيفية، فيبدلون الفاء من الثاء". وقد فسر النووي[٦]

=٢/١٧٨، ١٠/٧٩، ٤٠٧، ابن الجوزي: كشف المشكل ٢/٤٠٢، ٤٠٥. ابن الأثير: أسد الغابة ١/ ٥٦. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٨/ ٣٠١، ابن حجر: الإصابة ١/ ١٩٢

(٤) الازرقي: اخبار مكة: ٢/ ٢٨٨.

(١) النووي: شرح صحيح مسلم: ٢/ ١٩٨.

(٢) الكوراني: السيرة النبوية برواية أهل البيت: ص١٦٩.

(٣) الاعتكاف: لغة مأخوذ من عكف: أي الإقبال على الشيء (الفراهيدي: العين: ١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦، الجوهري: الصحاح: ٤/ ١٤٠٦)، وهو من العبادات وفحواه المكوث في المسجد، وعدم الخروج منه إلا لحاجة ضرورية كزيارة مريض أو تشييع جنازة، ويجب أن يكون صائما وأن لا يقل عن ثلاثة أيام.
ينظر: ابن بابويه: فقه الرضا عليه السلام: ص١٩٠، الصدوق: المقنع: ص١٨٠، ٢٠٩، المفيد: المقنعة: ص٣٦٢. ٣٦٢، الشريف المرتضى: الانتصار: ص٢٠٢، رسائل المرتضى: ٣/ ٦٠، أبو الصلاح الحلبي: الكافي في الفقه: ص١٨٦، الرافعي: فتح العزيز: ٦/ ٤٢٠، النووي: روضة الطالبين: ٢/ ٢٥٥، المجموع: ٦/ ٤٧٤، المحقق الحلي: شرائع الإسلام: ١/ ١٥٨ ـ ١٦٢، الأنصاري: فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب: ١/ ٢١٧. السيد السيستاني: منهاج الصالحين: ١/ ٣٤١ وما بعدها. وينظر: الإمام مالك بن انس: الموطأ: ١/ ٣١٢، المدونة الكبرى: ١/ ٢٢٥، السيوطي: تنوير الحوالك: ص٢٩٧، أبو البركات: الشرح الكبير: ١/ ٥٤١، النصرالله: الإمام علي عليه السلام في رحاب البصرة: ص١٥٣.

(٤) السهيلي: الروض الانف: ٢/ ٢٥٦.

(٥) السيرة النبوية: ١/ ١٥٤.

(٦) النووي: شرح صحيح مسلم: ٢/ ١٩٨.

والسيوطي[١] التحنث بالتعبد، وأصل الحنث الاثم، فمعنى يتحنث يتجنب الحنث، فكأنه بعبادته يمنع نفسه من الحنث ومثل يتحنث يتحرج ويتأثم أي يتجنب الحرج والاثم، وقد تبدل الفاء ثاء في كثير من كلامهم.

إذن كان النبي ﷺ يعتكف لعبادة الله في ذلك الغار، محل اعتكاف أجداده، إذ كان جده عبد المطلب أوّل من تحنّث فيه فيتعّبد في الليالي ذوات العدد، فإذا دخل شهر رمضان صعده واطعم المساكين[٢]. يقول ابن حجر[٣]: "وكأنه مما بقي عندهم من أمور الشرع على سنن الاعتكاف... إنما لم ينازعوا النبي ﷺ في غار حراء مع مزيد الفضل فيه على غيره لأن جده عبد المطلب أول من كان يخلو فيه من قريش، وكانوا يعظمونه لجلالته وكبر سنه، فتبعه على ذلك من كان يتأله فكان ﷺ يخلو بمكان جده وسلم له ذلك اعمامه لكرامته عليهم".

وقد أقسم أبو طالب[٤] عليه السلام بالمتعبدين بحراء والزائرين له فقال في لاميته:

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
أعوذ برب الناس من كل ... طاعن علينا بسوء أو ملح بباطل
وثور ومن ارسى ثبيرا مكانه ... وراق ليرقى في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة ... وبالله إنّ الله ليس بغافل

فالخلوة للتعبد هي شأن الصالحين وعباد الله العارفين، وقد حُببت اليه ﷺ الخلوة؛ فمعها فراغ القلب، وهي معينة على التفكر، وبها ينقطع عن مألوف البشر[٥].

---

(١) السيوطي: الديباج: ١/ ١٨٤.
(٢) زيني دحلان: السيرة الدحلانية: ١/ ٢٢.
(٣) فتح الباري: ١٢/ ٣١٢.
(٤) ديوان شيخ الأباطح أبي طالب: ص٢١ ـ ٢٢. وينظر: ابن هشام: السيرة النبوية: ١/ ١٧٦.
(٥) النووي: شرح صحيح مسلم: ٢/ ١٩٨.

ولكن ثمة وقفة هامة للدكتور عبد الجبار ناجي[١] مع إحدى الروايات[٢] ورواتها والتي أشارت إلى أن عادة التحنث في غار حراء إنما كانت عامة وليست عادة خاصة بالنبي صلى الله عليه وآله وبعض الموحدين، بل ان القرشيين الوثنيين كانوا يمارسونها في الجاهلية أيضاً وعلق قائلاً: "هو أمر لا توافقه المعلومات على اعتزاله عن عادات قريش وتقاليدهم ولم يرد ذكر إلى انهم يتحنثون شهريا. ولماذا يتحنثون وهم وثنيون، والتحنث تعني العبادة لله؟ فهل كانوا يمارسونها دينيا أم اجتماعيا أم ماذا؟"[٣].

ولكن بماذا كان النبي صلى الله عليه وآله يتعبّد؟ وعلى أي شريعة؟ لقد اختلف العلماء في ذلك وتعددت آراؤهم: فرأي توقف وآخر قال بتعبده على شريعة من تقدّمه من الأنبياء، وثالث خص عبادته بشريعة أحد الأنبياء: إبراهيم أو نوح أو موسى أو عيسى، ورأي قال بعدم تعبده بشرع أحد[٤].

وقد تعرض العاملي[٥] لهذه المسألة بإيجاز، وخلص إلى القول: "ان مما لاريب فيه أنه صلى الله عليه وآله كان مؤمنا موحدا، يعبد الله ويلتزم بما ثبت له أنه شرع الله تعالى مما هو من دين الحنيفية شريعة إبراهيم عليه السلام، وبما يؤدي إليه عقله الفطري السليم، وانه كان مؤيدا مسددا، وانه كان أفضل الخلق واكملهم خلقا وخُلقا وعقلا، وكان الملك يعلمه ويدله على محاسن الأخلاق.هذا فضلاً عن اننا نجدهم ينقلون عنه صلى الله عليه وآله: انه كان يلتزم بامور لا تعرف الا من قبل الشرع وكان لا يأكل الميتة، ويلتزم بالتسمية والتحميد، إلى غير ذلك مما يجده المتتبع لسيرته صلى الله عليه وآله".

---

(١) نقد الرواية التاريخية: ص ٢٢٨ ـ ٢٤٣.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية: ١/ ١٥٤ ـ ١٧٥. الطبري: تاريخ: ٢/ ٤٨ ـ ٤٩. ابن سيد الناس: عيون الاثر: ١/ ١١٥ ـ ١١٦. ابن كثير: السيرة النبوية: ١/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣.

(٣) عبد الجبار ناجي: نقد الرواية التاريخية: ص ٢٣٩.

(٤) لمزيد من التفصيل انظر: الماوردي: اعلام النبوة: ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٥) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: ٢/ ٩٠.

ويستدرك قائلاً: إن هناك آيات ودلائل تشير إلى أن إبراهيم الخليل عليه السلام ونبينا الأكرم صلى الله عليه وآله، هما اللذان كان لديهما شريعة عالمية وقد بعثا إلى الناس كافة. اما موسى وعيسى عليهما السلام فانما بعثا إلى بني إسرائيل، وربما يمكن القول: بأن جميع الأنبياء عليهم السلام، منذ آدم وإلى النبي الخاتم صلى الله عليه وآله كانوا يعرفون جميع احكام الشريعة، ويعملون بها في انفسهم، وإن كانت دعوتهم للناس لها هذا الشمول والسعة(١).

ويضيف: ان الآيات القرآنية المتعددة قد حرصت على ربط هذه الأمة بإبراهيم عليه السلام فلاحظ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾(٣)، وقال سبحانه ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾(٤)، وقال جل في علاه: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(٦). ثم نجد القرآن يصرح أيضاً إن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله شخصيا كان مأمورا باتباع ملة إبراهيم عليه السلام، فقد قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(٧). وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(٨). وهذا وان كان ظاهره: إنه صلى الله عليه وآله قد أمر بذلك بعد البعثة وبعد نزول الوحي عليه، لكنه يثبت أيضاً: انه لامانع من تعبده صلى الله عليه وآله قبل بعثته بما ثبت له انه من دين

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: ٢/ ٩٠.
(٢) سورة الحج الآية ٧٨.
(٣) سورة النساء الآية ١٢٥.
(٤) سورة آل عمران الآية ٩٥.
(٥) سورة آل عمران الآية ٦٨.
(٦) سورة البقرة الآية ١٣٥.
(٧) سورة النحل الآية ١٢٣.
(٨) سورة الأنعام الآية ١٦١.

الحنيفية، ومن شرع إبراهيم عليه السلام، وليس في ذلك اية غضاضة، ولا يلزم من ذلك ان يكون نبي الله إبراهيم أفضل من نبينا صلى الله عليه وآله، فإن التفاضل إنما هو في ما هو أبعد من ذلك. هذا كله، لو لم نقتنع بالادلة الدالة على نبوته صلى الله عليه وآله منذ صغره[١].

يضاف إلى ذلك إشارة الروايات أعلاه إلى تحنثه وما دلت عليه هذه اللفظة من تعبده بالحنيفية.

واستناداً إلى ذلك تبطل الروايات التي تتنافى مع إيمانه وتسديده الإلهي، مما ينسب اليه صلى الله عليه وآله من مخالفة شرائع الله مما هم به أو فعله قبل البعثة[٢].

وقد دل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على أنه صلى الله عليه وآله قد واظب على تلك الخلوة سنويا، وهذا ما أشارت إليه الرواية أيضاً، ولكنها ذكرت مدة تلك الاقامة في غار حراء، من انها تدوم شهرا كاملا[٣]. بل خصت بعض الروايات انها في الليالي ذوات العدد[٤]. وأشارت روايات أخرى إلى أن اللقاء بالوحي إنما كان أثناء تعبّده في غار حراء في شهر رمضان تحديدا[٥]. فهل انتخب النبي صلى الله عليه وآله شهر رمضان لخلوته جريا على عادة جدّه عبد المطلب؟.

ومن الغريب أن نجد في بعض الروايات يشير إلى انه صلى الله عليه وآله إنما لجأ إلى غار حراء فارّا من مشركي مكة بعد أن آذوه، والاغرب من ذلك ربط توقيت ذلك بنزول الوحي، أي على أثره كان لقاؤه بالوحي. كما في رواية مقاتل حين

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: ٢/ ٩١ ـ ٩٢.
(٢) لمزيد من التفاصيل يراجع: العاملي: الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: ٢/ ٩٤ ـ ٩٨.
(٣) ابن هشام: السيرة النبوية: ١/ ١٥٤. ابن سيد الناس: عيون الاثر: ١/ ١١٥. ابن كثير: السيرة النبوية: ١/ ٤٠٢.
(٤) الصنعاني: المصنف: ٥/ ٣٢٢. ابن راهويه: المسند: ٢/ ٣١٥. ابن حنبل: المسند: ٦/ ٢٣٣. البخاري: الصحيح: ١/ ٣، ٦/ ٨٨، ٨/ ٦٧. الطبري: تاريخ: ٢/ ٤٧. ابن الأثير: الكامل: ٢/ ٤٨. الذهبي: تاريخ الإسلام: ١/ ١١٧.
(٥) الطبري: تاريخ: ٢/ ٤٨. الذهبي: تاريخ الإسلام: ١/ ١٣١. المقريزي: امتاع الأسماع: ٣/ ٢٤.

تعرّض لتفسير آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[١]، إذ قال فيها: يعني النبي "وذلك أن كفّار مكة آذوه، فانطلق إلى جبل حراء ليتوارى منهم، فبينما هو يمشي إذ سمع مناديا يا محمد.." وساق تفاصيل مضطربة واهية حول لقاء الوحي بالنبي ﷺ الذي تبين منه أنه أول نزول عليه ﷺ[٢]. وكذا في إشارة الازرقي[٣] في تعريفه لجبل حراء نجده يقول: "وقد كان رسول الله ﷺ اتاه وأختبأ[٤] فيه من المشركين من أهل مكة في غار حراء".

ولكن لماذا يختبئ النبي ﷺ قبل بعثته؟ وكيف؟ ولماذا يؤذيه مشركو مكة؟ هل أعلن دعوته ليعارضوه؟ وكيف يسبق ذلك لقاءه بالوحي وتكليفه بالرسالة والتبليغ إنما جاء على اثره!؟ إن هذا من شطط القول الذي وقع فيه هؤلاء.

وهل يمكن أن تبيَّن إشارة الازرقي بحدوث ذلك الاختباء بعد البعثة الشريفة؟ إذ هناك من الروايات ما دل على استخفاء النبي ﷺ وأصحابه لاداء صلاتهم بعيداً عن عيون المشركين في شعاب مكة وأوديتها[٥]. أو إن الازرقي خلط بين أحداث البعثة والهجرة واختباء النبي ﷺ في غار ثور أثناء هجرته من مكة إلى المدينة[٦].

وتأتي رواية شاذة لتتعارض مع تواتر الروايات وصريح مقولة الإمام السابقة على أان تعبّده في غار حراء إنما كان من عاداته السنوية، فتشير هذه الرواية إلى أن ذهابه إلى غار حراء إنما كان على وفق نذر نذره هو والسيدة خديجة عليها السلام إذ جاء فيها: "إن رسول الله ﷺ نذر ان يعتكف شهرا هو وخديجة عليها السلام بحراء، فوافق ذلك شهر رمضان فخرج النبي ﷺ ذات ليلة

---

(١) سورة المدثر الآية ١.
(٢) تفسير مقاتل: ٣/ ٤١٣.
(٣) اخبار مكة: ٢/ ٢٨٨.
(٤) في الأصل: واختبئ. والتصحيح من المقوم اللغوي.
(٥) الكوفي: الالمناقب: ١/ ٤٢. الكراكجي: كنز الفوائد: ص١٢٥.
(٦) ابن سعد: الطبقات: ١/ ٢٢٨. الطوسي: الأمالي: ص ٤٤٧. ابن كثير: البداية البداية: ٦/ ٢٠٤.

فسمع..."[١]. ثم ساق حديثا يدلل على انه في أثناء ذلك تم تنزيل الوحي عليه صلى الله عليه وآله ولم تخلو نفاصيل الرواية من الدس والوضع والاضطراب وما جاء فيها خير دليل على وضعها.

نعود هنا للمقطع الذي تحدّث فيه أمير المؤمنين عليه السلام عن هذا المفصل الهام من حياة النبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة الشريفة، إذ يشير إلى اختصاصه عليه السلام برفقة النبي صلى الله عليه وآله في اعتكافه في ذلك الغار فيقول: "**فَأَرَاه ولَا يَرَاه غَيْرِي**"[٢]. وجاء ما يعضد ذلك في الروايات وفي كلام أمير المؤمنين نفسه في ذات الخطبة[٣].

وقد أشار أبو جعفر الاسكافي[٤] ان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد صحب النبي صلى الله عليه وآله في خلوته "حيث لا يجد انسا غيره ليله ونهاره، أيام مقامه بمكة يعبد الله معه سرا، ويتكلف له الحاجة جهرا، ويخدمه كالعبد يخدم مولاه، ويشفق عليه ويحوطه، وكالولد يبر والده ويعطف عليه". فقد كان عليه السلام يرى النبي صلى الله عليه وآله يتعبد ويحتجب فلا يراه أحد الا علي عليه السلام عندما يأتي له بالزاد وقد يعتكف معه[٥].

ولكن هل هذا يتوافق مع رواية التاريخ في هذه المسألة، أي هل كان النبي صلى الله عليه وآله وحده؟ أم بمعية أحد؟ إن تتبع الروايات يدلنا على وجود عدة آراء:

١ ـ رأي يشير إلى أنه كان وحده ولم يرافقه أحد، كما أوحت بذلك رواية

---

(١) المقريزي: امتاع الأسماع: ٣/ ١٩.

(٢) نهج البلاغة: ص ٤٠٦.

(٣) حين تحدث قائلاً: "وقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ، بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ والْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِه وأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِه، ويَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِه ويُمِسُّنِي جَسَدَه، ويُشِمُّنِي عَرْفَه، وكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيه، ومَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ولَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ، ولَقَدْ قَرَنَ اللَّه بِه ـ صلى الله عليه وآله ـ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِه، يَسْلُكُ بِه طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَه ونَهَارَه، ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِه عَلَماً، ويَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِه" نهج البلاغة: ص٤٠٥ ـ ٤٠٦، .

(٤) نقض العثمانية: ص ٣١٠. وينظر ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٢٥٣.

(٥) الكوراني: السيرة النبوية برواية أهل البيت عليهم السلام: ص ١٧٠ ـ ١٧١.

الصنعاني والبخاري[١]، إذ يقول: "فكان يأتي حراء، فيتحنّث فيه ـ وهو التعبد في الليالي ذوات العدد ـ ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فينزود لمثلها".

٢ ـ رأي يشير إلى أن السيدة خديجة عليها السلام كانت برفقته كما في رواية المقريزي[٢] التي اتضح لنا أنها رواية شاذة.

٣ ـ رأي يشير بوجود "أهله معه" كما أشار إلى ذلك ابن إسحاق[٣] ولم يعرف لنا من هو داخل ضمن اطار الاهل وكان بمعيته ﷺ. ومنهم من يضيف: "ومعه أهله خديجة وعلي بن أبي طالب وخادم"[٤].

وفي رواية لابن دريد[٥] عن لقاء النبي بزيد بن عمرو بن نفيل أن: "النبي عليه السلام قبل الوحي قد حبّب إليه الانفراد، فكان يخلو في شعاب مكة، قال: فرأيت زيد بن عمرو بن نفيل في بعض المشاعب وكان قد تفرّد أيضاً، فجلست إليه وقرّبت إليه طعاما فيه لحم، فقال له: يا ابن أخي لا آكل من هذه الذبائح".

١ ـ يبدو من الرواية أن زيد بن عمرو قد التقى بالنبي ﷺ في مدّة تعبده في غار حراء، وإن كانت أشارت إلى عموم المكان ـ شعاب مكة ـ لكن حتما أن القصد لا يخرج عن محيط هذه الفكرة. فهل كان زيد قاصدا التعبد والانفراد أيضاً كما اوحت بذلك عدد من الروايات التي أشارت إلى أذيّة عمّه الخطّاب[٦] ومشركي قريش له حتى اضطروه إلى الصعود إلى غار حراء، وكان

(١) على التوالي: المصنف: ٥/ ٣٢١ ـ ٣٢٢. الصحيح: ٨/ ٦٧.
(٢) امتاع الاسماع: ٣/ ١٩.
(٣) السير والمغازي: ص ١٢١.
(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٢٠٨، المازندراني: شرح أصول الكافي: ٦/ ٣٧٥، المجلسي: البحار: ١٥/ ٣٦٣.
(٥) الاشتقاق ص١٣٤.
(٦) هو الخطاب بن نفيل بن عبد العزى العدوي، وأمه صهاك وهو والد عمر. البكري: من حياة الخليفة عمر بن الخطاب: ص١٣.

اشبه ما يكون تحت الاقامة الجبرية، إذ وضع عليه الحراس لتتبع حركاته[١].

ولو تساءلنا عن سرّ هذا الموقف المتشدد معه فإن الروايات تجيبنا أنه كان على دين إبراهيم، وأنه أول من عاب على قريش عبادتهم الأصنام[٢]، ولكن لم نعهد من قريش مثل هذا الموقف مع من تألّه، وكان يتعبّد بشريعة إبراهيم عليه السلام، فهذا عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وآله كان محل اجلال وتعظيم بين قومه على الرغم من اتباعه دين إبراهيم عليه السلام، فلم نعهد منهم أي موقف سلبي تجاهه بسبب عقيدته، بل إنهم لم يعترضوا على ديانته! وإن كان موقفهم لأجل ذلك لكان عبد المطلب أولى من زيد بهذا العداء لأنه مما يخاف أن يؤثّر في غيره فيما لو صحّ نسبة الروايات من أنّ القوم قد خافوا من أن يتبع أحد زيدا هذا فيفسد عليهم قومهم.

أما كونه أول من عاب على قريش عبادتهم الأصنام، فهو مما لا نجد له صدى ظاهراً واضحاً في التاريخ الا في هذه الرواية الشاذة التي حاول رواتها مثل باقي الروايات المتعلقة بسيرة هذا الرجل أن يضفي عليه هالة من التقديس وتنسب إليه ادوار ليس هو باهل لها.

٢ ـ إن المتتبع لتلك الروايات التي تناولت جوانب من حياة زيد بن عمرو بن نفيل ليلحظ دون أدنى جهد ـ أن الأدوار التي نسبت إليه ما هي الا ادوار وفضائل غيره ألصقت به، ليتبين سبقه أو اشتراكه فيها مع من سلبوها منهم، ويمكن التركيز ـ حسبما تدلنا المشتركات في تلك الأدوار والفضائل ـ على شخصيتين: الأولى شخصية عبد المطلب عليه السلام والثانية: شخصية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

وسوف نستعرض بإيجاز محاور تلك الشراكة في الادوار، تاركين الحكم والتأمل للقارئ الكريم:

---

(١) الحلبي: السيرة الحلبية: ١/ ٢٠٢.

(٢) الحلبي: السيرة الحلبية: ١/ ٢٠٢.

أولاً: فيما يخص شخصية عبد المطلب عليه السلام وما سلب منه ونسب إلى زيد أو ما اشركوه معه فيه: ... أن زيداً كان على دين إبراهيم عليه السلام بل إنه يدعي انه ليس على هذا الدين غيره[١]، واعتزل الأوثان والذبائح التي تذبح لها، ونهى عن وأد البنات، وكان يحيي المؤودة، وأن النبي صلى الله عليه وآله قال في حقه: "انه يبعث امة لوحده"[٢]. وروي أنه كان يصلي مستقبلا الكعبة إذا زالت الشمس، ويسجد سجدتين، وأنه لم يستقسم بالازلام، وكان يحجّ فيقف بعرفة ويلبِّي.

أليست هذه من مزايا عبد المطلب وادواره التي استفاضت بها الروايات؟! وكيف يدعي انه ليس على دين إبراهيم أحد غيره؟ فاين عبد المطلب واين أبو طالب؟ وقد شهدت لهم الشواهد الكثيرة على كونهم على دين ابيهم إبراهيم عليه السلام. روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: "والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنما قط! قيل: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به"[٣].

اما قول النبي صلى الله عليه وآله: "انه يبعث أمة[٤] وحده يوم القيامة"، إنما قالها في حقٍّ جده عبد المطلب عليه السلام[٥]، وهنا ينسب إلى زيد وفي رواية إلى ابنه سعيد بن زيد[٦] وفي رواية إلى قس بن ساعدة[٧] وفي أخرى إلى سلمان[٨] ولكن لا ندري كم فرداً سيبعث امة في يوم القيامة!

---

(١) الأصبهاني: دلائل النبوة: ٢/ ٦٩٩.

(٢) ابن دريد: الاشتقاق: ص١٣٤، النووي: المجموع: ١٥/ ٢٠٦، المتقي الهندي: كنز العمال: ١٢/ ٧٧.

(٣) الصدوق: كمال الدين: ص ١٧٤. الراوندي: الخرائج: ٣/ ١٠٧٥. المجلسي: البحار: ١٥/ ١٤٤.

(٤) الامة: الشخص المنفرد بدين، أي يقوم مقام جماعة. الصالحي الشامي: سبل الهدى: ٢/ ١٨٥.

(٥) الكليني: الكافي: ١/ ٧٧٤. الشامي: الدر النظيم: ص ٤٠، ٧٩٧. المجلسي الأول: روضة المتقين: ١٢/ ٢١٦. الكاشاني: الوافي: ٣/ ٦٩٤ ـ ٦٩٥. المجلسي: مرآة العقول: ٥/ ٢٣٧.

(٦) الدميري: حياة الحيوان: ٢/ ١١.

(٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان: ١/ ٨، الصالحي الشامي: سبل الهدى: ١/ ٢٥٥، الزبيدي: تاج العروس: ٨/ ٤١٥.

(٨) البلاذري: انساب الاشراف: ١/ ٤٨٨.

ثانياً: اما فيما يخص مشتركاته مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بل وتفوقه أحياناً عليه صلى الله عليه وآله في بعض الامور التعبدية فإن منها ما يأتي:

نسب إلى زيد أنه "أول من عاب على قريش ما هم عليه من عبادة الأوثان"(١)، بل إنه كان يوبخ قريش على هذا الاشراك والمعلوم بدليل القرآن ان النبي صلى الله عليه وآله أول من فعل ذلك علانية وبامر صريح من الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢)، وان ذلك كان سبب التصادم مع اسياد مكة من المشركين، فقد تعرض لآلهتهم حتى انهم حاولوا بطرق شتى ان يساوموه بالا يتعرض لذلك دون جدوى فاتخذوا موقفا عدائيا متشددا كما هو معروف بنص القرآن وروايات التاريخ مما لا شك فيه ولا ريب.

والغريب ان هذا الموقف قد اتخذ نفسه من زيد بن عمرو حين تعرض لآلهة قريش، آذوه اشد الأذى، والاغرب ان اشدهم عداءً لزيد كان عمه الخطاب، كما إن عم النبي صلى الله عليه وآله أبا لهب الاشد عداءً له؟!!

ومثلما اشتدت رقابتهم على النبي محمد صلى الله عليه وآله رصدوا له من يراقبه، حتى اضطروه صلى الله عليه وآله للهجرة وترك موطنه، كذلك جرى الحال مع زيد، فاضطروا زيدا للخروج والجأوه إلى التخّفي في غار حراء وكأنه وضع تحت الاقامة الجبرية، فالعزلة كما كانت ظاهرة واضحة في حياة النبي محمد صلى الله عليه وآله كذلك حال زيد أيضاً فهو الآخر اعتزل قومه، لكن الفارق أن النبي كان باختياره أول الامر، اما زيد فقد اضطروه إليها اضطرارا، بل الادهى من ذلك ـ وكما دلت الرواية في صدر البحث ـ أن زيدا هذا قد جانب أكل ما ذبح لغير الله فيما كان النبي صلى الله عليه وآله يتناوله دون حذر. بل إن بعضهم ليقول: إن النبي قد تأثر بزيد وقد أخذ عنه(٣).

---

(١) ابن حبيب: المحبر: ١٧٠ ـ ١٧١.

(٢) سورة الحجر الآية ٩٤.

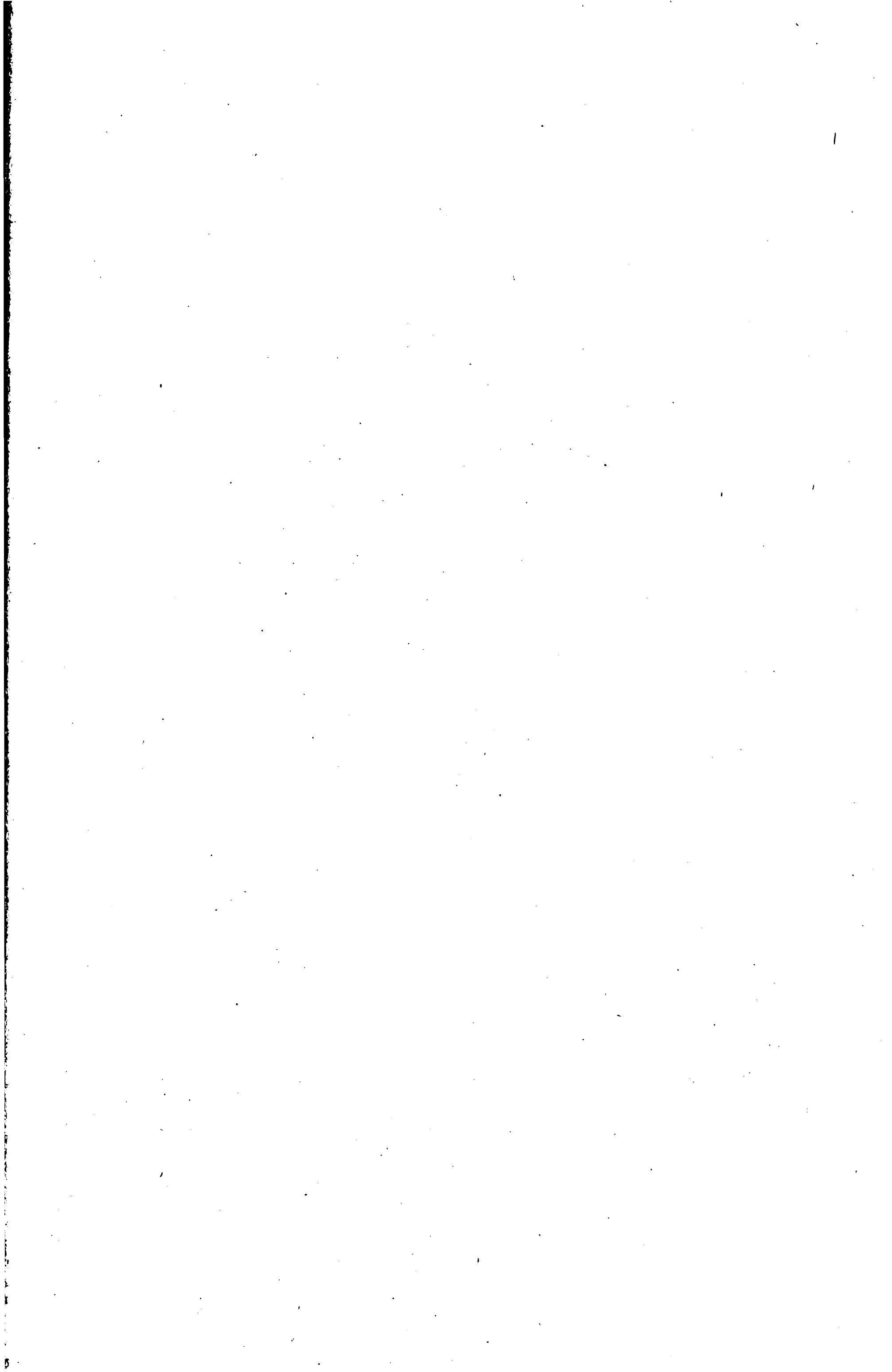
(٣) ابن دريد: الاشتقاق ص١٣٤. ابن حنبل: المسند: ١/ ١٨٩، البخاري: الصحيح: ٤/ ٢٣٢، ٦/ ٢٢٥.

ويمكن القول: إن هذه الامور التي نسبت إلى هذا الرجل قد جعلته في مقام يؤهّله للنبوة باستحقاق أكثر من نبينا محمد ﷺ، فإن زيداً قد تحمل في سبيل التوحيد والثبات على المبدأ الكثير مما ادلت به تلك الروايات التي كأنما وضعت لتقول: إن هناك من قاسى وعانى في سبيل الله، كما قاسى وعانى النبي الأعظم ﷺ، فأي فضل له بعد ذلك سوى أن الاختيار الإلهي قد وقع عليه ليكون نبياً دون زيدٍ؟.

هذا غيض من فيض مما روي وألصق بسيرة هذا الرجل من روايات تبدو سيماء الصنعة واضحة فيها، وأنها تستحق وقفة من الباحثين للتحقق منها. بل إن قضية الاحناف والمتألهين وشخصياتهم بحاجة إلى دراسة مستفيضة لبيان الصحيح من المختلق[١].



(١) لمزيد من التفاصيل عن سيرة زيد بن عمرو بن نفيل يراجع: جواد علي: المفصل: ٦/ ٣٦٧ ـ ٣٧٢.



المبحث الثاني

البعثة النبوية

قال أمير المؤمنين عليه السلام: "ولَقَدْ قَرَنَ اللَّه بِه - صلى الله عليه وآله - مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِه، يَسْلُكُ بِه طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَه ونَهَارَه، ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِه عَلَماً، ويَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِه، ولَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ، فَأَرَاه ولَا يَرَاه غَيْرِي، ولَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلامِ، غَيْرَ رَسُولِ اللَّه - صلى الله عليه وآله - وخَدِيجَةَ وأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ وأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ"[1].

يدلّ كلام الإمام عليه السلام على أنه صلى الله عليه وآله كان نبيّا منذ ولادته، بل قبل خلق الخلق كما يوافقه قوله صلى الله عليه وآله لما سئل متى استنبئت؟ فأجاب: "بين خلق آدم ونفخ الروح فيه"[2]. وفي هذه الإشارة ما يعضد هذا، إذ إن العناية الإلهية تكفّلته فأوكلت به ملكا عظيماً يسدده ويحفظه. فهنا الإمام عليه السلام يشير إلى أن علاقة النبي صلى الله عليه وآله بالملائكة بدأت منذ طفولته وأنه قد ألف الأجواء الملائكيّة، وأنها لم تكن غريبة عليه.

---

(١) نهج البلاغة: ص ٤٠٦.

(٢) ابن إسحاق: السير والمغازي: ص ١٤٣، ابن حبان: الثقات: ١/ ٤٧، الحاكم: المستدرك: ٢/ ٦٠٩، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ٣/ ٢٨٣، ٥/ ٢٨٨. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٢٦/ ٣٨٢، ٤٥/ ٤٨٨، ٦٣/ ١٤٢. ابن كثير: البداية والنهاية: ٢/ ٣٧٥. المتقي الهندي: كنز العمال: ١١/ ٤٥٠، ١٢/ ٤٢٦، السيوطي: الدر المنثور: ٥/ ١٨٤.

إن هاتين الإشارتين تشكلان رؤية مغايرة لما ألفته المرويات التاريخية التي تناولت هذا الجانب في صورة مضطربة الأبعاد لا تستند إلى ركن قويم وهذا ما يتطلب الوقوف على أبرز معالمها بإيجاز لاستبيان موضع الخلاف بين الرؤيتين:

بدءاً ولكي تتضح لنا الصورة التي رسمتها المصادر التاريخية في رواياتها عن مفهوم لقائه بالنبي ﷺ أين ومتى كان؟ وكل ما يدور في فلكه من أحداث، لابد لنا من التوقف قليلاً عند ملامح تلك الصورة كما تبرزها رؤية المؤرخين وذلك سيكون على وفق استعراض موجز يتمحور في بضعة نقاط:

أولاً: متى استنبأ النبي ﷺ؟ في الحقيقة هناك عدة آراء حول هذه القضية يمكن تلخيصها بالآتي:

الرأي الأول: يرى أن النبي ﷺ كان نبياً منذ خلق الله الخلق بل قبل الخلق، إذ روي عنه ﷺ لما سئل عن ذلك قال: "وآدم بين الروح والجسد"[(١)]، وفي رواية عنه ﷺ: "بين خلق آدم ونفخ الروح فيه"[(٢)].

الرأي الثاني: يختزل مجموعة من الروايات ـ تبدو أنها متواترة[(٣)] ـ تدفع بمسألة النبوة إلى وقت متأخر من عمر النبي ﷺ، إذ أصبح نبياً بعد بلوغه سن الأربعين، وسنقف على أبعاد هذه الرؤية التي صرحت بها الروايات لفظاً

---

(١) ابن أبي شيبة: المصنف: ٨/ ٤٣٨. ابن حنبل: المسند: ٤/ ٦٦. الترمذي: السنن: ٥/ ٢٤٥. ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني: ٥/ ٣٤٧، الطبراني: المعجم الأوسط: ٤/ ٢٧٢، المعجم الكبير: ١٢/ ٧٣، ٢٠/ ٣٥٣. الحاكم: المستدرك: ٢/ ٦٠٩. الطبرسي: الاحتجاج: ٢/ ٢٤٨. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٨/ ٢٢٣.

(٢) ابن إسحاق: السير والمغازي: ص ١٤٣. ابن حبان: الثقات: ١/ ٤٧. الحاكم: المستدرك: ٢/ ٦٠٩. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ٣/ ٢٨٣، ٥/ ٢٨٨. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٢٦/ ٣٨٢، ٤٥/ ٤٨٨، ٦٣/ ١٤٢. ابن كثير: البداية والنهاية: ٢/ ٣٧٥، المتقي الهندي: كنز العمال: ١١/ ٤٥٠، ١٢/ ٤٢٦. السيوطي: الدر المنثور: ٥/ ١٨٤.

(٣) التواتر: التتابع. اصطلاحا: أن ينقل الخبر جماعة كثيرة يمتنع اتفاقهم على الكذب. فتح الله: معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ص١٢٨. عبد المنعم: معجم المصطلحات: ص٢١١.

ومعنى، علما بأنها قد اضطربت فيما بينها اضطرابا شديدا في كل جزئية من جزئياتها، حتى غدا التناقض سمتها البارزة، ويمكن إيجاز هذه الأبعاد عبر:

أولاً: مقدمات نبوّته ﷺ:

اختلفت الروايات في تحديد أولى مقدمات نبوته ﷺ ويمكن بلورة هذه المقدمات بما يأتي:

أ ـ الرؤيا الصادقة: فأول ما بدأ به من النبوة الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[١]. لكن اختلفوا فيها، هل كانت قبل انقطاعه إلى الخلوة بحراء أم بعدها؟ إذ روي أنه حبب إليه الخلوة بعد الرؤيا[٢]، فيما ذهب آخرون "إن الرؤيا جاءته بعد خلوته لأنه خلا على غفلة من أمره"[٣].

ب ـ حبب إليه الخلوة وحده، فاختار غار حراء ليتحنّث فيه[٤].

ت ـ إن من علامات نبوته، سماعه الصوت، ورؤيته الضوء، وتسليم الشجر والحجر عليه[٥].

---

(١) ابن حنبل: المسند: ٦/ ١٥٣. البخاري: الصحيح: ١/ ٣، ٦/ ٨٧ ـ ٨٨، ٨/ ٦٧. مسلم: الصحيح: ١/ ٩٧، ابن حبان: الصحيح: ١/ ٢١٦. الطبراني: الأوائل: ص٤٢، الحاكم: المستدرك: ٣/ ١٨٣. البيهقي: السنن الكبرى: ٩/ ٦. ابن عبد البر: الاستذكار: ٢/ ٤٩٠.

(٢) الصنعاني: المصنف: ٥/ ٣٢١. ابن حنبل: المسند: ٦/ ٢٣٢. البخاري: الصحيح: ١/ ٣، ٦/ ٨٨. مسلم: الصحيح: ١/ ٩٧. الحاكم: المستدرك: ٣/ ١٨٣. السيوطي: الديباج: ١/ ١٨٢.

(٣) الطيالسي: المسند: ص ٢٠٧. الصنعاني: المصنف: ٥/ ٣٢٢. ابن سعد: الطبقات: ١/ ١٩٤. ابن حنبل: المسند: ٦/ ٢٣٣. البخاري: الصحيح: ١/ ٣، ٨/ ٦٧. مسلم: الصحيح: ١/ ٩٧. ابن حبان: الصحيح: ١/ ٢١٧. الحاكم: المستدرك: ٣/ ١٨٣. البيهقي: السنن الكبرى: ٩/ ٦، ابن عبد البر: الدرر: ص٣٢. الشوكاني: فتح القدير: ٥/ ٤٦٧.

(٤) الصنعاني: المصنف: ٥/ ٣٢١. ابن حنبل: المسند: ٦/ ٢٣٢. البخاري: الصحيح: ١/ ٣، ٦/ ٨٨. مسلم: الصحيح: ١/ ٩٧. الحاكم: المستدرك: ٣/ ١٨٣. السيوطي: الديباج: ١/ ١٨٢.

(٥) مسلم: الصحيح: ص٨٩. البيهقي: السنن الكبرى: ٦/ ٢٠٧. المقريزي: إمتاع الأسماع: ١٤/ ٥٤٧. العيني: عمدة القارئ: ١/ ٤٠. السيوطي: الديباج: ٥/ ٣٣٨. الصالحي الشامي: سبل الهدى: ١١/ ٤٦١.

ث ـ تطهيره من شوائب الشر بعملية شق صدره، إذ سئل: كيف علمت بأنك نبي أول ما علمت حتى علمت ذلك واستيقنته؟ فقال: "أتاني ملكان، وأنا ببعض بطحاء مكة، فوقع أحدهما في الأرض والآخر بين السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: هو هو، قال: فزنه برجل، فوزنت برجل فرجحته، ثم قال: زنه بعشرة، فوزنني بعشرة، فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائة، فوزنني بمائة، فرجحتهم، فجعلوا ينتشرون علي من كفة الميزان، قال: فقال أحدهما للآخر: لو وزنته بأمته لرجحها. ثم قال أحدهما لصاحبه: شق بطنه، فشق بطني، ثم قال احدهما: أخرج قلبه، أو قال: شق قلبه، فشق قلبي، فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق دم، فطرحها، ثم قال أحدهما للآخر: أغسل بطنه غسل الإناء، واغسل قلبه غسل الإناء ـ أو اغسل قلبه غسل الملاءة ـ ثم دعا بالسكينة، كأنها وجه هرة بيضاء، فأدخلت قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: خط بطنه، فخاط بطني، وجعلا الخاتم بين كتفي، فما هو إلا أن وليا عني فكأنما أعاين الأمر معاينة"[1].

ج ـ البشرى بالنبوة من ملك قرنه الله به ليتأهّب للوحي.

ونأتي الآن لمناقشة هذه الفقرات تباعا:

أولا: مرّ بنا أن الرؤيا المنامية هي من صور الإيحاء الإلهي، ومما لا إشكال فيه أن يكون قد خُصّ النبي صلى الله عليه وآله بهذه الصيغة من الإيحاء، كما حدث مع نبي الله إبراهيم عليه السلام، وإن كنا لا نجد في المرويات مصاديق موثوقة لذلك، إذ لم يحدثنا النبي صلى الله عليه وآله عن مهام أوكلها الله تعالى إليه عن طريق وحي أتاه في المنام، ولكن مع ذلك فلا إشكال في تبني هذا الأمروقبوله، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن رؤيا النبي صلى الله عليه وآله ـ حتما ـ تكون صادقة فهو نبي الله، ومن

---

(١) الطبري: تاريخ: ٢/ ٥٢. وينظر: ابن أبي الدنيا: كتاب الهواتف: ص١٩. الأصبهاني: دلائل النبوة: ١/ ٢٥٠. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣/ ٤٦١. ابن كثير: البداية والنهاية: ٢/ ٣٣٧. المقريزي: إمتاع الأسماع: ١/ ٢٠. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٨/ ٢٥٥.

دلالات صدق رؤياه في القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾[2].

لكن الإشكال يقع حينما يقال: إن هذه الرؤيا التي وصفت بالصادقة أو الصالحة إنما جاءت تمهيدا للنبوة أو تنبيها للنبي ﷺ ليتقبل نبوته، وكأنه لم يكن يعلم بنبوته، فيقول احدهم وهو يجعل الرؤيا الصادقة أول مدارج النبوة حتى علم ﷺ بأنه نبي مبعوث ورسول مبلغ: "الرؤيا الصادقة في منامه بما سيؤول إليه أمره، فكان ذلك إنكارا بها ليروّض لها نفسه، ويختبر فيها حواسه، فيقوم بها إذا بعث، وهو عليها قوي، وبها ملي"[3]. وقال آخر: "تأنيسا له عليه السلام، لئلا يفاجئه الأمر مشاهدة ومشافهة، فلا تحتمله لأول حالة بنيته البشرية"[4].

بل إن هذه المسألة أخذت حيزا أكثر مما يستوجب، فتعدت مقام التهيئة والتنبيه إلى أن يكون لقاؤه مع الوحي عبر الرؤيا، فتكون بذلك الصورة الأولى للوحي التي نبئ بها النبي ﷺ عن طريق الرؤيا. والملاحظ أنه بدلا من أن تأخذ الرؤيا ـ حسب زعمهم أعلاه ـ مهمة التهيئة للنبوة، فإنها جعلته ﷺ شاكا مرتابا، واتهم نفسه باتهامات وظنون غير لائقة كما أدلت بذلك بعض الروايات، مما غدت هذه الرؤى والمنامات من موارد الطعن في نبوته ﷺ وثغرة ينفذ منها الخصوم لضرب الإسلام ونبيه العظيم.

---

(١) سورة الإسراء الآية ٦٠.

(٢) سورة الفتح الآية ٢٧.

(٣) الماوردي: أعلام النبوة: ص ٢٣٥.

(٤) القاضي عياض: الشفا: ٢/١٠١. المقريزي: إمتاع الأسماع: ١١/١٩٦.

ثانياً: أما قضية تحّنثه في غار حراء، وانعزاله للتعبد، فقد توضح لنا في محله في المبحث الأول من هذا الفصل.

ثالثاً: إن من علامات نبوته أنه صلى الله عليه وآله كان يرى الضوء، ويسمع الصوت، وأن الشجر والحجر كانا يسلّمان عليه، وهذا مما لا إشكال فيه، إلا أنه اختلف في توقيت ذلك: هل كان سابقاً للبعثة؟ كما أشار إلى ذلك جمع من الروايات، منها ما نسب إليه صلى الله عليه وآله من أنه قال: "إني لا أعرف حجرا كان يسلِّم علي قبل أن أبعث"[(١)]، ورواية عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ الذي لازمه منذ صغره ـ إذ يقول: "كنت مع النبي صلى الله عليه وآله بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله"[(٢)]. وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: "لقد رأيتني أدخل معه يعني النبي صلى الله عليه وآله الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله وأنا اسمعه"[(٣)].

أما سماعه الصوت ورؤيته الضوء فقد روي عن ابن عباس أنه: "مكث النبي صلى الله عليه وآله بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت، ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا"[(٤)].

ففي الروايات أعلاه دلالة على أن ذلك كان يحدث معه قبل بعثته الشريفة. لكن نجد أن الروايات نفسها استبدلت بعض من ألفاظها لتعطي بعدا آخر، وهو

---

(١) ابن أبي شيبة: المصنف: ٧/ ٢٥٤. ابن حنبل: المسند: ٥/ ٨٩، ٩٥. الدارمي: سنن الدارمي: ١/ ١٢. مسلم: الصحيح: ٧/ ٥٨ ـ ٥٩. الطبراني: المعجم الأوسط: ٢/ ٢٩١. الطوسي: الأمالي: ص٣٤١. الراوندي: الخرائج: ٢/ ٤٩٤. الأصبهاني: دلائل النبوة: ٢/ ٤٢٧. الزرندي: نظم درر السمطين: ص٧٦. السيوطي: الجامع الصغير: ١/ ٤٠٤. المتقي الهندي: كنز العمال: ١١/ ٤٢٦.

(٢) الترمذي: السنن: ٥/ ٢٥٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/ ١٤٨، ٣٠٦. الصالحي الشامي: سبل الهدى: ٩/ ٥٠٩.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/ ٢٣. وينظر: الكراكجي: كنز الفوائد: ص١٢٥. الطبرسي: أعلام الورى: ١/ ١٠٤. المقريزي: إمتاع الأسماع: ٢/ ٣٩٠.

(٤) القاضي عياض: الشفا: ٢/ ١١٠.

أنه ﷺ إنما حدث معه ذلك بعد بعثته الشريفة، إذ روي عنه ﷺ أنه قال: "كان يسلم علي ليالي بعثت"[١]. وفي رواية: "حين بعثت"[٢].

رابعاً: شق صدره الشريف ﷺ: إن من أغرب ما قصه الرواة في علامات نبوته هو حادثة شق صدر النبي ﷺ واستخراج الدنس والشرك ومغمز الشيطان أو غيره[٣]، تحت مسمى التطهير من الأدناس "ليصفو فيصفى، ويخلص فيستخلص"[٤].

وغير خاف على القارئ أن مجريات أحداث رواية شق الصدر تستلزم الوقوف عندها والتأمل فيها، إذ لا يمكن لمن كان له لب سليم أن يتجاهل سذاجة ما روي فيها، أو يسلم بما حبكته مخيلة راويها، ويمكن إجمال الملاحظات عليها بالآتي:

١ ـ عجباً لقلب المصطفى لكرائم رسالات ربه، والمجتبى من خلائقه، أن يكون فيه مغمزٌ للشيطان، أو علقة كما يبرر بعضهم وجودها بالقول: "إن الله تعالى خلق في قلوب البشر علقة قابلة لما يلقيه الشيطان فيها، فأزيلت هذه العلقة من قلب رسول الله ﷺ، فلم يبق فيه مكان قابل لأن يلقي فيه الشيطان شيئاً"[٥]، مما يتطلب تطهيره بهكذا عملية جراحية؟! أليس الله قد تكفل اصطفاءه من خيار خلقه الذين انتجبهم لرسالاته، وهم الأنبياء الذين وصفهم بقوله ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾[٦]، إذ طهرهم من الارجاس والأدناس

---

(١) الطيالسي: المسند: ص١٠٦. ابن حنبل: المسند: ٥/ ١٠٥. الترمذي: السنن: ٥/ ٢٥٣. أبو يعلى: مسند أبو يعلى: ١٣/ ٤٥٩. الطبراني: المعجم الكبير: ٢/ ٢٣١. ابن عبد البر: الدرر: ص٣٠. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤/ ٣٦١. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/ ٢٣.

(٢) الكوفي: المناقب: ١/ ٣٦. الطبراني: المعجم الكبير: ٢/ ٢٣٨. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤/ ٣٦١.

(٣) لمزيد من الدراسة والتحليل عن روايات حادثة شق صدر النبي ﷺ، ينظر: النصرالله: نشأة النبي ﷺ في ديار بني سعد: ص١٣ ـ ٢٣.

(٤) الماوردي: أعلام النبوة: ص ٢٣٦.

(٥) المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ٣٨.

(٦) سورة ص الآية ٤٧.

من أجل حمل رسالته[١]، ثم لِمَ لمْ يخلقه الله طاهرا منها؟ فما الحكمة من وجودها؟ وهل مصدر الشر في ذات الإنسان شبيها بالغدة المترشحة في الجسم بحيث؛ إذ لو استأصلت انقطعت المترشحات؟

وليتأمل القارئ في ادّعاء تلك الرواية، وكيف أن هذين الملكين لم يكونا عارفين لمن أُرسلا فيسأل أحدهما الآخر: أهو هو؟ وما معنى قيامهما بوزن النبي صلى الله عليه وآله؟ وأي رجل هذا الذي قد قابله في ذاك الميزان؟ أهو من أهل الدنيا؟ ثم يتكاثر عدد الرجال إلى الألف؟ فهل كانوا أحياء فلماذا هم صامتون؟ ولم يحدثوا عن هذه الحادثة إن كانوا من أهل الدنيا؟ فأي مخيلة قاصرة قد أنتجت هذا التصوير الساذج؟ وهل دافع هذا قياس إيمان النبي صلى الله عليه وآله؟ أليس من خلقه واصطفاه يعلم السر وما يخفى؟ وهو اعلم بعباده؟

إن الرؤية المادية التجسيدية ماثلة في مخيلة الرواة فلا تنفك عن مروياتهم! فنرى عملية الوزن ثم الشق ثم الغسل كغسل الإناء ثم إدخال السكينة بتلك الصفة ثم الخياط ووضع الخاتم بين كتفي النبي صلى الله عليه وآله كلها تصورات مادية.

جدير بالذكر أن هذه القضية كما هو واضح لمن راق له التتبع في المرويات التاريخية لم تحدث مرة واحدة مع النبي صلى الله عليه وآله، بل تكررت عدة مرات، وفي مراحل عمره المختلفة، وفي أزمنة وأماكن مختلفة، ويبدو "التناقض" فيها بارزا إلى الحد الذي يستحيل التسليم بصحتها.

وسنعرض بشكل موجز تلك التناقضات لنقف على حقيقتها:

أولاً: من جهة زمان وقوع الحادثة:

لقد تباينت الروايات في تحديد تاريخ وقوع حادثة شق الصدر، فالرواية أعلاه لم تحدد تاريخا معينا للحادثة، بل توحي بوقوعها قبيل تكليفه بالنبوة

---

(١) سبحاني: عصمة الأنبياء في القرآن الكريم: ص ٥.

التي أُختلف في تاريخها أصلا! أو أنها حدثت للنبي في عمر الأربع سنوات[١]. أو ست سنوات[٢]، أو عشر سنوات[٣]، أو عند مبعثه[٤] أو عند الإسراء[٥].

ويلاحظ أيضاً التباين في المكان الذي وقعت فيه هل هو ديار بني سعد أم في زمزم[٦]، أو الحطيم[٧]، أو حول الكعبة[٨]، أو في بعض بطحاء مكة[٩]، أو في بيت النبي ﷺ[١٠]، أو في الصحراء[١١]؟ فلماذا هذا التكرار؟ وما السر في هذا الأسلوب مع النبي وشق صدره مرارا؟ هل هذا يعني فشل الحالات السابقة؟ أم إن تلك العلقة السوداء تعاود النمو في قلب النبي مما يستدعي استئصالها من جديد! أم لا يمكن القول بأنها تكررت، فإن الغاية منها واحدة وهي إخراج مصدر الشر في قلب النبي ﷺ؟ فهل تتجدد العلقة حتى يحتاج إلى إزالتها باستمرار؟!!

ثانياً: مكان الحادثة:

تباينت الروايات أيضاً في ذلك! بين وقوعها في ديار بني سعد[١٢]، أم في

---

(١) ابن سعد: الطبقات: ١/ ٥٣.
(٢) ابن حبيب: المقتفى من سيرة المصطفى: ١/ ٣٨.
(٣) ابن حجر: فتح الباري: ١/ ٣٨٩.
(٤) الطبري: تاريخ: ٢/ ٢٢٢.
(٥) الطبري: جامع البيان: ١٥/ ٦.
(٦) مسلم: الصحيح: ١/ ١٠١. القاضي عياض: الشفا: ١/ ١٩١. السيوطي: الديباج: ١/ ١٩٦. المتقي الهندي: كنز العمال: ١١/ ٣٨٥.
(٧) ابن حنبل: المسند: ٤/ ٢٠٧.
(٨) ابن حنبل: المسند: ٤/ ٢٠٨. الطبري: تاريخ: ٢/ ٥٤.
(٩) الطبري: تاريخ: ٢/ ٥٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣/ ٤٦١، ابن كثير: السيرة النبوية: ١/ ٢٣٠.
(١٠) مسلم: الصحيح: ١/ ١٠٢ ـ ١٠٣.
(١١) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣/ ٤٦٣.
(١٢) ابن إسحاق: السير والمغازي: ص٤٨ ـ ٥٠. ابن سعد: الطبقات: ١/ ٥٣. ابن معين: تاريخ: ١/ ٤٧. ابن حنبل: المسند: ٤/ ١٨٤. الدارمي: سنن الدارمي: ١/ ٨ ـ ٩. ابن أبي عاصم: الأوائل: ص٨٦. الطبراني: المعجم الكبير: ١٧/ ١٣١.

بطحاء مكة[١]، أم في الصحراء[٢]، أم بعد نزوله من قمة جبل[٣]، أم في بيته[٤].

ثالثاً: من قام بالعملية:

أما عن الذي قام بمهمة إجراء تلك العملية للنبي ﷺ فكما هو واضح في الرواية أعلاه إنهما ملكان لم تعرفهما الرواية[٥]. أو أنه جبرئيل فقط[٦]، أو أنهما طائران أبيضان[٧]، وفي رواية أن الذي قام بذلك هما "رجلان"[٨]. وكأن المهمة قد تنصل منها الملائكة فألقيت على كاهل البشر؟ أم أن الرجلان هما ملكان بهيئة بشر؟

ثانياً: لقاؤه بالوحي:

يا ترى كيف كان لقاؤه الأول بالوحي؟ وأين؟ ومتى؟ وبأي صورة رآه فيها؟ وماذا كانت ردة فعل النبي ﷺ؟ في الواقع من خلال تأمل الروايات يمكن إيجاز أهم ما جاء فيها بوصفها إجابات لهذه للأسئلة:

أ ـ المكان الذي نزل فيه الوحي لأول مرة: كالعادة تباينت الروايات في تحديد المكان الذي التقى فيه النبي ﷺ بالوحي أول مرة، فعدد من الروايات يقول انه في حراء لما اعتزل فيه للتحنث، إذ تقول: "حتى فجئه الحق وهو في

---

(١) الطبري: تاريخ: ٢/ ٥٢. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣/ ٤٦١. ابن كثير: السيرة النبوية: ١/ ٢٣٠.
(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣/ ٤٦٣.
(٣) ابن شاذان: الفضائل: ص٣٢ ـ ٣٣.
(٤) مسلم: الصحيح: ١/ ١٠٢ ـ ١٠٣.
(٥) ابن سعد: الطبقات: ١/ ٥٣.
(٦) مسلم: الصحيح: ١/ ١٠١ ـ ١٠٢. الحاكم: المستدرك: ٢/ ٥٢٧ ـ ٥٢٨.
(٧) ابن معين: تاريخ ابن معين: ١/ ٤٧. ابن حنبل: المسند: ٤/ ١٨٤ ؛ الدارمي: السنن: ١/ ٨ ـ ٩. ابن أبي عاصم: الأوائل: ص ٨٦. الطبراني: المعجم الكبير: ١٧/ ١٣١.
(٨) ابن إسحاق: السير والمغازي: ص٤٨ ـ ٥٠.

غار حراء[١]، فيما تأتي روايات[٢] أخرى لتقول إن اللقاء تم في منطقة أجياد[٣]، وثالثة تقول انه إلتقاه عند خروجه من حراء باتجاه الوادي، إذ ينسب إلى النبي ﷺ أنه قال: "فلما قضيت جواري فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت..."[٤]. أو أنه وقع في بطحاء مكة[٥]، أو في بيته[٦] وأخرى في طريقه إلى حراء[٧].

ب ـ كيف ظهر له الملك في لقائه الأول به؟ إن المتتبع للروايات التي تناولت هذا الجانب يلاحظ إجماع مؤكد على تصوير أن اللقاء قد حدث فجئة ودون سابق توقع! وبها تؤول حالة الفزع والخوف التي انتابت النبي ﷺ كما سنقف عليه في محله. هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن هذا الملك لم يعرف نفسه للنبي ﷺ على انه مرسل من الله وانه جبريل الأمين عليه السلام، بل باغته وأمره بالقراءة مباشرة دون أي تأنٍ "فجئه الملك فيها فقال له اقرأ"[٨]. إلى غيرها من الإشارات.

---

(١) الطيالسي: المسند: ص ٢٠٧. الصنعاني: المصنف: ٥/ ٣٢٢. ابن سعد: الطبقات: ١/ ١٩٤. ابن حنبل: المسند: ٦/ ٢٣٣. البخاري: الصحيح: ١/ ٣، ٨/ ٦٧. مسلم: الصحيح: ١/ ٩٧. ابن حبان: صحيح ابن حبان: ١/ ٢١٧. الحاكم: المستدرك: ٣/ ١٨٣. البيهقي: السنن الكبرى: ٩/ ٦، ابن عبد البر: الدرر: ص٣٢. الشوكاني: فتح القدير: ٥/ ٤٦٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات: ١/ ١٩٤. الطبري: جامع البيان: ٢٧/ ٦١. ابن أبي حاتم: تفسير: ١٠/ ٣٣١٩. ابن كثير: تفسير: ٤/ ٢٦٧، السيوطي: الدر المنثور: ٦/ ١٢٣.

(٣) أجياد: موضع بمكة يلي الصفا، .ينظر: الحموي: معجم البلدان: ١/ ١٠٥.

(٤) ابن حنبل: المسند: ٣/ ٣٠٦. البخاري: الصحيح: ٦/ ٧٥. مسلم: الصحيح: ١/ ٩٩. أبو يعلى: مسند أبو يعلى: ٣/ ٤٥١. الطبري: تاريخ: ٢/ ٥١. ابن حبان: الثقات: ١/ ٥١. ابن الجوزي: زاد المسير: ٨/ ١٢٠. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/ ٢٤. السيوطي: لباب النقول: ص ٢٠٥، ٢٢٣.

(٥) الطبري: تاريخ: ٢/ ٥٢، وينظر: ابن أبي الدنيا: كتاب الهواتف: ص١٩، الأصبهاني: دلائل النبوة: ١/ ٢٥٠. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣/ ٤٦١. ابن كثير: البداية والنهاية: ٢/ ٣٣٧. المقريزي: إمتاع الأسماع: ١/ ٢٠. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٨/ ٢٥٥.

(٦) المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ٢٢ ـ ٢٣.

(٧) مقاتل بن سليمان: تفسير: ٣/ ٤١٣.

(٨) الزيلعي: نصب الراية: ١/ ٤٤٨.

بينما صرحت روايات أخرى بأنه فاجئه بالنداء دون ظهور شخصه فقط يناديه يا محمد! ويختفي، فلنتأمل معا نص هذه الرواية: "بينما هو يمشي [أي النبي صلى الله عليه وآله] إذ سمع مناديا يقول: يا محمد، فنظر يمينا وشمالا وإلى السماء، فلم ير شيئاً، فمضى على وجهه، فنودي الثانية: يا محمد، فنظر يمينا وشمالا ومن خلفه فلم ير شيئاً إلا السماء، ففزع، وقال لعل هذا شيطان يدعوني فمضى على وجهه، فنودي في قفاه: يا محمد يا محمد فنظر خلفه وعن يمينه ثم نظر إلى السماء، فرأى مثل السرير بين السماء والأرض... وعليه جبريل عليه السلام..."[(١)].

فلماذا يتعامل جبريل هكذا معه صلى الله عليه وآله لماذا لا يظهر له بوضوح؟ ما معنى النداء ثم الاختفاء هل في الأمر مزحة؟ فبأي تأويل يمكن سد هذه الثغرة التي لا يمكن الاعتذار عنها؟!

بل إن النبي صلى الله عليه وآله في رواية أخرى لما سمع النداء هرب بعيدا، ولم ينتظر ليتأكد من المنادي؟ حتى طلب منه ورقة بن نوفل أن "لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول، ثم ائتني فاخبرني"[(٢)].

بل الأغرب من ذلك إن هذا الملك لم يراع حالة الدهشة والفزع التي انتابت النبي صلى الله عليه وآله بل انه ليعامله بمنتهى القسوة والعنف كما أدلت بذلك النصوص: "فأخذني فغتني ـ أو غطني ـ حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني"[(٣)]، يفعلها معه ثلاثا "حتى ظننت انه الموت"[(٤)]، وفي كل مرة يقول له: "اقرأ"، والنبي لا يعرف ماذا يقرأ، فيرفض قائلاً: "ما أنا بقارئ"[(٥)]، وتارة يعترف

---

(١) مقاتل بن سليمان: تفسير: ٣/ ٤١٣.

(٢) ابن إسحاق: السير والمغازي: ص ١٣٣.

(٣) ابن حنبل: المسند: ٦/ ٢٣٣. البخاري: الصحيح: ١/ ٣، ٦/ ٨٨، ٨/ ٦٧. مسلم: الصحيح: ١/ ٩٧. الحاكم: المستدرك: ٣/ ١٨٣.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية: ١/ ١٥٥. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٦٣/ ١٢. ابن سيد الناس: عيون الأثر: ١/ ١١٦. ابن كثير: السيرة النبوية: ١/ ٣٨٧، ٤٠٣.

(٥) ابن حنبل: المسند: ٦/ ٢٣٣. البخاري: الصحيح ١/ ٣. مسلم: الصحيح: ١/ ٩٧. البيهقي: السنن الكبرى: ٧/ ٥١، ٩/ ٦. العيني: عمدة القارئ: ١/ ٤٦.

بأنه لا يقرأ، "ولم أكن قرأت كتابا قط، فلم ادر ما اقرأ"[١]، وثالثة نجده يتساءل: "ماذا اقرأ"[٢] أو "ما اقرأ"[٣]، ولكن العجيب إن موقف الوحي واحد في كل الحالات التي تنوعت فيها النصوص، وهو انه يستخدم العنف مع النبي ﷺ، بل انه في إشارة من إحدى الروايات التي تنسب إلى النبي ﷺ أنه قال: "أخذ بحلقي حتى أجهشت بالبكاء"[٤].

عندها اضطر النبي أن يلبي ما طلبه منه على مضض، وان يقرأ ما أراد الذي تارة كان مشافهة، وأخرى قراءة بكتاب ما، فقرأ "تنجيا أن يعود لي بمثل الذي صنع بي"[٥].

أما عن الهيأة التي رأى فيها جبرائيل عليه السلام فقد تباينت الروايات بهذا الخصوص: فرواية غيبت شخص جبريل ليسمع النبي ﷺ مجرد نداء[٦] يناديه باسمه، أو انه يسمع صوتا يسلم عليه (السلام عليك)[٧]، وفي روايات يتجسد له جبرائيل في صورة ما قد لا تصفها رواية[٨]، ولكن رواية أخرى تقول: "فرأى مثل السرير بين السماء والأرض وعليه درنوكة[٩] قد غطت الأفق، وعليه جبريل عليه السلام مثل النور المتوقد يتلالا حتى كاد أن يغشى البصر"[١٠].

---

(١) المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ١٩، وفي رواية: قال: (ما قرأت كتابا قط، فلم أدر ما أقرأ). الحارث بن أبي أسامة: بغية الباحث: ص٢٨٢، وفي رواية ابن عساكر: (ما قرأت كتابا قط ولا أحسن وما أكتب وما أقرأ). تاريخ دمشق: ٦٣/ ١٧، وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/ ١١، ٢٠، السيرة النبوية: ١/ ٣٩٣.

(٢) الطبري: تاريخ: ٢/ ٤٨، ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٦٣/ ١٢، ابن سيد الناس: عيون الأثر: ١/ ١١٦، ابن كثير: السيرة النبوية: ١/ ٤٠٣.

(٣) الحارث بن أبي أسامة: بغية الباحث: ص٢٨٢، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٢٠٨.

(٤) المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ١٩ ـ ٢٠. السيوطي: كفاية الطالب: ١/ ٩٧.

(٥) ابن إسحاق: السير والمغازي: ص١٢١.

(٦) مقاتل بن سليمان: تفسير: ٣/ ٤١٣.

(٧) المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ١٩.

(٨) ينظر: المقريزي: امتاع الاسماع: ٣/ ١٩ ـ ٣٩.

(٩) مؤنث درنوك وهو البساط أو الثوب، وجمعه درانك. ابن قتيبة: غريب الحديث: ٢/ ١٧٠، الزمخشري: أساس البلاغة: ص٣٧٠، ابن منظور: لسان العرب: ١٠/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤.

(١٠) مقاتل بن سليمان: تفسير: ٣/ ٤١٣.

ولأن جبريل عليه السلام لم يعرف نفسه في هذا اللقاء الأول على رأي اغلب الروايات، وأنه قد عامل النبي بمنتهى القسوة، كانت ردة فعله صلى الله عليه وآله سلبية، فقد ذعر[١]، وارتجفت بوادره[٢]، ورجف قلبه[٣]، وتارة يقول: "فجئثت منه فرقا ـ أو رعبا ـ حتى هويت إلى الأرض"[٤]، وفي رواية "فأخذتني رجفة شديدة"[٥]، بل "فهربت منه"، وفي نص آخر" فجثوت لركبتي، وأنا قائم ثم زحفت ترجف بوادري"[٦]، بل "ففزع فزعا شديدا، ثم وقع مغشيا عليه، ولبث ساعة ثم أفاق يمشي وبه رعدة شديدة، ورجلاه تصطكان"[٧].

اضطر الوحي للعودة ثانية، ولكن لماذا؟ يظهر أراد أن يعرف نفسه، إذ في هذه المرة صرّح له بأنه جبريل، وكأن اللقاء الأول كان مجرد فرصة لتخويف النبي صلى الله عليه وآله أو اختبار لقواه البشرية هل تحتمل هذا الجو الملائكي؟! إذ يؤول البعض ما حدث من حالة الفزع والرعب والخوف في ذات النبي صلى الله عليه وآله أنها حالة طبيعية "وما تأكيدنا لهذه الرهبة والشدة والفزع إلا لنصل إلى حقيقة أن الرسول صلى الله عليه وآله بشر عادي في خصائصه وتركيبته النفسية وأن سلامته من كل عارض تستدعي أن يصدر مثل هذه الانفعالات المتوقعة من أي شخص سليم قد يتعرض لما يشبه هذا الموقف الجلل"[٨].

قد فسّر بعضهم الشدة التي تعتري النبي صلى الله عليه وآله حينما يأتيه الملك الوحي في

---

(١) ابن سعد: الطبقات: ١/ ١٩٤.
(٢) ابن حنبل: المسند: ٦/ ٢٢٣. البخاري: الصحيح: ٦/ ٨٨. مسلم: الصحيح: ١/ ٩٧.
(٣) ابن حنبل: المسند: ٦/ ٢٢٣. البخاري: الصحيح: ١/ ٣. البيهقي: السنن الكبرى: ٧/ ٥١.
(٤) الطبري: تاريخ: ٢/ ٥٣. السمعاني: تفسير السمعاني: ٦/ ٨٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ٤/ ٤٦٩.
(٥) مسلم: الصحيح: ١/ ٩٩. أبو يعلى: مسند أبو يعلى: ٤/ ١٥٩. القرطبي: الجامع: ١٩/ ٦٠، النووي: شرح الصحيح: ٢/ ٢٠٨. السيوطي: الديباج: ١/ ١٩١. المتقي الهندي: كنز العمال: ١١/ ٤٦٠.
(٦) الطبري: تاريخ: ٢/ ٤٧. ابن الأثير: الكامل: في التاريخ ٢/ ٤٨.
(٧) مقاتل بن سليمان: تفسير: ٣/ ٤١٣.
(٨) ابداح: الوحي القرآني: ص ٧٧.

صورته الملائكية بأن منشأها "تقريب الطبيعة البشرية إلى الأوضاع الملكية والجو الملائكي"(١).

بعد هذا التصوير لننظر إلى ما جاء من كلام أمير المؤمنين عليه السلام حول بعثة النبي صلى الله عليه وآله وعلاقته بالملائكة، سنجد الحقيقة ماثلة بأنصع صورها بأن النبي صلى الله عليه وآله متآلف جداً مع الجو الملائكي، وقد اعتاده منذ طفولته؛ إذ إن العناية الإلهية قد قرنت به ملكا من أعظم الملائكة يتولى أمره، فلم تكن الأجواء الملائكية غريبة عليه ليفزع منها أو يحتاج معها إلى مقدمات حتى يعدها البعض أكثر ضرورة فيقول "لولا تلك المقدمات لكانت نتيجة تأثر النبي بهذا اللقاء أضعاف ما وردنا عنه صلى الله عليه وآله من شدة وجدها في هذه الملاقاة الأولى ـ كما يحلو لي أن اسميها ـ لأنني اعتقد أن تعبير المواجهة الذي يوحي بمعاني الندبة والخصومة منتف من أصل الحالة"(٢)

فما التأثر الذي كان من الممكن أن يبلغه النبي بأكثر من هذا؛ بل كما سيتضح لنا أنّه قد حاول قتل نفسه ـ كما تدّعي الروايات ـ ؟

نعود لتتبع تفاصيل ما جاء في الروايات، يأتي الملك ثانية ولكن هذه المرة يتجسد بصور شتى، أبدعت مخيلة الرواة فيها أيما إبداع، إذ نسجت تلك الصور بشيء من التصوير المادي الذي لم تتخطاه مخيلاتهم الساذجة!

"فإذا الملك الذي جاءني في حراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه"(٣)، وراو آخر أملت عليه مخيلته أن الملك إنما جاء "في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء، فوقفت انظر إليه"(٤)، وقد احكم احدهم

(١) ابن خلدون: مقدمة: ص١٠٠.

(٢) ابداح: الوحي القرآني: ص ٧٦ ـ ٧٧.

(٣) ابن أبي الدنيا: كتاب الهواتف: ص١٧. البخاري: الصحيح: ١/ ٤. الترمذي: السنن: ٥/ ١٠٠.

(٤) الطبري: تاريخ: ٢/ ٤٩. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٦٣/ ١٣. ابن سيد الناس: عيون الأثر: ١/ ١١٦. ابن كثير: السيرة النبوية: ١/ ٤٠٣. الصالحي الشامي: سبل الهدى: ٢/ ٢٣٤.

وصف الملك المتبطر بأنه "واضعا إحدى رجليه على الأخرى في أفق السماء يصيح: يا محمد: أنا جبريل، يا محمد أنا جبريل فذعر رسول الله"[(١)].

وتعاظمت صورة جبريل في خيال آخرين فوصفوه: "فإذا أنا بجبريل على الشمس جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب قال: فهلت منه فجئت مسرعا، فإذا هو بيني وبين الباب، فكلمني حتى أنست به"[(٢)].

وصورة أخرى قد أعملت فيها الخيالات مبلغا أسطوريا إذ يصفه بلسان النبي صلى الله عليه وآله: "يأتيني من السماء جناحاه لؤلؤ وباطن قدميه اخضر" وانه "له ستمائة جناح"[(٣)]، وفي نص آخر: "رآه في رفرف اخضر قد سد الأفق"[(٤)]، وفي صورة أخرى: "رأى شخصا بين السماء والأرض باجياد إذ بدا له جبريل فسلم عليه، وبسط بساطا كريما مكللا بالياقوت والزبرجد"[(٥)].

يلاحظ التغاير في صور جبريل في الروايات بعدة أشكال ليس في اللقاء الأول فحسب بل حتى في لقائه بالنبي صلى الله عليه وآله في المعراج[(٦)]، وكلها تصويرات اضفت عليها خيالات الرواة الشيء الكثير، ولم يحمل بعضهم هذا الاختلاف محملا سلبيا، بل راح يؤوله بما يحلو له قائلاً: "والروايات تتسع في ترائي جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله في صور مختلفة، ووجه ذلك: أن يكون لجبريل ضروب من الصور، فكل مرة يترائى فيها للنبي صلى الله عليه وآله يثبت الله قلب رسوله لرؤيته فيها بقوة يجددها الله له، وكل حالة إبقاء الله تعالى

---

(١) ابن سعد: الطبقات: ١/ ١٩٤.
(٢) المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ١٩.
(٣) المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ٣٩.
(٤) البخاري: الصحيح: ٦/ ٥١. الطبراني: المعجم الكبير: ٩/ ٢١٦. المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ٤٢. ابن حجر: فتح الباري: ٨/ ٤٧٠. العيني: عمدة القارئ: ١٩/ ٢٠٠.
(٥) المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ٢٢ ـ ٢٣.
(٦) انظر مثلاً المقريزي: امتاع الاسماع: ٣/ ٣٣.

رسوله على جبلته، ولا يحدث له فيها قوة، يضعف ﷺ عن رؤيته، فصعق ﷺ[(١)] حتى ثبته الله تعالى"[(٢)].

ولنا أن نسأل صاحب هذا الرأي: إن كان قد صح ما قاله بشأن تعدد صور الوحي وإنها في جانب القبول تكون مظهرا من مظاهر قدرة الباري عز وجل، وإبداعه وأن له في خلقه شؤوناً، ولكن هل يصح معها القول: إن ذلك كان لتثبيت قلب النبي ﷺ؟ إذن بماذا يفسر ـ مزاعم تلك الروايات ـ بردة فعله ﷺ حين كان قد رآه بتلك الصور، فتارة يقع مغشيا عليه وأخرى يذعر فيها وثالثة يهال منه ويهرب... الخ من تعدد حالات الفزع والرعب التي مرّ بها ﷺ، فأي تثبيت حصل لقلبه الشريف؟! بهكذا وصف غريب؟!

وهل الله سبحانه بحاجة إلى أن يريه جبريل بهكذا شاكلة لترعب حبيبه المصطفى وتفزعه؟! وهو القائل ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾[(٣)]، هذا من جانب ومن جانب آخر نعاود التساؤل، أي رواية هي الأصح في تصوير شخص جبريل عليه السلام بالنسبة للقائه الأول بالنبي ﷺ؟ ألم يلحظ أن الحادثة واحدة والحالات متعددة؟ ثم أين تثبيت قلب النبي ﷺ وقد رجف وارتاب في نفسه ﷺ حتى ظن بها ظنونا شتى؟ وقد تباينت حالات تلك الظنون تبعا لتبايـن الروايات أعلاه: فما بين ظنه بأنه مجنون[(٤)]. . . . .

---

(١) وذلك إشارة إلى صورة أخرى رأى فيها نبي الله جبريل عليه السلام لما طلب منه أن يراه في صورته، فقال: أدع ربك، فدعا ربه، فطلع عليه سواد من قبل المشرق، فجعل يرتفع، فينتشر، فلما رآه رسول الله ﷺصعق، فنعشه، فمسح البزاق عن فمه. المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ٤٣.

(٢) المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ٤٤.

(٣) سورة التكوير الآية ٢٣.

(٤) الغريب ما نسبته إحدى الروايات أن النبي ﷺ لما رأى جبرئيل قال: "ولم يكن في خلق الله عز وجل أحد أبغض إليّ من شاعر أو مجنون، كنت لا أطيق النظر إليهما، فقلت: إن الأبعد ـ يعني نفسه ـ لشاعر أو مجنون". ينظر: الطبري: تاريخ: ٢/ ٤٩. ابن عساكر: تاريخ دمشق ٦٣/ ١٣. الذهبي: تاريخ الإسلام: ١/ ١٣١. المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ٢٦. وورد عند ابن سعد: "أخشى أن يكون في جنن" الطبقات: ١/ ١٩٥. لكن هل حقا أن النبي ﷺ كان يبغض الشعراء والمجانين؟ فما ذنب الأول وقد حباه الله بهبة عقلية مبدعة قد تسخر لقول ما هو حسن أو قبيح، ولكنها من ملكات الأبداع، وقد مدح الله=

أو انه كاهن[١] أو به خبل[٢] بل انه قد خشي على نفسه[٣].وأشفق عليها[٤]. من مغبة هذا الأمر وقد بلغ به الحال أن فكر في قتل نفسه والتردي من شواهق الجبال فاضطر جبريل أن يأتيه فيعرفه بأنه جبريل وانك يا محمد رسول الله[٥]، بل لم يكف النبي ﷺ عن فكرة قتل نفسه فكان يبادر لذلك كلما فتر عنه الوحي[٦] بعد أن قالوا له: إن ربك قد قلاك[٧]

ولو قارنا بين رؤية هذه الروايات ورؤية القرآن الكريم حول هذه القضية لوجدنا الحق تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾[٨]. وقوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾

=الشعراء المؤمنون. أما الثاني فهو مسكين لا ذنب له إلا أنه فقد عقله؟ فهل يعقل هذا من نبي الرحمة، نعم هو قد تأذى من إتهام قريش له بالجنون، ونسبت إليه قول الشعر لما أعجزهم القرآن، ولكن لم يشهد التاريخ أنه ﷺ قد أعلن عداءه أو بغضه للشعراء أو المجانين ؟

(١) ابن سعد: الطبقات: ١/ ١٩٥.

(٢) المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ٢٢.

(٣) الصنعاني: المصنف: ٥/ ٣٢٢. البخاري: الصحيح: ١/ ٣، ٦/ ٨٨. مسلم: الصحيح: ١/ ٩٧، البيهقي: السنن الكبرى: ٩/ ٦. المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ٥.

(٤) ابن حنبل: المسند: ٦/ ٢٢٣. الطبري: تاريخ: ٢/ ٤٧. جامع البيان: ٣٠/ ٣١٨. ابن الأثير: الكامل: ٢/ ٤٨.

(٥) الطبري: جامع البيان: ٣٠/ ٣١٨.

(٦) الصنعاني: تفسير: ٣/ ٣٢٧. السهيلي: الروض الأنف: ١/ ٢٧٢.

(٧) تباينت الروايات فيمن قال له ذلك فرواية تشير انه هو قد ظن هكذا "خشيت أن يكون صاحبي قد قلاني وودعني، فجاء جبريل بسورة الضحى". وفي رواية انه لما أبطأ على رسول الله ﷺ الوحي جزع من ذلك جزعا شديدا، فقالت له السيدة خديجة إن ربك قلاك لما يرى من جزعك فانزل ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ سورة الضحى الآية ٣. ابن إسحاق: السير والمغازي ص١٣٥، وفي رواية أن قومه من قال له ذلك، ابن كثير: البداية والنهاية ٣/ ٢٢. وفي رواية امرأة أشارت روايات أنها أم جميل زوجة أبي لهب. ابن حجر: فتح الباري٣/ ٧، محمد عزة دروزة: التفسير الحديث١/ ٥٥١.

(٨) سورة التكوير الآية ١٩ ـ ٢٥.

أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾(١).

فهذه الآيات تتحدث بوضوح عن طبيعة لقاء الوحي بالنبي ﷺ سواء في المعراج أم غيرها، ونحن نلحظ أن الله سبحانه قد نفى عن نبيه اتهامات "الجنون" و"الشيطنة" و"الغواية" "الكذب" الخ، ولكن هذه الاتهامات إنما هي اتهامات قومه وليس ظنه بنفسه ويبدو أن الرواة قد استقوها من هذه الآيات ونسبوها إلى النبي ﷺ، ولا نعلم الغاية من وراء ذلك فهل هي محاولة لتبرئة المشركين أم أن الهدف الوصول إلى نتيجة بأن دعوة النبي ﷺالتي كانت قد أثارت دهشة أولئك الكفار فظنوا به الظنون واتهموه بالسحر والشعر والجنون، هي ذاتها الاتهامات التي ظنها هو في نفسه، فيتساوى معهم من هذا الجانب! إذ قد أدهشته نبوته ولم يصدق انه قد كلف بها؟!.

حقيقة أنّ العقل ليحار أمام هذه الترهات التي تجنّت على النبي الأعظم ﷺ، ويقف في تأمل طويل أمام تلك التقولات المتناقضة وفي أدق الجزئيات؟! وبعد هذاكله، هل اطمأن قلب النبي ﷺ؟ أم واصل إحساسه بالشك والريبة من أمره حتى طمأنته زوجته التي تحركت ما بين شخصيات يهودية أو نصرانية تستجدي ما تثبت به قلبه الشريف؟ الذي بدا عاجزا عن إدراك ما أدركته زوجته أو ما أدركه هؤلاء الذين قصدتهم؟! أليسوا على وفق هذا المبنى هم أحق بالنبوة منه ﷺ، وإن كان قد ارتاب في أمره، فكيف ينكر ذلك على من ارتاب من سائر الناس وهو قد عاين الأمر معاينة فيما خفي على غيره؟!

يقول السندي(٢): "مقتضى جواب خديجة والذهاب إلى ورقة: إن هذا

---

(١) سورة النجم الآيات ٢ ـ ١٨.

(٢) حاشية السندي بهامش البخاري، ط سنة ١٣٠٩، ١/ ٣. نقلا عن: العاملي: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ: ٣/ ٢١. ٢٢.

كان منه على وجه الشك. وهو مشكل بأنه لما تم الوحي صار نبيا، فلا يمكن أن يكون شاكا بعد في نبوته، وفي كون الجائي عنده ملكا من الله، وكون المنزل عليه كلام رب العالمين" ثم حاول السندي توجيه ذلك بأنه ﷺ أراد اختبار خديجة، وان يمهد لإعلامها بالأمر. وهو توجيه عجيب فإننا لم نعهد منه ﷺ إتباع مثل هذه الأساليب الملتوية في الوصول إلى مقاصده ونحن نجله ﷺ عن نسبة الكذب إليه على خديجة ـ معاذ الله ـ ثم معاذ الله!! ثم كيف يتناسب ذلك مع كونه أراد أن يلقي نفسه من شواهق الجبال(١). بل الأدهى من ذلك إن هؤلاء جميعاً (السيدة خديجة، وورقة وبحيرا ونسطورا وعداس) قد اضطروا إلى اختبار صدقه فيما يدعيه من رؤية الوحي وانه ليس بشيطان؟ فزوجته خديجة عليها السلام تطمئنه حين سلم عليه الوحي، وفر منه النبي ظانا بأنه قول من الجن، فتقول له "إن السلام خير"(٢)، بل أجمعت الروايات على دورها في تثبيت قلبه الشاك المرتاب. حتى أنها أجرت له عملية اختبار عجيبة إذ طلبت منه أن يخبرها حين يأتيه الوحي، وحين أتاه، طلبت من النبي ﷺ أن يجلس إلى شقها الأيمن ثم الأيسر ثم في حجرها وفي كل مرة تسأله هل لا زلت تراه فيقول: نعم حتى كشفت رأسها أو أدخلت النبي بينها وبين درعها، فاعرض جبريل حياء، فإذا بها تطمئن رسول الله ﷺ اثبت وابشر، ما هذا بشيطان إنما هو ملك(٣).

وقد حمله القاضي عياض على أنه "حق خديجة لتتحقق من صحة نبوة رسول الله ﷺ، وأن الذي يأتيه ملك، ويزول الشك عنها، لا أنها فعلت ذلك للنبي ﷺ، وليختبر هو حاله بذلك"(٤).

والغريب انه بعد أن دفع الشبهة عن النبي ﷺ بقوله "ولا يجوز عليه شك

(١) العاملي: الصحيح في سيرة النبي الأعظم ﷺ: ٢/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٢) المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ١٩.

(٣) ابن سيد الناس: عيون الأثر: ١/ ١١٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/ ٢٢، السيرة النبوية: ١/ ٤١٠.

(٤) الشفا: ٢/ ١١١.

فيما أُلقي إليه"(١) مما يدلل على عدم قبوله بما جاءت به الروايات التي دلت على شكه ﷺ، وبدلا من دحضه تلك الروايات ورفضها بقوة، نجده يلجأ حاله حال غيره إلى تأويلها، ومحاولة سد الثغرات فيها، وإن كان ضحية ذلك زوجة النبي ﷺ إذ ظهرت ها هنا شاكة بأمر النبي ﷺبل الأدهى من ذلك نسبة ذلك الفعل لها بذلك الاختبار المزعوم.

فيما تأتي رواية أخرى لتنسب فكرة هذا الاختبار إلى ورقة لما حدثته السيدة خديجة ذاكرة له جبريل عليه السلام فقال: "سبوح سبوح وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي تعبد بها الأوثان، جبريل أمين الله بينه وبين رسله(٢)، اذهبي به إلى المكان(٣) الذي رأى فيه ما رأى، فإذا أتاه فتحسري، فإن يكن من عند الله لا يراه... ففعلت فقالت: فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره"(٤).

عجباً وهل للملك شهوة كشهوة الرجال، وهل هو مكلف بعدم النظر إلى نساء البشر؟ بل هل فرض الحجاب في ذلك الوقت؟ وكيف أدركت خديجة أو ورقةذلك كله(٥). وفي رواية إن ورقة سأله عن هيأة جبريل عليه السلام فقال ﷺ: "يأتيني من السماء وجناحاه لؤلؤ، باطن قدميه اخضر"(٦). ولكن أي دلالة في هذا على كونه جبريل دون غيره؟ ومن أين علم ورقة بهذه الصفات؟ هل رأى باطن قدمي جبريل من قبل؟ وإنها ذات لون اخضر ولماذا اخضر؟؟!

وفي اختبار آخر يقول فيه ورقة لخديجة عليها السلام: "اسأليه من هذا الذي يأتيه؟

---

(١) الشفا: ٢/ ١١١.

(٢) ولكن لماذا استنكر ورقة ذكر جبريل في أرض تعبد الأوثان، ألم تكن مهمته إيصال وحي الله لنبيه لأجل الدعوة لوحدانية الله ؟ وإن لم يظهر في أرض كهذه فما تكون مهمته في أرض أسلم أهلها وكيف يسلم أهلها ولم يأتها المرسلون؟ وقد نسبت رواية هذا القول لعداس. ابن كثير: البداية والنهاية ٣/ ٢٠.

(٣) هل يختص جبريل بمكان واحد يلتقي فيه بالنبي ﷺ؟

(٤) المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ١٦.

(٥) العاملي: الصحيح من سيرة النبي الاعظم: ٢/ ٣٠٥.

(٦) المقريزي: إمتاع الأسماع: ٣/ ٣٨.

فإن كان ميكائيل فقد أتاه بالخفض والدعة واللين، وان كان جبريل فقد أتاه بالقتل والسبي. فسألته فقال: جبريل، فضربت خديجة جبهتها"[١].

وفي هذا دلالة على يد اليهود في وضع هذه المرويات، لأنهم يعادون جبريل عليه السلام فنسبوا إليه هذا الأمر، إذ جاء في إحدى الروايات: على لسان اليهود: "عدونا جبريل وسلمنا ميكائيل"[٢]، وروي عنهم أنهم قالوا: "لو إن ميكائيل الذي ينزل عليكم اتبعناكم فإنه ينزل بالرحمة والغيث، وان جبريل ينزل بالنقمة والعذاب وهو لنا عدو"[٣]

وفي رواية إنه قال للسيدة خديجة عليها السلام: "فأرسلي إليّ ابن عبدالله اسأله واسمع من قوله وأحدثه فإني أخاف أن يكون غير جبريل فإنّ بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بني آدم ويفسدهم حتى يصير الرجل بعد العقل الرضي مدلها مجنونا"[٤].

فلما جاء إليه النبي صلى الله عليه وآله سأله ورقة: "هذا الذي جاءك في نور أو ظلمة؟ فاخبره رسول الله صلى الله عليه وآله عن صفة جبريل وما رآه من عظمته وما أوحاه إليه. فقال ورقة اشهد أن هذا جبريل..."[٥].

ونلاحظ أن هناك تركيزا على موقف ورقة في أحداث البعثة حتى وصف ذلك الموقف: "وقد زاده الله عز وجل من قول ورقة ثباتا، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم"[٦].

نخلص إلى القول ان هناك تباينا واضحا بين ما أدلى به الإمام أمير

---

(١) اليعقوبي: تاريخ: ٢/٢٣.

(٢) ابن شبه: تاريخ المدينة: ٣/٨٦٦. الطبري: جامع البيان: ١/٦٠٩. ابن كثير: تفسير: ١/١٣٥. ابن حجر: العجاب في بيان الأسباب: ١/٢٩٣.

(٣) الطبري: جامع البيان: ١/٦١١. ابن كثير: تفسير: ١/١٣٦.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٦٣/١٩، ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/٢١.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/٢١ ـ ٢٢.

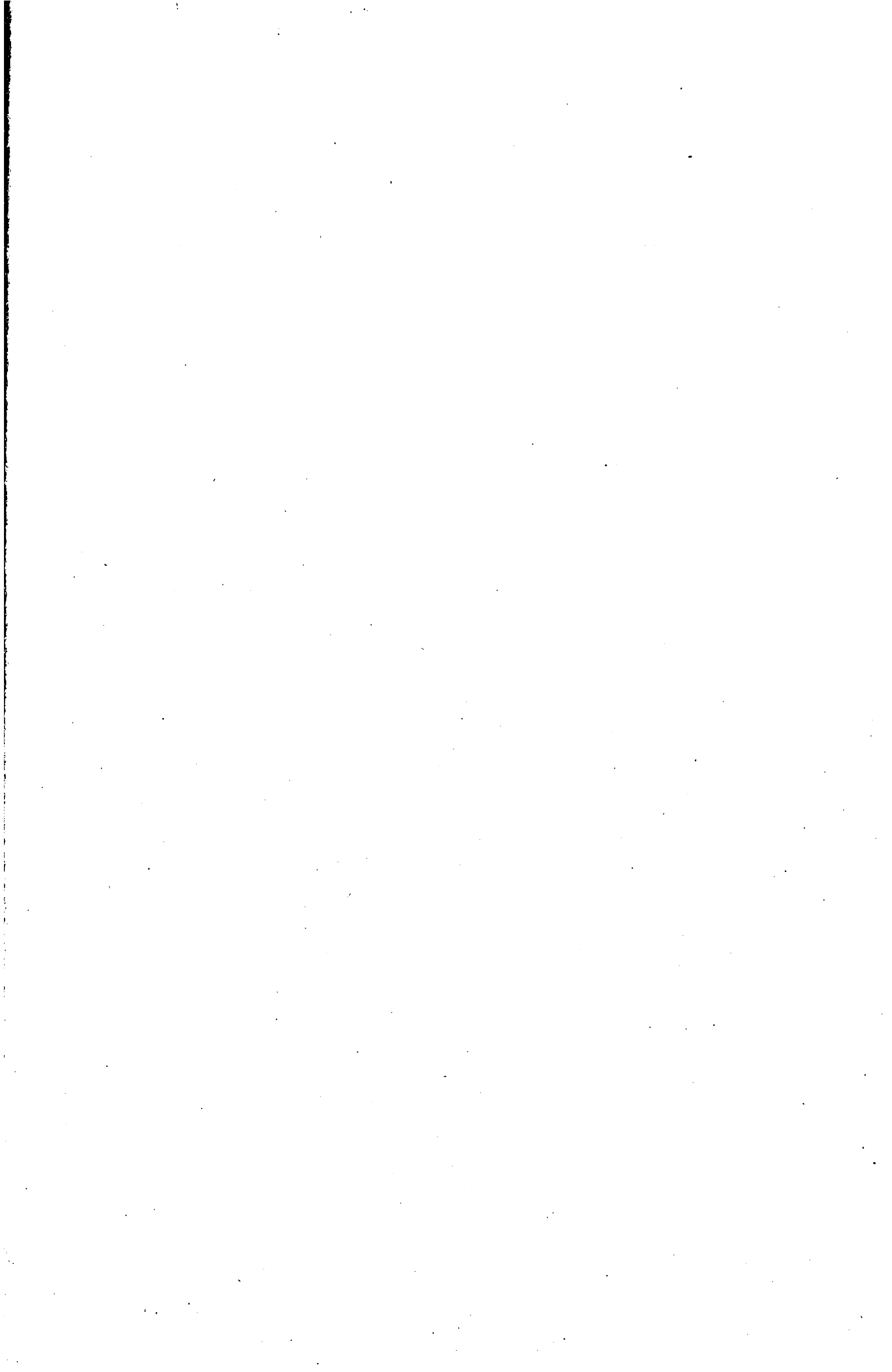
(٦) ابن إسحاق: السير والمغازي: ص ١٢٢.

المؤمنين عليه السلام من حقائق ثابتة ومتوافقة مع القرآن[1] ـ فيما يخص الوحي وعلاقته بالنبي صلى الله عليه وآله ـ وبين ماجاءت به المرويات التاريخية، والتي أساءت إلى مقامه الشريف صلى الله عليه وآله.

وبهذا تتجلى لنا خاصية رؤية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؛ وكيف تسامت عن باقي الرؤى التي اظهرت الإساءة لشخصه صلى الله عليه وآله ومقامه كنبي مرسل.



(١) لمزيد من التفاصيل عن الرؤية القرآنية للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله ينظر: النصر الله: السيرة النبوية بين الرؤية القرآنية والرواية التاريخية: (الصفحات جميعها)



المبحث الثالث

الدعوة المحمدية

مراحل الدعوة والتبليغ وبناء الدولة:

دأب المؤرخون على تقسيم دعوة النبي ﷺ إلى عهدين متميزين؛ هما العهد المكي والعهد المدني. ويمكن ان نقسم كل عهد منهما إلى مراحل وفق ما توحي به نصوص نهج البلاغة التي تحدثت عن سيرة النبي ﷺ في الدعوة والتبليغ، وبناء دولته العظيمة.

أولاً: مرحلة إعداد القاعدة الإيمانية الأولى:

اصطلح على تسمية هذه المرحلة بمرحلة الخفاء أو الدعوة السرية[1]. إذ ارتكزت الدعوة المحمدية على قاعدة صلبة مثلّها المسلمون الأوائل الذين كانت لهم فضل السابقة في الإسلام، وقد مثلوا الاساس الرصين الذي اتكأ عليه الدين الجديد، فلولا تلك القلوب المشبعة بالإيمان الحقيقي لما صبروا على أفضع أساليب التعذيب التي استخدمها اعدائهم في محاولة ثنيهم عن عقيدتهم[2].

---

(١) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية: ١/١٦٨. الحلبي: السيرة الحلبية: ١/٤٠٢ ـ ٤٠٣. عباس زرياب خوئي: دراسة تحليلية في السيرة النبوية عصر ما قبل الهجرة: ص ١٦٩. فرحان: دروس من السيرة النبوية: ص ٢٣٩ ـ ٢٦٨. سبحاني: السيرة المحمدية: ص ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية: ١/٢٠٣ ـ ٢٠٥. فرحان: دروس من السيرة النبوية: ص ٢٧٢ ـ ٢٧٧. سامي البدري: السيرة النبوية: ص ٩٤ ـ ٩٦.

فبعد ان كُلف النبي صلى الله عليه وآله بتبليغ الرسالة، شرع صلى الله عليه وآله يهيء نفسه للخطوات الآتية في طريق الدعوة إلى دين الله، ومن الطبيعي ان يكون الاقربون هم الأولى بهذا الامر[١]، ولم يكن أحد اقرب للنبي صلى الله عليه وآله من ربيبه، وابن عمه أمير المؤمنين عليه السلام الذي لم يتكلف صلى الله عليه وآله أي جهد في دعوته، فهو الشاهد على الوحي في أول نزوله على قلبه صلى الله عليه وآله[٢]، والأولى بتصديقه[٣] بعد أن كان لصيقاً به، ويتبعه اتباع الفصيل أثر لمه[٤].

كان أمير المؤمنين عليه السلام النموذج الأمثل والأكمل لمؤازرة النبي صلى الله عليه وآله لما توافرت عليه ذاته الشريفة من الطاعة والانقياد والقوة لحمل هذا الامر، إذ كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بأمس الحاجة إلى الناصر والمؤازر" فكان علي عليه السلام يمثل ذراع النبوة في تبليغ الرسالة منذ انطلاقها، والعين الباصرة ولسان الدعوة الناطقة بها"[٥].

ثم تأتي السيدة خديجة عليها السلام[٦] بعد أمير المؤمنين عليه السلام لتكون خير ملبٍ لنداء الحق، وفي طليعة من آمن بدعوته صلى الله عليه وآله وإلى ذلك يشير الإمام عليه السلام: "**وَلَمْ**

---

(١) ينظر: الطبري: تاريخ: ٢/٢٢٨ ـ ٢٢٩، جامع البيان: ١٩/١٤٩. ابن مردويه: المناقب: ص٢٩٠. ابن الأثير: الكامل: ٢/٦٢ ـ ٦٣. أبو الفداء: المختصر: ١/١١٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/٥٣، تفسير: ٣/٣٦٤، السيرة النبوية: ١/٤٥٩. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٣/١١٤. الحلبي: السيرة الحلبية: ١/٤٦١.

(٢) وذلك إشارة إلى قوله عليه السلام: "أَرَى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ وأَشَمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ، ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْه ـ صلى الله عليه وآله ـ" نهج البلاغة: ص ٤٠٦.

(٣) من ذلك قوله عليه السلام: "فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَه"، نهج البلاغة ص ١٠٥، وفي موضع "فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِه" نهج البلاغة: ص ١٠٥.

(٤) إذ يقول عليه السلام: "ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِه عَلَماً، ويَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِه" نهج البلاغة: ص ٤٠٦.

(٥) المجمع العالمي: اعلام الهداية: ١/٨٨.

(٦) لمزيد من التفاصيل عن شخصية السيدة خديجة عليها السلام ودورها في الإسلام، ينظر: الشرهاني: السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام: (الصفحات جميعها)، وينظر: اضواء على السيرة النبوية دراسة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله مع السيدة خديجة: ص ١٩١ ـ ٢٤٩.

يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإسلام، غَيْرَ رَسُولِ اللَّه، صلى الله عليه وآله، وخَدِيجَةَ وأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ، وأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ، ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صلى الله عليه وآله"[١]. والأمر الجدير بالالتفات إليه انه رغم مكانة السيدة خديجة عليها السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن دعوته، وكونها أول من آمن به صلى الله عليه وآله بعد أمير المؤمنين عليه السلام الا انه عليه السلام يقول في النص اعلاه: "ارى نور الوحي" أي أنه وحده كان قد اختص بهذا المقام.

ورغم ما يشاع في الروايات التأريخية بأن هناك دعوة سرية تخفى فيها النبي صلى الله عليه وآله ولم يعلم المشركون بامره ومضامين دعوته، وانها استمرت ثلاثة سنوات[٢]، فهو محل توقف وتأمل! إذ كيف تتلائم السرية مع الروايات التي أشارت إلى أن أمر النبي صلى الله عليه وآله كان معروفا، إذ يشار في العلن: "ان ابن عبد المطلب ليكلم من السماء"[٣]. فضلاً عن ذلك ورد في الروايات انه صلى الله عليه وآله كان يصلي هو وأمير المؤمنين عليه السلام والسيدة خديجة عليها السلام بالقرب من الكعبة المشرفة، فهل يعقل ألا يراهم أحد؟ ولقد ذكر ابن سعد[٤]: "دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام سراً وجهراً، فاستجاب لله من شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس حتى كثر من آمن به وكفار قريش غير منكرين لما يقول، فكان إذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون إليه ان غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء، فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر، فشنفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وعادوه".

فلم يستشنع اكابر قريش من دعوته في باديء الامر، حتى ان أمره بالنسبة

---

(١) نهج البلاغة: ص ٤٠٦.

(٢) ينظر: ابن هشام: السيرة: ١/ ١٦٨. الحلبي: السيرة الحلبية: ١/ ٤٠٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات: ١/ ١٩٩. اليعقوبي: تاريخ: ٢/ ٢٤. ابن الجوزي: المنتظم: ٢/ ٣٦٤.

(٤) الطبقات: ١/ ١٩٩.

لهم لا يعدو التأملات والتكهنات، وهم الذين كانوا على دراية بمنهجه التعبدي، ونهجه الخلقي، إذ نبذ صلى الله عليه وآله كل ما هو شين أو سيء من فعالهم وعلى المستويات العقدية والسلوكية كافة فعرف بينهم بـ "الصادق الأمين" فلم يتوجسّوا منه خوفاً، ولم يشددوا في محاربته والوقوف بوجه دعوته.

من جانب آخر فقد واصل صلى الله عليه وآله تحركاته الرسالية، واستطاع في وقت قياسي "ان يصوغ من النفوس التي آمنت برسالته عناصر فعالة تحمل قيم الرسالة لتنطلق بها إلى الناس، وهم اشد حرصاً على إسلامهم، واكثر يقيناً بإيمانهم، مستنكرين بذلك ما كان عليه آباؤهم من شرك وخلق منحرف حتى تزايد الاستعداد لديهم لتحمل آثار الجهد بالرسالة"[(١)].

وتتضح دلالات إيمانهم العميق من خلال مواقفهم الجهادية فيما بعد في ساحات الوغى نصرة لعقيدتهم، حتى اضطروا إلى مقاتلة اقربائهم من آباء وابناء واخوان ولم يتوانوا عن قتلهم ان تطلب الأمر منهم ذلك[(٢)]. وقد عد الإمام عليه السلام ذلك من أهم عوامل نجاح الدعوة وتحقيق النصر المؤزر على أعداء الدين في تلك المرحلة الجهادية[(٣)].

ومن المواقف الهامة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله في هذه المرحلة هو التوجه نحو عشيرته ودعوتهم لدين الله ومؤازرته على أمره تبعا لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[(٤)(٥)]، فكانت أولى خطواته انذارهم في مجتمع تسوده

---

(١) المجمع العالمي: اعلام الهداية: ١/ ٨٩.

(٢) وذلك ما أشار اليه عليه السلام بقوله: "ولَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله، نَقْتُلُ آبَاءَنَا وأَبْنَاءَنَا وإِخْوَانَنَا وأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وتَسْلِيماً، ومُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ وصَبْراً عَلَى مَضَضِ الأَلَمِ، وجِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، ولَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا والآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا، يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَه كَأْسَ الْمَنُونِ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا ومَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا" نهج البلاغة: ص٩٢ ـ ٩٣.

(٣) إذ يقول عليه السلام: "فَلَمَّا رَأَى اللَّه صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ، وأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الإِسْلَامُ مُلْقِياً جِرَانَه ومُتَبَوِّئاً أَوْطَانَه" نهج البلاغة: ص٩٣.

(٤) سورة الشعراء الآية ٢١٤.

(٥) ولم يستجب له في هذا الاجتماع الأول الا أمير المؤمنين عليه السلام، ينظر: ينظر: الطبري: تاريخ: ٢/ ٢٢٨ ـ

الاعتبارات القبلية وقد تباينت الاتجاهات والاستجابات لبني هاشم لدعوته ﷺ إذ انقسموا إلى اتجاهين متضادين، فمنهم من قبل الدعوة وانسجم معها ونصرها بكل قوة، وفي طليعة هؤلاء أمير المؤمنين عليه السلام واهل بيته، ووقف اتجاه آخر ضد الدعوة ومن آمن بها، ومثيل ذلك ما أشار اليه عليه السلام من مواقف بعض الشخصيات الهاشمية كأبي لهب وقد كان لدعوة بني هاشم إلى الدين الجديد اصداؤها في اشاعة خبر النبي ﷺ إذ تبين لهم صدق دعوته وجديتها، هذا من جانب ومن جانب آخر، فقد دخل فيه الناس "ارسالا، من النساء والرجال، حتى فشا، فذكر الإسلام، وتحدث به، ... فأعظمت ذلك قريش وغضبت له، وظهر فيهم لرسول الله ﷺ البغي والحسد، وشخص له منهم رجال فبادؤه العداوة، وطلبوا إليه الخصومة"[(١)].

ثانياً: مرحلة الاعلان العام للدعوة وبداية المواجهة مع المشركين[(٢)]:

وبعد ان تم بناء القاعدة الصلبة للدعوة ـ متمثلة بأولئك الرواد الأوائل من المسلمين الذين انتموا للإسلام في أيام غربته، الذين نمت فيهم التجارب المقدّرة على الصمود بوجه الضغوط، وانضجتهم الآيات القرآنية التي كانت تتنزل على مكث حيناً بعد حين ـ اصدر الله أمره إلى رسوله الكريم ﷺ ان يتجاوز هذه المرحلة فيجهر بدعوته، وكان هذا الجهد امراً لا بد منه لدعوة عالمية شاملة جاءت لكي تثبت وجودها المنظور في الأرض العربية اولاً، وفي العالم المحيط بها ثانياً[(٣)].

٢٢٩، جامع البيان: ١٩/١٤٩. ابن مردويه: المناقب: ص٢٩٠. ابن الأثير: الكامل: ٢/ ٦٢ ـ ٦٣. أبو الفداء: المختصر: ١/ ١١٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/ ٥٣، تفسير: ٣/ ٣٦٤، السيرة النبوية: ١/ ٤٥٩. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٣/ ١١٤.الحلبي: السيرة الحلبية: ١/ ٤٦١.

(١) البيهقي: دلائل النبوة: ٢/ ١٧٥.

(٢) لهذه المواجهة أسباب عديدة يمكن الوقوف على اهمها بمراجعة ما ورد في وحدة تأليف الكتب الدراسية: تاريخ الإسلام: ١/ ١١٥ ـ ١٢٠.

(٣) وحدة تأليف الكتب الدراسية: تاريخ الإسلام: ١/ ١٠٩ ـ ١١٠.

إذن فقد جاء الأمر الإلهي ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾[١]، "**فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا، وحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالاًّ عَلَيْهَا**"[٢]. وتقدّم إليهم بالإنذار من عذاب الله، ودعاهم لما ينجيهم وما فيه خيرهم، "**فَبَالَغَ** صلى الله عليه وآله **فِي النَّصِيحَة، ومَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، ودَعَا إلى الْحِكْمَةِ، والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَة**"[٣]، ولكن لم يلاقِ من عتاة قومه سوى التكذيب والعداء السافر.

وكان لعمه أبي طالب دور بارز في مؤازرته في دعوته، فقد دعا بنو هاشم لحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله والقيام دونه فاستجابوا له ما خلا أبا لهب[٤].

وقد اتخذت قريش وسائل شتى بغية ثني النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأصحابه عن نشر الدعوة الإسلامية، وبعد فشل مساومتهم المادية، واغراءاتهم بالملك والسلطة والأموال[٥]، اتجهوا نحو اسلوب العنف والتعذيب والقسوة فتعرض النبي صلى الله عليه وآله لشتى انواع العذاب من الاستهزاء، والسخرية، والاتهامات الباطلة بالكذب والسحر والجنون والشعر والكهانة[٦]. ويوثق لنا أمير المؤمنين عليه السلام بعضا مما لاقاه رسول الله صلى الله عليه وآله من التكذيب، إذ ذكر أنهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وآله دعوة شجرة لتقف بين يديه، لما اتاه ملأ قريش: "**فَقَالُوا لَه يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً، لَمْ يَدَّعِه آبَاؤُكَ ولَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ**"[٧]. ولما لبى لهم ما طلبوا ازدادوا عناداً واتهموه بالكذب والسحر وهذا ما أشار اليه عليه السلام بقوله: "**فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بَلْ * (ساحِرٌ كَذَّابٌ) *، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيه**"[٨].

---

(١) سورة الحجر الآيتان ٩٤ ـ ٩٥.
(٢) نهج البلاغة: ص٣٦١.
(٣) نهج البلاغة: ص١٧٨.
(٤) ابن الأثير: الكامل: ١/ ٦٦٢.
(٥) ابن الأثير: الكامل: ١/ ٦٦٢.
(٦) ابن الأثير: الكامل: ١/ ٦٦٧ ـ ٦٧٣.
(٧) نهج البلاغة: ص ٤٠٦.
(٨) نهج البلاغة: ص٤٠٨.

وبلغ تمادي المشركين إلى أن يلقوا العذرة والسلى على باب النبي ﷺ وظهره[١]، ورمي جسده الطاهر بالحجارة وادماؤه، إلى آخر ما فعلوه معه شخصيا، وهذا ما عبّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "**خَاضَ إلى رِضْوَانِ اللَّه كُلَّ غَمْرَةٍ وتَجَرَّعَ فِيه كُلَّ غُصَّةٍ، وقَدْ تَلَوَّنَ لَه الأَدْنَوْنَ وتَأَلَّبَ عَلَيْه الأَقْصَوْنَ، وخَلَعَتْ إليه الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا، وضَرَبَتْ إلى مُحَارَبَتِه بُطُونَ رَوَاحِلِهَا**"[٢].

ناهيك عما تعرّض له أصحابه من التعذيب الجسدي حتى القتل[٣]، لكن النبي الأعظم ﷺ واصل طريق دعوته المحفوف باقسى انواع الشدائد والمكاره فـ "**دَعَا إلى طَاعَتِه وقَاهَرَ أَعْدَاءَه جِهَاداً عَنْ دِينِه، لَا يَثْنِيه عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِه، والْتِمَاسٌ لإِطْفَاءِ نُورِه**"[٤].

ولما أدرك ﷺ بعد عامين من الجهر بدعوته أن لا قدرة له على حماية المسلمين من العناء الذي يصيبهم من طغاة قريش، بعد اشتداد العنف بأصحابه من المستضعفين، حثّهم ﷺ على الهجرة إلى الحبشة؛ ليعطيهم بذلك استراحة ليستعيدوا نشاطهم فيعودوا ثانية لمواصلة مسيرة الرسالة الإسلامية، أو يفتحوا جبهة جديدة للصراع مع قريش بعد أن جعلوا لهم مركزا من خارج الجزيرة للضغط على مواقع قريش "وعسى الله أن يحدث - خلال ذلك - أمر كان مفعولا إذ اخبرهم ﷺ: "أن في الحبشة ملكا لا يُظلم عنده أحد" فاستجاب المسلمون لذلك وهاجروا وقد أمّر عليهم جعفر بن أبي طالب عليه السلام[٥].

وفشلت مساعي قريش في استرداد المسلمين بعد أن بعثوا الوفود محمّلة بالهدايا إلى ملك الحبشة، إذ نجح جعفر بن أبي طالب في مهمته المنوطة به،

---

(١) ابن الأثير: الكامل: ١/ ٦٦٧.

(٢) نهج البلاغة: ص٤١٤.

(٣) لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير: الكامل: ١/ ٦٦٣ - ٦٦٧.

(٤) نهج البلاغة: ص٣٧٦.

(٥) المجمع العالمي: اعلام الهداية: ١/ ١٠٠.

وحقق لأصحابه المؤمنين داراً يؤمّنون فيها على أرواحهم في دولة النجاشي بعد أن اقنعه بالحوار والحجج الدامغة[١].

ولما ايقنت قريش ألا جدوى من محاولتها، إذ عاد وفدها خائبا، فقرر زعماؤها ان يضيّقوا على من عندهم من المسلمين بالمأكل والمشرب، وأن يحظروا كل انواع التعامل الاجتماعي معهم، لم يتخل أبو طالب عليه السلام وبنو هاشم عن نصرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فكتبوا صحيفتهم بالمقاطعة الشاملة في البيع والشراء والمخالطة والزواج، ووقعت الصحيفة من قبل اربعين زعيما من زعماء قريش[٢].

الحصار في شعب أبي طالب:

يصوّر لنا أمير المؤمنين عليه السلام ذلك الحصار في شعب أبي طالب قائلاً: **"فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا واجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ، ومَنَعُونَا الْعَذْبَ وأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، واضْطَرُّونَا إلى جَبَلٍ وَعْرٍ، وأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللَّه لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِه، والرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِه، مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الأَجْرَ، وكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الأَصْلِ، ومَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيه بِحِلْفٍ يَمْنَعُه، أو عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَه فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ"**[٣].

يكشف لنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن المحنة التي واجهت رسول الله صلى الله عليه وآله وبني هاشم، إذ كان صلى الله عليه وآله معرّضا للقتل بعد اجماع القرشيين على ذلك، فنجد أمير المؤمنين عليه السلام يشير إلى ذلك قائلاً: **"فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا"**، ويذكر الشراح[٤] حادثة تختص بهذه الإشارة منه عليه السلام، إذ روي "ان

---

(١) ابن الأثير: الكامل: ١/ ٦٧٦ ـ ٦٧٨، ولمزيد من الدراسة عن دور جعفر بن أبي طالب في الحبشة ينظر: محسن مشكل: جعفر بن أبي طالب: ص ١١٥ ـ ١٤٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل: ١/ ٦٨٢.

(٣) نهج البلاغة: ص ٥٠٢.

(٤) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٤٣٠ ـ ٤٣١. حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ١٧/ ٣٠٢.

الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر، وتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأينا محمدا قمنا إليه قيام رجل واحد، فلا نفارقه حتى نقتله. قال: فأقبلت فاطمة عليها السلام حتى دخلت عليه صلى الله عليه وآله فأخبرته بقولهم، وقالت له: لو قد رأوك لقتلوك، وليس منهم رجل الا وقد عرف نصيبه من دمك، فقال: يا بنيتي! أريني وضوءا، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه غضوا ابصارهم ثم قالوا: هو ذا، ثم لم يقم إليه منهم أحد، فأقبل صلى الله عليه وآله حتى قام على رؤوسهم، فاخذ قبضة من تراب، فحصبهم بها، وقالت: شاهت الوجوه! فما أصاب رجلاً منهم شيء منه إلا قتل يوم بدر كافرا"[١].

ان هذه الحادثة ما هي الا نموذج ومثال لما تعرّض له النبي صلى الله عليه وآله لمحاولة القتل، والمعلوم أنه قد تعرّض لذلك عدة مرات، وإن إشارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "**فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا**" هي إشارة اجمالية ربما عنى بها كل تلك المحاولات التي رامت قتله صلى الله عليه وآله، ومنها ما جرى في شعب أبي طالب، فقد كان صلى الله عليه وآله عرضة للقتل في كل ليلة، حتى روي "فلما اجمعت قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وكتبوا الصحيفة القاطعة، جمع أبو طالب بني هاشم، وحلف لهم بالبيت والركن والمقام والمشاعر في الكعبة، لئن شاكت محمدا شوكة لاثنين عليكم، أو لاتين عليكم، وأدخله في "الشعب" وكان يحرسه بالليل والنهار قائما على رأسه بالسيف"[٢].

ويروى أن أبا طالب عليه السلام كان يعمد إلى تغيير محل مبيت النبي صلى الله عليه وآله إلى عدة أماكن في الليلة الواحدة، ويأمر ابنه أمير المؤمنين عليه السلام بالمبيت في فراشه صلى الله عليه وآله يفديه بنفسه حفاظا على سلامته صلى الله عليه وآله[٣].

وأما عن إشارة أمير المؤمنين عليه السلام إلى حادثة حصارهم في شعب أبي

---

(١) ينظر: ابن حنبل: المسند: ١/٣٠٣. الحاكم: المستدرك: ١/١٦٣. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٨/٢٢٨.
(٢) القمي: تفسير القمي: ١/ ٣٨٠. ابن شهر آشوب: المناقب: ١/ ٥٧.
(٣) لمزيد من التفاصيل ينظر: المحمداوي: أبو طالب: ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦

طالب فظاهر في قوله: "**وهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ، ومَنَعُونَا الْعَذْبَ وأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، واضْطَرُّونَا إلى جَبَلٍ وَعْرٍ، وأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ**" فقد هموا بايقاع الشرور بهم، ومنعوهم طيب العيش "فضاق الأمر ببني هاشم، وعدموا القوت، الا ما كان يحمل إليهم سرّاً وخفية. وهو شيء قليل لا يمسك ارماقهم، واخافتهم قريش، فلم يكن يظهر منهم أحد، ولا يدخل إليهم أحد، وذلك أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وآله واهل بيته بمكة"[١].

وعن قوله عليه السلام "**واضْطَرُّونَا إلى جَبَلٍ وَعْرٍ**" فقد يحمل على معنين:

الأول: كان مثلاً ضربه عليه السلام لخشونة مقامهم، وشظف منزلهم، أي كانت حالهم فيه كحال من اضطر إلى ركوب جبل وعر.

الثاني: يجوز أن يكون حقيقة لا مثلاً، لأن الشعب الذي حصروهم فيه مضيق بين جبلين[٢].

هنا سؤال جدير بالطرح: هل المشركون هم من اختار الشعب مكانا لحصار بني هاشم؟

في الواقع ان اختيار الشعب تم بارادة الداخلين فيه، ولم يكونوا مرغمين على ذلك. ونحن أمام رأيين هما في من اختار المكان من بني هاشم:

الأول: **النبي محمد** صلى الله عليه وآله:[٣] إن النبي صلى الله عليه وآله هو من اختار مكان الشعب، بعد عزم المشركين على قتله صلى الله عليه وآله، فأشار على عمه أبي طالب عليه السلام في دخول الشعب فوافق على ذلك[٤]. وما يؤيد ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يحاجج أحد اليهود في دخول نبي الله يوسف عليه السلام السجن قائلاً: "لئن كان

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٥٩.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٤٨. المجلسي: البحار: ٣٣/ ١١٥.

(٣) المحمداوي: أبو طالب: ص ٢٩٤.

(٤) المفيد: الفصول المختارة: ص ٥٨.

يوسف عليه السلام حبس في السجن فقد حبس نبي الله صلى الله عليه وآله نفسه في الشعب ثلاث سنين..."[١].

الثاني: أبو طالب: جاء في رواية "... فلما بلغ ذلك أبا طالب جمع هاشماً ودخل الشعب... فحلف لهم بالكعبة... والحرم والركن والمقام لئن شاكت محمد صلى الله عليه وآله شوكة لاتين عليكم يا بني هاشم وحصن الشعب..."[٢]. ويظهر نسبة الرأي لأبي طالب لأنه كان كبير بني هاشم والقائم بأمورهم، وهو كبير المحاصرين.

وفي هذه المرحلة العصيبة برز دور أبي طالب عليه السلام في اروع المواقف الإيمانية الصلبة التي كانت ذات اثر فعال في اجتياز المحنة وتثبيت أركان الدعوة الإسلامية[٣].

ولعل إشارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام السابقة: "، **فَعَزَمَ اللّه لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِه، والرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِه**"، ينطبق على موقف ابيه وموقفه هو عليه السلام في تلك المحنة ـ إذ فدى النبي صلى الله عليه وآله بنفسه في مبيته في تلك الليالي في محل مبيت النبي صلى الله عليه وآله معرض نفسه للقتل في اية لحظة، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، وفي هذا الموقف الفدائي منه وما عداه من مواقف على طول الخط الرسالي إلى جانب النبي صلى الله عليه وآله تتجسد معاني من مقولته الشهيرة: "**أَمَا واللّه إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا، حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا مَا عَجَزْتُ ولَا جَبُنْتُ**"[٤].

وفي قول آخر يقول عليه السلام: "**ولَقَدْ وَاسَيْتُه بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ، الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الأَبْطَالُ، وتَتَأَخَّرُ فِيهَا الأَقْدَامُ نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللّه بِهَا**"[٥]. وما مواقفه الا

---

(١) الطبرسي: الاحتجاج: ١/ ٢١٥.

(٢) القمي: تفسير القمي: ١/ ٣٨٠. ابن شهر آشوب: المناقب: ١/ ٥٧.

(٣) لمزيد من التفاصيل ينظر: المحمداوي: أبو طالب عليه السلام: ص ٢٩٣ ـ ٣٠٣.

(٤) نهج البلاغة: ص٧٠ ـ ٧١.

(٥) نهج البلاغة: ص٤٢٢.

صورة مجسدة لشجاعته النادرة في دفاعه عن حياض الإسلام وشخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

وقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن موقف بني هاشم كان متميزا في دفاعهم عن النبي صلى الله عليه وآله مؤمنهم وكافرهم، إذ يقول مبينا دافع كل منهم في مواقفه الدفاعية عن النبي صلى الله عليه وآله: "مؤمننا يبغي بذلك الاجر، وكافرنا يحامي عن الاصل". وفي هذا دلالة على ان بني هاشم الذين حصروا في شعب أبي طالب كانوا صنفين: مؤمنين وكافرين، وقد اختلف الشراح في بيان شخوص كل صنف[1]. فاما الصنف الأول وهم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله حق الإيمان، فانما هم يطلبون الاجر من الله في الصبر على تلك المحنة ومواساة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله والدفاع عنه. واما عن دافع الصنف الثاني وهم الذين بقوا كافرين على دين قومهم، ولكنهم يذبون عن رسول الله صلى الله عليه وآله ويحامون عنه ويدافعون عنه لا من حيث العقيدة، بل من حيث الحمية للنسب الواحد والاصل المشترك.

ومن الطريف ما ورد في إحدى الروايات حول موقف لأعدى أعداء النبي صلى الله عليه وآله وهو أبو لهب الذي لم ينضم إلى بني هاشم في هذا الظرف بل ظاهر عليهم، ولكن في موقف نجده يحامي عن اصله، إذ روى ابن إسحاق قائلاً: "فلم يُؤثَر عن أبي لهب خيرٍ قط، الا ما يروى أن أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي[2]، لما وثب عليه قومه ليعذبوه، ويفتنوه عن الإسلام هرب منهم، فاستجار بابي طالب، وام أبي طالب مخزومية وهي أم عبدالله والد رسول الله صلى الله عليه وآله فأجاره، فمشى إليه رجال من بني مخزوم، وقالوا له: يا أبا طالب! هبك منعت منا ابن أخيك، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا، قال: أنه استجار بي وهو ابن اختي وان انا لم امنع ابن اختي لم امنع ابن أخي،

---

(١) ينظر: ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٤٣٢. حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ١٧/ ٣٠٥ ـ ٣١٦.

(٢) هو عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومي، وأمة برة بنت عبد المطلب، أسلم بعد عشرة من المسلمين، وتزوج أم سلمة وهاجر بها إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، ومات بعد بدر أو أحد. ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٣٣٨، ابن حجر: الإصابة: ٢/ ٣٣٥.

فارتفعت اصواتهم واصواته، فقام أبو لهب، ولم ينصر أبا طالب قبلها ولا بعدها، فقال: يا معشر قريش! والله لقد اكثرتم على هذا الشيخ، لا تزالون تتوثبون عليه في جواره من بين قومه! اما والله لتنتهُن عنه أو لنقومن معه، فيما قام فيه حتى يبلغ ما اراد. فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة، فقاموا فانصرفوا، وكان وليا لهم ومعينا على رسول الله وأبي طالب، فاتقوه وخافوا ان تحمله الحمية على الإسلام، فطمع فيه أبو طالب حيث سمعه قال ما قال، وامل ان يقوم معه في نصرة رسول الله ﷺ فقال يحرضه على ذلك:

وإن امـــرأ أبـو عُـتـيـبـة عـمُـه ... لفى معزلٍ من أن يُسام المظالما

ولا تـقـبـلـنّ الـدهـر مـا عشت خطـةً ... تُسبّ بـهـا امـا هـبطت المـواسـمـا

أقـول لـه وايـن مـنـه نـصـيـحـتـي ... ابـا عُتبـة ثـبـت سـوادك قـائـمـا[1]

وفي معرض التميز لموقف أهل بيت النبي ﷺ عمن سواهم في تلك الفترة القاسية يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "ومن أسلم من قريش خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه، أو عشيرة تقوم دونه، فهو من القتل بمكان آمن". فتفريقه بين الصنفان قائم على أن بعضهم كانوا على حلف وعهد من الكفار، فمن أجل ذلك كانوا آمنين، وبعضهم الآخر لم يكن لهم العهد لكنهم كانوا ذوي عشيرة تقوم دونهم وتمنعهم الأعداء، فالمراد ان البلية إنما كانت متوجهة اليه عليه السلام وإلى سائر بني هاشم وبني المطلب لم يكونوا على عهد، ولم يكن لهم من يقوم دونهم، وبذلك يعلم فضيلتهم في حماية رسول الله وذبه عن كيد الأعداء[2].

ثم إن الله تعالى سلّط على صحيفتهم التي كتبوها الارضة، فلم تدع الا (باسمك الله فاغفر)، فاخبر الله عز وجل بذلك رسوله ﷺ، فاخبر رسول الله ﷺ عمه أبا طالب عليه السلام، فخرج أبو طالب في جماعة من رهطه،

---

(١) ابن أبي الحيد: شرح نهج البلاغة: ١٤/٥٦ ـ ٥٧.

(٢) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ١٧/٣١٦.

حتى وقف على قريش وطالبهم باخراج الصحيفة، واراهم صنيع الله بها وصدق رسوله صلى الله عليه وآله فبهتوا وخابوا واخزاهم الله سبحانه وتعالى(١).

وفي السنة العاشرة من البعثة خرج النبي صلى الله عليه وآله وبنو هاشم من الحصار، وهم اصلب عودا، واغنى تجربة، واكثر قدرة على التحرك صوب الهدف الذي آلوا على أنفسهم أن لا يتخلوا عنه رغم كل الصعاب، وكان من اثر الحصار، أن اشتهر ذكر الإسلام والمسلمين وانتشر في كل ارجاء الجزيرة العربية، وكانت امام رسول الله صلى الله عليه وآله مهام صعبة منها، الانفتاح بصورة اوسع خارج نطاق مكة، ومحاولة إيجاد أكثر من مكان آمن تتحرك من خلاله الرسالة الإسلامية(٢).

إذن استتبع اعلان الدعوة العام المواجهة من قبل رموز الجاهلية الذين عبر عنهم عليه السلام بـ "الملأ"، وكانت قريش(٣) ببطونها هي المخاطب الأول لدعوة النبي صلى الله عليه وآله، وكانت استجابتها ـ وهي في الموقع الاجتماعي والسياسي المرموق عند عرب الجزيرة ـ تشكل منعطفا كبيراً في تقدم الرسالة، كما كان احجامها وتلكؤها يشكل عقبة كؤود امام حركة الرسالة وتطورها(٤) وتمخضت دعوتهم إلى الإيمان بالدعوة عن مرحلتين من المواجهة:

أولاً: **المواجهة السلمية أو الحرب النفسية**: المتمثلة بالتعجب والتشكيك وطلب المعجزة والسخرية واتهامه صلى الله عليه وآله بالكذب والسحر كما مر بنا.

ثانياً: **التهديد** بشتى اشكاله الذي كان تعبيراً عن آخر السهام التي اطلقها الملأ القرشي لضرب النبي صلى الله عليه وآله ودعوته للانتقال من المواجهة السلمية إلى

---

(١) ابن الأثير: الكامل: ١/ ٦٨٤.

(٢) المجمع العالمي: اعلام الهداية: ١/ ١٠٣.

(٣) كان موقف قريش تجاه دعوة النبي صلى الله عليه وآله اتجاها مضادا ومناهضا لدعوته **ظنا منهم** ان الملك سوف يؤول إلى آل عبد المطلب، ومن ثم ينصاعون تحت زعامته، وهو صلى الله عليه وآله من ولد عبد المطلب، وهذا ما اتضح من مقولة أبي سفيان بن حرب للعباس بن عبد المطلب عند فتح مكة: "يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن اخيك عظيما". القريشي: آل عبد المطلب: ص ١٠٨.

(٤) وحدة تأليف الكتب الدراسية: تاريخ الإسلام: ١/ ١١١.

المواجهة الساخنة، التي بدأت بإيذاء وتعذيب المسلمين، ثم انتهت بقرار التصفية الشاملة والسريعة المتمثلة في قتل القيادة وانهاء وجودها وتحركها بشكل تام[١]. وهذا ما أشار اليه عليه السلام بقوله: "**فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا واجْتِيَاحَ أَصْلِنَا**"[٢].

كانت ردود فعل النبي صلى الله عليه وآله في كل مرحلة من مراحل المواجهة تتناسب مع اهدافه العليا ومثله وقيم الرسالة التي يريد ارساءها في وجدان ذلك المجتمع، فكان البلاغ المبين والصبر والمقاومة هو الشعار الأول، والهجر الجميل الذي تمثل بالامر بالهجرة حلا للازمة كما كان استمرار المقاومة والدعوة هو الشعار الثاني، وقد خرج النبي صلى الله عليه وآله من المقاطعة الشاملة منتصرا ظافرا بالحماية الالهية، واستمر يبحث عن القلوب الواعية حتى أمره الله بالهجرة الشاملة ليعد العدة اللازمة لصد العدوان القرشي الذي اخذته العزة بالاثم، وراح يخطط لاطفاء نور الله في الأرض، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون[٣].

ولكن فجع النبي صلى الله عليه وآله ورسالته الغراء بمضة شديدة اثر فقد حاميها وسندها القوي المنيع أبو طالب عليه السلام، وكذلك وفاة السيدة خديجة عليها السلام ثاني سندي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ولشدة اثر فقدهما على النبي صلى الله عليه وآله روي أنه سمى ذاك العام بـ "عام الحزن"[٤]، وقد صرح صلى الله عليه وآله قائلاً: "ما زالت قريش كاعة عني حتى مات أبو طالب"[٥]، بل جاء الأمر الإلهي بوجوب الخروج من مكة، والبحث عن مأوى آمن بعد غياب أبي طالب[٦].

---

(١) وحدة تأليف الكتب الدراسية: تاريخ الإسلام: ١/ ١١٢.

(٢) نهج البلاغة: ص ٥٠٢.

(٣) وحدة تأليف الكتب الدراسية: تاريخ الإسلام: ١/ ١١٢

(٤) الزمخشري: ربيع الأبرار: ١/ ٦٢. الطبرسي: إعلام الورى: ١/ ٥٣. المقريزي: إمتاع الأسماع: ١/ ٤٥.

(٥) ابن معين: تاريخ: ١/ ٣٨، الحاكم: المستدرك: ٢/ ٦٢٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٦٦/ ٣٣٩.

(٦) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٩.

ثالثاً: مرحلة الهجرة وبناء الدولة:

تعد الهجرة ظاهرة من الظواهر ذات العلاقة بالرسالات الإلهية، وبالتحولات الكبيرة في هذه الرسالات، ليس باعتبارها راحة، أو تحولا إلى مكان أفضل للاستقرار، والعيش الهني المطمئن، بل هي من ظواهر المعاناة والابتلاء الذي خص الله سبحانه به من اجتباه لمثل هكذا مهمات وادوار(١).

إن ما يبدو من تاريخ الرسالات الإلهية أن الهجرة كانت ظاهرة مهمة لازمت أنبياء كثر، ولا سيما أولوا العزم منهم، إذ كانت ذات اثر فعّال في تطور البشرية، وقد مثلت منعطفا مهماً جداً في تاريخ الإسلام تحديدا، فقد أقامت مجتمعاً ودولة إسلامية. وهذا يعد من خصائص الرسالة الإسلامية التي تميزت بها عن جميع الرسالات الإلهية، وهو أحد المؤشرات على تكامل هذه الرسالة، إذ إن كل الرسالات السابقة التي جاء بها الأنبياء كان لها دور في تطوير جركة التوحيد، والوصول إلى مستويات كبيرة ومهمة في ترسيخ دعائمه في تاريخ البشرية، إلا أنها لم توفق إلى إقامة دولة في ظل صاحب الرسالة كما هو حال الرسالة الإسلامية، التي رسخت دعائم الوحدانية بين الناس، وتمكنت من إقامة مجتمع إسلامي ودولة إسلامية، استمرت فترة طويلة وكان العنوان العام للحكم فيها هو حكم الله رغم كثرة الانحرافات في مسيرتها إلا أنها حافظت على الإطار العام للإسلام(٢).

لقد اضطر النبي صلى الله عليه وآله إلى ترك موطنه والهجرة مرارا في تاريخ الدعوة الإسلامية، فبعد أن ضيق المشركون عليه صلى الله عليه وآله والمسلمين أذن الله تعالى لنبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وأتباعه بالهجرة من مكة بعد أن ضاق الحال بهم، إذ أوذوا في سبيل الله، ونشر دعوته، وأصبح لا بد لهؤلاء المعذبين من الفرار بدينهم، واللجوء إلى مكان آمن يخلصهم من سطوة عتاة قريش، ولما رأى النبي صلى الله عليه وآله إن

---

(١) الحكيم: الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: ص ١٧٤.

(٢) الحكيم: الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: ص ١٧١ ـ ١٧٢.

دعوته تتعرض لضغوط قوية تمنع من انتشارها، ومن دخول الآخرين فيها، فكان لا بد من تحرك جديد، يعطي للدعوة دفعة جديدة، ويجعلها أكثر حيوية وأكثر قدرة على مواجهة الأخطار المحتملة[١].

هنا كانت الهجرة هي المخرج الوحيد الذي يكفل لهذه الدعوة أن تتنفس الصعداء بعيداً عن مضايقات المشركين، فكانت الهجرة إلى الحبشة، إذ هاجر جماعة من المسلمين الأوائل إلى خارج الجزيرة العربية، وتمكنوا من إيجاد حصن آمن لهم قبالة ضغوط أعدائهم، ثم كانت هجرة النبي ﷺ والمسلمين إلى المدينة المنورة التي كانت ذات أثر فعال في نشر الدعوة الإسلامية، وتثبيت أركان الدولة الإسلامية.

لا نجد في نهج البلاغة تفاصيل عن هجرته ﷺ الا فيما يخص الإشارة الواردة عن هجرته عليه السلام إلى المدينة والتحاقه بالنبي الأعظم ﷺ بعدما تخلف عنه في مكة بأمر منه ﷺ لـ (يبيت على فراشه، يخادع المشركين عنه ليروا انه لم يبرح فلا يطلبوه، حتى تبعد المسافة بينهم وبينه، وان يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي عنده للناس"[٢]. إذ يقول عليه السلام: "**جَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله، فَأَطَأُ ذِكْرَه حَتَّى انْتَهَيْتُ إلى الْعَرَجِ**"[٣]، فهنا يحكي الإمام عليه السلام ما جرى من حاله في خروجه من مكة إلى المدينة، وقوله: "**جَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله، فَأَطَأُ ذِكْرَه حَتَّى انْتَهَيْتُ إلى الْعَرَجِ**"[٤].

ولو تتبعنا معه عليه السلام ذلك الطريق ـ كما ذكرته مصادر السيرة ـ لوقفنا على تلك المنازل والمحال التي سار فيها رسول الله ﷺ ومن بعده أمير المؤمنين عليه السلام والذي أبى إلا أن يستتبع النبي الأعظم ﷺ في كل خطوة من

---

(١) العاملي: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ: ٣/ ٢٦٥.
(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٣٠٤.
(٣) نهج البلاغة: ص ٤٨٦ ـ ٤٨٧.
(٤) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٣/ ٣٨١.

خطواته الشريفة، كيف لا وهو القائل: "وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه"[١] وقد كان لهذا القول أبعاد أخرى أكثر عمقا وقفنا عليها سابقا.

جاء في الروايات: "فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط[٢]، سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل، حتى عارض الطريق أسفل من عسفان[٣]، ثم سلك بهما على أسفل أمج[٤]، ثم استجاز بهما، حتى عارض بهما الطريق، بعد أن أجاز قديدا[٥]، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك، فسلك بهما الخرار[٦]، ثم سلك بهما ثنية المرة[٧]، ثم سلك بهما لقفا[٨]، ويقال

(١) نهج البلاغة: ص٤٠٦.

(٢) هو عبد الله بن أريقط وقيل ابن أرقد الليثي أو الديلي، الشخص الذي استأجره النبي ﷺ كدليل في هجرته إلى المدينة، وقيل بعد ذلك أعاده النبي ﷺ إلى مكة لنقل من بقي من أهل بيته والمستضعفين، مع أنه كان كافرا، ولم تشر المصادر هل أسلم فيما بعد، وهل شارك في حروب المشركين ضد النبي ﷺ، ومتى مات؟. ينظر: ابن سعد: الطبقات: ١/ ٢٢٩، ٣/ ١٧٣، ٨/ ٦٢. الطبراني: المعجم الكبير: ٢٣/ ٢٥. ابن عبد البر: الاستيعاب: ٤/ ١٩٣٧. ابن قدامة: المغني: ٦/ ٣٩، ابن حجر: الإصابة: ٤/ ٥، فتح الباري٧/ ١٨٦. العيني: عمدة القاري: ١٢/ ٨١.

(٣) عسفان: لغة من عسفت المفازة، أي قطعتها بلا هداية ولا قصد، بين مكة والمدينة، وعلى مرحلتين من مكة، وسميت عسفان لتعسف السبل فيها، وهي أحد مناهل الطريق بين مكة والجحفة. الحموي: معجم البلدان: ٤/ ١٢١. الحميري: الروض المعطار: ص٤٢١.

(٤) أمج: الأمج في اللغة يعني: العطش، يقال: صيف آمج، أي شديد الحر، وقد ورد ذكرها في الشعر العربي. وهي بلد من أعراض المدينة المنورة، وغدت قرية جامعة كثيرة المزارع والنخيل. ينظر: الجوهري: الصحاح ١/ ٢٩٨. البكري: معجم ما استعجم: ١/ ١٩٠. الحموي: معجم البلدان: ١/ ٢٥٠. ابن منظور: لسان العرب: ٢/ ٢٠٨. الحميري: الروض المعطار: ص٣٠.

(٥) موضع قرب مكة، وهي تصغير قد، وهو مأخوذ من قولهم قددت الجلد، أو هو بالكسر، وهو جلد السخلة، ينسب إليها بعض أهل العلم. ينظر: الحموي: معجم البلدان: ٤/ ٣١٣. ابن الأثير: اللباب: ٣/ ٢٠. السيوطي: لب اللباب: ص٢٠٤.

(٦) الخرار: من خرير الماء، أي صوته، وادي في الحجاز، فيه ماء لبني زهير وبدر أبني ضمرة، البكري: معجم ما أستعجم: ٢/ ٤٩٢. ابن منظور: لسان العرب: ٤/ ٢٣٤. الزبيدي: تاج العروس: ٦/ ٣٣٧.

(٧) ثنية المرة: بفتح الميم، وتخفيف الراء، كأنه تخفيف المرأة من النساء، وهي إحدى المحطات التي مر بها النبي ﷺ في طريقه إلى المدينة، وهي إلى مكة اقرب. الحموي: معجم البلدان: ٢/ ٨٥. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية: ٩/ ٣٦٧.

(٨) لقفا: بفتح اللام أو كسرها، من لقف لقفا، أي تناول الشئ بسرعة، موضع ما بين مكة والمدينة، مر به=

لفتا[١]، ثم أجاز بهما مدلجة لقف[٢]، ثم استبطن بهما مدلجة مجاج[٣]، ويقال مِجَاح[٤]، ثم سلك بهما مرجح مجاج[٥]، ثم تبطن بهما مرجح من ذي الغضوين[٦]، ويقال العضوين، ثم بطن ذي كشر[٧]، ثم أخذ بهما على الجداجد[٨]، ثم على الاجرد[٩]، ثم سلك بهما ذا سلم[١٠] من بطن أعدا[١١]

=النبي ﷺ في هجرته إلى المدينة، وقد وردت الإشارة إليها في الشعر العربي. البكري: معجم ما أستعجم: ٤/ ١١٦١. ابن سيده: المخصص: ٤/ ١/ ٦٣. السهيلي: الروض الآنف: ٢/ ٢٤٤. الحموي: معجم البلدان: ٢/ ٨٥.

(١) لفتا: الكلام يرسل على عواهنه، أو صرفه صرفا، أو هي التي عن الجهة، أي الإلتفات، وهي ثنية بين مكة والمدينة، ويرى البكري أنهما لقفا ولفتا موضعان متقاربان. البكري: معجم ما أستعجم: ٤/ ١١٦١. الزمخشري: الفائق: ٣/ ٢٠٧. السهيلي: الروض الآنف: ٢/ ٢٤٤. الحموي: معجم البلدان: ٥/ ٢٠. ابن منظور: لسان العرب: ٢/ ٨٤. الفيومي: المصباح المنير: ٢/ ٥٥٥.

(٢) مدلجة لقف: أحد المواضع التي مر بها النبي ﷺ في طريقه إلى المدينة. ينظر: الحموي: معجم البلدان: ٥/ ٥٥. النويري: نهاية الإرب: ١٦/ ٢٣٨. الذهبي: تاريخ الإسلام: ١/ ٣٢٣.

(٣) مجاج: هو وادي بين مكة والمدينة، قريب من الجحفة، فيه ماء لبني عبدالله بن الزبير أعطاه لأخيه عروة بن الزبير. البكري: معجم ما أستعجم: ٤/ ١١٦١. ابن الأثير: النهاية: ٢/ ٢١.

(٤) مجاح: موضع من نواحي مكة، مر به النبي ﷺ في هجرته إلى المدينة، وقد رجح السهيلي والحموي انها مجاح بالحاء وليس مجاج بالجيم. السهيلي: الروض الآنف: ٢/ ٢٤٤. الإدريسي: نزهة المشتاق: ١/ ١٤٢.الحموي: معجم البلدان: ٥/ ٥٥،

(٥) مرجح مجاج: لم تذكر في المصادر إلا في نص ابن هشام وغيره الذي يشير إليها كأحد المواضع التي نزلها النبي ﷺ في طريق هجرته إلى المدينة. ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية: ٢/ ٣٤٠. ابن سعد: الطبقات: ١/ ٢٣٢. ابن كثير: السيرة النبوية: ٢/ ٢٥٥.

(٦) ذو الغضوين: بفتح الغين، والضاد، وهي تثنية الغضا، ويقال: العصوين: بالعين والصاد، موضع بين الحجاز والشام، مر به النبي ﷺ أثناء هجرته إلى المدينة، وقد وردت الإشارة إليه في الشعر العربي. ينظر: الحموي: معجم البلدان: ٤/ ٢٠٦.

(٧) جبل بين مكة والمدينة، وهو أحد المواضع الذي مر به النبي ﷺ في هجرته إلى المدينة. الحموي: معجم البلدان: ٤/ ٤٦٢. وينظر: الطبري: تاريخ: ٢/ ٣٨٩.

(٨) الجداجد: لعلها جمع جدجد، وهي آبار مر بها النبي ﷺ في طريق هجرته إلى المدينة، ويقال بئر جد، أي قديمة، السهيلي: الروض الآنف: ٢/ ٢٤٤.

(٩) الاجرد: الموضع الذي لا نبات فيه، وهو اسم جبل بين مكة والمدينة. البكري: معجم ما استعجم: ١/ ١١٢. الحموي: معجم البلدان: ١/ ١٠١ ـ ١٠٢.

(١٠) وادي ينحدر على الذنائب، وسوق الذنائب: قرية دون زبيد من أرض اليمن، وبه قبر كليب وائل. ينظر: البكري: معجم ما استعجم: ٣/ ٧٤٩. الحموي: معجم البلدان: ٣/ ٨.

(١١) بطن أعدا: البطن: الغامض من الأرض، وجمعه: بطنان، مثل: عبد وعبدان، موضع بين مكة والمدينة مر به النبي ﷺ في هجرته إلى المدينة، الحموي: معجم البلدان: ١/ ٤٤٨.

مدلجة تعهن[١]، ثم على العبابيد[٢]، ويقال العبابيب[٣]، ويقال العيثانة، يريد: العبابيب، ثم أجاز بهما الفاجة، ويقال: القاحة[٤]، ثم هبط بهما العرج، ثم خرج بهما دليلهما من العرج، فسلك بهما ثنية العائر[٥]، عن يمين ركوبه، حتى هبط بطن رئم[٦]، ثم قدم بهما قباء[٧]، على بني عمرو بن عوف"[٨].

وفي رواية عنه عليه السلام: "لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة في الهجرة أمرني أن أقيم بعده حتى أؤدي ودائع كانت عنده للناس، وإنما كان يسمى الأمين، فأقمت ثلاثا وكنت اظهر، ما تغيبت يوماً واحداً، ثم خرجت فجعلت اتبع طريق رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قدمت بني عمرو بن عوف ورسول الله صلى الله عليه وآله مقيم، فنزلت على كلثوم بن الهدم[٩] وهنالك منزل

---

(١) تعهن: بفتح التاء أو كسرها أو ضمها، عين ماء، على ثلاثة أميال من السقيا، بين مكة والمدينة، وفيها أمرأة يقال لها أم عقى، عندها عين ماء، استسقاها النبي صلى الله عليه وآله فلم تسقه، قيل فتحولت العين إلى صخرة. ينظر: السهيلي: الروض الآنف: ٢/ ٢٤٤، الحموي: معجم البلدان: ٢/ ٣٥.

(٢) العبابيد: جمع عباد، أحد المواضع التي مر بها النبي صلى الله عليه وآله في هجرته إلى المدينة، السهيلي: الروض الآنف ٢/ ٢٤٥. الحموي: معجم البلدان: ٤/ ٧٣.

(٣) العبابيب: جمع عباب من عببت الماء عبا، فكأنه مياه تعب عبابا، وهو أحد المواضع التي مر بها النبي صلى الله عليه وآله في هجرته إلى المدينة. السهيلي: الروض الأنف: ٢/ ٢٤٥. الحموي: معجم البلدان: ٤/ ٧٣.

(٤) اختلف بها بين القاحة (بالقاف والحاء) أو الفاجه (بالفاء والجيم)، وهي على ثلاث مراحل من المدينة، وقيل هي جبل، بين الجحفة وقديد، وقيل فيها بئران عذبتان، مر بها النبي صلى الله عليه وآله في طريق هجرته إلى المدينة. الحموي: معجم البلدان: ٤/ ٢٩٠.

(٥) ثنية العائر: العائر يقال هو الرمد، وقيل هو المتردد، وقيل الغائر: سهم عائر: هو الذي لا يعرف من رماه؟ واختلف هل هو جبل في المدينة أو لا؟ الحموي: معجم البلدان: ٤/ ٧٣.

(٦) رئم: لغة مفردة آرام، وهي الضباء البيض، هو وادي لمزينة قرب المدينة المنورة على بعد ثلاثة أميال عنها، الفراهيدي: العين ٨/ ٢٩٥. الحموي: معجم البلدان: ٣/ ١١٤، .

(٧) قبا أو قباء: قرية على ميلين من مكة على يسار القاصد إلى مكة، فيها مسجد التقوى الذي بناه المهاجرون الأولون والأنصار وكانوا يصلون فيه إلى بيت المقدس حتى هاجر النبي وصلى فيه النبي صلى الله عليه وآله لما هاجر إلى المدينة. وينسب إليها عدد من طلبة العلم. الحموي: معجم البلدان ٤/ ٣٠٢. ابن الأثير: اللباب: ٣/ ١٢.

(٨) ابن هشام: السيرة النبوية: ٢/ ١٠٣ ـ ١٠٤. ابن بريال: تاريخ ابن بريال: ١/ ٤٠١ ـ ٤٠٤، الذهبي: تاريخ الإسلام: ١/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

(٩) أبو قيس كلثوم بن الهدم بن أمرؤ القيس الأنصاري أحد بني عمرو بن عوف، أسلم قبل هجرة=

رسول الله ﷺ"[١]. وعن قوله عليه السلام: "فأطأ ذكره" قال الشريف الرضي: "من الكلام الذي رمى به إلى غايتي الإيجاز والفصاحة، أراد إني كنت أعطي خبره ﷺ من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة"[٢].

أما ابن ميثم[٣] فيرى أن أمير المؤمنين عليه السلام "استعار وصف (الوطيء) لوقوع ذهنه على ذكره ﷺ وخبره من الناس في تلك الطريق كوقوع القدم على الأرض، ووجه المشابهة إن الخبر عنه ﷺ وذكره طريق حركات قدم عقله إلى معرفة حسه ﷺ كما أن المحسوس طريق لحركات قدمه إلى الوصول إليه، وقيل: أراد بذكره ما ذكره لي ووصفه من حال الطريق، والأول أسبق إلى الفهم".

في حين قال ابن منظور في معناه: "أراد: إني كنت أغطي خبره من أول خروجي إلى إن بلغت العرج... فكنى عن التغطية والإيهام بالوطء، الذي هو ابلغ في الإخفاء والستر"[٤].

ويستوقفنا هنا إشارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى موضع "العرج" الذي انتهى إليه في مسيره بأثر رسول الله ﷺ: فلماذا خص أمير المؤمنين عليه السلام هذا الموضع (العرج) بالذكر؟ فكما ظهر لنا إن هذا المكان لا يزال يبعد عن المدينة، أو عن موضع نزول رسول الله ﷺ في قباء وقد وردت الروايات

=النبي ﷺ، وكان شيخا كبيرا، اقام عنده النبي ﷺ أربعة أيام إبان هجرته إلى المدينة، يعرف بصاحب رحل رسول الله، ونزل عنده عدد من المهاجرين وهم في طريقهم إلى المدينة، وهو أول الصحابة موتا، مات قبل بدر بيسير. ينظر: ابن سعد: الطبقات: ٣/ ٦٢٣. ابن عبد البر: الاستيعاب: ١/ ٤٢، ٣/ ١٣٢٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١/ ٢٤٢.

(١) ابن سعد: الطبقات: ٣/ ٢٢. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٦٩. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٦/ ٦٨٥.

(٢) نهج البلاغة: ص ٤٨٧.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٣٨١.

(٤) لسان العرب: ١/ ١٩٦.

انه صلى الله عليه وآله أبى دخول المدينة قبل وصول أمير المؤمنين عليه السلام إليه، وبالفعل فقد دخلاها معا[١].

ولكن لم أشار الإمام عليه السلام إلى موضع "العرج" هل ثمة أمر قد حصل فيه استوجب منه هذا التوقف فيه ولو إن الشريف الرضي قد أتم لنا نقل ذلك الخبر بالتمام لاتضحت لنا أمور أخرى، إذ إن الشريف الرضي ـ وكما هو ظاهر ـ قد اقتطع هذا النص من حديث طويل، كما أشار بقوله" في كلام طويل"، لأنه انتقى منه ما اشترطه في منهجه بانتخاب ما كان في قمة البلاغة فقط.

لقد كانت البيئة المكية غير صالحة لاقامة الدولة الإسلامية عليها، فضلاً عما لاقاه اتباع الدين الجديد من اضطهاد مرير من قبل عتاة مكة، فكان على القيادة الحكيمة ان تبحث عن أرض صالحة لتحقيق هذه المهمة تتكفل تجسيد الرسالة الإسلامية في الحياة الإنسانية، وتقديم النموذج الذي يريده الله للإسلام على يد رسوله الامين صلى الله عليه وآله، ومن هنا لاحظنا اهتمام النبي صلى الله عليه وآله بالهجرة إلى الطائف، وطلب النصرة والحماية لاقامة دين الله في الأرض، وحين احجمت الطائف عن تقديم النصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله والدفاع عنه امام قريش، أخذ يبحث عن بيئة أخرى فكانت يثرب خياره الوحيد في هذا المضمار.

وقد كانت "يثرب" بما توافر فيها من مقومات اقامة الدولة هي العاصمة الإسلامية للدولة المحمدية، إذ اجتمعت فيها القاعدة الشعبية التي لمس منها

---

(١) قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ كَانَ أبو بَكْرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله حِينَ أَقْبَلَ إلى الْمَدِينَةِ، فَأَيْنَ فَارَقَه؟ فَقَالَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله إلى قُبَا فَنَزَلَ بِهِمْ يَنْتَظِرُ قُدُومَ عَلِيٍّ عليه السلام فَقَالَ لَه أبو بَكْرٍ: انْهَضْ بِنَا إلى الْمَدِينَةِ، فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ فَرِحُوا بِقُدُومِكَ وهُمْ يَسْتَرِيثُونَ إِقْبَالَكَ إليهم فَانْطَلِقْ بِنَا ولَا تَقُمْ هَاهُنَا تَنْتَظِرُ عَلِيّاً فَمَا أَظُنُّه يَقْدَمُ عَلَيْكَ إلى شَهْرٍ. فَقَالَ لَه رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله: كَلَّا مَا أَسْرَعَه! ولَسْتُ أَرِيمُ حَتَّى يَقْدَمَ ابْنُ عَمِّي وأَخِي فِي اللَّه عَزَّ وجَلَّ وأَحَبُّ أهل بَيْتِي إِلَيَّ فَقَدْ وَقَانِي بِنَفْسِه مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قَالَ: فَانْطَلَقَ أبا بكر حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ، وتَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله بِقُبَا يَنْتَظِرُ عَلِيّاً عليه السلام. ينظر: الكليني: الكافي ٨/ ٣٤٠. ابن بريال: تاريخ ابن بريال: ١/ ٤٠٤. ابن سليمان الحلي: المحتضر: ص١٠٦. البحراني: حلية الأبرار: ١/ ١٥٩. المجلسي: مرآة العقول: ٢٦/ ٤٩٩.

النبي ﷺ قبولا لدعوته بعد البيعة[1]، وشكلت مع من هاجر إليها "شعباً" مؤمناً برسالته ﷺ، فضلاً عن وجود قيادة إلهية حكيمة تدير الامور وترعى عملية نشر الدعوة، إلى جانب وجود دستور إلهي يحكم وفق أساسياته، وبهذا اجتمعت أهم عناصر تكوين الدولة من "شعب" و"سلطة" و"دستور".

إذن في المدينة قد تكاملت ملامح الخطوط العامة للدولة، والنظام السياسي والاجتماعي، وتكوّن أول مجتمع سياسي اسلامي ولاول مرة في التاريخ، إذ قام ﷺ بعد دخوله المدينة بوضع اسس مقومات دولته وعمل على تنظيم ادارة الجهاز الحكومي وتطبيق النظريات المثالية وتنزيلها منزلة الواقع، باسلوب فريد اوحدي لم تعهده أي دولة.

كان ﷺ نبياً ومبلغاً عن الله تعالى، كما كان حاكما وقائدا محنكا يمارس رئاسة الدولة وقيادة الجيش ومسؤولية القضاء، وادارة شؤون المسلمين في المجتمع الجديد الذي بُني على اسس فريدة ويمكن إيجاز أبرز سمات الدولة المحمدية:

١ ـ تقرير العبودية لله وحده، فلا يعبد سواه من آلهة البشر والمال والاصنام. ومن ثم صناعة النظام الاجتماعي المتعاون والمتكامل الفاضل.

٢ ـ اعطي النبي ﷺ كافة الصلاحيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وذلك لقوله تعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[2] وقوله ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[3] إلى غيرها من الآيات القرآنية التي تنضوي تحت هذا المضمار الذي تحظر فيه الفواحش والمنكرات، ومجتمع الاخوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعدل اساس المجتمع، ولا يكون التفاضل

---

(١) عن تفاصيل بيعة العقبة الأولى والثانية ينظر ابن هشام: السيرة النبوية: ٢/٥٧ ـ ٨٥.العاملي: الصحيح من سيرة النبي الاعظم: ٤/١٢٧ ـ ١٤٧.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٦.

(٣) سورة النساء الآية ٥٩.

على اساس العصبية والجاه والمال بل على اساس التقوى ومن أبرز الخطوات التي انتهجها النبي صلى الله عليه وآله في بناء دولته الإلهية ووفق ما وردت الإشارة إليه في مظان كلام الإمام عليه السلام:

١ ـ التشريع:

يعد التشريع (السياسي والمالي والقضائي والاداري والمدني) من أهم مقومات الدولة والمجتمع الإنساني المتحضر، وقرر القرآن للبشرية ان مجتمعهم مجتمع قانوني، وان ما انزله الله هو كتاب شامل ودائم ولم يترك شيئاً تحتاجه الأمة الا بينة أو ثبت اساسه، واحال على الرسول صلى الله عليه وآله إيضاحه وتفصيله(١). يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: "**وعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّه أَزْمَاناً حَتَّى أَكْمَلَ لَه ولَكُمْ، فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِه دِينَه الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِه، وأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِه مَحَابَّه مِنَ الأَعْمَالِ ومَكَارِهَه، ونَوَاهِيَه وأَوَامِرَه**"(٢).

قامت الدولة الإسلامية في المدينة على التشريعات القرآنية، فنزلت آيات العبادات والجهاد والعقوبات والخمس والزكاة والمواريث والعلاقات الاجتماعية كالزواج والطلاق والنفقة والعلاقة بغير المسلمين وشؤون المال والتجارة وغيرها من التشريعات التي لبت حاجة المجتمع الجديد في ظل حاكمية الله تعالى المتمثلة بشخص النبي صلى الله عليه وآله واغنت السنة النبوية التشريع الاجتماعي بالفعل والممارسة التطبيعية والاقدار، اضافة إلى البيان اللفظي للاحكام والقوانين والاجتماعية اللازمة لتنظيم المجتمع، ولقد اصبحت تلك الاحكام والاسس مصدراً للفقه والاجتهاد في هذا المجال فيما بعد(٣).

---

(١) سالم الصفار: سيرة الرسول صلى الله عليه وآله في القيادة والمناهج الإنسانية: ص٢٧.
(٢) نهج البلاغة: ص١٣٧.
(٣) الصفار: سيرة الرسول صلى الله عليه وآله: ص ٢٧. وينظر: وحدة تاليف الكتب الدراسية: تاريخ الإسلام: ١/ ١٦٣ ـ ١٦٤.

٢ ـ المؤاخاة:

في إشارة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن دور النبي صلى الله عليه وآله في تأليف المجتمع وفق نظام إلهي جديد يقول عليه السلام: "**وأَلَّفَ به الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ، والضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ**"[1] وفي موضع آخر قال عليه السلام: "**دَفَنَ اللّه به الضَّغَائِنَ، وأَطْفَأَ بِه الثَّوَائِرَ أَلَّفَ بِه إِخْوَاناً، وفَرَّقَ بِه أَقْرَاناً، أَعَزَّ بِه الذِّلَّةَ، وأَذَلَّ بِه الْعِزَّةَ**"[2]، ويمكن ان يفهم من هذا النص في أحد ابعاده التآخي الذي اقره الدين الإسلامي بين المسلمين بعد تلك الخلافات والحروب الدامية فيما بينهم. إذ كان له صلى الله عليه وآله الدور الريادي في تحكيم اواصر المسلمين في مجتمعهم الجديد وذلك من خلال المؤاخاة التي عقدها بين المسلمين التي الف فيها بين القلوب المتنافرة وأزال البغضاء، لتنطلق الدولة على اسس وقواعد متينة، وبناء اجتماعي راسخ متماسك يقوم على اساس التعاون والتأخي والحب والايثار، وهذا ما أشار إليه الباري عز وجل في محكم كتابه إذ يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[3].

٣ ـ بناء القوة العسكرية:

ومن أهم خطواته صلى الله عليه وآله في طريق بناء الدولة تكوين الجيش عملا بالاذن الإلـهـي ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟

---

(١) نهج البلاغة: ص ٤٨٣.

(٢) نهج البلاغة: ص١٧٨ ـ ١٧٩.

(٣) سورة الحشر الآية ٩.

بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[١] وانطلاقاً من قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[٢]، وانتصارا للدهوة الفتية التي بشر الله تعالى بانها ستكون ظاهرة على كل الشرائع ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[٣]، خاض النبي صلى الله عليه وآله معارك ضد المشركين، وقد شارك صلى الله عليه وآله في قيادة جيش المسلمين، وكان قائدهم الذي لايجارى في شجاعته[٤] وحنكته وسياسته العسكرية[٥] التي اذهلت العقول، وبفضل كل ذلك كان النصر حليف المسلمين في اغلب تلك المعارك.

ولم ترد الإشارة في نهج البلاغة الا في غزوة بدر[٦] وأحد[٧] وسرية مؤتة[٨]، وقد مر بنا بضعة صور من جهاد المسلمين في المعارك التي خاضوها[٩].

---

(١) سورة الحج الآية ٣٩ ـ ٤١.

(٢) سورة الانفال الآية ٦٠.

(٣) سورة التوبة الآية ٣٣.

(٤) ومثيل ذلك إشارة الإمام عليه السلام بقوله: "كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إلى الْعَدُوِّ مِنْه" نهج البلاغة: ص٥٠٣.

(٥) لمزيد من التفاصيل عن المنهج النبوي في الجانب العسكري ينظر: الصفار: سيرة النبي في القيادة: ص ٤٩ ـ ٨٢. جابر: الدبلوماسية وقواعد المواجهة في فكر الرسول صلى الله عليه وآله: (الصفحات جميعها).

(٦) وذلك في كتابه عليه السلام إلى معاوية: "فَأَنَا أبو حَسَنٍ ـ قَاتِلُ جَدِّكَ وأَخِيكَ وخَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ" وأيضاً حول مقتل عبيدة بن الحارث: "فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ".

(٧) ذكر ذلك عليه السلام في محادثة له مع رسول الله صلى الله عليه وآله يظهر تشوقه عليه السلام للشهادة: "فَقُلْتُ يَا رَسُولُ اللَّه، أولَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ، حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ، فَقُلْتَ لِي أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ، فَقَالَ لِي إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذاً، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، ولَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى والشُّكْرِ" نهج البلاغة: ص٢٨٩. وأيضا إشارته لمقتل الحمزة عليه السلام: "وقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ" نهج البلاغة: ص٥٠٣.

(٨) إذ أشار عليه السلام إلى مقتل جعفر عليه السلام فيها: "وقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ" نهج البلاغة: ص٥٠٣.

(٩) ينظر الفصل الثاني: ص ١٦٩ ـ ١٧٠.

ومن إشاراته القيمة عليه السلام حول بعض معالم سيرته صلى الله عليه وآله الحربية:

أ ـ أشار عليه السلام انه كان اقرب المسلمين إلى العدو وانه كان ملاذهم إذا احمر البأس واشتد الضراب. وان منهجه كان يقوم على تقديم أهل بيته عليهم السلام قبل غيرهم للجهاد ومبارزة الأعداء. وقد "جاهد في الله أعداءه غير واهن ولا معذر" وقد كان في جهاده النموذج الامثل الذي تخطى المقاييس والامثلة، إذ تفانى في مقارعة أعداء الله، و" **وقَاهَرَ أَعْدَاءَه جِهَاداً عَنْ دِينِه، لَا يَثْنِيه عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِه، والْتِمَاسٌ لإِطْفَاءِ نُورِه**" لان الله أبى الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون.

ب ـ ان سيرته الحربية لم تبتن على التغلب والتسلط بل كانت لنجاة الإنسان من الضلال: "**فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَه مَنْ عَصَاه، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ، ويُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ**"(١).

ج ـ مراعاته للجند وحرصه على تتبع امورهم ومعاملتهم بانسانية ملؤها الرحمة والشفقة " **يَحْسِرُ الْحَسِيرُ ويَقِفُ الْكَسِيرُ، فَيُقِيمُ عَلَيْه حَتَّى يُلْحِقَه غَايَتَه، إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ فِيه، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، وبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ، واسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ**"(٢).

أساليب النبي صلى الله عليه وآله في دعوته:

لقد كانت رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله رسالة تغييرية اجتماعية، فلا بد ان تنفذ إلى اعماق الفكر والنفس الإنسانية وتستخرجها من ظلمات الوهم والجاهلية والعصبية إلى نور العلم والمعرفة والإيمان واليقين، وإلى نور القيم الرفيعة السامية(٣). لذا في عدة مواضع من كلام الإمام عليه السلام نجده واصفا النبي صلى الله عليه وآله بصفات تعكس اثر وجوده الطيب المبارك الذي اصلح حال المجتمع ونقله تلك

---

(١) نهج البلاغة: ص ١٩٨.

(٢) نهج البلاغة: ص١٩٨.

(٣) وحدة تأليف الكتب الدراسية: تاريخ الإسلام: ١/ ١٢٢.

النقلة النوعية الفريدة، إذ يصفه قائلاً: "**أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، والْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ والْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ**"[١] وفي موضع آخر نراه يقول: "**حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ، وأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ**"[٢] "**سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُه، وشِهَابٌ سَطَعَ نُورُه، وزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُه**"[٣] إلى غيرها من النصوص التي تناثرت في طيات هذا البحث.

وكان من الطبيعي ان تختلف منطلقات وأساليب وألوان المواجهة من قبله صلى الله عليه وآله تجاه قومه وسائر من شملته دعوته إلى الإيمان بنبوته، والتي يمكن تقسيمها إلى محاور ثلاث:

المحور الأول: أسلوب النصح والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة:

يقول عليه السلام: "**فَبَالَغَ - صلى الله عليه وآله - فِي النَّصِيحَةِ، ومَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، ودَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ، والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**"[٤]. هذا النص يتضمن الإشارة إلى منهجين من مناهج النبي صلى الله عليه وآله في دعوته:

الأول: المبالغة في النصيحة: النصح: تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه، ونصحت له الود، أي اخلصته. والنصح هو الخلوص من الغش، فهو يقابل الغش سواء كان في قول أو عمل أو أي أمر آخر، واما الخلوص: فيلاحظ فيه التصفية عن الشوب، فهو إنما يتحصل بعد التنقية والتصفية، ومن مصاديقه: في العمل: كالخدمة والتبليغ في الله بخلوص وصدق. وفي القول: كإبلاغ الاحكام وذكر الحقائق الالهية[٥].

وقد تحدث القرآن الكريم عن مواقف الأنبياء في مقام النصح لاقوامهم في

---

(١) نهج البلاغة: ص ٢٧٥.
(٢) نهج البلاغة: ص ١٩٧.
(٣) نهج البلاغة: ص ١٧٦.
(٤) نهج البلاغة: ص ١٧٨.
(٥) حسن مصطفوي: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ص ١٣٧.

آيات عدة[١]، وكان من وظائفهم ابلاغ ما امروا به في مقام الرسالة، والعمل الناصح الخالص المؤدي إلى السعادة. وهذه حقيقة قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٢].

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام عن دور النبي صلى الله عليه وآله في هذا المجال واضح في انه قد ادى ذلك على اتم وابلغ وجه، بدليل قوله "فبالغ" في النصيحة أي اخلص تمام الاخلاص. وتجدر الإشارة إلى أن من آداب النصح أخذ المنصوح بالرفق ولين الكلام وعدم التقريع[٣]. وهذا قد تحقق في منهج النبي صلى الله عليه وآله وطريقة تعامله بالرأفة والرحمة والمداراة لمن حوله حتى استجلب القلوب والعقول إليه، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٤] وقد مر بنا الإشارة إلى سجية من سجاياه صلى الله عليه وآله وهي "الرحمة"[٥] التي من مصاديقها هذه الأساليب الرحيمة مع من حوله صلى الله عليه وآله.

الثاني: دعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة: امتثالا لأمر الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[٦]. الحكمة هنا بمعنى العلم والمنطق والاستدلال، فاول خطوة على طريق الدعوة إلى الحق هي التمكن من الاستدلال وفق المنطق السليم، أو النفوذ إلى داخل فكر الإنسان ومحاولة تحريك وايقاظ عقولهم، كخطوة أولى في هذا الطريق[٧].

وقيل في معنى الحكمة هنا وجوه عدة: القرآن، وسمى القرآن حكمة لأنه

---

(١) منها قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ الأعراف ٦٢. وقوله ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ الأعراف ٧٩، وقوله ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ هود ٣٤.

(٢) سورة الجمعة الآية ٣.

(٣) ابن ميثم: شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام: ص ١٥٠.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٥) ينظر الفصل الثالث: ص ٢٨٧ ـ ٢٨٩.

(٦) سورة النحل الآية ١٢٥.

(٧) ناصر مكارم الشيرازي: الامثل: ٨/٢٦٩.

يتضمن الأمر بالحسن والنهي عن القبيح، واصل الحكمة المنع، ومنه حكمة اللجام، وإنما قيل لها حكمة لانها بمنزلة المانع من الفساد وما لا ينبغي ان يختار، وقيل: ان الحكمة هي المعرفة بمراتب الافعال في الحسن والقبح والصلاح والفساد، لأنه بمعرفة ذلك يقع المنع من الفساد والاستعمال للصدق والصواب في الافعال والأقوال[١].

إذ كان من أهم أساليب النبي صلى الله عليه وآله المحاججة بالبراهين والادلة المنطقية والعقلية، وإلى ذلك يشير أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "**أَرْسَلَه بِوُجُوبِ الْحُجَجِ**"[٢]، وقوله: "**أَرْسَلَه بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ ومَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ ودَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ**"[٣] التي توافرت في كتاب الله "القرآن الكريم" وهو الناطق الذي لا يعيا لسانه كما وصفه عليه السلام[٤].

وبين عليه السلام انه من أهم ادوات النبي صلى الله عليه وآله في التغيير والاصلاح: "**ابْتَعَثَه بِالنُّورِ الْمُضِيءِ والْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، والْمِنْهَاجِ الْبَادِي والْكِتَابِ الْهَادِي**"، وفي قول: "**إِنَّ اللَّه بَعَثَ رَسُولًا هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وأَمْرٍ قَائِمٍ**" ويقول عليه السلام: "**ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْه الْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُه**".

كان القرآن الكريم باسلوبه المنطقي ومنطقه الرائع وبلاغته الفائقة يجيب على التساؤلات ويقدم الحجج والبراهين للعقل الإنساني ويبشر وينذر ويرسم للانسان آفاق المستقبل الذي ينتظره بعد هذه الحياة الدنيا[٥].

وقد كان الهدف الأول للنبي صلى الله عليه وآله هو البناء العقيدي على اساس متين، وقد سعى لتحقيقه بشتى الطرق، وقد افلح في ذلك حينما قرن حججه الدامغة بالحلم والصبر والجهاد المستمر في الدعوة مهما قست الظروف عليه صلى الله عليه وآله.

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان: ٦/ ٢١٠ ـ ٢١١. وينظر: حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٧/ ٩٢.
(٢) نهج البلاغة: ص ٣٦١.
(٣) نهج البلاغة: ص٣٠٢.
(٤) إشارة إلى قوله عليه السلام: "وكِتَابُ اللَّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُه" نهج البلاغة: ص٢٥٠.
(٥) وحدة تأليف الكتب الدراسية: تاريخ الإسلام: ١/ ١٢٢.

اما الخطوة الثانية فاستخدام أسلوب "الموعظة الحسنة" وهو نداء وحث روحاني يعلو بالإنسان نحو الكمال، ويدعوه إلى ترك ما عليه من سوء وغفلة، وعدم الخروج عن الغاية والهدف من الخلقة[١]. ولاهمية هذه الطريقة في الهداية، أمر الله تعالى نبيه بأن تكون دعوته مقترنة بالموعظة الحسنة، وذلك لما لها من اثر فعال ودقيق على تحريك وجدان وعاطفة الإنسان. وان تقييد "الموعظة" بقيد "الحسنة" لعله إشارة إلى أن النصيحة والموعظة إنما تؤدي فعلها على الطرف المقابل إذا خليت من اية خشونة، أو استعلاء وتحقير التي تثير فيه حس العناد واللجاجة وما شابه ذلك[٢]. فالدعوة بالحكمة تعني الدعوة بالبرهان والدعوة بالموعظة تعني الدعوة بالخطابة[٣] و"الحكمة" تستثمر البعد العقلي للانسان، و"الموعظة الحسنة" تتعامل مع البعد العاطفي له[٤].

المحور الثاني: استخدام القوة والمواجهة العسكرية:

لما أسس النبي ﷺ دولته المباركة على قاعدة ايمانية صلبة استخدم إلى جانب المنطق سلاح القوة دفاعا عن كيانه الفتيّ، ومقابلة السلاح بالسلاح والقوة بالقوة بعد أن يئس من جدوى سائر الوسائل التي استخدمها في العهد المكي إذ تمادى المشركون في العناد واللجاج، فكانت القوة هي الاداة الوحيدة التي يفهمها العدو، حتى استطاع ان يرفع الحواجز المادية التي كانت تكبل كثيراً من العقول والنفوس وتمنعها من العود إلى فطرتها النقية واختيار طريق الإسلام النقي[٥]. يقول عليه السلام: **"فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَه مَنْ عَصَاه"**[٦] " غَيْرَ

(١) مكتبة الروضة الحيدرية: الموعظة في نهج البلاغة: ص ٥.
(٢) الامثل: ٨/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠.
(٣) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٢/ ٥٣٠.
(٤) الامثل: ٨/ ٢٦٩.
(٥) وحدة تأليف الكتب الدراسية: تاريخ الإسلام: ١/ ١٢٣.
(٦) نهج البلاغة: ص ١٩٢.

نَأكِلٍ عَنْ قُدُم ولَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ"[(١)] و **"فَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّه، غَيْرَ وَانٍ ولَا مُقَصِّرٍ، وجَاهَدَ فِي اللَّه أَعْدَاءَه، غَيْرَ وَاهِنٍ ولَا مُعَذِّرٍ"**[(٢)].

وقد كان ﷺ بأساليبه العسكرية الفذة قد اعطى النموذج القيادي الامثل في استخدام القوة مع العدو.



(١) نهج البلاغة ص١٠٧.

(٢) نهج البلاغة: ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

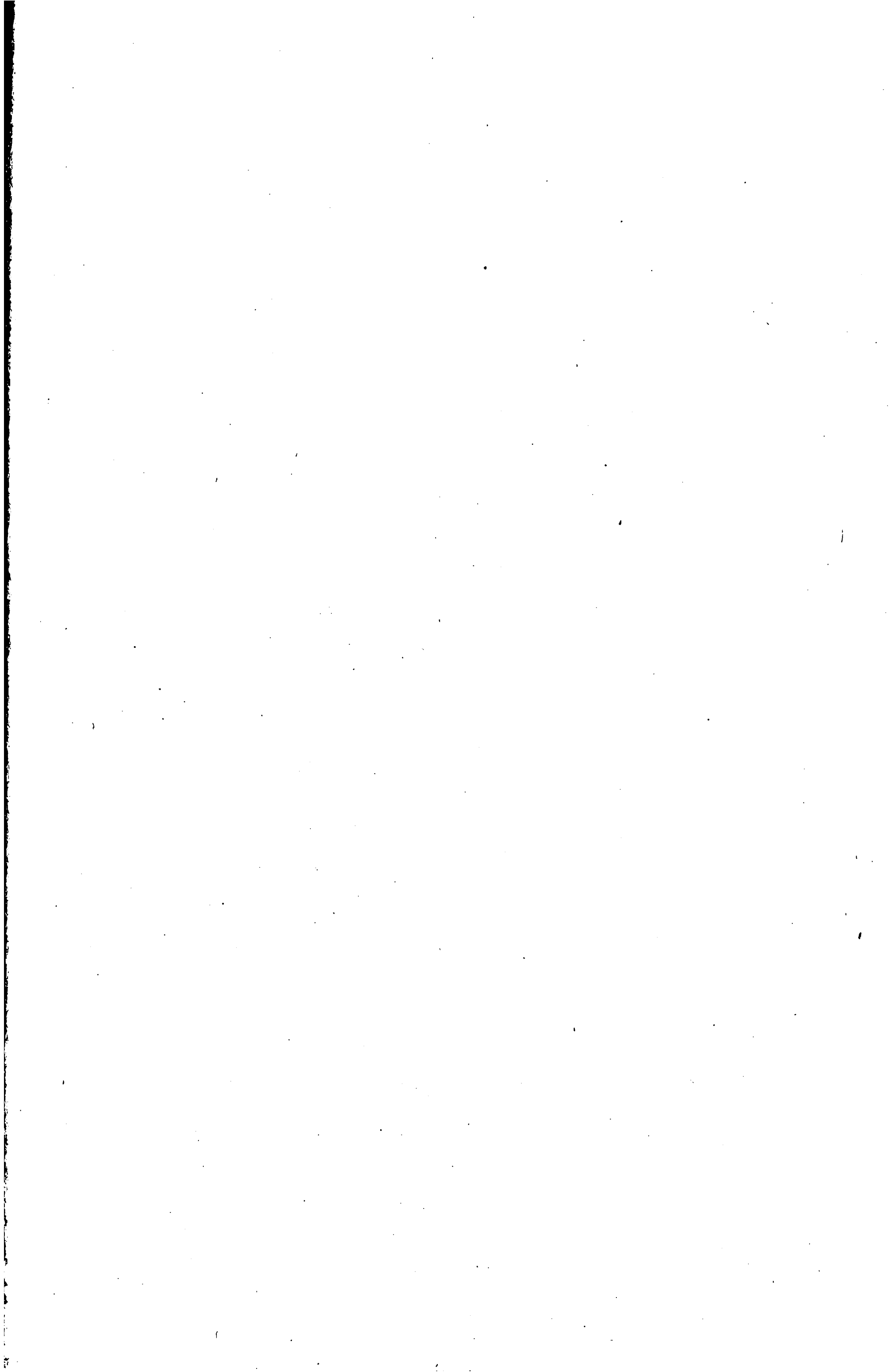
الفصل الخامس

السنة النبوية في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

المبحث الأول: مفهوم السنة النبوية ومكانتها

المبحث الثاني: السنة النبوية ومكانتها في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

المبحث الثالث: دور أمير المؤمنين عليه السلام في إحياء السنة النبوية



المبحث الأول

مفهوم السنة النبوية ومكانتها

١ ـ معنى السنة، لغة، واصطلاحاً:

السنة لغة: مأخوذة من (سنّ)، السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء وإطراده في سهولة، والأصل قولهم: سننت الماء على وجهي، أسنهُ سناً، إذا أرسلته إرسالا[١]. إن الذي يبدو من معاجم اللغة أن هناك شرحين لهذه المفردة يختلفان سعة وضيقا:

الأول: تعني الطريقة، دون تقييد هذه الطريقة كونها محمودة أو مذمومة أونحوهما.

الثاني: خصوص الطريقة المحمودة المستقيمة[٢].

يبدو إن إطلاق معنى السنة لغة وتجريده من قيد التحسين والذم هو الأصح، وإن اقتران مفهوم الحسن بالسنة إنما جاء وليدا للثقافة الإسلامية في ثنائيتها التي قدمتها تحت عنوان: السنة والبدعة، وإلا فتحرير المفردة من الثقل الإسلامي الذي حملته بعد البعثة النبوية يستدعي فهم السنة على أنها مطلق الطريقة[٣].

---

(١) ابن فارس: المعجم: ٣/ ٦٠.

(٢) الزبيدي: تاج العروس: ٩/ ٢٤٤. وينظر: الجوهري: الصحاح: ٥/ ٢١٣٨ ـ ٢١٣٩. الفيروز آبادي: القاموس المحيط: ٢/ ٥٤. سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي: ص١٨٤.

(٣) حيدر حب الله: حجية السنة: ص ٢٧ ـ ٢٨.

أما السنة اصطلاحاً: هي ما شرعه رسول الله ﷺ قولا، أو فعلا، أو تقريرا. وهي ما أمر به النبي ﷺ. أو نهى عنه، أو ما ندب إليه، والمندوب ينطق به الكتاب العزيز[١].

أما مدلول السنة الاصطلاحي، فلها تحديدات تضيق وتتسع بحسب تعريف المصطلحين، فهي في عرف الفقهاء: الطريقة الشرعية. فتكون أعم من الواجب والمندوب، وقد تطلق كثيراً على الفروض[٢]. وتطلق أيضاً على ما يقابل البدعة، ويراد بها كل حكم يستند إلى أصول الشريعة في مقابل البدعة، وربما استعملها الكلاميون بهذا الاصطلاح[٣]. أماالأصوليون فقد اختلفوا في مدلولها سعة وضيقاً مع اتفاقهم على صدقها على (ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير)[٤]. ويضيف أهل الحديث (أو صفة)[٥].

ويلحق بالسنة قول الصحابي[٦] وأئمة أهل البيت عليهم السلام[٧].

---

(١) ابن الأثير: النهاية: ٢/٤٠٩. وينظر: سبحاني: موسوعة طبقات الفقهاء: ١/٨٨، الحديث النبوي بين الرواية والدراية: ص٥، ٩.

(٢) أبو حبيب: القاموس الفقهي: ص ١٨٤.

(٣) محمد تقي الحكيم: الأصول العامة للفقه المقارن: ص ١٢١.

(٤) الطريحي: مجمع البحرين: ٢/٤٣٦. لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد تقي الحكيم: السنة في الشريعة الإسلامية: ص٨ ـ ٢٠. الجواهري: بحوث في الفقه المعاصر: ١/١٣، قلعجي: معجم لغة الفقهاء: ص١٧٧.

(٥) الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية: ص٦. الباجي: التعديل والتجريح ١/١٤. عبد المنعم: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ١/٥٧ ـ ٥٥٦. قلعجي: معجم لغة الفقهاء: ص١٤٠ ـ ١٧٧. مركز المعجم الفقهي: المصطلحات: ص٩٥٧.

(٦) الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية: ص٦، المناوي: فيض القدير: ١/ ١٧١، ان نظرة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد سنجد أن هناك آلاف من الأحاديث تنتهي إلى الصحابة لذا تعد من السنة الملحقة بسنة النبي صلى الله عليه وآله. ولمزيد من التفاصيل عن سنة الصحابة ينظر: محمد تقي الحكيم: السنة في الشريعة الإسلامية: ص٢١ ـ ٢٩.

(٧) ينظر: المجلسي: ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار: ١/ ٢٠. محمد تقي الحكيم: السنة في الشريعة الإسلامية: ص٢٩ ـ ٧٥. سنة أهل البيت (: ص٥. غفاري: دراسات في علم الدراية: ص١٢.

٢ ـ مكانة السنة النبوية:

تعد السنة النبوية ثاني مصدر للتشريع في الإسلام بعد القرآن الكريم، وحجيتها من أكبر ضروريات الدين عند المسلمين[١]. وقد جاءت الحاجة إلى السنة النبوية لأن الكتاب العزيز ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[٢]، كما أن القرآن ليس متكفلاً بيان جميع الأحكام، ولا بخصوصيات ما تكفل بيانه من العبادات كالصلاة والصوم والحج والزكاة فلم يتعرض لبيان الأجزاء والشرائط والموانع[٣]. ولذا قال سبحانه مخاطبا رسوله الكريم: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤]، وقال أيضاً: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[٥].

إن ظاهر الكتاب لا يغني الأمة عن السنة، وهي لا تفارقه حتى يردا الحوض على النبي صلى الله عليه وآله، وحاجة الأمة إلى السنة لا تقل عن حاجتها إلى الكتاب، وأنها في مجالات الاستدلال صنو الكتاب وفي رتبته، بل هما واحد من حيث انتسابهما إلى المشرع الأول وهو الله عز وجل، ولا يمكن الاستغناء به عنها[٦]، بل ذهب الاوزاعي[٧] للقول: "الكتاب أحوج إلى السنة، من السنة

---

(١) لمزيد من التفاصيل ينظر: . محمد تقي الحكيم: الأصول العامة: ص١٩٩ ـ ٢٥١. حب الله: حجية السنة: ص٩ وما بعدها.

(٢) سورة آل عمران الآية ٧.

(٣) السيد الخوئي: معجم رجال الحديث: ١/ ٢٠.

(٤) سورة النحل الآية ٤٤.

(٥) سورة النساء الآية ٨٣.

(٦) محمد تقي الحكيم: الأصول العامة: ص ٢٥٠ ـ ٢٥١.

(٧) الأوزاعي: هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو، من قبيلة الأوزاع، ولد في بعلبك سنة ٨٨هـ، ونشأ في البقاع، ثم سكن بيروت حتى توفي فيها سنة ١٥٧هـ، يعد إمام الديار الشامية في الفقه، له عدة مؤلفات في الفقه حتى دان أهل الأندلس بمذهبه إلى أيام الحكم بن هشام. ينظر: ابن سعد: الطبقات: ٧/ ٤٨٨. ابن خياط: طبقات: ص٥٧٧. ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار: ٢٨٥ ـ ٢٨٦. السمعاني: الأنساب: ١/ ٢٢٧. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣٥/ ١٤٧ ـ ٢٢٩. ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٣/ ١٢٧ ـ ١٢٨.=

إلى الكتاب"، وذلك لأنها تبين المراد منه. ولما سئل ابن حنبل عن الرأي الذي يذهب إلى أن السنة قاضية على الكتاب، قال: "ما أجسر على هذا أن أقوله، ولكن السنة تفسر الكتاب، وتعرف الكتاب وتبينه"(١)، وروي أن جبرائيل كان ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه إياها كما يعلمه القرآن(٢). وليس القول بأهمية السنة النبوية وحجيتها وتبيينها للقرآن من القول الجزاف، وبلا دليل يركن إليه، فقد دلت نصوص قرآنية وأحاديث نبوية على ذلك كما سيأتي بيانه إجمالا:

أولاً: في القرآن الكريم:

إن منزلة السنة النبوية وأهميتها نابعة من منزلة النبي الأعظم ﷺ وأهميته، لأنها ثمرة من ثمرات وجوده المقدس، وعليه فلا يمكن معرفة أهميتها إلا إذا تعرفنا على منزلة نفس النبي الأعظم ﷺ وأهميته، وهذا الأمر قد تكفلت به الآيات القرآنية على أكمل وجه، فقد تحدثت كثير من آيات الكتاب العزيز عن الموقعية الدينية التي يمثلها شخص النبي الأعظم ﷺ، وعن قداسة كل ما يصدر عنه من قول أو فعل أو تقرير، وهذا ما نتلمسه من الآيات القرآنية الدالة على وجوب الإيمان بالنبي ﷺ(٣)، كذلك دعت الآيات القرآنية إلى ضرورة

=الذهبي: تذكرة الحفاظ: ١/ ١٧٨ ـ ١٨٣. سير أعلام النبلاء٧/ ١٠٧ ـ ١٣٤. الزركلي: الأعلام: ٣/ ٣٢٠. بالنثيا: تاريخ الفكر الاندلسي: ص٤٦٥.

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ١٩١ ـ ١٩٢.

(٢) الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية: ص ٢٧.

(٣) كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ سورة النساء الآية ٦١، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ سورة النساء الآية ١٣٦، وقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)﴾ سورة الأعراف الآية ١٥٨، وقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة التوبة الآية ٩١، ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨)﴾

التأسي بكل حركات هذه الشخصية العظيمة وسكناتها والاقتداء بها، إذ وصفته بأكمل أنواع الوصف وبما لم يوصف به نبي ولا رسول قبله. فقد وصفه الله تعالى في كتابه بأنه على خلق عظيم في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[(١)]، وبالسراج المنير الذي يمد الناس بالهداية في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾[(٢)]. ولم يكتف عز وجل بهذا التعظيم والتبجيل لشخصه صلى الله عليه وآله في القرآن بل اوجب على المؤمنين تعظيمه وتبجيله وتوقيره، رافضا التعامل معه على انه فرد مثل بقية الافراد، ومن ذلك ما أمر به سبحانه المؤمنين أن لا يخاطبوه كمخاطبة بعضهم لبعض وألزم عليهم أن يوقروه[(٣)]، وأمرهم أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوته، ثم هدد من يرفع صوته بحبط العمل وضياع الإيمان[(٤)]، وألزم الأمة بضرورة الإيمان به، على أساس أن الإيمان به يعني التصديق به والإذعان برسالته وبما جاء من عند الله سواء جاء في الكتاب أم لا، ولا أقل من أن عدم إتباعه ينافي الإيمان به والتصديق[(٥)].

لقد أكدت الآيات القرآنية على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وإن طاعته من

وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ سورة النور الآية ٦٢، وكذلك قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾. سورة الفتح الآيتان ٨ - ٩، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ سورة الحجرات الآية ١٥.

(١) سورة القلم آية ٤.

(٢) سورة الأحزا ب ٤٥ - ٤٦.

(٣) قال سبحانه ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سورة النور الآية ٦٣.

(٤) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ سورة الحجرات الآية ٢.

(٥) من ذلك قوله سبحانه: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ سورة التغابن الآية ٨، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ سورة الفتح الآية ١٣.

طاعة الله[١]، وتؤكد على الإيمان بكل ما جاء به وبكل ما قاله، وإلا لا يكون التصديق تاما، ولا الإيمان كاملا، ومن الواضح إن إطلاق لزوم الإيمان والتصديق معناه الأخذ بكل ما صدر عنه صلى الله عليه وآله. فيما تأتي آيات أخرى تدل على مدح النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في خلقه ووظائفه والأوامر الإلهية التي وجهت إليه، وإذا رصدناها وجدناها التوكل على الله[٢]، والهداية إلى الصراط المستقيم والدعوة إليه[٣]، والحكم بين الناس بما انزل الله[٤]، وعدم إتباع أهواء الكافرين[٥] وتبليغ ما نُزل إليه[٦]، وانه على شريعة من الأمر[٧]، وغيرها من الدلالات المنضوية تحت هذه المفاهيم التي يتبين منها أن النبي صلى الله عليه وآله هو معيار الهداية والرشاد[٨]. ولذا أوجب الله تعالى على الأمة طاعة نبيه صلى الله عليه وآله بشكل مطلق[٩]. وقرن الله طاعته بطاعة رسوله صلى الله عليه وآله مما يوجب الإلزام بحجية كل ما

---

(١) كما ورد في الآيات التالية: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ سورة آل عمران الآية ٣٢. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ سورة الأنفال الآية ٤٦، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١)﴾، سورة الأنفال الآيتان ٢٠ ـ ٢١، وقوله ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢)﴾ سورة المائدة الآية ٩٢، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ سورة النساء الآية ٥٩، وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ سورة التغابن الآية ١٢، وقوله: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ سورة الأحزاب الآية ٦٦.

(٢) سورة النمل آية ٧٩.

(٣) سورة المؤمنون آية ٧٣، سورة يس آية ٣ ـ ٤، سورة الشورى آية ٥٢ ـ ٥٣.

(٤) سورة المائدة آية ٤٨ ـ ٤٩.

(٥) سورة الأحزاب الآيتان ١ ـ ٢.

(٦) سورة المائدة آية ٦٧.

(٧) سورة يوسف آية ١٠٨، سورة الجاثية آية ١٨.

(٨) حب الله: حجية السنة: ص ٧٠ ـ ٧١.

(٩) إذ يقول تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ آل عمران الآية ١٣٢، و ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾، سورة محمد الآية ٣٣، وانظر ما يماثلها: سورة النساء ١٣ ـ ١٤، ٦٤، ٦٩، ٧٩ ـ ٨٠، سورة الأحزاب الآية ٣٦، سورة النور الآية ٥٤، وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ سورة الأحزاب الآية ٧١.

يصدر عنه ﷺ، ومما يعزز هذا المعنى إفراد الأمر بطاعة الرسول ﷺ في بعض الآيات عن طاعة الله سبحانه مما يؤكد انه ليس المراد واحداً، وان رجعت طاعة الرسول بعنوانها إلى طاعة الله تعالى[١]، وبلوغ النبي ﷺ منتهى الكمال، أهله لأن يكون منهجا يتأسى الخلق به فيسيروا على خطاه[٢].

وهناك مجموعة أخرى من الآيات تبين إن من أهم وظائف النبي الأعظم ﷺ انه مبين للقرآن ومفسر له[٣]، وتدل على إن النبي ﷺ سيتولى أمر بيان القرآن وبتوضيحه آياته وذلك لا يكون إلا من خلال سنته وعمادها الأول أحاديثه الشريفة[٤]. وضمن إطار وظائفه الشريفة أيضاً أوكل القرآن له ﷺ مهمة تعليم الكتاب والحكمة[٥]، وكانت هذه الآيات ـ الدالة على تعليم الكتاب والحكمة ـ من أبرز ما ذكره الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) في كتابه (الرسالة)[٦] تأسيسا لمبدأ حجية السنة، ولعله أقدم بحث نظري أصولي إسلامي وصل إلينا، لذلك عد بعضُ نقاد السنة إن الشافعي هو مؤسس نظرية حجية السنة في تاريخ المسلمين[٧]. وسيأتي مناقشة هذا الرأي فيما بعد.

---

(١) حب الله: حجية السنة ص ٨٨، كما في قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ سورة النساء الآية ٨، و ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ سورة النساء الآية ٦٤.

(٢) قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ سورة الأحزاب الآية ٢١. ومن هذه الآيات التي تدعو إلى التأسي وإتباع النبي ﷺ: سورة البقرة الآيات ١٤٢ ـ ١٤٤، سورة آل عمران آية ٣١، سورة الأنعام الآية ١٥٥، سورة الأعراف الآية ١٥٧ ـ ١٥٨، سورة الأحزاب آية ٢١ ـ ٣٧.

(٣) كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة النحل الآية ٤٤. وقال أيضا ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة النحل الآية ٦٤.

(٤) ينظر مثلا: سورة البقرة الآيتان ١٢٩ ـ ٢٣١، سورة آل عمران الآية ١٦٤، سورة النساء آية ١١٣، سورة الأحزاب آية ٣٤.

(٥) كقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة الآية ١٥١. وقال أيضاً: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. سورة الجمعة الآية ٢.

(٦) ص٧٨.

(٧) حب الله: حجية السنة: ص ٧٩.

لما بلغ النبي ﷺ من صفات الكمال ارقاها، بعد أن صنع على عين الله ورعايته، وبعد أن أدبه ربه فأحسن تأديبه، إذ وصل إلى مرتبة ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[1]، فصار خلقه ﷺ إلهيا، ومنطقه إلهيا وتفكيره إلهيا، فكيف لا يقتدى به ويسار على أثره[2]. فيكون كل ما أتى به إنما هو وحي من الله وانه ﷺ غير قادر على أن يأتي بشيء من عنده أو يتقول على الله سبحانه[3]، ففي الآيات دلالة واضحة على وحيانّية السنة النبوية. وإن القرآن من خلال هذا الكم من آياته الشريفة أسس لحجية السنة النبوية، وفيه دلالة واضحة على وجوب التعبد المحض بكل ما يصدر عن النبي الأعظم ﷺ.

ثانياً: في الحديث النبوي:

دلت الأحاديث النبوية على عظيم مكانة السنة النبوية في التشريع الإسلامي ومرجعيتها الدينية الملازمة للقرآن، وتقع الروايات الواردة في هذا المجال ضمن عدة مجموعات أهمها:

أولاً: ما دل على أن النبي ﷺ أوتي غير القرآن وانه يشرع منه، وقد شكل هذا الفرع الإلهي امتدادا طوليا في تشريع الاحكام وبيانها مع القرآن الكريم وهذا مايشير إليه قول النبي المصطفى ﷺ: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله، ألا وإني أوتيت القرآن ومثله، ألا يوشك رجل شبعانا على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم حلالا فأحلوه، وما وجدتم حراما فحرموه"[4]، وقال ﷺ: "يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته

---

(١) سورة النجم ٣ ـ ٤.

(٢) . البلداوي: فضائل أهل البيت (: ص٢٥.

(٣) . قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ سورة الحاقة الآيات ٤٤ ـ ٤٦.

(٤) الأشيب البغدادي: جزء أشيب: ص٧٣. ابن حنبل: المسند: ٤/ ١٣١. أبو داوود: السنن: ٢/ ٣٩٢. ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث: ص١٨٢. الطبراني: المعجم الكبير: ٢٠/ ٢٨٣. الدار قطني: سنن الدارقطني: ٤/ ١٩١. البيهقي: السنن الكبرى: ٩/ ٣٣٢. ابن عبد البر: التمهيد: ١/ ١٥٠. المتقي الهندي: كنز العمال: ١/ ١٧٤.

يحدث بحديثي، فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم مثل ما حرم الله"(١)، وقال ﷺ: "أيحسب أحدكم متكئا على أريكته، قد يظن إن الله تعالى لم يحرم شيئاً إلا ما في هذا القرآن؟ ألا وإني والله قد وعظت وأمرت ونهيت عن أشياء، أنها مثل القرآن أو أكثر، وهذه الاكثرية هي ما في تفصيله مجملات القرآن وغيرها..."(٢).

ثانياً: ما دل على أن الرسول ﷺ لا يأمر إلا بما أمره الله كقوله ﷺ: "لا يسألني الله عن سنة أحدثتها فيكم لم يأمرني بها، ولكن اسألوا الله من فضله"(٣)، وقال ﷺ: "يا أيها الناس إني ما آمركم إلا ما أمركم به الله، ولا أنهاكم إلا عما نهاكم الله عنه"(٤).

ثالثاً: ما دل على الإلزام بطاعة النبي ﷺ كقوله ﷺ: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصا الله"(٥). وقوله ﷺ: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى(٦)".

رابعا: ما دل على إتباع سنته ﷺ وإحيائها، كقوله ﷺ: "من تمسك

---

(١) ابن حنبل: المسند: ٤/ ١٣٢. الدارمي: السنن: ١/ ١٤٤. ابن ماجة: السنن: ١/ ٦. الترمذي: السنن: ٤/ ١٤٥. الطبراني: المعجم الكبير: ٢٠/ ٢٧٥. مسند الشاميين: ٣/ ١٣٨. الدار قطني: السنن: ٤/ ١٩٠. البيهقي: السنن الكبرى: ٧/ ٧٦. الخطيب البغدادي: الكفاية: ص ٢٣. المتقي الهندي: كنز العمال: ١/ ١٧٣.

(٢) أبو داود: السنن: ٢/ ٤٥. البيهقي: السنن الكبرى: ٩/ ٢٠٤. ابن عبد البر: التمهيد: ١/ ١٤٩. السيوطي: الجامع الصغير: ١/ ٤٦٨. المتقي الهندي: كنز العمال: ١/ ١٧٤.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة: ٣/ ٦٣. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٤/ ١٠٠. المتقي الهندي: كنز العمال: ٤/ ١٠٣.

(٤) الطبراني: المعجم الكبير: ٣/ ٨٥. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٤/ ١٢٠.

(٥) ابن حنبل: المسند: ٢/ ٢٥٣. البخاري: الصحيح: ٤/ ٨. مسلم: الصحيح: ٦/ ١٣.

(٦) البخاري: الصحيح: ٨/ ١٣٩. ابن حبان: الصحيح: ١/ ١٩٧. الهيثمي: موارد الضمآن: ص٥٧٣.

بسنتي في اختلاف أمتي"(١)، وفي رواية عند فساد أمتي(٢) فله اجر مائة شهيد"، وقوله: "إن الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي"(٣)، وقوله ﷺ: "من أحيا سنتي من بعدي، فقد أحياني ومن أحياني كان معي في الجنة"(٤)، وفي لفظ آخر: من أحيا سنتي، فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة(٥)، وقوله ﷺ: "لكل عمل شره، ولكل شره فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك"(٦)، وقوله ﷺ: "إن الله تعالى يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها"(٧)، وقوله ﷺ: "من أحيا سنة من سنة الله أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل اجر من عمل بها من الناس لا ينقص من أجور الناس شيئاً، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً"(٨)، وقوله ﷺ: "ستة

---

(١) البرقي: المحاسن: ١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٤. علي الطبرسي: مشكاة الأنوار: ص ٢٥٦. المجلسي: البحار: ٢/ ٢٦٢.

(٢) الطبراني: المعجم الأوسط: ٥/ ٣١٥. الهيثمي: مجمع الزوائد: ١/ ١٧٢. الذهبي: تاريخ الإسلام: ١١٩/١٥. المتقي الهندي: كنز العمال: ١/ ١٧٥. السيوطي: الجامع الصغير: ٢/ ٦٦٤. الشعراني: لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية: ص ١٨.

(٣) الترمذي: السنن: ٤/ ١٢٩. وانظر ابن أبي شيبة: المصنف: ٨/ ١٣٤. ابن حنبل: المسند: ٢/ ٣٨٩. الطبراني: المعجم الأوسط: ٣/ ١٥٦. ابن سلامة: مسند الشهاب: ٢/ ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٤) الترمذي: السنن: ٤/ ١٥١. المتقي الهندي: كنز العمال: ٧/ ٥٠٤.

(٥) الطبراني: المعجم الأوسط: ٦/ ١٢٥. الهيثمي: مجمع الزوائد: ١/ ٢٧٢. السيوطي: الجامع الصغير: ٢/ ٥٥٨. المتقي الهندي: كنز العمال: ١/ ١٨٤.

(٦) ابن خزيمة: الصحيح: ٣/ ٢٩٤. وينظر: ابن حنبل: المسند: ٢/ ١٥٨ ـ ٢/ ٢١٠. ابن حبان: الصحيح: ١/ ١٨٧. الطبراني: المعجم الكبير: ٢/ ٢٨٥. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٢/ ٢٥٩. السيوطي: الجامع الصغير: ١/ ٣٧١. المتقي الهندي: كنز العمال: ٣/ ٤١، ٦٧٠، ١٦/ ٢٧٦.

(٧) القاضي عياض: الشفا: ٢/ ١٢.

(٨) ابن أبي عاصم: كتاب السنة: ص٢٣. الترمذي: السنن: ٤/ ١٥٠ ـ ١٥١. السيوطي: الجامع الصغير: ١/ ١٨٠.

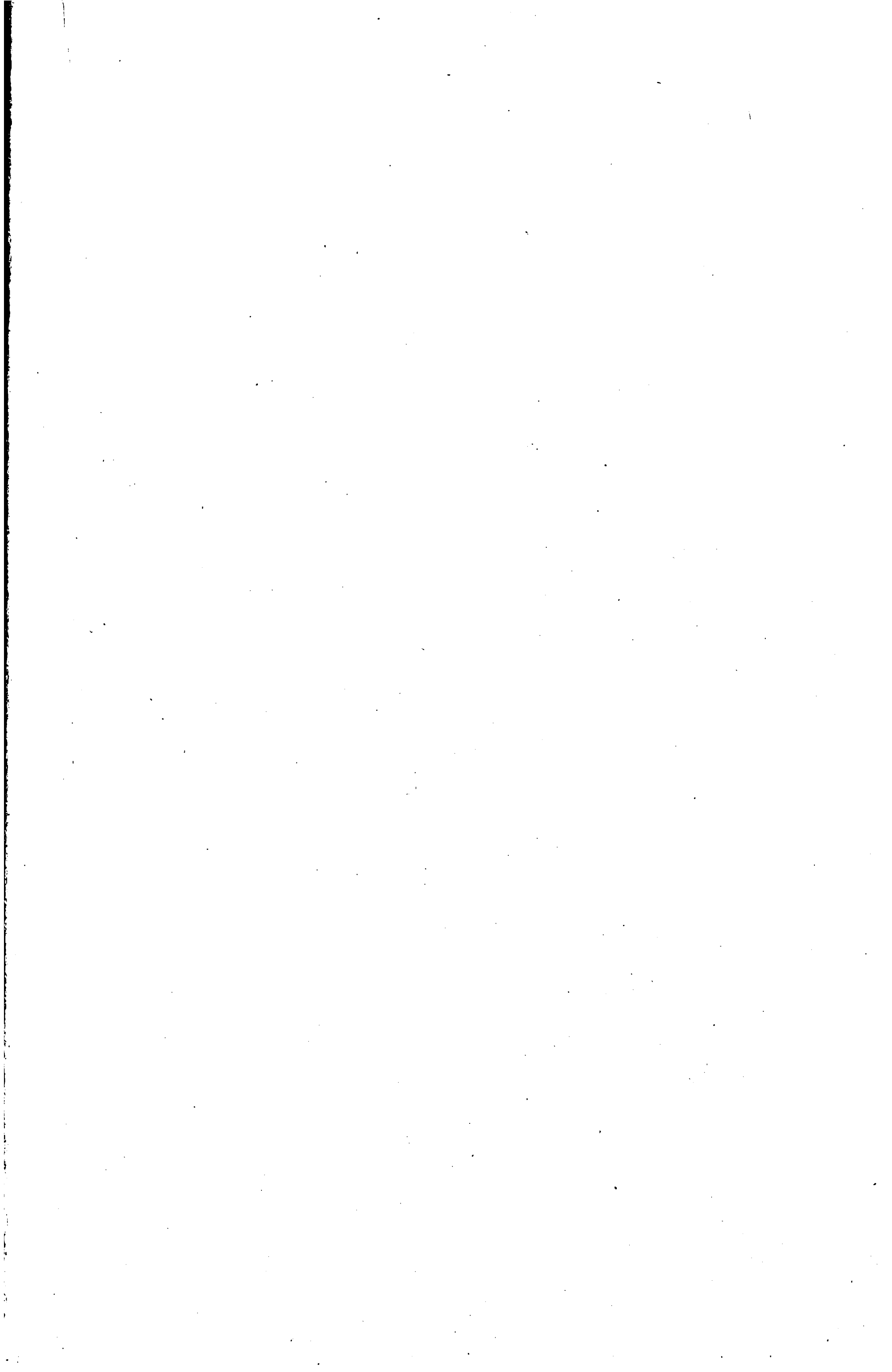
لعنتهم ولعنهم الله، وكل نبي مجاب الدعوة ـ ذكر منهم ـ والتارك لسنتي"[١].
وقوله صلى الله عليه وآله: "فمن رغب عن سنتي فليس مني"[٢].

خامسا: ما دل على الحث على الاستماع إلى كلام النبي وحفظه ونقله وعدم جواز الكذب عليه أو كتم حديثه، كقوله صلى الله عليه وآله: "ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع"[٣]. وعن أبي ذر: "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله... ونعلم الناس السنن"[٤]، وقوله صلى الله عليه وآله: "نضر الله عبدا، سمع مقالتي فحفظها ووعاها واواها"[٥]، وقوله صلى الله عليه وآله: "اللهم ارحم خلفائي" قيل من خلفاؤك؟ قال: "الذين يأتون من بعدي ويروون أحاديثي وسنتي، فيعلمونها الناس من بعدي"[٦]، وقوله صلى الله عليه وآله: "من أدى إلى أمتي حديثا تقام به سنة أو تثلم به بدعة فله الجنة"[٧]. وقوله صلى الله عليه وآله: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عني ولا تكذبوا، فمن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[٨].

إن هذه النصوص تدلل على حجية السنة، وإلا لماذا يأمر النبي صلى الله عليه وآله بنشرها، ويدعو إلى حفظها، وينهى عن الكذب فيها؟ فهذا الكلام يؤكد إن كلامه يمثل مرجعية في الفكر الإسلامي؛ تلك المرجعية التي اثبتها له الله سبحانه.



(١) ابن أبي عاصم: كتاب السنة: ص٢٤. الكليني: الكافي: ٢/ ٢٩٣. الحاكم: المستدرك: ٢/ ٥٢٥.
(٢) الكليني: الكافي: ٥/ ٤٩٦. الطبرسي: مكارم الأخلاق: ص١١٥. الكحلاني: سبل السلام: ٢/ ١٧٣.
(٣) ابن حنبل: المسند: ٥/ ٤٥. البخاري: الصحيح: ٢/ ١٩١.
(٤) ابن حنبل: المسند: ٥/ ١٦٥. الدارمي: السنن: ١/ ١٣٦.
(٥) الشافعي: مسند الشافعي: ص٢٤٠. الطبراني: المعجم الكبير ٢/ ١٢٧.
(٦) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٤٠.
(٧) البرقي: المحاسن: ٢/ ٢٩٧. ابن عساكر: الأربعين البلدانية: ص٤٤. ابن حجر: لسان الميزان: ١/ ٤٣٣.
(٨) البخاري: الصحيح: ١/ ٣٥. ابن ماجه: سنن: ١/ ١٣.



المبحث الثاني

السنة النبوية ومكانتها في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

وقبل أن نأتي إلى مكانة السنة النبوية في نهج البلاغة لنقف على رؤية أمير المؤمنين عليه السلام لها، ولا بد لنا أولا الوقوف قليلاً عند الإشكال الذي طرحته بعض المؤلفات في تناولها لموضوع سنة النبي صلى الله عليه وآله، وهو ما يتعلق بـ"مصطلح السنة النبوية"، فهل كان معروفا في القرن الأول الهجري بالمعنى الذي بتنا نفهمه اليوم وهو شمول المصطلح (السنة النبوية) كل ما صدر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير، واكتسابها سلطة تشريعية تلي القرآن الكريم في المنزلة؟ إذ نلاحظ تغيب مصطلح ـ السنة النبوية ـ عن آيات القرآن الكريم، على الرغم من ورود لفظة "السنة" في ست عشرة آية، ولكن أفاد معناها أمرين:

أ ـ استعملت كلمة سنة في صلة مع الله كي تعني الكيفية المعهودة للتعامل مع الشعوب التي ظلت على جهالتها كما في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾[2].

ب ـ استعملت لفظة السنة مقرونة بـ "الأولين" مثل الآية: ﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[3]، والآيــة ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا﴾[4][5].

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٨.

(٢) سورة فاطر الآية ٤٣.

(٣) سورة الأنفال الآية ٣٨.

(٤) سورة الكهف الآية ٥٥.

(٥) محمد حمزة: الحديث النبوي: ص٢٣.

إذن القرآن على الرغم من إشارته إلى لفظة (السنة) إلا انه لم يعقد الصلة بينها وبين الرسول ﷺ أي انه لم يربط بين السنة في مفهومها العام وأقوال الرسول وأفعاله وتقريراته، لاقتصاره على بيان سنة الله المخالفة لبقية السنن وعلى الحديث عن سنة الأولين السابقين(١).

إن عدم ورود المصطلح (حرفيا) في كتاب الله لا يعني إلغاء وجوده ومعناه، فقد مر بنا أعلاه كيف إن القرآن قد أصل مبدأ حجية السنة النبوية من خلال مجموعة من الآيات التي يستفاد منها وجوب إتباع النبي ﷺ وطاعته في كل ما يصدر عنه قولا اوفعلا اوتقريرا، وان طاعته ملازمة لطاعة الله، وما يأتي به إنما هو عن الله تعالى. ورغم ورود لفظة "سنتي" في أحاديث النبي الأعظم ﷺ الآنفة الذكر، إلا إن من بحثوا في هذا الإشكال تجاهلوها عمدا، فلم تخضع لأي تحليل سندي أو دلالي يبرر تجاهلها، إذ إن وجودها ـ نصا ـ في تلك الأحاديث يستوجب عدم تجاوزها، أو على الأقل التثبت من صحتها، لأن ذلك سيسهم في حل الإشكال المطروح حول تاريخ ظهور المصطلح كما سبق.

لقد ذكر باحث معاصر: "أما السنة في مفهومها الإسلامي الأصيل فإن لها دلالة سياسية أكثر من دلالتها الشرعية ذلك أنها ترتبط بسياسة الخليفة وإدارته، من ذلك إن مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان (ت: ٣٥هـ) حف به اتهامه بأنه حاد عن سياسة الخليفتين أبي بكر وعمر وفي هذا الظرف بالذات ظهر مفهوم "سنة النبي" الذي لم يأخذ بعد مفهوما تشريعيا محددا بقدر ما كان مرتبطا بسنة الخليفتين أبو بكرٍ وعمر"(٢).

ولكن تفحص نصوص نهج البلاغة يقدم لنا رؤية مغايرة لهذه الرؤية، فإنه يقدم السنة على انه ذات بعد تشريعي شامل في مفهومها. واما غلبة الصبغة

---

(١) حمزة: الحديث النبوي: ص٢٣.

(٢) حمادي ذويب: السنة بين الاصول والتاريخ: ص ٢٤.

السياسية على السنة النبوية لارتباطها بسياسة الخلفاء، فهذا يعود إلى من تولى السلطة بعد النبي صلى الله عليه وآله كان توليهم سياسياً مفرغا من الجانب التشريعي، إذأنهم لم يستندوا إلى الشرع المقدس، فكما هو معلوم أنهم جانبوا النص الإلهي والتوصية النبوية، وكان اعتلائهم سدة الحكم اعتمادا على القهر والغلبة والتحايل السياسي. أما عن القول بأن مفهوم سنة النبي لم يأخذ بعده التشريعي لارتباطه بسنة الخليفتين أبي بكر وعمر، فهذا من اثر ما استنه الأخيران من سنة لم تتساو أو تتوافق مع سنة النبي صلى الله عليه وآله بل نشأت في قبالتها.

إن القول بأن ـ سنة النبي ـ ارتبطت في ذلك الوقت بسنة الخليفتين، فهو تفسير قد يبدو صحيحا من جانب ظهور ما يسمى "بسيرة أو سنة الشيخين" إلى جانب كتاب الله وسنة النبي، وقد نشأت أجيال على الاعتقاد والتسليم بهذا الأمر، ولكن لا يمكن تضييق فهم المجتمع برمته للسنة النبوية من هذا المفهوم، ولا سيما ان الإمام علياً عليه السلام وأتباعه كانت لهم رؤية خاصة ومفهوم مغاير لسنة النبي صلى الله عليه وآله كما سيأتي بيانه.

وقد جاءت الإشارة لدى أحد النقاد إلى إن هذا المصطلح بمفهومه التشريعي الشامل قد ظهر في نهاية القرن الأول الهجري، اعتمادا على وثيقتين استخدمتا تعبير "سنة النبي" والوثيقتان هما:

الأولى: رسالة عبد الله بن أباض الخارجي[١] إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، إذ وردت الإشارة فيهاإلى سنة النبي صلى الله عليه وآله ست مرات[٢]. يقول ذويب[٣]: "ومع إن هذا التواتر لافت للنظر في حد ذاته، فالواضح إن

(١) هو عبدالله بن إباض من بني مرة بن عبيد بن تميم، زعيم إحدى فرق الخوارج في العصر الاموي، كانت له مواقف سياسية وعسكرية وفكرية في العصر الأموي، اختلف هل مات في أيام عبد الملك أم أنه عاش إلى أيام الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد؟ وانتشر مذهبه في المغرب الإسلامي. ينظر: البغدادي: الفرق بين الفرق ص٧٠. الشهرستاني: الملل والنحل: ص١٠٨. الزركلي: الاعلام: ٤/ ٦١-٦٢.

(٢) حمزة: الحديث النبوي: ص٢٤. ذويب: السنة بين الاصول والتاريخ: ص٤٤.

(٣) السنة بين الاصول والتاريخ: ص٤٤.

لفظ "سنة" لم يتمخض بعد للدلالة على سنة الرسول فحسب ذلك أن الرسالة تضمنت عبارة سنة المؤمنين وسنة أبي بكر وعمر". ويقول أيضاً: "ونجد في هذه الرسالة ما يوحي أن ملابسات ظهور عبارة سنة النبي تقترن بفترة حكم عثمان في نفس الفترة تجد كلمات الإمام عليه السلام تطلق هذا المصطلح حسبما وردت الروايات ونهج البلاغة: "فولوا عثمان ففعل ما شاء الله... ونفاهم في أطراف الأرض من أجل أن ذكروه بكتاب الله وسنة نبيه وآثار من كان قبله من المؤمنين"، لقد ركز ابن أباض في رسالته هذه على أن الخليفة عثمان (ت: ٣٥هـ) أدخل بعض البدع وإهمل القرآن وسنة النبي وسنة الخليفتين السابقين عنه أبي بكر وعمر، ويتساوق هذا الموقف مع غاية الرسالة وهي تبرير الموقف الاباضي من عثمان"[١].

الثانية: رسالة الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) إلى عبد الملك بن مروان أيضاً، أرسلت في المدة نفسها"[٢] أرسلها لينافح عن موقفه المناقض للجبر والمؤيد لحرية الإرادة والمسؤولية الإنسانية، وهكذا اقتران مفهوم سنة النبي في هذه الرسالة بمعنى - اف كلامي اتصل بنموذج السلف"[٣]، إذ يقول الحسن البصري في رسالته: "وقديما أدركنا السلف الذين قاموا بأمر الله واستنوا بسنة الرسول فلم يبطلوا حقا... "[٤].

ثم نجد هذا الباحث يخلص إلى: "إن الموطن الأصلي لعبارة سنة النبي هو العراق، وإنها كانت اقرب إلى العراقيين منها إلى المدنيين... وهكذا ينبغي أن ننتظر "المحدث الشافعي" ورسالته في أصول الفقه حيث فرض السنة بكونها مجموعة الأحاديث النبوية الصحيحة وبصفتها المصدر "الموضوعي" الثاني أو الأصل الثاني للشريعة بعد القرآن" وقد استدل على اعتبار الشافعي

(١) ذويب: السنة بين الاصول والتاريخ: ص٤٤.
(٢) القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال: ص ٢١٥ ـ ٢١٦.
(٣) ذويب: السنة بين الاصول والتاريخ: ص ٤٤ ـ ٤٥.
(٤) القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال: ص ٢١٦.

هو المؤسس لنظرية حجية السنة النبوية وأنها ثاني مصادر التشريع إلى جانب القرآن بـ:

١ ـ التواتر غير المعهود قبله لعبارة سنة النبي والأقوال العديدة التي ضمنها ضرورة إتباع سنة النبي صلى الله عليه وآله.

٢ ـ ذكره للسنة ـ أي الشافعي ـ ضمن مصادر التشريع الأخرى.

٣ ـ إن السنة حسب قوله قد اكتسبت هذه المنزلة الأثيرة، اثر اعتبار الشافعي لها وحيا من نمط يختلف عن وحي الكتاب(١).

وقد كان لحيدر حب الله(٢) رؤية مغايرة لما طرح، سنذكرها إتماما للفائدة، ومن ثم ستكون لنا وقفة لتسجيل الملاحظات، إذ جاء في قوله وهو في معرض الاستدلال على حجية السنة النبوية من خلال أحاديث النبي صلى الله عليه وآله التي ذكرناها فيما مضى وتضمنت مصطلح "سنة النبي" : "وهذه الروايات العديدة واضحة في دلالتها على وجود سنة للنبي صلى الله عليه وآله، وان المطلوب إحياؤها دوماً، وحفظها والمحافظة عليها، وليس لهذه المفاهيم أي معنى إذا لم تكن سنة النبي حجة ومعتبرة في الدين"، ويمكن ان يلاحظ على هذه النصوص جملة ملاحظات:

الملاحظة الأولى: إن كلمة "السنة" لغة، كما تطلق على السيرة مطلقا، كذلك تعني السيرة الحسنة المستقيمة، إذا فمن المحتمل جداً أن تكون هذه الروايات تشير إلى ضرورة إتباع السنة الصالحة، والسيرة النقية للنبي صلى الله عليه وآله، وهذا لا يدل على حجية سنته، بقدر ما يرشد إلى إتباع محاسن أفعاله التي يعلم في مرحلة مسبقة ـ كما عن طريق القرآن ـ أنها أمور حسنة، فسيرة النبي صلى الله عليه وآله في تطبيقه القرآن تسمى سنة أيضاً، لا سيما ان هذه الروايات لا إطلاق فيها يدل على سنة النبي غير القرآن، بمعنى أنها تفترض وجود سنة للنبي، ولكنها لا

---

(١) ذويب: السنة بين الاصول والتاريخ: ص ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) حب الله: حجية السنة: ص ١٤٢ ـ ١٤٥.

تؤكد أنها غير تطبيق القرآن، كما أنها ليست بصدد الحديث عن ذلك حتى نقول: إنها تشمل سنن النبي التي لا تعبر عن الموجود ـ سلفا ـ في النص القرآني. من هنا نفهم المنطلق الذي ذهب إليه بعضهم بالقول: إن الحجة في السنة هو خصوص السيرة العملية (السنة العملية) التي بلغتنا بالتواتر، ومرجع هذه النظرية إلى مقطعين:

الأول: واقعي، يفهم السنة بمعنى السيرة العملية، ومن ثم لا يقال عن قول الرجل: هو سنته، إذ لا يطلق تعبير السنة لغة على القول، بل على السيرة العملية.

الثاني: ظاهري، وهو شرط التواتر الذي مرجعه إلى إنكار حجية خبر الآحاد، وان فهم السيرة والسلوك العام من كلمة السنة هو الأصح لغويا، فلا تكون السنة شاملة للقول إلا قليلا. وعليه تترتب ملاحظة تعمق في واقعها هذه الملاحظة وهي.

الملاحظة الثانية: إن استخدام مصطلح "السنة" بالمعنى الذي نفهمه اليوم، لا يحرز عوده إلى القرن الأول الهجري، بل المؤكد هو المعنى اللغوي للكلمة، وان النبي صلى الله عليه وآله كان رمزا للأدب والأخلاق والصفات السامية الحميدة، كما كان ملتزما بكتاب الله تعالى، وهذا الخط الذي حكم حياة النبي صلى الله عليه وآله هو سيرته وسنته، ومعنى ذلك إن هذه الروايات لا تزيد في الدلالة على آية الأسوة والإتباع ونحوها، وقد دللنا... على أن جعل شخص أسوة لا يعني حجية قوله وفعله وتقريره.

ومن هذا المنطلق يؤيد حب الله استنادا إلى تحليله اللغوي ـ المقولة التي ترى إن كلمة "السنة" بمعناها الاصطلاحي قد ولدت متأخرة عن القرن الأول الهجري، ويقول أيضاً: لا نريد إن نبت الآن بالنظرية القائلة إن الشافعي (٢٠٤هـ) هو أول من أسس هذا المصطلح الجديد ونحته في التراث الإسلامي مع كتاب "الرسالة". ويضيف: نعم لا تعني الولادة المتأخرة لمصطلح السنة

بمعناه الجديد إن مقولة حجية السنة كانت متأخرة كذلك، كما توحيه كلمات بعض النقاد، فهذا خلط بين أمرين:

أحدهما: واقع رؤية المسلمين لقول النبي وفعله وتقريره، وهل كانوا ينظرون بعين التقديس والمرجعية لهذه الثلاثة أم لا؟ سواء كانوا يسمون ذلك سنة النبي أو السنة النبوية أم كانوا يطلقون على ذلك اسما آخر، أو لم يكن قد ولد بعد مصطلح يختزل ويختزن هذا الثلاثي النبوي.

وثانيهما: مصطلح "السنة" الذي ورد في طائفة معتد بها من الروايات وهل يعني هذا المصطلح في الثقافة الإسلامية ما قبل الشافعي ما بتنا نفهمه اليوم منه أم لا؟

ويقول حب الله[1]: وإذا لم يكن بأيدينا دليل على الأمر الثاني، فإن هذا ما يضيق فرص الاستفادة الاستدلالية من النصوص التي استعملت كلمة "سنة" مثل الطائفة من الروايات التي نحن بصددها لكن ذلك لا يعني إن فكرة السنة ـ بواقعها ـ مهما كان المصطلح الذي يستوعبها، لم يكن لها وجود في القرن الأول، وبهذا نضع ملاحظة على بعض النقاد المتأخرين الذين خلطوا بين الأمرين (القرآن والسنة) عندما ادعوا أن الشافعي أو غيره هو أول من أسس فكرة حجية السنة[2]، دون أن يقيموا شواهد تؤكد ذلك على المستويين معا، فإن قيام الشافعي بتأسيس نظرية السنة بما هي رؤية أصولية على أساس جعلها جزءا من بنية النص القرآني لا مجرد الشارح كما يقول نصر حامد أبو زيد[3]، لا يعني إن أصل اعتبار السنة والاستناد إليها لم يكن ولو بالصورة الأولية الساذجة غير المعقدة نظريا والمدونة في عصر الشافعي الذي يعد أول عصور التدوين الاساسية في التراث الإسلامي لم يكن حاضرا في ذهن المسلمين وفكرهم.

---

(١) حجية السنة: ص١٤٤.

(٢) لم يذكر حب الله من هم أصحاب هذا الإدعاء؟.

(٣) الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية: ص١١٧ ـ ١١٨.

السنة النبوية ومكانتها في نهج البلاغة:

لقد وردت الإشارة إلى السنة النبوية لفظا ومعنى عدة مرات في نصوص نهج البلاغة. ويتضح جليا من خلال تأمل هذه النصوص واستقرائها، إن لأمير المؤمنين عليه السلام نظرة خاصة تميزه عن غيره في تعامله مع سنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، كما إن تلك النصوص تؤرخ لنا عن تلك المرحلة التي مرت بها السنة في تاريخها بعد رحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وكيف تعاملت الأمة معها؟ حتى تولى أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة نهاية سنة (٣٥هـ). ويمكن تلخيص أبعاد رؤية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للسنة النبوية في ضوء نهج البلاغة بالنقاط الآتية:

أولاً: يلاحظ إن أمير المؤمنين عليه السلام قد نعت سنة النبي صلى الله عليه وآله بما يدل على تقديسها واجلالها، إذ يقول واصفا إياها: "**وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ، وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ**"[1]، وقال عنها: "**وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ**"[2]، ولعل ذلك متأت من تقديسه لذات النبي صلى الله عليه وآله ولكل ما يصدر عنه، وان سنته هي الطريق إلى معرفة أحكام الله، وفي هذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "**وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ ـ [دِينَهُ] الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْهَى إِلَيْكُم عَلَى لِسَانِهِ ـ مَحَابَّهُ مِنَ الأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ**"[3] كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[4]، لذا نجده عليه السلام قد دأب على الدعوة إلى التأسي به صلى الله عليه وآله وإتباع سنته الشريفة وعدم تضييعها، كما هو واضح في أقواله الواردة في خطب النهج وكلماته: "**فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ (صلى الله عليه وآله) فَإِنَّ فِيهِ**

(١) نهج البلاغة: ص ٢١١.
(٢) نهج البلاغة: ص١٧٦.
(٣) نهج البلاغة: ص١٣٧.
(٤) سورة الحشر آية ٧.

أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى"(١)، ونجده حتى آخر لحظات حياته يوصي الأمة قائلاً: "وَصِيَّتِي لَكُمْ: أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وآله) فَلاَ تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أَقِيمُوا هذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ وَخَلاَكُمْ ذَمٌّ"(٢)، إذ انه عليه السلام في هذا المقطع يجعل اتباع السنة وحفظها دليلا على الإيمان بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله، وقرينه لتوحيد الله جل في علاه.

ثانياً: نلاحظ تأكيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على ملازمة السنة للقرآن الكريم في عدة إشارات وردت واضحة في مطاوي كلامه الشريف كقوله عليه السلام: "إنَّ اللهَ تَعالَى بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَاب نَاطِق وَأَمْر قَائم"(٣)، وكقوله في أمر الصدقات: "... لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وآله) فَإِنَّ ذلِكَ أَعْظَمُ لأَجْرِكَ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ، إِنْ شَاءَاللهُ"(٤)، وقوله في وصيته لعامله على مصر مالك الأشتر: "وَارْدُدْ إلى الله وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ سبحانه لِقَوْم أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، فَالرَّدُّ إلى اللهِ: الأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إلى الرَّسُولِ: الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ"(٥). وقوله عليه السلام إبان تسلمه مقاليد الحكم وهو يتعهد أمام الأمة راسما معالم سياسته وحقيقة منهجه: "وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللهِ تعالى وَسِيرَةِ رَسُولِ الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وَ الْقِيَامُ بِحَقِّهِ، والنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ"(٦). وأيضا قوله في عهده لواليه على مصر مالك الاشتر بعد أن عد جميع أصناف

(١) نهج البلاغة: ص٢٩٨.
(٢) نهج البلاغة: ص٥١٦.
(٣) نهج البلاغة: ص٣٢٤.
(٤) نهج البلاغة: ص٥٢١.
(٥) نهج البلاغة: ص٥٩٩ ـ ٦٠٠.
(٦) نهج البلاغة: ص٣٢٥.

المجتمع وبين ما لهم وما عليهم، فأشار إلى إن أحكام الجميع وارد في الكتاب والسنة: "**وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللهُ سَهْمَهُ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ وَفَرِيضَةٍ فِي كِتَابِهِ أو سُنَّةِ نَبِيِّهِ ـ صلى الله عليه وآله ـ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً**"(١).

ان لهذه النصوص ابعاد دلالية، يشكل الوقوف عليها بيانا لابعادها، وهو ما يمكن بلورته في جملة من النقاط، وهي:

أ ـ أن للسنة ما للكتاب من شأن ومكانة في التشريع الإسلامي، ولولا أن السنة مصدر ديني فلا موجب لذكرها إلى جانب القرآن، فكلاهما مصدره واحد ألا وهو الله سبحانه وتعالى، فهو الذي أنزل القرآن وأمر فيه بإتباع ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(٢)، فكانت مهمته صلى الله عليه وآله غاية في الخصوصية والأهمية لتبيين هذا القرآن وتوضيح ما جاء فيه، وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام في حديثه الآنف الذكر "وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لكل شيء"، "**وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ ولَكُمْ فِيمَا أنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ ـ [دِينَهُ] الَّذِي رَضِيَ لِنفْسِهِ، وَأَنْهَى إلَيْكُم عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنَ الأعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ، وَنَوَاهِيَهُ وأَوَامِرَهُ**"(٣). وقوله عليه السلام: "**فَالْقُرآنُ... حُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، ...أَتَمَّ نُورَهُ، وأكمل[أَكْرَمَ] بِهِ دِينَهُ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ ـ صلى الله عليه وآله ـ وَقَدْ فَرَغَ إلى الْخَلْقِ مِنْ أَحكَامِ الْهُدَى بِهِ**"(٤). وقال عليه السلام في مقطع آخر استنكاري: "**أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامّاً فَقَصَّرَ الرَّسُولُ ـ صلى الله عليه وآله ـ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ؟ واللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ وَفِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْء**"(٥).

ب ـ إن هذا التلازم بين كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله هو الذي أقرته السماء

(١) نهج البلاغة: ص٥٩٦.
(٢) سورة الحشر آية ٧.
(٣) نهج البلاغة: ص١٣٧.
(٤) نهج البلاغة: ص٣٥٦.
(٥) نهج البلاغة: ص٤٦ ـ ٤٧.

بجعلها النظام الإلهي يرتكز على ركنين أساسيين هما كتاب الله المنزل ونبيه المرسل وهو المصطفى محمد صلى الله عليه وآله بقوله وفعله، وبتقريره، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "**وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَل، أو كِتَاب مُنْزَل**"[1]. فالنظام الإلهي لا يعمل إلا بالاثنين معا، ولا يعطي أكله إلا بركنيه، إذإن هناك وحدة عضوية بين القرآن المنزل والنبي المرسل، فالقرآن معجزة النبي ودليل نبوته، والنبي هو الشاهد الأوحد على أن القرآن من عند الله، وان مهمته هي بيان ما انزل للناس من ربهم[2]. وهذا ما سبقت إشارة الإمام إليه في النص الآنف الذكر أعلاه إذ يقول: "**وَ اللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ وَفِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْء**"[3].

وقد جرت محاولات من قبل الطامعين في السلطة قبيل رحيله صلى الله عليه وآله لهدم هذه الوحدة العضوية، تمهيدا لتفكيك النظام الإلهي، فادعوا تمسكهم بالقرآن وحده وانه لا خلاف عليه، بإطلاقهم بدعة "حسبنا كتاب الله"[4]، وعزلوا النبي، وقد وجهت نحوه سهام تشكيكهم وطعنهم في قداسته وعصمته، فنالوا من سنته واتهموه بالهجر والهذيان[5].

إن تأكيد أمير المؤمنين عليه السلام على تلازم القرآن والسنة تأتي ضمن خطواته للتصدي لتلك المؤامرة الرامية للنيل من سنته صلى الله عليه وآله، وما تركته من آثار وخيمة جعلت السنة معطلة مهملة، وهذا ما جاء في أقواله عليه السلام المؤكدة والدالة على أن السنة قد عطلت والبدعة قد أحيت.

ثالثاً: نلحظ منه عليه السلام تأكيداً مباشرا أو ضمنيا على وجوب التسليم المطلق

---

(١) نهج البلاغة: ص٢٠.

(٢) يعقوب: الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية: ص ٤٣١ ـ ٤٣٢.

(٣) نهج البلاغة: ص٤٦ ـ ٤٧.

(٤) قاله عمر في يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله حينما طلب النبي دواة وكتفا ليكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده أبدا. فقال عمر: ان النبي صلى الله عليه وآله قد غلبه الوجع. ينظر: ابن حنبل: المسند ١/ ٣٢٥ ـ ٣٣٦. البخاري: الصحيح: ٥/ ١٣٨ ـ ٧/ ٩. مسلم: الصحيح: ٥/ ٧٦. النووي: شرح صحيح مسلم: ١١/ ٩٠.

(٥) ينظر: النووي: شرح صحيح مسلم: ١١/ ٨٩.

والتعبد المحض لكل ما يصدر عن النبي صلى الله عليه وآله من أقوال وأفعال، إذ نجده يقول: "**وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيما جاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صلى الله عليه وآله مِمَّا لاَ بُدَّ مِنْهُ وَلاَ مَحِيصَ عنه**"(١)؛ لأن قوله إنما هو وحى من الله لا يخالفه قيد أنملة قط ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾(٢)، ونلمح ما يتساوق مع هذه الآية في كلماته عليه السلام إذ يقول: "**وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، إَنَّ أَحَدا لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ صلى الله عليه وآله فارض بِهِ رَائِداً**"(٣)، ونجد في إشارة أخرى دالة على عصمة مقالته صلى الله عليه وآله وذلك في معرض حديث أمير المؤمنين عليه السلام عن أصناف رواة الحديث عنه صلى الله عليه وآله قال: "**وَآخَرُ رابعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَلا عَلَى رَسُولِهِ**"(٤)، والسؤال الذي يمكن أن يطرح هنا على هذا المقطع: إن الموضوع الذي أطلق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ضوءه هذه الكلمات إنما يتعلق بكلام وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله ولا ذكر لكلام الله هنا، إذ ـ كما سيمر بنا ـ انه قد سأله سائل عن علل اختلاف أحاديث النبي صلى الله عليه وآله بين الناس فما وجه قول الإمام عليه السلام هنا: لم يكذب على الله؟ لعلنا هنا نتفق مع الحسيني(٥) بقوله: "انه عليه السلام لا ينطق عن الهوى، ولا يقول ما يقول إلا عن وحي من الله تعالى وعصمة فيما يقوله وتأييد، فهو في الحقيقة مخبر عن الله، فالكذب عليه في الحقيقةهو كذب على الله تعالى، كما أن الطاعة له طاعة لله تعالى كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾(٦). أليس في إشارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذه إثبات لحجية قول النبي صلى الله عليه وآله؟

ويمكن أن تدلنا شواهد أخرى وردت في نهج البلاغة على حجية فعل النبي صلى الله عليه وآله أيضاً برؤية أمير المؤمنين عليه السلامفسعى لتطبيقه والدعوة للعمل به

---

(١) نهج البلاغة: ص٢٨١.
(٢) سورة النجم آية ٣ ـ ٤.
(٣) نهج البلاغة: ص٥٤١ ـ ٥٤٢.
(٤) نهج البلاغة: ص ٤٤٢.
(٥) الديباج الوضي: ٤/١٧٠٧.
(٦) سورة النساء آية ٨٠.

حرفيا، وسنشير لها هنا إجمالا، لأننا سنذكرها تفصيلا في محل آخر لاحق من هذا البحث[١]: منها حادثة استشارة عمر للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في قضية حلي الكعبة، إذ قال له عليه السلام: "**فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**"[٢]، واحتجاجه على طلحة والزبير لما عاتباه على أمر التسوية بالعطاء، إذ خالف بذلك عليه السلام من سبقه، فقال عليه السلام: "**وأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الأُسْوَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيه بِرَأْيِي، ولَا وَلِيتُه هَوًى مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِه رَسُولُ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ قَدْ فُرِغَ مِنْه**"[٣]. وكذلك ما أوصى به من كان يستعمله على الصدقات في حكومته كما مر بنا، ولما احتج على الخوارج احتج بسنة النبي صلى الله عليه وآله "**ولَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ، إلى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ، لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ، عَنْ كِتَابِ اللَّه سُبْحَانَه وتَعَالَى، وقَدْ قَالَ اللَّه سُبْحَانَه، ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ فَرَدُّه إلى اللَّه أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِه، ورَدُّه إلى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِه، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّه، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِه، وإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ وأَوْلَاهُمْ بِهَا**[٤]" ومن وصيته عليه السلام لابن عباس لمابعثه للاحتجاج على الخوارج: "**لَا تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوه، تَقُولُ ويَقُولُونَ... ولَكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً**[٥]".

إذن في الشواهد أعلاه بينه على حجية قول النبي صلى الله عليه وآله وفعله برؤية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولو كان ما جمع في نهج البلاغة شاملا لكل كلامه عليه السلام لأتحفتنا شواهد أخرى في هذا المجال.

---

(١) ينظر من هذا الفصل: ص ٤١٦ ـ ٤١٨.

(٢) نهج البلاغة: ص٧١٣.

(٣) نهج البلاغة: ص٤٣٧.

(٤) نهج البلاغة: ص٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٥) نهج البلاغة: ص٦٤٦.

واقع السنة بعد النبي صلى الله عليه وآله في ضوء نهج البلاغة:

من خلال استقراء كلمات أمير المؤمنين عليه السلام المتضمنة مفهوم وموضوع السنة النبوية نلمح انه أشار إليها بعبارات تدلل على واقع مؤلم عاشته سنة النبي بعد رحيله صلى الله عليه وآله وحتى تسلم الإمام عليه السلام مقاليد الخلافة، مما يتوجب علينا الوقوف عند تلك الالماحات، التي يمكننا من خلالها رصد المعضلات التي تعرضت لها السنة النبوية التي منها:

أولاً: تفشي **ظاهرة الوضع** في الحديث النبوي بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد جاء كلام أمير المؤمنين عليه السلام ليحذر منه، ويوضح إن لهذه الظاهرة جذورها التي تمتد إلى عهده صلى الله عليه وآله إذ يقول: "**ولقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ عَلَى عَهْدِه، حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ**"[١]. وأما بعد النبي صلى الله عليه وآله فقد كان المجال أوسع لانتشار الوضع في الحديث ثم كذب عليه من بعده، حتى قال عليه السلام لمن سأله عن اختلاف الحديث الذي بات يشهد تناقضا وتضاربا وكله ينسب إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام: "**إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وبَاطِلًا، وصِدْقاً وكَذِباً، ونَاسِخاً ومَنْسُوخاً، وعَامّاً وخَاصّاً، ومُحْكَماً ومُتَشَابِهاً، وحِفْظاً ووَهْماً**"[٢]، وعدّ من أصناف الرواة عن النبي صلى الله عليه وآله "**وإنما أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ، رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ مُتَصَنِّعٌ بالإسلام، لَا يَتَأَثَّمُ ولَايَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ مُتَعَمِّداً**"[٣]، هذا الصنف هو صاحب اليد الطولى في الوضع والتزوير الذي لحق بأحاديث النبي الشريفة وبيّن عليه السلام موقف المجتمع منه، وما يقف وراء تقبل حديثه رغم كونه موضوعا ومكذوبا على النبي صلى الله عليه وآله، إذ يقول عليه السلام: "**فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّه مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ**

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٤١.

(٢) نهج البلاغة: ص٤٤٠ ـ ٤٤١.

(٣) نهج البلاغة: ص٤٤١.

يَقْبَلُوا مِنْه، ولَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَه، ولَكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّه - صلى الله عليه وآله - رَآه وسَمِعَ مِنْه ولَقِفَ عَنْه فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِه، وقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّه عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، ووَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِه لَكَ"[١].

ثم أشار عليه السلام إلى حركة هذه الفئة المنافقة وخطرها على المجتمع: "**ثُمَّ بَقُوا بَعْدَه، فَتَقَرَّبُوا إلى أئمة الضَّلَالَةِ، والدُّعَاةِ إلى النَّارِ بِالزُّورِ والْبُهْتَانِ، فَوَلَّوْهُمُ الأَعْمَالَ، وجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَى رِقَابِ النَّاسِ**"[٢]. أي أن أئمة الضلالة بسبب وضع الأخبار أعطوا هؤلاء المنافقين الولايات وسلطوهم على الناس، ويحتمل العكس أي بسبب مفتريات هؤلاء المنافقين صاروا ولاة على الناس وصنعوا ما شاءوا وابتدعوا ما أرادوا"، وقد استبعده المجلسي[٣]. ولعل وجه استبعاده أن ظاهر كلامه عليه السلام يفيد كون إمامة أئمة الضلالة متقدمة على وضع الإخبار حيث تقربوا بها إليهم، فلا تكون حينئذ ولايتهم وإمامتهم مستندة إلى وضعها ومسببة لها، ولكن يمكن رفع البعد بأن يكون المراد إن إثبات حكومتهم وولايتهم واستحكامها كان بسبب مفتريات المنافقين وان لم يكن أصل الولاية بسببها"[٤]، ثم قال عليه السلام: "**فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا**[٥]" أي معهم وبإعانتهم، والضمير الأول راجع إلى أئمة الضلالة، والثاني إلى المنافقين المفترين، ويحتمل العكس أيضاً، وأشار إلى علة تقربهم إلى الولاة بمفترياتهم بقوله: "**وإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ والدُّنْيَا**[٦]"، لكون هواهم فيها، فهم عبيد لها، ولمن في يديه شيء منها حيثما زالت زالوا إليها وحيثما أقبلت اقبلوا عليها (إلا من عصم الله) تعالى منها ومن أهلها، وهم الذين امنوا وعملوا

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٤١.
(٢) نهج البلاغة: ص ٤٤١.
(٣) ينظر: البحار: ٢/ ٢٣٢.
(٤) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ١٤/ ٢٩.
(٥) نهج البلاغة: ص٤٤١.
(٦) نهج البلاغة: ص٤٤١.

الصالحات، وقليل ما هم[١]. ثم أشار عليه السلام في موضع آخر إلى إن الأمر سوف يزداد سوءا من بعده عليه السلام، إذ يقول: "**وإِنَّه سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ، لَيْسَ فِيه شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، ولَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، ولَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّه ورَسُولِه**"[٢]. وسيمر بنا كيف سعى الإمام عليه السلام لبيان سبيل النجاة من هكذا فتن ومخاطر.

ثانياً: أشار عليه السلام في أكثر من مورد إلى ظاهرة "**البدع**" في الدين وتفشيها في المجتمع آنذاك، كما تدلنا النصوص التي سنتناولها في هذا البحث تباعا، ولكن في البدء لا بد من بيان مفهوم البدعة، فالبدع في اللغة: الاختراع والانشاء لا عن سابق[٣]، اسم من الابتداع سواء كانت محمودة أم مذمومة، ثم غلب استعمالها فيما هو نقص في الدين أو زيادة[٤]، والبدعة في الدين: إيراد قول أو فعل لم يستن قائله أو فاعله فيه بصاحب الشريعة[٥]، وهي كل محدث جديد على غير مثال سابق[٦]، وتطلق شرعا في مقابل السنة، ولذلك هي في عرف الشرع مذمومة[٧]، وروى إن أمير المؤمنين عليه السلام سُئل عن السنة والبدعة فقال: "السنة ما سن رسول الله صلى الله عليه وآله، والبدعة ما أحدث من بعده"[٨]. ويبدو إن مفهوم السنة والبدعة صارا متقابلين، فإن البدعة والإحداث في الدين

---

(١) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ١٤/ ٢٩.

(٢) نهج البلاغة: ص٢٦٧.

(٣) الرازي: مختار الصحاح: ص٣١. ابن منظور: لسان العرب: ٨/ ٦. الفيروز آبادي: القاموس المحيط: ٣/ ٤.

(٤) ابن الأثير: النهاية: ١/ ١٠٦ ـ ١٠٧، أبو سعدي: القاموس الفقهي: ص ٣٢.

(٥) الجوهري: الصحاح: ٣/ ١١٨٤. الطريحي: مجمع البحرين: ١/ ١٦٤. العسكري: المصطلحات الإسلامية: ص٢٢٤.

(٦) الزبيدي: تاج العروس: ٥/ ٢٧١.

(٧) أبو سعدي: القاموس الفقهي: ص٣٢.

(٨) الصدوق: معاني الأخبار: ص ١٥٥. الطبرسي: مشكاة الأنوار: ص٢٦٥، وينظر ما يشابهها: الحراني: تحف العقول: ص٢١١. المتقي الهندي: كنز العمال: ١/ ٣٧٨. المحمودي: نهج السعادة: ١/ ٣٥٨.

مما لم يكن فيه، يوجب ترك السنة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام **"وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ"**(١).

عصفت بالأمة بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله الفتن المظلمة ومن ابرزها ظهور البدع، وتجرؤ بعضهم على مخالفة الشريعة الحقة، وهو ما أشار له أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: **"إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّه، ويَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّه"**(٢). وهذا ما اكده رسول الله صلى الله عليه وآله: "كيف أنتم إذاألبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، ويجري الناس عليها ويتخذ منها سنة فإذا غير منها شيء، قيل: قد غيرت السنة، وقد أتى الناس منكرا"(٣).

وإن الله قد نهى عن البدعة في الدين مبينا إن التشريع الإلهي أمر يختص بالله تعالى وهو توقيفي فلا يجوز الاجتهاد في مقابله، وقد دل القرآن على ذلك(٤). وهو ما تمثله النبي صلى الله عليه وآله في نهيه عن ذلك في جملة من الأحاديث منها قوله صلى الله عليه وآله: "ما أمرتكم به فخذوه، وما نهيتكم عنه فانتهوا"(٥). وقوله صلى الله عليه وآله: "ستة لعنتهم وكل نبي مجاب..." وذكر منهم "وتارك السنة(٦)"، وقوله صلى الله عليه وآله: "إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها

---

(١) نهج البلاغة: ص٢٦٥.

(٢) نهج البلاغة: ص٨٧.

(٣) المازندراني: شرح اصول الكافي: ١١/ ٣٩٣.

(٤) كقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ سورة المائدة الآية ٤٤، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ سورة المائدة الآية ٤٥، وقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ سورة المائدة الآية٤٩، وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ سورة النحل الآية ١١٦، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ سورة الأنفال الآية ٢٠.

(٥) ابن ماجه: سنن: ١/ ٣. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ٧/ ١٣٨. المتقي الهندي: كنز العمال: ١/ ١٧٥.

(٦) الطبراني: المعجم الأوسط: ٢/ ١٨٦. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٧/ ٢٠٥.

وكل بدعة ضلالة"[١]. وقوله: "إياكم والبدع فإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار[٢]"، وقوله: "تفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة أضرها على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال[٣]"، وقوله: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم[٤]"، وعن الإمام الصادق عليه السلام: "قال جدي رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها الناس حلالي حلال إلى يوم القيامة، وحرامي حرام إلى يوم القيامة، ألا وقد بينهما الله عز وجل في الكتاب، وبينتهما لكم في سيرتي وسنتي، وبينهما شبهات من الشيطان، وبدع من بعدي، من تركها صلح له من أمر دينه، وصلحت له مروته وعرضه..."[٥].

وقد جاء كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام متناغما مع ما أمر به الله ورسوله صلى الله عليه وآله، مبينا مخاطر إتباع البدع، ناهيا عنها، داعيا إلى وجوب التمسك بالسنة المحمدية الهادية إلى الحق، فقد قال عليه السلام: "**إِنَّ اللَّه بَعَثَ رَسُولًا هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وأَمْرٍ قَائِمٍ، لَا يَهْلِكُ عَنْه إِلَّا هَالِكٌ، وإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ**"[٦]. وقال أيضاً "**فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ وأَعْلَامَ الْبِدَعِ، والْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْه حَبْلُ الْجَمَاعَةِ، وبُنِيَتْ عَلَيْه أَرْكَانُ الطَّاعَةِ**[٧]"، وقد حذر أمير المؤمنين عليه السلام من تعطيل السنة والاتجاه نحو البدع فإن في ذلك هلاك الأمة، وهذا الأمر يتوجه إلى الحكام في البداية لأن بيدهم زمام الأمور ومنهم يخاف ويرهب[٨]، قال الإمام عليه السلام: "**وقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّه لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي**

(١) أبو يعلى: مسند أبو يعلى: ٤/ ٨٥. ابن قدامة: المغني: ٢/ ١٥٥. النووي: المجموع: ٤/ ٥١٦.

(٢) ابن بابويه: فقه الرضا (عليه السلام): ص٣٨٣. المفيد: المسائل الصاغانية: ص٨٦. الشهيد الأول: الذكرى: ص ٢٥٥.

(٣) أبو داود: سؤالات الآجري: ٢/ ٢٧٨. الحاكم: المستدرك: ٣/ ٥٤٧. ابن حزم: المحلى: ١/ ٦٢. النوري: مستدرك الوسائل: ١٧/ ٢٥٧.

(٤) الدارمي: السنن: ١/ ٦٩. أبو خيثمة النسائي: كتاب العلم: ص١٦. الهيثمي: مجمع الزوائد: ١/ ١٨١.

(٥) الكراكجي: كنز الفوائد: ص١٦٤.

(٦) نهج البلاغة: ص ٣٢٤.

(٧) نهج البلاغة: ص٢٧٧.

(٨) الميلاني: سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في نهج البلاغة: ص٣٠.

عَلَى الْفُرُوجِ والدِّمَاءِ والْمَغَانِمِ والأَحْكَامِ وإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ... الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ[١]"، وفي نص آخر يشير إلى أهمية دور الحاكم في الحفاظ على السنة، وان ذلك يتبع صلاحه أو فساده، فيجعل عليه السلام المقيم للسنة من أفضل عباد الله، والمميت لها من شر الناس، يقول عليه السلام: "**فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللّه عِنْدَ اللّه إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدِيَ وهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً، وإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللّه إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وضُلَّ بِه، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً**"[٢].
وقد شخص عليه السلام أهم دلالات البدع التي يمكن إفرادها بنقاط:

١ ـ مخالفتها لكتاب الله إذ يقول عليه السلام: "يخالف فيها كتاب الله"[٣] ومخالفته أما بأن لا يكون فيه ما يدل عليها، وأما إن تخالفه بأن تكون مناقضة لحكمه[٤].

٢ ـ وقد وصف عليه السلام حال المحدث في الدين بالمجهول: "وأمات بدعة مجهولة"[٥] أي ما ابتدع من الأمور المضادة للسنن هو مما يجهل أمره ولا يعرف له طريق[٦].

٣ ـ وفي نص آخر يشير عليه السلام إلى إن البدع "ظاهرة" جلي أمرها "لها أعلام"[٧] قد أوضحها الرسول صلى الله عليه وآله وارشد إليها من أجل اجتنابها كما أشار إلى ذلك سبحانه بقوله: "ويهديكم سنن الذين من قبلكم"[٨] يعني من الأنبياء

---

(١) نهج البلاغة: ص ٢٤٧.
(٢) نهج البلاغة: ص ٣٠٩.
(٣) نهج البلاغة: ص٨٧.
(٤) الحسيني: الديباج الوضي: ١/ ٤٥٦.
(٥) نهج البلاغة: ص٣٠٩.
(٦) الحسيني: الديباج الوضي: ٣/ ١٣٥٢.
(٧) نهج البلاغة: ص٣٠٩.
(٨) سورة النساء الآية ٢٦.

"ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما"[١] مخالفا للحق مخالفة ظاهرة لا لبس فيها[٢].

وهناك نصوص عديدة يحذر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيها من خطر البدع وأثرها السلبي على الدين والمجتمع. كقوله عليه السلام: "**إنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إلى اللَّه رَجُلَانِ، رَجُلٌ وَكَلَه اللَّه إلى نَفْسِه، فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ ودُعَاءِ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِه ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ قَبْلَه، مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِه فِي حَيَاتِه وبَعْدَ وَفَاتِه، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِه رَهْنٌ بِخَطِيئَتِه**"[٣]، ويقول عليه السلام أيضاً: "**إنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّه فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ ويُعَاقِبُ ولَهَا يَرْضَى ويَسْخَطُ، أَنَّه لَا يَنْفَعُ عَبْداً، وإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَه وأَخْلَصَ فِعْلَه، أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَاقِياً رَبَّه، بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِه الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا، أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّه فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْه مِنْ عِبَادَتِه، أو يَشْفِيَ غَيْظَه بِهَلَاكِ نَفْسٍ، أو يَعُرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَه غَيْرُه، أو يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إلى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِه**"[٤] وقال أيضاً: "**اسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِه، وعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِه وعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِه، ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا ولَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا، ولَا تُخَالِفُوا عَنْهَا، فَإِنَّ أهل الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّه يَوْمَ الْقِيَامَةِ... واعْلَمُوا عِبَادَ اللَّه أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ، مَا اسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ ويُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ، وأَنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً، مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، ... وإنما النَّاسُ رَجُلَانِ مُتَّبِعٌ شِرْعَةً ومُبْتَدِعٌ بِدْعَةً، لَيْسَ مَعَه مِنَ اللَّه سُبْحَانَه بُرْهَانُ سُنَّةٍ ولَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ**"[٥].

ويمكن بلورة رؤية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في تيارين متضادين مثّلا في تعاملهما مع السنة النبوية المجتمع انذاك. وهذان التياران هما:

---

(١) سورة النساء الآية ٢٧.

(٢) الحسيني: الديباج الوضي: ٣/ ١٣٥٢.

(٣) نهج البلاغة: ص ٤٣.

(٤) نهج البلاغة: ص ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٥) نهج البلاغة: ص٣٣٧ ـ ٣٣٩.

التيار الأول: (متبع الشرعة) ملتزم باستقاء الأحكام من القرآن والسنة، منتهجين منهج الطاعة والامتثال لمطلق الأوامر الصادرة عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله دون أدنى اعتراض. وقد دأبوا على إحياء السنة، وهم الذين كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يتأوه على فقدانهم بقوله: "**أَوِّه عَلَى إِخْوَانِيَ الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوه، وتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوه، أَحْيَوُا السُّنَّةَ وأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ**"(١)، وهم الذين وصفهم بقوله: "**طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِه... ووَسِعَتْه السُّنَّةُ، ولَمْ يُنْسَبْ إلى الْبِدْعَةِ**"(٢).

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام اصدق مظهر لهذا التيار واوضحه، فهو الذي كان رائدا في مجال إحياء سنة النبي صلى الله عليه وآله والعمل بها، بعد أن تعهد الالتزام بهذا المنهج، وكان يفتخر ويقول: "**ولَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وآله ـ، أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّه ولَا عَلَى رَسُولِه سَاعَةً قَطُّ**(٣)"، وفي قول آخر: "واني والله لم أخالف رسول الله صلى الله عليه وآله قط ولم اعصه في أمر قط(٤)"، وقال عليه السلام: "**أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ**(٥)".

التيار الثاني: (مبتدع بدعة) وهو التيار الذاهب إلى مشروعية الرأي وصحة الاجتهاد مقابل النص، وهم وان كانوا معتقدين برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله إلا أنهم لم يعطوه تلك القدسية والمكانة التي منحها الله إياه، فكانوا يتعاملون معه صلى الله عليه وآله على انه بشر يخطئ ويصيب، ولذا لم يتعبدوا بالأحكام الصادرة عنه، بل من حقهم الاجتهاد(٦) في استحداث ما يرونه مناسبا، حسب ما تقتضيه

---

(١) نهج البلاغة: ص ٣٥٤.

(٢) نهج البلاغة: ص٦٧٨.

(٣) نهج البلاغة: ص ٤٢١ ـ ٤٢٢.

(٤) المفيد: الأمالي: ص ٢٣٥، الاختصاص: ص١٥٩. المجلسي: البحار: ٣٢/ ٥٩٥.

(٥) نهج البلاغة: ص٣٢، قال صبحي الصالح: جواد المضلة: الجواد جمع جادة وهي الطريق، والمضلة ـ بفتح الضاد وكسرها ـ الأرض يضل سالكها. نهج البلاغة: ص٣٢هـ١١.

(٦) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر: عبد الحسين شرف الدين: الاجتهاد مقابل النص (الصفحات جميعها).

المصلحة ـ مصلحة الدولة ـ وبرأيهم ان نصوص الكتاب مادام أنها جاءت لرعاية مصلحة العباد، فلذا من حقهم تعطيل أو استبدال أي نص قرآني أو حديثي عندما يضر بالمصلحة، عندئذ يفتون بما يرونه بديلا عن النص والحكم الصادر عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله[١]. وقد أدى ذلك إلى ظهور البدع، وشكل ظاهرة واضحة يمكن إحصاء دلالاتها وآثارها على المجتمع "**وإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ**"[٢]، وقد جاءت إشارات الإمام عليه السلام واضحة لنماذج من هذا التيار وما أحدثوه في المجتمع: "**فَيَا عَجَباً ومَا لِيَ لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هَذِه الْفِرَقِ، عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا، لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ ولَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ... مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ إلى أَنْفُسِهِمْ، وتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ [المبهمات] عَلَى آرَائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِه، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ وأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ**"[٣]. ويقول عليه السلام في وصف نموذج منهم "**وآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً ولَيْسَ بِه، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ... يَقُولُ أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وفِيهَا وَقَعَ، ويَقُولُ أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ وبَيْنَهَا اضْطَجَعَ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ والْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ**"[٤]. وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام في مقطع آخر من كلامه الشريف ما آل إليه أمر الأمة في تلك الفترة من تاريخها: "**وظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وكَثُرَ الإِدْغَالُ فِي الدِّينِ، وتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ**"[٥].

وهنا لا بد من تلمس واقع الحال الذي عاشته سنة النبي صلى الله عليه وآله إبان تلك المدة من تاريخها، وكيف تعاملت الأمة معها بعد رحيله صلى الله عليه وآله! وهو ما يتطلب العودة إلى مصادر التاريخ، واستجلاء الشواهد التي نطقت بها الروايات في

---

(١) عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية، ثلاثون عاما بعد الرسول صلى الله عليه وآله: ص٣٤ ـ ٥٥.

(٢) نهج البلاغة: ص ٣٠٩.

(٣) نهج البلاغة: ص١٤٣ ـ ١٤٤.

(٤) نهج البلاغة: ص١٤٠ ـ ١٤١.

(٥) نهج البلاغة: ص٤٥٢. ذكر صبحي الصالح في هامش ٥ من هذه الصفحة: محاج السنن: جمع محجة، وهي جادة الطريق واوسطها.

هذا المجال، إذ ليس بخاف على المتصفح لمطاوي كتب التراث الإسلامي إن الطعن في السنة النبوية قد بدأت بوادره والنبي صلى الله عليه وآله ما يزال حيا بين أظهرهم، وإن الواقع ينبئ عن تجرأ بعض الصحابة على تخطئة النبي صلى الله عليه وآله أو الاعتراض على قراراته وأقواله وأفعاله والتشكيك بها، وقد أوضح القرآن ذلك وعالج الكثير من أمثال هذه الحالات اللا مسؤولة، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[2]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾[3]، إلى غيرها من الآيات التي لوحت أو صرحت بما لا يقبل الشك من وجود هكذا أناس جهلوا وتجاهلوا مكانة النبي صلى الله عليه وآله.

ولم تقتصر الدلالات على القرآن بل صرحت أحاديث النبي صلى الله عليه وآله بوجود هذا الاتجاه وانتقدته، لأن التعدي لم يقتصر على الرسول صلى الله عليه وآله بل تعداه إلى كتاب الله، فلذلك نجده يقول صلى الله عليه وآله لبعضهم: "ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم"[4]، وفي نص آخر "أيتلاعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم"[5]، وما فتئ صلى الله عليه وآله يحذر أصحابه من التهافت في التعامل مع النصوص القرآنية والنبوية، إذ الإيمان بالله ورسوله يقتضي التسليم والانقياد لما يقوله الله ويأمر به الرسول صلى الله عليه وآله، فعدم التسليم بقدسية النبي صلى الله عليه وآله وأقواله وأفعاله يتقاطع مع الإيمان المطلق بالله ورسوله صلى الله عليه وآله[6].

---

(١) سورة الحجرات الآيتان ١ ـ ٢.

(٢) سورة الأحزاب آية ٥٧.

(٣) سورة المجادلة الآية ٨.

(٤) ابن كثير: تفسير: ١/ ٥٤٢. المتقي الهندي: كنز العمال: ١/ ١٩٣.

(٥) ابن حزم: المحلى: ١٠/ ١٦٧. النووي: المجموع: ١٧/ ٨٥. المارديني: الجوهر النقي: ٧/ ٣٣٣.

(٦) الشهرستاني: وضوء النبي صلى الله عليه وآله: ٢/ ١٦.

ومن الشواهد المحسوسة على ما ذكرناه ما فعله بعضهم من مخالفة لأقوال النبي وافعاله ﷺ وهو بين أظهرهم كفعل خالد في بني جذيمة، فقد تبرأ النبي ﷺ من فعله[1]، وقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك[2] ـ مع بداهة حرمة دم المسلم ـ رغم نطقه بالشهادتين[3]، ومن ذلك قول رجل من الأنصار في قسمة كان قسمها النبي ﷺ "والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله"، فشق ذلك على النبي ﷺ وتغير وجهه وغضب[4]. والانكى من ذلك إن بعض رواد هذا الاتجاه آذوا النبي ﷺ في عرضه وأزواجه حتى قال طلحة وعثمان: "أينكح محمد نساءنا إذا متنا ولا ننكح نساءه إذا مات؟ لو مات لقد اجلنا على نسائه بالسهام فانزل الله "ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا[5]"[6].

واللافت للنظر إن رواد البدع في المدة اللاحقة ـ التي نحن بصدد البحث فيها ـ وهم الخلفاء الذين تولوا الحكم بعد النبي ﷺ لم يكونوا بمنأى عن هذه

---

(١) ابن حنبل: المسند: ٢/ ١٥١. البخاري: الصحيح: ٤/ ٦٧. السرخسي: المبسوط: ٢٠/ ١٤٣. ابن خلدون: تاريخ: ١/ ٢/ ٣٢١. ابن حجر: فتح الباري: ١٣/ ١٥٩، وللتفاصيل ينظر: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص ٤٦٠ ـ ٤٦٢.

(٢) مرداس بن نهيك: أو مرداس بن عمرو الفدكي، اختلف في امره، ولكنه الوحيد الذي أسلم من قومه، وكان صاحب غنم كثير، ورغم اعلانه إسلامه لكن اسامة قتله بدعوى انه قال الشهادة متعوذا من القتل، مما اغضب النبي ﷺ ونزلت آيات قرآنية تنتقد ذلك التصرف. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية: ٤/ ١٠٣٩. ابن شبه النمري: تاريخ المدينة: ٢/ ٤٥٠، الطبري: تاريخ ٢/ ٤٠٨، جامع البيان: ٥/ ٣٠٤. القمي: تفسير القمي: ١/ ١٤٨. الواحدي: أسباب نزول الآيات: ص١١٦. ابن الأثير: أسد الغابة: ٣/ ٧٧، ٤/ ٣٧٦. ابن كثير: البداية والنهاية: ٤/ ٢٥٢. ابن حجر: الإصابة: ٦/ ٥٩، فتح الباري: ٨/ ١٩٤، ١٢/ ١٧١. السيوطي: الدر المنثور: ٢/ ٢٠٠.

(٣) الطبري: جامع البيان: ٥/ ٣٠٤. الواحدي: أسباب النزول: ص١١٦. ابن الأثير: أسد الغابة: ٤/ ٣٤٦. ابن حجر: فتح الباري: ٨/ ١٦٤. السيوطي: الديباج: ١/ ١١٣. المتقي الهندي: كنز العمال: ١/ ٣١٠.

(٤) البخاري: الصحيح: ٤/ ١٣٠. ابن حزم: المحلى: ١١/ ٢١٩. ابن قدامه: المغني: ١٠/ ٥٩. الشوكاني: نيل الأوطار: ٨/ ١٢٥.

(٥) سورة الأحزاب الآية ٥٣.

(٦) ابن طاووس: الطرائف: ص٤٩٣. السيوطي: الدر المنثور: ٥/ ٢١٤ ـ ٢١٥.

الظاهرة إذ نجد لهم نصيبا من الاعتراض على رسول الله ﷺ ومخالفة أوامره ولا سيما عمر الذي خالف النبي ﷺ في مفردات كثيرة منها: إنكاره أخذ الفداء من أسارى بدر[١]، واعتراضه على النبي ﷺ في صلاته على المنافق[٢]، واستيائه من قسمة قسمها النبي ﷺ[٣]، ومواجهته ﷺ بلسان حاد في صلح الحديبية[٤]، ومطالبته النبي ﷺ أن يستفيد من مكتوبات اليهود في الشريعة[٥]، وغيرها حتى بلغ به الحال التجرؤ على النبي ﷺ في آخر ساعاته واتهامه بالهجر. ومن ثم منعه ﷺ من كتابة كتابه وإطلاقهم البدعة التي فرقت بين القرآن والسنة "حسبنا كتاب الله"[٦]. وما أن رحل النبي ﷺ حتى بأن الانقسام بأوضح حالاته في أمته وافتتنوا فيما بين "متبع شرعة" و"مبتدع بدعة" فدخلت سنة النبي ﷺ في مرحلة التعطيل والتضييع، كما هو واضح في بيانات أمير المؤمنين عليه السلام وفي خطبه الشريفة، وذلك إن تسلط أصحاب التيار الثاني ـ الاجتهاد والرأي ـ على السلطة فسح لهم المجال لابتداع ما شاءوا من أحكام وان خالفت نص الكتاب والسنة الشريفة.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى تلك المرحلة التي أعقبت رحيله ﷺ وما حدث فيها وكيف تنبأ ﷺ بذلك إذ يقول: "وإنما بدء وقوع الفتن من أهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها حكم الله يتولى فيها رجالٌ رجالا، إلا إن الحق لو خلص لم يكن اختلاف، ولو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى، لكنه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجللان معا، فهنالك

---

(١) لمزيد من التفاصيل والمصادر ينظر: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص ٣١٩ ـ ٣٢٣.

(٢) لمزيد من التفاصيل ينظر: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص ١٨٦ ـ ١٨٩. الشهرستاني: وضوء النبي ﷺ: ٢/ ١٩.

(٣) ابن حنبل: المسند: ١/ ٢٠.

(٤) لمزيد من التفاصيل والتحليل ينظر: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص ١٦٣ ـ ١٨٦.

(٥) الصنعاني: المصنف: ١٠/ ٣١٣.

(٦) ابن حنبل: المسند: ١/ ٣٢٥. البخاري: الصحيح: ٥/ ١٣٨. مسلم: الصحيح: ٥/ ٧٦، ولمزيد من التفاصيل ينظر: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص١٤٨ ـ ١٦٣.

يستولي الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى. إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا ألبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويجري الناس عليها ويتخذونها سنة فإذا غيرّ منها شيء قيل: قد غيرت السنة، وقد أتى الناس منكرا، ثم تشتد البلية، وتسبى الذرية، وتدقهم الفتنة كما تدق النار الحطب، وكما تدق الرحى بثقالها، ويتفقهون لغير الله، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بإعمال الآخرة"[١]. ثم نجده عليه السلام يصرح بما احدث قبله من قبل الخلفاء "قد عملت الولاة قبلي أعمالا خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين لخلافه، ناقضين لعهده، مغيرين لسنته"[٢]، إن شواهد كلامه واضحة فقد ابتدأ الخليفة أبو بكر عهده باتخاذه موقفا سلبيا من سنة النبي صلى الله عليه وآله إذ نجده يخالف أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله بسلب حقوق أهل البيت السياسية والاقتصادية[٣] التي أقرتها السماء على لسان النبي صلى الله عليه وآله، وهذا ما هو إلا اجتهاد منه في قبال النص الإلهي، وقد استخدم هو وحكومته شتى الوسائل لتحقيق مرامهم، ومن ذلك افتعال الأحاديث مما يدعم اجتهادهم كحديث "إنا معاشر الأنبياء لا نورث"[٤].

لقد شهد عهد أبي بكر تعطيلا للسنة النبوية من وجه آخر تمثل بمنع الرجوع إلى سنة النبي صلى الله عليه وآله ومنع حديثه بقوله "لا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه"[٥]. فقد عمل ببدعة "حسبنا كتاب الله"، وهذا ما حذر منه النبي صلى الله عليه وآله قائلاً: "يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثي، فيقول بيننا وبينكم كتاب

---

(١) ابن أبي شيبة: المصنف: ٨/ ٥٩٩. الكليني: الكافي: ٨/ ٥٩. المازندراني: شرح أصول الكافي: ١١/ ٣٩٣.

(٢) الكليني: الكافي: ٨/ ٥٩. البحراني: الحدائق الناظرة: ٨/ ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٣) لمزيد من التفاصيل ينظر: العواد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: ص ٦٧٩ ـ ١٠١٧.

(٤) لمزيد من التفاصيل ينظر: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص ٥٥ ـ ٦٦. العواد: السيدة فاطمة عليها السلام: ص ٨٦٠ ـ ٩٠٠.

(٥) الذهبي: تذكرة الحفاظ: ١/ ٢ ـ ٣.

الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا من حرام حرمناه. ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله"(١). وتوالت القيود والإجراءات القاسية بحق سنة النبي صلى الله عليه وآله رواية وتدوينا، إذ تعرضت للمنع والإحراق بل ومعاقبة من يرويها أو يدونها من الصحابة، كالذي فعله الخليفة عمر إذ عاقب بالضرب والحبس جماعة ممن رووا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله(٢).

ومهما كان المدى الذي تم فيه المنع ـ يتسع أو يضيق ـ ليقتصر على أفراد معينين، فقد تعرضت سنة النبي صلى الله عليه وآله للتعطيل، وأحدثت بدع كثيرة لم يكن لها حجة ولا برهان واضح في الدين، إنما هي محض اجتهاد اجتهده بعض الخلفاء، منها بدعة عمر في صلاة التراويح التي اعترف بنفسه بأنها بدعة بقوله "نعم البدعة هذه"(٣). وقد علق علماء اللغة في شرحها: "سماها بدعة لأن رسول الله لم يسن لهم، ولا كانت في زمن الصديق، ولا أول الليل، ولا هذا العدد"(٤). ويأتي منه اعتراف آخر بتعطيله حكم الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله: "متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة النساء ومتعة الحج"(٥).

وفي نص الخطبة عن أمير المؤمنين عليه السلام المشار إليها أعلاه، روي انه عليه السلام قد أوجز بيان تلك البدع التي أحدثها الخلفاء قبله بقوله: بعد أن أشار إلى أنهم قد غيروا سنة رسول الله "... مغيرين لسنته، ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لتفرق عني

---

(١) الدارمي: السنن: ١/ ١٤٤. ابن ماجه: سنن: ١/ ٦.

(٢) لمزيد من التفاصيل: ينظر: عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص١٧ ـ ٣٤. الشهرستاني: منع تدوين الحديث النبوي: ص١٩١ ـ ٢٩٩. البلداوي: فضائل أهل البيت: ص٣١ ـ ٤٣، الحلو: تاريخ الحديث النبوي: ص١٢٦ ـ ٢٣٦.

(٣) البخاري: صحيح: ٢/ ٢٥٢. البيهقي: السنن الكبرى: ٢/ ٤٩٣. ابن حجر: فتح الباري: ٤/ ٢١٩، لمزيد من التفاصيل انظر: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص٢٥٠ ـ ٢٥٥

(٤) ابن الأثير: النهاية: ١/ ١٠٧. ابن منظور: لسان العرب: ٨/ ٦. الزبيدي: تاج العروس: ٥/ ٢٧١.

(٥) ابن حنبل: مسند: ٣/ ٣٢٥، لمزيد من التفاصيل: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص١٩٤ ـ ٢١٧.

جندي... أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام، فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام، ورددت صاع رسول الله صلى الله عليه وآله كما كان، وأمضيت قطائع اقطعها رسول الله صلى الله عليه وآله لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد، ورددت قضايا من الجور قضي بها، ونزعت نساء تحت رجال بغير حق فرددتهن إلى أزواجهن، واستقبلت بهن الحكم في الفروج والأحكام، وسبيت ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت دواوين العطايا، وأعطيت كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطي بالسوية ولم اجعلها دولة بين الأغنياء وألغيت المساحة، وسويت بين المناكح، وأنفذت خمس رسول الله كما انزل الله عز وجل وفرضه، ورددت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ما كان عليه، وسددت ما فتح فيه من الأبواب، وفتحت ما سد منه، وحرمت المسح على الخفين، وحددت على النبيذ، وأمرت بإحلال المتعتين، وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وأخرجت من ادخل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده ممن كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخرجه، وأدخلت من اخرج بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ممن كان رسول الله صلى الله عليه وآله ادخله، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنة، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم، ورددت سبايا فارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، إذا لتفرقوا عني"[1].

ولقد ألف الناس هذه البدع وظنوا بأنها هي من سنة النبي صلى الله عليه وآله، وذلك كله بسبب منهج الخلفاء وسياستهم في التعامل مع سنة النبي صلى الله عليه وآله، تلك السياسة التي سلبت السنة شرعيتها وقداستها ومنحت بالمقابل لما استنه الخلفاء مقاما

(١) الكليني: الكافي: ٨/ ٥٩ ـ ٦٣. وأشار لبعضها: الزمخشري: الفائق في غريب الحديث: ١/ ٣٦٧. ابن الأثير: النهاية: ١/ ٢١٠.

تشريعيا لا يضاهى بظهور ما عرف "بسنة أو سيرة الشيخين"، إذ جعلوا منها قسما ثالث لكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله، بل إن الواقع يكشف عن ما هو أدهى، إذ إن الناس أعطوا لسنة الشيخين من التقديس والإجلال ما لم يعطوه لسنة النبي صلى الله عليه وآله. ودلائل ذلك واضحة كما حدث مع أمير المؤمنين عليه السلام في عهد عثمان الذي لم يكن يقصر في الصلاة في السفر، فصادف أن اعتل في منى فدعوا أمير المؤمنين عليه السلام للصلاة بهم، فقال: "إن شئتم صليت بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله" فقال أكثرهم: "لا، إلا صلاة أمير المؤمنين ـ يعنون عثمان"[1]. وقصة أمير المؤمنين عليه السلام مع صلاة التراويح من هذا القبيل، فحين أمرهم بالعود إلى ما كان أيام رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: "وا سنة عمراه"[2]. فهم يعلمون جيدا أنها "سنة عمر" وان الذي يدعوهم إليه الإمام إنما هو "سنة النبي صلى الله عليه وآله"؟! فهكذا غيرت سنة النبي صلى الله عليه وآله وطرأ عليها هذا النحو من التبديل، فكان تداركها لإحياء السنة النبوية الثابتة هو من أهم ما وضعه أمير المؤمنين عليه السلام نصب عينيه لما تولى الحكم: **"ولَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ... وتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ"**[3].

ولكن ما موقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من هذه المشكلات التي واجهت السنة النبوية وما هو دوره في معالجتها وإحياء سنة النبي صلى الله عليه وآله، وهذا ما سنقف عليه في المبحث التالي بشيء من التفصيل.

❁ ❁ ❁

---

(١) ابن حزم: المحلى: ٤/ ٢٧٠. المارديني: الجوهر النقي: ٣/ ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٢) الجواهري: جواهر الكلام: ١٣/ ١٤١.

(٣) نهج البلاغة: ص٢٤٧.



المبحث الثالث

دور الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في إحياء السنة النبوية

أولاً: مؤهلاته العلمية عليه السلام

١ ـ علمه بالسنة النبوية:

كان علمه عليه السلام بالسنة النبوية علما شموليا تفصيليا، مستوعبا لأفرادها، عارفا بحدودها ومواقعها، وليس هذا محض ادعاء، بل حقيقة ثابتة لم يكن يخفيها، فلطالما أفصح عنها في خطب بليغة يلقيها على الملأ العظيم، وفيهم كثير من الصحابة الذين عاشوا معه عليه السلام ومع الرسول صلى الله عليه وآله، وعرفوه وعرفوا غيره من الصحابة، فمن ذلك قوله في كلام يصنف فيه رواة الحديث إلى أربع طبقات، ثم يقول في مقارنة بينه وبين غيره من الصحابة، **"ولَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ مَنْ كَانَ يَسْأَلُه ويَسْتَفْهِمُه، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الأَعْرَابِيُّ والطَّارِئُ، فَيَسْأَلَه عليه السلام حَتَّى يَسْمَعُوا، وكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُه عَنْه وحَفِظْتُه"**[١].

وفوق هذا كانت هناك عناية ربانية خاصة ترعاه إذ شملته رعاية السماء في كثير من جوانب العظمة والارتقاء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "إن الله أمرني أن

---

(١) نهج البلاغة: ص ٤٤٣.

أدنيك ولا أقصيك، وان أعلمك وان تعي، وحق على الله تعالى أن تعي، قال: فنزل قوله تعالى ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[1][2]، وفي رواية: حين نزلت هذه الآية، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "سألت الله عز وجل أن يجعلها أذنك يا علي، قال علي عليه السلام: "فما نسيت شيئاً من بعد وما كان لي أن أنسى"[3].

هذا ما أهله لأن يصرح بعظمة علمه قائلاً: "**بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِه لَاضْطَرَبْتُمْ، اضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ**"[4]، إذ بهذا النص الجلي وصف أمير المؤمنين عليه السلام غزارة علمه، وما تنطوي عليه شخصيته العلمية من شمول وعمق بجوانب متعددة، لذا نجده يتحدى كل من يدعي العلم من غير أهل البيت عليهم السلام قائلاً: "**أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِباً وبَغْياً عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا اللَّه ووَضَعَهُمْ، وأَعْطَانَا وحَرَمَهُمْ وأَدْخَلَنَا وأَخْرَجَهُمْ**"[5].

ولما كان عليه السلام على هذا القدر من العلم أصبح هو الوحيد الذي لم يحتج إلى أحد في علمه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد صرح بذلك عليه السلام حينما خاطب طلحة والزبير، مشيراً إلى أنه في غنى عن رأيهما على الصعيد العلمي وغيره، وذلك حينما عتبا عليه فقالا: ما نراه يستشيرنا في أمر، ولا يفاوضنا في رأي، ويقطع الأمر دوننا ويستبد بالحكم عنا[6]، فقال عليه السلام: "**فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إلى كِتَابِ اللَّه ومَا وَضَعَ لَنَا، وأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِه فَاتَّبَعْتُه، ومَا اسْتَنَّ النَّبِيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فَاقْتَدَيْتُه، فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إلى رَأْيِكُمَا ولَا رَأْيِ**

---

(١) سورة الحاقة آية ١٢.

(٢) الواحدي: أسباب النزول: ص٢٩٤. ابن طلحة: مطالب السؤول: ص١٢١.

(٣) الزيلعي: تخريج الأحاديث والاثار: ٤/ ٨٤. المازندراني: شرح أصول الكافي: ٧/ ٨٨، وينظر: ابن المغازلي: المناقب: ص٢٥٠. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٣/ ١٧٧.

(٤) نهج البلاغة: ص٣٤.

(٥) نهج البلاغة: ص٢٦٣.

(٦) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ص١١/ ١٠.

غَيْرِكُمَا، ولَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُه فَأَسْتَشِيرَكُمَا وإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ولَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا ولَا عَنْ غَيْرِكُمَا "(١).

وإذا كان عليه السلام قد أشار إلى علمه إجمالا في النصوص المتقدمة في وصفه لسعة علمه، فإنه في نصوص أخرى قد تكلم بلون من التفصيل عما يشتمل عليه من العلوم في الميادين المختلفة ومن تلك الميادين علمه بسنة النبي صلى الله عليه وآله إذ "يبرهن للناس على علمه التفصيلي الدقيق بالسنة، كما هو في الكتاب، في خطاب يأخذ بمجاميع القلوب، ما سمع الناس نظيرا له من صحابي غيره قط، فيقول: **"وخَلَّفَ فِيكُمْ [النبي] مَا خَلَّفَتِ الأنبياء فِي أُمَمِهَا، إذ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ ولَا عَلَمٍ قَائِمٍ، كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّناً حَلَالَه وحَرَامَه، وفَرَائِضَه وفَضَائِلَه ونَاسِخَه ومَنْسُوخَه، ورُخَصَه وعَزَائِمَه وخَاصَّه وعَامَّه، وعِبَرَه وأَمْثَالَه ومُرْسَلَه ومَحْدُودَه، ومُحْكَمَه ومُتَشَابِهَه مُفَسِّراً مُجْمَلَه ومُبَيِّناً غَوَامِضَه، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِه ومُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِه، وبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُه، ومَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُه، ووَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُه، ومُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُه، وبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِه وزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِه، ومُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِه مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْه نِيرَانَه، أو صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَه غُفْرَانَه، وبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاه مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاه "**(٢)، هذه أبواب من السنن فتحت على علوم جمة توفر عليها، مع بصيرة لا يخشى عليها لبس ولا توهم"(٣).

وفي عهده عليه السلام إلى مالك الاشتر يقول: **"واعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ، لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، ولَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ، فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّه ومِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ والْخَاصَّةِ، ومِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ ومِنْهَا عُمَّالُ الإِنْصَافِ والرِّفْقِ، ومِنْهَا أهل الْجِزْيَةِ والْخَرَاجِ مِنْ أهل الذِّمَّةِ ومُسْلِمَةِ النَّاسِ، ومِنْهَا التُّجَّارُ وأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، ومِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ والْمَسْكَنَةِ، وكُلٌّ قَدْ سَمَّى**

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٣٧.

(٢) نهج البلاغة: ص٢١ ـ ٢٢.

(٣) عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص٥٨

اللَّه لَه سَهْمَه، ووَضَعَ عَلَى حَدِّه فَرِيضَةً فِي كِتَابِه أو سُنَّةِ نَبِيِّه ـ صلى الله عليه وآله ـ عَهْداً مِنْه عِنْدَنَا مَحْفُوظاً"(١).

فهنا أشار عليه السلام إلى جميع أصناف المجتمع وما لهم وما عليهم وذكر إن الله تعالى بين أحكام الجميع في الكتاب والسنة وهما محفوظان عنده عليه السلام(٢)، وقال عليه السلام أيضاً: "**فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْه مِنْ صِفَتِه فَائْتَمَّ بِه، واسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِه ومَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَه، مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُه، ولَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وآله ـ وأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُه، فَكِلْ عِلْمَه إِلَى اللَّه سُبْحَانَه، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّه عَلَيْكَ**"(٣).

٢ ـ اختصاصه برسول الله صلى الله عليه وآله:

إن اختصاصه عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله جعله الأولى بسنته والأحق بها من بعده، وقد مر بنا في الفصل الأول دلالات ومعالم هذا الاختصاص الفريد.

وقد أشار عليه السلام إلى معلم من معالم ملازمته للنبي صلى الله عليه وآله وحرصه صلى الله عليه وآله على إعداده عليه السلام انه قد خصه بعلم الكتاب والسنة الشريفة، إذ يقول: "فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله إن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال وحرام، ولا أمر ولا نهي كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته، فلم أنس حرفا واحداً ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملا قلبي علما وفهما وحكما ونورا"(٤).

---

(١) نهج البلاغة: ص٥٩٦.
(٢) الميلاني: سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: في نهج البلاغة: ص ٣١ ـ ٣٢.
(٣) نهج البلاغة: ص ١٤٩ ـ ١٥٠.
(٤) الكليني: أصول الكافي: ١/ ٦٤، ينظر: المازندراني: شرح أصول الكافي: ٢/ ٣٠٦. المير جهاني:=

وبالقدر الذي كان فيه النبي صلى الله عليه وآله حريصا على إعداد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ونشأته علميا في كنف النبوة المقدسة كان الإمام عليه السلام نفسه شديد الحرص على التزام شخص النبي صلى الله عليه وآله واخذ العلم عنه، إذ جاءت كلماته صريحة في بيان هذه الملازمة وهذا الحرص منه[(١)]، وفي نص آخر يقول: "ما دخل نوم عيني، ولا غمض رأسي على عهد محمد صلى الله عليه وآله حتى علمت ما نزل به جبرئيل من حلال، أو حرام، أو سنة أو كتاب، أو أمر أو نهي، وفيمن نزل"[(٢)].

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله إن هذا الاختصاص بالإمام عليه السلام إنما هو توجيه من السماء: "يا علي! إن الله أمرني أن أدنينك ولا أقصيك، وان أعلمك، وان تعي، حق على الله أن تعي"، فنزلت آية ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[(٣)].

فمن ذا ـ بعد هذه الخصوصية ـ أحق بالنبي صلى الله عليه وآله وسنته سوى أمير المؤمنين عليه السلام لذا قال عليه السلام: "إن حُكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فنحن أحق الناس وأولاهم بها"[(٤)]، وقد أشار عليه السلام إن مرجعية علومه ومصدرها هو النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: **"أَيُّهَا النَّاسُ، لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي، ولَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي، ولَا تَتَرَامَوْا بِالأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَه مِنِّي، فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِه عَنِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ ولَا جَهِلَ السَّامِعُ"**[(٥)]، ولشدة التصاقه برسول الله صلى الله عليه وآله وحمله علومه

=مصباح البلاغة: ص١/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨. البروجردي: جامع أحاديث الشيعة: ص ١/ ١٦، وتجد ما يشابهه عند: الصدوق: كمال الدين: ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(١) وذلك إشارة لقوله عليه السلام: "ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِه عَلَماً، ويَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِه..."، نهج البلاغة: ص٤٠٦.

(٢) الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل: ١/ ٤٣.

(٣) الواحدي: أسباب النزول: ص٢٩٤. ابن طلحة: مطالب السؤول: ص١٢١.

(٤) نهج البلاغة: ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٥) نهج البلاغة: ص١٨٦ ـ ١٨٧.

ومعارفه، كان عليه السلام يفرغ عن لسانه، ولا يتردد في تأكيد ذلك بكل اطمئنان فيقول: "**والله مَا أَسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً، إِلَّا وهَا أَنَا ذَا مُسْمِعُكُمُوه**"(١).

إذن النبي صلى الله عليه وآله هو المصدر الذي استقى منه أمير المؤمنين عليه السلام إلى جانب القرآن الكريم، ولكن كيف كان يتلقى الإمام عليه السلام ذلك من النبي صلى الله عليه وآله؟ إن نصوص النهج تفصح عن وجود عدة طرق:

أولا: أشار الإمام عليه السلام إلى أن النبي صلى الله عليه وآله كان يخصه ببعض الأحاديث، فيقول عليه السلام: "**قَالَ لِي رَسُولُ اللَّه...**"(٢).

ثانياً: الوصية أو العهد، في قوله عليه السلام: "**عَهْداً مِنْه عِنْدَنَا مَحْفُوظاً**"(٣)

ثالثاً: سؤاله عليه السلام: فقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في أكثر من مورد انه كان يتوجه للنبي فيسأله(٤)، وهذا مصداق لقوله عليه السلام: "وكنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أجابني"(٥)، وقد مر بنا إشارة الإمام عليه السلام إن أصحاب النبي ما كانوا يسألونه كما كان يفعل هو عليه السلام.

رابعا: السماع: كَ ن النبي صلى الله عليه وآله يوجه خطابه لسائر المسلمين، أو من حضر عنده في المسجد أو غيره، وكان عليه السلام بحكم مرافقته له صلى الله عليه وآله، والتزام شخصه صلى الله عليه وآله أحد السامعين له(٦)، ولكنه بالتأكيد كان أحفظهم لكلامه صلى الله عليه وآله وافهمهم له، وقد انتقد عليه السلام أصنافا من الرواة الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنهم لم يفهموا ويعوا حديثه.

خامسا: مشاهدة أفعاله صلى الله عليه وآله: لما كانت السنة النبوية المشرفة لا تقتصر

---

(١) نهج البلاغة: ص١٤٥.
(٢) ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص ٥٢٥.
(٣) نهج البلاغة: ص ٥٩٦.
(٤) ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص ٦١٠.
(٥) الكليني: الكافي ١/ ٦٤. النعماني: الغيبة: ص٨٢. المازندراني: شرح أصول الكافي: ٢/ ٣٠٦.
(٦) نهج البلاغة: ص٣٠٩، ٥٨١، ٥٨٣، ٦٠٩.

على أقوال النبي بل تشمل أفعاله ﷺ وبحكم مرافقته له ﷺ في حله وترحاله، لذلك كان عليه السلام يشاهد أفعاله ﷺ التي تعد سنة واجبة الإتباع[١].

سادسا: أخرى: كان أمير المؤمنين عليه السلام يشير إلى بعض أقوال النبي ﷺ وأفعاله دون الإشارة إلى الكيفية التي استقى من خلالها، فيقول مثلا: "**كان رسول الله ﷺ يقول**"[٢] أو "**قَالَ رَسُولُ اللَّه**"[٣] أو "**وشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّه**"[٤] أو "**على لسان النبي الأمي**"[٥]، أو ": **فان رسول الله ﷺ كان يقول...**"[٦]

سابعا: الاستشهاد بكلام النبي ﷺ دون الإشارة لذلك[٧] وفي ذلك دلالة على امتزاج الإمام بالنبي ﷺ.

لم يقتصر دور أمير المؤمنين عليه السلام على رواية الأحاديث عن النبي ﷺ بل نجده عاملا بها، وشارحا لها، مبينا صحيحها من زيفها.

ثانياً: منهجه عليه السلام في إحياء السنة النبوية:

إن المنهج هو الذي سيحدد عنده موقع السنة، وطريقته في التعامل معها رواية وتدوينا، لقد كانت السنة عنده في المكان الذي وضعها الله ورسوله ﷺ، حاكمة غير محكوم عليها، لا تنسخها (مصلحة)، فالمصلحة كل المصلحة في تحكيمها وإتباعها، ولقد ضحى بالخلافة مرة حفاظا على السنة أن تنتهك أو يساء الفهم في حقيقة مكانتها[٨]. وهو الذي عارض عثمان في مخالفته لسنة النبي ﷺ وأصر على إحيائها، إذ روي أنه اجتمع أمير المؤمنين

(١) ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص٤٣١، ٥٠٣.
(٢) ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص٥٠٣.
(٣) ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص٣٣٨.
(٤) ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص٤٣٠.
(٥) ينظر مثلا: نهج البلاغة ص ٢٨١، ٦٦٢.
(٦) ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص٣٣٩.
(٧) نهج البلاغة: ص٧٥٤، ٧٥٦ ـ ٧٥٧.
(٨) عبد الحميد: تاريخ السنة: ص٥٩.

والخليفة عثمان في عسفان[1]، فكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة، فقال له علي: ما تريد إلى أمر فعله النبي صلى الله عليه وآله تنهي الناس عنه؟ فقال له عثمان دعنا عنك، قال: إني لا استطيع أن ادعك، فلما رأى ذلك علي أهل بهما جميعا "[2].

فهنا أمير المؤمنين عليه السلام لم يداهن أو يحابي على الحق وان خالف بذلك الحاكم في وقته، وفي رواية ثانية: عن مروان بن الحكم، انه شهد عثمان وعليا بين مكة والمدينة، وعثمان ينهى عن المتعة، وان يجمع بينهما، فلما رأى ذلك علي أهل بهما: لبيك بحجة وعمرة، فقال عثمان: تراني أنهى الناس وأنت تفعله؟ فقال: ما كنت لأدع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله لقول أحد[3]. وروي انه قيل له: ألا تخلف رجلاً يصلي الناس في العيدين؟ فقال: لا أخالف السنة[4]، وفي رواية: انه قال: أكره أن استن سنة لم يستنها رسول الله صلى الله عليه وآله[5].

فالإمام عليه السلام يثبت عمليا انه لا يجوز مخالفة سنة رسول الله صلى الله عليه وآله بل الواجب التقيد بها مهما كان. لذا نجده رفض أن يبايعوا له بالخلافة على عقد يقرن بسنة النبي صلى الله عليه وآله سننا أخرى، إذ عرض عليه عبد الرحمن بن عوف أن يبايع له على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر، فرفض أن يقرن

---

(١) عسفان: بضم أوله، وسكون ثانية، سميت لتعسف السيل فيها، وهي ما بين المدينة ومكة، تبعد عن مكة مرحلتين. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٤/ ١٢١ ـ ١٢٢.

(٢) البخاري: الصحيح: ٢/ ١٥٣. البيهقي: السنن الكبرى: ٥/ ٢٢. ابن عبد البر: الاستذكار: ٤/ ٦٦. ابن الجوزي: كشف المشكل من حديث الصحيحين: ١/ ١٨٢. ابن تيمية: مجموعة الفتاوي: ٢٦/ ٨٢. الذهبي: تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق: ٢/ ١٥. الزيلعي: نصب الراية: ٣/ ١٩٩. العيني: عمدة القاري: ٩/ ٢٠٣. السيوطي: الدر المنثور: ١/ ٢١٦.

(٣) أبو داود: المسند: ص١٦. الدارمي: السنن: ٢/ ٧٠. البيهقي: السنن الكبرى: ٥/ ٢٢.

(٤) البرقي: المحاسن: ١/ ٢٢٢. الطوسي: الخلاف: ١/ ٦٦٧. الطبرسي: المؤتلف من المختلف بين أئمة السلف: ١/ ٢٣٤.

(٥) البحراني: الحدائق الناظرة: ١٠/ ٢٠٩. المجلسي: البحار: ٨٧/ ٣٧٤. الجواهري: جواهر الكلام: ١١/ ٣٣٥.

إلى كتاب الله وسنة رسوله شيئاً آخر[١]، فضحى بالخلافة حفظا لمكانة السنة في درس بليغ لم تقف الأمة على جوهره حتى اليوم[٢].

وفي حادثة أخرى نجده أيضاً يرفض أن يعزز جيشه بكتيبة جاءت تبايع له على خلاف السنة يوم خرج عليه المارقون، إذ قالوا: نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين! فرفض أن يقرن بكتاب الله وسنة رسوله شرطا ولو أدى رفضه إلى تمرد هؤلاء والتحاقهم بالمارقين[٣]. فلو قبل الإمام عليه السلام بهذا الشرط، فإن ذلك يعني التخلي عن مدرسة التعبد المحض، والانخراط في سلك الاجتهاد بالرأي وذلك ما لا يقره الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام تبعا لرسول الله صلى الله عليه وآله والقرآن المجيد...لأنه يضفي الشرعية على تلك الفكرة المستحدثة[٤].

ورفض عليه السلام أن يشتري استقرار الحكم أيام خلافته بمداهنة أهل البدع والانحراف الذين انتهكوا السنن وعطلوا الحدود في درس عبقري يظنه القشريون حتى اليوم إخفاقا سياسيا[٥]، ورفض أن يعامل أعداءه ولو مرة بخلاف السنة، وهم يمكرون وينكثون ويغدرون[٦]، فالمنهج الذي تعامل به عليه السلام مع السنة النبوية المشرفة هو الذي حفظ لهما مكانتها وأعاد لها روحها وقدسيتها، إذ دخلت السنة في عهده مرحلة جديدة مغايرة لما عهدته بعد النبي صلى الله عليه وآله، إذ انه على وفق هذا المنهج قد كانت له مواقف وسياسة أخرى غير التي مارسها من سبقه ومن جاء بعده من خلفاء بني أمية ومن تلاهم.

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/١٨٨. ابن ميثم البحراني: اختيار مصباح السالكين: ص٩٥.
(٢) عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص ٥٩.
(٣) عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص ٥٩ ـ ٦٠.
(٤) الشهرستاني: وضوء النبي صلى الله عليه وآله: ٢/٢٢.
(٥) عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص ٥٩.
(٦) عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص ٦٠.

ـ آليات حفظ السنة:

ويمكن إجمال أعماله في سبيل إحياء السنة النبوية ﷺ بالأمور التالية:

أ ـ تدوين السنة. ب ـ رواية الحديث.

أ ـ تدوين السنة:

من المعلوم إن أمير المؤمنين عليه السلام كان كاتب الوحي، وكاتب للحديث بين يدي رسول الله ﷺ ومما اشتهر عنه في هذا المجال "صحيفة علي" التي كان يحملها في قائم سيفه، وبلغ من شهرتها: "لا يكاد يخلو منها واحد من كتب الحديث والسنن، نقلوا منها نصوصا متفرقة بعضها أشبه بعناوين لما تحويه، وبعضها فيه تفصيل[(١)]، وقد جمع ابن حجر العسقلاني كثيراً مما نقل عن تلك الصحيفة، وقال: الجمع بين هذه الأحاديث إن الصحيفة كانت واحدة، وكان جميع ذلك مكتوبا فيها، ونقل كل واحد من الرواة عنه ما حفظه[(٢)]. ولم تكن الصحيفة هي الوحيدة التي جمع فيها أمير المؤمنين أحاديث النبي ﷺ بل تشير الروايات إلى ما عرف بـ "كتاب علي"[(٣)] الذي أصبح علما يتكرر في أحاديث أهل البيت عليهم السلام كتاب كبير يتوارثونه. وكان هذا الكتاب عند الإمام الحسن بن علي يرجع إليه[(٤)]، وكان الإمام الباقر عليه السلام قد اخرج هذا الكتاب أمام طائفة من أهل العلم، وقال لهم: "انه بخط علي وإملاء رسول الله ﷺ"[(٥)]، وعرض

---

(١) الشافعي: اختلاف الحديث: ص٥٦٥، الأم: ٦/ ٤٠، ٧/ ١٨٧، ٣٤٠، المسند: ص١٩٠، ابن حنبل: المسند: ١/ ٧٩. البخاري: الصحيح: ١/ ٣٦، ٤/ ٣٠، الدارمي: السنن: ٢/ ١٩٠، الترمذي: السنن: ٢/ ٤٣٣. ابن حزم: المحلى: ١٠/ ٣٥٤. النووي: شرح صحيح مسلم: ١٨/ ١٣٠، المجموع: ١٨/ ٣٥٦، العيني: عمدة القاري: ١٥/ ٣٠١، ولمزيد من الدراسة عنها ينظر: محمود أبو رية: أضواء على السنة المحمدية: ص٩٤ ـ ٩٦. العاملي: كتاب علي عليه السلام: ص٥١ ـ ٧٧.

(٢) فتح الباري: ١/ ١٨٣.

(٣) الشافعي: الأم: ٢/ ١٦١. البرقي: المحاسن: ١/ ١٠٧. الكليني: الكافي: ٤/ ٣٤٠. ابن حزم: المحلى ٦/ ٣٧، ٧/ ١٠٣. العاملي: كتاب علي: ص٢١ ـ ٤٩.

(٤) ابن حنبل: العلل: ١/ ٣٤٦.

(٥) النجاشي: رجال: ص٣٦٠.

هذا الكتاب أيضاً الإمامان الصادق والهادي عليهما السلام غير مرة يقول: "انه بخط علي وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله نتوارثه صاغرا عن كابر"[١].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يدعو إلى تدوين السنة الشريفة، فقد خطب في الناس مرة، فقال: "قيدوا العلم، قيدوا العلم" أي أكتبوه[٢]. وكانت الكتابة عند أمير المؤمنين عليه السلام وبين يديه مشهورة حدث بها كثيرون[٣].

ب ـ رواية الحديث:

إن لحديث النبي صلى الله عليه وآله (السنة القولية) خصوصية لدى أمير المؤمنين عليه السلام إذ كما مر بنا انه يقرر حجية قوله صلى الله عليه وآله وعصمته ووجوب التسليم المطلق لكل ما يقوله صلى الله عليه وآله، فقد دعا أمير المؤمنين عليه السلام إلى رواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله، إذ روى انه خطب في الناس مرة، فقال: "خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: اللهم ارحم خلفائي ـ ثلاث مرات ـ قيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ فقال: الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس"[٤]. وكان يوصي أصحابه قائلاً: "تزاوروا وتدارسوا الحديث، ولا تتركوه يدُرس"[٥]. وقد قسم كلام رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قسمين "**وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الْكَلَامُ، لَه وَجْهَانِ فَكَلَامٌ خَاصٌّ وكَلَامٌ عَامٌّ**"[٦]. وقد بين عليه السلام الحاجة لهذا التوضيح منه عليه السلام ببيان واثر ذلك على سامعي الحديث عنه صلى الله عليه وآله وناقليه إذ يقول: "**فَيَسْمَعُه مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى اللَّه سُبْحَانَه بِه، ولَا**

---

(١) المسعودي: مروج الذهب: ٨٦/٤. المجلسي: البحار: ٢٠٨/٥٠.

(٢) ابن حمزة الطوسي: الثاقب: ص٢٧٨. ابن ميثم: شرح مئة كلمة: ص٢٦١.

(٣) عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص٥٠.

(٤) الرامهرمزي: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: ص١٦٣. الزيلعي: نصب الراية: ٤٧١/١. المتقي الهندي: كنز العمال: ٢٢١/١٠.

(٥) المتقي الهندي: كنز العمال: ٣٠٤/١٠.

(٦) نهج البلاغة: ص٤٤٣.

مَا عَنَى رَسُولُ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فَيَحْمِلُه السَّامِعُ ويُوَجِّهُه عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاه، ومَا قُصِدَ بِه ومَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِه"[١].

في هذا النص إشارة تنبيهية إلى وجوب الدقة والتحري عن معنى ما قصده النبي صلى الله عليه وآله بهذا الكلام أو ذاك وسبب إطلاقه، فالإمام عليه السلام يضع الأسس الصحيحة الواجب على المحدث أو الناقل عن النبي صلى الله عليه وآله الالتزام بها، ولعل آلية ذلك هو التوجه للسؤال إلى النبي صلى الله عليه وآله نفسه إن كان الناقل أو السامع لحديثه إنما سمعه مباشرة منه، وقد أشار عليه السلام إلى انه ما كان كل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله حريصين على سؤاله. بينما كان هو عليه السلام حريصا على ذلك، ومن حرصه على ذلك "**وكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُه عَنْه وحَفِظْتُه**"[٢]، وفي نص آخر يحمل توجيها منه عليه السلام يوضح لنا أهمية العناية بدراية الحديث ومعرفة فقهه إذ يقول عليه السلام: "**اعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوه عَقْلَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ورُعَاتَه قَلِيلٌ**"[٣]، وأشار عليه السلام في موضع آخر إلى سمة من سمات العترة الطاهرة الذي يتقدمهم أمير المؤمنين عليه السلام في تعاملهم مع الشارع والتشريع بقوله: "**عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ ورِعَايَةٍ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ ورِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ورُعَاتَه قَلِيلٌ**"[٤].

ومن الشواهد على ذلك حين سُئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله: "غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود"، فقال عليه السلام: "**إِنَّمَا قَالَ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذَلِكَ والدِّينُ قُلٌّ ـ فَأَمَّا الآنَ وقَدِ اتَّسَعَ نِطَاقُه وضَرَبَ بِجِرَانِه ـ فَامْرُؤٌ ومَا اخْتَارَ**"[٥]، مما يدلل على لزوم فهم النص مع ملاحظة ملابساته الزمانية والمكانية[٦]. فإن

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٤٣.
(٢) نهج البلاغة: ص٤٤٣.
(٣) نهج البلاغة: ص٦٧١.
(٤) نهج البلاغة: ٤٩٠.
(٥) نهج البلاغة: ص٦٥٣.
(٦) الميلاني: سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: ص٣٥.

لم يكن الناقل للحديث عن النبي صلى الله عليه وآله ممن سمعه منه مباشرة، أي نقل إليه بالواسطة، وجب عليه الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام وفق السمة التي أشار إليها الإمام أعلاه، والشاهد الذي قدمناه، إذ أنهم عليهم السلام أهل العلم الذين عندهم **"أَبْوَابُ الْحُكْمِ وضِيَاءُ الأمر"**[١] و**" فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ وهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا "**[٢].

وفي أثناء فتحه لباب الرواية والتدوين كان يكثر عليه السلام التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله فيقرع أسماعهم بين الحين والآخر بحديث النبي صلى الله عليه وآله: **"مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ"**[٣]، وقد اهتم عليه السلام كثيراً بتوثيق الأحاديث وحمايتها من آفة الدس والوضع، وكان من أهم خطواته في هذا المجال مما مر ذكره آنفا من وضع عدد من الضوابط المشار إليها، وأيضا قام بطرد القصاصين من المسجد[٤] الذين لهم اليد الطولى في دخول الإسرائيليات وانتشارها في كتب التراث الإسلامي من ذلك العهد وإلى الآن. وبين أيدينا نص مهم يشخص فيه أمير المؤمنين عليه السلام الواقع الذي كان عليه الحديث النبوي آنذاك، إذ سئل عليه السلام عن أحاديث البدع واختلاف الناس في روايتهم الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فأجاب عليه السلام: "إن في أيدي الناس حقا وباطلا وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا، وعاما وخاصا، ومحكما ومتشابها، وحفظا ووهما، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله..."، ثم صنف رواة الحديث وحالهم فيه، واثر ذلك على ما صدر عنهم من أحاديث: فقال عليه السلام **"وإنما أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ"**[٥].

الصنف الأول: المنافقون: "رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ مُتَصَنِّعٌ بِالإسلام،

---

(١) نهج البلاغة: ص٢٣٠.
(٢) نهج البلاغة: ص٢٨٣.
(٣) نهج البلاغة: ص٤٤١.
(٤) المتقي الهندي: كنز العمال: ١٠/ ٢٨١ ـ ٢٨٢.
(٥) نهج البلاغة: ص٤٤٠ ـ ٤٤١.

لَا يَتَأَثَّمُ ولَا يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مُتَعَمِّداً، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّه مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْه، ولَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَه، ولَكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ، رَآه وسَمِعَ مِنْه ولَقِفَ عَنْه فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِه، وقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّه عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، ووَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِه لَكَ ثُمَّ بَقُوا بَعْدَه، فَتَقَرَّبُوا إلى أئمة الضَّلَالَةِ، والدُّعَاةِ إلى النَّارِ بِالزُّورِ والْبُهْتَانِ، فَوَلَّوْهُمُ الأَعْمَالَ وجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا وإنما النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ والدُّنْيَا، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّه فَهَذَا أَحَدُ الأَرْبَعَةِ، "[١].وقد تناولنا هذا الصنف فيما سبق فلا حاجة للإعادة هنا.

الصنف الثاني: الخاطئون: "ورَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّه شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْه عَلَى وَجْهِه، فَوَهِمَ فِيه ولَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً فَهُوَ فِي يَدَيْه، ويَرْوِيه ويَعْمَلُ بِه، ويَقُولُ أَنَا سَمِعْتُه مِنْ رَسُولِ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّه وَهِمَ فِيه لَمْ يَقْبَلُوه مِنْه، ولَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّه كَذَلِكَ لَرَفَضَه!"[٢]. وذلك أن يسمع من الرسول ﷺ كلاما فيتصور منه معنى غير ما يريده الرسول، ثم لا يحفظ اللفظ بعينه، فيورده بعبارته الدالة على ما تصوره من المعنى، فلا يكون قد حفظه وتصوره على وجهه المقصود للرسول ﷺ، فوهم فيه، ولم يتعمد كذبا لوهمه، فهو في يديه يرويه ويعمل به على وفق ما تصور منه ويسنده إلى الرسول ﷺ، وعلة دخول الشبهة على المسلمين فيه هي عدم علمهم بوهمه، وعلة دخولها عليه في الرواية والعمل هو وهمه حين السماع حتى لو علم ذلك لترك روايته والعمل به"[٣]. ومما ذكر انه يشترط في راوي الحديث من جملة ما يشترط أن يكون من الذين يحسنون ضبط ما يسمعونه ويؤدونه على وجهه، ولا ثقة بقول من لا يحسن الضبط وان لم يكن فاسقا[٤].

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٤١ ـ ٤٤٢.

(٢) نهج البلاغة: ص٤٤٢.

(٣) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٣١ ـ ٣٢.

(٤) مغنية: في ظلال نهج البلاغة: ٣/ ٢٤٤.

الصنف الثالث: أهل الشبهة: "ورَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ شَيْئاً، يَأْمُرُ بِه ثُمَّ إِنَّه نَهَى عَنْه وهُوَ لَا يَعْلَمُ، أو سَمِعَه يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِه وهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ ولَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّه مَنْسُوخٌ لَرَفَضَه، ولَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إذ سَمِعُوه مِنْه أَنَّه مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوه،"(١).

كان رسول الله ﷺ يبلغ بعض الإحكام، فيسمعه من كان حاضرا، وقد يكون الحاضر السامع صادقا واعيا لما سمع، ولكن الرسول قد ينهى عما كان قد أمر به من قبل، لأن المصلحة التي أوجبت العمل قد انتهت وذهبت بذهاب وقتها، فيسمع النهي من حضر غير الذي سمع الأمر، فينقل عن النبي النهي من سمعه، فينقل الأمر من سمعه أيضاً، والإحاطة بجميع أحاديث الرسول ﷺ أمر عسير(٢). وإن كتب الحديث والفقه مشحونة بذلك، كالذين أباحوا لحوم الحمر الأهلية لخبر رووه في ذلك ولم يرووا الخبر الناسخ(٣).

الصنف الرابع: الصادقون الحافظون: "وآخَرُ رَابِعٌ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّه ولَا عَلَى رَسُولِه، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللَّه وتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ، ولَمْ يَهِمْ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِه، فَجَاءَ بِه عَلَى مَا سَمِعَه، لَمْ يَزِدْ فِيه ولَمْ يَنْقُصْ مِنْه، فَهُوَ حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِه، وحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْه، وعَرَفَ الْخَاصَّ والْعَامَّ والْمُحْكَمَ والْمُتَشَابِه، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَه"(٤).
وهو صنف العلماء الراسخون في العلم(٥).

فهو الراوي العالم القدير الذي له عناية بأمر الدين واهتمام بمدارك الشرع المبين(٦) كما هو راو ثقة خبير، يميز بين موارد الحقيقة والمجاز، وبين

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٤٢.
(٢) مغنية: في ظلال نهج البلاغة: ص ٣/ ٢٤٤
(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ص ١١/ ٣٩
(٤) نهج البلاغة: ص٤٤٢ ـ ٤٤٣
(٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ص ١١/ ٣٩
(٦) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ص ٤/ ٣١.

الحديث الواضح الذي لا يجوز تأويله بحال، والمشكل الذي يمكن تأويله بما يتفق مع العقل ومقاصد الشريعة، ويعرف العموميات والمطلقات، وما يعارض المعنى الظاهر من المخصصات والمطلقات، ويجمع بينها بما يقتضيه الفن والصناعة، وأيضا يعرف زمن الناسخ وزمن المنسوخ، ولا يخلط بين المتقدم والمتأخر، ويصنع كل شيء في موضعه[(١)].

إن هذه النكتة التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام جامعة لأكثر أحكام الأخبار التي يذكرها الأصوليون، ويطنبون في تفصيلها قد جمعها باخصر لفظ واقله[(٢)]. ولا يجوز الأخذ والعمل برواية الأول والثاني إطلاقا، وأما الثالث، فيؤخذ بروايته نظريا إذا كان صادقا ضابطا، ولا يجوز الأخذ بها عمليا إلا بعد التتبع والبحث عما يعارض الرواية من الأدلة والقرائن، فإن لم نجد المعارض عملنا بها كما هي، وإلا قارنا بينها وبين المعارض، وعملنا بما تستدعيه الأصول والقواعد، والرابع كالثالث، ولا اثر للعلم وكثرته في صحة الحديث وقوته[(٣)].

يعد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أصدق مثال على الأنموذج الرابع من رواة الحديث، وقد مر بنا مؤهلاته العلمية التي ميزته عن سائر الناس، وألمح عليه السلام إلى الفارق بينه وبين غيره من الصحابة في تعامله مع الحديث النبوي، لذا كان الأولى به صلى الله عليه وآله وبسنته الشريفة ورواة حديثه، فكان عليه السلام لشدة امتزاجه برسول الله صلى الله عليه وآله كان يفرغ من لسانه صلى الله عليه وآله في كل ما يرويه "**فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم -، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ ولَا جَهِلَ السَّامِعُ**"[(٤)]، وفي قول آخر: "**واللَّه مَا أَسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً، إِلَّا وهَا أَنَا ذَا مُسْمِعُكُمُوه**"[(٥)].

---

(١) مغنية: في ضلال نهج البلاغة: ص ٣/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥.
(٢) الحسيني: الديباج: ص ٤/ ١٧١٢ ـ ١٧١٣.
(٣) مغنية: في ظلال نهج البلاغة: ص ٣/ ٢٤٥.
(٤) نهج البلاغة: ص١٨٧.
(٥) نهج البلاغة: ص١٤٥.

والغريب إننا نجد في بعض النصوص الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام انه اتهم بالكذب، ولكن كيف يتهم أمير المؤمنين عليه السلام بذلك؟!! ولعل سبب ذلك يرجع إلى الحقد والحسد الذي ابتلي به عليه السلام من قبل بعض الصحابة، وهم ممن لا يتورع عن الكذب، فاتهموه جزافا بهكذا تهمة وأشاعوها بين الناس فمن ألفوا إتباعهم لهم جهلا أو تجاهلا.

في الواقع إن المدة التي أعقبت وفاة النبي صلى الله عليه وآله (١١ ـ ٣٥هـ) التي أسدل فيها الستار على قداسة السنة النبوية، فوضعت الأحاديث التي رفعت من مقام من لا مقام له، ومنحتهم ما ليس لهم كذبا وزورا على رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي المقابل تم الحجر على رواية الكثير من الأحاديث ولا سيما المتعلقة منها بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام وهذا ضمن سياسة الخلفاء قبله، لدفعه عن حقه في الخلافة، وما أن جاء عهد الإمام عليه السلام وتولى الحكم، كما أسلفنا انه قد فتح باب الرواية والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فأطلق الأحاديث التي لم يعرفها المجتمع، إذ لم يسمع بها من قبل، فتفاجئوا بها لذا اتهموه بالكذب!

ولقد نفى أمير المؤمنين عليه السلام هذه التهمة عنه في أكثر من مورد، إذ كيف يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أول من صدقه؟ إذ جاء في خطابه لأهل العراق: "**وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ قَاتَلَكُمُ اللَّه تَعَالَى، فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ أَعَلَى اللَّه فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِه، أم عَلَى نَبِيِّه فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَه**"[١].وقال في مورد آخر: "**أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، واللَّه لأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَه، فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْه**"[٢]، وفي وصف مكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله: "**وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ولَا خَطْلَةً**[٣] **فِي**

(١) نهج البلاغة: ص١٠٥.

(٢) نهج البلاغة: ص٧٧.

(٣) الخطل: الكلام الفاسد الكثير المضطرب. ابن الأثير: النهاية: ٢/ ٥٠.ابن منظور: لسان العرب: ١١/ ٢٠٩.

فِعْلٍ "[١]، وما فتئ عليه السلام يؤكد على مصداقيته، وهو يروي أخبار الملاحم عن النبي صلى الله عليه وآله "واللَّه مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً[٢] ولَا كَذَبْتُ كِذْبَةً، ولَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وهَذَا الْيَوْمِ "[٣]. وقال: "فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِه عَنِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ ولَا جَهِلَ السَّامِعُ، "[٤]. وقال عليه السلام "والَّذِي بَعَثَه بِالْحَقِّ واصْطَفَاه عَلَى الْخَلْقِ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً، وقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّه وبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، ومَنْجَى مَنْ يَنْجُو ومَآلِ هَذَا الأَمْرِ، ومَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَه فِي أُذُنَيَّ، وأَفْضَى بِه إِلَيَّ "[٥].

إن تأكيده على تصديقه للنبي صلى الله عليه وآله إنما هو إشارة لكونه هو "الصديق الأكبر" تلك الكلمة التي قالها على منبر البصرة "أنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذاب"[٦].

ومن هنا كان أمير المؤمنين عليه السلام هو الوارث الحقيقي للنبي صلى الله عليه وآله، لذا اتسم

---

(١) نهج البلاغة: ص ٤٠٦.

(٢) الوشمة: الكلمة. ابن الأثير: النهاية: ٥/ ١٨٩.

(٣) نهج البلاغة: ص٤١.

(٤) نهج البلاغة: ص١٨٧.

(٥) نهج البلاغة: ص٣٣٣.

(٦) أبو جعفر الاسكافي: نقض العثمانية: ص٢٩٠. البخاري: التاريخ الكبير: ٤/ ٢٣. ابن قتيبة: المعارف: ص١٦٩. البلاذري: أنساب الأشراف: ٢/ ١٤٦. ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني: ١/ ١٥١. المفيد: الإرشاد: ١/ ٣١، الفصول المختارة: ص٢٦١، ابن كرامة: تنبيه الغافلين: ص٨٣، ١٤٨. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٣٢ - ٣٣. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٢٨. ابن جبر: نهج الإيمان: ص٥١٥. محب الدين الطبري: ذخائر العقبى: ص٥٦، ٥٨. الشامي: الدر النظيم: ص٢٨٢. الخطيب التبريزي: الإكمال: ص١٢٧. المزي: تهذيب الكمال: ١٢/ ١٨، ٣٥/ ٣٠٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٠٨، الكاشف: ٢/ ٥١٧، ميزان الاعتدال: ٢/ ٢١٢. ابن كثير: البداية والنهاية: ٧/ ٣٧٠. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٤/ ١٧٩، ١٢/ ٤٠١. الخزرجي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ص١٥٣. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٣/ ١٦٤. البحراني: غاية المرام: ٥/ ١٧١. ابن الدمشقي: جواهر المطالب: ١/ ٣٨. القندوزي: ينابيع المودة: ٢/ ١٤٤، ١٤٦. البري: الجوهرة في نسب الإمام علي وآله عليه السلام: ص٨ - ٩.

ببعض خصوصياته الشريفة صلى الله عليه وآله: إذ يقول صلى الله عليه وآله: "**إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ ولَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ، وإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ...**"(١).

وقد ورد في نهج البلاغة عدة مرويات حديثية أسندها أمير المؤمنين عليه السلام للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله، استشهد بها تأييداً لكلامه عليه السلام وهي على نوعين:

أولاً: الأحاديث:

هناك جملة من الأحاديث رواها أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، في موضوعات مختلفة، وقد وردت في المصادر الأخرى برواية الإمام عليه السلام وغيره من الصحابة عنه صلى الله عليه وآله كما يتبين من توثيقها:

- فعن زهد النبي صلى الله عليه وآله قال عليه السلام في وصف زهد النبي صلى الله عليه وآله: "**ويَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِه فَتَكُونُ فِيه التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ، يَا فُلَانَةُ لإِحْدَى أَزْوَاجِه غَيِّبِيه عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إليه ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وزَخَارِفَهَا**"(٢).

- وعن أهل البيت ومكانتهم قال عليه السلام: "**أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ - صلى الله عليه وآله - إِنَّه يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا ولَيْسَ بِمَيِّتٍ - ويَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا ولَيْسَ بِبَالٍ**"(٣).

- وعن الصلاة ذكر حديثين، وهما قوله عليه السلام: "**وإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ، فَلَا تَكُونَنَّ مُنَفِّراً ولَا مُضَيِّعاً، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِه الْعِلَّةُ ولَه الْحَاجَةُ، وقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله حِينَ وَجَّهَنِي إِلى الْيَمَنِ، كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ، وكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً**"(٤).

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٠٦.

(٢) نهج البلاغة: ص٢٩٩. وينظر: ابن حمدون: التذكرة الحمدونية: ١/ ٨٦ - ٨٧.

(٣) نهج البلاغة: ص ١٤١ - ١٤٢. ورد في المصادر بلفظ مقارب ينظر: الصفار: بصائر الدرجات: ص ٢٩٥. الراوندي: الخرائج: ٢/ ٨١٨. الآملي: تفسير المحيط الاعظم: ١/ ٤٣٩. القندوزي: ينابيع المودة: ١/ ٨٤، ٣/ ٤٣٢.

(٤) نهج البلاغة: ص٦١٠. وينظر: الحراني: تحف العقول: ص ١٤٤. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية: ١/ ٣٢٥. النويري: نهاية الارب: ٦/ ٢٩. المجلسي: البحار: ٣٣/ ٦٠٩، ٧٤/ ٢٦٠، ٨٥/ ٩٢. الريشهري: ميزان الحكمة: ٢/ ١٦٤٩.

- وقال عليه السلام في فضل الصلاة: "... **وشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّه - صلى الله عليه وآله - بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ واللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْه مِنَ الدَّرَنِ**"(١).

- وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: "**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ**"(٢).

- وقال عليه السلام قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: "**إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً ولَا مُشْرِكاً، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُه اللَّه بِإِيمَانِه، وأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُه اللَّه بِشِرْكِه، ولَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ، عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ ويَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ**"(٣)

- وعن إصلاح ذات البين قال عليه السلام في وصيته لولديه عليهما السلام: "**فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا - صلى الله عليه وآله - يَقُولُ، صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ والصِّيَامِ**"(٤).

- وعن حرمة المثلة قال عليه السلام: "**فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه - صلى الله عليه وآله - يَقُولُ، إِيَّاكُمْ والْمُثْلَةَ ولَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ**"(٥).

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٣٠. وينظر: المجلسي: البحار: ٣٣/ ٤٤٩، ٧٩/ ٢٢٥. البروجردي: جامع أحاديث الشيعة: ٢/ ٥٢. الريشهري: ميزان الحكمة: ٢/ ١٦٢٩.

(٢) نهج البلاغة: ص٤٤١. وينظر: الصنعاني: المصنف: ١١/ ٢٦١. ابن حنبل: المسند: ١/ ٧٨، ١٣٠، ٣/ ٤٤. الدارمي: السنن: ١/ ٧٦ - ٧٧، ١٤٦. البخاري: الصحيح: ٢/ ٨١. مسلم: الصحيح: ١/ ٨. الصدوق: من لايحضره الفقيه: ٤/ ٣٦٤. الحاكم: المستدرك: ١/ ٧٧، ٣/ ٢٦٢، ٢٨٠. الهيثمي: مجمع الزوائد: ١/ ١٤٢ - ١٤٤.

(٣) نهج البلاغة: ص٥٢٥. وينظر: الثقفي: الغارات: ١/ ٢٤٨. الطبراني: المعجم الاوسط: ٧/ ١٢٨، المعجم الصغير: ٢/ ٩٣. الهيثمي: مجمع الزوائد: ١/ ١٨٧. الشهيد الثاني: منية المريد: ١٣٦ - ١٣٧. المجلسي: البحار: ٢/ ١١٠.

(٤) نهج البلاغة: ص٥٨١ - ٥٨٢. وينظر: الصدوق: ثواب الاعمال: ص ١٤٨. الطوسي: الأمالي: ص ٥٢٢. ابن أبي جمهور الاحسائي: عوالي اللئالي: ١/ ٢٦٦.

(٥) نهج البلاغة: ص٥٨٣. ينظر: الطبري: تاريخ: ٤/ ١١٤. ابن الفتال: روضة الواعظين: ص ١٣٧. الزمخشري: ربيع الابرار: ٢/ ٩٤. الاربلي: كشف الغمة: ٢/ ٦٠. المحب الطبري: الرياض النضرة: ٣/ ٢٣٨

- وعن حقوق الضعفاء، قال عليه السلام: "فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه - صلى الله عليه وآله - يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ، لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّه مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ"(١).

- وقال عليه السلام عن الحاكم الجائر: "وإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه - صلى الله عليه وآله - يَقُولُ، يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالإِمَامِ الْجَائِرِ، ولَيْسَ مَعَه نَصِيرٌ ولَا عَاذِرٌ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى - ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا"(٢).

- وعن العمل قال عليه السلام: "وقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ - صلى الله عليه وآله - إِنَّ اللَّه يُحِبُّ الْعَبْدَ ويُبْغِضُ عَمَلَه، ويُحِبُّ الْعَمَلَ ويُبْغِضُ بَدَنَه"(٣).

- وقال عليه السلام: "فَإِنَّ رَسُولَ اللَّه - صلى الله عليه وآله - كَانَ يَقُولُ، إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِه، وإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ"(٤).

- وقال عليه السلام: "لَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّه - صلى الله عليه وآله - لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُه، ولَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُه حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُه"(٥).

- وقال عليه السلام: "فَإِنَّ رَسُولَ اللَّه - صلى الله عليه وآله - كَانَ يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ اعْمَلِ الْخَيْرَ ودَعِ الشَّرَّ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ"(٦).

---

(١) نهج البلاغة: ص ٦٠٩. ينظر: ابن أبي شيبة: المصنف: ٥/ ٢٤٧. الكليني: الكافي: ٥/ ٥٦. الطبراني: المعجم الاوسط: ٥/ ٢٣٥. الحاكم: المستدرك: ٣/ ٢٥٦. السيوطي: الجامع الكبير: ٢/ ٢٩٩.

(٢) نهج البلاغة: ص٣٠٩. ينظر: الطبري: تاريخ: ٣/ ٣٧٦.الزمخشري: ربيع الابرار: ٥/ ١٧٣. ابن الأثير: الكامل: ٣/ ١٥١. الريشهري: ميزان الحكمة: ١/ ١٢٥.

(٣) نهج البلاغة: ص ٢٨٣. ينظر: الطوسي: الأمالي: ص ٤١١. ابن شهراشوب: المناقب: ٣/ ٣٢٠. العلامة الحلي: اجوبة المسائل المهنائية: ص ٥٠.

(٤) نهج البلاغة: ص٣٣٤. وينظر: ابن أبي شيبة: المصنف: ٨/ ١٥٩. الطبراني: المعجم الكبير: ٩/ ١٠٤. ابن عبد البر: التمهيد: ١١٦/١٩. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣٢/ ١٣. ابن عربي: الفتوحات المكية: ٤/ ٣٨٥.

(٥) نهج البلاغة: ص٣٣٨. ينظر: ابن حنبل: المسند: ٣/ ١٩٨. الطبراني: المعجم الكبير: ١٠/ ٢٢٧. البيهقي: شعب الإيمان: ١/ ٤١. المتقي الهندي: كنز العمال: ٣/ ٦٢، ٩/ ٥٦. المجلسي: البحار: ٦٨/ ٢٨٧.

(٦) نهج البلاغة: ص٣٣٩. وينظر: الديلمي: اعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ١٠٧. ابن أبي جمهور الاحسائي: عوالي اللئالي: ١/ ٢٧٩. المجلسي: البحار: ٧٢/ ٣٢١.

ـ وقال عليه السلام: "لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ[١] الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا، عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي، ولَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا[٢] عَلَى الْمُنَافِقِ، عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي، وذَلِكَ أَنَّه قُضِيَ فَانْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ـ صلى الله عليه وآله ـ أَنَّه قَالَ يَا عَلِيُّ لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ ولَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ"[٣].

ـ ولما سُئل عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله: "غَيِّرُوا الشَّيْبَ ولَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ، فَقَالَ عليه السلام إنما قَالَ ـ صلى الله عليه وآله ـ ذَلِكَ والدِّينُ قُلٌّ، فَأَمَّا الآنَ وقَدِ اتَّسَعَ نِطَاقُه وضَرَبَ بِجِرَانِه، فَامْرُؤٌ ومَا اخْتَارَ"[٤].

ـ قال عليه السلام: "إنَّه لَمَّا أَنْزَلَ اللَّه سُبْحَانَه قَوْلَه: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾[٥]، عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا، ورَسُولُ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه مَا هَذِه الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّه تَعَالَى بِهَا، فَقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولُ اللَّه، أَولَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ، حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ، فَقُلْتَ لِي أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ، فَقَالَ لِي إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذاً، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، ولَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى والشُّكْرِ، وقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ، ويَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ، ويَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَه ويَأْمَنُونَ سَطْوَتَه، ويَسْتَحِلُّونَ حَرَامَه بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ، والأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ

---

(١) الخيشوم اصل الانف. ابن سيده: المخصص: ج١ق١ (السفر الأول): ص ١٣١.

(٢) جمع جمة، وهي موضع مجتمع الماء المترشح من الواح السفينة، ويقصد الإمام عليه السلام: لو كفات عليهم الدنيا بجليلها وحقيرها. الجوهري: الصحاح: ٥/ ١٨٩٠.

(٣) نهج البلاغة: ص٦٦٢. وينظر الثقفي: الغارات: ١/ ٤٣. القاضي المغربي: شرح الأخبار: ٣/ ٥٧٥. الطوسي: الأمالي: ص ٢٠٦. ابن المغازلي: المناقب: ص ١٦٤. الزمخشري: ربيع الابرار: ١/ ٤٠١. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٢٧٧. الاربلي: كشف الغمة: ٢/ ٢١.

(٤) نهج البلاغة: ص٦٥٣. وينظر: ابن حنبل: المسند: ١/ ١٦٥. الترمذي: السنن: ٣/ ١٤٤. الصدوق: الخصال: ص ٤٩٨. البيهقي: شعب الإيمان: ٥/ ٢١٢. الشوكاني: نيل الاوطار: ١/ ١٤٥.

(٥) سورة العنكبوت الآية ١ ـ ٢

بِالنَّبِيذِ، والسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ والرِّبَا بِالْبَيْعِ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه، فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أم بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ فَقَالَ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ"[١].

ـ قال عليه السلام: "ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْه ـ صلى الله عليه وآله ـ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه مَا هَذِه الرَّنَّةُ، فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِه، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ ولَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ، وإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ"[٢].

ـ قال عليه السلام: "ولَقَدْ كُنْتُ مَعَه ـ صلى الله عليه وآله ـ لَمَّا أَتَاه الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَه يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً، لَمْ يَدَّعِه آبَاؤُكَ ولَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، ونَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إليه وأَرَيْتَنَاه، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ ورَسُولٌ..."[٣]. وجاءت بعض الأحاديث على لسان أمير المؤمنين عليه السلام ولم يشر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان الشريف الرضي يومئ إلى إن هناك من ينسبه للنبي صلى الله عليه وآله أو إلى أمير المؤمنين عليه السلام من أمثال:

ـ "العين وكاء السّهِ"[٤]، يقول الشريف الرضي: وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي صلى الله عليه وآله[٥]، وقد رواه قوم لأمير المؤمنين عليه السلام[٦].

---

(١) نهج البلاغة: ص٢٨٩. وينظر: الديلمي: اعلام الدين: ص ١٠٤. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٦/ ١٩٤. المجلسي: البحار: ٢٢/ ٢٤١.

(٢) نهج البلاغة: ص٤٠٦. وينظر: ابن طاووس: الطرائف: ص ٤١٥. البياضي: الصراط المستقيم: ٢/ ٦٥. المجلسي: البحار: ١٤/ ٤٧٦، ٣٧/ ٢٧٠.

(٣) نهج البلاغة: ص٤٠٧. وينظر: ابن طاووس: الطرائف: ص ٤١٥. القندوزي: ينابيع المودة: ١/ ٢١٠.

(٤) قال الشريف الرضي: وهذه من الاستعارات العجيبة، كأنه يشبه السه بالوعاء، والعين بالوكاء، فإذا اطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء. نهج البلاغة: ص٧٥٤.

(٥) ينظر: الشريف الرضي: المجازات النبوية: ص٢٧٧.

(٦) نهج البلاغة: ص٧٥٤. وينظر: ابن ماجة: السنن: ١/ ١٦١. الطبراني: المعجم الكبير: ١٩/ ٣٧٣. الطوسي: الخلاف: ١/ ١٠٩. ابن عبد البر: التمهيد: ١٨/ ٢٤٨. ابن قدامة: المغني: ١/ ١٦٥. المتقي الهندي: كنز العمال: ٩/ ٣٤٢.

ـ "القناعة مال لا ينفد" قال الرضي: "روى بعضهم هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله"(١).

ـ وتبع الإمام جنازة فسمع رجلاً يضحك فقال عليه السلام: **"كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ، وكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ، وكَأَنَّ الَّذِي نَرَى مِنَ الأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ، نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ ونَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ، ثُمَّ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ ووَاعِظَةٍ ورُمِينَا بِكُلِّ فَادِحٍ وجَائِحَةٍ"**(٢).

ـ وقال عليه السلام: **"طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِه وطَابَ كَسْبُه، وصَلَحَتْ سَرِيرَتُه وحَسُنَتْ خَلِيقَتُه، وأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِه وأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِه، وعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّه ووَسِعَتْه السُّنَّةُ ولَمْ يُنْسَبْ إِلَى الْبِدْعَةِ قال الرضي أقول ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وكذلك الذي قبله"**(٣).

ـ قال عليه السلام: **"اخْبُرْ تَقْلِه قال الرضي، ومن الناس من يروي هذا للرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ ومما يقوي أنه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما حكاه ثعلب عن ابن الأعرابي قال المأمون، لولا أن عليا عليه السلام قال اخبر تقله، لقلت أقله تخبر**(٤).

---

(١) نهج البلاغة: ص٦٦٣، ٧٥٦ ـ ٧٥٧. وينظر: الشريف الرضي: خصائص الائمة: ص١٢٥. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: الطبراني: المعجم الاوسط: ٧/ ٨٤. الصوري: الفوائد المنتقاة: ص١١٠. الطبرسي: مشكاة الأنوار: ص٢٢٣. الهيثمي: مجمع الزوائد: ١٠/ ٢٥٦. النوري: وسائل الشيعة: ١٥/ ٢٢٦.

(٢) نهج البلاغة: ص٦٧٨. قال الشريف الرضي وهناك من ينسب هذا القول للنبي صلى الله عليه وآله. خصائص الائمة: ص٩٩.

(٣) نهج البلاغة: ص٦٧٨. خصائص الائمة: ص٩٩. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٨/ ٣١١.

(٤) نهج البلاغة: ص٧٤٩. وينظر: الطبراني: مسند الشاميين: ٢/ ٣٥٨. الذهبي: ميزان الاعتدال: ٤/ ٤٩٧. المتقي الهندي: كنز العمال: ٩/ ٣٠، ٣٥.

ثانياً: المغيبات والملاحم[١]:

الغيب لغة: ما غاب عنك[٢]. والغيبيات هي الحوادث التي تقع في المستقبل. اما علم الغيب فهو العلم الذي يلم به انسان تنقشع من امام عينيه حجب القرون، وتنطوي المسافات فيقرأ المستقبل البعيد أو الحاضر المحجوب كما يقرأ في كتاب مفتوح، ويعي حوادثه كأنها بنت الساعة التي هو فيها[٣]. وقد جاء في كلام الإمام عليه السلام اشارات مستقبلية تنبأ بها؛ إذ ان كلامه عليه السلام. "داخل في باب المعجزات المحمدية لاشتمالها على الأخبار الغيبية وخروجها عن وسع الطبيعة البشرية"[٤]. فقد كان عليه السلام يخبر عن امتلاكه المعرفة بحوادث ومستقبل الأيام إذ يقول: "**فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ، فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَ السَّاعَةِ، ولَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وتُضِلُّ مِائَةً، إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا، وقَائِدِهَا وسَائِقِهَا ومُنَاخِ رِكَابِهَا، ومَحَطِّ رِحَالِهَا، ومَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا، ومَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً، ولَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي، ونَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الأُمُورِ، وحَوَازِبُ الْخُطُوبِ، لأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ**"[٥]. ولم يُعرف أحد قال: "سلوني قبل ان تفقدوني" لا من الصحابة ولا غيرهم سوى الإمام علي عليه السلام حتى ان أحد الوعاظ قال ذلك على المنبر فتعرض للسخرية والاستهزاء[٦]. وقد اكد عليه السلام "**فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأرض**"[٧] فيه إشارة إلى ما اختص به

(١) لمزيد من التفاصيل ينظر: غزوان عبد الكاظم المرزوك: الغيبيات في نهج البلاغة دراسة تاريخية: (الصفحات جميعها).

(٢) الجوهري: الصحاح ١/١٩٦. ابن الأثير: النهاية: ٣/٣٩٩. ابن منظور: لسان العرب: ١/٦٥٤.

(٣) شمس الدين: دراسات في نهج البلاغة: ص١٢.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/٤ ـ ٥.

(٥) نهج البلاغة ص١٧٣.

(٦) ينظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٣/ ١٦٤.١٦٣، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٣/١٠٧ ـ ١٠٩، الذهبي: تذكرة الحفاظ: ٢/٧٥٥، الدميري: حياة الحيوان: ٢/٣٦٨.

(٧) نهج البلاغة ص٣٧٥ ـ ٣٧٦.

من العلم بمستقبل الامور لا سيما الملاحم والدول، وقد صدق هذا القول عنه ما تواتر من الأخبار الغيبية لا مره ولا مائه مرة، حتى زال الشك والارتياب في انه اخبار عن علم وليس اتفاقا(١).

تضمنت خطب وكلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إشارات إلى بعض الحوادث التي سوف تقع مستقبلا، ومن الجدير بالذكر إن الإمام عليه السلام ذكر كل ذلك على طريقة الواثق ما يقول وكأنه ينظر إلى المستقبل بعين الحاضر المشاهد، وسبب ذلك يرجع إلى ثقة الإمام عليه السلام بالمصدر الذي يستقي منه ذلك العلم الذي لا يعتريه باطل ولا يشوبه شك"(٢). وقد أعرب مرارا وتكرارا انه استقى هذا العلم بحوادث المستقبل من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي خصه بها، وقد أخذها النبي صلى الله عليه وآله عن طريق الوحي الإلهي، ولعل الإمام عليه السلام كان يتوقع من بعضهم أن يستنكر عليه مثل هذه الأخبار، وكبر في نفسه أن يرى عليا يتحدث عن الآتي المجهول كحديثه عن الماضي المنصرم، أو الحاضر المشاهد مما جعله يبادر للتصريح عن مصدر علمه هذه الأمور(٣).

إذ قال في إحدى خطبه التي خصها للملاحم:

"أَيُّهَا النَّاسُ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي ولَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي، ولَا تَتَرَامَوْا بِالأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَه مِنِّي، فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِه عَنِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ـ صلى الله عليه وآله ـ، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ ولَا جَهِلَ السَّامِعُ"(٤). ولما اخبر عن التتار وفتنتهم، بادر احدهم بعد أن انتابه العجب والانبهار قائلاً: **لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أمير الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ، فَضَحِكَ ـ عليه السلام ـ وقَالَ لِلرَّجُلِ وكَانَ كَلْبِيّاً، يَا أَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ، وإنما هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ، وإنما عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، ومَا عَدَّدَه اللَّه سُبْحَانَه بِقَوْلِه، ﴿إِنَّ اللَّهَ**

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٣/١٠٦.
(٢) درويش: علي كما وصف نفسه: ص ٥٥ ـ ٥٦.
(٣) درويش: علي كما وصف نفسه ص ٦٩.
(٤) نهج البلاغة ص١٨٧.

عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾(١)، فَيَعْلَمُ اللَّه سُبْحَانَه مَا فِي الأَرْحَامِ، مِنْ ذَكَرٍ أو أُنْثَى وقَبِيحٍ أو جَمِيلٍ، وسَخِيٍّ أو بَخِيلٍ، وشَقِيٍّ أو سَعِيدٍ، ومَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً، أو فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً، فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُه أَحَدٌ إِلَّا اللَّه، ومَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ، عَلَّمَه اللَّه نَبِيَّه - صلى الله عليه وآله - فَعَلَّمَنِيه، ودَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَه صَدْرِي، وتَضْطَمَّ عَلَيْه جَوَانِحِي"(٢).

وقد صرح الإمام عليه السلام من تحرجه في كثير من الأوقات في أن يتحدث عن المغيبات خوفا من أن يفاجئ الكثير ممن لا يستوعب مثل هذه الخاصية لديه عليه السلام إذ قال: "واللَّه لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ، بِمَخْرَجِه ومَوْلِجِه وجَمِيعِ شَأْنِه لَفَعَلْتُ، ولَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّه - صلى الله عليه وآله - أَلَا وإِنِّي مُفْضِيه إلى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذَلِكَ مِنْه، والَّذِي بَعَثَه بِالْحَقِّ واصْطَفَاه عَلَى الْخَلْقِ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً، وقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّه وبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، ومَنْجَى مَنْ يَنْجُو ومَآلِ هَذَا الأَمْرِ..."(٣).

إذن هذه النصوص صريحة بأن علمه عليه السلام بالمغيبات مأخوذ من النبي صلى الله عليه وآله ولكن هل يمكن التصور انه صلى الله عليه وآله افضى للإمام عليه السلام بتفاصيل كل الحوادث، فالظرف الزماني الذي جمع النبي بالامام لا يسع ذلك فالإمام عليه السلام يقول: "فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ، فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَ السَّاعَةِ، ولَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وتُضِلُّ مِائَةً ..."(٤) ويقول: "فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأرض ..."(٥) ويقول: "واللَّه لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ، بِمَخْرَجِه

(١) سورة لقمان آية ٣٤.

(٢) نهج البلاغة ص٢٤٤.

(٣) نهج البلاغة: ص٣٣٣.

(٤) نهج البلاغة: ص١٧٣.

(٥) نهج البلاغة: ص٣٧٥ ـ ٣٧٦.

ومَوْلِجِه وجَمِيعِ شَأْنِه لَفَعَلْتُ ..."[١] فهذا علم واسع لا يسعه الظرف الزماني الذي قضاه الإمام مع النبي صلى الله عليه وآله ولكن الإمام يصرح بأن علمه مستقى من النبي صلى الله عليه وآله فكيف التوفيق في ذلك؟

الظاهر انه صلى الله عليه وآله افضى للإمام عليه السلام بكليات الامور، ثم كان نشاط القوة الخفية المودعة للإمام فتكشف له ما محجوب من احشاء الزمان وثنايا المكان، لأن الإمام عليه السلام كان على درجة من الصفاء العقلي والطهارة الروحية والنقاء الوجداني وهذه القوى انشط في النفوذ إلى المغيب المحجوب، وكان صلى الله عليه وآله بعد أن أوضح للإمام عليه السلام الكليات هداه للسبل التي تؤدي به إلى ارفع درجات الحالة الروحية التي تتيح لقواه الخفية ان تعمل عملها الخارق فيعي بسببها تفصيل ما اجمله الرسول صلى الله عليه وآله[٢]. ومن امثلة ذلك:

تنبؤه عليه السلام لأحداث خلافته؛ من الانذار بالحروب التي وقعت في عصره، واختلاف الكلمة، وظهور الفتنة[٣]. وأيضاً ما تنبأ به إلى قيام الدولة الاموية وابرز حكامها وولاتها، فقد تنبأ بوصول معاوية ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان إلى الحكم[٤]، ومن الولاة أشار إلى الحجاج بن يوسف الثقفي[٥]، وأيضاً تنبأ لبعض الأحداث في زمن بني أمية كمقتل الإمام الحسين عليه السلام[٦].

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٣٣.

(٢) شمس الدين: دراسات في نهج البلاغة: ص١٣٨. ١٤١.

(٣) نهج البلاغة: ص ١٧٢، ١٨٥، ٥٠٦. وينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٧/ ٣٣ ـ ٣٤، ٩٣ ـ ٩٤، ١٥/ ٨٣.

(٤) نهج البلاغة: ص ٩٣ ـ ٩٤، ١٠٩، ١٨٧ ـ ١٨٨، ٢٥٧. وينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٥٤ ـ ٥٥، ٦٣، ٦/ ١٤٧ ـ ١٤٨، ٧/ ٩٩، ٩/ ٤٧، ٨٩.

(٥) نهج البلاغة: ص ٢٢٧. وينظر ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٧/ ٢٧٧ ـ ٢٨١.

(٦) نهج البلاغة: ص ١٩٤. وينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٧/ ١١٧، ١٢٠.

وقد حفل كلامه عليه السلام الوارد في نهج البلاغة بالإشارات إلى مستقبل الخوارج من عصره إلى العصر العباسي[١].

وفي أكثر من نص نجد الإمام عليه السلام يشير إلى زوال دولة بني أمية وقيام الدولة العباسية مقامها[٢]. ومن تنبؤاته ما اختص بالبصرة؛ إذ أشار عليه السلام إلى بعض ما سيجري فيها من ظهور حركة الزنج[٣]، وما تتركه من آثار على تلك المدينة، فضلاً عن آثار الفتن التي تعصف باهلها، حتى نبؤاته بغرقها فلا يرى منها الا مسجدها[٤]. كما أشار عليه السلام في جوانب من خطبه الشريفة إلى ظهور الإمام المهدي (عج) في آخر الزمان[٥].

وفي غير التدوين والرواية نجد إن النصوص في نهج البلاغة تنبؤنا عن إحياء أمير المؤمنين عليه السلام للسنة النبوية في جانبها العملي، ومن ذلك: روي انه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حلي الكعبة، فقال قوم: لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحلي، فهم عمر بذلك وسأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: "**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وآله ـ، والأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ، فَقَسَّمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ، والْفَيْءُ فَقَسَّمَه عَلَى مُسْتَحِقِّيه، والْخُمُسُ فَوَضَعَه اللَّه حَيْثُ وَضَعَه، والصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللَّه حَيْثُ جَعَلَهَا، وكَانَ حَلْيُ الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ، فَتَرَكَه اللَّه**

(١) نهج البلاغة: ص ٩٤ ـ ٩٥، ٦٩٣. وينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٤/ ١٣٢، ٥/ ٣ ـ ٤، ٧٤ ـ ٧٦، ٦/ ١٣٠، ٧/ ٤٠٨.

(٢) نهج البلاغة: ص ١٩٥، ٦٩٧، ٧٥٤. وينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٧/ ٩٨، ١٠١، ١١٧، ١٢٠ ـ ١٢١، ١٩/ ٢٩، ٢٠/ ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن حركة الزنج: ينظر: الطبري: تاريخ: ٩/ ٤١٠ ـ ٦٦١.

(٤) نهج البلاغة: ص ٣٩، ١٨٩، ٢٤٢ ـ ٢٤٤. وينظر ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٧/ ١٠٤، ٨/ ٢١٨.

(٥) نهج البلاغة: ص ١٨٥، ٢٥٦، ٢٧٢ ـ ٢٧٣، ٣٢٠، ٣٥٢ ـ ٣٥٣، ٣٧١، ٦٩٧. وينظر ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٦/ ١٣٥، ٧/ ٨٤، ٩/ ١٢٦، ١٠/ ١٩٥، ١٩/ ٢٩، ١٠٤.

عَلَى حَالِه، ولَمْ يَتْرُكْه نِسْيَاناً ولَمْ يَخْفَ عَلَيْه مَكَاناً، فَأَقِرَّه حَيْثُ أَقَرَّه اللَّه ورَسُولُه، فَقَالَ لَه عُمَرُ لَوْلَاكَ لَافْتَضَحْنَا، وتَرَكَ الْحَلْيَ بِحَالِه"(١).

وهناك شاهد آخر لما أفضت إليه وتسلم مقاليد الأمور وعمل بنظام رسول الله في التسوية بالعطاء، جاءه طلحة والزبير يعتبان فقال عليه السلام: **"وأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الأُسْوَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيه بِرَأْيِي، ولَا وَلِيتُه هَوًى مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِه رَسُولُ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ قَدْ فُرِغَ مِنْه، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللَّه مِنْ قَسْمِه، وأَمْضَى فِيه حُكْمَه، فَلَيْسَ لَكُمَا واللَّه عِنْدِي ولَا لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُتْبَى"**(٢).

وفي نص آخر يوجب على من يوصيه من عماله بما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعله بقوله: **"فَامْنَعْ مِنَ الِاحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ مَنَعَ مِنْه"**(٣)، وفيما يخص الصدقات نجده يقول لمن ولاه عليها: **"لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّه وسُنَّةِ نَبِيِّه ـ صلى الله عليه وآله ـ"**(٤)، وكان مما احتج به على الخوارج سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في الموقف من مرتكب الكبيرة، إذ كان مخالفا لما أحدثه بعده الخوارج في ذات المسالة، فذكرهم لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وتشريعه: **"وقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْه ثُمَّ وَرَّثَه أَهْلَه، وقَتَلَ الْقَاتِلَ ووَرَّثَ مِيرَاثَه أَهْلَه، وقَطَعَ السَّارِقَ وجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ، ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ ونَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ، فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله ـ بِذُنُوبِهِمْ، وأَقَامَ حَقَّ اللَّه فِيهِمْ، ولَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الإِسْلَامِ، ولَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِه"**(٥).

---

(١) نهج البلاغة: ص ٧١٣.
(٢) نهج البلاغة: ص ٤٣٧.
(٣) نهج البلاغة: ص ٦٠٦.
(٤) نهج البلاغة: ص ٥٢١.
(٥) نهج البلاغة: ص ٢٤١.

الخاتمة

أفضت بنا فصول هذه الرحلة البحثية ـ في رحاب النبي الأعظم ﷺ في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام ـ إلى خاتمة يمكن إيجاز فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج:

أولاً: لقد تعددت الرؤى التي قدمت لنا شخصية النبي الأعظم ﷺ وسيرته العطرة بأطر مختلفة تبعا لمنابع كل رؤية وبما تحمله من فهم وإدراك لأبعاد الشخصية المحمدية العظيمة، فمنهم من كان يؤطره بإطار بشري محض، فلا يوجد تدخل للسماء في صنعه، لذا تصدر منه الهفوات والزلات كغيره من بني البشر.

ومنهم من قدم لنا هذه الشخصية وفق اطار مجزأ في رؤيته لشخص النبي ﷺ إلى جزأين الأول يحمل طابع التقديس فيكون النبي ﷺ مسددا من قبل السماء في مهام التبليغ فقط، وفي جزئه **الثاني** مجرد بشر خطاء. إلى غيرها من الرؤى التي تعتمد في اساسياتها على مقاييس تتبع اهواء وإدراك اصحابها لأبعاد شخصية النبي ﷺ.

وأمام تعدد وتباين هذه الرؤى وتلك تحار العقول بحجزة من تأخذ لتصل إلى الحقيقة؟! فليس لنا إلا اللجوء إلى أمير المؤمنين عليه السلام والإنصات إلى قوله، والعمل بأوامره وهو القائل: **"فاستمعوا من ربانيكم، واحضروه قلوبكم، واستيقضوا ان هتف بكم"**[1].

---

(١) نهج البلاغة: ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

وهنا تبرز اهمية هذه الدراسة التي هي محاولة لتقديم رؤية جديدة عن النبي صلى الله عليه وآله وسيرته العطرة، مأخوذة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، ولأجل الوقوف على أهم ما يميز هذه الرؤية عمن سواها يمكن القول:

أ ـ إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام شخصية غنية عن التعريف، فهو بكل ما يملكه من مؤهلات وبما يختص به من علم وسمات، وبما انطوت عليه ذاته من مكنونات عظيمة، يمثل لنا منبعا صافيا تنساب منه الحقائق على درجة عالية من الوثوق بها والاطمئنان إليها دون سواها؛ لانه عليه السلام صنيعة الله وربيب حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله الذي صاغه ليكون مثيله وثانيه على الحقيقة. فمن ذا يكون الأولى منه عليه السلام بتقديم رؤية ناضجة وواضحة غير مشوشة ولا مشوبة بالتناقضات عن شخصية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وهو الذي ما فارقه لحظة، وكان اشد الناس قربا منه، والتصاقا به، بتلك القرابة القريبة والمنزلة الخصيصة.

ب ـ إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو عِدل القرآن؛ المعصوم من كل زلل، وهو عليه السلام كما الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ فمن الطبيعي ان تكون رؤيته متوافقة مع الرؤية القرآنية، وبهذا تتحقق مقولة النبي صلى الله عليه وآله: (يا علي ما عرفني إلا الله وأنت). وهذا هو أبرز ما يميز رؤية الإمام عليه السلام عمن سواها.

ج ـ إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الاقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله والأكثر اطلاعا على مجريات سيرته وتفاصيل أحداثها، وبهذا يكون شاهدا حيا نقل لنا تلك الجزئيات الهامة عن النبي صلى الله عليه وآله بأمانة وثقة عالية.

د ـ امتازت رؤية الإمام عليه السلام بأنها رؤية ذات طابع تقديسي لا يضاهيه أحد في طرحها بهكذا قدسية، وان نظرة فاحصة في تلك الكلمات النيرة التي قالها وهو يتحدث عن النبي صلى الله عليه وآله تكشف لنا عن ذلك بوضوح، فهو الوحيد المطلع على حقيقة النبي صلى الله عليه وآله ولذا نال منه ما يستحقه من اجلال وتقديس.

ثانياً: مع ان كتاب نهج البلاغة يمكن تصنيفه ضمن المؤلفات الادبية إلا

انه يحوي في مطاويه على علوم وكنوز معرفية عديدة، ومنها المادة التاريخية، وما هذه الدراسة إلا دليل واضح على تنوع المادة الموجودة في نهج البلاغة، بل ان اغلب نصوصه الشريفة كما الآيات القرآنية يمكن ان تتعدد وجوه استخداماتها، فلا ينفذ عطائها المعرفي ولا يقف عند جانب واحد.

ثالثاً: يمكن إيجاز أهم ما توصلت إليه رحلة البحث عبر فصوله الخمسة، وفق ما قدمه الإمام عليه السلام من رؤية عن شخصية النبي صلى الله عليه وآله وما يتصل بحياته الشريفة من أحداث:

١ ـ كشف لنا الفصل الأول عن علاقة فريدة من نوعها تربط ما بين النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام فهو الذي تعاهد تربيته وإعداده وتهيئته لأمر جسيم ألا وهو اكمال الدور النبوي بعد غياب شخصه صلى الله عليه وآله المتمثل بتنصيبه إماما للأمة وخليفة للنبي صلى الله عليه وآله من بعده فضلاً عما توحيه تلك العلاقة بجعل الإمام الأولى بمعرفة النبي صلى الله عليه وآله عمن سواه.

٢ ـ أورد لنا نهج البلاغة في نصوصه القيمة مادة تاريخية مركزة عن البيئة التي عاش في كنفها النبي صلى الله عليه وآله ومن جوانبها المتعددة (الجغرافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية) وما انطوت عليه من معلومات هامة عن تلك الفترة من تاريخ العرب في الجاهلية وما حصل من تغير بعد الإسلام، واثر الوجود المبارك للنبي صلى الله عليه وآله وما جاء به من معالجات لذلك الواقع المتردي إذ انتقل بالمجتمع من الثرى إلى الثريا.

٣ ـ اتضح لنا ان المكون المجتمعي الذي احاط بالنبي صلى الله عليه وآله لم يكن على مستوى واحد من الفضل والسبق في الإسلام والموقف من النبي صلى الله عليه وآله، ولا كان على درجة واحدة من الوعي والإدراك والفهم لشخصية النبي العظيم ورسالته الغراء، مما تولد عن ذلك انعكاسات سلبية فيما بعد على حياة الأمة باجيالها المتلاحقة وأفرزت لنا تلك الرؤى المتباينة عن شخص النبي صلى الله عليه وآله وشريعته.

في الوقت نفسه برز لنا دور الإمام عليه السلام وأهل بيته المتميز في نصرة

النبي صلى الله عليه وآله، والمغاير والمنفرد في فهمه وإدراكه ومعرفته بشخص النبي صلى الله عليه وآله كونه نبياً مفترض الطاعة.

٤ ـ وفي ما يخص تغاير رؤيته عن باقي الرؤى يمكن إيجاز أبرز دلائلها:

أ ـ أشار الإمام عليه السلام ان ارتباط النبي صلى الله عليه وآله بالسماء إنما كان في وقت مبكر من حياته صلى الله عليه وآله إذ وكل الله به ملكا من لدن ان كان فطيما. وهذا يخالف ما الفته مرويات التاريخ التي تؤخر هذا اللقاء بالملك إلى ما بعد سن الاربعين، وما ترتب على ذلك اللقاء المتأخر من تفاجئ وفزع وتردد وخوف لدى النبي صلى الله عليه وآله.

ب ـ أشار عليه السلام إلى طهارة اباء وامهات النبي صلى الله عليه وآله من كل دنس وشرك واتصال هذه السلالة الطاهرة بالشجرة الإبراهيمية المباركة.

ج ـ ان النبي صلى الله عليه وآله قد دأب على التحنث والتعبد في غار حراء قبل ان يكلف بمهام الرسالة وان الإمام كان لوحده برفقته شاهدا على نزول الوحي عليه.

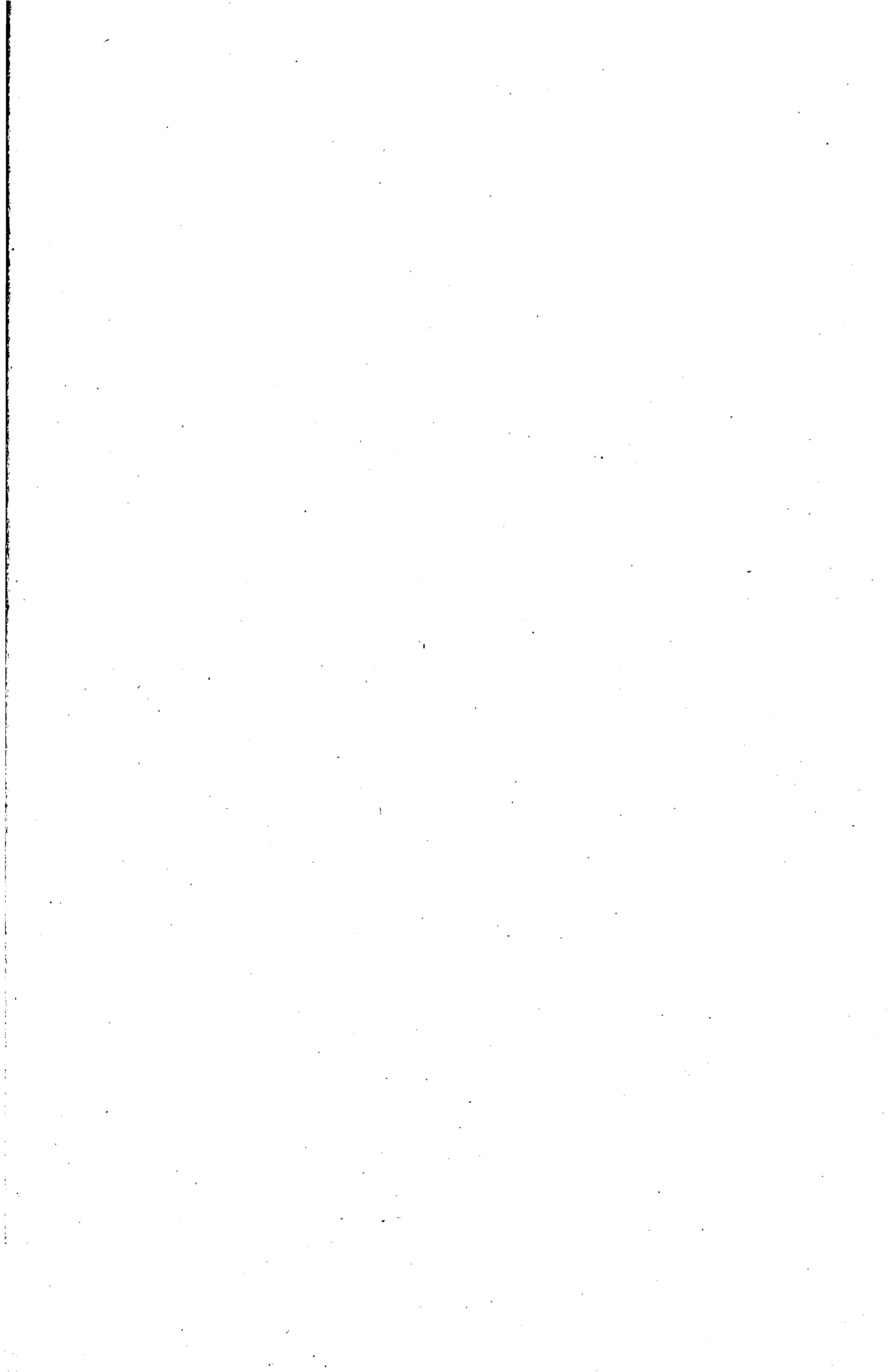
د ـ اتضح ان لمفهوم "الهجرة" ابعاد أخرى في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام تتجاوز المعنى اللغوي والاصطلاحي الذي قد يتحدد بهجرة البدن من مكان إلى اخر، إذ عدها ظاهرة ذات علاقة بالرسالة الإلهية ومنوطة بمعرفة الحجة في الأرض ووجوب طاعته، سواء كان نبياً أو إماماً.

وبذا افقد الكثيرين ممن تكسب بهذه الفضيلة مكاسب دنيوية اوجدت الطبقية في المجتمع الإسلامي.

هـ ـ ان لأمير المؤمنين عليه السلام رؤية خاصة تميزه عن غيره في تعامله مع السنة النبوية، وقد دلتنا نصوص النهج على شواهد ذلك، وهي في الوقت ذاته قد أرخت لنا بدقة عن تلك المرحلة التي مرت بها السنة في تاريخها بعد رحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وكيف تعاملت الأمة معها، حتى تولى أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة نهاية سنة ٣٥ هـ، فما كان منه الا العناية الفائقة بإنعاش السنة النبوية والعمل بجدية على اعادة احيائها.

و ـ تبين لنا من خلال الفصل الخامس ريادة الإمام عليه السلام في اثبات حجية السنة النبوية وعدها مصدرا ثانيا للتشريع، وبهذا ثبت خطأ رؤية بعضهم حول ارجاع هذا الدور إلى عصر الشافعي وان الإمام عليه السلام قد سبقه بذلك.

وختاماً يمكن القول أن نهج البلاغة يعد وثيقة تاريخية لا غنى عنها في دراسة أحداث الصدر الأول للإسلام، كونها صادرة عن شخص عاصر الأحداث وسبر غورها وأدرك كنهها، لذا فإن دراسة الفترة التي تلت وفاة النبي صلى الله عليه وآله حتى استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام من خلال كلام أمير المؤمنين عليه السلام الوارد في نهج البلاغة سيقدم لنا هذه الفترة برؤية أخرى لما تعارف عليه في الأوساط الأكاديمية. وهذا ما سنعمل على دراسته بإذن الله في دراسة لاحقة.



فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

المصادر الأولية:

* ابن الآبار: أبو عبدالله محمد بن عبدالله ٦٥٨هـ/ ١٢٦١م.

١ ـ الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٦٣م.

* الآلوسي: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي كان حيا في ١٢٧٠هـ.

٢ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تعليق: محمد أحمد الامد وعمر عبدالسلام السلامي، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ ه ـ ١٩٩٩م.

* الآمدي: عبد الواحد التميمي القرن الخامس الهجري.

٣ ـ غرر الحكم ودرر الكلم، تح: السيد مهدي الرجائي، ط٣، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٨م.

* الآملي: السيد حيدر بن علي ٧٢٠ ـ ٧٨٢هـ.

٤ ـ المحيط الأعظم والبحر الخضم في تفسير تأويل كتاب الله العزيز المحكم، حققه وقدم له معلق عليه: السيد محسن الموسوي التبريزي، ط٤، قم، ١٤٢٨هـ.

* ابن الأثير: أبو الحسن عز الدين علي بن محمد ت٦٣٠هـ.

٥ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: الشيخ خليل مأمون شيحة، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٦ ـ الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥.

٧ ـ اللباب في تهذيب الأنساب، ب. محق، القاهرة، ١٣٨٦هـ.

* ابن الأثير: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ.
٨ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر الزواوي ـ محمود الصناجي، ط٤، قم، ١٣٦٤ ش.
* ابن إدريس الحلي: أبو جعفر محمد بن منصور ت ٥٩٨هـ.
٩ ـ السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط ٢، ١٤١٠هـ.
* الإدريسي: الشريف أبو عبدالله محمد الحمودي الحسني ت٥٦٠هـ.
١٠ ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩.
* الاربلي: أبو الحسن علي بن عيسى ت ٦٩٣هـ.
١١ ـ كشف الغمة في معرفة الائمة، ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥م.
* الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت: ٢٥٠هـ)
١٢ ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الاثار، تح: رشدي الصالح ملحس، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م.
* ابن إسحاق: محمد ت ١٥١هـ.
١٣ ـ السير والمغازي، تح: سهيل زكار، ط١، دار الفكر، ب. مكا، ١٩٧٨م.
* الاسكافي: محمد بن همام ت٣٣٦هـ.
١٤ ـ التمحيص، مدرسة الإمام المهدي، قم، ب.ت.
* الأشتري: أبو الحسين ورام بن أبي فراس المالكي ت٦٠٥هـ.
١٥ ـ تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بـ (مجموعة ورام)، ط٢، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٨.
* الاشيب البغدادي: أبو علي الحسن بن موسى ت٢٠٩هـ.
١٦ ـ جزء اشيب، دار علوم الحديث، ط١، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٠.
* الأصبهاني: موفق الدين أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي. ٤٥٧ ـ ٥٣٥هـ.
١٧ ـ دلائل النبوة، حققه وعلق عليه: أبو عبد الرحمن مساعد بن سليمان، دار العاصمة، ب.ت.
* الأنصاري: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا ت ٩٣٦هـ.
١٨ ـ فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ، ١٩٩٨.
* الإيجي: عضد الدين بن عبد الرحمن بن أحمد ت٧٥٦هـ.
١٩ ـ المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧.

* ابن بابويه: أبو الحسن علي بن موسى ت ٣٢٩هـ.
٢٠ ـ الإمامة والتبصرة من الحيرة، الناشر: مدرسة الإمام المهدي (عج)، قم، ب.ت.
٢١ ـ فقه الرضا عليه السلام، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، ط ١، مشهد، ١٤١٠هـ.
* ابن بابويه: منتجب الدين علي بن عبيد الله الرازي، القرن السادس الهجري.
٢٢ ـ الأربعون حديثا (في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام)، ط١، مدرسة الإمام المهدي (عج)، قم، ١٤٠٨هـ.
* الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب ت٤٧٤هـ.
٢٣ ـ التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح، تح: أحمد البزاز، ب.ط، ب. مط، ب.ت.
* البحراني: السيد هاشم التوبلي الموسوي ت ١١٠٧هـ.
٢٤ ـ البرهان في تفسير القرآن، تح: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ب.ت.
٢٥ ـ حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار، تح: غلام رضا البحراني، ط١، بهمن، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، إيران، ١٤١١هـ.
٢٦ ـ غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام، تح: علي عاشور، قم، ١٤٢١.
* البحراني: يوسف بن أحمد البحراني ت ١١٨٦هـ.
٢٧ ـ الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة، تح: محمد تقي الإيرواني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٣٦٣ ش.
٢٨ ـ الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية، تحقيق ونشر: شركة دار المصطفى لإحياء التراث، ط١، بيروت، ٢٠٠٢.
* البخاري: أبو عبدالله إسماعيل بن محمد ت ٢٥٦هـ.
٢٩ ـ الأدب المفرد، تح: محمد فؤاد، ط٣، مؤسسة الكتب الثقافية، ب.مكا، ١٩٨٩م.
٣٠ ـ التاريخ الصغير، تح: محمود إبراهيم، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
٣١ ـ التاريخ الكبير، المكتب الإسلامية، ديار بكر، ب.ت.
٣٢ ـ خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤.
٣٣ ـ الصحيح، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

* البرقي: احمد بن محمد بن خالد ت ٢٧٤هـ.
٣٤ ـ المحاسن، تح: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، ب.ت.
* أبو البركات: سيدي أحمد الدردير ت ١٢٠١هـ.
٣٥ ـ الشرح الكبير، طبع إحياء الكتب العربية، الحلبي وشركائه، بيروت، ب.ت.
* ابن بريال: أبو بكر عبد الباقي بن محمد الحجاري ن ٥٠٢هـ / ١١٠٨م.
٣٦ ـ تاريخ ابن بريال، دراسة وتحقيق: بهمن صالح محمد، ط ١، بغداد، ٢٠١١.
* ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأنصاري ت ٥٧٨هـ/ ١١٢٨م.
٣٧ ـ الصلة، تح: إبراهيم الابياري، ط٢، بيروت، ١٩٨٩.
* ابن البطريق: شمس الدين يحيى بن الحسن ٥٣٣ ـ ٦٠٠هـ.
٣٨ ـ خصائص الوحي المبين، تح: مالك المحمودي، ط١، دار القرآن الكريم، قم، ١٤١٧هـ.
٣٩ ـ عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، تح: جماعة المدرسين، ط١، مط: جماعة المدرسين، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٧.
* البغدادي: عبد القادر بن عمر ت ١٠٩٣هـ.
٤٠ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٧.
* البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد ت٤٢٩هـ.
٤١ ـ الفرق بين الفرق، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥.
* البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد الفراء ت٥١٠هـ/ ١١١٧م.
٤٢ ـ تفسير البغوي المسمى(معالم التنزيل في تفسير القرآن)، تح: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.
* البكري: أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ.
٤٣ ـ معجم ما استعجم، تح: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.
* البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر ت٢٧٩هـ.
٤٤ ـ انساب الأشراف، الإمام علي عليه السلام ح٢، تح وتعليق: محمد باقر المحمودي، ط٢، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ١٤١٩هـ.
٤٥ ـ أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار ـ رياض زر كلي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
* البلخي: أبو زيد احمد بن سهل ت٣٢٢ه.

٤٦ ـ البدء والتاريخ، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧

* البلخي: أبو القاسم الكعبي ت ٣١٩هـ.

٤٧ ـ باب ذكر المعتزلة، تح: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٤.

* البلوي: أبو الحجاج يوسف بن محمد ت٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م.

٤٨ ـ ألف باء، ب.محق، المطبعة الوهبية، مصر، ١٢٨٧م.

* البهوتي: الشيخ منصور بن يونس الحنبلي ت ١٠٥١هـ.

٤٩ ـ كشاف القناع عن متن الاقناع، حققه: أبو عبدالله محمد حسن الشافعي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

* البياضي: زين الدين العاملي ت ٨٧٧هـ.

٥٠ ـ الصراط المستقيم: تح: محمد البهبودي، ط١، المكتبة المرتضوية، ١٣٨٤هـ.

* البيضاوي: ناصر الدين عبد الله بن عمر ت٦٨٢هـ.

٥١ ـ تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل، ب.محق، دار الفكر، بيروت، ب.ت.

* البيهقي: احمد بن الحسين بن علي (٣٨٤ ـ ٤٨٥ هـ).

٥٢ ـ السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، ب. ت.

٥٣ ـ شعب الإيمان، تح: أبو هاجر محمد السعيد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

٥٤ ـ معرفة السنن والآثار، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.

* البيهقي: ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد ت٥٦٥هـ.

٥٥ ـ معارج نهج البلاغة، حققه وقدم له: محمد تقي دانش، ط١، قم، ١٤٠٩هـ.

* التبريزي: ولي الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله ت٧٤١هـ.

٥٦ ـ الإكمال في أسماء الرجال، تعليق: أبو أسد بن الحافظ محمد عبدالله الأنصاري، مؤسسة أهل البيت، قم، ب.ت.

* الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى (٢٠٩ ـ ٢٧٩ هـ).

٥٧ ـ سنن الترمذي: تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، ب.ط، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٥٨ ـ الشمائل المحمدية، تح: أسامة الرحال، ط١، دار الفيحاء، دمشق، ٢٠٠١.

* التستري: نور الله ت ١٠١٩هـ

٥٩ ـ الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة، عني بتصحيحه: جلال الدين المحدث، جابخانة نهضت، طهران، ١٣٦٧هـ.

* التفرشي: السيد مصطفى ق ١١هـ.

٦٠ ـ نقد الرجال، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، قم، ١٤١٨هـ.

* ابن تيمية: تقي الدين أحمد الحراني ت٧٢٨هـ.

٦١ ـ مجموعة الفتاوي، طبعة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، ب، مكا، ب.ت.

* الثعالبي: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالكي ت ٨٧٥هـ.

٦٢ ـ تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، تح: علي محمد عوض وعادل أحمد، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.

* الثعالبي: أبو منصور ت ٤٣٠هـ.

٦٣ ـ فقه اللغة وسر العربية، تح: فائز محمد، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦.

* الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم ت٤٢٧ هـ/ ١٠٣٥م.

٦٤ ـ تفسير الثعلبي المسمى (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، تح: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢.

* الثقفي: أبو هلال إبراهيم بن محمد ت ٢٨٣هـ.

٦٥ ـ الغارات، تح: السيد جلال الدين المحدث، مط بهمن، ب.ت.

* الثوري: أبو عبدالله سفيان بن سعيد ت ١٦١هـ/ ٧٧٧م.

٦٦ ـ تفسير الثوري، صححه ورتبه وعلق عليه: لجنة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

* الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ

٦٧ ـ البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٨٥.

٦٨ ـ الحيوان، شرح وتحقيق: د. يحيى الشامي، ب ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٣م.

٦٩ ـ العثمانية، تح وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٣٧٤هـ.

٧٠ ـ فضل هاشم على عبد شمس ضمن رسائل الجاحظ، تح: حسن السندوي، ط١، القاهرة، ١٩٣٣م.

* ابن الجارود: أبو محمد عبدالله النيسابوري ت ٣٠٧هـ.

٧١ ـ المنتقى من السنن المسندة، تح: عبدالله عمر البارودي، ط١، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ١٩٨٨.

* ابن جبر: زين الدين علي بن يوسف (القرن السابع الهجري)

٧٢ ـ نهج الإيمان، تح: السيد أحمد الحسيني، ط ١، مشهد، ١٤١٨هـ.

* الجرجاني: أبو الحسن علي بن محمد بن علي (٧٤٠ ـ ٨١٦هـ/ ١٣٤٠ ـ ١٤١٣م).

٧٣ ـ التعريفات، ب.محق، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.

٧٤ ـ شرح المواقف، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٠٧م.

* الجزائري: السيد نعمة الله الموسوي ت ١١١٢هـ.

٧٥ ـ نور البراهين في اخبار السادة الطاهرين، تح: السيد الرجائي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٧هـ.

* ابن الجعد: أبي الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري (١٣٤ ـ ٢٣٠هـ).

٧٦ ـ مسند ابن الجعد، مراجعة عامر حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.(أبو جعفر الاسكافي: محمد بن عبدالله المعتزلي ت ٢٤٠هـ.

٧٧ ـ المعيار والموازنة، تح: محمد باقر المحمودي، ط ١، ب.مكا، ١٩٨١.

٧٨ ـ نقض العثمانية (نصوص من الكتاب ملحقة بكتاب العثمانية للجاحظ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط ١، دار الجيل، بيروت. ب.ت.

* ابن أبي جمهور الاحسائي ت نحو ٨٨٠هـ.

٧٩ ـ عوالي اللئالي، تح: المرعشي ـ العراقي، ط١، قم، ١٩٨٣.

* الجواليقي: أبو منصور موهوب بن أحمد ت٥٣٩هـ.

٨٠ ـ شرح أدب الكاتب، تقديم: مصطفى صادق الرفاعي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

* الجواهري: محمد حسن النجفي ت ١٢٦٦هـ.

٨١ ـ جواهر الكلام، تح: الشيخ عباس القوجاني، دار الكتب الإسلامية، ب.ت.

* ابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (٥١٠ .٥٩٧ هـ).

٨٢ ـ دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، حققه وقدم له: حسن السقاف، ط٣، دار الإمام النووي، عمان ـ الأردن، ١٩٩٢م.

٨٣ ـ زاد المسير في علم التفسير، حققه: محمد بن عبد الرحمن عبدالله، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧.

٨٤ ـ كشف المشكل من حديث الصحيحين، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧.
* الجوهري: أبو بكر احمد بن عبد العزيز البصري ت ٣٢٣هـ.
٨٥ ـ السقيفة وفدك، تح: محمد هادي الاميني، ط٢، شركة الكتبي، بيروت ١٩٩٣م.
* الجوهري: إسماعيل بن حماد ت (٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م).
٨٦ ـ الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
* ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ت٣٢٧هـ.
٨٧ ـ تفسير القرآن العظيم، تح: أسعد محمد الطيب، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٣.
* الحاكم الحسكاني: الحافظ عبيد الله بن أحمد الحنفي النيسابوري (القرن الخامس الهجري).
٨٨ ـ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تح: محمد باقر المحمودي، ط١، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، طهران، ١٩٩٠.
* الحاكم النيسابوري: محمد بن محمد ت٤٠٥هـ.
٨٩ ـ المستدرك، تح: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
٩٠ ـ معرفة علوم الحديث، ط٤، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠.
* ابن حبان: محمد البستي التميمي ت ٣٥٤هـ.
٩١ ـ كتاب الثقات، ط١، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٩٣هـ.
٩٢ ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن يلبان، ط ٢، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣.
٩٣ ـ مشاهير علماء الأمصار، تح: مرزوق علي، ط١، دار الوفاء، ب.مكا، ١٩٩١م.
* ابن حبيب: محمد البغدادي ت ما بعد ٢٧٩هـ.
٩٤ ـ المنمق، تح: خورشيد أحمد فاروق؛ ط١، حيدر آباد الدكن ـ الهند، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤م.
* ابن حجر العسقلاني: احمد بن علي ت ٨٥٢هـ
٩٥ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، تصحيح: إبراهيم الفيومي، دار الفكر، بيروت، ١٣٢٨هـ.
٩٦ ـ تهذيب التهذيب، تح: صدقي جميل العطار، ط١، دار الفكر، ١٩٩٥.
٩٧ ـ العجاب في بيان الأسباب، تح: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط١، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٩٩٧.

٩٨ ـ فتح الباري، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.
٩٩ ـ القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد، ط١، القاهرة، ١٤٠١.
١٠٠ ـ لسان الميزان، ب.محق، ط١، حيدر آباد الدكن ـ الهند، ١٣٣٠ ـ ١٣٣١هـ.

* ابن أبي الحديد: عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني ٥٨٦ ـ ٦٥٦هـ.
١٠١ ـ شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧.

* الحر العاملي: محمد بن الحسن ١٠٣٣ ـ ١١٠٤هـ.
١٠٢ ـ الفصول المهمة في أصول الأئمة، تح: محمد القائيني، ط١، مؤسسة معارف الإمام الرضا عليه السلام، قم، ١٤١٨هـ.
١٠٣ ـ هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام، ط١، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٣١٢هـ.
١٠٤ ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ط٢، مؤسسة آل البيت، قم، ١٤١٤هـ.

* الحربي: إبراهيم بن اسحق ت ٢٨٥هـ.
١٠٥ ـ غريب الحديث، تح سليمان إبراهيم، ط١، جدة، ١٤٠٢.

* ابن حزم: أبو محمد بن أحمد ت٤٥٦.
١٠٦ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط١، دار صادر، بيروت، ١٣١٧هـ.
١٠٧ ـ المحلى، تح: أحمد محمد شاكر، ب.ط، دار الفكر، بيروت، ب.ت.

* الحسني: أبو الحسين يحيى بن حمزة بن علي ت ٧٤٩هـ.
١٠٨ ـ الديباج الوضي في الكشف عن اسرار كلام الوصي (شرح نهج البلاغة)، تح: خالد بن قاسم بن محمد المتوكل، ط١، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ٢٠٠٣م.

* ابن الحسين: الحسن بن يحيى القاسمي ت٢٩٨هـ.
١٠٩ ـ التحفة العسجدية في ما دار من الاختلاف بين العدلية والجبرية، أبو أيمن للطباعة، صنعاء، ١٣٤٣هـ.

* الحسيني: السيد شرف الدين علي ت نحو ٩٦٥هـ.
١١٠ ـ تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، قم، ١٤٠٧هـ.

* الحلبي: علي بن بهاء الدين الشافعي ٩٧٥ ـ ١٠٤٤هـ/ ١٥٦٧ ـ ١٦٣٥م.
١١١ ـ السيرة الحلبية، تصحيح: عبدالله الخليلي، ط٢، بيروت، ٢٠٠٦.

* الحلواني: الحسين بن محمد بن الحسن (القرن الخامس الهجري).
١١٢ ـ نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، تح: مدرسة الإمام المهدي (عج)، ط١، قم، ١٤٠٨هـ.

* العلامة الحلي: أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٨ ـ ٧٢٦هـ).
١١٣ ـ أجوبة المسائل المهنائية، ب. محق، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠١هـ.
١١٤ ـ الباب الحادي عشر، انتشارات تمدن اسلامي، قم، ١٣٨٢.
١١٥ ـ خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تح: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، ط٢، ١٤٢٢هـ.
١١٦ ـ الرسالة السعدية، تح: عبد الحسين محمد علي، ط١، قم، ١٤١٠هـ.

* ابن حمدون: محمد بن الحسن بن محمد بن علي المعرو بأبي المعالي ت٥٦٢هـ.
١١٧ ـ التذكرة الحمدونية، تح: إحسان عباس وبكر عباس، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

* أبو حمزة الثمالي: ثابت بن دينار. ت ١٤٨هـ.
١١٨ ـ تفسير أبو حمزة: جمع: عبد الرزاق محمد، ط١، قم، ١٤٢٠.

* ابن حمزة الطوسي: عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي ت٥٦٠هـ.
١١٩ ـ الثاقب في المناقب، تح: نبيل رضا علوان، ط٢، مؤسسة أنصاريان، قم، ١٤١٢هـ.

* الحميدي: أبو بكر عبد الله بن الزبير ت ٢١٩هـ.
١٢٠ ـ مسند الحميدي: تح: حبيب الرحمن الاعظمي، ط١، بيروت، ١٩٨٨.

* الحميري: محمد بن عبد المنعم ت ٧٢٧هـ.
١٢١ ـ الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٥.

* الحميري: أبو العباس عبد الله بن جعفر (ق ٣هـ).
١٢٢ ـ قرب الإسناد، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، مط: مهر، قم، ١٤١٣هـ.

* ابن حنبل: أبو عبدالله احمد بن محمد (١٦٤ ـ ٢٤١هـ).
١٢٣ ـ المسند، ب.محق، دار صادر، بيروت، ب.ت.
١٢٤ ـ العلل، تح: وصي الله بن محمود عباس، ط ١، بيروت، ١٤٠٨هـ.

* الحويزي: عبد علي بن جمعة العروسي ت ١١١٢هـ.
١٢٥ ـ نور الثقلين، تح: هاشم المحلاتي، ط١، قم، ١٤١٢هـ.

* ابن حيان: أبو عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي الحياني ت ٧٥٤هـ.

١٢٦ ـ تفسير ابن حيان المسمى (البحر المحيط)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، ط١، دارالكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١.

* الخزاز: أبو القاسم علي بن محمد بن علي القمي ت (ق ٤هـ).

١٢٧ ـ كفاية الأثر في النص على الائمة الاثني عشر، تح: عبد اللطيف الحسيني، ب.ط، مط: الخيام، الناشر: بيدار، قم، ١٤٠١هـ.

* الخزرجي: صفي الدين احمد بن عبدالله الأنصاري اليمني ت بعد ٩٢٣هـ.

١٢٨ ـ خلاصة تهذيب تذهيب الكمال، قدم له: عبد الفتاح أبو غده، ط ٤، بيروت، ١٤١١هـ.

* ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق السلمي ت٣١١.

١٢٩ ـ صحيح ابن خزيمة، تح: د. محمد الاعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ.

* الخطيب البغدادي: أبو بكر احمد بن علي ت٤٦٣هـ

١٣٠ ـ تاريخ بغداد، ب. محق، مط السعادة، القاهرة، ١٩٣١.

١٣١ ـ الكفاية في علم الرواية، تح وتعليق: أحمد عمر هاشم، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥.

* ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد. ت٨٠٦هـ.

١٣٢ ـ التاريخ، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م.

* ابن خلكان: أبو العباس احمد بن محمد (٦٠٨ ـ٦٨١ هـ).

١٣٣ ـ وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤.

* الخوارزمي: أبو المؤيد موفق الدين بن أحمد البكري(القرن السادس الهجري).

١٣٤ ـ المناقب، قدم له: محمد رضا الخرسان، النجف، ١٣٨٥هـ.

* الخياط: أبو الحسن عبد الرحيم بن محمد (ت حدود ٣٠٠هـ).

١٣٥ ـ الانتصار، تصحيح: نيبرج، بيروت، ١٩٥٧.

* ابن خياط: خليفة ت ٢٤٠هـ.

١٣٦ ـ تاريخ خليفة، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣.

١٣٧ ـ طبقات خليفة، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣.

* أبو خيثمة: زهير بن حرب النسائي ت٢٣٤هـ.
١٣٨ ـ كتاب العلم، تح: محمد ناصر الألباني، ط٢، المكتب الأسلمي، بيروت، ١٩٨٣.

* الدارقطني: أبو الحسن علي بن عمر ت ٣٨٥هـ.
١٣٩ ـ سنن الدار قطني، تح: مجدي بن منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
١٤٠ ـ علل الدارقطني، تح: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، ط١، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٥م.

* الدارمي: أبو محمد عبد الله بن بهرام (ت٢٥٥ هـ).
١٤١ ـ السنن، ب.محق، ب.ط، الناشر: مطبعة الاعتدال، دمشق، ب.ت.

* ابن داود: تقي الدين (ألف كتابه سنة ٧٠٧هـ).
١٤٢ ـ رجال ابن داود، المطبعة الحيدرية، النجف.١٣٩٢هـ.

* أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥ هـ
١٤٣ ـ سنن أبي داود، تح: سعيد محمد اللحام، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠.
١٤٤ ـ سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود تح: عبد العظيم عبد العليم البستوي، ط ١، دار الاستقامة، مؤسسة الريان، ١٩٩٧،

* الدروقي: أبو عبدالله أحمد بن إبراهيم البغدادي ت ٢٤٦هـ.
١٤٥ ـ مسند سعد بن أبي وقاص، حققه وخرج أحاديثه: عامر حسن صبري، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٧.

* ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن (٢٢٣ ـ ٣٢١هـ).
١٤٦ ـ الاشتقاق، تح وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٨.

* ابن الدمشقي: محمد بن أحمد الباعوني الشافعي ت ٨٧١هـ.
١٤٧ ـ جواهر المطالب في مناقب الإمام الجليل علي بن أبي طالب عليه السلام، ط١، تح: محمد باقر المحمودي، قم، ١٤١٥هـ.

* الدميري: كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى ت ٨٠٦هـ.
١٤٨ ـ حياة الحيوان الكبرى، ب. محق، المكتبة التجارية، مصر، ١٩٥٦.

* ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن عبيد ٢٠٨ ـ ٢٨١هـ.

١٤٩ ـ التواضع والخمول، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م.
١٥٠ ـ كتاب الهواتف، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٣م.
١٥١ ـ الورع، تحقيق وتعليق: أبو عبدالله محمد بن حمد، ط١، الدار السلفية، الكويت، ١٩٨٨م.

* الديار بكري: حسين بن محمد بن الحسن ت ٩٦٦ ﻫ / ١٥٥٩م.
١٥٢ ـ تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر، بيروت، ب.ت.

* الديلمي: الحسن بن أبي الحسن (القرن الثامن الهجري).
١٥٣ ـ أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ب.ت.

* الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد ٧٤٨ ﻫ/ ١٣٤٧م.
١٥٤ ـ تاريخ الإسلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧.
١٥٥ ـ تذكرة الحفاظ، ب.محق، ب.ط، الناشر: مكتبة الحرم المكي، ب.مكا، ب.ت.
١٥٦ ـ تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، تح: مصطفى أبو الغيط، دار الوطن، الرياض، ٢٠٠٠.
١٥٧ ـ سير أعلام النبلاء، تح: محب الدين العمروي، ط١، بيروت، ١٩٩٧.
١٥٨ ـ الكاشف في من له رواية في الكتب الستة، ط١، دار القبلة، جدة، ١٤١٣هـ.
١٥٩ ـ المغني في الضعفاء، تح: أبو الزهراء حازم القاضي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
١٦٠ ـ ميزان الاعتدال، تح: علي محمد البجاوي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٢هـ.

* الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، ت بعد ٦٦٠هـ/ ١٢٦٨م.
١٦١ ـ مختار الصحاح: تح: أحمد شمس الدين، ط١، بيروت، ١٩٩٤.

* الرافعي: أبو القاسم عبد الكريم بن محمد ت ٦٢٣هـ.
١٦٢ ـ فتح العزيز، ب. محق، دار الفكر، ب. ت.

* الرامهرمزي: الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد ت٣٦٠ هـ ٩٧٠م.

١٦٣ ـ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تح: محمد عجاج الخطيب، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ.

* ابن راهويه: إسحاق بن إبراهيم ت ٢٣٨هـ.

١٦٤ ـ مسند ابن راهويه، تح: عبد الغفور عبد الحق، ط ١، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ١٩٩١.

* الراوندي: قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله قطب الدين ت ٥٧٣هـ.

١٦٥ ـ الخرائج والجرائح، تح: مدرسة الإمام المهدي (عج)، ط١، قم، ١٤٠٧هـ.

١٦٦ ـ قصص الأنبياء، تح: الميرزا غلام رضا عرفانيان، ط١، قم، ١٤١٨هـ.

١٦٧ ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تح: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، ب ط، مط الخيام، قم، ١٤٠٦ ه

* ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد ت ٥٩٥هـ.

١٦٨ ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تح: خالد العطار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

* الزبيدي: محمد مرتضى ت ١٢٠٥هـ.

١٦٩ ـ تاج العروس، مكتبة الحياة، بيروت، ب.ت.

* الزرندي: جمال الدين محمد بن يوسف الحنفي ت ٧٥٧هـ.

١٧٠ ـ معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول والبتول، تح: محمد كاظم المحمودي، ط١، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤٢٥هـ.

١٧١ ـ نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، مكتبة أمير المؤمنين...العامة، ط١، ١٩٥٨هـ.

* الزمخشري: محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ.

١٧٢ ـ أساس البلاغة، ب.محق، ب.ط، دار ومطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٠.

١٧٣ ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تح: سليم النعيمي، مط العاني، بغداد، ١٩٨٢.

١٧٤ ـ الفائق في غريب الحديث، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ.

١٧٥ ـ الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ب. ت.

* ابن أبي الزمنين: ت٣٩٩هـ.

١٧٦ ـ تفسير ابن أبي الزمنين، تح: أبو عبدالله حسين بن عكاشة ـ محمد بن مصطفى الكنز، ط١، الفاروق الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

* الزيلعي: العلامة جمال الدين ت ٧٦٢هـ.
١٧٧ ـ تخريج الأحاديث والآثار، تح: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط١، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٤هـ.
١٧٨ ـ نصب الراية (تخريج أحاديث الهداية)، اعتنى بهما: أيمن صالح شعبان، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٥.

* زين العابدين: الإمام علي بن الحسين عليه السلام ت ٩٥هـ.
١٧٩ ـ الصحيفة السجادية، تح: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي الاصفهاني، ط١، قم، مؤسسة الإمام المهدي. ١٤١١ هـ

* السبكي: أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي ت٧٥٦هـ.
١٨٠ ـ فتاوي السبكي، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.

* السرخسي: شمس الدين ت٤٨٣هـ.
١٨١ ـ المبسوط، تح: جمع من الأفاضل، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

* ابن سعد: محمد ت٢٣٠هـ.
١٨٢ ـ الطبقات الكبرى، تح: إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٨م.

* أبو السعود: محمد بن محمد العمادي ت٩٥١هـ.
١٨٣ ـ تفسير أبو السعود المسمى(إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.

* ابن سلام: أبو القاسم عبيد الهروي ت ٢٢٤هـ.
١٨٤ ـ غريب الحديث: تح: محمد عبد المعين خان، ط١، بيروت، ١٣٩٦هـ/ ١٩٦٤.

* ابن سلامة: أبو عبدالله محمد القضاعي ت٤٥٤هـ.
١٨٥ ـ دستور معالم الحكم، مكتبة المفيد، قم، ب.ت.
١٨٦ ـ مسند الشهاب، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥

* ابن سليمان الحلي: الشيخ حسن (ق ٩هـ).
١٨٧ ـ المحتضر، ب.محق، ط١، مط: الحيدرية، النجف، ١٩٥١م.
١٨٨ ـ مختصر بصائر الدرجات، ط١، النجف، ١٩٥٠.

* السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد ت٣٨٣هـ.
١٨٩ ـ تفسير السمرقندي، تح: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، ب.ت.

* السمعاني: أبو سعيد عبد الكريم بن محمد ت ٥٦٢هـ.

١٩٠ ـ ادب الاملاء والاستملاء، شرح ومراجعة: سعيد محمد اللحام، ط ١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٩.

١٩١ ـ الأنساب، تقديم وتعليق: عبدالله عمر البارودي، ط١، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٨هـ.

* السمعاني: أبو المظفر منصور بن محمد ت ٤٨٩هـ.

١٩٢ ـ تفسير السمعاني، تح: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧.

* السهيلي: الإمام المحدث أبو القاسم عبد الرحمن ت ٥٨١هـ.

١٩٣ ـ الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ت٢١٣ ه، تعليق: الشيخ عمر عبد السلام السلامي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

* سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت١٨٠هـ.

١٩٤ ـ كتاب سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ب.ت.

* ابن سيد الناس: محمد بن عبد الله بن يحيى ٦٧١ ـ ٧٣٤هـ.

١٩٥ ـ عيون الأثر، مؤسسة عز الدين، ب.ط، بيروت، ١٩٨٦.

* ابن سيدة: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ت٤٥٨هـ.

١٩٦ ـ المخصص، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار إحياء الت راث العربي، بيروت، ب.ت.

* السيوطي: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١هـ.

١٩٧ ـ الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

١٩٨ ـ تاريخ الخلفاء، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات الشريف الرضي. ب.ت.

١٩٩ ـ التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله في الجنة، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩.

٢٠٠ ـ تنزيه الأنبياء عن تشبيه الاغبياء، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م.

٢٠١ ـ تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، ضبط وتصحيح محمد الخالدي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
٢٠٢ ـ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
٢٠٣ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ب. محق، بغداد، ١٣٧٧هـ.
٢٠٤ ـ الدرج المنيفة في الاباء الشريفة، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩.
٢٠٥ ـ الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، حقق أصله وعلق عليه: أبو إسحاق الجويني الأثري، ط١، دار ابن عفان، ١٩٩٦.
٢٠٦ ـ الرسائل العشر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م.
٢٠٧ ـ السبل الجلية في الاباء العلية، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩.
٢٠٨ ـ كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب المعروف بالخصائص الكبرى، دار الكتاب العربي، ١٣٢٠هـ.
٢٠٩ ـ لباب النقول: ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.
٢١٠ ـ لب اللباب من تحرير الأنساب، دار صادر. بيروت، ب. ت.
٢١١ ـ المحاضرات والمحاورات، تح: يحيى الجبوري، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.
٢١٢ ـ مسالك الحنفا في والدي المصطفى، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩.
٢١٣ ـ المقامة السندسية في النسبة المصطفوية، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩.
٢١٤ ـ نشر العلمين المنيفين في اخبار الابوين الشريفين، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩.

* ابن شاذان: سيد الدين شاذان بن جبرئيل القمي ت٦٦٠هـ.

٢١٥ ـ الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، تح: علي الشكرجي، ط١، مركز الأمير، قم، ١٤٢٣هـ.
٢١٦ ـ الفضائل، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٢.

* الشافعي: أبو عبدالله محمد بن إدريس (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ).

٢١٧ ـ اختلاف الحديث، (على قرص المعجم الفقهي بلا معلومات).
٢١٨ ـ كتاب الأم، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣.
٢١٩ ـ الرسالة، تح: محمد أحمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت، ب.ت.
٢٢٠ ـ مسند الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ب. ت.

* الشامي: أبو حاتم جمال الدين يوسف بن حاتم العاملي ت ٦٦٤هـ.
٢٢١ ـ الدر النظيم، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ب.ت.

* ابن شبه: أبو زيد عمر بن شبه البصري ت ٢٦٢هـ.
٢٢٢ ـ تاريخ المدينة، تح: فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، قم، ١٤١٠هـ.

* الشربيني: شمس الدين محمد بن أحمد ت ٩٦٠هـ.
٢٢٣ ـ مغني المحتاج، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٨.

* الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن الحسين (٣٥٩ ـ ٤٠٦هـ).
٢٢٤ ـ تلخيص البيان في مجازات القرآن، ط١، حققه وقدم له وصنع فهارسه: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م.
٢٢٥ ـ حقائق التأويل: شرح محمد رضا، دار المهاجر، بيروت، ١٣٥٥هـ.
٢٢٦ ـ خصائص الأئمة، تح: محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٠٦هـ.
٢٢٧ ـ المجازات النبوية.، تح: طه محمد الزيني، القاهرة، مؤسسة الحلبي، ١٩٦٧.
٢٢٨ ـ نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: صبحي الصالح، ط ٦، دار الاسوة، طهران، ١٤٢٩هـ.

* الشريف المرتضي: أبو القاسم علي بن الحسين علم الهدى ٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ.
٢٢٩ ـ الامالي، تح: أحمد الشنقيطي، ط١، قم، ١٩٠٧.
٢٣٠ ـ الانتصار: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٥هـ.
٢٣١ ـ رسائل المرتضى، تح: مهدي رجائي، ب.ط، مط: سيد الشهداء، الناشر: دار القرآن، ب.مكا، ١٤٠٥هـ.

* ابن شعبة الحراني أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين (ق ٤ هـ).
٢٣٢ ـ تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، تح: علي اكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.

* الشعراني: سيدي عبد الوهاب بن احمد بن علي الشافعي ت٩٧٣هـ.

٢٣٣ ـ لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٩٣هـ.

* ابن شهر آشوب: أبو عبدالله محمد بن علي ت ٥٨٨هـ.

٢٣٤ ـ معالم العلماء، قم، ب. ت.

٢٣٥ ـ متشابه القرآن ومختلفه، جابخانة شركت سهامي طبع كتاب، ١٣٢٨هـ.

٢٣٦ ـ مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٦هـ.

* الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت٥٤٨هـ.

٢٣٧ ـ الملل والنحل، اشرف على تعديل هذا الكتاب وقدم له: صدقي جميل العطار، ط٢، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢.

* الشهرزوزي: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ت٦٤٣هـ.

٢٣٨ ـ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ط١، علق عليه أبو عبد الرحمن صلاح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

* الشهيد الأول: محمد بن مكي ت ٧٨٦هـ.

٢٣٩ ـ الذكرى، طبعة حجرية، كتبت بالخط الكرماني سنة ١٢٧٢هـ.

* الشهيد الثاني: زين الدين بن علي الجبعي العاملي (٩١١ ـ ٩٦٦ هـ).

٢٤٠ ـ رسائل الشهيد الثاني، ط١، مركز انتشارات، قم، ١٤٢١هـ.

٢٤١ ـ مسالك الإفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١٣هـ.

٢٤٢ ـ منية المريد: تح: رضا المختاري، ط١، مكتب الاعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ.

* الشوكاني: محمد بن علي بن محمد الصنعاني ت ١٢٥٠هـ.

٢٤٣ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، مط عالم الكتب، ب. ت.

٢٤٤ ـ نيل الأوطار، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٣.

* ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد ت ٢٣٥هـ.

٢٤٥ ـ المصنف، تح: سعيد محمد اللحام، ط١، دار الفكر، ١٤٠٩هـ.

* الصالحي: محمد بن يوسف الشامي ت٩٤٢هـ.

٢٤٦ ـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تح: عادل أحمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ.

* الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ.
٢٤٧ ـ الامالي، تح: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، قم، ١٤١٧هـ.
٢٤٨ ـ التوحيد، تح: هاشم الحسيني، ط١، جماعة المدرسين، ط١، ١٣٨٧هـ.
٢٤٩ ـ ثواب الأعمال، ط٢، منشورات الرضي، قم، ١٣٦٨.
٢٥٠ ـ الخصال، تح: علي اكبر غفاري، جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٣هـ.
٢٥١ ـ علل الشرائع، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٦.
٢٥٢ ـ عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ط١، مط شريعت، المكتبة الحيدرية، قم، ١٤٢٥هـ.
٢٥٣ ـ كمال الدين وتمام النعمة، صححه وعلق عليه: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٥هـ.
٢٥٤ ـ معاني الأخبار، صححه: علي اكبر الغفاري، ب.ط، قم، ١٣٦١.
٢٥٥ ـ المقنع، مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، ١٤١٥هـ.
٢٥٦ ـ من لا يحضره الفقيه، تح: علي اكبر غفاري، ط٢، جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٤هـ.

* الصفدي: خليل الدين أيبك ت ٧٦٤.
٢٥٧ ـ الوافي بالوفيات: تح أحمد الارناؤوط ـ تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠.

* الصفار: محمد بن الحسن ت ٢٩٠هـ.
٢٥٨ ـ بصائر الدرجات، تح: ميرزا محسن، مؤسسة الاعلمي، طهران، ١٤٠٤هـ.

* أبو الصلاح الحلبي: تقي الدين بن نجم الدين بن عبيد الله (٣٧٤.٤٤٧ هـ).
٢٥٩ ـ الكافي في الفقه، تح: رضا أستادي، مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، أصفهان، ١٤٠٣هـ.

* ابن أبي الصلت: أمية ت ٥ هـ/ ٦٢٦م.
٢٦٠ ـ ديوان أمية بن أبي الصلت، دراسة وتحقيق: بهجة الحديثي، ط٢، بغداد، ١٩٩١.

* الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام ٢١١هـ/ ٨٢٧م.
٢٦١ ـ تفسير القرآن، تح: مصطفى مسلم محمد، ط١، مط: مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
٢٦٢ ـ المصنف، تح: حبيب الله الاعظمي، الناشر: المجلس العلمي، ب. ت.

* الصوري: محمد بن علي ت٤٤١هـ.

٢٦٣ ـ الفوائد المنتقاة والغرائب الحسان عن الشيوخ الكوفيين، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

* الضبي: أحمد بن عيسى ت ٥٩٩هـ، ١٢٠٢م.

٢٦٤ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الابياري، ط٢، بيروت، ١٩٨٩م.

* الضبي: سيف بن عمر ت٢٠٠ هـ

٢٦٥ ـ الفتنة ووقعة الجمل، جمع وتحقيق: أحمد راتب، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٣٩١هـ.

* أبو طالب بن عبد المطلب ت ٣ ق.هـ.

٢٦٦ ـ ديوان شيخ الأباطح أبي طالب، جمع: أبي هفان عبد الله بن أحمد المهزمي ت٢٥٧هـ، تحقيق وإستدراك: محمد باقر المحمودي، ط ١، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ب.ت.

* أبو طالب المكي: محمد بن علي الحارثي ت ٣٨٦هـ.

٢٦٧ ـ قوت القلوب في معاملة المحبوب، تح: سعيد نسيب مكارم، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

* ابن طاووس: أبو القاسم رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد ت٦٦٤.

٢٦٨ ـ التحصين: تح: الأنصاري، قم، ١٤١٣.

٢٦٩ ـ سعد السعود، منشورات الرضي، طبعة أمير، قم، ١٣٦٣هـ.

٢٧٠ ـ الطرائف في معرفة مذهب الطوائف، ب.محق، ط٢، مطبعة الخيام، قم، ١٣٩٩هـ.

٢٧١ ـ اليقين في إمرة أمير المؤمنين، ط١، تح: الأنصاري، قم، ١٤١٣.

* الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ).

٢٧٢ ـ الأحاديث الطوال، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

٢٧٣ ـ الأوائل: تح: محمد شكور، ط١، بيروت، ١٤٠٣.

٢٧٤ ـ كتاب الدعاء، تح: مصطفى عبد القادر، ط١، بيروت، ١٤١٣هـ.

٢٧٥ ـ مسند الشاميين، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، بيروت، ١٩٩٦م.

٢٧٦ ـ المعجم الأوسط، تح: إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ب.ت.

٢٧٧ ـ المعجم الصغير، ب.محق، ب.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.
٢٧٨ ـ المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ب.ت.

* الطبرسي: رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل ت٥٤٨هـ.
٢٧٩ ـ المؤتلف من المختلف بين أئمة السلف (منتخب الخلاف للطوسي)، حققه وقابله: جمع من الاساتذة، مجمع البحوث الإسلامية، قم، ١٤١٠هـ.
٢٨٠ ـ مكارم الأخلاق، ب.محق، ط٦، منشورات الشريف الرضي، ١٩٧٢.

* الطبرسي: أبو الفضل علي (المتوفي أوائل القرن السابع الهجري).
٢٨١ ـ مشكاة الأنوار، تح: مهدي هوشمند، ط١، دار الحديث، ١٤١٨هـ.

* الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب ت٥٤٨هـ.
٢٨٢ ـ الاحتجاج، تعليق: محمد باقر الخرسان، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٦.

* الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن ت٥٤٨هـ.
٢٨٣ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى، ط١، مؤسسة آل البيت، قم، ١٤١٧هـ.
٢٨٤ ـ جوامع الجامع، تح: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤١٨هـ.
٢٨٥ ـ تفسير الطبرسي المسمى (مجمع البيان في تفسير القرآن)، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء، م له: السيد محسن الأمين العاملي، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٥.

* الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ.
٢٨٦ ـ تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ب. ت.
٢٨٧ ـ جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ب، محق، ط٣، ب، مكا، ١٩٦٨.

* الطبري: عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم ت بعد ٥٥٣هـ.
٢٨٨ ـ بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تح: جواد القيومي، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٢هـ.

* الطبري الصغير: أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم (ق ٥هـ).
٢٨٩ ـ دلائل الإمامة، تح: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، قم، ١٤١٣هـ.
٢٩٠ ـ المسترشد في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، تح: أحمد المحمودي، ط١، مط: سلمان الفارسي، الناشر: مؤسسة الثقافة الإسلامية، قم، ب.ت.

* الطريحي: فخر الدين ت ١٠٨٥هـ.

٢٩١ ـ مجمع البحرين، تح: أحمد الحسيني، ط٢، قم، ١٤٠٨هـ.

* ابن طلحة الشافعي: كمال الدين محمد (٥٨٢. ٦٥٢ هـ).

٢٩٢ ـ مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، تح: ماجد بن أحمد العطية، ب.مكا، ب.ت.

* الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ).

٢٩٣ ـ اختيار معرفة الرجال، تح: مير داماد، محمد باقر الحسيني، السيد مهدي الرجائي، قم، ١٤٠٤هـ.

٢٩٤ ـ الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ط٢، دار الاضواء، بيروت، ١٩٨٦.

٢٩٥ ـ الامالي، ب.محق، دار الثقافة للنشر، قم، ١٤١٤هـ.

٢٩٦ ـ تهذيب الأحكام، تح: السيد حسن الخرسان وآخرين، ط٤، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٠هـ.

٢٩٧ ـ رجال الطوسي، تح: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٥هـ.

٢٩٨ ـ الفهرست، تح: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٢٩٩ ـ التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد قصير حبيب العاملي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٣٠٠ ـ الخلاف، تح: سيد علي الخراساني وآخرين، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٧هـ.

٣٠١ ـ الرسائل العشر، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ب.ت.

٣٠٢ ـ المبسوط في فقه الإمامية، تح: محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية، طهران، ١٣٧٨هـ.

* الطيالسي: أبو داود سليمان بن داود ت ٢٠٤هـ.

٣٠٣ ـ مسند الطيالسي، دار الحديث، بيروت، ب.ت.

* ابن أبي عاصم: أبو بكر عمرو الضحاك بن مخلد الشيباني ت ٢٨٧هـ.

٣٠٤ ـ الآحاد والمثاني، تح: باسم فيصل الجوابرة، ط ١، دار الدراية، السعودية، ١٩٩١م.

٣٠٥ ـ الأوائل، تح: محمود محمد، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

٣٠٦ ـ كتاب السنة، تح: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣.

* العاملي: السيد أحمد بن زين العابدين العلوي (ت نحو ١٠٦٠ هـ).
٣٠٧ ـ مناهج الأخيار في شرح الاستبصار، تقديم: السيد شهاب الدين المرعشي، قم، ١٣٩٩هـ.

* ابن عبد البر: أبو عمرو يوسف القرطبي ت ٤٦٣هـ.
٣٠٨ ـ الاستذكار، تح: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.
٣٠٩ ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
٣١٠ ـ الانباه على قبائل الرواة، تح: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
٣١١ ـ التمهيد، تح: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف، المغرب، ١٣٨٧هـ.
٣١٢ ـ الدرر في اختصار المغازي والسير، ب.محق، ب.مكا، ب.ت.
٣١٣ ـ جامع بيان العلم وفضله، ب.محق، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.

* ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله. ت٢٥٧ هـ/ ٨٧١م.
٣١٤ ـ فتوح مصر وأخبارها، تح: محمد الحجيري، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦.

* العجلوني: إسماعيل بن محمد ت ١١٦٢هـ.
٣١٥ ـ كشف الخفاء ومزيل الالباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٨.

* ابن عربي: محمد بن علي بن محمد ت٦٣٨هـ.
٣١٦ ـ تفسير ابن عربي، ضبطه وصححه وقدم له: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

* ابن العربي: القاضي أبو بكر المالكي ت٥٤٣هـ.
٣١٧ ـ العواصم من القواصم، حققه وعلق عليه: محب الدين الخطيب، ط٢، الدار السعودية، جدة، ١٣٨٧هـ.

* ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ).
٣١٨ ـ الاربعين البلدانية، تح: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، بيروت، ب.ت.
٣١٩ ـ تاريخ مدينة دمشق، تح: علي شيري، ب.ط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

* آل عصفور: الشيخ حسين البحراني ت١٢١٦هـ.

٣٢٠ ـ الأنوار اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع، تح: محسن آل عصفور، مطبعة أمير، قم، ب.ت.

* ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب ت٥٤٢ هـ/ ١١٤٨م.

٣٢١ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣.

* ابن عقدة: أبو العباس أحمد بن محمد ين سعيد ت٣٣٢هـ.

٣٢٢ ـ الولاية، جمع نصوصه، عبد الرزاق حرز الدين، ب.مكا، ب.ت.

٣٢٣ ـ فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، جمعه ورتبه وقدم له: عبد الرزاق حرز الدين، ب.مكا، ١٤٢١هـ.

* العياشي: أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي ت٣٢٠.

٣٢٤ ـ التفسير، تح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ب.ط، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، ب.ت.

* العيني: بدر الدين ت ٨٥٥هـ.

٣٢٥ ـ عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ب. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب. ت.

* الغازي: داود بن سليمان ت٢٠٣هـ.

٣٢٦ ـ مسند الرضا عليه السلام، حققه: محمد جواد الحسيني الجلالي، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٨هـ.

* الغرناطي: محمد بن أحمد بن جزي ت ٧٤١هـ.

٣٢٧ ـ التسهيل لعلوم التنزيل، تح: عبدالله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ب.ت.

* الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد٥٠٥ هـ

٣٢٨ ـ المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تح: د.جميل صليبا، د.كامل عياد، ط٧، دار الاندلس، بيروت، ١٩٦٧م.

* ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت٣٩٥هـ.

٣٢٩ ـ معجم مقايس اللغة، تح وضبط: عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.

* الفاضل الهندي: بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني (١٠٦٢ ـ ١١٣٧هـ).

٣٣٠ ـ كشف اللثام عن قواعد الأحكام، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم، ١٤١٦هـ.

* ابن الفتال النيسابوري: أبو جعفر محمد بن الحسن ت٥٠٨هـ.
٣٣١ ـ روضة الواعظين، ط٢، مط: أمير، قم، ١٣٧٥هـ.
* أبو الفتوح: حسين بن علي الخزاعي النيسابوري (أوائل القرن السادس الهجري).
٣٣٢ ـ روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، تح: محمد جعفر ومحمد مهدي، مشهد، ١٣٧١ش.
* الفخر الرازي: فخر الدين ت٦٠٦هـ.
٣٣٣ ـ تفسير الفخر الرازي المعروف بـ (مفاتح الغيب)، ط٣، ب.محق، ب.مكا، ب.ت.
* أبو الفداء: الملك المؤيد عماد الدين ت٧٣٢هـ.
٣٣٤ ـ المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.
* فرات بن إبراهيم الكوفي: أبو القاسم ت ٣٥٢هـ.
٣٣٥ ـ تفسير فرات الكوفي، تح: محمد الكاظم، ط١، مط: التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ١٩٩٠م.
* الفراهيدي: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد (١٠٠ ـ ١٧٥ هـ).
٣٣٦ ـ العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة ط ٢، ١٤٠٩هـ.
* أبو الفرج الاصفهاني: علي بن الحسين ت٣٥٦هـ.
٣٣٧ ـ الاغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤م.
٣٣٨ ـ مقاتل الطالبيين، تقديم واشراف: كاظم المظفر، ط٢، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٥م.
* الفرزدق: همام بن غالب ت ١١٤ هـ/ ٧٣٣م.
٣٣٩ ـ ديوان الفرزدق، تح: كرم البستاني، بيروت، ١٩٦٦.
* ابن الفقيه الهمذاني: أبو بكر محمد بن إبراهيم ت ٢٨٩ هـ/ ٩٠١م.
٣٤٠ ـ مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن، ١٣٢٢م.
* ابن فهد الحلي: جمال الدين أحمد بن محمد (٧٥٧ ـ ٨٤١هـ).
٣٤١ ـ التحصين في صفات العارفين من العزلة والخمول بالأسانيد المتلقاة من آل الرسول صلى الله عليه وآله، تح: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط٢، قم، ١٤٠٦هـ.
* الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ.
٣٤٢ ـ القاموس المحيط، جمع وشرح: نصر الهوريني، ب. مكا، ب ت.
* الفيض الكاشاني: محمد محسن (١٠٠٧ ـ ١٠٩١هـ).

٣٤٣ ـ الأصفى في تفسير الأصفى، تح: محمد درايتي ومحمد نعمتي، ط١، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، قم، ١٤١٨هـ.
٣٤٤ ـ المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، صححه وعلق عليه: علي أكبر غفاري، ط٢، قم، ب.ت.
٣٤٥ ـ مفاتيح الشرائع، تح: مهدي رجائي، مجمع الذخائر الإسلامية، قم، ١٤٠١هـ.
٣٤٦ ـ الوافي، مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، ط١، إصفهان، ١٤٠٦هـ.

* الفيومي: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ت ٧٧٠هـ.
٣٤٧ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ب.محق، دار الفكر، ب.ت.

* القاضي: عبد الجبار عماد الدين أبي الحسن بن أحمد (ت٤١٥هـ).
٣٤٨ ـ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تح: فؤاد سيد، تونس، ١٩٧٤.

* القاضي عياض: أبو الفضل اليحصبي ت ٥٤٤هـ.
٣٤٩ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨.

* القاضي النعمان: أبو حنيفة محمد بن منصور بن أحمد المغربي ت ٣٦٣هـ.
٣٥٠ ـ دعائم الإسلام، تح: آصف بن علي، ب.ط، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.
٣٥١ ـ شرح الأخبار في فضائل الائمة الأطهار، تح: محمد الحسيني الجلالي، ب.ط، مط: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ب.ت.

* ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري ت٢٧٦هـ.
٣٥٢ ـ الإمامة والسياسة (منسوب)، تح: علي شيري، ط١، مط: أمير، الناشر: الشريف الرضي، قم، ١٤١٣هـ.
٣٥٣ ـ تأويل مختلف الحديث، ب.محق، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.
٣٥٤ ـ غريب الحديث، تح: عبدالله الجبوري، ط١، بيروت، ١٩٨٨م.
٣٥٥ ـ المعارف، تح: ثروت عكاشة، القاهرة، ١٩٨١.

* ابن قدامه: موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد ت ٦٢٠هـ.
٣٥٦ ـ المغني، ب.محق، دار الكتاب العربي، ب. ت.

* ابن قدامة: عبد الرحمن ٦٨٢هـ.
٣٥٧ ـ الشرح الكبير، ب.محق، ب.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ب.ت.

* القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١هـ/ ١٢٧٣م)
٣٥٨ ـ الجامع لأحكام القرآن، ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٠.

* القلقشندي: احمد بن عبدالله ت٨٢١هـ / ١٤١٨م.
٣٥٩ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.
٣٦٠ ـ مآثر الانافة في معالم الخلافة، تح: شوقي أبو خليل، ط٢، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٧.
* القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم ت٣٢٩هـ.
٣٦١ ـ تفسير القمي، صححه وعلق عليه وقدم له: السيد طيب الجزائري، ط٣، مؤسسة دار الكتاب، قم، ١٤٠٤هـ.
* القمي: أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن المعروف بابن شاذان. (القرن الرابع والخامس الهجريين).
٣٦٢ ـ مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، ط١، مدرسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٧هـ.
* القندوزي: سليمان بن إبراهيم الحنفي ت ١٢٩٤هـ.
٣٦٣ ـ ينابيع المودة لذوي القربى، تح: سيد علي جمال أشرف الحسيني، ط١، دار الأسوة، ١٤١٦هـ.
* الكاشاني: أبو بكر بن مسعود الحنفي ت ٥٨٧هـ.
٣٦٤ ـ بدائع الصنائع: ط١، باكستان، ١٩٨٩.
* ابن كثير: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر ت٧٧٤هـ.
٣٦٥ ـ البداية والنهاية، اعتنى به، حنان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، ب.ت.
٣٦٦ ـ تفسير ابن كثير، ب.ط، مط: دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ.
٣٦٧ ـ السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧١.
* الكحلاني: محمد بن إسماعيل الصنعاني ت ١١٨٢هـ.
٣٦٨ ـ سبل السلام(شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر)، راجعه وعلق عليه: محمد عبد العزيز الخولي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠.
* الكراكجي: أبو الفتح محمد بن علي ت ٤٤٩ هـ
٣٦٩ ـ كنز الفوائد، ط٢، مطبعة الغدير، مكتبة مصطفوي، قم، ١٣٦٩هـ.
* ابن كرامة: المحسن سعيد ت٤٩٤ هـ

٣٧٠ ـ تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، تح: تحسين آل شبيب الموسوي، ط ١، مركز الغدير، ٢٠٠٠م.

* الكرباسي: محمد جعفر بن محمد طاهر الخراساني ت١١٧٥هـ.

٣٧١ ـ إكليل المنهج في تحقيق المطلب، الطبعة الأولى، تحقيق السيد جعفر الحسيني الأشكوري، دار الحديث، قم، ١٤٢٥هـ.

* الكلاعي: أبو الربيع سليمان بن موسى ت٦٣٤هـ.

٣٧٢ ـ الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفا، تح: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

* ابن الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، ت ٢٠٤هـ.

٣٧٣ ـ الاصنام، تح. الأستاذ أحمد زكي باشا، ط٣، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٥م.

* الكليني: أبي جعفر محمد بن يعقوب ت ٣٢٩هـ.

٣٧٤ ـ الكافي، تح علي اكبر غفاري، ط٣، دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٨هـ.

* الكنجي الشافعي: أبو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد ت ٦٥٨هـ.

٣٧٥ ـ كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، تحمحمدالاميني، ط٢، النجف، ١٩٧٠.

* الكوفي: محمد بن سليمان القاضي، (حياً ٣٠٠هـ).

٣٧٦ ـ مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تح: محمد باقر المحمودي، ط١، الناشر: مجمع أحياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٢هـ.

* ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥هـ.

٣٧٧ ـ سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ب.ت.

* الماحوزي: سليمان بن عبدالله البحراني ت ١١٢١هـ.

٣٧٨ ـ كتاب الأربعين حديثا في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، تح: السيد مهدي الرجائي، ط١، قم، ١٤١٧هـ.

* المارديني: العلامة علاء الدين بن علي بن عثمان الحنفي ابن التركماني ت ٧٤٥هـ.

٣٧٩ ـ الجوهر النقي، دار الفكر، عن طبعة ١٣١٦هـ.

* المازندراني: موسى محمد صالح ت ١٠٨١هـ.

٣٨٠ ـ شرح أصول الكافي، ضبط وتصحيح: علي عاشور، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠.

* ابن ما كولا: علي بن هبة الله ت ٤٧٥هـ.

٣٨١ ـ الإكمال، ب.ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ب.ت.

* مالك بن انس (٩٣ ـ ١٧٩ هـ).

٣٨٢ ـ المدونة الكبرى، مط السعادة، مصر، ب.ت.

٣٨٣ ـ الموطأ، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، بيروت، ١٩٩٧.

* الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد البصري ت٤٥٠هـ.

٣٨٤ ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ب. ت.

٣٨٥ ـ إعلام النبوة، تح: سعيد محمد اللحام، ط١، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٩.

* المباركفوري: أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ت ١٣٥٣هـ.

٣٨٦ ـ تحفة الأحوذي في شرح الترمذي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.

* المتقي الهندي: علاء الدين بن علي ت ٩٧٥ هـ/١٥٦٧م.

٣٨٧ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ط٢، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٥٠ ـ ١٩٦٧.

* مجاهد بن جبر المكي المخزومي ت ١٠٤هـ.

٣٨٨ ـ تفسير مجاهد، قدم له وحققه وعلق حواشيه: عبد الرحمن الطاهر، مجمع البحوث الإسلامية، باكستان، ب.ت.

* المجلسي الأول: محمد تقي (١٠٠٣ ـ ١٠٧٠هـ).

٣٨٩ ـ روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، علق عليه: حسين الكرماني وعلي الاشتهاردي، قم، ١٣٩٣هـ.

* المجلسي: محمد باقر ت١١١١هـ.

٣٩٠ ـ بحار الأنوار، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣.

٣٩١ ـ مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ط٢، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٤هـ.

٣٩٢ ـ ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، تح: السيد مهدي الرجائي، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠٦هـ.

* مجهول المؤلف
٣٩٣ ـ تفسير الإمام الحسن العسكري، تح ونشر: مدرسة الإمام المهدي، ط١، قم، ١٤٠٩هـ.

* المحاملي: حسين بن إسماعيل ت ٣٣٠ ه
٣٩٤ ـ امالي المحاملي (رواية ابن يحيى البيع)، تح: إبراهيم القيسي، ط١، المكتبة الإسلامية، دار ابن القيم، الاردن، ١٤١٢هـ.

* المحب الطبري: احمد بن عبدالله ت ٦٩٤هـ.
٣٩٥ ـ ذخائر العقبى، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٦هـ.
٣٩٦ ـ الرياض النضرة، تح: سليمان حسن عبد الوهاب، ط٢، مصر، ١٩٥٣م.

* المحقق الحلي: أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن ت ٦٧٦هـ.
٣٩٧ ـ شرائع الإسلام، تح: صادق الشيرازي، ط ٢، قم، ١٤٠٩هـ.

* المحلي: جلال الدين ت٨٦٤هـ، السيوطي: جلال الدين ت٩١١هـ.
٣٩٨ ـ تفسير الجلالين، قدم له وراجعه: مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ب.ت،

* ابن مخلد القرطبي: أبو عبد الرحمن بقي ت ٢٧٦هـ.
٣٩٩ ـ ماروي في الحوض والكوثر، ط١، تح: عبد القادر محمد عطا صوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ.

* المدني: السيد علي خان الشيرازي (١٠٥٢ ـ ١١٢٠هـ).
٤٠٠ ـ رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين صلوات الله عليه، تح: محسن الموسوي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٥هـ.

* ابن المرتضى: احمد بن يحيى (ت٨٤٠هـ).
٤٠١ ـ شرح الأزهار، غمضان، صنعاء، ١٤٠٠هـ.
٤٠٢ ـ طبقات المعتزلة، عنيت بتحقيقه: سوسنه ديفلد فلزر، ط٢، دار المنتظر، بيروت، ١٩٨٨.

* ابن مردويه: أبو بكر احمد بن موسى الاصفهاني ت ٤١٠هـ.
٤٠٣ ـ مناقب علي بن أبي طالب، جمع: عبد الرزاق حرز الدين، ط٢، دار الحديث، قم، ١٤٢٤هـ.

* المرزوقي: أبو علي أحمد بن محمد الاصفهاني ت٤٢١هـ.

٤٠٤ ـ الأزمنة والامكنة، ضبطه: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

* المزي: أبو الحجاج يوسف ت ٧٤٢هـ.

٤٠٥ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: د. بشار عواد، ط٤، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ.

* المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ.

٤٠٦ ـ اثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ب.ط، ب.مط، قم، ١٩٩٦م.

٤٠٧ ـ التنبيه والإشراف، تح: عبدالله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، ب. ت.

٤٠٨ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ، عني به: محمد النعسان وعبد المجيد طعمة، ط١، دار المعرفة، ٢٠٠٥.

* مسلم بن الحجاج النيسابوري ت ٢٦١هـ.

٤٠٩ ـ صحيح مسلم، ب. محق، دار الفكر، بيروت، ب. ت.

* المشهدي: الميرزا محمد القمي ت ١١٢٥هـ.

٤١٠ ـ تفسير كنز الدقائق، تح: آقا مجتبى العراقي، ط١، قم، ١٤٠٧هـ.

* أبو المعالي: محمد بن إسحاق صدر الدين القونوي(٦٠٧ ـ ٦٧٣هـ).

٤١١ ـ الفكوك في أسرار مستندات حكم الفصوص، ط١، مطبعة فارابي، انتشارات مولى، ١٤١٣هـ.

* ابن معد: أبو علي شمس الدين فخار بن معد الموسوي ت٦٣٠هـ.

٤١٢ ـ الحجة على الذاهب إلى كفر أبي طالب، تح: السيد محمد بحر العلوم، ط١، قم، ١٤١٠هـ.

* ابن معين: يحيى ت ٢٣٣هـ.

٤١٣ ـ تاريخ ابن معين برواية الدوري، تح: عبدالله أحمد حسن، دار القلم، ب.ت.

* ابن المغازلي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي الشافعي ت ٤٨٣هـ.

٤١٤ ـ مناقب علي بن أبي طالب، ط١، إنتشارات سبط النبي صلى الله عليه وآله، ب.مكا، ١٤٢٦هـ.

* المفيد: أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ).

٤١٥ ـ الاختصاص، تح: علي اكبر غفاري، جماعة المدرسين، قم، ب. ت.

٤١٦ ـ الإرشاد، تح: حسين الاعلمي، ط٥، بيروت، ٢٠٠١م.

٤١٧ ـ أقسام المولى في اللسان، تح: مهدي نجف، ط٢، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٣.

٤١٨ ـ الامالي، تح: الحسين استاد ولي، قم، ب.ت.

٤١٩ ـ أوائل المقالات، ب. محق، طهران، ١٣٧١هـ.

٤٢٠ ـ الفصول المختارة، تح: السيد مير علي شريعتي. دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣.

٤٢١ ـ المسائل السرورية، مط مهر، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ب.مكا، ب.ت.

٤٢٢ ـ المسائل الصاغانية، تح: محمد القاضي، ط١، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.

٤٢٣ ـ المسائل العكبريه: ط٢، بيروت، ١٩٩٣.

٤٢٤ ـ المقنعة، ب.محق، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم، ١٤١٣هـ.

* مقاتل بن سليمان ت١٥٠هـ.

٤٢٥ ـ تفسير مقاتل بن سليمان، تح: أحمد فريد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

* المقداد السيوري ت٨٢٦هـ.

٤٢٦ ـ النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، تح: مشتاق الزيدي، ط١، النجف الأشرف، ٢٠١٠.

* المقريزي: تقي الدين أبو العباس احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م).

٤٢٧ ـ إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد، منشورات محمد علي بيضون، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.

٤٢٨ ـ الخطط المقريزية، ب.محق، بولاق، ١٢٩٤هـ، أعادت طبعه بالاوفسيت، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٠.

٤٢٩ ـ النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، شركة الكتبي، بيروت، ب.ت.

* الملطي: أبو الحسين محمد بن أحمد الشافعي (ت٣٧٧هـ/ ٩٨٧م).

٤٣٠ ـ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تح: محمد زاهد الكوثري، بيروت، ١٩٦٨.

* المناوي: محمد عبد الرؤوف ت ١٠٣١هـ.

٤٣١ ـ الفتح السماوي، تحقيق: أحمد مجتبى، دار العاصمة، الرياض، ب.ت.

٤٣٢ ـ فيض القدير في شرح الجامع الصغير، تح: أحمد عبد السلام، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

* المنذري: زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي ت٦٥٦هـ.

٤٣٣ ـ الترغيب والترهيب، ضبط أحاديثه: مصطفى محمد، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

* ابن منصور: سعيد الخراساني المكي ت ٢٢٧هـ.

٤٣٤ ـ سنن سعيد بن منصور، حققه: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.

* ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١هـ/ ١٣١١م.

٤٣٥ ـ لسان العرب، ط١، دار أحياء التراث العربي، أدب الحوزة، ب.ت.

* المنقري: نصر بن مزاحم ت٢١٢هـ.

٤٣٦ ـ وقعة صفين، تح: محمد عبد السلام هارون، ط٢، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٣٨٢هـ.

* ابن المنير الاسكندرني: ناصر الدين أحمد بن محمد المالكي ت٦٨٣هـ.

٤٣٧ ـ الانصاف فيما تضمنه الكشاف، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦٦.

* ابن ميثم: كمال الدين بن علي البحراني ت٦٧٩هـ.

٤٣٨ ـ اختيار مصباح السالكين من كلام مولانا وإمامنا أمير المؤمنين عليه السلام وهو(شرح نهج البلاغة الوسيط)، تح وتقديم وتعليق: محمد هادي الأميني، ط١، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٨هـ.

٤٣٩ ـ شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام، عني بطبعه ونشره وتصحيحه والتعليق عليه: مير جلال الدين الحسيني الإرموي المحدث، منشورات جماعة المدرسين، قم، ١٣٩٠هـ.

٤٤٠ ـ شرح نهج البلاغة، ط١، مط: وفا، قم، ١٤٢٧هـ.

٤٤١ ـ النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة، ط١، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ١٤١٧ هـ

* الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد.ت٥٨٨هـ.

٤٤٢ ـ مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، مط السعادة، مصر، ١٩٥٩.

* ابن نباته: جمال الدين محمد بن محمد (ت ٧٦٨هـ).

٤٤٣ ـ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ط ٤، مصر، ١٣٢١هـ.

* ابن النجار البغدادي: محب الدين أبي عبدالله محمد ت ٦٤٣هـ.

٤٤٤ ـ ذيل تاريخ بغداد، تح: مصطفى عبد القادر، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

* النجاشي: أبو العباس احمد بن علي ت٤٥٠هـ.

٤٤٥ ـ رجال النجاشي: تح: السيد موسى الزنجاني، ط٥، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٦هـ.

* النحاس: أبو جعفر ت٣٣٨هـ.

٤٤٦ ـ معاني القرآن: تح محمد علي الصابوني، ط١، جامعة أم القرى، ١٩٨٨.

* النسائي: أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب (٢١٥ ـ ٣٠٣ هـ).

٤٤٧ ـ خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تح: محمد هادي الاميني، النجف، ١٩٦٩.

٤٤٨ ـ السنن الكبرى، تح: عبد الغفار سليمان ـ سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١.

٤٤٩ ـ فضائل الصحابة: دار الكتب العلمية، بيروت. ب.ت.

* النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود ت٥٣٧هـ.

٤٥٠ ـ تفسير النسفي المسمى(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، ب.محق، ب.مكا، ب.ت.

* النعماني: محمد بن إبراهيم ت ٣٨٠هـ.

٤٥١ ـ الغيبة: تح: علي اكبر غفاري، طهران، ب.ت.

* أبو نعيم: احمد بن عبدالله الأصبهاني ت ٤٣٠هـ.

٤٥٢ ـ ذكر أخبار اصبهان، ب.محق، بريل، لندن، ١٩٣١.

٤٥٣ ـ مسند أبو حنيفة: تح نظر محمد الفاريابي، ط١، الرياض، ١٤١٥هـ.

* النوري: الميرزا حسين ت ١٣٢٠هـ.

٤٥٤ ـ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، بيروت، ١٩٨٧.

٤٥٥ ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تح: مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٤هـ.

* النووي: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدمشقي (٦٣١ ـ ٦٧٦ هـ).
٤٥٦ ـ الأذكار النووية، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.
٤٥٧ ـ روضة الطالبين: تح عادل أحمد ـ علي محمد، بيروت، ب.ت.
٤٥٨ ـ رياض الصالحين، دار الفكر المعاصر، ط٢، بيروت، ١٩٩١م.
٤٥٩ ـ شرح صحيح مسلم، ب.محق، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧.
٤٦٠ ـ المجموع، من شرح المهذب، دار الفكر، ب.ت.
* النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت٧٣٣هـ.
٤٦١ ـ نهاية الإرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة، ب.ت.
* ابن هشام: أبو محمد عبد الملك الحميري ت ٢١٨هـ.
٤٦٢ ـ السيرة النبوية، تح: محمد محيي الدين، الناشر: مكتبة محمد علي، مصر، ١٩٦٣.
* أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل ت٣٩٥هـ.
٤٦٣ ـ الأوائل، وضع حواشيه: عبد الرزاق غالب، ط١، منشورات بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
٤٦٤ ـ جمهرة الأمثال، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ عبد المجيد قطامش، ط١، المؤسسة العربية، ١٩٦٤م.
٤٦٥ ـ الفروق اللغوية، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٢هـ.
* الهمداني: لسان اليمن الحسن بن احمد بن يعقوب ت٣٣٤ه
٤٦٦ ـ صفة جزيرة العرب، تح: محمد بن علي الاكوع الحوالي، ط١، مكتبة الارشاد، صنعاء، ١٩٩٠ م
* الهيتمي: احمد بن حجر ت ٩٧٤ هـ
٤٦٧ ـ الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تح: عبد الوهاب الحسني، القاهرة، ١٣٧٥هـ.
* الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ).
٤٦٨ ـ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، حققه وعلق عليه مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع، القاهرة، ب.ت.
٤٦٩ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٢ ـ ١٣٥٣هـ.

٤٧٠ ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، تح: محمد عبد الرزاق حمزة، ب.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.

* الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري ت ٤٧٨ هـ

٤٧١ ـ أسباب النزول، دار الباز، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٩٨٦.

* الواسطي الليثي: كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد الواسطي (ق ٦ هـ).

٤٧٢ ـ عيون الحكم والمواعظ، تح: حسين الحسني، ط ١، دار الحديث، قم، ١٣٧٦.

* الواقدي: محمد بن عمر بن واقد ت ٢٠٧هـ.

٤٧٣ ـ المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٦.

* وكيع: محمد بن خلف بن حيان ت ٣٠٦هـ.

٤٧٤ ـ اخبار القضاة، تعليق: مصطفى المراغي، ب.محق، عالم الكتب، بيروت، ب.ت.

* اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد ت٧٦٨هـ.

٤٧٥ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

* ياقوت الحموي: أبو عبدالله الرومي ت٦٢٦هـ.

٤٧٦ ـ معجم الأدباء، ط الأخيرة، مكتبة عيسى الحلبي، مصر، ١٩٦٣.

٤٧٧ ـ معجم البلدان، تح: وستنفلد، لا يبزج، ١٨٦٨.

* اليعقوبي: احمد بن أبي يعقوب (كان حيا في ٢٩٢هـ).

٤٧٨ ـ التاريخ، علق عليه: خليل المنصور، ط١، مط مهر، دار الاعتصام، ١٤٢٥هـ.

* أبو يعلى: احمد بن علي التميمي الموصلي ٢١٠ ـ ٣٠٧هـ.

٤٧٩ ـ مسند أبو يعلى، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، بيروت ـ دمشق، ب.ت.

المراجع الثانوية

* الآلوسي: محمود شكري البغدادي (١٣٤٢ هـ/ ١٩٢٤ م).

٤٨٠ ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تصحيح: محمد بهجة الأثري، ط٣، مصر، ١٣٤٢هـ.

* إبداح: د.اقبال بن عبد الرحمن

٤٨١ ـ الوحي القرآني بين المفسرين والمستشرقين ـ دراسة تحليلية مقارنة ـ، ط١، دار دجلة، المملكة الاردنية، ٢٠١١م.

* الأسدي: عبد الرزاق فرج الله

٤٨٢ ـ الإمام علي عليه السلام بين طهر الميلاد ومجد الاستشهاد، تح: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، ط٢، مط دار الضياء، النجف الأشرف، ٢٠٠٩م.

* إسماعيل: حيدر.

* آباء النبي محمد صلى الله عليه وآله من آدم إلى عبدالله (سيرة مختصرة ورد شبهات)، ط١، دار ومكتبة البصائر، بيروت، ٢٠١٢.

* الاصفهاني: أبو عبدالله محمد تقي الموسوي ت١٣٤٨هـ.

٤٨٣ ـ مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم(عليه السلام)، ط١، تح: السيد علي عاشور، مؤسسة الاعلمي ـ بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٤٨٤ ـ وظيفة الأنام في زمن غيبة الإمام، ترجمة السيد أبو أحمد الكاظمي، نشر: مدرسة الإمام المهدي (عج)، ط١، قم، ١٤٠٧هـ.

* الألباني: محمد ناصر الدين.

٤٨٥ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.

* الاميني: عبد الحسين بن أحمد النجفي ت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٤٨٦ ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط١، ١٩٩٥م.

* باقر: طه، وآخرين.

٤٨٧ ـ تاريخ ايران القديم، ب.ط، ب.مط، بغداد، ١٩٨٠م.

* بالنثيا: آنخل جنثالث الاميني: عبد الحسين بن أحمد النجفي ت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٤٨٨ ـ تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الاسبانية: حسين مؤنس، ط ٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٨.

* بحر العلوم: السيد محمد مهدي (١١٥٥ ـ ١٢١٢ هـ/ ١٧٤٢ ـ ١٧٩٨م).

٤٨٩ ـ الفوائد الرجالية، حققه وعلق عليه: محمد صادق لحر العلوم ـ حسين بحر العلوم، ط١، مكتبة الصادق، طهران، ١٣٦٣هـ.

* البدري: السيد سامي
٤٩٠ ـ السيرة النبوية تدوين مختصر مع تحقيقات واثارات جديدة، تح: حسين البدري، احسان المظفر، ط٣، مط: ياسين، نشر: طور سينين، ب. مكا، ٢٠٠٥م.

* بدوي: عبد الرحمن.
٤٩١ ـ مذاهب الإسلاميين، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م.

* بركات: د.محمد خليفة
٤٩٢ ـ علم النفس التعليمي، ط٤، دار القلم، الكويت، ١٩٩٤م.

* البروجردي: حسين الطباطبائي ت ١٣٨٣هـ. (المشرف على الجمع).
٤٩٣ ـ جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية، قم، ١٤٠٧هـ.

* البري: محمد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني.
٤٩٤ ـ الجوهرة في نسب الإمام علي عليه السلام وآله، تح: محمد التونجي، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٢هـ.

* البغدادي: إسماعيل باشا ت ١٣٣٩هـ.
٤٩٥ ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب. ت.
٤٩٦ ـ هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٥.

* البغدادي: خالد.
٤٩٧ ـ تصحيح القراءة في نهج البلاغة ردا على "قراءة في نهج البلاغة" للدليمي، ط١، مط: ستارة، قم، ١٤٢٧هـ.

* البكري: عبد الرحمن احمد.
٤٩٨ ـ من حياة الخليفة عمر بن الخطاب، تحقيق وتعليق مرتضى الرضوي، ط٢، الارشاد، بيروت ـ لندن ١٩٩٨م.

* البلداوي: الشيخ وسام برهان.
٤٩٩ ـ فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين (دراسة لاثبات وقوع التحريف والتناقض في مصادر الحديث وقواعده عند العامة واثر ذلك في فضائل أهل البيت عليهم السلام، ط١، العتبة الحسينية المقدسة، منشورات الاعلمي، بيروت، ٢٠١٢م.

* التستري: محمد تقي.

٥٠٠ ـ بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠١١م.

٥٠١ ـ قاموس الرجال، الطبعة الأولى، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٩هـ.

* التميمي: هادي عبد النبي محمد.

٥٠٢ ـ الدور اليهودي في الدولة الإسلامية حتى نهاية عصر الرسول صلى الله عليه وآله، النجف، ٢٠٠٦.

* جابر: د.حميد سراج.

٥٠٣ ـ الانغلاق الفكري عند مدعي التجديد وصورة الاستقراء النصي الاجتزائي في التعامل مع شخصية الرسول صلى الله عليه وآله، ط ١، دار الفيحاء، بيروت، ٢٠١٣م.

٥٠٤ ـ الدبلوماسية وقواعد المواجهة في فكر الرسول صلى الله عليه وآله، ط١، مط: تموز، دمشق، ٢٠١٢م.

٥٠٥ ـ الفكر الأختباري في نهج البلاغة، ط١، دار ومكتبة البصائر، بيروت، ٢٠١٢م.

* أبو جادو: صالح محمد

٥٠٦ ـ علم النفس التربوي، ط٨، دار المسيرة، عمان، ٢٠١١م.

* الجبوري: صفاء كامل.

٥٠٧ ـ موسوعة العلماء والمكتشفين والمخترعين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٧م.

* جرداق: جورج.

٥٠٨ ـ الإمام علي عليه السلام، صوت العدالة الإنسانية، ط ١، دار المهدي، بيروت، ٢٠٠٤م.

* الجميلي: رشيد

٥٠٩ ـ تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية، ط٢، مط الرصافي، بغداد، ١٩٧٦م.

* الجواهري: حسن.

٥١٠ ـ بحوث في الفقه المعاصر، الطبعة الأولى، دار الذخائر، بيروت، ١٤١٩هـ.

* حب الله: حيدر.

٥١١ ـ حجية السنة في الفكر الإسلامي قراءة وتقويم، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، بيروت، ٢٠١١م.

* أبو حبيب: سعدي.

٥١٢ ـ القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨.

* حبيب الله الخوئي: الميرزا الهاشمي ت ١٣٢٤هـ.

٥١٣ ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تح: علي عاشور، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨م.

* الحسني: هاشم معروف.

٥١٤ ـ سيرة الائمة الاثني عشر: ط٥، مطبعة شريعت، انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٤٢٧هـ

* حسون: فارس

٥١٥ ـ الحج في نهج البلاغة ضمن سلسلة في رحاب نهج البلاغة، ب ط، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، النجف، ٢٠١١م

* الحكيم: محمد باقر ت٢٠٠٣م.

٥١٦ ـ دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، ط٢، دار الحكمة، النجف الأشرف، ١٤٢٤هـ.

٥١٧ ـ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، إعداد: حسين المياحي: ط١، مؤسسة شهيد المحراب، النجف، ١٤٢٤هـ.

* الحكيم: محمد تقي

٥١٨ ـ الاصول العامة للفقه المقارن، ط٢، مؤسسة أهل البيت، النجف، ١٩٧٩.

٥١٩ ـ السنة في الشريعة الإسلامية، بلا معلومات (قرص مكتبة أهل البيت عليهم السلام).

٥٢٠ ـ سنة أهل البيت عليهم السلام، الطبعة الآولى، قم، ١٤٢٦هـ.

* الحلو: السيد محمد علي.

٥٢١ ـ تاريخ الحديث النبوي بين سلطة النص ونص السلطة، دار الكتاب الإسلامي، ط ١، مطبعة ستار، ٢٠٠٥م.

* حمزة: محمد.

٥٢٢ ـ الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي، ط١، المؤسسة العربية للتحديث الفكري، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٥م.

* الحيدري: السيد كمال

٥٢٣ ـ عصمة الأنبياء في القرآن، بقلم محمود الجياشي، ط٣، مط ستارة، ٢٠٠٥م.

* خان: د.محمد عبد المعيد.

٥٢٤ ـ لأساطير العربية قبل الإسلام، ب ط، مط لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٣٧م.

* الخراساني: حسين الوحيد.

٥٢٥ ـ مناسك الحج، ب.مكا، بز.ت. (قرص مكتبة أهل البيت عليهم السلام).

* الخراساني: محمد تقي النقوي القايني.

٥٢٦ ـ مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، مكتبة المصطفوي، طهران، ب. ت.

* الخرسان: محمد مهدي.

٥٢٧ ـ المحسن السبط، مولود أم سقط؟ مكتبة الروضة الحيدرية، النجف، ١٤٢٧هـ

* خريسات: محمد عبد القادر

٥٢٨ ـ العصبية القبلية في صدر الإسلام، ط١، مؤسسة حمادة ودار اليازوري، الاردن، ٢٠١١م.

* الخطيب: السيد عبد الزهراء الحسيني.

٥٢٩ ـ مصادر نهج البلاغة واسانيده، ط ٣، مط: دار الاضواء، بيروت، ١٩٨٥م.

* الخليلي: جواد جعفر

٥٣٠ ـ السقيفة أم الفتن، ط١، الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، ب.ت.

* أبو خليل: شوقي.

٥٣١ ـ الحضارة العربية الإسلامية، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م.

* الخوئي: السيد أبو القاسم الموسوي ت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٥٣٢ ـ البيان في تفسير القرآن، بيروت، ١٩٨٩.

٥٣٣ ـ معجم رجال الحديث، تح: لجنة التحقيق، ط٥، ب.مكا، ١٩٩٢م.

* خوئي: د.عباس زرياب

٥٣٤ ـ دراسة تحليلية في السيرة النبوية، عصر ما قبل الهجرة، ترجمة علي الغدير سيد هادي، ط١، مط: الغدير، بيروت، ١٩٩٧م.

* دروزة: محمد عزة (١٣٠٥ ـ ١٤٠٤هـ/ ١٨٨٧ ـ ١٩٨٤م).

٥٣٥ ـ التفسير الحديث، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م.

* درويش: السيد طاهر عيسى.

٥٣٦ ـ علي كما وصف نفسه، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤.

* دغيم: د.سميح
٥٣٧ ـ أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥م.
* ذويب: حمادي.
٥٣٨ ـ السنة بين الاصول والتاريخ، ط١، المؤسسة العربية للتحديث الفكري، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٥م.
٥٣٩ ـ الرافعي: مصطفى صادق ت١٩٣٧م.
٥٤٠ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ب ط، دار الارقم، بيروت، ب ت.
* الراوي: عبد الستار عز الدين.
٥٤١ ـ ثورة العقل (دراسة فلسفية في فكر معتزلة بغداد)، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٩.
* الرحو: جنان سعيد
٥٤٢ ـ اساسيات في علم النفس، ط١، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٥م.
* الرصافي: معروف.
٥٤٣ ـ كتاب الشخصية المحمدية، ط ٥، منشورات الجمل، المانيا، ٢٠١١م.
* الرضوي: محمد الرضي.
٥٤٤ ـ من أقطاب الكذابين أحمد بن تيمية الحراني، بلا مكا، ب.ت.
* الريشهري: محمد.
٥٤٥ ـ القيادة في الإسلام، تعريب: علي الأسدي، ط١، دار الحديث، ١٤١٧هـ.
٥٤٦ ـ ميزان الحكمة، دار الحديث، ط١، قم، ١٤١٦هـ.
* أبو رية: محمود.
٥٤٧ ـ أضواء على السنة المحمدية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط٢، قم، ٢٠٠٧.
* الزركلي: خير الدين.
٥٤٨ ـ الأعلام، دار العلم للملايين، ط ٥، بيروت، ١٩٨٠.
* الزرندي: السيد أبو الفضل مير محمدي.
٥٤٩ ـ بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٠هـ.
* زهادت: عبد المجيد
٥٥٠ ـ التربية والتعليم في نهج البلاغة، ترجمة: حسن النمر، ط١، دار الهدى، بيروت، ٢٠٠٥م.
* أبو زيد: نصر حامد.

٥٥١ ـ الإمام الشافعي وتأسيس الايديولوجية الوسطية، ط١، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٧م.

* زيني دحلان: أحمد ت ١٣٠٤ هـ

٥٥٢ ـ السيرة النبوية، الطبعة الجديدة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.

* الساعدي: نعمة هادي.

٥٥٣ ـ علي القرآن الناطق، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٦م.

* سالم: السيد عبد العزيز

٥٥٤ ـ تاريخ الدولة العربية، ب.ط، بيروت، ب.ت.

* سبحاني: جعفر.

٥٥٥ ـ الأمثال في القرآن، ط١، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ١٤٢٠هـ.

٥٥٦ ـ الحديث النبوي بين الدراية والرواية، ط١، قم، ١٤١٩هـ.

٥٥٧ ـ السيرة المحمدية دراسة تحليلية للسيرة المحمدية على ضوء الكتاب والسنة والتاريخ الصحيح، إعداد واقتباس: يوسف جعفر سعادة، تعريب: جعفر الهادي، ط١، مط: اعتماد، قم، ١٤٢٠هـ.

٥٥٨ ـ عصمة الأنبياء في القرآن الكريم، ط٢، قم، ١٤٢٠هـ.

٥٥٩ ـ العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، نقله إلى العربية: جعفر الهادي، ط١، قم، ١٩٩٨م.

٥٦٠ ـ محاضرات في الإلهيات، تلخيص: علي الكلبايكاني، ط٧، مط: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ١٤٢٥هـ.

٥٦١ ـ موسوعة طبقات الفقهاء، ط١، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ١٤١٨هـ.

* السعداوي: عبد الكريم حسين.

٥٦٢ ـ غريب نهج البلاغة، مكتبة الروضة الحيدرية، النجف الأشرف، ٢٠١١م.

٥٦٣ ـ السند: آية الله السيد محمد

٥٦٤ ـ الصحابة بين العدالة والعصمة، إعداد: مصطفى الاسكندري، ط١، مؤسسة الرافد، قم، ٢٠٠٥م.

* السويج: السيد محمد مهدي محمد.

٥٦٥ ـ في النبوة والأنبياء الستة العرب، كتاب فيما فيه معلومات وبحوث قل ان يتطرق اليها... مهمة للغاية، ط١، مؤسسة البلاغ، لبنان، ٢٠٠٠م.

* السيستاني: السيد علي الحسيني.

٥٦٦ ـ الفقه للمغتربين، ترتيب وتنظيم: عبد الهادي محمد تقي الحكيم، لندن، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٥٦٧ ـ مناسك الحج، ط١، مطبعة شهيد، قم، ١٤١٣هـ.

٥٦٨ ـ منهاج الصالحين، قم، ط ١، ١٤١٦هـ.

* شرف الدين: السيد عبد الحسين الموسوي (١٨٧٣ ـ ١٩٥٨).

٥٦٩ ـ النص والاجتهاد، دار الأسوة، ط٣، قم، ١٣٨٢ش.

* الشرهاني: حسين علي

٥٧٠ ـ أضواء على السيرة النبوية دراسة في حياة الرسول مع السيدة خديجة، ط١، مط: تموز، دمشق، ٢٠١٣م.

٥٧١ ـ حياة السيدة خديجة من المهد إلى اللحد، ط١، مكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٥م.

* شكشك: انس.

٥٧٢ ـ علم النفس العام، ط ١، دار النهج، حلب، ٢٠٠٨م.

* شمس الدين: محمد المهدي.

٥٧٣ ـ حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، ط٤، المؤسسة الدولية، بيروت، ١٩٩٧م.

٥٧٤ ـ دراسات في نهج البلاغة، المؤسسة الدولية، بيروت، ٢٠٠١م.

* الشهرستاني: علي.

٥٧٥ ـ وضوء النبي صلى الله عليه وآله، ط١، بيروت، ١٩٩٤.

٥٧٦ ـ منع تدوين الحديث، ط١، دار الغدير، قم، ٢٠٠٥هـ.

* الشنقيطي:

٥٧٧ ـ أضواء البيان، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

* الشيرازي: السيد محمد الحسيني (١٤٢٢هـ).

٥٧٨ ـ تقريب القرآن إلى الأذهان، ط١، دار العلوم، بيروت، ٢٠٠٣.

٥٧٩ ـ توضيح نهج البلاغة، دار تراث الشيعة، طهران، ب.ت.

* الصائغ: مجيد.

٥٨٠ ـ علي عليه السلام بين أمه وأبيه، بيروت، ٢٠٠١م.

* الصالح: صبحي (الشارح)

٥٨١ ـ نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: صبحي الصالح، ط ٦، دار الاسوة، طهران، ١٤٢٩هـ.

* صبحي: أحمد محمود.

٥٨٢ ـ في علم الكلام، ط ٥، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥.

* الصدر: محمد باقر ت١٩٨٠م.

٥٨٣ ـ الرسول ـ المرسل ـ الرسالة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٣.

* الصدر: محمد صادق ت١٩٩٩م.

٥٨٤ ـ ما وراء الفقه، ب ط، دار ومكتبة البصائر، بيروت، ٢٠١١م.

* الصدر: مهدي الصدر

٥٨٥ ـ أخلاق أهل البيت عليهم السلام، ط٤، مط ستار، ٢٠٠٨م.

* الصفار: الشيخ سالم.

٥٨٦ ـ سيرة الرسول صلى الله عليه وآله في القيادة والمناهج الإنسانية دراسة تحليلة، ط١، دار الثقلين، بيروت، ١٩٩٩م.

* ضيف: شوقي ت ٢٠٠٥م.

٥٨٧ ـ تاريخ الادب العربي، ط٢٨، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٨م.

* الطائي: نجاح

٥٨٨ ـ ـ نساء النبي وبناته، ط٢، دار الهدى، لندن، ٢٠٠٢

* الطباطبائي: السيد محمد حسين ت ١٤٠٢هـ

٥٨٩ ـ الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ب.ت.

* الطحان: مصطفى محمد.

٥٩٠ ـ التربية ودورها في تشكيل السلوك، ط ١، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٦م.

* الطهراني: آغا بزرك.

٥٩١ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط٣، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٣م.

* العاملي: ياسين عيسى.

٥٩٢ ـ الاصطلاحات الفقهية في الرسائل العلمية، ط١، دار البلاغة، بيروت، ١٩٩٣م.

* العاملي: جعفر مرتضى

٥٩٣ ـ ـ بنات النبي أم ربائبه، ط٢، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، ٢٠٠٢م.

٥٩٤ ـ تخطيط المدن في الإسلام، ط١، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، ٢٠٠٩م.
٥٩٥ ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، ط٦، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، ٢٠١٠م.
٥٩٦ ـ منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية، ط١، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، ١٩٩٦م.

* العاملي: حسن مكي.
٥٩٧ ـ بداية المعرفة، ط ٢، ذوي القربى، قم، ١٤٢٧هـ.

* العاملي: حسين جمعة.
٥٩٨ ـ شروح نهج البلاغة، ط١، مطبعة الفكر، بيروت، ١٩٨٣م.

* العاملي: الشيخ قاسم محمد مصري.
٥٩٩ ـ رسالة في التعرب بعد الهجرة، ط١، دار الغدير، قم، ٢٠٠٣م.

* عاقل: د. نبيه.
٦٠٠ ـ تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، ط٣، دار الفكر، ١٩٨٣م.

* العاملي: مصطفى قصير.
٦٠١ ـ كتاب علي عليه السلام والتدوين المبكر للسنة النبوية الشريفة، ط٢، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، قم، ١٩٩٦.

* عبد الحميد: صائب.
٦٠٢ ـ تاريخ السنة النبوية (ثلاثون عاما بعد الرسول ﷺ)، ط١، مط: فروردين، ب مكا، ١٩٩٧م.

* عبد الرازق: مصطفى.
٦٠٣ ـ تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، ط٣، القاهرة، ١٩٤٤م.

* عبد الكريم: خليل
٦٠٤ ـ إلا.. أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ط١، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٦م.

* عبد المنعم: محمود عبد الرحمن.
٦٠٥ ـ معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٩م.

* عبده: محمد (شارح).
٦٠٦ ـ شرح نهج البلاغة للشريف الرضي، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.

* العسكري: مرتضى.
٦٠٧ ـ المصطلحات الإسلامية، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ط١، بيروت، ٢٠١٠.
٦٠٨ ـ معالم المدرستين، ط١، مط: ليلى، الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ٢٠٠٣م.
* العسكري: نجم الدين. ت١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
٦٠٩ ـ حديث الثقلين، ط٤، مطبعة الآداب، النجف، ب.ت.
* العقاد: عباس محمود
٦١٠ ـ ابو الشهداء الحسين بن علي، ب ط، مط: نهضة مصر، مصر، ب ت
* علي: جواد.
٦١١ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١، آونددانش، ٢٠٠٦م.
* علي: طارق محمد.
٦١٢ ـ عقائدنا، ب. ط، ب. مكا، ١٤١٨هـ.
* العواد: انتصار عدنان.
٦١٣ ـ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة تاريخية، مؤسسة البديل، بيروت، ٢٠٠٩.
* الغروي: محمد.
٦١٤ ـ الامثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة، ط٣، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٥هـ.
* غفاري: علي اكبر (محقق وملخص).
٦١٥ ـ دراسات في علم الدراية تلخيص مقباس الهداية للمامقاني ت ١٣٥١هـ، ط١، جامعة الإمام الصادق ١٣٦٩ ش.
* فتح الله: أحمد.
٦١٦ ـ معجم ألفاظ الفقه الجعفري، ط١، مطابع المدوخل، الدمام، ١٩٩٥م.
* الفحام: عباس علي حسين
٦١٧ ـ الاثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون، ط١، العتبة العلوية المقدسة، مكتبة الروضة الحيدرية، منشورات الفجر، بيروت، ٢٠١٠م.
٦١٨ ـ بلاغة النهج في نهج البلاغة، ط١، مؤسسة دار الصادق الثقافية ودار الرضوان، الاردن، ٢٠١٤م.

* فرحان: عدنان (ابو أنس)
٦١٩ ـ دروس من السيرة النبوية، ط ١، مط: شريعت، ايران، ١٣٨٦هـ.
* فلسفي: محمد تقي
٦٢٠ ـ الطفل بين الوراثة والتربية، تعريب وتعليق فاضل الحسيني الميلاني، ط ٢، مط دار سبط النبي ﷺ، ٢٠٠٥م.
* الفياض: محمد إسحاق.
٦٢١ ـ مناسك الحج، ط١، مطبعة أمير، قم، ١٤١٨هـ.
* القاسم: أسعد وحيد.
٦٢٢ ـ أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة، ط١، مركز الغدير، بيروت، ١٩٩٧م.
* القزويني: لطيف.
٦٢٣ ـ رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ، بلا معلومات
* قلعة جي: محمد رواس.و قنيبي: محمد صادق.
٦٢٤ ـ معجم لغة الفقهاء، ط٢، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٨م.
* القمي: عباس ت١٣٥٩هـ.
٦٢٥ ـ الكنى والالقاب، تقديم: محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر، طهران، ب.ت.
* الكتاني: السيد محمد عبد الحي الإدريسي الحسني الفاسي.
٦٢٦ ـ التراتيب الادارية (نظام الحكومة النبوية)، ط٢، اعتناء وتحقيق: عبدالله الخالدي، بيروت، ١٩٩٦م.
* كحالة: عمر رضا.
٦٢٧ ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م.
٦٢٨ ـ معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، م١٩٥٧.
* الكربلائي: جواد بن عباس.
٦٢٩ ـ الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، مراجعة محسن الأسدي، ط ١، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠٠٧م.
* كرستنسن: آرثر.
٦٣٠ ـ ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، ب.ط، ب.مط، بيروت، ١٩٨٢م
* الكوراني: علي.

٦٣١ ـ السيرة النبوية برواية أهل البيت عليهم السلام، الطبعة الجديدة، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٩ م

٦٣٢ ـ المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي (عج)، ط٣، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م.

* آل لطيف: محمد بن إبراهيم على الله.

٦٣٣ ـ مآثر آل البيت وبني هاشم، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١١م

* مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

٦٣٤ ـ موسوعة طبقات الفقهاء، ط١، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، مطبعة اعتماد، قم، ١٤١٨هـ.

* محمد السيد: محمد صالح.

٦٣٥ ـ أبو جعفر الاسكافي وآراؤه الكلامية والفلسفية، دار إحياء الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م.

* المحمداوي: علي صالح رسن.

٦٣٦ ـ الإسلام قبل البعثة المحمدية رؤية قرآنية، ط ١، مط: دار ومكتبة البصائر بيروت ٢٠١٣م.

٦٣٧ ـ أبو طالب بن عبد المطلب، ط١، مؤسسة البصرة للكتاب الثقافي، دار ومكتبة البصائر، بيروت، ١٤٣٣هـ.

٦٣٨ ـ عقيل بن أبي طالب بين الحقيقة والشبهة، ط١، مركز الأبحاث العقائدية، قم، ١٤٣٢هـ

* محمديان: محمد

٦٣٩ ـ حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٧هـ.ق

* محمود: د.محمود عرفة.

٦٤٠ ـ العرب قبل الإسلام، احوالهم السياسية والدينية واهم مظاهر حضارتهم، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٩٥م.

* المحمودي: محمد باقر.

٦٤١ ـ نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ط١، دار التعارف، بيروت، ١٣٩٦.

* المرعشي: ت ١٤١١هـ.

٦٤٢ ـ شرح احقاق الحق، تح وتعليق السيد شهاب الدين المرعشي، تصحيح: إبراهيم الميانجي، ب ط، ب مط، منشورات مكتبة آية الله المرعشي، قم، ب.ت.

* مركز المعجم الفقهي.

٦٤٣ ـ المصطلحات، (قرص مكتبة أهل البيت عليهم السلام)، بلا معلومات.

* المسعودي: محمد فاضل.

٦٤٤ ـ الأسرار الفاطمية، ط٣، مؤسسة الأنوار الفاطمية، قم، ٢٠٠٢م.

* مصباح: محمد تقي

٦٤٥ ـ النبوة في القرآن، نقله إلى العربية: محمد الخاقاني، ط١، مط: افق، قم، ١٤٢٦هـ.

* المصطفوي: الشيخ حسن.

٦٤٦ ـ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ط ١، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد، طهران ١٤١٧هـ.

* المظفر: محمد رضا.

٦٤٧ ـ السقيفة: تقديم: د. محمود المظفر، ط٤، قم، ٢٠٠٤.

٦٤٨ ـ المنطق، مطبعة حسام، بغداد، د. ت.

* المغربي: احمد بن محمد الحسني ت ١٣٨٠هـ.

٦٤٩ ـ فتح الملك العلي بصحة حديث مدينة العلم علي: تح محمد هادي الاميني، أصفهان، ب.ت.

* مغنية: محمد جواد

٦٥٠ ـ التفسير الكاشف، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م.

٦٥١ ـ في ظلال نهج البلاغة، محاولة لفهم جديد، ط٢، مط: ستار، قم، ١٤٢٨هـ.

* مكتبة الروضة الحيدرية

٦٥٢ ـ القرآن في نهج البلاغة (سلسلة في رحاب نهج البلاغة)، الناشر العتبة العلوية المقدسة، النجف، ٢٠١١م.

٦٥٣ ـ الموعظة في نهج البلاغة (سلسلة في رحاب نهج البلاغة)، الناشر العتبة العلوية المقدسة، النجف، ٢٠١٢م.

* الملاح: هاشم يحيى.

٦٥٤ ـ الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب، الموصل، ١٩٩٤م.

* المنصوري: اياد
٦٥٥ ـ المنهج العلمي في تقييم أفعال الصحابة، ب.ط، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم، ب.ت.

* المهريزي: مهدي
٦٥٦ ـ دروس في نصوص الحديث ونهج البلاغة، ترجمة انور الرصافي، ط٤، مط: زلال كوثر، قم، ١٤٣٢ ه

* المير جهاني: حسن الطباطبائي.
٦٥٧ ـ مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة (مستدرك نهج البلاغة)، طهران، ١٣٨٨ هـ

* الميلاني: السيد علي الحسيني.
٦٥٨ ـ آية التطهير، ط ١، نشر مركز الابحاث العقائدية، قم، ١٤٢١هـ.
٦٥٩ ـ ابن تيمية وامامة علي عليه السلام، ط١، مركز الأبحاث العقائدية، ١٤٢١هـ.
٦٦٠ ـ حديث سد الابواب، ط٤، مطبعة وفا، قم، ١٤٣٠هـ.
٦٦١ ـ حديث المنزلة، مركز الابحاث العقائدية، قم، ١٤٢١هـ.

* الميلاني: السيد هاشم
٦٦٢ ـ سيرة الرسول الأعظم من نهج البلاغة، نشر العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، ٢٠١٢م.

* ناجي: د. عبد الجبار.
٦٦٣ ـ نقد الرواية التاريخية عصر الرسالة انموذجا، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١١م.

* ناصر مكارم الشيرازي.
٦٦٤ ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٥م.
٦٦٥ ـ نفحات الولاية (شرح نهج البلاغة شرح عصري جامع لنهج البلاغة)، بمساعدة مجموعة من الفضلاء، إعداد: عبد الرحيم الحمراني، ط٢، دار جواد الائمة عليهم السلام، بيروت، ٢٠٠٩م.

* النجفي: هادي.
٦٦٦ ـ موسوعة أحاديث أهل البيت، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.

* النصر الله: د. جواد.

٦٦٧ ـ أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في رحاب البصرة، مطبعة الغدير، البصرة، ٢٠٠٣.
٦٦٨ ـ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة البصرة، دار الفيحاء، بيروت، ٢٠١٣.
٦٦٩ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد رؤية اعتزالية عن الإمام علي (عليه السلام)، ط ١، ذوي القربى، قم، ٢٠٠٤م.
٦٧٠ ـ فضائل الإمام علي تنسب لغيره، الحلقة الأولى (الولادة في الكعبة)، مركز الأبحاث العقائدية، النجف، ٢٠٠٩.

* النفيس: أحمد راسم.
٦٧١ ـ النبوة في نهج البلاغة، دار المحجة البيضاء، ط١، بيروت، ٢٠١٠.

* النمازي: علي الشاهرودي ت ١٤٠٥هـ.
٦٧٢ ـ مستدرك سفينة البحار، تح: وتصحيح: حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٨هـ.

* النقوي: السيد حامد ت١٣٠٦هـ.
٦٧٣ ـ خلاصة عبقات الأنوار، مطبعة خيام، مؤسسة البعثة، طهران، ١٤٠٥هـ.

* الوائلي: عبد الرحمن.
٦٧٤ ـ جدلية العلاقة بين العقل والتجربة الاجتماعية، ط١، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٣م

* آل ياسين: محمد حسن
٦٧٥ ـ في رحاب الرسول صلى الله عليه وآله، بيروت، ١٩٩٦م.

* يعقوب: أحمد حسين.
٦٧٦ ـ الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية، ط٢، دار الفجر، لندن، ١٤١٥هـ.
٦٧٧ ـ نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، ط ٤، مط: بهمن، قم، ٢٠٠٣م.

* اليوسفي: محمد هادي الغروي.
٦٧٨ ـ موسوعة التاريخ الإسلامي، ط١، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ١٤١٧هـ.

الدوريات:

* جابر: د.حميد سراج.
٦٧٩ ـ فلسفة النبوة وابعاد حياة الأنبياء الاجتماعية في نهج البلاغة، منشور ضمن أبحاث

ودراسات مؤتمر نهج البلاغة، ج ٢، مركز دراسات الكوفة، ط١، النجف الأشرف، ٢٠١١ م، ص ٣٠٣ ـ ٣٢٥.

* حمود: د. أحمد عبد المجيد.

٦٨٠ ـ سيرة النبي المصطفى ﷺ للإمام علي المرتضى عليه السلام من خلال نهج البلاغة، مجلة رسالتنا، العدد الرابع السنة الأولى، بغداد ٢٠٠٤، ص ١٣٢ ـ ١٥٤.

* الصافي: د.حسين

٦٨١ ـ آباء النبي ﷺ في الكتاب والسنة، مجلة صدى القرآن، العدد الثاني، السنة الأولى، ٢٠١٢ م، ص١٠٥ ـ ١٢٤.

* الشريف يوسف

٦٨٢ ـ الكعبات المقدسة عند العرب قبل الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٢٩، بغداد، ١٩٧٨م، (الصفحات جميعها).

* كاظم: د. شاكر مجيد، النصر الله: د. جواد.

٦٨٣ ـ الحياة العقائدية والاجتماعية عند العرب قبل الإسلام في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، مجلة أبحاث البصرة (الإنسانيات)، المجلد ٣٠ العدد الثاني، ٢٠٠٦. ص١ ـ ٦١.

* الكريطي: حاكم حبيب

٦٨٤ ـ اهل البيت عليهم السلام في نهج البلاغة ـ قراءة تأويلية ـ، منشور ضمن أبحاث ودراسات مؤتمر نهج البلاغة، ج ٥، مركز دراسات الكوفة، ط١، النجف الأشرف، ٢٠١١ م، ص٧ ـ ٢٤.

* المحراث: كاظم حمد

٦٨٥ ـ تجليات الزهد في نهج البلاغة، العدد ٧٥ ـ ٧٦، ب ط.

* نصار: موسى

٦٨٦ ـ الطغاة وسنن التاريخ في ضوء القرآن، مشاهد الصراع، مجلة المصباح، العدد الثامن، ٢٠١٣م، ص٢٣١ ـ ٢٥٥.

* النصرالله: جواد كاظم.

٦٨٧ ـ الإمام علي (عليه السلام) في فكر الجاحظ، مجلة دراسات البصرة، العدد الرابع، السنة الثانية، ٢٠٠٧م.

٦٨٨ ـ الجاهلية فترة زمنية أم حالة نفسية، مجلة أبحاث البصرة، المجلد ٣١، العدد الأول (أ)، ٢٠٠٦م. ص٥ ـ ٤٣.

٦٨٩ ـ السيرة النبوية بين الرؤية القرآنية والرواية التاريخية، بحث مشارك في مؤتمر بيت الحكمة، بالتعاون مع جامعة ذي قار، ٢٠١٣م.

٦٩٠ ـ مرويات الجوهري عن يوم السقيفة، مجلة دراسات البصرة، العدد الأول، السنة الثانية، ٢٠٠٧م.

٦٩١ ـ نشأة النبي ﷺ في ديار بني سعد، مجلة دراسات تأريخية، العدد ٩، ٢٠١٠م.

٦٩٢ ـ هيأة كتابة التاريخ برئاسة معاوية، مجلة رسالة الرافدين، العدد الخامس، ٢٠٠٨.

الرسائل الجامعية:

* جثير: علي غانم

٦٩٣ ـ بيئة الرسول ﷺ في القرآن الكريم ـ دراسة تحليلية مقارنة ـ اطروحة دكتوراة غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٦م.

* الحجاج: محسن فهد.

٦٩٤ ـ جعفر بن أبي طالب عليه السلام، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠٠م.

٦٩٥ ـ دولة التبابعة في اليمن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٩٠م.

* الحلفي: صبيح نوري

٦٩٦ ـ نساء البيت الاموي ودورهن في الحياة الاجتماعية والسياسية حتى نهاية العصر الاموي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الاداب، البصرة، ٢٠٠٦.

* الدليمي: مؤيد عبيد ياسين

٦٩٧ ـ ملامح المجتمع المدني في عصر النبوة، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، ٢٠٠٦م.

* الزبيدي: بثينة عادل عمران.

٦٩٨ ـ الثأر في العصر الاموي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية التربية للبنات، ٢٠١٣م.

* الساعدي: إيمان حسن مجيسر.

٦٩٩ ـ والدا النبي محمد ﷺ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٩.

* الصفراني: رياض رحيم حسين

٧٠٠ ـ هاشم بن عبد مناف، دراسة في سيرته الشخصية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية التربية، ٢٠١٠م.

* عبد الرحمن: هاشم يونس.

٧٠١ ـ الحياة الفكرية في الجزيرة العربية قبل الإسلام وعصر الرسالة، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الموصل، ١٩٩٢م.

* العبيدي: شذى عبد الصاحب عبد الحسين

٧٠٢ ـ مجتمع المدينة من خلال القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ديالى، كلية التربية، ٢٠٠٥م.

* عجيمي: أحمد فاضل.

٧٠٣ ـ كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد مصدرا لتاريخ العرب قبل الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ذي قار، كلية الاداب، ٢٠١٣م.

* الغزي: مازن خضير عباس

٧٠٤ ـ الرد على الرسول ﷺ دراسة تأريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية التربية للبنات، ٢٠١٣م.

* غياض: عباس عبد الحسين.

٧٠٥ ـ السياق واثره في دلالة النص القرآني عند مفسري الإمامية في العصر الحديث، اطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الاداب، ٢٠١٣م.

* الفارس: محمد خضير جاسم

٧٠٦ ـ عروة بن الزبير دراسة في سيرته ومروياته التاريخية عن السيرة النبوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٠م.

* القريشي: علي كريم عباس

٧٠٧ ـ آل عبد المطلب وأثرهم في الحياة العامة حتى نهاية العصر الراشدي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية التربية، ٢٠٠٧م.

* المالكي: سعدي عبد الرحيم مانع

٧٠٨ - حمزة بن عبد المطلب، دراسة في سيرته الشخصية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية التربية، ٢٠٠٩م.

* المرزوك: غزوان عبد الكاظم مهدي

٧٠٩ - الغيبيات في نهج البلاغة دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية التربية، ٢٠١٣.

* معمري: حسن.

٧١٠ - مكة وعلاقتها التجارية مع شمال وجنوب شبه الجزية العربية خلال القرنين ٥ و٦ للميلاد، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦م.

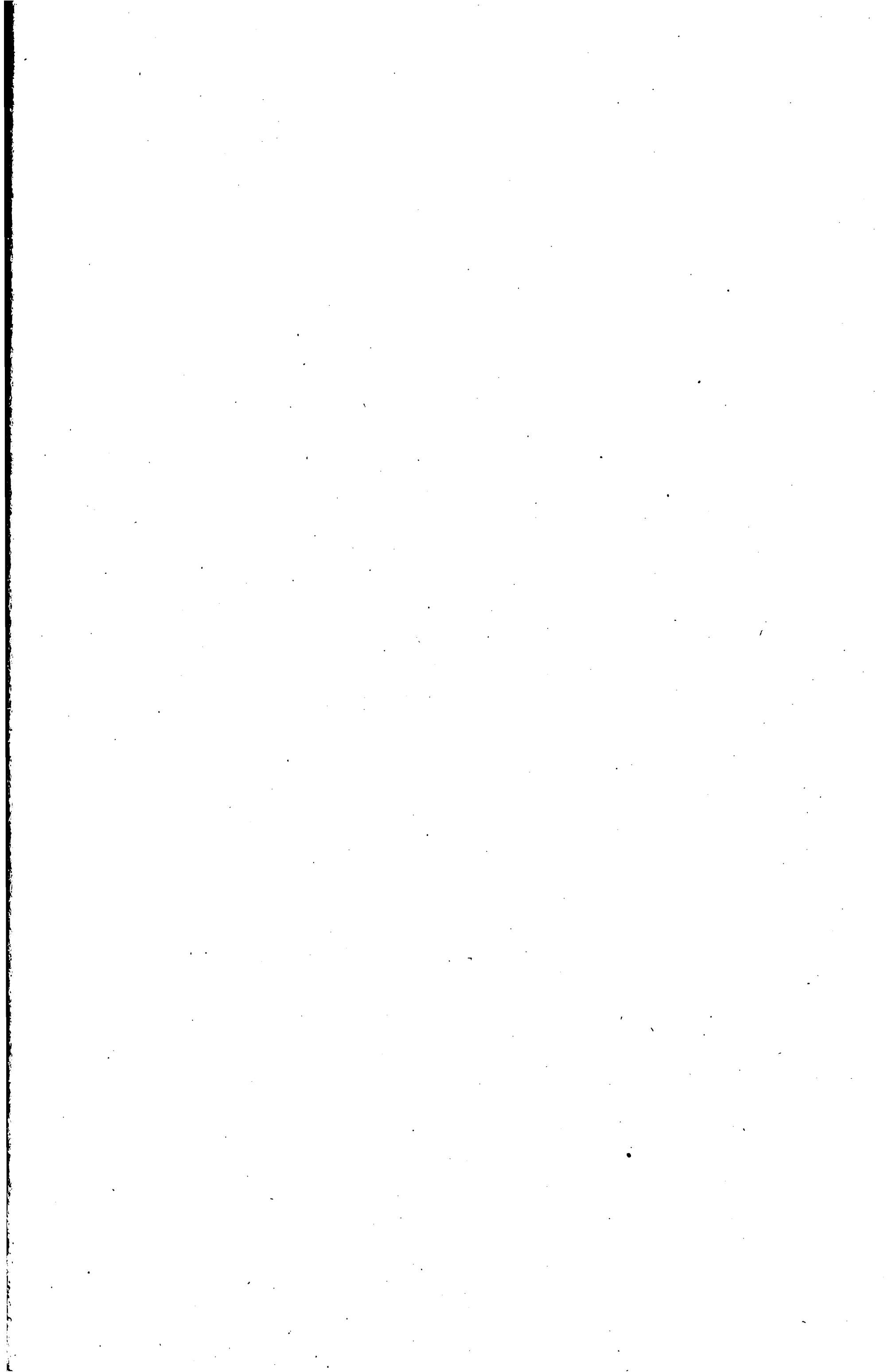
* الميالي: ناجح جابر جخيور.

٧١١ - صورة النبي الأكرم ﷺ في نهج البلاغة دراسة في ضوء منهج الاسلوبية التطبيقية، اطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الاداب، ٢٠١٣م.

المحاضرات

* النصرالله: د. جواد كاظم.

٧١٢ - محاضرات في سيرة المعصومين ألقيت على طلبة العلوم الدينية في جامعة السيد الصدر عام ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م.



فهرس المحتويات